سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب



جزء ٣٠ — ٣٩

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان الأمين أحضر أبو محمد البطال الى بين يديه بعدان ضربه عقبه علقة إلى ان غشى عليه ولما ان حضر قدامه قال له يا شيطان قد أتيت تخلص عبد الوهاب وان كل مايقوله القاضى فهو صحيح لأنكم منافقين على هذه الدولة العباسية وادعى بمسرور فحضر وقال له وتربة المهدى إذا لم تضرب رقبة البطال لآخذن ما بين عينيك فقال عقبة يامولانا أنا مالى قلب ان أنظر إلى عصفوريذبح بين يدى من خوفى من الله سبحانه وتعالى ولكن من يريد هلاكك لايأخذنى عليه شفقة أبدا وأنا ماأشتهى ذلك فقال الأمين ياقاضى أنت رجل من أهل العلم والعمل تأخذك الشفقة على جميع الناس وأما مسرور فانه شق ذيل البطال وعصب عينيه وولى يأتى بسيف النقمة فدخل على زبيدة وباس الأرض وقال يا سيدتى ان للبطال على مولانا الرشيد رحمة الله عليه خدم كثيرة ومن الحقوق ما أننى عالمة بها غير منكرة وله أيضاً عليكم خدم وصحبة وما أظهر فى الدولة نفاقا ولا عداوة ولا قال لم فرض الأمين علينا خليفة ولا خرج خارجيا ولا قتل نفسا بغير حق وإنما طلب خلاص عبد الوهاب كما تفعل الأصحاب مع الأصحاب فلا تمكنى مولانا بقتله فربما يندم حيث لاينفعه الندم وارعوا ماله عليكم من الخدم فعند ذلك أرسلت زبيدة تقول ياولدى كأنى فى أمرك فان العجلة من الشيطان واجعل البطال مع عبد الوهاب فى السلاسل والأغلال حتى ننظر مايكون من أخيك وأيضا فان لهم من يطلبهم ولا يغفل عنهم وهو ظالم ولقد علمت ماجرى على أبيك معه فى أرض الحجاز وكأنك به وقد سار اليك ووصل لديك فان أنت ظفرت به فهو المرادوان كانت الأخرى

ترضيه بخلاص من عندك من الرجال ولما ان وصلت الرسالة الى الأمين قال هذا هو الصواب وقال الفضل الذى ذكرته أمك فهو السداد فأمر ان يمضوا بالبطال عند عبد الوهاب فعمل عقبة فى رقبته حبل وكان ثقله خمسين رطل من بين رجليه ويديه وأنزلوه فى المطمورة وكان الأمير غافل عن ذلك وإذا به نازل عليه والحبل فى رقبته فضحك فقال البطال لماذا تضحك يا أسود لا أضحك الله لك سنا فقال الأمير أنا ماضحكت إلا انى مارأيتك دخلت علينا مثل هذه النوبة ولا فى بلاد الروم فقال له اسكت ياعبد الوهاب فاننا من هنا نحشر مادمت انك تخالفنى لأنى قلت لك لاتدخل فما طاوعتنى فعدت أنا من بعدك فأصابتنى هذه المجرى (قال الراوى) فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من القاضى عقبة فانه قال للأمين يامولانا استدرك الأمر قبل الفوات ولا تهمل الأمور تدخل عليك الآفات فقال الأمين مادامو هؤلاء فى السجن فانهم يموتوا كمدا والحسن بن طاهر والمأمون أرسلت خلفهم العساكر وكأنك بهم وهم بين يديك يحضرون فقال عقبة ما بقى الاظالم تطلب تخرجه من الثغور من قبل ان يطلب خلاص أبيه فالبدرة لمن بدر وربما يهرب إلى أرض الحجاز ولا تبقى تقدر عليه وكان قصد القاضى عقبة حتى تخلى الثغور من حماتها ويرسل لملك الروم يخرج على البلاد ويحيف على العباد ولا يكون قدامه من يمنعه ويأتى إلى العراق وكل الآفاق ولما ان سمع الأمين ذلك قال للفضل بن الربيع ما أعرف ذلك الأمر إلا منك فقال سمعا وطاعة ثم انه جهزه وقال ياقاضى اعلم ان عمرو مامضى فى أمر وأفلح وما يمضى فى تلك النوبة إلا الأتراك فقال عقبة يامولانا لاتغفل فان عقبه خبير بملطيه ومن أين وصل اليها وان يامولانا الحرب له ساعات والشهادة لها أوقات والمعامع لها آفات ثم ان الفضل بن الربيع أحضر العرب الذين قدموا فى تلك الأيام وخلع على المقدمين وكانوا ثلاثين ألف ومائة وسبعين ألف وهم عرب من سائر الطوائف ومن كل الآفاق وقال لهم أن أمير المؤمنين يقول لكم إن أتيتموه بهذا الرجل ظالم فانه يعطيكم أقطاع من حد حلب إلى دمشق وتنقلون أهلكم وأولادكم هناك وتستريحوا من البرارى والقفار فلما سمعوا ذلك قالوا نريد منشوراً بخط أمير المؤمنين فأخذ لهم خطه وقدم عليهم الامير عمرو بن عبيد الله فى سادات بنى سليم وكان ذلك برأى القاضى عقبة وأردفهم بخمسين ألف ترك (قال الراوى) فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أمر بنى عامر وبنى كلاب لما انهزموا بعد كسرة بنى سليم على بغداد فانهم ساروا وجدوا حتى وصلوا ملطية ودخلوا على ظالم شقوا الثياب وأدخلوا العمائم فى الرقاب وزادوا فى البكاء والانتحاب وهلبوا الخيل وهشموا الرماح وقالوا أيها الأمير

هذه نوبة عظيمة ليست كالنوب ادرك الأمير والاميرة والافرط فيهم الفرط ونفد الامر فلما سمع ظالم إلى مقالهم ونظر إلى حالهم جعل ينتفض مثل السعفة فى الريح العاصف وقال ياويلكم أوضحوا لى الحال وبطلوا التلويح فى المقال عند ذلك تقدم جابر بن جعفر وأشار اليه يقول

ألا أيها القمقام قد بطل العتب وهذى أمور تحتها حادث الصعب
لقد قبضت ساداتنا بظلامة ونار الشتاء فى الحوائج لاتحب
فسر نحو أطراف العراق ولا تكن جبانا فهذا اليوم قد أمكن الضرب
وان طلب المأمون منك معونة فكن له معينا ماله أحد يصبو

(قال الراوى) ثم انه قص على ظالم جميع ماجرى من الأمور وهو كلام يضيق الصدور فما أتم القائل ذلك المقال حتى صاح ظالم صيحة عظيمة تفتت المرائر وكل من سمعها صار حائر وطار الزبد من شدقيه وقامت مقل عينيه وقال مابقى الا الرحيل ثم انه من يومه رحل من ملطيه وقد استخلف أخاه ضيغم وعنده جماعة من سادات بنى كلاب وقال له احفظ البلد ولا تكن مثل غيرك جبان فقال ياأخى ما أحتاج منك وصية وسار ظالم طالب إلى بغداد من دون البلاد وأنشد يقول

اترك الخلق والبلاد جميعا واشتغل بالاله عن كل شيء
من توكل على الإله كفاه وحماه من كل ميت وحى
فاختلاف الدهور تأتى بغتة ورجاء العباد يورثك غى
فسأل الله أن يمن علينا بالرضى والهدى بفضل على

(قال الراوى) ثم أن ظالم لم يزل سائر حتى وصل إلى نصيبين فكان وصوله اليها يوم وصول عمرو ومن معه من الجيوش فرجعت الطلائع إلى أصحابها وأعلموا أن ظالم وصل وأيضا قالوا لظالم بما وصل اليه من تلك الجيوش والعساكر والدساكر فلم يفزع مما سمع بل رجع إلى طبع العرب والسادات من ذوى الرتب وقال

تفزعنى قومى بكثرة جمعهم ☆ إذا حملت أبطالها فى الكتائب
وأجدع آناف الرجال بصارم ☆ صقيل يقد الهام بين المضارب
يكون أبى فى الأسر مع كل سيد ☆ واقعد يوما قاصراً غير طالب
واشرب ماء باردا بعد فقده ☆ وكيف يلذ العيش بعد الحبايب
سأترك أطلال العراق خلية ☆ وأخرب منها جانبا بعد جانب
علينا من الرحمن ألف عقوبة ☆ ولاشربت روحى شراب المطالب

ولا نلت من دهرى سرورا بعيدهم ☆ ولا وصلت نحو الحبيب ركائبى
إذا لم أطالب عقبة بعد فعاله ☆ وكل امرىء يبغى قفار السباسب

(قال الراوى) فهذا كان من أمر هؤلاء (وأما ماكان) من القاضى عقبة فانه نزل من قصر الخلافة يتنسم الأخبار إذ ورد عليه غلام من غلمانه وقال يامولانا على الباب رجل يريد الدخول اليك والوصول إلى بين يديك فقال على به فدخل وقبل الأرض وقال يامولانا هذا كتاب منويل اليك وهو يأمرك أن تمضى اليه لعل المسيح ان يؤخر أجله حتى ينظر اليك نظرة قبل موته فأخذ عقبة الكتاب وفضه وقرأه وإذا فى أوله كلمة كفرهم ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أما بعد فان المسيح يقول ان الموت دهليز القيامة ولا بد لكل أحد من دخوله وهو الذى أفنى الآباء والأجداد ولا ينجو منه أحداً من العباد وقد حضرنى الذى أرهج الملوك وأخلى أسرتها والسادات عند معاقل دولتها وقد حضر القساقسه والشمامسة والمطران والبترك الكبير زعربان وقالوا لى ان المسيح مايرضى عنك حتى يحضر عندك الشيخ النجيح وحجة المسيح ويلقنك كلمه القدس ونحن نقول ان الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ليس له شريك ولا وزير ولا ضد ولا ند ليس كمثله شيء وهو السميع البصير خضعت له الملوك وقمع الجبارين (قال الراوى) ولما أن قرأ عقبة ذلك الكتاب ورأى فيه أن المسيح مايقبل منويل إلا إذا كنت عنده قال ان هذا شيء لم يكن لى فى حساب وبقى لايدرى مايعمل وضاقت عليه الحيل ثم أنه أحضر غلام من غلمانه كان يدخره للأمور العظام وقال له امضى إلى القسطنطينية وربما إنك لاتلحق الملك ثم كتب له كتاب يذكر فيه كلمة كفرهم وشركهم أما بعد أنا فى شغل مايسعنى فيه الحضور اليك وان دخلت بلاد الروم يكن ذلك عقد مذموم وان قعادى فى بغداد فيه هلاك العباد ولعل المسيح يظفرنى بما أريد من هلاك عبد الوهاب لأنى عملت على سجنه ومعه أصحابه ورفقاءه فاذا قضى المسيح بقضا فنحن نجتمع على طول المدا وان قضى عليه المسيح فالأمر اليه من قبل ومن بعد ويعز على ان ينسب اليك الموت فان كان الأمر كذلك يجلس ميخائيل مكانك ولا يكن له همة إلا تجهيز العساكر والعشائر وأنا أرى له ذلك من طريق الدين واليقين وأنا أسأل لك الحواريين وأريد بذلك أن يكون لك هيبة عند الخلق والسلاطين ثم أرسل غلامه مع الذى أتى بالكتاب واعتدوا اليه فى السير فما وصل إلى القسطنطينية حتى هلك منويل وعجل به إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (وأما ماكان) من الأمير ظالم فانه التقى بالعساكر على نصيبين والمقدم عليهم الأمير دارم وجحفل وعمرو

وأنهم لما أصبحوا أرسلوا إلى الأمير ظالم يقولون أما بعد ان النصيحة من الدين وهى واجبة على المسلمين ونحن قد أرسلنا اليك أمير المؤمنين وأمرنا بالقبض عليك وعلى من معك أجمعين ونحن معولين على ذلك والرأى عندنا انك لاتجرد سيف فى وجه أمير المؤمنين فيكون ذلك سببا لهلاكك ودمارك وسلم نفسك تسلم وان كنت تخالف تندم حيث لاينفعك الندم ومعلوم أن الإمام لابد له ان يصلح مع الأمير والأمراء ويذهب الغبن ويأتى الرضاء ولما ان وصلت تلك الرسالة إلى الأمير ظالم أرسل لهم جوابها يقول أما بعد فلا بد لى من القتال والطعن بالرماح الطوال والضرب بالطوال والضرب بالسيوف الصقال وختم الكتاب بهذه الأبيات يقول

سيعلم منى جحفل القوم أننى ۞ إذا ما التقينا جحفل وابن جحفل

(قال الراوى) وما أرسل جواب الرسالة حتى صاح فى الرجال فقاموا الأبطال وفى دون ساعة صف الرجال وعبى الأبطال فقال عمرو للأمير جحفل هذا ظالم أعظم من أبيه عبد الوهاب لأنه أسد الغاب وان كنا أكثر منه فى العدد وأزين فى المدد فانه شجاع الحرب كاشف كل أمر صعب فقال جحفل هذا عندك أنت بعد الأبطال وأما أنا فلا أبالى فقال عمرو وأنت ما تملك الثغور وفيه عين تطرف وإذا أخذناه بلغنا من الإمام كلما نريد ويكون لنا كل يوم أحسن من عيـــد فقال جحفل سوف ترى ما أفعل وقد اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وتزاحمت الألوف وكان يومهم يوم مخوف وزحفت الأبطال إلى أقرانها وجالت الخيول فى ميدانها والشيوخ حملت على شبانها وقطعت الصوارم فى أعناق رجالها وتكاثر ذلك الجمع على الأمير ظالم وزادت العوالم وعملت السيوف البواتر ودارت الدوائر ولم يمنع الموت المغافر وهؤلاء ينادون الأمين يامنصور وهؤلاء ينادون المسلمون يامنصور وقد ضاقت من الطائفتين الصدور وحاروا فى كل الأمور ومن كل جبار فجور ووقعت الفرسان من على السروج وكانوا كأنهم يأجوج ومأجوج (قال الراوى) ولم تزل الحروب قائمة والرجال بعضها إلى بعض متلاطمة والصوارم تقطع والرجال من على ظهور الخيل تهوى وتقع إلى أن دخل الليل وطلع نجم سهيل حتى طلع النهار وقل من الناس الاصطبار وزاد الأمر وقل الصبر وأمسى المساء وكان ثانى يوم أثقل عيار وأقوى أفعال وقتل ارجال وتجندل أقيال إلى أن أقبل الظلام وثالث يوم جرى فيه ما يحير الأبصار من النظار لما قاسوا فيه من الأفعال ورابع الأيام بردت نار الحرب قليل وتصففت الصفوف وتقابلت الألوف وجردت الصفاح وزاد الصياح وإذا قد خرج من عسكر الأمين فارس طويل نبيل فى تقاطيع الفيل كأنه من قوم قابيل تحته حجره دهما وسما كأنها ليلة عتما

اسمها بين الخيول سلما وبين عينها غره كالقنديل ومعرفة كأنها منديل وعلى بدنه درع زرد وقد احتكمت أحكامه وعراه فيال بيضاء حبيه ما يتمناه لايرهب إلى يد ولا يخشى وفى يده قناة سمرا وعلى الفارس حله من فوق درع أحمر وعمامة صفرا وقد تقلد بعمامة خضر من الهند وسقاية السند فلويل كل الويل لمن لاقاه أوقف بين يداه ولما ان اشتهر رفع عن وجهه برقع الزرد وصاح بأعلى صوت مالنا من هلاك الناس من حاجة أين من ينتصر للمأمون ومن يخلص أباه المسجون دونه والحرب وموقف الطعن والضرب وأشار يقول

ألا أيها المغرور كف عن الحرب — وسلم إلينا قبل أرديك فى قرب
فان أمير المؤمنين أباحنا — دماءكم والأخذ التار بالصارم العضب
ولم يبق يوما للكلابى دولة — وقد ادبرت أيامهم فهى كالحقب
فهل مخبر عنى يقول لظالم — بأنى سأسقيه الحمام بلا شرب
وقد أهلك الحجام من بعد أمه — وساروا أحاديثا تسطر فى الكتب
وما هو عظم قتل ظالم بعدهم — ونملك أقطار البلاد على حرب
ونملك أقطارا من القفر عنوة — وأين عبيد الله من سادة نجب
ولم يبق من يخشاه فى ملطية — وأنت مقيد فى المذلة والكرب
فنحن فحول تعلم الناس أننا — بأن لنا قلبا جسورا على الصعب

(قال الراوى) ولما أن سمع ظالم شعره علم أنه المندم الذى عليه المعتمد حيث قال فى حق الأمير والده وجدته وأنهما قتلا فدمعت عيناه وهم بالخروج اليه وإذا قد سبقه الأمير سيف الحنيفيه وقال ياأخى أناله ولا مثاله وصاح على جواده خرج من مكانه به كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وعليه لامة حربه يطول شرحها ويعجز الواصف عن وصفها وهو يقول

أرى الدهر لاتصفو إليه المشارب — له كل يوم فى البرية عاطب
زمانا كثير الغدر مع كل سيد — يجازيه بالتفريق عند النوائب
سلام على الدنيا إذا مات سادت — كرام أصول من أناس أطايب
سلام على أرض الحامين نلتقى — أمير كلاب والأمور عجائب
سآخذ تاراً للأمير وأمه — إذا صلصلت سمر القنان القواضب
وأترك أطلال الأمير وعقبة — يحوم عليه الطير من كل جانب
ولا يطمع المأمون من بعد فقده — أمير كلاب إذ دهته المصائب

ونأخذ تارات الأمير وأمه ولا نسكن الاطلال وهى عواطب
ونطلب أطلال الحجاز لفقده وان ضاق عنا شرقها والمغارب
فدونك يانسل الكلاب صميدع تعود خوض الليل وهى غياهب
اما سمعت أذناك بيتا تمثلا لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(قال الراوى) ولما ان سمع جحفل تلك الأبيات وما نطلق به من الإشارات شاظ غيظا وحنقا وكان بطل لايطاق وعلقم مر المذاق لحمل عليه وقوم سنان رمحه عليه فتلقاه سيف الحنيفية بهمة قوية وتقاتلا وتقاربا وتضايقا وافترقا والتصقا حتى شهدت لهما الرجال لأن ما مثلهما فى العسكر وتقاتلا حتى لم يبق فوق قتالهما قتال وطارت عليهما طيور الآجال وتحكمت السمر العوال وكلت السواعد من النزال ووقع بهما الضجر والملال ولا يزالا على ذلك المنوال إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال ونادى منادى الحرب بينهما بالاتصال وان الأمير جحفل لما ذاق حرب سيف الحنيفية وكان قد سأل عنه رجل من بنى سليم فقال له هذا سيف الحنيفية الذى تضرب به الأمثال هذا ابن المفضل إلا زيد والبطل إلا مجد هذا عمدة عبد الوهاب عند الطعن والضراب ولما أن عاين منه فى الحرب ماعاين علم أنه منه بعيد والوصول إليه صعب شديد فوقف ثم ضحك ضحكا عاليا ونادى يافارس العرب لقد تعجبت منك كل العجب والحمد لله الذى لعبد الوهاب مثلك لأنه لايبالى بما يكون ولو نزل به ريب المنون لأنك والله فارس أوحد وبطل مددو مثلك قليل لايوجد ولقد ندمت على كسر قلوبكم بقولى أن الأمير هلك وكان للأمر فيه مشترك لأن الكذب شين والصدق زين وأبوك صديق من أعوام وسنين ولقد رزقه الله نعم البنين ووالله ياولدى ماهو إلا سالم ومن معه من الرجال إلا كارم لم ينقص منهم أحد ولكنى رأيت شيخا يقال له القاضى عقبة يحرض الأمين على قتلهم وما أخوفنى إذا طالت الأيام يهلكوا الرجال الكرام ولقد خشع قلبى شعرك وكيف ذكرت أن الأرض قد ضاقت عليك من جهة والدك وتقلقلت أحشاى وكدت أن أصرع فى مكانى إلا أنى رأيت ذلك من صفة النسوان لامن صفة الرجال الشجعان وأردت أن أختبرك فى الميدان وأبصر ماتحدثت به فيك الشجعان فرأيت العقول قد قصرت عن إدراك فقال سيف الحنيفية وقد فرح بسلامة أبيه ياشيخ لقد خففت عنى ما كان بى وفتحت لى باب الفرح فقول ما أنت قائل فقال ياولدى أن ماينكر الخير الاكل ندل بخيل وهو أن للأمير علىّ صنائع من الجميل وهو أن تحت يدى مائة ألف عنان وأنا أرجع من وقتى هذا وأقبض على عمرو سيد بنى سليم وتتفرق العساكر

من بعده وأسير معكم إلى بغداد ونخلص عبد الوهاب ونبلغ المراد ونضرب بسيوفنا أمام المأمون (قال الراوى) فقال سيف الحنيفية وقد طار قلبه فرحا على أبيه إن فعلت هذه الفعال ياشيخ يرفع قدرك عندنا لأنك بالمعروف توافينا فقال جحفل وقد أغمد سيفه ورمى قناته أعطنى يدك ياولدى حتى لا أفسد حالى عند الأمين وبعد ذلك تبعدونى وتواقعونى فى الهوان (ياسادة) فأغمد سيفه ومد يده وقد أشغله بذكر أبيه من النظر فى العواقب وجحفل أخذ سيف الركاب أسرع من البرق وضربه فى رأسه شق جبينه فوقع سيف الحنيفية إلى الأرض أسرع من طرفة عين فانكب عليه أخذه وأما ظالم لما علم بذلك حمل كانه جمل وأبان الجفا من الزال وبطلت الحيل وزاد الوجل وكان السابق جحفل عمد يأخذ سيف الحنيفية وقاتلت بنى عامر وكلاب واشتد الطعن والضراب وكان يوم عظيم يشيب فيه الطفل الفطيم وإذا بالسودان وصلوا إلى بنى سليم وخلصوا سيف الحنيفية وعادت الناس وتخلص بعد أن قتلت العوالم وتقدم إليه ظالم فرأى فيه الروح فشدوا جراحه وضمخوه بالطيب وبات ظالم فى أعظم ما يكون من الهم والغم إلى أن أصبح الصباح ركب الأمير ظالم جواده وكان أول من فتح باب الحرب وقد اشتمل بلامته وتقلد بصمصامته وقفز الجواد إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج إليه فارس فأسره والثانى جندله والثالث أراده والرابع ألحقه بأخاه والخامس أعدمه قواه والسادس أهواه والسابع عفره بدماه ولم يزل كذلك فى أسر وقتل عشرين فارس وصاح ياجحفل هذا فعل لايقبل وأمر لايهمل تطلبنى للأمين وتغفل عنى اليوم دونك والهياج وكان جحفل رجل خبيث ولما أن ناداه ظن أن ظالم ضجر من القتال ومن طرد الرجال فركب على جواد كافورى أخضر كانه البحر الأذخر وشاهر سيف قاطع ودرع مانع وحمل على ظالم وهو ينشد ويقول

أياظالما لاقاك ليثا غشمشما ٭ مطاعا كميا قسوريا مقدما
يصول على الأعداء فى حومة الوغا ٭ تعود خوض الليل والليل مظلما
أنا جحفل لا انثنى عن مبارز ٭ ولا أرعوى من باسل قد تقدما

(قال الراوى) وبعد الاشعار مد البطلين إلا سنة وقوما إلا عنه وفتحا فى الأرض ميدانا وأجاد ضربا وطعانا وبعد ساعة من النهار اختبروا بعضهما غاية الاختبار فخرج من الاثنين ضربتين قاتلتين وأصليتين كان السابق بالطعنة الأمير ظالم فرقعت فى صدره نور السنان من ظهره وأشار إلى العسكر فحملت وأعنة خيلها أرسلت وصدمت بعضها بعض وجالوا طولا وعرض وصدموا بعضهما بعض ووقعت الرجال على وجه الأرض وشابت

الذوائب وقطعت المضارب ولاح للموت علائم ودلائل وأخذت الناس فى الهرب والسودان تكلب بالعزب فما كان لهم أوفق من الهرب لما لاح لهم لائح العطب فانهزت بنى سليم وتبعت أهل العراق وقد لحقهم الهم والضيم وملك الأمير ظالم الأموال والرجال ونهب وسلب وخيل ومتاع ماله حد محدود (قال الراوى) ورحل فى أعقابهم طالب العراق ونهب القرى والسواد وأهلك خلق كثير وأخاف العباد ووصلت عساكر الأمين إلى بغداد وهم على غاية من الذهل والانكاد وقامت الناس على قدم وساق وقالوا العوام من يكون هذا الصعلوك حتى يضرب فى وجه الخليفة بالسيف (قال الراوى) ودخل الأمين على أمه وأخبرها بالقصة فصعب عليها وكبر لديها وأرسلت الى الفضل تقول أما بعد فان ما يفهم أرباب الدولة أصحاب الهمم على رقاب سائر الأمم الا حتى يكفوه الأمور ويقوه كل محذور فان كان فيك أن تذب عن أمير المؤمنين وتحامى من حوزة الدين وأنت بالأموال والرجال ممكن وأمين وان كان قلبك لايطيق ما أقول فانعزل عن ذلك الشغل ودع غيرك به مشغول على انى لا أعرف للرشيد ذنب الا قتل البرامكه وأنت كنت السبب ومن يوم هلكوا ما رأينا لك عسكر منصور ولا أبصرنا عدونا مكسور ولما ان وصلت الرساله اليه أرسل خلف عقبة فلما ان حضر حدثه بما جرى وان ظالم أسر العساكر وأول ما يطلب أنا وانت فضحك القاضى ضحكه باردة وقال طلبى من هو أقوى منه جنان وأطول سنان ولم يقدر على ذلك الهزيان بل لعبت بعقله وأخذته على غفله منه ووثب من عنده ودخل على الأمين وسلم وقعد وقال اعلم أيها المولى ان الآمال ما تصل اليها الرجال الا بالمال وأنت قد ورثت من أبيك خمسمائة خزانة فى كل خزانة خمسمائة ألف دينار ومن حولك عسكر ما يقصر عنه حساب الحاسب ولا يدركه ديوان كاتب والرأى عندى انك تنفق خمس خزائن وقد أتوك الرجال من كل مكان وجانب فقال الأمين ياقاضى ها أموالى بين يديك افعل بها ماشئت ان تفعل لا اعتراض عليك عند ذلك كتب عقبة الكتب الى كل مكان وبذل الأموال وفرق على العرب الذين من أعمال البصرة والطماعه والمفسدين فأتت اليه الناس من كل مكان وجانب ووصلت اليه عساكر خراسان حتى قد اجتمع فى بغداد ستمائة ألف ووصل الخبر ان الأمير ظالم قد ملك الموصل ونصيبين وأربل والبوارنج وتكريت رونا وعكبرا وبقى بينه وبين بغداد قدر فرسخين وعقبة يقول للعساكر والفضل بن الربيع لا ترحلوا من مكانكم وافعلوا جميع ما أقول لكم وعلى الضمان أن ما يسلم منهم أحد وان رحلتم فلا آمن عليكم ثم ان عقبه ادعى بالأمير وضم اليه خمسة آلاف وامره أن يسير الى المحول ويكمن هناك وأمر الأمير هدبار

الـكردى الديلمى ان يأخذ عشرين ألف من الديلم وعشرين الف من الأكراد ويكمن بهم عند قرية زبيده الخاص وجماعة من العرب للامير غيلم ابن جعفر البصرى وكانت العرب تضرب بهم الأمثال وكان قد ضمن غفارة البريه من أرض البصرة الى أرض الحجاز من أجل مشاجرة جرت بينه وبين أخيه مرداس واقام الفضل بن الربيع مكانه بباقى العساكر والجنود (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (واما ماكان) من ظالم لما ملك البلاد أرسل الجواسيس تنظر اخبارالقوم فوجدوا الدنيا مختبطه بالرجال مايقدر الطيران يطير وكل ذلك كان من عقبة حتى لايطلع أحدا على المكمن وان غلمان البطال كانوا ببغداد يطلبون خلاص الأسرى فما وجدوا لهم سبيل ولما نظروا ما فعل عقبة والفضل بالمكامن قال لؤلؤ لمن معه من الغلمان هذه والله نوبة عظيمة وان تم على ظالم ذلك الأمر وحصل بين الـكمنا هلك بمن معه لا محاله فقالوا فـكيف يكون العمل قال لؤلؤ الرأى أننا نقصد ظالم ونعلمه بالـكمنا من قبل ان يحصل بهم وهم كانهم البحر الزاخر فقال له نعم ما رأيت ثم انهم ساروا حتى وصلوا اليه ولما وصلوا اليه فرح بقدومهم وسألهم عن الأمير ومن معه من الرجال فأخبروه انهم فى قيد الحياة الا انهم فى سجن الأمين فقال الحمد لله وقد زاد نشاطه وظهر ابتسامة وقال هذا قصدى عند ذلك اخبروه بالـكمنا انهم متفرقين فى المواضع فقال هذا مايمنعنى عن مرادى ثم أنه جمع مقدمين الأعراب والسودان الانجاب والملك البطليموس والـكندفرون وقال ياقوم اعلمـــوا أن من تضرب رقبته بالسيف ما يبالى ان كان السيف يمانيا أو هنديا أو افرنجيا وكذلك أنا ماأبالى من أحدوانا نيتى ان أخير روحى على أهل الأرض فى الطول والعرض وما أبالى أى موتة أموت فقالوا كلهم عن لسان واحد افعل ماشئت واصنع ما هويت فما منا أحد الاترك الدنيا وراء ظهره فشكرهم واثنى عليهم وعند الصباح أدعى بالملك البطليموس وقال خذ معك من العسكر وانفرد فى هذه الجهة وتخرج عليهم اذا خرجوا عليها وضم اليه خمسة آلاف من بنى عامر وكلاب ثم ادعى براشد بن ضمره وضم اليه عشرة آلاف وقال اقصد الى اليسرى وكن هناك مكمنا ثم ادعى بقرارة بن بكار وهو أفرس من ركب الجواد وكان من الفرسان المعروفين بالحرب والجـلاد وضم اليه ثلاثين الف عربان وسودان وهو كانه الأسد الغضبان وقد قل الموت فى عينه وهان (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأماماكان) من عقبة والفضـل فانهم كانوا جالسين فى خيمة واحدة والعساكر مقيمة يطلبون الاذن فى لقاء ظالم قبل وصوله اليهم وعقبة ينهاهم عن ذلك ولا يمـكنهم من ذلك وهو لابس السواد يزعم انه حزين على الرشيد وقد حلف انه مايلبس بياض حتى

مايبقى أحد من أعداء الأمين لاعدو ولا حاسد ولا مبغض وهو يحرض الرجال ويخلع عن السادات الخلع الغوال ويعطى الهبات ويفرق الأموال المتكاثرات ويقول ما أسعد من قتل من هؤلاء فانه يدخل الجنة بغير حساب لأنهم يطلبون هلاك أمير المؤمنين وهم منافقين على هذه الدولة العباسيه ومع ذلك ان الامام وعد أن من قتل ظالم أعطاه بوزن رأسه ذهبا غير الخلع والأموال وكل واحد من الطاعه يقول أنا له ولأمثاله (قال الراوى) ولما أن كان وقت الظهر وإذا قد بان لهم غبار حتى سد الأقطار وغيهب شمس النهار وعاد الوقت كالليل عند الاعتكار وأقبل الأمير ظالم وأشرف على العساكر والعشائر وفى دون ساعة وقعت العين على العين وتبادرت المعشرين وصاحت الرجال من سائر الجنبات وركبوا على ظهور الصافنات وهزت السمر الخطيات واشتهرت السيوف المشرفيات ونفرت الوحوش من الغابات وحجب القفار نور الشمس فلم تنظر السموات وكانت الخلق بعدد الجراد والنبات وسحبت الرياح ذيولها من الجنبات وأشرف الأمين من باب قبة الذهب ينظر النصر لمن يكون من هذه الطوائف القادمات ومايجرى بينهم من الكائنات وأما القاضى عقبة لما رأى إلى تلك الحالات أخذه الزمع والفزع من هذه الأمور المقضيات وقال فى نفسه ماهو بكثير ينكسر ذلك العسكر وأقع أنا فما كان أحداً لى ينفع وأصير فى بلية وأقع فى هذه الأمور الصعبة فصاح فى الفضل بن الربيع وقال ماهذا الانتظار البدرة لمن بدر أمر بالعسكر بالحمله وأمر الكمنا ان تخرج عليهم ولم يبق منهم باقية (قال الراوى) هنالك أشار الفضل إلى الرجال بالحمله فحملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وفى دون ساعة بانت العجائب وقحمت العجاج وعاد النهار كأنه الليل الداج وقوموا الرماح وعملت الصفاح وارتفع من الطائفتين الصياح وزهقت الأرواح من الأشباح وجاء الجد وبطل المزاح وضاقت الأماكن الفساح وانفلقت الأبواب وضاع المفتاح وامتلئت بالقتلى الأماكن وسمحوا بالأنفس بعد ما كانوا بها شحاح وخرجت الكمنا من سائر الجهات والجلبات وفتك فى الرجال ظالم وطعن بالرماح وضرب بالصارم وفلقت الرؤوس والجماجم ونشرب من الشجعان العمائم وجزت الغلاصم وجرت على الأرض سواقى الدما وأقبل الليل والناس تهوى وتقع على ظهور الخيل وأظلم عليهم الليل ودهم الناس الهم والويل فالتقى الأمير غيلم ابن جعفر بالأمير ظالم وجرى بينهما حرب دائم مالاعين رأت ولاأذن سمعت (وقد قال القائل) ان ماجرى لاحد مثل ماجرى بينهما لأنهما كانا كأنهما جبلان تصادما أو بحرين تلاطما أو كبشين تناطحا عند ذلك ضايقه ظالم ولاصقه وسدعليه طرائقه وضربه على عاتقه طلع الحسام يلمع من علائقه وتوكلت السودان والحبشان بعساكر

الأمين وكان يومهم متين زجرت فيه الأقران وعبست الفرسان ووصلت أصحاب ظالم إلى صاحب العلم الذى كان للخليفة معقود وتحته الفضل وعقبة فصاح الأمير ظالم على من معه من العوالم فدارمن حول العلم خمسة آلاف من الفرسان وحمل بالسودان والاقران فنظر عقبة إلى ذلك الكردوس وقد حمل بريد العلم فأيقن بالهلاك والعدم ففزع وارتاع وارتعب وصار لايدرى إلى أى الطريق يذهب وما كانت إلا لحظة حتى أدركهم ظالم وطلبت عساكر الأمين أن تمنعه فلم يقدرون عليه ولا وصلوا اليه وفرشوهم على التراب وأذاقهم ظالم أليم العذاب وداسهم بسنابك الدواب وضربت منهم الرقاب وفرشوهم على وجه الصعيد وذلت الأحرار والعبيد ووصل ظالم إلى الفضل وضرب حامل اللواء وقع إلى الأرض صريع وقبض على أطواق الفضل واقتلعه من سرجه وبطل هرجه ومرجه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما نظرت الناس إلى العلم وقد نكس والمقدم قد انعكس وقد صار فى قبضة ظالم وقد حل به العظائم فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وطلبوا الأهل والديار ولم يعقل الأخ على أخيه ولا الولد على أبيه ولم تزل الرجال تقتل والسؤال لايقبل بطول ذلك النهار وخرج من سنابك الخيل شرر النار وماجوا تلك الخلائق كانها البحار وملك الأمير ظالم الخيام وما فيها بحدا الحسام ونظر الأمير بالله من المنظرة إلى ذلك فتيقن انه هالك وقال ماهذه إلا نوبة عظيمة وشورة مذمومة وأظهرت بنى عامر وكلاب شدتها وأبدت سطوتها وحملت السودان بحملتها ودنوا من بغداد يريدون أن يملكوها فوجدوا السماريات والعشاريات والسفن الكبار والصغار قد مضوا إلى الجانب الآخر من الدجلة لأجل الحصار وكانت الدجلة فى أوفى مايكون من الزيادة فطلب ظالم العبور فلم يقدر ولا وجد له سبيل وأدرك الناس المساء وبقى على غاية من الهم والغم من ذلك الأمر فقالوا علمان البطال أيها الامير لايهمك ذلك فنحن غدا أن شاء الله تعالى ندبر لك فى العبور فلا زلت مؤيدا منصور وبات الأمير ظالم على جانب الدجلة وقد غنموا من الغنائم مالاعين رأت ولا أذن سمعت (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان عقبة من أول مارأى ظالم وقد صمم على العلم فارق الجيش وعبر إلى الجانب الآخر ولو كان ظالم تبع عسكر الامين لما أنهزم لما كانوا قدروا على قطع الجسر وإنما كانوا اشتغلوا بنهب الاموال والرجال وان عقبة لما سار إلى الجانب الآخر أمر بقطع الجسر وأخذ المراكب ثم انه مضى إلى الأمين ماذا يكون ياقاضى قال يامولاى من هذا كان يفزع الرشيد ولكن لاتخاف فما هناك إلا الخير وإذا زاد الأمر وقدروا أن يعدوا الينا فأنا أدبر لك ماتفعل مع أنهم لاسبيل لهم إلى الوصول اليك ولا القدوم عليك وبات ظالم على جانب الدجلة إلى أن أصبح الصباح فأحضر ظالم غلمان

البطال وقال أريد منكم ماوعدتمونى به من العبور فقالوا سمعا وطاعة أيها الأمير نحن اليوم ننظر إلى المراكب التى فى ذلك الجانب ونصبر إلى الليل ونعبر اليها سباحا ونسوقها كلها إلى عندك ثم أقاموا إلى أن دخل الغلس بظلام الليل واختلط الغتام وقل الكلام فرموا بأرواحهم إلى الدجلة وسبحوا إلى الجانب الآخر فوجدوا الناس على الشاطىء جانحة متقدموا إلى معبر يريدون أن يدخلوا منه على أنهم يسحبوا بعض المراكب وإذا برجال توائبوا عليهم وكانوا أكثر من عشرين رجل قبضوهم قبضا بالكف وكان ذلك من عمل عقبة وتدبيره لأنه قال لابد لغلمان البطال يعملون شيئاً وربما أتوا سباحا فرتب تلك الرجال وأصاب فيما عمل وان الأمير ظالم انتظر غلمان البطال طول ليلته إلى أن أصبح الصباح فيأس منهم وأعلم أنهم أخذوا فجمع قومه وقال لهم كيف الرأى فى العبور من ذلك البحر الزاخر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فقال رجل من الملثمة أيها الأمير ما لهذه الدجلة قرار فتأخذ البقر من القرى والسواحل واذبحها كلها ونضجها وملح جلودها ثم تنفخ الجلود حتى تصير مثل القرب وتربطهم مع بعضهم بعض بالحبال وتركب أنت والجماعة عليها وقد عبرتم بهذا الحال وتجدبون خيوالكم على أيديكم ويكون معنا الرماح الطوال والسيوف الصقال فاستصوب ظالم ذلك الرأى وأمر السودان أن تمضى إلى القرى والسواحل ويأتون بالبقر (قال الراوى) ياساده يا كرام فما كان الا شىء قليل حتى أتوا بشىء كثير لايحصى له عدد فأمر أن تعرى من جلودها ففعلوا ونفخت وربطت بعضها فى بعض وركبت عليها الامراء والسادات والابطال والاقيال إلى أن وصلوا إلى جانب الدجله الآخر ونظروا أهل بغداد إلى فعالهم وفى أيديهم الحرب الرقاق مجنبين الخيل العتاق فقامت الدنيا على قدم وساق وماجت الأرض بأقطارها والدجلة من جوانبها ووقفو أهل بغداد ومن يدعى العياقة والشطارة وعساكر الامين وقد عظم الشان وظهر الكتمان وقد صبرت العرب والسودان وهم كانهم الغيلان وكان يوما عظيما مانظرت مثله العيان ولا سمعت به الاذنان إلى أن وصلوا إلى الشاطىء ورمت الرجال بعضها على بعض وتضاربوا بالسيوف طولا وعرض واختلطت العرب والعجم وعاد الوجود عدم وزجر الشجاع ودمدم وحمل ظالم ودهم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل إلى وقت العصر وقد أنكشف الرجال من الساحل وحل بهم الويل الواصل وحصل على الشاطىء أكثر من مائة ألف من الرجال إلا أن العرب أكثرها ركبت الخيول العربيات ورموها إلى البحر سباحا فانذهلت الناس مما رأوا وعاينوا وأمسى المساء ولم يبق أحد من أصحاب ظالم الا وعبر بأمواله ورجاله وعبروا الخيل والعدد ولبسوا

على أجسادهم الدروع والزرد وتقلد بكل حسام مهند وكان ذلك اليوم مثله مايوجد وبات الامير ظالم وهو يقول لابدان أدخل إلى القصر وآخذ الامين من قبته وأرمى حجارة قصره إلى البحر (وأما) الامين فانه لما رأى إلى ذلك قال هذه دولة قد آن أوان خرابها وماكان قبضنا على عبد الوهاب بصواب لأنه سببا لهلاك هذه الدولة وما كان رأى عقبه الا رأى منكوب وشورته مذمومة وإذابه دخل وقال يامولاى لاتحمل على قلبك لاغم ولا هم فان زحف عليها بأبطاله ورجاله أخرج عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب وقدمهم من فوق الاصوار التى للقصور وهول عليهم بالقتل يرجع عنك ظالم ولا يقدر يهجم ولا بدلى ماأدبر على هلاكه فى هذه الليلة قريب غير بعيد فان تم لى ما أريد فهو المراد ومسرة الفؤاد (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أن سمع الامين ذلك المقال سلا من قلبه ما كان يجده من الغم والهم والكرب وأما غلمان البطال فان عقبة لما قبض عليهم أنزلهم إلى عند سيدهم فى المطمورة ولما أن نظر إلى غلمانه أيس من الخلاص فقال أن هذه نوبة عظيمة إذا كانوا كل يوم يأتوا بأصحابنا قوم بعد قوم وسأل عبد الوهاب عن ولده ظالم فأخبروه أنه سالم فطاب قلبه وقوى عزمه وفرح بأخذ الفضل وقال والله أن الفضل أشد الناس عداوة لنا لاكان ولا استكان ولا عمرت به أوطان وأن عقبة قام من عند الأمين وقد نجح بباله حيلة يعملها ما سبقه إليها أحد من الناس وذلك أنه أدعى بمائة من العرب عرب الحجاز وضمن لهم على سرقة ظالم عشرة آلاف دينار فقالوا كيف نعمل فى حقه وهو كانه الأسد فقال أنه مايفكر فيكم لأنكم كلكم عرب ولا ينكر حاله عندكم بسبب ولا سيما إذا ستركم الليل بستوره والغياهب وإنى أقول لكم أيضا كيف تفعلون وذلك انكم تمضون إلى العسكر وتختلطون بهم فاذا علمتم أن العيون قد نامت والأصوات همدت تمضون إلى سرادقه تأخذوه إذا هجم عليه الكرى ولكم المال الذى ذكرت وإذا لم تقدروا على أخذه تذبحوه فى مرقده وإذا لم تقدروا على ذلك تقصدوا إلى آنية الماء وتوضعون فيها ذلك الدواء فقالوا ياقاضى دع عنك هذا كله نحن نضمن لك هذا كله عن يد رجل يقال له مالط السلال معروف بسل الخيل وسرقة الرجال وأخذ الأموال وهو من الرجال الموصوفين للمهمات والشدائد وحسن العمل فقال وأين الرجل أحضروه وعلى الضمان بكل مايطلب من المال وأيضا كلما ضمنته لكم لاأرجع فيه فغابوا ساعة وأتوا ومعهم الرجل وهو شيخ كانه شيطان طويل الساقين مفتول الذراعين مقلوب العينين خفيف الذراعين فلما أن رآه عقبة عرف الشجاعة فيه وإلى فراسة عقبة الانتهاء فقال له ماأسمك ياشيخ فقال اسمى مالط فأعاد عليه ماقالوا

عنه العرب فقال ياقاضى طب نفسا وقر عينا فما أنا إلا كما تريد وفوق ماتريد وأن شئت أسرق ملوك الهند وولاة السند وعدول البصرة وأجمع أموالهم فى كرة فقال ياهذاتقدر تأتينى بالمشار إليه ولك على كل ماتريد فقال سمعا وطاعة فقال عقبة خذ معك من يساعدك من هؤلاء العرب حتى يعينك على ماتفعل فقال يامولاى ماأحتاج إلى أحد أنالى من العمر ستين سنة ولا ليلة تمضى إلا وأسرق فيها أما فرس أو رجل أو حمار أو شىء أبيعه بجملة من المال وها أنا ماضى إلى ذلك الرجل الذى ذكرت فكون منتظر قدومى عليك فى نصف الليل ثم مضى الشيخ مالط السلال وما خطر كلامه على بال عقبة لأنه سمع منه شىء زائد عن الصفة وظن أنه هذيان وفشار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فما مضى من الليل إلا شطره حتى أقبل مالط إلى دار عقبة وكان عقبة نزل من القصر إلى داره وهو قلق لأجل انتظاره وقد عول عقبة على الهرب وإذا بالشيخ داخل عليه على أكتافه شىء يحمله ومن حوله أربع رجال معهم أربع سيوف مسلولة كأنها صواعق وكانوا هؤلاء الأربعة أولاده يمشون معه فى كل امر مهم وأما أسماؤهم فكان الأول اسمه ثعلب والثانى أبو البرق والثالث المخايل والرابع أبو السحاب وكل واحد منهم فى طبقة أبوه فى السرقة والمكر والخديعة وأن مالط حط الذى على أكتافه قدام عقبة وأذا به الأمير ظالم وفى فمه أكرة وهو مكتوف اليدين والرجلين فقال له كيف قدرت عليه ياشيخ وهو البطل الذى لا يرام والأسد الهمام قال الشيخ أخذته وهو غارق فى بحر الكردى نائم وأنا المعروف بوطىء رقاب الرجال فى ظلام الليل وسل كل أطواد الخيل كأنى سهيل فقال عقبة ابشر بالغناء إلى الأبد الذى لافقر بعده ولكن امضى بنا إلى الخليفة وهو معك حتى آخذ لك من الخليفة ما يغنيك فنهض عقبة ومالط أخذ ظالم على أكتافه والأربعة أولاده ودخل إلى القصر ولما وصل إلى الأمين (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان الأمين فى تلك الساعة مانام ولا دخل عينه منام من كثرة الفزع والجزع ولما أن رأى عقبة قال ماوراءك ياقاضى وهل معك فرج قال نعم يامولانا هذا المحمول ماأقول لك على اسمه حتى أوصله إلى المطمورة عند أبيه وأكتفى شره ومكره ثم سار به إلى المطمورة وأنزله فى قعرها ورجع إلى الأمين وقال يامولانا لابد للعساكر تتفرق والجيوش تتمزق هذاظالم الذى قاسا منه الرشيد فى أرض الحجاز كل أمر صعب فلما ان سمع الأمين ذلك المقال فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد لأنه كان أيقن أنه منه هالك فقال ياقاضى هذه يد بيضاء ما أقدر أكافئك عليها فسير بنا إليه فلا بد لى فى هذه الليلة من قتله لأن فى قلبى منه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى ففرح عقبة بما قاله وقام بين يديه حتى وصلوا إلى

المطمورة وإذا بأشخاص وقوف وفى أيديهم السيوف المذهبة والدبابيس المعرقة ولما نظر عقبة إلى ذلك أنكره غاية الانكار ومسح عينه الصحيحة وقال من أنتم أخبروا أمير المؤمنين فقالوا ياقاضى نحن السادات الكرام الانجاد والاخلاء الأحباب الذين نقطع منكم الرقاب نحن أبطال الاعراب هذا عبد الوهاب وهذه ذات الهمة الضاربه بالسيف القرضاب وهذا البطال قارع الباب وهذا مالك أسد الغاب وهذا فلان وهذا فلان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك سبب ياله من سبب يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب وذلك ان عقبة لما عمل على غلمان البطال وأخذهم من الشاطىء وأنزلهم فى المطمورة فقال البطال لغلامه لؤلؤ اعلم ياولدى مادخلت قط إلى سجن وأنا خالى من الحديد إلا فى تلك النوبة فهل فيكم أحد معه شىء من العدة فقال لؤلؤ طب نفسا وقر عينا مافينا أحد إلا ومعه من المبارد والمثاقب والسكك فى وسطه ففرح البطال وقال يالؤلؤ أنا أعرف ان أسنانك أحد من السكاكين أقرض كتافى فلم يزل يقرض كتافه حتى أضعفه وتمطى فى باقيه قطعة عند ذلك خلص البطال الباب الذى فى رقبته أولا وأخذ بعده من لؤلؤ مبرد وبرد القيود ولم يزل يعافر فى المطمورة إلى أن فتح الباب ومضى إلى دار جوهر فلما رآه فرح به وقال ما كان من الأمين ومن معه أو تكون خلصت وحدك وتركته فيكون ذلك سبب هلاكه فقال الكل قد خلصوا فقال فى قلبى غصه قال جوهر هذه مفاتيح الخزانة افتح وخذ من السلاح ماتختار فأتى البطال إلى خزانة السلاح وأخذ السلاح وأتى إلى الأمراء ولما ان تكامل عددهم قال عبد الوهاب ما انتظاركم لملك القصر بما فيه حتى نبلغ من عدونا المراد فقال البطال ماهذا صواب ولكن اصبروا فأنا أعرف عقبة وحاله ولا بد أن يعود الينا فى هذه الليلة ولا بد أن يدبر أمرا من الأمور ثم انه عمد إلى باب المطمورة وغلقه كما كان وصبروا الأمراء مكانهم وإذا بعقبة أتى وأنزل ظالم ولم يعلم ان الرجال خلصوا ولما ولى عنهم نظروا الأمراء إلى الذى نزل اليهم وإذا به ظالم فخلصوه مما هو فيه وسلموا عليه وسلموا له عدة وفتح البطال باب المطمورة وصعدوا فما خرجوا الجميع إلا وعقبة قدام الأمين وقد أتى يريد ان يقتلهم ومعه الحجاب ومماليك الدار ومعهم الشيخ مالط وأولاده والخليفة وأجناده ونظروهم الأعراب فرفعوا أصواتهم فى ظلام الليل وانطبقوا عليهم ووقع الصائح وعملت الصفائح وان ظالم سبق الكل وطلب عقبة ليضربه بالحسام فغدا هارب وللنجاة طالب فعطف على مالط وضربه قسمه نصفين وإلى نحو واحد من أولاده والثانى والثالث والرابع هنالك ارتفع الصياح والصراخ فثارت أهل القصر من البيوت والمقاصير واستيقظوا

النيام من الخدام والجوار والمماليك وأما الأمير عبد الوهاب فانه قبض على الأمين ونثرت بنى عامر وكلاب الرجال نثرا وأبو الهزاهز وظالم رموا فيهم الصوارم وصعدوا الرجال من فوق الأسطحة والحيطان وسبق البطال إلى باب القصر وغلقه وصمم هناك هياج الكردى واحتياطا على عقبة حتى لايسلم من تلك النوبة الصعبة وقد أضمروا على قتله (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم ان الأمير عبد الوهاب نادى وأقسم بالله العظيم الذى مايرمى سلاحه لأضربن رقبته فرمت الرجال والخدام سلاحهم لما أن أيقنوا بموتهم وملك القصر فى أقل من ساعه وان البطال أقبل على ظالم وقال ياولدى اركب وامضى إلى عسكرك من قبل ان يعلم بك أحد بأنك عدمت تتفرق الناس فاذا رأوك اطمأنوا وإذا كان عند الصباح ازحف إلى القصر ونادى المأمون يامنصور ويجيبوك عوام البلد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فخرج ظالم إلى عسكره وقومه وأما الأمير أبو محمد البطال قلب القصر وجوانبه فلم يجد لعقبة خبرولا أثر فمسك الجوار وعلقهم من أرجلهم فما أحد أنبأ عن عقبة خبر وأما عسكر ظالم هجموا البلد وهم يقولوا المأمون يامنصور وصاحوا العوام بمثل ذلك خوفا من السيف وغيظا من الأمين إذ هو فى أول ولايته فعل فى حق الأمراء تلك الفعال ودخل ظالم القصر وزالت دولة الأمين كأنها لم تكن وتقدم ظالم إلى أبيه وقال ماهذا الانتظار أرسل فى هذه الساعة إلى المأمون يأتى ويأخذ الخلافة فقالت الأميرة هنا رأى آخر قالوا وما هو الرأى فقالت لاتقتلون الأمين ولا تفعلوا فيه فعل بل ارسلوا خلف المأمون فاذا أتى إلى ههنا يتولى أمر أخيه يفعل معه مايريد والأمين بين أيديهم قائم على الأقدام وهو يبكى وقد صار فى مقام الذل والخبال وندم حيث لاينفعه الندم وقد صار فى قبضتهم جزاء بما قد فعل فى حقهم وعزم الأمير عبد الوهاب على انفاذ الكتب مع النجابة إلى المأمون وإذا بالستر اشتال وعشر سرارى من الخواص قد خرجوا من خلف الستارة وفيهم الست زبيدة بنت القاسم وهى تبكى وتنذر ولدها وتدق بيدها على صدرها وقد لبست السواد من ثياب الحزن والحداد فلما رأتها الأميرة وثبت قائمة على الأقدام كيف انها خرجت على الرجال الأجانب من خدرها وأيضا الأمير عبد الوهاب كذلك وقد نصبوا لها الجوار كرسى من الأبنوس والعاج مصفح بالذهب الوهاج فجلست عليه وقالت للأمير عبد الوهاب اعلم أيها الأمير ان المحسن يحسن لمن أساء اليه ولا يندم على ماوصل من الأذية اليه وأنت تعلم أن الأمين ماله ذنب ولا غرض وإنما حمله على ذلك النميمة والكلام وان كنت ماترعى له حرمة ولا تتولاه فارعى مابينك وبين أبيه الرشيد والا لأجل انى ماخرجت على رجل أجنبى قط الا ان كان على القاضى عقبة

لأجل أنه من أهل كتاب الله فلا تضيع حرمة ولدى الأمين واتق رب العالمين فى أمرنا وان كانت المدة انقضت فلا اعتراض على الله فيما يفعل ثم انها زاد بها الأمر نخافت على ولدها من القتل فبكت وأشارت اليه تقول

ألا يا أمير المؤمنين وليهم ✡ تفكر أيام الرشيد الموافيا
ولاتنس ماقد كان فى الدارسا كنا ✡ وأدركتهم والناس من كان راضيا
فقد كنت بين الناس أدعى عزيزة ✡ فمذ مات أضحى العز بالذل واهيا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما سمع الأمير من الست زبيدة تلك الأبيات بكى بكاء شديد ماعليه من مزيد حتى كاد أن يغشى عليه وكذلك الأميرة ذات الهمة وسائر الأمراء والأصحاب أيضا البطال الا ظالم وأبو الهزاهز وسيف الحنيفة فانهم لم تدمع لهم عينا لأنهم تذكروا ماصنع بهم من البلاء وقالوا الجميع لا بد لنا من قتله ولو كان الرشيد ماسك بيده واتفقوا فيما بينهم سرا وتحالفوا على أن يحلوابه المهالك (قال الراوى) وان الأمير لما فرغ من بكائه وثب قائما وقبل الأرض قدام الأمين وأشار الى الثرى لاثما وخاطبه بأمير المؤمنين وأقبل على الأميره وقال لها ما ترين من الرأى قالت ياولدى وما عسى أن أرى وما فى الأمر الا أنك تخرج العساكر وتمضى الى ملطية والأمين بالله على الخلافة كما أراد أبوه الرشيد ولا تدخل بين الأخين ودعهم يدبرون نفوسهم بما أرادوا فقال نعم ما رأيتى ولـكن اطلبوا عقبة أينما كان (قال الراوى) ففتشوا جميع القصر ولم يتركوا فيه مكان الا وفتشوه فلم يجدوا لعقبه أثر ولا جلية خبر (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد وظالم لم يعجبهم ذلك العمل وقالوا للامير ماهذا صوا وما كان اللامين الا لقتل جواب فقال الأمير قد أعطيته ذمامى ولا ارجع فى كلامى ولا امكن منه أحد وان تعرض له أحدا بسوء علوت رأسه بحسامى واستمر الأمر على ذلك وخرج الأمير من القصر بعد ماودع الأمين ووالدته وقبل الأرض بعد وخرجت معه أمراء العرب ومقدمين السودان وأقام فى بغداد إلى يوم الجمعة وخطب الخطيب ودعا للامين فوق المنبر وبعد ذلك مضى الأمير الى الجانب الآخر من الدجلة وعول على الرحيل وقد تشرفه الأمين وأعطاه الثغور دون عمرو بن عبيد الله فأبى عبد الوهاب ذلك وقال معاذ الله أنا ما أنسى جميل عبيد الله وما فعل فى حقى أتركه لأجل أبيه أن يكون عمرو الا أميرنا وقائد جيوشنا فأحضره الأمين وخلع عليه وعلى الباقيين من أكابر بنى سليم من الخلع الفاخرة وأصلح بينه وبين عبد وصاروا فى فرح وسرور وغبطة وحبور وقدعزموا على الرحيل واذا قدوصلت الأخبار من الثغور على أجنحة الطيور أن ملطية قد أشرفت على الأخذ من ملك الروم ميخائيل

وقد نزل عليها بألف ألف وثمانمائة ألف وان الأمير لما سمع ذلك عول على الرحيل والجد والتشمير لعله أن يلحق الثغور من قبل أن تؤخذ الا ظالم وسيف الحنيفية وقفوا وكذلك أبو الهزاهز على خلاف الأمير وقالوا هذا لا يوافقنا ولا يعمل بعملنا ونحن لا نقعد عن نصرة الذى أمدنا وهو المأمون فقال سيف الحنيفة وأنا معكم ثم انهم اتفقوا على ذلك وعند الصباح يرحل الأمير من ناحية ونحن من ناحية ولما ان كان نصف الليل أرسل ظالم يحرض أبو الهزاهز فأرسل له الجواب يقول أنا قد حلفت لاأرجع عن ماأنا عليه عازم وقد أوصيت سودانى فكن أنت على أهبة من أمرك ورحل ظالم فى الليل وعند الصباح أرسل عبد الوهاب إلى أبو الهزاهز وسيف الحنيفية يقول رأيتما مافعل ظالم كيف أنه رحل بغير علمى فقال أبو الهزاهز نعم انه رحل إلى الكوفة من أجل زوجته صباح بنت المهلب لأنها أتت من أرض الحجاز ومعهم عرب كثير وقد اقسم انه لا يدخل تحت طاعة الأمين ولابد أن ينصر المأمون وأنا وسيف الحنيفية كذلك فقال عبد الوهاب دع عنك الحماقة يا كلب العرب فقال الحماقة عند هؤلاء الكثيرين الغدر ونحن مانطيع من يجعلنا فى الحبال ولما أن وصل الأمير عبد الوهاب ذلك الجواب التفت إلى أبو محمد البطال وقال له ماأعرف رجوع ظالم الا منك فقال سمعا وطاعة وركب جواده ووصل إلى المكان وقال اسمعوا ما أشير عليكم ياقوم ارجعوا الينا ولا تغضبوا علينا فما لكم عندنا الا الحبوس والقيود فى كل حين وبالله أقسم لولا استقبح فراق عبد الوهاب لما وافقته يوما واحد بعد طول الصحبة وما كنت الا معكم وبعد ذلك لوى أبو الهزاهز عنان جواده وسار وله شخير وزفير ورجع أبو محمد الى عبد الوهاب وقال أيها الأمير أنا والله سلمت من أن يضربونى السودان بالسيوف لأنى خاطرت معهم بروحى وقلت لهم ارجعوا ففزعوا على ولولا سيف الحنيفيه لكانو قبضوا على (ياسادة) فظن الأمير أن كلامه حقا وصدقا وقال مابقى الا الرحيل إلى الديار لعل ان يلحق قبل الكفار وسار يحث الركاب (وأما) الأمين لما علم من الجواسيس ان ظالم رحل إلى ناحية أخيه قال مادام عبد الوهاب معى لاأبالى ثم أنه أرسل الكتب إلى الشام وديار بكر والحجاز والعراق وبلاد العجم والديلم وهو ينشط العساكر تأتى إليه وأيضا منتظر العساكر الذين أرسلهم لأخيه المأمون (قال الراوى) ولحق الأمير أبو الهزاهز للامير ظالم وساروا يد واحدة إلى أن وصلوا إلى الكوفة وكان وصول زوجته بنت المهلب ومعها من العرب خلق كثير انضموا إلى ظالم صار فى عشرين ألف أبو الهزاهز معه عشرة آلاف وساروا قاصدين إلى المأمون إلى أن وصلوا إلى بلاد العجم فسألوا عنه فقيل انه فى غرنه وانتصر له أهلها فجد ظالم فى سيره حتى وصل إلى غرنه

وفى ذلك اليوم كانت عساكر الأمين اشرفت على أخذ البلد وطلبوا من دغفل الأمان فقال لا أمان لكم عندى إلا أن تسلموا إلى المأمون والحسن بن طاهر وكانوا أهل البلد عولوا على ذلك وإذا قد أشرف عليهم ظالم ومن معه من الرجال إلا كارم وزاد غبارهم ونما حتى وصل إلى عنان السما فقال دغفل لرجل من أصحابه يقال له فاتك وكان فارس شديد وبطل صنديد وضم إليه مائة ألف فارس وقال له يا ابن العم أن الأمين بطأ عليه خبرنا فظن اننا عاجزين عن المأمون والحسن بن طاهر وأنا فى ذلك اليوم أتسلمهم وان هذه العساكر قد قدمت علينا وانا ما أريد منهم ناصر فليضمون من حيث أتوا فأنا قد قضيت الحاجة وان أبوا عن ذلك فاعلمنى حتى أردهم على أعقابهم وهم صاغرين فقال فاتك أيها السيد وإذا لم يرجعوا فأنا أردهم هزائم وآخذا أموالهم غنائم وسار قدام الجيش حتى وصل إلى إلى ظالم والسودان وقدامهم أبو الهزاهز ولما وصل فاتك قصد إلى ظالم وعلم أنه المقدم أشار اليه باسلام وقال أيها السادات الكرام والأمراء العظام فما ذا أتيتم ولاى أمر تعنيتم فان كنتم نجدة من عند الأمين فالأمير دغفل قد قضى الحاجة وسوف تبطل اللجاجة واشرف على أخذ المأمون والساعة يتسلم البلد فانه ما يحتاج اليكم ولا إلى نجدتكم فما استتم كلامه إلا وأبو الهزاهز صاح صيحة عظيمة دعره وقال أرجع إلى صاحبك وقل له قرب منك الأجل وخاب الأمل وبطلت الحيل وانا أبو الهزاهز مهلك كل بطل فقال فاتك وما فى نيتكم تعملون فقالوا نصطفى الخلافة للمأمون لأنه أحسن ما يكون ويملك الأرض شرقا وغربا بعدا وقربا (قال الراوى) ياسادة يا كرام قال فاتك والله يقصر باعك عن ذلك يا كلب السودان واخس العبيد ثم أنه صوب السنان إلى بين يديه وقامت فى أم رأسه مقل عينيه ولما رأى أبو الهزاهز ذلك انقلب سواده إلى بياض وصاح يا ابن العواهر سوف ترى عن ماأنت قائل وكان ظالم عارف فاتك أنه من الأبطال فقال لأبو الهزاهز خذ حذرك منه لانى قد سمعت عنه وعن دغفل صاحب عجائب وغرائب وكنت أتمنى أن التى الامـــير دغفل فى الحرب لانه من الاقيال وهو الذى يقال فيه

إذا اجتمعت أبطال نجد وغيرها — من العرب فى صداتها والزلازل
وضاقت على الإنسان فى حومة الوغا — مذاهبه فى معرك الخيل فاسأل
عن البطل الفحل الهمام الذى به — يقام سنان العز والمجد دغفـــل

(قال الراوى) ياسادة يا كرام عند ذلك تقدم أبو الهزاهز إلى فاتك وقوم السنان فتلقاه فاتك بصدر منشرح ثم حملا على بعض وارتجت من تحتهم الأرض وتطاعنا طعنا أمر من

الصبر وأحر من الجمر وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وبعد قليل وصل رمح فاتك إلى صدر أبو المزاهز فضربه بالحسام طيره وزعق عليه وطابقه وضايقه وضرب بيده إلى درعه ومزق بطنه وجذبه أقلعه من سرجه فحملت أصحابه بين يديه يريد خلاصه من يد قناصه هيهات هيهات فتلقتهم السودان كأنهم الجان أشبعوهم ضربا وطعان فولوا منهزمين وإلى دغفل طالبين عند ذلك زمجر وشخر ونخر وقال ياويلكم وكم يكونوا هؤلاء حتى أسرفاتك فقال بعضهم يكونوا ثلاثين ألف فقال فاتك أرغم أنفه من كان يقدر يخرج من بين هؤلاء العالم ولو كانوا بعدد النجوم فقالوا يا أمير دع عنك ذلك الكلام واستعد لضرب الحسام وتفليق الهام قد وصل إليك ظالم ابن الأمير عبد الوهاب الذى ملك أرض الحجاز وأذل الأبطال فى البلاد (قال الراوى) عند ذلك أقبل على من حوله من المقدمين وكان عسكرهم ثقيل لأن عسكر خراسان قد انضاف إليه حتى صار فى مائتين ألف ترك وعجم وديلم فصاح فى عساكره وأبطاله وجنوده وأقياله وانحرف إلى ظالم ومن معه من الرجال إلا كارم واما أهل البلد من أول ما رأوا إلى غيار ظالم كيف ركب دغفل إليه وفعل ما فعل وقد جردوا السيوف وبانت الحتوف واصطفت الصفوف وعلمت أهل البلد أنه وصل إلى دغفل عدو فامسكوا عن تسليم المأمون بعدما كانوا عولوا أن يسلموا إليه وكان المأمون عول أن يهرب لأنه أيس من الحياة وأيقن بالغتام وهو يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأنشد

إذا ساعدتك ليالى الدهر فى غرر ... لاتأمنن وكن منه على حذر
فالدهران سر يوما كاملا فله ... مصائب حيرت للعقل والبصر
كم من لئيم حوى سعدا وتخدمه ... أكارم الناس بين البدو والحضر
وكم كريم أصيل عارف ورع ... مخفوض مقداره بالاسر مقتدر
فنسأل الله يغنينا ويسعدنا ... يوم الحساب بطه سيد البشر

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا والمأمون يقول يامن قهر سلطانه كل سلطان يامن خضع له كل انسان يامن بيده رقاب الإنس والجان بدلنى بعد خوفى أمان بحق محمد سيد ولد عدنان (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصلت اليه العساكر وهم ينادون أمير المؤمنين المأمون ورجع دغفل فقال لقومه ومن حوله ياقوم ماأحسن الفرج من وسط الضيق والحرج وطار قلبه فرحا وقال أرجو من الله الفرح القريب (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان المأمون يحفظ القرآن بالروايات وله اتصال بالعلوم المشكلات وعلم النجوم والعربية والنحو والمنطق وما كان يوجد فى عصره مثله فى الكرم المفرط والزكاء والفهم

والمعرفه وكان ذا قدر عظيم (قال الراوى) وكان مع ذلك محبا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه مروءة ودين وكرم للسلمين ولا يأتيه قاصد ويرده خائب ولا يحقر فقير ولا يراعى غنى وانه لما علم بذلك قال للحسن بن طاهر هذا والله مالم يكن لنا فى حساب ولا قرأت هذا فى كتاب أما تعلم من هؤلاء الذين انتصروا لى من دون العباد فقال الحسن لا والله يا أمير المؤمنين فقال المأمون أن كان أحد انتصر لى صحيح مايكونوا الاسادات بنى عامر وبنى كلاب فقال الحسن ياأمير المؤمنين أن الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب كما تعلم فى المطامير التى تعرفهم وأيضا ساداتهم وغيرهم مايقدروا على شىء من ذلك ثم انه أرسل جواسيس وقال لهم خذوا خبرا لقوم القادمين الذين ردوا عنا ذلك الشيطان دغفل قال الجاسوس سمعا وطاعة وغاب إلى وقت الظهر ورجع يخبران القوم معهم سلطان السودان أبو الهزاهز وظالم ابن الأمير عبدالوهاب وقد احتكم الأمر بالبراز بين ظالم وبين أبو الهزاهز فطاب قلبه وسر فؤاده وقال لولم يكن فيهم الاظالم ومعه العرب والسودان كان فيه الكفاية والله ماقصروا عنى الذين أتوا إلى نصرتى ولا غفلوا عن معونتى ومن يكون أعلى منى محبة لبنى عامر وكلاب بما فعلوا معى وإذا لم أرعى لهم ذلك الفعل لارعانى الله (قال الراوى) ياسادة يا كرام فقال الحسن بن طاهر أن هذا الفرج الذى أتانا من وسط الشدة لابد ان يتحدث به الناس إلى قيامة الساعة ولقد فعلت السودان ومقدمهم أبو الهزاهز فعل جميل أركب أنا وغلمانى ونكون مساعدين لهم فقال المأمون ما هذا صواب يا أمير حتى ننظر النصر لمن يكون (قال الراوى) ياسادة يا كرام (وأما ما كان) من دغفل فانه لما صاح مقابل عسكر ظالم خرج على جواد ملهوب كأنه ريح الهبوب بحافر مقلوب صبور طلوب وطىء المركوب وأشار يقول

ظالم جاءك الموت من كف دغفل ... يبيد صناديد الوغا بالمهند
وتبكى عليك النائحات لأننى ... سأتركك طمعا للعقاب المسود
فدونك ماتختاره من غضنفر ... تعود ضرب الهام فى كل معهد

(قال الراوى) فلما ان سمع ظالم مقاله بعد ماشاهد اقباله قفز اليه على جواد خلوف وفى يده حسام أحسن ما يكون من السيوف ودرع يمنع عن صاحبه الحتوف وقد شخصت له الناس الوقوف وحمل بقلب ملهوف وأجابه يقول

سيعلم دغفلا أنى ظالم ... اذا مارمت أبطال كرام
وسارت أجسم الأبطال دوما ... على البطحاء من ضرب الحسام

ونار النقع من كروفـــر * وغاب الجو من كثرة القتام
وجاءت نحوك الأبطال تبغى * عيونك انها عـــين اللئام
وتندم حيث لا ينفعك ندما * من الموت المبرح فى الأنام

(قال الراوى) ياساده يا كرام ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه فتقاتلا وتناصلا وتعاركا وتماحكا وزاد بهما الوجل وعملا أوفى عمل وصارت الأعين لهما ناظرة وزاد الغبار وغابا عن الابصار وهما فى قتال وجدال وأخذ ورد وهزل وجد والحديد اذا وقع على الحديد طن وقد أقاموا فى الحرب الشديد والطعن الأكيد والأمر السديد فلله درهما من بطلان شديدان ومازالا على هذا القتال الى أن خرج منهما ضربتان واصلتان قاتلتان صائبتان كان السابق بالطعنة دغفل فحصلت فى صدر جواد ظالم مرقت تلمع من دبره وطعنة ظالم وصلت الى صدر دغفل مرقت تلمع من ظهره فوقع عن الجواد فقفز ظالم صار على ظهر جواده وحمل على من والاه فقال بعض المقدمين ايش نقول للخليفة اذا رجعنا بلا قتال ولا نزال عند ذلك حملت الأبطال على الأبطال والرجال على الرجال ولعبت الخيل بروس السادات وتمنى الجبان الممات وكلت الرماح الخطيات والسيوف المشرفات ووقع بالناس الضجر والملال وذهب المحال وما ثبتت عساكر الأمين إلا قدر ساعة من الساعات وولت الأدبار وركنت إلى الفرار وتشتتوا فى السهول والأوعار وملك الأمير ظالم أثقالهم وأموالهم وخيامهم وأرسل ظالم يستأذن فى القدوم على المأمون فجلس المأمون على سريره وأقام بين يديه الحجاب من الاتراك والحسن بن طاهر يحجبه والخدام قيام فى خدمته ودخل عليه الأمير ظالم وأبو الهزاهز ومقدمين العساكر وخاطبوه بأمير المؤمنين وفرح المأمون وقرب ظالم إليه كما كان الرشيد يعمل بأبوه الأمير عبد الوهاب وساله عن أبيه فاحكا له القصة من أولها إلى آخرها (قال الراوى) وأن الحسن بن طاهر لما جرى ذلك طمع أن يكون المأمون أمام العصر حتى يكون صاحب الرأى والتدبير فكتب الكتب إلى بلاد العجم إلى يوقاشان يعرفهم أن المأمون هو الامام ويوعدهم بالأموال وأرسل إليهم التحف وطلب الرجال والاقيال فتسارع إليه المالك والمملوك والغنى والصعلوك حتى صار عنده مائة ألف وفيهم خمسين ألف من الديلم يرون فى المأمون دون الأمين وجعلوا يأخذون الأهبة للحرب والطعن والضرب وفى قليل وصلت الأخبار إلى الأمين أن المأمون قد جمع أهل همدان وبلد ساوه وقليشان وأهل أصفهان وأعمال فارس وقد طاعوه أهل غزنه والرى وكرجان وأهل تشاوز إلى أرض بلخ وفتح باب كوسان وأطاعته سائر الأقطار فقامت عليه القيامة وأحلت به الندامة (قال الراوى)

وكان الفضل بن الربيع لما أصلح عبد الوهاب والأمين رجع إلى ماكان عليه فى خدمة الأمين جيش العساكر والجيوش وكاتب الكرج وسائر الامم وأرسل إلى الطائف وعدن وأرض الحجاز وصنعاء واليمن وأهل الشام وديار بكر ومصر إلى الصعيد الأعظم وإلى القيروان حتى تجمع عنده خمسمائة ألف غير عساكر بغداد ولما تكاملت عنده العساكر والجنود فرق عليهم العدد والزرد وأنفق عليهم مائة خزانة من الأموال وقد أتاه خمسين ألف من الاكراد ومن الأرياف والجبال حتى ضاقت بهم الأرض والوهاد وقد برز الأمين على تل عفور وأقسم لابد له أن يهلك المأمون ومن يلوذ به على أعالى الرماح وبعد ذلك طير الطيور إلى الثغور يطلب فرسان بنى عامر وكلاب والسودان الانجاب ومقدمهم الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب لما رحل من بغداد قاصد إلى ملطية وجد فى السير وإذا بصابر المرعشى لاقاه فى الطريق فسأله عن حال البلد فقال يامولاى إلحق وإلا ماتلحق لأن ملك الروم ميخائيل نزل عليها بعساكر عدد التراب وقطر السحاب وما أقول أنك تصل إلى أخذ البلد لأنه فى عزمة قرية وله من الهيبة والقوة ماهى فى الملوك الذين من قبله (قال الراوى) وكان ميخائيل فيه هذا الفعل لأنه كان جبار جسور على الأمور والاخطار عند ذلك سار الأمير وجد فى سيره حتى أشرف على البلد وقد رأى منها ثلاث بدنات وثلاث أبراج وصاحوا الرجال والنسوان والشيوخ والشبان والامير ضيغم يقاتل ويناصل من دون الباب والعيون تدمع والقلوب تخشع والرؤوس تقطع والأسنة تلمع والأرض من النجيع تكرع والنفوس من الموت تشرب كاسات جرع والرايات ترفع وسحائب الدما تهمع والحسام فى العظام يقطع وجفت الالسن من الخوف والفزع وضاق بالناس المتسع وانفطرت المرائر من الهلع وتشوشت العقول من الفزع والجزع وبلى ضيغم ومن معه بمالا يدفع وكم جهد أن يدفع أو يصنع ورق حبل الرجا وتقطع وولولت النسا خوفا من الفضيحة والشنع فكم من فؤاد قد انصدع وكم جبان طلب النجاة فلم يجد إليها مدفع وكم من شجاع خالطه الخوف والفزع وكم من جواد من الجماجم وقع وكم من حامل سقطت قبل أن تضع لما عاينت هول المطلع وصاحت الشوخ إلى المرجع (قال الراوى) فهم كذلك وعلى مثل ذلك وإذا بغبار قد بان وطلع وأظلم منه الآفاق وانقشع حتى سد الخافقين واسترجع ثم علا ذلك الغبار واتسع وبعد ساعة بان من تحته رماح تلمع وسيوف تسطع وخيول تدفع وحديد يتشعشع (قال الراوى) ولم تزل الأبطال قادمه والغبار عاتمه وظهرت سادات عامر وكلاب والسودان الانجاب وفى مقدمة القوم البحر العباب والأسد القلاب والسيف القرضاب

الامير عبد الوهاب وهو يصيح يا آل عامر يا آل كلاب ما أحسن الفرج بعد الضيق والحرج ولما علم ميخائيل بذلك الأمر تأخر عن البلد وأخذت الاسلام فيما كان وقع حتى يأمنون عاقبة ذلك العسكر ونظر ميخائيل إلى عسكر الأمير عبد الوهاب فاستقله فى عينه وأخذه الطمع ولا يعلم أن فية كل أسد صميدع وقال للملوك أعلموا أن المسيح قد أخلف بين كلمتهم وفرقهم من بعضهم وأهلك طليعتهم وموته سبب هلاك العالم وقد أتانا هذا الاسود الزنيم فى قلة وأنا أقسم بالمسيح بن مريم والبيت المقدس وإلا وقدت الصليب بالخشب فقالوا له يامالك لأى شىء هذه الايمان الصعبه قال أن قصرتم عن قتال عبدالوهاب فى تلك النوبة لاتتقمن منكم لأن هذا ذل وشنار وتسقط حرمتنا عند كل قس وشماس وعند جميع الناس إذا منعنا عبد الوهاب عن مرادنا بتلك العصابة اليسيرة فقالوا نحن إلى لقاء اشوق من العطشان إلى الماء البارد الزلال لأن مامنا أحدا الا وحسره على أخوه أو إبوه (قال الراوى) وأما الأمير والسيد الخطير لما قرب منهم لم يمهلهم دون أن نادى بكلمه الاخلاص المنجيه يوم القصاص التى يغفر بها ذنب كل مذنب وعاص وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وأيضا كبرت الأميرة والعرب وجدت الرجال فى الطاب وكادت الأرض بهم أن تنقلب وعضت الخيلى على لجمها وقطعت من شدة الحرب حزمها ورشحت جلودها ونضجت كبودها وصبرت الرجال على غمها وهشمت العظام لحمها فكم من روح قدفارقت جسمها وفرق عسكر الأمير بين تلك العساكر وعظمها وكلت الصافنات من تواتر صدمها ووقعت الرجال من ظهور الخيل وحل بالنصرانية الذل والويل وصارت الدما على الأرض كانها سيل وعاد النهار من كثرة الغبار كالليل ومالت الرجال عن السروج وكانوا كانهم يأجوج ومأجوج ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والسؤال لا يقبل ونار الحرب تشعل إلى أن مضى النهار وارتحل وأقبل الليل بظلامه ورجع كل قوم إلى مقامه لأن الليل يمنع الرجل عن مراده واضرمت النار وتحارست الفريقان ونزل عبد الوهاب فى مقابلة. ميخائيل وقال البطال أيها الأمير اعلم أن هذا عسكر ثقيل ولقد رأينا منهم فى ذلك النهار أمرا وبيل ورأيت منهم صبرما أعهده منهم الآن فقال للبطال نعم لأنهم من حمية ملكهم لأنه أشجع من أخيه منويل وكلما نظرت الكتائب إلى ملكها صبرت كصبره ومع ذلك أنهم فى عالم عظيم ولو صبروا ولم يقاتلوا وسلوا أنفسهم الينا مانفرغ منهم فى شهر ولا فى اثنين وما لهم الا الحيلة وإلا توقفنا معهم طويل ولقد قتل مناجماعة يعزوا علينا وبان فينا النقص ولم يبان لكثرتهم ولعمرى لقد قتل منهم ناس كثيرة ولا بان فيهم وأنا أريد أدخل

اليهم أنا وغلمانى وأتوصل إلى مارس وأخيه دارس وأسألهما هل هما عنده مثل ما كانوا عند أخيه من المنزلة وانظر من فقد من أهل البلد فقال عبد الوهاب نعم الرأى ولكن انظر ما بين يديك ولا تفرط فى روحك فما تدرى ما يكون فقال البطال أنا أمضى وأتوكل على الله ثم انه أخذ غلمانه وقال تفرقوا من كل ناحية إلى جهة وكل جهة واحد من جانب فكان السابق أبو محمد فوجد لؤلؤ هناك فنظروا إلى ميخائيل وهو جالس على كرسى من الأبنوس والعاج مصفح بالذهب الوهاج والملوك عنـــده يقولون ان العرب صبرت على القتال مع قتلتها ونحن أضعافهم فقال الملك يقاتلون عن بلدهم وحريمهم والاولاد فقالت الراهبة شوما يا ملك الآن من علينا المسيح بالنصر وسوف تأخذ بثار من مضى فسمع حسها أبوا محمد وإذا بها شوما فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم من خلص تلك الملعونه لاننا قد ذكرنا فى الاول أن البطال كان أخذها من القسطنطينيه قبل دخولهم إلى بحيرة الفلك وتركها فى ملطيه وكان لخلاصها سبب ياله من سبب وهو أن الأمير أبو محمد قال تركها فى أسوأ حال فى مطموره وكان قد عول على قتلها وحرقها بالنار ويكون يوم فرح وسرور إذا خرجوا من بحيرة الفلك فأتاهم من الرشيد نعى الرشيد فى كتاب وأتاهم كتاب الامين يطلبهم كما تقدم ذكره وان ميخائيل لما نزل على ملطيه وكسر ضيغم وحاصر البلد أول يوم واشرفت على الأخذ أرسل شومدرس إلى ضيغم يقول له اعلم أنى عولت على أمر لكم وأنا مالى منه مضرة وأنا الذى أحوجت إلى الخروج لأجل الراهبة لأنها بركة المسيح فى الأرض وخليفته على عباده وقد أشرفتم على أخذ الحريم وعندى رأى جيد وهو أنكم تسلمون إلى الراهبة وأنا وحق المسيح أرحل ميخائيل عنكم فى يومى هذا ووصلت الرسالة إلى ضيغم فى وجوه قومه وقال ما ترون من الرأى قالوا وما عسى أن نرى وقد أشرفنا على أخذ البلد وكل ما فيه والصواب أن تجبه إلى ذلك فلا كانت شوما ولا استكانت فأرسل ضيغم إلى الملك يعلمه بالاجابة فقال الراهب أيها الملك أنا أرسلت اليهم أطلب الراهبة وخلاصها لأنى أعلم إذا رأوا الغلبة يقتلوها وقد تخلوا الدنيا من بركاتها لانها من الصالحين ويبلغون أغراضهم بقتلها وقد أجابوا إلى ذلك فلا نقاتلهم اليوم فاذا خلصت افعل ما تريد (قال الراوى) فبطل الملك القتال وتأخرت العساكر عن البلد وتقدم شومدرس ومعه جماعة من الروم وحلف اذا خلصت الراهبة يرحل الملك من يومه فأخرج شوما بعد أن خلع عليها ولما أن صارت عندهم زحف الملك بالعسكر إلى البلد واشرف أهـــله على الهلاك والذهاب ففرج عنهم رب الأرباب بقدوم الأمير عبد الوهاب ومن معه من بنى كلاب والسودان الانجاب فهذا كان السبب فى خلاص الراهبة وأما البطال لما وصل إلى

السرادق ورأى إلى الراهب والراهبة ورأى شخص آخر فتأمله وإذا به القاضي عقبه فقال كيف تبعنه ذلك الملعون إلى هاهنا (قال الراوى) فهو كذلك وإذا بشخص خرج من الخيمة التي بجانب سرادق الملك وهو حامل شيء ثقيل على أكتافه والروم قد وقعت إلى الأرض كأنهم قتلاء مما حصل من القتال والملك يشاور الملوك فيما يفعلون ولما أن رأى البطال إلى ذلك الشخص أنكره واتبعه الى أن خرج من خيام الروم وطلب خيام المسلمين فقال البطال في نفسه ربما يكون أحد من غلماني ظفر بشيء فدنا منه وناداه من أنت فقال له من أنت قال له أنا البطال وأنت من تكون قال له لا تخاف يامولاى مرحبا بك قال من أنت ومن هذا الحمل الذي على ظهرك قال له يامولاى أنا أبو يخلف والذي على ظهرى ستى شمسه التي تنصرت من أجلها ومن محبة ملك الروم ما يفارقها في السفر ولا في الحضر ولما قدمتم أنتم قدرت على أخذها في هذه الليلة ولكن عندى بشارة وهو انى أعمل على عقبه حيلة آخذه بها وأسلمه اليكم فقال البطال اذا فعلت ذلك يكون لك عندى يد بيضاء وسار به الى أن وصـــل إلى عبد الوهاب فنظر معه الى جارية ليس لها مثيل كانها ظبية القناص أودرة الغواص فقال الأمير لأبى محمد هذه أحسن من نورى في الحسن لانى الدين فاذا أراد أبو يخلف يبيعها يأخذ من الأموال ما أراد فقال أبو يخلف لا أبيعها لأنى من أجلها دخلت في دينهم وان أغصبتمونى على أخذها صرت خائب فشفق عليه الأمير وقال له طب نفسا وقر عينا فما أحدا يتعرض لك فيها أبدا وخذ لك نفقة وكلما تحتاج اليه فقال ياأمير وحق الصديق أنا ماأريد الا بيت أكن أنا واياها فيه ولا أحدا ينظر وجهى في تلك السنة فضحك عليه وقال اذا رحل ملك الروم نجعل لك بيت في البلد وخذ ما تريد فقال وأنا الآخر أعمل عمله يرحل عنكم ذلك العسكر وذلك انى أدخل الخيمة التي كانت فيها ستى شمسه أنا ومن يتبعني فاذا دخل الملك علينا قبضناه لأنه مايأتى الا وحده من فرط محبته لها فقال البطال نعم ما أشرت ادفع الجارية عند من تريد فقال أنا أجعلها وديعة عند ستى ذات الهمة وجعل يقول لهـــا بحق الصديق والبيت العتيق لا تدعى أبو يخلف يدعى عليكى باقى عمره فقالت طب نفسا وقر عينا فما يكون الا ما تريد ثم أخذتها وسار ومعه البطال وتوصلوا الى سرادق الملك ميخائيل واذا بغلمان البطال يتلفتون اليه ولما وصلوا اليه قالوا لك البشارة فان عقبة رأيناه هنا (قال الراوى) وكان السبب في مجيء عقبة وسلامته من نوبة القصر ان زبيده رمته في فرشها التي تنام عليه وأرخت عليه ستر فلم يقدر أحدا يدخل الى ذلك المكان ولما ان خرجوا الأمراء من القصر قال عقبة أنا أريد أمضى الى دارى واخفى أمرى فقالت زبيده امضى يامسكين ولما ان خرج اخذ احد غلمانه

وجد فى السير فى طرقات يعرفها حتى وصل إلى ملك الروم قبل قدوم الأمير بايام وأخبر الملك بما جرى فى بغداد وأما أبو يخلف فانه مضى الى الخيمة الصغيرة ووقف هناك قال البطال أدخل ياأبا يخلف وغلمانه جعلوا يطوفون من حول السرادق فطال القعاد تلك الليلة وعقبة يقول اعلم يامالك انى خاطرت بروحى وقطعت الأرض حتى وصلت اليك بعد ماقاسيت شدائد ولولا أنى أعظم الناس سعادة ما كنت سلمت مما لاقيت من الفتن التى جرت بين الخليفة وأخوه وأخذ الأمراء ولكن سلموا وان هذه الغزوة أول غزواتك فلا تهمل أمرك كما قالوا العوام فى أول غزانه كسر واعصاته ومن أول طريق عدم السعادة والتوفيق فقال ميخائيل لك على أن أفعل ما تريد والمسيح عليه الاعانه ثم قال لمن عنده من جبابرة الروم كل من أتانى برأس مسلم أعطيته مائة دينار ومن أتانى برأس واحد من الأمراء أعطيته عشرة آلاف دينار وغدا أنزل أناوالملوك الى مقام الحرب ومن أتانى برأس عبد الوهاب أعطيته جميع ما طلب فقال عقبة هذه هى الملوك ولكن هنا شىء آخر وهو ان تحفظ نفسك فى هذه الليلة وكل الملوك من اللصوص خصوصا أبو محمد البطال لأنهم ما يقدرون علينا الا بالسرقة وان ذلك الرجل الذى تنصر الذى اسمه أبو يخلف فضحك الملك وقال اتظن ياشيخ أنه مجنون وما هو غافل وهاهو معى هاهنا ومالى صبر عنه وانه يعجبنى كلامه من دون الاسلام فقال عقبة على به حتى أدبر له حيلة لأنه معروف عندهم ولا ينكروا عليه إذا رأوه عندهم ولما ان سمعوا غلمان البطال الى ذلك رجعوا وسبقوا إلى سيدهم وأبو يخلف وأعلموه بالقصة قال البطال امض اليهم وافهم ما يقولون والذى تسمعه اخبرنا به فقال أبا يخلف أنا لاأفعل ذلك ولا أرجع اليهم فانى أخاف أن يدرون بضيعان ستى شمسة وهم يقولون أنى أحبها فيتهمونى بها ويأخذوها منى وكانت تخرج روحى من جسدى وان أخذوها وأيضا خواص الملك يضحكون على ويقولون أنت تحب شمسه أقول أحبها لأجل المسيح فقال البطال لابد من دخولك وربما انفتح لى أمر آخذ به عقبة فقال ياقرنان أخاف أن يعلمون بضيعان ستى شمسة فيصلبونى وتروح أنت تأخذها وتتملأ بجمالها وهذه حيلة لاتحوز على فقال البطال وحق المصطفى ما كنت أبرح من هاهنا حتى إنى أخلصك أو أموت دونك فطب نفسا وقر عينا فعند ذلك رماها أبو يخلف على أحمالها ومضى إلى سرادق الملك والغلمان قد خرجوا فى طلبه فلقوه فسلم عليهم وجعل يقلب حولته بين يدى الملك وهو يضحك عليه وكل من حواليه إلا أن عقبة أقبل على الراهب شومدرس وقال له أنا أنكرت فعل ذلك الشيطان بين الروم وما يخرج منه خير أبدا وكنت عولت أن أعمل عملا افتكرت العاقبة فقال الراهب انه يحب الملكه شمسه

وهو مقصوص الجناح لاسبيل له من عندنا على الرواح فقال له إذا كان الأمر على ما ذكرت والحال على ماوصفت فأنا الساعة أعمل حيلة على اخذ عبد الوهاب فقال له كيف تريد أن تعمل فقال أخرج أنا وحرب بن شيبان وأنت فى ألف فارس ونكون مكمنين فى بعض المواضع ويمضى أبو يخلف إلى عند عبد الوهاب ويقول له أيها الأمير إنى قد وجدت فرصه من زمانى وبها اسلم إليك الملك ميخائيل والراهب شومدرس ولا يذكر له إنى ها هنا فما كانوا يقبولوا منه ذلك من حذرهم فاذا تم له مايريد يأخذ منهم عشرة أبطال ومن جملتهم البطال ويقول أنا لشومدرس أسوقه وأوصله إليكم ويكون حرب بن شيبان بالقرب من ذلك المكان فاذا أقبلوا يأخذهم من ساعتهم قبضا بالكف ويركب الملك بعد ذلك ويدهم عسكرهم وهم على غير أهبة فينهبر من تلك الحالة وقد أفنوهم بلامحالة (قال الراوى) فلما ان سمع شومدرس ذلك الخطاب قال له لقد أشرت بالصواب وأتيت بالأمر الذى لايعاب ثم أعلموا أبا يخلف بذلك فقال لهم هذا رأى سديد وأنا أمضى اليهم وألعب بعقولهم فعندها خرج عقبة وشومدرس وحرب بن شيبان فى جماعة من متنصرة العربان وساروا حتى بقوا بين العسكرين وأبا يخلف معهم وكان البطال قد سمع جميع ما جرى من الأمر فسبق إلى عسكر الأمير وأعاد عليه القصة ففرح بذلك وصبر إلى أن وصل أبو يخلف وقال يامولاى أريد منكم ألف فارس فقال له الامير سمعا وطاعة فقال أبا يخلف وأريد أن تخلوا الخيام لأن الحال قد استقر ان ملك الروم يدهمكم بعساكره فقال له الأمير لقد أصبت الرأى ياأبا يخلف لأنهم إذا دخلوا المضارب لم يجدوا فيها أحد فاذا عادوا خارجين عطفنا عليهم ومكنا الصوارم من الجماجم ثم أن الأمير انتخب الأبطال مثل الأميرة ذات الهمة وهارون العلوى ومالك بن طوق وبشير بن الأقطع وسعيد بن الفرج وراشد بن ضمره ومن يجرى مجراهم ثم التفت الأمير إلى أخيه عبد الله وقال له أنت خليفتى على العسكر لأنى سائر إلى هذا الأمر ثم أوصاه ما يفعل فقال له سير فى دعة الله فأنا آخذ الفرسان والأبطال وما تخاف عليه من الرجال وأخلى الخيام وأبلغك المرام (قال الراوى) فعندها سار الأمير هو ومن معه فعندها أقبل أبو يخلف على الأمير وقال له من خلفت خلفك إذا حمل حرب ابن شيبان عليك فقال الأمير طب نفسا وقر عينا فما بيننا إلا من لو انفرد لحرب بن شيبان ومن معه لكان مليابهم ونحن عشرة دعنلتى أهل القسطنطونية فدع الناس لقتال الملك ميخائيل وعسكره ونحن نؤمل أن نفرغ من هؤلاء ونعود إليهم فقال له أبا يخلف وحق الصديق أنا ما أقف معكم بل أوصلكم إليهم فاذا أحملوا عليكم أطلب أنا الخلاص لنفسى فقال له الأمير أفعل ما بدالك فنحن ما نكلفك

بقتال ثم انه سار بهم إلى أن وصلوا إلى عسكر الروم هنالك مضى أبو يخلف إلى حربه ابن شيبان وهو فى ألف فارس والراهب شومدرس وعقبة عنده وهم يحرضوا حرب بن شيبان على أن يأخذ القوم على غفلة منهم إلا أن أبا يخلف لما ان أقبـــل عليهم قال له عقبة ما الذى أبطاك فقال له حتى لعبت بعقول الرجال وها أنا قد جلبت لكم عشرة ما فى المسلمين مثلهم فقال له عقبة صفهم لى فجعل يصفهم له واحد بعد واحد وعدهم بأسمائهم فقال عقبة يالها من مسرة ما أعظمها إلا أنكم لاتطلبوا معهم مطال بل مكنوا منهم السيوف الصقال ولا تبقوا منهم صغير ولا كبير فما منهم إلا كل سيد وأمير ولعل المسيح أن يكون قد نظر الينا وإلى أهل ملة النصرانية وأنا أسأله أن ينصركم على الملة الحنيفية لاسيما هذا الأسود الزنيم وأمه ذات الهمة فان ظفرتم بهم فما يقوم للمسلمين بعدهم قائمة ثم قال له وأين تركتهم فقال له ها هم تحت الفجرة فدونكم واياهم فانى قلت لهم ها أنا ماضى أسرق لكم الملك ميخائيل فقال عقبة ما أطمعهم فى المحال والطمع ويضرب أعناق الرجال فعندها صاح حرب ابن شيبان وحمل وهو يظن أن القوم على غير أهبه هنالك التقوه الابطال بوجوه وقاح وعزائم صحاح وكان البطال قد قال لغلمانه أعلموا أن مال لعقبة وشومدرس فى هذه الليلة إلا نحن فان ظفرنا بهم انكسر هذا الجيش ورحل من بين أيدينا وكنت آمر الأمير عبد الوهاب أن يرحل بنا إلى بلاد الروم ونصلب عقبة على باب الذهب كما نروم مادام أن الدنيا على هذه الصفة وما فيها خليفة معروف فقالوا افعل ما تريد فقال لهم اقصدوا بنا المكان الذى كان فيه حرب بن شيبان فما هم الا فى ذلك المكان فساروا طالبين الموضع إذ لقيهم أبو يخلف وهو ملهوف من شدة مارأى يلهث وينفخ وأذياله على أكتافه وحولته قد انقلبت فى أم رأسه فقال له البطال إلى أين فقال إلى ستى شمسه لأن كلب الروم الساعة يحمل على المضارب يظن أن العسكر فيها وتؤخذ شمسه لامحاله فاذا سلمت هى فلا أبالى بمن هلك من الطائفتين فضحك أبو محمد وقال هكذا يكون المحب لأن قلبه معلق بسوء الظن فهل عندك علم من عقبة فقال له نعم إلا أنه صعد هو وشومدرس إلى هذا التل ينتظرون مايكون من حرب ابن شيبان فعندها تركه البطال وسار وقد طار من شدة الفرح وما زال سائر إلى أن قربوا من التل وقد أخذوا حذرهم وإذا بعقبة يقول لشومدرس ايش ترى فى هذه النوبة فقال له الساعة يأخذون الامارة والملك قد حمل أما تسمع الصياح قد علا من جميع النواحى والدنيا قد انزعجت (قال الراوى) وكان الملك ميخائيل لما ان رأى حرب بن شيبان وقد حمل وسمع الصياح حمل هو أيضا طالب عسكر الأمير عبد الوهاب والسودان الأنجاب فلما ان صار فى الخيام وأراد أن يهجم عليهم وإذا بهم صاحوا عليه من كل جانب

ومكان ووقع القتال بين الطائفتين (قال الراوى) فهذا ما كان من آمر العسكر (وأما ما كان) من أمر البطال فانه لما ان أشرف على عقبة وسمعه وهو يقول لشومدرس ذلك الكلام فرح وتقرب اليهم وإذا بعقبة قد افتكر وقال ياأبا الشر الرأى عندى أن لاتقيم فى هذا المكان لأنقلبي خائف من الهوان فقال له شومدرس وما الذى حل بك من الخيال ومن أى شيء أنت فزعان فقال له وحق المسيح خوفا من أبى محمد البطال فضحك شومدرس وكشر عن أنيابه وقال له أنت بقيت شيخ خرفان فطيب قلبك فوحق الرهبان لو كان أبو محمد ذبابة على وجهى لما فزعت منه ولا طردته فلما أن سمع البطال منه ذلك المقال صاح على غلمانه خذوهم فا كبوا على القاضى عقبة أخذوه أسير وملكوا شومدرس ذليل حقير وبعد ذلك أقبل أبو محمد على عقبة وقال له كيف أنت ياقاضى فقال له بخير إذا لم أرى وجهك الذى ما أشتاق اليه قط فقال له البطال أما أنا فانى مشتاق اليك وماأصدق أن أجتمع بك ثم أقبل على الراهب شومدرس وقال له ياويلك ياقرنان أنت تقول لو كان أبو محمد ذبابة على وجهى ما باليت به ولا طردته فقال له شومدرس ويلك ياشيطان أنا ماعلمت انك هنا فلا تبقى لهم باقية وإذا بهم يسمعون ركض الخيل وقد أقلب الآفاق فقال عقبة ياراهب أنا أحس أن الأرض تتزلزل وما بقى ينفعنا إلا الدعاء والتوسل بالمسيح (قال الراوى) وكان الملك ميخائيل لما سمع الصياح وقد علا ركب فى عسكره ومال إلى ناحية الإسلام فرأى الخيام خاوية على عروشها فانكر ذلك وعاد يطلب الخروج وإذا بعسكر الإسلام وقد ظهر وصاحوا فى وجوههم (قال الراوى) وأما البطال لما كان سمع عقبة وهو يقول للراهب نحن نقيم هاهنا فقال الراهب نقيم هاهنا فزعا من البطال فقال الراهب طيب قلبك ياقاضى فلوكان البطال فى ذلك المكان ذبابة على وجهى ماطردتها وسمع أبو محمد ذلك أقلب عليهم أخذهم أسارى وقال لعقبة كيف ترى حالك ياعقبة قال بخير إذا لم أرى وجهك الذى ماأشتهى ان أراه ولا أنا مشتاق اليه فقال ان كنت ماأنت مشتاق إلى أنا مشتاق اليك وما صدقت ان أجتمع بك فقال للراهب وأنت ياشيخ تقول لو كنت ذبابة على وجهك ما طردتها فقال ياشيطان ماعلمت ان الفال موكل بالمنطق ثم ان البطال وقف مكانه ينظر مايكون (وأما الأمير) لما حمل على حرب بن شيبان والألف فارس فان الأميرة تلقتهم بالعقب اليمانى وجالت على الشجعان واشتد الكرب واختلف الطعن والضرب وتلم الصارم العضب وصار السهل صعب ولم تزل الرجال تقتل والدم ينزل والسؤال لايقبل وكان ليلا لاسيما وقد التقى الأمير عبد الوهاب بحرب ابن شيبان فعرفه بركبته والعرب من حوله فطعنه بعقب الرمح أرماه وانكبت عليه

الأميرة أخذته أسير ونظرت أصحابه إلى ذلك ولوا منهزمين وعلى أعقابهم راجعين وأما الأمير بعد حرب بن شيبان انحرف إلى من انفرد إلى ميخائيل وصاح فى سواد الليل ياويلكم أنا عبد الوهاب وأسود بنى كلاب وصاحت الأميرة أنا أم الأشبال وتبادرت الأمراء من كل جانب وبدلوا فى أيديهم القواضب (قال) وحملت الرجال على الرجال والأبطال على الأبطال واشتد القتال وزاد الزلزال وتضاربوا بالنصال فقال ملك الروم وحق المسيح هذه نوبة مدبرة ورجع إلى وراه فاندفعت تلك الأمم بعضها على بعض ووقع العنانى الكفار بسيوف الأبرار والرمح يعمل فى ظهورهم وقد حيروهم فى أمورهم وخرج ضيغم من ملطيه بمن معه من الرجال فملكوا الخيام والمضارب بما فيها واحتوى على جديدها وباليها وأصبح الصباح بنوره اللامع والدنيا من أهل الكفر بلاقع وماكانها نزل بها نازل ولاطالع للروم فيها طالع واقبل الامير عبدالوهاب الأسد الريبال وقال له ماكان من أمرك فى ساحة المجال فقال ياأبو محمد نحن كنا الليلة فى ملاقاة الرجال ومعاناة الحرب والقتال والشدائد والاهوال فأى شىء عملت أنت الليله قال أخذت عقبة وشو مدرس وتمت عليهم الحيلة ففرح بمقاله وشكره على فعاله وملكوا الاثقال وقد امتلأت من الغنائم عيون الرجال وشكروا الله الملك المتعال على ما أولاهم من النصر على أعداهم وبلوغ الآمال وأحضروا عقبه وشومدرس إلى بين يدى الامير عبد الوهاب فخاطب عقبة بأشد الخطاب وعاتبه أمر العتاب وقال له ياشيخ الضلال إلى متى هذا الامهال والله لاوفين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه أمر الناس بأخذ الاهبه بعد ثلاثة أيام للدخول إلى بلاد الروم الشام فى أثر عسكر ميخائيل لعل أن يتيسر لهم صلب عقبة صاحب الاباطيل وأرسل إلى آمد يستنجد بمن فيها من الاكراد وقال والله لقد أضربنا سير أبو الهزاهز فى هذا الوقت وكان حضوره غاية بلوغ المراد فقالت له الأميرة ياولدى سبب غيابه عن هذه الاطلال والعالم ولدك الامير ظالم لأنه أحمق وليست الحماقه من شيم الكرام فقال البطال والله إن ظالم معذور على كل حال وأما أنتم فانكم خلقتم مثل الجمال مالكم مرائر وما تبالون بما تدور به الدوائر ولا تفكرون فى قول المثل السائر من استغضب ولم يغضب فهو حمار ومن استرضى ولم يرض فهو جبار أما تنظروا ما فعل الامين معكم من الفعال فلو فعل بعضه مع غيركم من الناس لما تعرضوا بعد ذلك الى خدمة بنى العباس والامير ظالم ليس له نفس تصبر على حمل المظالم والامور العظائم وأبو الهزاهز كبرت نفسه ومل مما هو كل يوم مقبوض عليه مشتت هو وأصحابه وأقرب الناس اليه من أبناء جنسه ومن

أجل ذلك زادت بهم الغبون ومضوا ينصرون المأمون ولعمرى إن عادت الدوله للمأمون ليراها لهم من أكبر مايكون ويراعيهم فى جميع الحركات والشؤون ويواليهم القلاع والحصون ويجازيهم على هذا الاحسان باحسان ويكون عنده فى أعز مكان حتى يدرج فى الاكفان فتعجب الامير عبد الوهاب من كلام البطال وقد علم من كلامه أن له غرض أن يكون من حزب المأمون بينما هم كذلك فى السؤال اوالجواب إذ جاءت الوفود من سائر الجنبات إلى الامير عبدالوهاب من أرض السويدا وسجستان والرقه وحران وجبال الاكراد والتركمان فساروا فى عالم عظيم ورحل إلى البلسين وهو فى مائة ألف بطل ثم أن البطال ألبس لعقبه فروه مقلوبه وعمل على رأسه طرطوروكل به عشرة من الفرسان من كل بطل مخبور وأركبه على جمل عجول والسودان من حواليه على سوابق الخيول وهو كلما أراد أن يتكلم أخذوه بأسنة الرماح وهو فى أسوأ حال وأشد بال وافتضاح وشومدرس قباله على جمل آخر وقد جمعت فيه هذه المعانى والسودان يفعلون به كذلك ويسلكون به تلك المسالك وقد أيقن كل واحد منهما أنه هالك وشرب المهالك (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد أخذ على طريق حصن الكوكب من أجل الخشبة التى عليها يصلب عقبة ولما أصبح الصباح ساروا يقطعون الأرض والآكام والسبسب سيراً وجنب حتى وصلوا إلى حصن الكوكب ونزل اليهم الامير نافع وسلموا على بعضهم البعض فى تلك المواضع واستراح الخاص والعام فى ذلك المقام مدة سبعة أيام وفى اليوم الثامن أمر الناس باخراج تلك الخشبه وكان لها شعبتان منتصبه فأمر البطال للسودان أن يرفعوها وبطبولهم وبوقاتهم يزفوها وان يرقصوا من حواليها وان يقلبوا الدنيا بصياحهم وركضوهم وضجيجهم هذا وان عقبة لما نظر إلى هذه الخشبه وقعت فى قلبه نكبة وأى نكبة فقال له شومدرس ما حالك أيها الشيخ النجيح وحجة المسيح أما تنده الحواريون حتى انهم يخطفوك ومن بينهم يخلصوك هذا كله وشومدرس خائف على نفسه أن يكون له معه نصيب وقال أرجوان لايصلبون الا من قال لهم نبهم عليه وأشار بذلك اليه لاننى لما قطعوها من بين الاشجار ما كنت خرجت إلى هذه الديار ولا كان وقع بينى وبينهم عداوه ولا عدوان فقال له عقبة دع عنك هذا الهزيان فوحق المسيح أول ماتقع فى رأسك الحرارة وأول مايخمدوا انفاسك وان أرادوا أن لايفعلوا ذلك أقول لهم أنه أشر منى عليكم عند جميع الملوك والممالك مع انهم عرفوا فعائلك معهم فى الحصون وغيرها ولا أخليك تعيش بعدى فى هذه السنة وتأكل خيرها فقال شومدرس أنا ما أقول للقوم انى مسلم وأكون قاضى من قضاتهم ومدرس

وأقرضهم بنفاق قرض وأنسى القدوم على الله فى نهار العرض واقتنى وآثار معاداتهم فى جميع أقطار الارض وأما أنا لخالى عندهم معلوم وشرحه مفهـوم وقد علموا أننى راهب الروم وأما هذه الشجرة فما قطعت إلا على اسمك ولا يطلب عليها إلا جسمك فغضب عقبة وحار ذهنة وضرب شومدرس ونتف دقنه ومسك شومدرس دقن عقبة وضربه وجعلا يتلاكمان حتى كاد أن يطير أحدهما رأس صاحبه وما زالا كذلك حتى برز الدم من أنفهما هذا والأمراء من بنى كلاب والسودان الانجاب يتضاحكون عليهما وسار منهم ساعة وأعلموا البطال بما جرى بين شومدرس وعقبة من الشتم والضرب واللكم والنكبة فسار إليهم وافرق بينهم وعاد إلى الأمير عبد الوهاب وقال له إذا وصلنا إلى القسطنطينية فيكون على هذه الخشبة صلب الاثنين فقال ماهذا صواب لأن هذا مما يشتفى به عقبة من شومدرس فى وقته وساعته ونحن ماقصدنا إلا تفطير مرارته ثم انهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين وجعلوا يقطعون الأراضى والرسوم وهم داخلين إلى بلاد الروم هذا وقد وصلت الجواسيس إلى ميخائيل بخبر ذلك الأمير الوبيل وأن المسلمين ركبوا تلك الركبه معمولين على صلب عقبة فقال ميخائيل يالها من كربه وأى كربه ونوبه أتت بالنحوس وأمور تجز فيها الرؤس عندها أقبل عليه ارمانوس ابن أخت الملك منويل وله حديث عجيب وأمر مطرب غريب يأتى ذكره فى أماكنه فلما سمع كلام الملك ميخائيل وما فيه من القال والقيل فقال له ياملك هذا أمر مايجب فيه التراخى للخصوص والعموم فاكتب الآن الكتب وسيرها على أجنحة الطيور إلى سائر أقاليم الروم وتكون الكتب جميع مافيها من التسطير بخط البترك الكبير وتعلم بعلامتك عليها وتستحث الروم على القدوم فيها عند ذلك كتب الكتب وسيرها إلى البلاد فأقبلت الروم من سائر الجهات وقد ملؤا البرارى والفلوات فما وصل الأمير عبد الوهاب إلى برج الديباج إلا وقد ملئت أرض القسطنطينية من الأروام والاعلاج هذا وقد أشرف الأمير عبد الوهاب ورأى جيوش كانها البحر العباب فتعجب غاية الاعجاب وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله الله أكبر فما تظن ياأخى ياأبو محمد أن يجتمع للنصرانية مثل هذا العسكر ثم أن الأمير عبد الوهاب بعد ذلك الخطاب كشف رأسه وحمل وحملت عساكره وفعلوا مثل مافعل وحملت عساكر الكفار وعمل الصارم البتار وقل الأنصار وعلا عليهما الغبار ومالت الطوائف بعضها على بعض وارتجت جنبات الأرض فيالها من ساعة طارت فيها الرؤس ودارت طاحون الحرب والضروس وشربوا من الموت أمر كؤوس وتساوى الشجاع والجبان وعمل الصارم اليمان ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب

تشعل وحمى الوجل هذا وعقبة ينادى من على ظهر الجمل وأذل شريعة الصليب من بعدى واحسرة ملوك النصرانية إذا حان فقدى وهو تارة ينادى بالافرنجيه ويحرض الاقوام وتارة يندب ويصيخ وتارة يقول ياللمسيح وكل من يسمع من الروم هذا الكلام يرمى نفسه على الموت ولم يحسب حساب الفوت ولم يزل القتال يعمل بينهم على هذه الحالة أربعة عشر يوما بلياليها وديار الروم تخرب من أهاليها حتى قتل من الروم خلائق مثل عدد النجوم وقتل من عسكر المسلمين عالم عظيم فى ذلك الخطب الجسيم فلما كان اليوم الخامس عشر وقد احتد الأمير عبد الوهاب وخرج عن الحد فهجم على الملك ميخائيل هجمة العدم والموت والندم وهو تحت الاعلام وقد أرمى بسيفه الفصال جماعة من كبار الأروام إلى أن وصل إليه وحمل بكليته عليه وهاجمه مهاجمة الأسود وطعنه طعنة واصلة إليه فلولا ما كان عليه من الزرد لكان قضى عليه لكنه أوثقه بالجراح وأرماه على وجه البطاح وقد حملت الأميرة على الملك الاندرياس وطعنته فى صدره بقوة باس وصعوبة مراس أطلعت سنانها من ظهره ذراعين بالقياس وطعن راشد بن ضمرة ملك اليونان قتله وطعن مالك بن طوق ملك الأرمن جندله وكانت ساعة يالها من ساعة بانت فيها أصحاب الشجاعة والقوة والبراعة وتنكست جميع الصلبان وهرب ميخائيل فى واسع القيعان ودارت عن الروم الدوائر وانفقعت منهم المرائر وصار شجاعهم حائر وجبانهم باكى النواظر وجمعهم مفلول وصنديدهم مغلول وحاميتهم مقتول على وجه الأرض مجدول فلما نظر عقبة إلى عسكر الروم وكثرته وقلته بعد كثرته فاضت عبرته وانفطرت مرارته هذا وقد تقدمت أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب يقدمهم فارسهم الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة والأمير أبو محمد البطال وزحفوا الجميع إلى باب البلد والعرب معهم السلالم ونصبوا الخشبة ونظر عقبة فصار يستغيث بالمسيح فجاوبته الروم من كل جانب ومكان وارموا أنفسهم على الناس حتى كشفوهم عن الباب هكذا عشر مرات وامسى المسا واندقت الروم وغلقت باب الذهب وطلعت الناس على الاصوار وقد استعدوا بالحجارة الكبار والصغار وبات الامير فى تلك الليلة فرحا مسرورا ولما ان أصبح الصباح أمر الناس بالركوب وطلب الأمير عبد الوهاب القاضى عقبة فما وجده ولا رآه وسأل عنه ما أحدا أعطاه عنه خبر ولا جلية أثر ولا شومدرس ولا حرب بن شيبان فصعب على الأمير وكبر لديه وطلب الموكلين بهم وكانوا عشرين وسألهم عنهم فقالوا كأنه سحرنا لأننا لاعلمنا بهم لما عدموا من بيننا فصعب ذلك على الأمراء وكبر لديهم (قال الراوى) وكان السبب فى خلاصهم أن حرب بن شيبان لما عدم من قومه وأصحابه قال

بعضهم ياقوم إن قعدتم عن حرب فهو هالك لامحاله لأن البطال فى قلبه منه أمر عظيم وان لم يصلبوه مع عقبة قتلوه لامحالة فقالوا مالنا قدره على الوصول إليه ولا قدوم عليه وأنتم ترون إلى عسكر ميخائيل وقد انهزمت ولاله قدره أن يدفع عنه ولا عن الشيخ النجيح فقام من بين الجماعة رجل كانه طود أو بعير حل من قيوده قال ياقوم ايش يكون عندكم ان خلصته مما هو فيه قالوا له خذ ماشئت من المال والنوال فاتفق الامر على خمسة آلاف دينار وكان ذلك الرجل يقال له أبو الزيبق وهو من أقارب حرب بن شيبان إلا أنه قليل المال زرى الحال سلال الخيل هجوم على الامور الثقال فى ظلال الليل ولما ان سمع مقالهم قال ما قولكم فيمن يخلص لكم الثلاثة فقالوا ما يقدر على تلك الأفعال إلا كل شجاع فأخذ بيدهم على المال ومضى كما ذكرنا حتى وصل إلى عسكر الأمير وجعل يتحدث بين العرب بكل لسان وينتقل من مكان إلى مكان حتى وصل إلى السودان الموكلين ودخل عليهم وجعل يقول لعقبة ياشيخ كم تكذب على الأديان فلابد من صلبك كما وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والسودان يسمعون كلامه ولا أحد يشك فيه لأنه رجل بدوى فما أنكروه ولا ارتابوا منه فقام أبو الزيبق وتقدم إلى حرب بن شيبان ورفصه فى صدره ألقاه على ظهره ودنا من عقبة وفعل به كذلك وجعل يحدث بمساويه وفعله الذميم وأنه شيطان رجيم ولم يزل كذلك حتى ثقل على السودان النوم وهو يتثاوب فى وجوههم حتى لعب الكرى بعيونهم وبرد الهوى فناموا الكل جل من لا ينام فعند ذلك سبح أبو الزيبق وهو نائم على وجهه حتى وصل إلى حرب وقطع كتافه وفك قيده وقال له انج بنفسك واطلب النجاة وأتى لعقبة وقطع كتافه وشاله على أكتافه ووضعه من خارج العسكر ورجع إلى الراهب وفعل به كذلك ووصلوا إلى ما منهم وان عقبة ضمن لأبو الزيبق الغنى وكذلك حرب بن شيبان وأوعدهم بسرقة البطال (قال الراوى) ونرجع إلى ما كنا فيه من حديث عبد الوهاب وما جرى له من الهم والاكتئاب فهو كذلك إذ وصل إليه نجاب ومعه كتاب ففتحه وقرأه وإذا به من عند الأمين بالله فتغير لونه واضطرب كونه فقالوا له أصحابه ما الخبر وما فى هذا الكتاب الذى غير حالك وزاد من أجله بلبالك فقال ياقوم هذا من عند الأمين يذكر فيه الحسن بن طاهر مضى بالمأمون إلى النهروان ولحقه عساكر وان سيف الحنيفية وظالم ومعهم قوم عرب فرجوا عن المأمون والكرب وقتلوا المقدم الذى كان على عسكر الأمين ووصلت السالمين إلى بغداد وأن أمير المؤمنين جمع عساكر وأجناد عدد التراب وتوجه الأمين إليه وان زبيده فى بغداد وقد رتبت أربع مائة مقرىء يقرؤن ويدعون للأمين وقد انتصروا له الاكراد حتى صاروا على أبواب بغداد بثلثمائة ألف غير عسكر الأمين

وسارت الكتائب إلى حرب المأمون وأرسل يعلمنى بما فعل ظالم وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية وهو يقول إنك حلفت بنبيك الكريم إنك لاتنافق وبعد رحيلك أرسلت ولدك وعبيدك ومعهم نصف عسكرك يعاونون المأمون على قتالى وإن لم ترسل إلى ولدك وترده عن ما هو عازم عليه وإلا أرسلت الكتب إلى سائر الأرض أن الرشيد بايع لى بالخلافة من بعد موته تم توليت الخلافة برضا العالم وأنت الذى أخرجت أخى أن يطمع ولولاك ماقوى عزمه على ذلك ولو كان فعل مافعل فكيف يكون عندك من الرأى فقالت الأميرة ياولدى دع عنك ذلك الكلام واكتب للنجابه كتاب إلى ولدك تأمره أن يخرج يده من تلك النوبة لأنه عار إلى الأبد وربما تنقص منزلتنا عند بنى العباس لأن القوم بعد ذلك يصطلحوا ويصبح ظالم هالك ولا يكون لنا بعد ذلك عند الأمين مقام ولما ان سمع الأمير ذلك المقال علم أنه كله صواب فكتب كتاب يقول فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا الكتاب من الوالد الحنون إلى ظالم أما بعد اعلم ياولدى أن الرشيد أوصى بالخلافة لولده الأمين فلا تتعرض أنت له بوجه من الوجوه ولا تسمع من أبو الهزاهز فانه قليل العقل جاهل لأن السودان مالهم خبره بتصاريف الزمان وأعطى الكتاب للنجاب وقال له سير قدامى وطيب قلب الأمين وأنا سائر خلف كتابى وسوف أفعل مافيه الصواب فعاد النجاب بالكتاب وأما عبد الوهاب أقبل على وجوه قومه من الاعراب وقال ياقوم الذى جئنا من أجله نصلبه فقد هرب وما لنا إلا نرجع إلى الديار ننظر مايكون تلك من الاخبار فقالوا هذا هو الصواب ورحلوا ثانى يوم حتى وصلوا الى حصن يانس المتعزب ورد الخشبة مكانها وقال لكل أجل كتاب ولكل عمل حساب (وأما عقبة) لما خلصه أبو الزيبق قال ياولدى امضى إلى القسطنطينية وحق المسيح لاضيعت تعبك ودخل على الملك وهناه برحيل الإسلام فبجله الملك وأكرمه فقال ياملك ماكان سبب سلامتى إلا ذلك الرجل فأعطاه أموال وجوار وأقطاع فقال أبو الزيبق ياملك لابد لى من هذا الشيطان البطال فقال عقبة قواك المسيح ولكن ياملك لابد لى ان أمضى إلى بلاد الإسلام لأنى تركت الدنيا قائمة وأنا ما أريد دما الإسلام الا مسفوحة وأجسادهم مطروحه وحريمهم مهتكة وقدعولت على السير وآخذ معى أبو الزيبق الذى أوصل إلى قلبى كل مسرة وخلف عند الأعداء المضرة فقال ميخائيل وحق المسيح يشق علينا فراقك عند ذلك جهز نفسه القاضى عقبة وأخذ معه أبو الزيبق وكان اسمه مخارق وأخذ جماعة من العرب المتنصرة وسار فى طرقات يعرفها حتى خرج من بلاد الروم وقطع خلفه بلاد الكرج والأرض إلى جبال موسى واخراط وقصد إلى حران إلى الجزيرة إلى الموصل الى تكريت إلى بغداد

وقال لمن معه من العرب اقصدوا إلى عسكر الأمين وأقيموا عند العرب إلى حين أحتاج اليكم وأطلبكم ثم انه ترك مخارق فى بغداد ودخل على زبيدة بغير استئذان فنهضت له قائمة وبكت فى وجهه وقالت ياقاضى عند الضيق يتخلى المحب والصديق عند مااحتجنالرأيك وتدبيرك تمضى وتتركنا فقال لها بعد ان قبل يديها ياسيدتى لاتسألى عن حالى وما جرى إلى لأنى كنت فى بعض المساجد المهجورة أصلى وأعود لأمير المؤمنين بالنصر والظفر على من طغى وفجر فعلم بى أبو محمد البطال فدبر على وأخذنى وسلمنى الى عبد الوهاب وبعد ذلك دخلوا بى إلى بلاد الروم وحملوا خشبة حتى يصلبونى عليها على باب البلد وقال لهم ملك الروم اتركوه فأبوا وقاتلهم عنى حمية وقالوا نحن ماتحمل دم هذا الرجل عندنا فيكون ذلك عار وشنار فسخر الله لى رجل من العرب فسرقنى وقد أوعدته بكل خير وقد أتيت به إلى تلك البلادحتى يبلغ من مولانا المراد فأخبرينى ماجرى من بعدى وأين أمير المؤمنين وأين المأمون وهل تقابلت العسكرين أم لا فقالت ياقاضى على بذلك الرجل الذى ذكرته حتى أحدثك بما جرى من بعدك وأطلب من ذلك الرجل حاجة فان قضاها فأنا أعطيه مناه وفوق رضاه فقال عقبة سمعا وطاعة ثم خرج من عندها غاب قدر ساعة وعاد ومعه أبو الزيبق ووقف خلف الستارة وقال هاهو يامولاتى قولى له ما مرادك وما تكون حاجتك فقالت له ان الحسن بن طاهر قد سار مع المأمون ومعه ثلثمائة ألف فارس سوى الأكراد وانضاف اليهم أهل الأرض وولدى مضى اليه فقال لها أين القوم اليوم قالت ما زالت الكتائب تمضى بينهم بالمصالحة والمأمون يأبى ولا يطأ بساط ولدى ويقول دعه يعطينى خراسان ومهما أراد من البلدان وباقى الأرض له وإذا طلب منى عساكر خدمته وولدى يأبى ذلك وقد سار اليه ونزلت العساكر قصاد العساكر وما منعهم عن بعضهم إلا شهر رمضان وفى هلال شوال يتحاربون ويعطى الله النصر لمن يشاء فلا تنسانا ياقاضى من دعاك المبارك وان عزمت على الرحيل فما يستغنى ولدى عن رأيك ومشورتك وتأخذ ذلك معك لعله أن يسرق المأمون والحسن بن طاهر وظالم مقدم ذلك العسكر فاذا عدم تتقلل الجيوش والعساكر وهو الذى كان فى زمن الرشيد خارجيا وفى زمن ولدى منافقا (قال الراوى) فقال هذه المسائل كلها ببركاتكم تقضى عند ذلك خرج عقبة من عند زبيدة ومعه أبو الزيبق وهما الاثنين نجسين وقد سيرت زبيدة معهما رجال يوصلاهما إلى الأمين ولما وصل عقبه إلى الأمين فرح به فرحا شديدا وقال ياقاضى أنا فى شغل وأنت فى شغل فقال عقبة يامولانا تشتغل أعداءك مثل شغلى ونصيبهم ما أصابنى فى

هذه السفرة لأنى محمول على جمل أعوى كحالة الكلاب وما كان سببها إلا عبد الوهاب حتى انه يصلبنى على باب الذهب وأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها فقال الأمين أقسم بالله قسما صادقا ان كتيب عبد الوهاب وصلت إلى مع النجابة ويقول انه سائر إلى ولده ومن معه وهو يعتذر لى فى المقال وان مامعه مما جرى خبر فقال عقبه يامولانا وحق أياديك الجميلة ان كل ماجرى من الأفعال الصعاب كان سببها عبد الوهاب وهو الذى يحسن لهم الأقوال (قال الراوى) ثم أخبره بقصة أبو الزيبق فقال على به فقال سمعا وطاعة وبعد قليل حضر بين يدى الأمين فأحضر قدامه أربعين كيسا ملآنه ذهب أحمر وقال وحق اتصال من حمزة وعقيل لئن أخذت لى المأمون أعطيك هذا الأربعين كيس وان أخذت لى أحد الثلاث إما ظالم أو أبو الهزاهز أو الحسن بن طاهر لك عشرة آلاف فقال أبو الزيبق وقد لعب المال بعقله وحياة عينيك يا أمير المؤمنين ما يمضى عليهم أكثر من هذه الليلة وغدا أجمع الجميع عندك فى الخيمه وأقام أبو الزيبق عند الأمين بقية يومه وقصد الى سرادق المأمون فكان المأمون جالس على سريره وعن يمينه ظالم وعن يساره أبو الهزاهز والحسن بن طاهر يحجبه وهم قيام فى خدمته وله هيبة لم تكن لاحد من الخلق وعنده الفقهاء وأهل الدين والقراء وأهل النحو واللغة والشعراء وكل ذى عقل وأدب وهو يتحدث مع كل أحد فى علمه وفنه وما يليق به وهم يعوذوه بالله العظيم من الشيطان الرجيم وقد عظم فى عينهم أكثر من الرشيد لأنه كان فاضلا عالمـــا واعظا عارفا فى كل فن من الفنون (قال الراوى) ولما وصل أبو الزيبق الى السرادق نظر الى كل شاعر مجيد يمدح المأمون بكل نوع بقصيد وهو يعطى ويهب ويفرق الفضة والذهب فتقدم أبو الزيبق ودخل مع الناس إلى محل الشعراء من العرب وكان ذى أدب فرمقوه الناس بالاحداق ولما تقدم تطاولت اليه الاعناق ولما أتى قدام المأمون أشار بيده وقال هذه الأبيات

جمع العــلم والبها والمعانى ۞ وكذا الجود والندا فى مكان
ورأيت المـــأمون سلمه الله ۞ على غاية من البرهان
كامل الوصف والمعانى جميعا ۞ عالما ذاكرار رفيع الشان
ماله فى محاسن العقل والقو ۞ ل من العالمين فى الخلق ثانى
طلعت غرة الخـــلافة لما ۞ قام فى حقها بلا كتمان
وعلى ساميا على الخلق يعلو ۞ بالمعانى والجود والعرفان
قد أتيت عسكر الكرام وفيهم ۞ كل ذى نعمة بلا نقصان

فهم السادة المصابيح حقا ☼ وأعيان الأبطال والأقران
ولقد زاد رفعة وعلوا ☼ يفنى فائقا على الفتيان
يا أميرا غضنفرا قسوريا ☼ قاهر الأبطال فى الميدان
من رجال الحروب ليثا هصورا ☼ ساميا صائلا على الشجعان
مثل ظالم يكون فى يوم حرب ☼ وهياج فى ساحة الصحصحان
ان هذا المأمون أعلى عباد الله قدرا علا على كيوان
وبهذا رأيت ظالم قد صار ☼ خادما حازما مدا الأزمان
سوف يردى الأبطال فى يوم حرب ☼ بحدود الصفاح ثم اليمانى
وتراهم من سيفه فى حساس ☼ وتراهم صرعى على النهروان
وبسيف الأمير ذو الفخر والمجـ ☼ ـد فهو أمير السودان والحبشان
هو أبو الحرب والهزاهز والنقـ ☼ ـع مع الضرب فى الوفا والطعان
ويعيش سالما عزيزا وملكا ☼ وافر حظه مع السلطان
وأنا الشاعر الغريب المعانى ☼ والعراقى ومعدن الاحسان
ليس عندى الا الوداد لمن كان ☼ كريم الاحسان سمح البنان

(قال الراوى) ياسادة ولما سمع المأمون ذلك الشعر طرب فرحا واهتز على سريره مرحا وأمر له بخلعة سنيه والف دينار خليفيه وقال له طيب الله أنفاسك ياشاعر وأمر أن ينصب له خيمة بالقرب منه ونقل اليه كلما يحتاج اليه من فرح وطرح وأوانى وستور ووسائد وأمر له الأمير ظالم بألف دينار لما عرض بذكره مع المأمون وخلعة سنية وفعل أبو الهزاهز مثاله وخلعت عليه الأكراد لما عرض بذكرها وصار غنيا بعد ماكان فقيرا وصار أبو الزيبق عند القوم فى أعلا مقام ووصلت كتب الأمير عبد الوهاب وقرئت الكتب ان ظالم لا يدخل بينهم ولا يتعرض لقتال ولا حرب ولا نزال وان هؤلاء أخوين يفعلون مع بعضهم ما يشاؤون فمديديه الأمير ظالم الى الكتاب أخذه من يد القارىء ومزقه والتفت إلى النجاب وقال له ويلك وأين أسود بنى كلاب وذمة العرب مارأيت أصبر منه على الذل والهوان فقال النجاب أنه وصل إلى الموصل معول أن يأتى إلى الأمين ويكون له عدة عند كل شدة ومعين لأنه وصلت اليه من بغداد عدة كتب يستنجدوا به وانه لما وصل إلى الموصل قال له الأمير أبو محمد على ماذا عولت أيها الأمير أن تفعل فقال له أقصد الى الأمين فقال البطال ان فعلت ذلك يكون آخر صحبتى معك لأنك تعلم ماجرى علينا منه وأنا أعرف انك ماتملك نفسك عند الغضب وتأخذك الحمية وتقاتل ولدك ظالم

وتكون له مصادم وربما يجرى بينك وبين ولدك أمر من الأمور فقال عبد الوهاب يا أبو محمد ان أحسن الناس من وفى بالعهود وأنت وقع فى قلبك خيفة مما جرى علينا فى الحبوس فقال أبو محمد نعم نحن كل يوم مع الامين وزبيدة فى الهوان والاحزان وأنت سائرفى تلك النوبة إلى الموت والعدم لأن ظالم بطل وأى بطل وأيضا نفسى تحدثنى أن دولة الامين لا تدوم وتحتاج أن تلتقى ظالم وربما أن ينصر عليك فى الحرب فيكون ذلك عار والصواب أن ترجع الى ملطية وقل أنا ما أدخل بينهم لأنهم أخوين وتأمن من عتب الامين والمأمون فلما سمع عبد الوهاب ذلك غضب وقال يا بطال انك مهين لأنك صغير القدر فقال البطال اعلم أن الخلافة الآن صارت لامرأة وصبى وعقبة عندهم يأمر وينهى علينا وأنت تصير على الذل والمهانة فغضب عبد الوهاب وقال ومتى صار عقبة يأمر على وينهى فقال البطال على الضمان انك مصفوع مادمت على ذلك اليقين وأنا ربما أهرب وآتيك فى وقت الشدائد واخلصك وأنا والله ضجرت من هذا كله وأنا مرادى أمضى إلى عند المأمون وأكون مع ولدك وافعل انت بروحك ماتريد وأن أتيت الينا وقاتلتنا مع الأمين لابد أن أجعلها عليك أيشم السنين (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الامير أبو محمد رجل كياد ويعلم أن الخلافه إن صفت للامين كان ذلك سببا لهلاكهم بما يكون من عقبة وزبيدة وان الأمير عبد الوهاب لما سمع من البطال ذلك المقال رقصت شعرات شواربه وقام على حيله ورفصه برجله فى صدره كاد أن يقضى عليه وقال ويلك أن الامين والمأمون ما فيهم من يقدر يخاطبنى بذلك الخطاب وما قدرك حتى تقول ذلك المقال ومسك قوائم الحسام حتى أتت الأميرة ذات الهمة وردت ولدها وقالت للبطال ما أنت الا قد نظرت لروحك أمر عظيم وأنا ما أرضى لك ذلك ويكفاك ماجرى منك فى نوبة نورى وخرج منك على عبد الوهاب الذى تعهده وكنت أناعونا لك والآن تأمره أن ينافق على الامين ويكون ناقضا للعهد والميثاق وان صفت الايام للامين كيف يكون منزلته عنده وأيضا لما تسمع العرب بقبيح من قولك إذا لم ترجع فعلت وصنعت ولا يجرى ماجرى علينا من الاعداء وان كان ولدى فأنا أصبر منه فى الحرب ومقام الطعن والضرب وأما قولك تأخذه وهو نائم فهذه صنعة البهائم لا صنعة الرجال الاكارم ومابينى وبينك بعد ذلك الا تعليق الجماجم ولا بد لنا من السير إلى الامين وان كنت انت رجل افعل ما تراه وانظر مايجرى عليك وفى وقتها الاميرة أرسلت إلى سائر الجهات تطلب الرجال وقد نوت الارتحال (قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما سمع الامير ظالم من النجاب قال ياويلكم أما سمع فى طى الكتاب من ذلك المقال فقال النجاب يامولاى الكتاب كتب إليك قبل ذلك الكائن وفى ذلك اليوم أو

غد يكون أبوك دخل بغداد ومعه فرسان شداد وما يهل شهر العيد إلا وهو قبالكم وأن البطال هو الذى حثنى على السير وأوصانى أن أقص عليك هذه القصة فقال ظالم والبطال مع عبد الوهاب أو فى ملطية مقيم فقال النجاب لا ولكن أخذ غلمانه وترك خيامه ومضاربه فى عسكر عبد الوهاب ولا شك فزع من ذات الهمة وعبد الوهاب أن يحقدوا عليه ولما سمع ظالم ذلك الأمر دخل على المأمون وأعاد عليه تلك القصة فاصفر لونه وبعد أن كان أسمر صار أبيض وسكت غيظا على عبد الوهاب واضمر فى نفسه إذا ملك الخلافة يجعل ظالم مكان أبيه وعول على أذى الأمير والأميرة وقال معلوم انهما ماضيا مع الأمين إلا وهما يريدان قتلى التفت إلى ظالم وقال ياأخى أنا والله حرت فى أمرى وأنت وأبو الهزاهز كل واحد منكما سيفى وترسى الذى اشتد به فى الشدائد وهذا عبد الوهاب قد قصدنى بأبطال عامر وبنى كلاب وأنكم تعرفوه ولا تنكروه فاعلمونى ما يكون منكم حتى آخذ لروحى فى الهرب من اليوم وأكون فى بعض المواضع أعبد الله إلى أن يأتينى اليقين ثم أنه بكى من شدة الغبينة والقهر وحذر من الفتن وقال والله انى ماأريد هذا إلا لإقامة الحدود حتى لا يكون تدبير العامة مع صبى يقضى على الناس بغير الشرع فلما أن سمع الأمير ظالم ذلك قال ياأمير المؤمنين ايش ذلك المقال وحق من خاطب موسى فسمع وتجلى للجبل فانصدع ونظر إلى الليل فتقطع ورفع ووضع ووصل وقطع وشتت وجمع وضر ونفع وأعطى ومنع ماأختلى عنك وفى عين تطرف وتدمع وإن أتاك ذلك الأسود لاقطعن بهذا الحسام قذار وأرمل عيانه وأيضا أبو الهزاهز قال مثله عندذلك جدد المأمون معهم العهد والميثاق وأشهدوا رب الآفاق وقال اشهدوا على أننى إن أعطيت ماأريد يكون ظالم مقدم على العرب العربا بعدا وقربا شرقا وغربا وبات المأمون مسرور بعد ذلك المقال وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أتى ظالم إلى سرادق المأمون فلاقاه الخادم وهو مدعور وقد تغير لونه واضطرب كونه فقال ظالم ماوراءك قال يامولاى انى انتظرت أن يخرج فما خرج ودخلت الخيمة ما وجدت فيها أحدا ووجدت السرير منه خالى (قال الراوى) فلما سمع ظالم ذلك الكلام صعب عليه وكبر لديه وقال للخادم امسك مامعك واكتم هذا الكلام ولا تخبر أحدا آخذ ما بين عينيك لئلا تتفرق العساكر وتهرب العشائر ثم ان ظالم مضى إلى خيمة الحسن بن طاهر وسأل عنه فقيل أنه من نصف الليل مارأيناه ولا شك أنه عند المأمون فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم رجع الى مضربه وهو لا يسمع ولا يرى ولا يدرى ما يعمل وقد ضاقت به الحيل (قال الراوى) ياسادة يا كرام وبينما هو كذلك واذا هو بشخص داخل عليه وباس يده وقال يا مولاى أدرك

مولای أنت وأبو الهزاهز وعشرة فوارس على عجل فتبينه واذا به غلام البطال لؤلؤ (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك وغياب المأمون أن أبو الزيبق بعد احسانه اليه ذلك الاحسان الزائد لم يزل يحكم العمل ويتقن الحيل الى أن مضى من الليل قدر نصفه وكان المأمون صلى العشاء الأخيرة واضطجع بعد صلاة ورده وغرق فى نومه هجم عليه أبو الزيبق ألقمه الاكرة وشد يديه على رجليه وحمله الى مضربه وأتى الى الحسن ابن طاهر وقال ياسيدى ان الامام يدعوك سرا من غير أن يكون معك أحد من أجل حديث قد سمعه من الأمير ظالم فلم يخالف الحسن بن طاهر دون أن وثب معه ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى الخيمة التى لابو الزيبق فما دخل اليها حتى وثب اليه كأنه شيطان فى صورة انسان وقال أقسم قسما صادقا ان تكلمت لآخذ ما بين عينيك وقبض عليه وألقمه الاكرة وشد يديه إلى رجليه والصقه بجانب المأمون ومضى الى ظالم فلم يجد له عليه من سبيل فرجع إلى خيمة أبو الهزاهز فوجده جالس فى الخيمة كانه الأسد والنار تضرم بين يديه ومن حوله جماعة من السودان وهو يقول ان أتانا عبد الوهاب فى تلك النوبة ما يفصل بيننا الا السيف وهو جالس على ركبتيه وعيونه كاجاجين الدم فرجع أبو الزيبق وهو يقول ما بعد الربح الا الخسران ولا بعد الزيادة الا النقصان وكان قد وعد عقبة أن يرسل له عشر رجال يكمنون من برا العسكر فى خرابه هناك لحمل المأمون ووضعه هناك ورجع إلى الحسن بن طاهر ووصلت اليه الرجال من عند عقبة ففرح وأخذ المأمون والحسن بن طاهر وساروا فى طريق منحرفة إلى قرب الصباح فقال أبو الزيبق نكون ههنا مكمنين فلا بد للخيل ماتسير خلفنا وإذا بهم نظروا مسجد على الطريق إلا أنه خراب وفيه خرائب دائرة مظلمة فقال نكون ههنا ويمضى واحد منكم إلى القاضى عقبة يعلمه يجهز لنا رجال وعسكر يأخذوا مامعنا ويسلموه إلى الأمين يقتله ويرمى برأسه الى قومه فتذل عساكره وتتقهقر جيوشه ودساكره ثم انه أرسل واحد إلى ذلك المعنى ودخل المشهد وكان بالأمر المقدر والبلاء المدبر ان كان وصول البطال ومعه غلمانه وذلك انه لما وقع بينه وبين عبد الوهاب ماذكرنا وذكر انه راجع إلى ملطية فقطع البلاد ومنع عن مقلتيه الرقاد حتى وصل إلى عسكر الأمين فميل عنهم ووصل إلا المشهد وقد علم ان الذى بينه وبين عبد الوهاب مايكتم ولا يخفى عن الأمين فعزم ان يمضى إلى المأمون بثلاث وجوه احدهما حماية له والثانى خوف من عقبة لأن دولته لاتدوم والثالث لاظهار عجز عبد الوهاب وماقالت الأميرة ذات الهمة لايقدرون على شىء يشرع هو فيه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما وصل البطال وغلمانه إلى ذلك المشهد فقال هذا المشهد الذى بناه المأمون

فى حياة الرشيد ولم يتمه وهو مشهد الحسين بن على بن أبى طالب وهلموا بنا إليه لعل الله يسهل علينا طريقنا وعند الصباح نمضى إلى المأمون وكان أبو الزيبق لما وصل إلى المشهد ودخل وسمعه البقال فقال لغلمانه انفردوا فى ذلك الجانب حتى انظر هؤلاء القوم ثم أن البطال سمعه وهو يقول واحد منكم يمضى إلى عقبة ليرسل الينا الرجال الكماة يأخذوا المأمون فقال البطال لغلامه امض ياولدى إلى عسكر المأمون وقول لظالم وأبو الهزاهز يأتوا إلى ههنا فلو وصل المأمون إلى أخيه فى تلك الليلة ما وصل إلى الأرض من دمعه قطرة ولم يكن أحسن من ذلك الاتفاق فى وصول البطال فى تلك الليلة ولما أن نظر المأمون روحه فى المشهد الذى كان بناه وسمع بأذناه ما قال أبو الزيبق للعشرة أن يمضوا إلى الامين ويأتوا بالرجال فدمعت عيونه حسرة وغرامه ولهفا وندامه وقال ما بقى إلا هلاكى وطلب أن يتكلم فما قدر من الا كرة فلا كها بلسانه حتى نزلت من فيه وأقبل على أبو الزيبق معاتبا وقال أعلم ياهذا أنك توصلت إلينا بالمديح والمقال المليح فلا تسلمنى إلى الاعدا اشرب شراب الردىء ارحم قرابتى من سيد البشر فى ربيعة ومضر صاحب اللواء فى المحشر من يسقى أمته من نهر الكوثر الذى علا على الانام وجلا دياجى الظلام وانقشعت لظهوره غياهب الظلام وان لم ترعى ذلك أرعى ما وصل إليك من الاكرام والانعام وان لم تعمل بذلك فأنا قريب هالك وإذا أردت المال فعلى وحق صاحب البرودة والقضيب والناقة والنجيب أعطيك من أجلى وذلك الرجل الذى معى خمسين ألف دينار وانك إذا وصلتنى إلى الامين ما يعطيك أكثر من ألفين فقال أبو الزيبق لقد رغبتنى فى المال وزدت فى النوال ولكن لابدلى أن أوفى بما ضمنت للأمين لان الواسطة بينى وبينه ما أقدر أخالفه ولو بذلت جسمى للتلاف فقال المأمون ياهذا لا تفعل ولا تكن هلاكى سبب فقال أبو الزيبق دع عنك ذلك المقال فانى لا أسمعه (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمع المأمون ذلك قال له ياهذا مادينك قال من النصارى وحق دينى ويقينى لابد لى أن أسلمك إلى الأمين وكان البطال كلما جرى بينهما وهو يسمع ذلك ولما أن قال من النصارى عرفه وكان يعرفه سابقا فحقق المعرفة فقال لغلمانه والله أن هذا كله من عقبة قالوا له أسكت ولا تتكلم كلمة واحدة فما نحن من رجاله ولا من أشكاله فلا نتوسل له فيضيع أمرنا اصبر إلى أن يأتى النفير ويشتد الهجير وأنت بعد ذلك على أخذه قدير فسكت على مضض إلا أن أحشاه تتقطع وخاف أن يسبق أصحاب الامين وأما المأمون فانه أيس من ذلك الوجه وجعل يسأل رب الارباب الذى إذا دعى أجاب وجعل يدعوا بدعاء كان سمعه ماسأل به عبدا وهو فى شدة الا وفرج عنه فلا والله ماتم المأمون دعاءه

إلى مولاه حتى أتاه الفرج وكان المنادى الذى ناداه عنده فى المشهد وهو البطال لأنه لما سمع من أبو الزيبق فلم يجد الصبر عنه بل قال لغلمانه أن أهملنا أمره تأتى رجاله عقبة تأخذه ولا يبقى لنا سبيل إلى خلاصه وأريد أن أبذل المجهود وأرمى روحى على هؤلاء الكفرة الجحود ولكن أنا أعلم أن المأمون بطل من الابطال وقيل من الاقيال ثم أنه زحف على بطنه حتى وصل إلى المأمون أراد المأمون أن يصيح فقرصه قرصة لطيفة فعلم انه مشفق فقطع كتافه وقال جاءك الفرج وانى قد أرسلت إلى ظالم وكانك به يكون عندنا فقام المأمون وقال من أنت الذى من الله بك على فقال أنا البطال خادمك ومعى ثلاث رجال بأيديهم السيوف الصقال فقال اعطينى سلاح ادافع به عن روحى وأموت موت الكرام فسلم اليه سيفا ماضيا وخلص الحسن ابن طاهر وهم كذلك وإذا بالرجال عند طلوع الشمس وقد هجمت على المشهد ومعهم السيوف الصقال والعدد والزرد والعمد وكانوا عالم عظيم وفى أوائلهم الفضل ابن الربيع وعقبه الشنيع وقد أخفى نفسه عن الجميع وكانوا هؤلاء أسبق وكانوا على أهبة وفى دون ساعة وقع الصياح وجردوا الصفاح وصعدوا على سطح المشهد ومال الأمير أبو محمد البطال وأيضا المأمون تلقى الابطال من دون الرجال بصدره وقال لأموت أسير والموت أرمى روحى عليه ولم يزالوا يقاتلون ويناضلون حتى خذلت منهم المناكب وقد قال القائل

لا تقاتل بواحد أهل بيت ✽ فضعيفان يغلبان قويا

(قال الريوى) ياسادة ياكرام فما أصبح الصباح حتى أخذوا المأمون والحسن ابن طاهر وقاتل البطال بعدهم ساعة وأخذوه وأيضا غلمانه وما ملكوا البطال إلا بعد جهد جهيد وحرب شديد ونظر عقبة الى ذلك فقال يالها من ساعة ما أسعدها ونعمة ما أتمها انقضت حاجتين فى حاجة وحق المسيح ان وقوع البطال غاية مرادى ومسرة فؤادى وساروا القوم وعقبة ماتسعه الدنيا من الفرح الى أن بقى بينهم وبين عسكر الأمين قدر فرسخين وأبو الزيبق فى المقدمة وهو يقول أنا البطل الفارس العائق ولى صارم باتر ما حق ترانى إذا أظلم الخائق لباب الملوك أنا طارق نهارى فى حربها غائص وإيلى لا بطالها سارق لأنى أصول لضرب الفحول لهذا دعونى أبازيبق ومالى قصد سوى همتى أطابع الذى فضله دافق يقال له عقبة فى الورى وأنا لخدمته عاشق (قال الراوى) هذا والمأمون قد أيس من الحياة وأيقن بالوفاة وكان البطال مربوط إلى جانبه فقال وحياتك يامولاى كلما تم علينا من عقبة ويكفيك وهذا الملعون أبو الزيبق يقول لولا ما صنعت ما فعلت فقال المأمون بالله عليك دعنا من هذا الكلام فبعد ساعة نشرب شراب الحمام وما بقى الاجل الا ان كان

ساعة وأريد أن أجعلها طاعة وقد تمت علينا هذه القضية المدبرة فدعها تكون من الزيبق أو من عقبة أو من غيرهم ومعلوم أن عقبة ما يختارنى دون الأمين لأنه يريد هلاكى وهو يعلم أنى أميل اليكم وأيضا زبيدة ومحبتها له (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهم كذلك واذا هم باقوام من الغزوهم سائرين قدام رجعوا منهزمين لا يلوول على أحد فقال لهم محمد بن هارون ما بالكم راجعين تدقون بعضكم بعضا قالوا يامولانا وراءنا المــــوت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر لأننا سبقنا فى المقدمة نشعر الامام بالنصر والظفر ولما وصلنا إلى أجمة القصب وجدنا فيها أقوام جسام هناك كانهم الجواميس على خيل دهم سود دمس قد أشهروا القواضب وهم كانهم السلاهب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن غلام البطال لما سار من المشهد كما ذكرنا ووصل إلى ظالم وقال يامولاى أدرك مولاى أبو محمد فانه وصل إلى المشهد الذى فى كربلا فوجد المأمون والحسن بن ظاهر هناك وهم مع أبو الزيبق مشدودين الوثاق وقد أرسلنى مولاى حتى تدركهم فالتفت ظالم الى أبو الهزاهز وقال له اركب وسير إلى المشهد وخلص الامام وخذ معك ثلاثة آلاف لأنى أخاف أن تعلم الناس انه عدم فينهزمون لأنى ضابط العساكر فقال صدقت أنا أكفيك ذلك الأمر ثم انه أخذ الرجال وسار فى الوقت والحال الى ان وصل إلى المشهد وقال ربما يسبقونا ويأخذوا المأمون وقال غلام البطال انا مانلحقهم وقد فات الأمر فيهم وما فى الأمر إلا اننا نكمن ههنا فى أجام القصب فما لهم عبور الا من علينا فلم يلبثوا الا قليل حتى بانت نواصى الخيل ووقعت العين على العين وزال الشك وذهب المبين وشاهد المأمون إلى ذلك فجعل يقول

ما أظن الزمان يأتى بهذا ✲ غيرانى رأيته فى المنام

وأما البطال لما حقق أبو الهزاهز فقال له ماتكون الا فارس مناجز فاليوم يبان الشجاع من العاجز هناك صاح أبو الهزاهز فى السودان والأقران دونكم وخلاص المأمون فانه غاية السرور وخذوا هذا الشيطان الملعون عند ذلك صاح الفضل بن الربيع فى رجاله دونكم وهؤلاء السودان اللئام وكأنكم بالأمين وقد سمع الصائح يأتى اليكم فحملت الرجال على الرجال والأبطال على الأبطال وفرغت الآجال وعمل الحسام الفصال وزاد الحام وفلق الهام وضاقت الصدور وحاروا فى الأمور ودام الكفاح وقوى الصياح وولى الجبان وطلب الرواح وبيعت الأرواح بالسماح وأقبلت عساكر كأنها شقائق إلا أنها ماوصلت حتى خلص أبو الهزاهز المأمون ومعه وقطعت الرؤوس وزهقت النفوس وسالت على عساكر الأمين من الشمال ومن اليمين وصدموا أبوالهزاهز بصدور الخيل

فتلقاهم وطرح الرجال وإذا بالأمير ظالم قد أقبل كأنه الأسد الكاسر ومعه جميع العساكر وحملوا كأنهم موج البحر الزاخر ووقع القتال واشتد النزال وجرت الدماء كأنها السيل الهطال واشتد البليات ودامت الكربات والاجساد على الارض مطروحات وضاقت كل الجهات وتمددوا عساكر الامين فى تلك الفلوات ونصر الله الامير ظالم وركب ومن حوله المماليك والاعلام وإذا بغبار قد علا وثار إلى أن سد الاقطار وبعد ساعة تقع وبان من تحته سادات بنى عامر وكلاب والسودان الانجاب وفى مقدمة القوم الامير الاوحد والصارم المهند الامير الاجل الاميرعبد الوهاب ومعه خلق بعدد التراب وقطر السحاب وان الامين لما رآه استقبله فى رجاله وفرسانه واعلمه بما فعله ولده وانه انتصر للمأمون (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكانت العساكر قد افترقت من القتال وأن عبد الوهاب قال للأمين أماولدى وأبوالهزاهز على الضمان أردهما عن قنالك وعن حربك ونزالك وأما أخيك المأمون دعه يمضى إلى النهر وأن يقيم هناك فقال الأمين أنا أريد أن يطأ بساطى ويعترف بالخلافة ويبايعنى وإذا رجعت إلى بغداد أعطيه مايشاء من البلاد (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان قصد الأمين أن يقبض عليه ويقتله وأن الأمير عبد الوهاب لايعلم شيأ من ذلك لأنه سليم القلب حسن الظن والسريرة وسريرته عامرة بالله تعالى عندذلك أرسلت الأميرة ذات الهمة للمأمون والحسن بن طاهر تقول له أما بعد فان العاقل من نظر إلى مابين يديه ويفعل فعلا تحمده الناس عليه وأنت تعلم أن الرشيد قبل مماته أوصى بالخلافة للأمين وإن وصل إليك الأمر والنهى بعده خدمناك يامولانا مثل ماخدمنا أباك وأجدادك رضى الله عنهم وقد اتفق الرأى أنك تطأ بساط الأمين وتقبل سؤالى وتمضى معنا إلى بغداد بحيث أنك تقول لظالم أنك دخلت تحت الطاعة ورضيت بالخلافة لأخيك الأمين وبعد ذلك يصل إليك من الهدايا منه والمواهب والخلع والخيل والجنائب وتنال ماأنت له طالب وبعد ذاك يعطيك أخيك جميع ماتشتهى من البلاد والاقاليم ونحن نخاف أن تدخل عليكم العين وتدخل الناس بينكما بكلام الشين وتكونوا أخوين تعودوا ضدين ويقع بينكما الشر والعناد وتشمت الأعداء والحساد (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أن وقف المأمون على ذلك الكتاب أحضر الجماعة الذى يعتمد عليهم من أرباب دولته وقال ياقوم هذا الكتاب من عند الأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب وهم يذكرون كذا وكذا فما أنتم قائلون وبه على تشيرون فقال له الحسن بن طاهر أقسم بالله ياأمير المؤمنين وباتصالك من محمد سيد المرسلين ماتقع فى يده إلا وتكون مفارقا للدنيا وساعة وصولك إليه يضرب رقبتك ولو كان الرشيد حيا ويشفع فيك ما يقبل

شفاعته ولا ينفعك أحد لاذات الهمة ولا عبدالوهاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام وهم كذلك وإذا برجل أقبل من ناحية عسكر الأمين ولما قرب إليه أعطاه كتاب لطيف ففتحه المأمون بيده وإذا به من عند الخادم جوهر وهو يقول فيه الله الله يامولاى لا تسمع من كلام أخيك ولا كلمة واحدة لأنك أن وقعت فى يده قتلك من ساعتك لأنه أرسل إلى بغداد وقتل أولادك كلهم وهم صغار لاعقل لهم ولا ذنب لهم فكيف يكون حالك معه وأنت تطلب منه الخلافة إذا ظفر بك لأن هذا رجل قد خرج من الأمور ولا يفكر فى عواقبها ولا يخاف من خطرها فاياك ثم إياك أن تقع فى يده أو أحدا ممن يلوذ بك فكل من وقع فى يده ما يشوف نسيم الهواء أبدا وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر والسلام فلما سمع المأمون بذلك قال صدقت ياأبن طاهر فيما قلت فقال الرأى عندى ان تكتب إلى الأمير عبد الوهاب كتاب فقال هذا هو الصواب فأمر بكتابة الكتاب وكتب فيه (أما بعد) فان وطىء البساط ما تجد روحى لذلك انبساط وان كان امير المؤمنين حفظه الله وحماه ورعاه يعقبنى من ذلك فأنا اسامع المطيع فى جميع الأحوال وسامع الأفعال ولو أعطانى قرية من البلاد قبلتها وشكرت الله على ذلك وإذا لم يفعل ذلك ويطلب شيئاً آخر فأنا مستعين بالله تعالى فى جميع الأمور والسلام (قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصل الكتاب إلى الأمين فلما سمع ما فيه غضب الأمير عبد الوهاب وقال ما بقى إلا القتال والحرب والنزال فقالت الأميرة تمهل ياولدى فأرسل الأمير عبد الوهاب إلى المأمون ثانى مرة ولم يجبه إلى ما طلب فأرسل إلى الأمين يقول ما بقى إلا القتال ومعاناة النزال وملاقاة الأبطال وما النصر إلا من عند الله العزيز المتعال ومن كان باغيا على الآخر فان الله يخذله ويذله ويطالبه بدماء المسلمين وأنت أيها الأمير لو تركت هذا وازلت هذا العناد لكان خيرا لك فى دينك ودنياك وأنت بتلك الأمور خبير (قال الراوى) ولما سمع الأمير عبد الوهاب جواب المأمون صعب عليه وكبر لديه وأرسل إلى ولده ظالم يقول (اما بعد) فانت تعلم أن الله تبارك وتعالى فرض عليك طاعة ولى الأمر وطاعة الله وطاعة الوالدين والرفق بهما على الحالتين ولين الجانب وترك الجفا والذى أمرك به أن تعتزل أنت وأخيك سيف الحنيفية وأبو الهزاهز عن عسكر المأمون واعلم أن شدة عزمه على مخالفة أخيه ماشد عزمه الا أنتم ومن معكم من الفرسان والشجعان السودان وأنا الذى لاأبغض عهد الرشيد ولا أكون لدولته مخالفا بل أكون لهم مؤلفا ولو كان الرشيد وهب للمأمون الخلافة لما كان يسعنى فى الله مخالفته وما يليق بى أن نتخلا عن الأمين فيقع على التوبيخ من المسلمين ولا أقدر أن أرده عن ما طلب لأنه

اليوم طاعته علىّ فرض وعلى الناس جميعا فان أجبت إلى ذلك عفا الله عما مضى وإلا وذمة العرب العربا والسادة النجبا يكون هذا لهلاكك سبب وما أنت عندى أجل من والدى الحارث وظالم ابن الصحاح وقد قتلته لأجل الدّين والحميـــة للسدين وختم الكتاب بهذه الأبيات

ان كنت ياولدى قبلت نصيحتى　　وسمتها ورأيت ذاك صوبا
ورجعت عن حرب الامين فلا تكن　　فى صحبة المأمون تبغ حرابا
ولئن جهلت لمـــا أقول فانه　　يعفيك حزنا ما عليه عتابا
ولئن أطعت أباك عشت مسلما　　من كل نائبة وحسن ثوابا
أن الأمين هو الخليفة هكذا　　فعل الرشيد فلا تكن مرتابا
وأبو الهزاهزمع أخوك فلا تكن　　إلا وأنتم كلكم أحبابا
وعلىّ أصلح كلمـــا جانا به　　مأمون من أمر لديه مهابا
ولئن أبيت فاننى لك قاتل　　فى موقف الهيجا بلا كذابا
لا تنظرن للملئمـــة التى　　قد جبتهم إذ ينصروك ضرابا
وكذلك أندال العبيد فانهم　　مشط الحجاز وقد عرفت كلابا

(قال الراوى) ثم أن الأمير أرسل إلى ولده ذلك الكتاب فوقف عليه بحضرة المأمون ولما ان سمع ما فيه شاظ غيظا وأقبل على البطاو وقال له املى ما أقول وإلا أكتب أنت قد استولى على وعلى عقلى ولبى ورشدى فقال البطال أكتب أنت ما تراه فان عجزت عنه أنا أريك ما أفعل بذات الهمة وعبد الوهاب ولا بد لى ما اترك ذات الهمة تطحن الحنطة والشعير حتى يكون لسانها عن ما تكلمت به قصير فأنا قد سمعت من كلامها بعد ماجرت عن حسامها كلام بليغ (قال الراوى) عند ذلك كتب الأمير ظالم إلى أبيه كتاب يقول فيه (أما بعد) أن التعدى من شيم اللئام والتعصب مع الحق من خصال الكرام وهذا المأمون هو ابن أمير المؤمنين الرشيد على كل حال وأنه ما طلب الخلافة قط وإنما بلغه أن أخيه قد أضمر على عطية وتبين له أنه يلح فى طلبه وإلا كان أعطاه بعض المواضع وما كان وصل من هذا شىء وقد وصل الأمر إلى دونه وان من حوله رجل يسمع قوله ولا يغمد القول وأن من دونه رجال من كل بطل منازل لا يسمعون كلام المغازل ولا يصغون إلى عذل عاذل وأما قولك انك قاتلى فهذا من غاية الطمع فلا تطمع نفسك بالظفر فى كل الأوقات نهيهات وأنا خائف من الخجل وأما قولك إنك تبذل فى الدين المجهود وتطلب العفو من الملك المعبود فأنا أيضا كذلك فوحق ذمة

العرب لئن لم تقصر عن هذا الحال وترجع عن القتال لاكان قتلك إلا على يدى وان كان ذلك يوجب العذاب فان أردت أن تنتصر للأمين وتكون على ما ضمنت حريص مكين فاخرج إلى الميدان ومقام الطعان حتى أخضب من دمك هذا السنان يامن يدعى الدين والايمان ويطلب اصلاح الامر والشان كيف يستحق الأمين أن يرسل إلى بغداد ويأمر بقتل أولاد المأمون وهم أطفال صغار ماجرى عليهم قلم ولاهم من أرباب الحرب والقتال ولا لهم غرض فيما نحن فيه من الأحوال وما جرت العادة أن يقتل البرىء بالسقيم ولا يرضى بذلك رب العالمين وإن أنت أعنت الأمين بعد هذا الظلم المبين فما يكون لك دين والرأى عندى أن ترحل إلى وطنك وتقعد فى سكنك لأن البغى مصرعة الرجال ويقود إلى الهلاك والوبال ودعه تتفرق رجاله وتتخلى عنه أبطاله وان أنت أبيت ذلك فاعلم انك عن قريب هالك لأن هذا المسلك من أضيق المسالك وما الخلافه إلا للأمام المأمون لأنه أكبر منه فى السن وأوفر فى العلم والعقل والذهن (قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير ظالم من كتابة الكتاب طواه وأعطاه للرسول وقال له قل له مشافهة لاتخفيه يخرج عن هذا الامر ولا جعلته كيوم مضى فعاد الرسول بالجواب إلى أن دخل على الأمير عبد الوهاب وأعطاه الكتاب فقرأه ولما أن فرغ من قراءته بلغه الرسول ما قال الامير ظالم من الخطاب فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك عظم عليه وكبر لديه هذا وقد سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك المقال قالت يابنى نحن قد ثبتنا فى هذه القضية وقد جعل الامين العهد فى رقابنا وما بقى الا قتالهم وان كانوا أحبابنا ولم يبق شىء بعد الاعذار والانذار ثم انها قالت للأمير وأنت على ماذا عولت فقال لها على القتال والحرب والنزال وفى غداة غد يكون الحرب والظفر والضرب (قال الرواى) ثم ان الأمير عبد الوهاب بعد ذلك أرسل إلى الأمين يقول له يا أمير المؤمنين انى قد نهيت ولدى فلم ينتهى وأنا قد عولت فى غداة غد على القتال وان أتولى بنفسى النزال وسوف ترى ما يحل بهم غد ولا يكون لهذا الأمر غيرى والسلام فلا تترك أحدا من قومك يقاتل معنا حتى أشفى غليل قلبى ويزول العناء ففرح الأمين بذلك وشكره على قوله وما يريد أن يفعل من فعله هذا وقد باتت الناس تلك الليلة وهم سهارى يصلحون العدد والصفاح وأسنة الرماح ولم يزالوا على مثل ذلك الى أن أصبح الله تعالى بالاصباح وأضاء بنوره ولاح عند ذلك ركبت الرجال على ظهور الجراد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتقلوا سمر الرماح وتقدموا الى مقام الحرب والكفاح وترتبت أيضا بنى كلاب والسودان الانجاب وفى أوائلهم الأميرة ذات الهمه والأمير عبد الوهاب وسملق وطماطم وأبو الهول وقراقد

وسودانه (قال الراوى) ولمـــا نظر الأمير ظالم الى ذلك الشأن ركب كانه الأسد الغضبان وركب المأمون وركبت عساكره الكرام ودساكره أهل الاحترام وركب أبو الهزاهز البطل الهمام وسودانه المعروفين بالحرب والخصام فى مقام الصدام وركبت أبطال الديلم وفرسان العجم الذين قد انضافوا إلى المأمون وركب البطال فى موكب عظيم من العسكر وكان ذلك اليوم يوما منكر وتقدمت سودان أبو الهزاهز مثل عندم وغيلم وطمطم وكردم وملجاج والتحفوخ وأبو قراقد ودحروج وارتجت الأرض فى ذلك اليوم من ركض الخيل وعاد النهار كانه ظلام الليل وكان القيامة قد قامت والحسرات دامت وصهلت الخيل وتدفقت العساكر كانها السيل وترتبت الصفوف وتعبت المئات والالوف وقد جعل الأمير ظالم الملثمة فى الميمنة والبربر فى الميسرة وعبيدة معه فى القلب وكذلك فعل أبو الهزاهز بأصحابه والديلم والاعاجم وكذلك فعل الامير عبد الوهاب فى رجاله وعبأ أبطاله ولما ترتبت الصفوف قدام الامير عبد الوهاب ركب الامين فى ألف فارس من الحجاب ولهم هدير كانهم أسود الغاب (قال الراوى) ولما تقابلت الصفوف واشتهرت المئات والألوف خرج الأمير ظالم إلى وسط الميدان ورمقته الطائفتان وهو على جواد من الخيل الجياد عظيم الهيكل قليل المثل سريع إذا انتقل يطرب المسامع إذا صهل سابق إذا جرى قراب إذا سرى قد تعود خوض الأهوال والوغا لا يبعد عليه فسيح البيدا كما قال فيه الشـاعر :

سبقت الريح لما كان تحتى ✿ حصان لا يقاس به حصان
قوائمه الرياح إذا تبدى ✿ رأيت البرق فى كفى عنان

(ياسادة) وعليه درع سابورى وبيضة عادية وفى يده قنطارية خلنجية متقلد بصفيحة هندية ثم انه ساق الجواد إلى ان صار بين الصفين ونادى برفيع من صوته معاشر الناس من عرفنى فقـــد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى فما بى خفى أنا من لا يخفى عليـكم حاله وتعرفون حربه وقتاله أنا الأمير ظالم بن القناصة وقد تعصبت للمأمون وسوف أكون أول من قاتل أباه فاسمعوا منى ما أقول واتركوا عنكم الفضول ودعوة يخرج إلى وان كان ما سمع فبلغوه ثم انه لعب برمحه فى وسط الميدان حتى حير عقول ذوى الألباب وصال وجال وأنشد يقول

ألا أيها الأقوام كفوا عن العتب ✿ فانى وبيت الله للغبن فى كرب
ومن ناله صبر على السجن دهره ✿ بمطمورة فى كل يوم بلا ذنب
وما للورى مثل الامام الذى به ✿ أصول بسعى فى الاعاجم والعرب

(قال الراوى) فلما سمع عبد الوهاب لم يأخذه صبر هذا وقد صاح أبو الهزاهز وبيده حسام وحمل حتى صار عند الأمير ظالم وطلب البراز فبرز الأمــــير عبد الوهاب وقال اقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين لابرزت الا لكما أنتما الاثنين فلما سمع أبو الهزاهز وظالم أراد كل واحد منهما الحملة وإذا قد خرج من عسكر ظالم فارس وله هدير وهمير وزمجره وزئير كانه شهاب نار أو كوكب سيار وركبته مستوية وذلك الفارس سيف الحنيفية وقال والله العظيم لا تخليت عن أخى بنفسى وإذا بفارس برز من عسكر عبد الوهاب وعليه لبس أحمر وقد هدر وزمجر وله همهمه وتحته حجرة دهما ململمه وكان ذلك الفارس ذات الهمة وهى تقول دعنى يابنى ابرز الى الثلاثة وخرج من بعدها مالك بن طوق وبعده راشد بن ضمره وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر وهارون العلوى وقال وقد بلغ من قدر هذا الأسود الزنيم والبطل اللئيم أبو الهزاهز ان يذكر الأمير فى شعره فسوف نسقيه الحمام وبرزت أبطال السودان من عسكر أبو الهزاهز وكان يوم عظيم خرج من الملثمه عشرة وبرز من البربر جماعة ونظرت بنو كلاب إلى تطاير الجيوش فحملت ولم يبق تنظر عساكر ظالم وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز والمأمون وحملت عساكر الأمين ومالت الكراديس ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ولم يزالوا طول الليل يتحاربون فلما أصبح الصباح تفرقت الديلم وضعفت أبطال العجم الذين مع المأمون وولت هاربة وللنجاة طالبة وصاح الحسن بن طاهر فلم يسمع ولم يلوى الأخ على اخاه ولا الولد على أباه ولا الرجل من يليه لكل منهم شأن يغنيه ووقف ظالم وأبو الهزاهز وتضعضعت العبيد من أولاد الحبشان وصبرت رجال ظالم حتى انتثرت منهم الجماجم فرح الأمين بالنصر وبين يديه عقبة وهو يدعو برفيع من صوته ويقول وما النصر الا من عندك ياناصر انصر أمير المؤمنين واحفظ الأمير المهاب عبد الوهاب سيف المجاهدين واحفظ أمه الأميرة ذات الهمة ذات الصلاح والدين فضحك الأمير عبد الوهاب وقال ما فى الأرض أكثر خديعة من هذا اللعين وأمر أن يمسكوا عليهم رؤوس الجبال والطرق والدروب فما وصلوا أرض الحصا الا وقد سبقوهم بنو كلاب لأن عسكر الأمين ما فيهم الا من معه الفرس والفرسين وكان الأمير عبد الوهاب قسم الفرسان مع كل أمير فرقة على أبواب الدروب وأدركهم الليل وصار المأمون والحسن والبطال ومن معهم فى وسط الأعداء وأيقن كل واحد منهم أنه هالك وعاطب هذا والمأمون نذر على نفسه النذور من حج وصوم ان سلم (قال الراوى) فلما تنصف الليل وإذا بالصياح من كل جانب فسألوا الناس ما الخبر فقالوا فقدما مالك بن طوق وسعيد بن

الفرج وبرد بن الأزهر وجماعة من حماة العسكر فقالوا الناس يكونوا عند الأمير عبد الوهاب فمضوا إلى الأمير عبد الوهاب وجدوه أيضا قد فقد فقالوا امضوا بنا إلى مضرب الأميرة فمضوا اليها فوجدوها كاللبوة التى عدمت أشبالها وقالت ما مصيبتنا إلا من البطال فقال الأمين وتربة المهدى ما تركته يشم الهوى فقال له عقبة يا أمير المؤمنين ذلك شيطان يقلب بحيله الدول فلما سمع أبو الزيبق ذلك صعب عليه وقال له لا تقل هكذا فأنا أوصل مولانا اليه ومعلوم انى وصلت الى المأمون الا أنه ما كان فى الحساب أن يخلص وسوف ترون كيف أوقع البطال وأخلص الذين معه (قال الراوى) وأما البطال فانه لما نظر الذى جرى على المأمون وسمعه يقول اننا فى غد نؤخذ فقال له البطال يامولانا لا تخاف لأنك فى موضع أمين ومن وراء ظهرك هذا الجبل الحصين فقال له المأمون وأى أمان لنا ونحن بين الأعداء وقد أحاطوا بنا فقال البطال اعلم أن من وراء ظهورنا هذا الجبل الذى مثله ليس يوجد ولا طريق عليه لأحد ولا يصل اليه أبيض ولا أسود ونحن اذا وقع القتال نسند ظهورنا اليه ونحتمى به ونمانع عن نفوسنا فقال المأمون يا أبا محمد وايش جهد ما نقاتل فقال له البطال يامولاى سوف اشغلهم فى تلك الساعة بأخذ الأمراء الذين لهم وألقى الفزع فى قلوبهم فقال له المأمون يا أبامحمد ان كنت عزمت على شىء فبادر فعندذلك ادعى البطال بغلمانه فلما حضروا أقبل عليهم وقال لهم اعلموا أنى قد ضمنت للمأمون انى فى هذه الليلة أسرق الأمراء فقالوا له افعل ما بدالك وها نحن بين يديك فقال لهم انى قد جعلت على كل واحد منكم واحد من الامراء الاكابر وواحد الامين ان ندروا أنا لعبد الوهاب وكل من لم ينجح منكم فما هو منى ولا له عندى حساب فقالوا له غلمانه يامولانا علينا أن نبذل المجهود ونطلب الاعانة من الملك المعبود وهو الذى يعيننا على بلوغ المقصود ويحل عنا هذا الأمر المعقود (قال الراوى) ولما فرغوا مما دار بينهم من الكلام سير أبا محمد فى كل طريق منهم غلام وهو يقول لهم أنت عليك فلان وأنت عليك فلان ولم يزل على ذلك الاهتمام إلى أن فرق سائر الغلمان على التمام قصد كل خصمه فيما له من الخيام وكان البطال قد سيرهم خفية خوفا من جاسوس يعلم ماهم فيه ربما يفسد عليه ماأبرم من المرام ولما ساروا الجميع ولم يبق إلا البطال قصد إلى خيام الأمير عبد الوهاب ومن تمام الاتفاق أنه كان للأمير عبد الوهاب غلام يقال له مقبل وكان يحب البطال محبة عظيمة حتى أنه ما كان يقدر يصبر عنه فى أكثر الأوقات ولم يكن راضيا بفعال الأمير عبد الوهاب فى حق البطال لأن أبا محمد كان يشفق عليه ويدخره فى مثل هذه النوبات فلما دخل أبو محمد فى تلك الليلة إلى خيام الأمير ما كان له سواه قعيده ودخل

عليه فلما أن رآه الغلام بكى وقال له والله ياأبا محمد ماهان على ماجرى عليك فى مقاطعة مولاى عنك ومخالفته لك فى هذه الفعال ونسى ماجرى عليكم من الحبس فى المطامير فقال له البطال اعلم أن عبد الوهاب ماله عقل ومع ذلك فانه يرى ذلك من كرم النفس لأنه يحسن لمن أساء إليه فقبل الغلام يده وقال له يامولاى فما الذى تريد وما هو الذى عزمت عليه فقال له البطال اعلم أنى أريد أن آخذ هذا الأسود الزنيم مولاك وأريد أن تساعدنى على ذلك فقال له الغلام افعل ماتريد ولكن كيف يكون التدبير فى أخذه وهو فى تلك الساعة مستيقظ ولكن اصبر على قليل حتى أنه ينام ونأخذه على غفلة منه فقال له أبا محمد اعلم أنى ما أقدر على الهجوم عليه لأنه كما تعلم جبار من الجبابرة وأنا أخاف أن يحس بى فيثور من نومه فيأخذنى قبل أن أشد كتافه ويسير بى إلى الأمين وأنا أعلم إنى أن وقعت فى يده قتلنى فقال له الغلام فكيف يكون التدبير فى أخذه إذا كان على هذه الحالة فقال له أبا محمد خدمنى هذا الدواء واجعله له فى اناء الماء فاذا شرب منه نلت المنى فقال له الغلام وما هذا الدواء ياأبا محمد لايكون شىء يقتل مولاى فقال له البطال أعوذ بالله من ذلك أو أن يكون كذلك لأنك تعلم مابيننا من المودة والصحبة وهو أعز من روحى التى بين جنبى ولكن الكيد والمخالفة قد أحوجتنى إلى ذلك فعند ذلك أخذ الغلام من أبا محمد ذلك الدواء وألقاه فى إناء الماء الذى يشرب منه الأمير فلم يكن إلا لحظة حتى طلب الأمير عبد الوهاب الماء ليشرب فأتاه الغلام بالكوز الذى فيه الدواء فأخذه الأمير وشرب منه فما لحق الغلام يأخذ منه الكوز حتى وقع إلى الأرض وهجم البطال لفه فى الدراج وأخذه وسار به إلى عند الأمير ظالم وأوصله إليه فلما صار بين يديه فوثب الأمير ظالم إليه وامتشق سيفه من غمده ولم يعلم البطال مايريد أن يصنع لأنه أبيه فبهت إليه وإذا به قد هزه إلى أن أبرق الموت من آخر يده وضربه به من شدة ما عنده من الحرارة فوصل ذباب السيف إليه لأن الضربة كانت قصيرة من أجل ما عنده منه فلو كانت واصلة لكان قضى عليه فمع وجود أجله وقعت الضربة فى قائم سرير المأمون وكان من الحديد الصينى قطعها نصفين ولما علم الأمير ظالم أن ضربته خافت تقدم إليه وهم أن يضربه ثانية ليقضى عليه فصاح به البطال وقال له ماهذه الفعال ثم رمى روحه عليه عند ذلك وثب المأمون من على سريره وأخذ السيف من يده ومنعه من ذلك وقال له ماالذى حملك على هذا الأمر قال الأمير ظالم لأنه جبان وقد ألبسه الله ثوب المهانة والهوان ولبس من المذلة مالم يلبسه أحد غيره من الفرسان وكلما أهانوه قوم أكرمهم ومع ذلك فانه يطلب الخلافة للأمين حتى يكون المشير له عقبة ليرمينا كل يوم فى نكبه وذمة العرب

لابد من قتله فقال له البطال اصبر یاولدی فما هذا وقته وكل هذا إليك وهو بين يديك ومع ذلك فانك ما يجوز لك هذه الفعال إلا إذا كنت أخذته فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وأما فى مثل هذا الوقت فما هو أسيرك لأنى خاطرت بروحى وملكته فكيف يجوز لك أن تنال ماتريد من غير تعب ولا عنا ومع ذلك فان الذى فعله ماهو من المهانة ولا من مذلة النفس وإنما فعله بما عنده من الدين والوفاء فقال المأمون معلوم ولكن لو كان انعزل عنى وعن الأمين لكان خيرا له فى الدنيا والدين وكان يقوى هذين أخوين ومع ذلك فهو يعلم أنه باغى على ولو فعل ذلك ما كان يتوجه عليه عتب ولا لوم منى ولا من غيرى ولكن نحن ما نؤاخذه بذلك ونرعى له ماسلف من الخدم وبالله ماذكرمنه الرشيد يوم إلا وكنت ارفع شأنه وأعلى مكانه وكنت أقول أنه يكون لى عونا وهو يعلم ما جرى لى من أخى المأمون وكان ذلك من أجله فقال البطال یامولای هذا كله لامر قدر وكان (قال الراوى) هذا وقد أتت غلمان البطال وكل غلام يحمل أمير من أمراء بنى كلاب إلى أن صفوهم قدام المأمون وأبو محمد البطال وظالم فقال المأمون وقد فرح مانفعل بهؤلاء نحبسهم ياأبا محمد فقال البطال یامولای مالعبد الوهاب وهؤلاء الامراء حبس هاهنا ولكن نصبر لعلى أن آخذ الاميرة ذات الهمة وبعدها أعلم أن بنى كلاب تأتى كلها إلى الامير ظالم والسودان إلى الامير أبو الهزاهز ويقوى بهم عزمك ويشد ظهرك فقال له المأمون فما الذى تشير به الآن علينا فقال البطال نرسل الامير عبد الوهاب ومن معه الى بلد مرو عند اختلاط الظلام واختباط المواكب واشتغالها لأنى أعلم اننا لو تركناهم هاهنا لانأمن عليهم من هذا الشيطان أبو الزيبق رفيق عقبة الذى مدحك فقال المأمون لاترجع ياأبا محمد تذكره ولا تبعدعنا لأنى لا آمن على روحى منه لانى ماشعرت بروحى إلا وأنا على أكتافه فلا كتب الله عليه سلامه فقال له أبو محمد یامولای لو كان فعل معك مثل مافعلت انا بعبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لكان بلغ القصد والارب انظر كيف أتوا اليك وهم فى صفة الاموات ولكن مايحسن هذه الامور والآن ارسل عبد الوهاب ومن أخذنا معه من الامراء مع قوم من الاعجام على البغال تحت غسق الظلام ففعلوا ذلك إلى أن كان وقت الصباح أرسل الامين من عنده رسول إلى البطال وهو يقول وحق الملك الوهاب أن لم ترسل الامير عبد الوهاب هو ومن معه من الاصحاب الذين احتلت عليهم فى هذه الليله وأخذتهم بالحيله لاطلبنك على دجله بغداد وأجعلنك عبرة للعباد إلى يوم الميعاد (قال الراوى) وكان الذى حمله على ذلك الكلام عقبة لأنه علم أن البطال هو الذى عمل هذه الأعمال فقال فى نفسه لعلى أن أصل إلى هلاكه بهذا السبب ولما سار الرسول من

عند الامين ووصل إلى البطال وأدى اليه ما حمل من المقال قال البطال سبحان الله الاميره ذاك اليوم تقول عليك بسرقة الجوار من بلاد الروم لانك ماتقدر على سرقة الابطال وفى هذه الساعة يقولوا هذا المقال ويطالبونى بمن عدم لهم من الاقيال وهذا بخلاف ماكانوا عليه من الحال وأرسل إلى الامين يخوفني بالتهديد والوعد والوعيد وهذا شيء عنه بعيد والصواب عندى انه يلزم ناموسه ويحفظ من معه وأما قوله انه يصلبنى على دجلة بغداد فان قدر على دعه يفعل مايشاء إن شاء يصلبنى على الفرات أو على الدجلة أو على نيل مصر (ياساده) فلما أن سمع الرسول من البطال بذلك المقال رجع فى عاجل الحال واخبر الامين بما قال فقالت الاميره ذات الهمة أنا أعلم انه كثير اللجاج والاحتيال ولم يبق غير القتال ثم انها زعقت على الرجال فركبت ولما ترتبت الصفوف زحفت الزحوف هنالك ركب الامير ظالم ومن معه من العوالم وكان المأمون قد ركب وركبت معه الفرسان وقد أسند ظهره إلى جبل يقال له جبل الرغل وكان من أسفله كثير الاشجار وليس فيه للخيل مجال ولا تقدر الفوارس فيه على قتال وكان ذلك من تدبير البطال ولولا ذلك المكان الحصين كان البطال أخذ المامون وسار فى جنح الليل ونجى الا انه أعجبه هذا المكان وعلم انه إن ترك هذا المكان وسار لحقته المواكب والكتايب فيهلكوه هو ومن معه من الرجال الاطايب فقال فى نفسه ما لنا مثل هذا الموضع الحصين (قال الراوى) وكان مع الامير ظالم من جملة العبيد ألف عبد كل واحد منهم اذا ترجل كان أفضل من ألف فارس ورجل وكان مع أبو الهزاهز سبعة آلاف أسود من كل بطل أنجد بالسيوف والعمد وصدور الزرد فلما أن ركبت الأميرة فى رجالها وعولت على قتالها وهجمت على عسكر الامير ظالم فتكابست الخيل ولم تجد سعة المجال وقد رموها عسكر الاميرظالم بالفرادات والاحجار والثقال فقاتلت الاميره ذات الهمه قتال شديد ما عليه من مزيد ونلقت تلك الاحجار والجلاميد إلا أن الأمير ظالم ومن معه كانوا فى ذلك اليوم رابحين والأميره ومن معها خاسرين لأن أعدائها عليها مرتفعين وعندهم الحجارة وهم آمنين لأنهم من خلفهم ليس لأحد عليهم عبور فلاجل ذلك تمت لهم هذه الامور (قال الراوى) ولم يزل القتال يعمل إلى أن ولى النهار وارتحل هنالك انفصلت الطائفتين عن القتال وقد ملت الخيل والرجال فنادت الاميره ذات الهمه وهى تقول والله لو كانوا هؤلاء القوم معنا فى سواء الأرض لكانوا فى يومنا هذا من الهالكين وكان يوم الانفصال ولما نزل الأمين ودارت به الجنود أقبلت عليه الأميره ذات الهمه وقالت له ياأمير المؤمنين ماأنا خائفه إلا أن يكون أخيك المأمون فى قلبه من ولدى الأمير عبد الوهاب شيئاً

فيقتله وينزل به العدم ولا ينفع بعد ذلك الندم فقال لها عقبة ما أظن ان المأمون يفعل به شيئا من ذلك لاسيما وولده ظالم عنده هنالك فقالت الأميرة والله يا أمير المؤمنين ان ظالم رجل مجنون ولا يفكر فى العواقب ولا يبالى بقتله لأجل حميته وحظ نفسه وان قتل أباه فما يقتله إلا من أجلك لأن ظالم يريد قتلك على عجل ومن حنقه يعجل قتله بالأمراء والأمير عبد الوهاب يرعى قلوب الخلفاء ويقول لعل وعسى اليوم أو غدا أبلغ المنى ويزول هذا الشقاق والعنا ونبقى فى هنا

تم الجزء الثلاثون ويليه الجزء الحادى والثلاثون

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الحادى والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلما سمع عقبة كلام الأميره للأمين قال حسب الظالمين رب العالمين اللهم اصلح فساد قلوب المؤمنين ووفق كلمة أولاد أمير المؤمنين وأنا أقسم أيضا أنى أكون للامير عبد الوهاب الفدا من نائبات الردا واننى أيتها الأميرة العابدة الزاهدة المجاهدة تعلمين ان كلما يقال عنى محال وهو من هذيان البطال ولكن فى بعض الأحيان تصدقيه فى المقال لأنكى معروفة بالصلاح والدين وتكونى غائبة فى زيارة الأولياء والصالحين وأكون أنا كذلك فلما تعودى تسمعى فى كلام البطال وتصدقى مايقول من المحال وترمونى من كلامه كل ساعة بالمصائب والأهوال فلا يحملكى الهوى على ركوب الأهوال وأنا ماأتكلم فى حقكم إلا بالخيرات وماتقبلوه من المجاهدين فاسئل الله يعطيكى ماتؤمليه من الدين والوفاء ولو كان الأمر كما يقول البطال وخدمت أنا هذا المولى وصرت عنده من الدوله لكان يترك عنده هذا المرام لأجل هذا الإمام ولايجد من أحد منكم ولا من غيركم كلام (قال الراوى) فلما أن سمعت الأمير من عقبة ذلك الكلام استحت من الأمين ورجعت فى الكلام وقالت ياعقبة صدقت وأنا أعلم دينك فما يحتاج أن تصف لى نفسك فقال لها صدق الله قولك فتبسمت ثم التفتت إلى الامام وقالت يامولانا أنا أعلم أن هذا الموضع الذى تحصنوا فيه هؤلاء الأقوام موضع لايرام ومالنا عليه من سبيل إلا بالحصار والمضايقه عليه من جميع الأقطار ونطاولهم الى أن يقل من عندهم الزاد ونأخذهم قبضا باليد ويزول الغرر والنكد وإن لم تفعل ذلك فمالنا عليهم من طريق ولا لنا اليهم من ذلك المكان تسليق فقال لها الأمين افعلى ماتريدين فالأمر فى ذلك اليكى وزمام العسكر كله فى

يديكى فعند ذلك أمرت العساكر أن تدور من حولهم لئلا يهربوا فى ظلام الديجور ففعلوا ما أرادت الأميره من تلك الأمور وقد فرح الأمين بذلك لأنه يقول كل محاصر مقهور (ياساده) واضرمت النيران إلى الصباح وركبت الفرسان يطلبون الحرب والكفاح ووقع القتال والحصار بطول ذلك النهار إلى أن أقبل الليل بظلام الاعتكار وعادوا عن القتال ولم ينالوا منال (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك الحال عشرة أيام وعشرة ليال فضجر المأمون من ذلك وضاق صدره وتحير فى أمره وقل من عندهم الزاد وقال للبطال ياأبو محمد ان مابقى لنا صبر على القتال فهل لك أن تعول بناعلى الانهزام تحت غيهب الظلام فقال له البطال ياإمام امهلنى ثلاثة أيام أخر فانى فى هذه الأيام ماقدرت أن أعمل عملا فى هذه الليالى الماضية لانهم كانوا على يقظه من أمرهم والآن فقد اطمأنوا فلعلى أن آخذ فى أحد الثلاثة أيام اما ذات الهمة أو الأمين أورجل آخر فقال المأمون ومن هو ذلك فقال له يامولانا ماهو ممن تخافه ولاتحذر منه فظن المأمون أنه أبو الزيبق وكان البطال قد أعنى بهذا عقبة إلاأن المأمون أجابه وأقام تحت الانتظار فلما أقبل الليل خرج البطال وحده حتى يخفى أمره وسار إلى أن وصل إلى عسكر الأمين ودخل بينهم ولم يزل يتجسس إلى أن دخل على الأمين فى سرادقه ووقف بين أرباب دولته فوجد الأمين فى تلك الساعة قد أحضر عقبة وأبو الزيبق وطلب منهم المعونة وعقبة يقول لابو الزيبق أنت قد وعدتنا انك تخلص الامير عبد الوهاب ومن معه من الرجال وتسرق أبو محمد البطال فقال نعم وأناقادر على ذلك المقال فقال له الأمين نحن نريد أن تنجز ماوعدت وتفعل ماذكرت ولك علينا كلما أردت فقال عقال سمعا وطاعة الليله أفعل ذلك بسعادة أمير المؤمنين وبركة القاضى عقبة ثم انه أقام عندهم إلى أن أغلق الظلام وسار من عندهم إلى أن دخل عسكر المأمون وكان مسيره قبل أن يطلع البطال على أموره إلا أن أبو الزيبق تزيا بزى الملثمة وقد اشتمل بالايزار مع أربع جواز وسار ودخل من خلف العسكر حتى لاينكر عليه أحد ثم انه طلب مكان البطال فلم يجده بل وجد غلمانه فى حديثه وهم يقولون الله تعالى يهون ويستر عليك ياأبو محمد من الأعداء الذين مضيت إليهم لأن عندهم شيطانين وهم أبو الزيبق وعقبة ولقد عرضنا عليه أنفسنا فأبى وما سار إلا وحده ولم يسمع من أحدنا (قال الراوى) فلما ان سمع أبو الزيبق من غلمان البطال ذلك المقال قال أحسنت الذى جئت أنا فى طلبه مضى هو فى طلبى والذى أتيت أنا أعمله سار هو يعمله وان لم أتبعه على عجل فقد بلغ الأمل وتمكن فى غيابى وفعل مثل فعله الأول ثم أن الملعون رجع طالب عسكر الأمين ولم يجسر أن يحرك ساكن (ياسادة) وكان البطال لما أن دخل فى

عسكر الأمين وجد المجلس على حاله والكل فى حديثه وحديث أبو الزيبق وعقبة يقول ما يجىء صاحبنا إلا بأحد الثلاثة أما ظالم واما المأمون وأما البطال فلما سمع ذلك أبو محمد رجع على عقبيه وخاف على المأمون ولم يزل سائر إلى أن أتى إلى نصف الطريق ونزل فى وادى متواطى يقال له وادى السيل فتلاقوا الاثنين فى ذلك المكان فلما رآه البطال زعق عليه وقال له من أنت وقد عرفه فقال له أنا أبو الزيبق فمن أنت يا أنجس من تزندق فقال له ياويلك يانسل الأندال أنا أبو محمد البطال فمن اين أتيت فقال له من عسكر المأمون فمن اين أتيت أنت يازربون فقال له والله ان لم تحسن المقال أنزلت بك الخيال ياويلك أنا جئت من عسكر الأمين فقال أبو الزيبق أنا ماجئت إلا لخدمتك ولكن ما وجدتك ولا وجدت لك فى العسكر خبر قعدت إلى حضرتك على الأثر فقال له البطال وكذلك أنا لأن النسخة التى كتبتها لى أنت قرأتها ولكن الساعة ما بق غير حكم للسرقة واللصوصية وما بق غير الحرب والقتال ويعطى الله النصر لمن يشاء ثم قال أريد أسألك عن شىء وأصدقنى فى المقال فقال له أبو الزيبق قل مابدالك وأنا أجيب سؤالك فقال له أريد منك ان تحدثنى ما سبب مقامك فى عسكر الأمين وأنا أعرف إنك من العرب المتنصرة فقال أبو الزيبق ويلك يابطال أنت ما تعلم إننا كنا غلمان الشيخ النجيح وكل شىء أمرنا به ما نخالفه فيه ونمثله ونقضيه فقال له البطال اعلم أن العاقل له بصيرة بخصمه وإنى أعلم انى ما أنا من رجالك فى الحرب ولا أخاطر بروحى معك فى طعن ولا ضرب وأنا أسلم إليك روحى بسلام من غير قتال ولا صدام فخذنى وسر بى إلى الأميرة لانى أعلم أن الاميرة ذات الهمة ما دامت عنده فهى لا تمكنه من قتلى ولاسيما وولدها الأمير عبد الوهاب عندى لكن هل لك أن تبيعنى روحى وأنا أدفع اليك أضعاف مايصل اليك من الامين فقال له أبو الزيبق وقد ضحك ياأبو محمد ماأنا ممن يصغى إلى هذيانك ويسمع من شقشقة لسانك وينطلى عليه زورك ومحالك أتريد انى أستأمن اليك وتغتالنى ببعض الخناجر التى قد أفنيت بها كثيرا من الملوك والأكابر والأمم فقال له البطال معلوم لأنى إذا سرت فى ظلام الديجور على نية السرقة فما أحمل غير السيف كما ترى وأنا أرمى سيفى ودرقتى بين يديك والأمر بعد ذلك كله اليك فقال أبو الزيبق لاتطيل واعلم ان هذا مايدخل فى أذنى فوالله ماأنت فى هذا الوقت الاخزانةسلاح فلا بارك المسيح فى عمرك (قال الراوى) فلما سمع البطال من أبو الزيبق ذلك الكلام علم انه رجل لاينخدع ولا يلين لأنه من القوم اللئام فعند ذلك امتضى سيفهما والتقيا فى تلك الساعة واعتمدا بعد اللصوصية على الشجاعة هذا وكل واحد منهم

يريد أن يحمل صاحبه سالم حتى يحظى عند قومه بالثناء والمكارم فجعلا يتضاربان بالسيوف صفح وصار البطال يخادعة ساعه ويقارعه ساعة إلى أن تعب من حربه فعند ذلك ضحك وقال أحسنت يالؤلؤ حط من معك ودونك وهذا الكلب الذى يستحق غضب الرب فلما سمع أبو الزيبق من البطال ذلك الكلام ظن ان كلامه حق وان بعض غلمانه قد وصل اليه فالتفت ينظر إلى من وراءه حتى انه يتأهب إلى لقاءه فهجم عليه البطال وضربه بالسيف كفح لاصفح فكانت ضربة واصله فوقعت فى كتفه فغاص السيف فى بدنه ووقع إلى الأرض فوثب أبو محمد على صدره وشده كتاف قوى منه السواعد والأطراف وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وشاله على أكتافه وسار به إلى عسكر المأمون ودخل عليه وأرماه بين يديه وكان المأمون فى تلك الليلة لم ينام بل هو والامير ظالم وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز فى حديث البطال وما يريد ان يفعل من الفعال وما يتم له من الأعمال والمأمون يقول أنا ما أخاف على أبو محمد إلا من أبو الزيبق ان يظفر به فى نوبة خطيرة وان سلم منه فما أخاف عليه من أحد غيره (قال الراوى) فبينماهم فى ذلك الكلام وإذا هم بالامير أبو محمد البطال الهمام قد دخل عليهم وأبدا السلام ورمى أبو الزيبق عن أكتافه كاد أن يرض منه العظام وقال لظالم دونك أيها الفارس الضرغام وهذا النحس ابن اللئام ولما عرفه الإمام أبدا الابتسام وقال له ياأبو محمد كيف قدرت على هذا الشيطان الذى لايرام فأعاد عليه القصة وما جرى له معه فى جنح الظلام فتعجبوا من ذلك غاية العجب فقال ظالم مافى حياة هذا الملعون خير ولا يحصل منه فائدة ثم أقعده الأمير ظالم ووبخه على فعاله وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى سقر وبئس المستقر (قال الراوى) وبعد ذلك عزم البطال على رجوعه إلى عسكر الامين وقد أمن على نفسه من منصوبات أبو الزيبق ومكايده وقد أخذ غلمانه معه فى تلك المره خوفا من الوقوع فى المضرة الا أنه ماغاب إلا شىء يسير وعاد هو وغلمانه وقت السحر وهم يحملون الاميرة ذات الهمة وهى مثل الخشبة لم تتحرك فلما رآها المأمون زاد عجبه (ياسادة) وكان السبب فى أخذها مقبل غلام الامير عبد الوهاب الذى هو محب لابو محمد البطال لانه فعل بها مثل مافعل بالامير عبد الوهاب من الفعال لان البطال لما قتل أبا الزيبق أخذ غلمانه وسار إلى عسكر الامين ما كان له غير مقبل أتى اليه وسلم عليه وأعلمه بقتل أبى الزيبق ففرح وقال له يا أبا محمد وما الذى تريد بعد ذلك فقال له أريد الاميرة ذات الهمة حتى تنفصل هذه النوبة المبرمة ثم انه أعطاه من ذلك الدواء فأخذه منه ووضعه لها فى الماء فلما شربت منه أقبلت فانقض

عليها أبو محمد وأخذوها غلمانه وعاد فى عاجل الحال الى ان دخل على المأمون وقال له هاهى الاميرة ذات الهمة ففرح عند ذلك المأمون وقال مثلك يا أبو محمد فى هذا الزمان لايكون لانه علم ان بعد فقد الاميرة لم يكن فى بنى كلاب من له كلمة مسموعة وكذلك السودان بعد عبدالوهاب لم يضربوا فى وجه الاميرة ظالم وسيف الحنيفية بسيف (قال الراوى) ياسادة ولما ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام من عسكر الامين الصياح وكان فى خيام بنى كلاب فسأل الامين عن هذه الاسباب فقيل له ان الاميرة ذات الهمة قد عدمت فى فى تلك الليلة فعظم عليه وكبر لديه فهو كذلك وإذا قد وصل اليه الخبر بقتل أبو الزيبق فزاد به الخطر ولم يكن له ذلك الوقت مصطبر دون ان أمر العساكر بالركوب والزحف على الاعداء ففعلوا ذلك وزحفوا اليهم وعولوا على قتالهم عند ذلك ركب الامير ظالم فى عساكره وصاح يا آل كلاب يا آل كلاب عند ذلك أجابته بنى كلاب عن بكرة أبيهم وكانوا ستين ألف عنان وقالوا جميعهم لبيك يا أميرنا وابن أميرنا وانتقلوا من عسكر الامين إلى عسكر المأمون هذا وقد صاح أيضاً أبو الهزاهز يا آل حام يالون الظلام فأجابته السودان عن بكرة أبيهم من كل مكان وقصدوا اليه واختلطوا ببنى كلاب ومن معه عن السودان الانجاب وعادوا كما كانوا أحباب (قال الراوى) فصار الأمير ظالم فى عالم عظيم بعدد التراب وقطر السحاب وصدم بهم عسكر الأمين فكسره أعظم كسره هذا وقد عمل السيف فى أقفية عسكر الأمين وسمع للسيف رنين وفى الأوداج طنين لأنهم لما رأوا الى تلك الأحوال والأمور الكبار ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وتفرقوا فى السهول والأوعار فغنم الأمير ظالم أموالهم ورجالهم وفرح المأمون بذلك وقال للحسن بن طاهر والأمير ظالم ألا اطلبوا أخى قبل أن يصل إلى العراق فركبوا وساروا خلفه ودخلوا إلى النهروان هذا وقد تخلف المأمون مع الثقل وأقام لهم فى الانتظار وقد تركوا عنده عشرة آلاف فارس وكان ذلك بتدبير الحسن بن طاهر لأنه قال له أقم أنت ههنا لحفظ الثقل والمال الى أن نعود عسى أن نظفر به وننال المقصود لأنى أعلم أن ما تتم لك الخلافه ما دام هو فى قيد الحياة وان أمرتنى بقتله قتلته ودفعت اليك رأسه ولا يكون على ملام فقال له المأمون أنه قتل أولادى وقد وجب قتله فان لم تقدر على أسره فلا تعود الا ورأسه فى حزامك ليهدأ قلبى وتنال مرامك (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما كان) من الأمين فانه لما انهزم من قدام ظالم ما زال فى هزيمته حتى وصل الى النهروان فوقف وقد وقفت معه العساكر لما ان انقطع عنهم الطلب ولما علموا به أهل السواد أقبلوا عليه من جميع الوهاد وخرجت باقى العساكر

من بغداد فقوى بهم عزمه وعول على لقاء أخيه مرة أخرى وكان من جملة من وصل إليه فارس يقال له القاسم بن بكرون الكردى فى ثلاثين ألف فارس وكان رجلا عظيم صبور على الأهوال والكرب يقول الشعر ويباهى العرب وكان فى بعض السنين قد وصل إلى ملطية مع الرشيد وتطاعن هو والأمـــير عبد الوهاب على وجه اللعب فى الميدان فلم يجد أحدا منهمـا موضع للطعنة من صاحبه وانفصلوا على سلامه ولمـا ان قدم فى هذه الأيام على الأمـــين قال له طب نفسا وقرعينا فأنا اقسم بالنبى العربى واصحابه لما تركت ظالم بين يديك الا مقطع بالحسام وأنا الذى أسلم اليك المـأمون والسلام (قال الراوى) وكان هذا الكــردى يرى فى الأمين شيئاً عظيما ويكره المأمون وسبب بغضه له أنه كان يحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا الملعون يكــره ذلك ويقول ان الامامة انقطعت من بعد عثمان بن عفان رضى الله عنه وان عليا رضى الله عنه لم يكن يستحقها ولما ان سمع بابن عبد الوهاب الامير ظالم أنه يريد الامامة للمأمون دون الامين قال الآن طاب قتله ثم انه بات تلك الليلة وهو مسرور هذا ولم يبق أحد من العربان الا وقد خرج من بلاده وأتى يطلب القتال (قال الراوى) ولما ان وصل الحسن بن طاهر نزل فى مقابلة عسكر الامين وقد دقت الكؤسات ونعرت البوقات ونشرت الرايات وبات الآخر فى ذلك المكان الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الابطال من الجانبين على ظهور الجرد القداح واصطفوا يطلبون الحرب والكفاح فتقدم القاسم الكردى الى بين يدى الامين وقال يا أمير المؤمنين أنا أريد أن أقاتل فى هذا اليوم أعداك وأبلغك منهم مناك فشكره وأثنى عليه وأوعده أن يعطيه ما يشتهيه وخلع عليه خلعة سنيه وامره يتقدم للقتال فركبت الاقيام واصطفت الابطال وجردت النصال وركب الامين فيمن معه من الابطال هذا وقد ركب أيضا الحسن بن طـــاهر وفعل مثل هذه الفعال وخلع على الرجال وبذل الاموال وكان رجلا عظيما مهابا بذولا وهابا وصف العساكر والدساكر والاكراد فى مقابلة عسكر الامين وأرادوا الحملة من الشمال واليمين الا أن عسكر الاكراد لم يصبروا الى أن تعتدل الصفوف بل حملوا وعلى القتال عدلوا وانطبقوا على عساكر الحسن ابن طاهر فتلقتهم الابطال من بنى كلاب والسودان الانجاب وجودوا الطعان والضراب فكان يوما من أيام الدهور الدوائر وتفطرت فيه المرائر وعاد الشجاع رابح والجبان حائر وهو من هول ماعاين فى ذلك اليوم خاسرا وهذا مسكور وهذا كاسر وهذا دمه من جراحه فائر وهذا جواده قد خرج من المعمعه غائر وهذا خطفت مقل عينيه النسور الكواسر وهذا بدنه عن رأسه طائر وهذا قصمت ظهره البواتر (قال

الراوى) وكان الأمير ظالم قد وصل اليه حديث هذا الكردى المسمى بالقاسم وما ضمن للامين فى مقام القتال والتلاحم من جواسيس البطال فقال ظالم وأنا أقسم بالامام الانزع والبطل الأورع والفارس الصميدع الذى ماداخله قط فزع ان كان لابد لى ما أنكله غاية النكال وأعدمه نفسه وأرمل بعده عرسه ومن هو هذا الكلب الملعون حتى يتعرض لذكر الإمام على رضى الله عنه وأنه لا ينال الشفاعه الا من أحب الجماعه وان كان هذا باغضا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد مرق من الدين وخرج عن اجماع المسلمين لان سائر الطوائف قد اجتمعت على حب على رضى الله عنه وقد روى أنه لما التقى الوليد ابن المغيره بعلى كرم الله وجهه وكان الوليد يمشى مرحا فقال له الامام على كرم الله وجهه أقصر عن هذه المشية واترك الإعجاب فقال له الوليد وكيف لا أكون معجبا وأنا أطول منك سنانا وأمضى منك حساما (قال) فلما أن سمع طاهر بن الحسن ذلك الكلام من الأمير ظالم وكان محبا للامام فقال له ياأمير ظالم ومن أين سمعت هذا الخبر قال سمعته فى بغداد وكان الحسن ابن طاهر يحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل الأمير ظالم على الخيل العتاق ونذر أن يتصدق بألف دينار إذا هو وصل إلى العراق (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أن الأمير ظالم جعل يخترق القوم ويفرق الصفوف والعساكر ويجندل الأكابر والصغائر ومراده أن يقع بالقاسم الكردى فى المعمه فما التقاه وأحالت العساكر بينه وبين لقاه ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أقبل الليل بظلامه وانسدل ونادى المنادى بالانفصال وافترقت الطائفتين عن القتال ولما نظر الأمين ماوقع فى ذلك اليوم من الحرب تعجب وأمر بحصر من قتل فى ذلك اليوم من الاكراد والعرب ففعلوا ذلك فلم يقدروا لأنهم رأوهم خلق كثير فى عدد التراب وقطر السحاب وحمت بهم الاوصاب وكانت السودان فى ذلك اليوم قد صبرت على الحرب وكذلك بنى كلاب ولما نزلوا وأكلوا الزاد وتحادثوا فى مالقيوا فى ذلك اليوم من المصاب فما كان لهم حديث إلا فى أصحاب القاسم وصبرهم فى ذلك اليوم على ضرب الصوارم وقطع الجماجم وبرى المعاصم فقال لهم ظالم والله يابنى الاكارم ماثباتهم إلا بذلك الظالم القاسم وانى طلبته فضاع منى بين المواكب ولكن فى غد أنا أطلب القتال وأدعوه للبراز والنزول وأجعله معه يوم الانفصال فشكره الحسن نائب المامون على ذلك المقال وكان الامين ومن معه من الرجال لما رجعوا من الحرب والقتال أخذوا يتذاكرون فيما لقيوا من السودان وبنى كلاب الاقيال فاقبل القاسم على الامين وقال له يا أمير المؤمنين لقد طلبت اليوم ملاقاة ظالم ولد عبد الوهاب البطل المصادم أو مقدم السودان الضراغم فما اجتمعت بأحد منهم من كثرة العالم ولكنى فى غداة أنا أخرج

إلى البراز وترى مايكون من الانجاز (قال) فلما أن سمع الأمين من القاسم ذلك الكلام أخلع عليه وأوعده بأن يعطيه الموصل وأعمالها إلى أبواب الرحبة ففرح بذلك واستبشرت الاكراد وفرحت بأقطاعها والبلاد التى أقطعها لهم الأمين وسكنهم فى البلاد والحصون لأن الاكراد ما سكنهم إلا الجبال والآفاق دون الحصون والرستاق ولما أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قال الأمير ظالم للحسن بن طاهر ياأمير امسك العسكر فانى قد عولت فى هذا اليوم على براز هذا الرجل الكردى الذى يدعى الدعاوى ويزعم أنه لعلى بن أبى طالب مناوى فلما سمع الحسن من ظالم ذلك الكلام قال له من الاشفاق عليه أيها الأمير لا تكن مبادرا إلى هذه الأمور فان الدهر غرور والمخاطرة لاتحمد عواقبها لأن هذا الرجل ما ادعى فى حضرة الأمين بالحرب إلا وهو يعلم أنه بها ملى والرأى عندى أن تصبر عليه حتى يخرج إلى الميدان ويطلب براز الاقران فاذا صار فى محل الجولان مايخفى عليك حاله وتجرب حربه وقتاله فعند ذلك تخرج إليه على بصيره فعلم الأمير ظالم أن قوله حقا وكلامه صدقا (ياسادة) هذا وقد اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف واهتزت السيوف وصهلت الخيول من تحت الفرسان وتقدمت الأبطال والشجعان واعتد الفريقان ونادى منادى الغيب سبحان الملك الديان وإذا بالاكراد قد ماجت وصاحت بلغاتها وبربرت وفتح بينهم زقاق فبهت الأمير ظالم ومن معه من الرفاق وإذا بفارس قد خرج من بينهم على جواد أبلق كثير السباق له قوائم رقاق صنعة الملك الخلاق لايشكو مللا ولا تعب مشيه خبب وجريه عجب طويل الذوائب صاحبه آمن من المصائب الرياح فى قوائمه والبرق فى دعائمه والجنوب فى شكائمه وهو منية من طلب وشهوة من ركب كما قال فيه بعض واصفيه .

كانه مثل المنايا سرعة * أو غضب الله أتى بلا مهل
صهيله يطرب من يسمعه * كانه اسحاق إذا غنا صهل
معتدل الأعطف فى وثبته * يسابق الغيث إذا الغيث همل

(قال الراوى) وفى كفه سيف صقيل بتار قاطع للاعمار يأخذ بالأبصار معتقل برمح طويل غليظ نبيل عليه سنان كانه القنديل ولما نظرت الناس إلى ذلك الفارس عظموه وهابوه لأنه كان منتصب فى سرجه كانه عامود حديد وعليه الزرد النضيد ولما صار بين الصفين وقف واشتهر بين الفريقين ونادى ياأبطال بنى كلاب وياشجعان السودان الانجاب من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى فما بى خفا أنا القاسم بن بكرون الكردى أمير الاكراد ومبيد الابطال يوم

الجلاد فاتركوا عنكم هذا العناد فانى قد ضمنت للأمام الامين ان أصلح هذا الفساد وان أبيتم فما بيننا إلا الحرب والجلاد فدونكم ومقام الطراد ثم أنه صال وجال وترنم فى حومة المجال وأنشد وجعل يقول

أيا سادة الابطال من آل عامر بلوغ الامانى فى حدود البواتر
أنا قاسم الهامات تحت عجاجها ومشهر سيفى فى الأمور الكبائر
وإنى محب للأمين لانه يقول مقال الطيبين القياصر
ولا أشتهى يعطى الخلافة غيره وتدفن أعداه ببطن الحفائر
ولاسيا المأمون من كانت أمه تعد من السودان بين العواهر
ولا بغضتى إياه إلا لانه يحب عليا بين باد وحاضر
وما بعد عثمان بن عفان رابع وهذا اعتقادى يوم تبلى السرائر

(قال الراوى) إلا أنه ماتم كلامه حتى خرج إليه فارس من أهل الكوفة وكان فارسا شجاعا وقرما مناعا إلا أنه كان شيخ كبير فانى وكان حافظا لكتاب الله تعالى والسبع المثانى وقد عبر عليه من العمر تسعين عام إلا أنه ماتغيرت شجاعته فى مقام الصدام ولما ان صار معه فى الميدان وقاربه فى محل الجولان نادى به قاسم الكردى ياويلك ما تكون من عساكر المأمون فقال له أنا خندق الفارس المصون بل الويل لك ياابن بكرون سوف ترى ما يحل بك من الغبون إذ كنت باغضا لابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياعلى ما أحبك إلا مؤمن تقى وما سخطك إلا منافق شقى فقال أبو القاسم من أين تكون ياشيخ فقال له من الكوفة فضحك الكردى حتى استلقى على ظهر الجواد وقال له ويلك أنت من البلدة التى خرج الماء منها حتى أهلك جميع العباد وهو الطوفان وبعد ذلك خرجت إلى قتالى ياقرنان وأنت شيخ كبير مهان ولكنى على قتل مثلك لهفان (قال الراوى) ثم أنه حمل عليه وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنة وأمطرت عليه سحائب الرحمة والمنه ثم أنه صال وجال وطلب البراز والنزال فبرز إليه ابن الشيخ خندق وسار إلى أن وصل إلى عند أبيه ونظر إليه وهو يشير بيديه فعلم أن الروح فيه فقال للقاسم أعلم أن أبى فى حياض الموت فهل لك أن تصبر على حتى أودعه وأعود إليك فقال القاسم افعل فانى لم أعترضك حتى تركب جوادك فلما سمع ذلك نزل وأتى إلى عند أبيه فوجده على آخر نفس فبكا عليه وصاح فقال له يابنى لاتبكى فانى قد رأيت فى هذه الساعة الإمام على كرم الله وجهه وهو

يقول لى أبشر فو الله لاخلصنك يوم القيامة (قال الراوى) فلما سمع ولده منه ذلك وثب وهو يبكى ويقول للقاسم ابشر بالعذاب فان أبى فى الجنة فلما سمع القاسم ذلك منه غضب ولم يمهله دون ان طعنه قبل ان يركب فى جانبه الأيمن طلع السنان من الجانب الأيسر وطلب البراز فهم ظالم أن يبرز اليه فمنعه أبو الهزاهز وخرج اليه وهو على جواد هائل وفى كفه حسام ناصل فوجده منتظرة وهو يقول

إنى أنا القاسم قسام القمم — مسود الحدة مبيض الشيم
وقد ألفت الحرب فى عمل الفطم — ولقد لقيت الترك أيضا والعجم

(قال الراوى) فوقع الحديد على الحديد وقاتل كل جبار عنيد وبهت كل شجاع صنديد وتصادما تصادم الجبال وهاجا مثل ما يهيج الجمال وأخذا فى الكر والفر والصد والرد والعراك و الاشتباك وهمهما بعد ذلك ودمدما وصاحا وزمجرا وكان ذلك اليوم عليهما أطول من سنة لأجل مالقيا من المضاربة والمطاعنة وقد التف كل واحد منهما بصاحبه واحترز من وقع مضاربه حتى امتدت لهما الأعناق وقام الحرب بينهما على قدم وساق وجرى العرق وازورت الحدق واشتد القلق وعادت كل طائفة تدعوا لصاحبها بالنصر على خصمه (قال الراوى) ولم يزل الحرب بينهما على ذلك العيار يطول ذلك النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار ولم يرزق أحد منهما على صاحبه انتصار فقال أبو الهزاهز لقد كنت أرى كل فارس أجالده تضعف فى آخر النهار منه اوصال ويلحقه الكلال والملال إلا هذا الشيطان فانى رأيته كلما طال عليه الحرب ازداد قوة ونشاط وشدة وانبساط ولما ان ولى النهار واظلمت الأقطار نادى منادى الفريقان بالانفصال فرجع كل واحد منهما عن صاحبه ووقف ينظر إليه شذرا ويرمقه حذرا فقال أبو الهزاهز لخصمه يا قاسم إن أردت الإنصراف فافعل وان كنت تريد المقام فترجل وأنزل عن جوادك فى هذا المقام وأنا أفعل كذلك ونقيم فى هذا المكان إلى غداة غد نعود على ما كنا عليه من الطعان (قال الراوى) فلما أن سمع القاسم من أبو الهزاهز ذلك المقال ضحك من قوله وقال له أقسم بعظيم الايمان انى قد رأيت عبد الوهاب وقاتلته فما رأيت فيه من الشجاعه مثل مارأيته منك وقد عجبت من ثباتك على سرجك وشدة فخذك على جوادك لأنه قد انحل حزامه من منذ ساعتين وأنا أقول الساعة يقطع الارض وآخذه أسير وأنت من شدة فخذك على ظهره لم تسقط وهذا شىء مايقدر عليه احدا غيرك فلما أن سمع أبو الهزاهز منه ذلك الكلام ظن ان قوله حق فقال الحمد لله الذى أعلمتنى بذلك والا فما كنت أحس بروحى إلا وأنا على وجه الارض

(ياسادة) وكان ابوا الهزاهز مع شجاعته معه بلادة الحبشه وهو ناقص العقل على كل حال فطأطأ وهو مثل الفيل الاسود لينظر إلى حزام فرسه فانقض عليه القاسم مثل العتاب وطعنه فجاءت الطعنة فى فخذه فخرقته ودخلت من فخذه إلى جنب الحصان مرقت من الجانب الآخر ولو كانت الطعنة عاليه لكان عجل عليه ولكن كان أجله باقى فعند ذلك وقع الجواد إلى الارض وأبو الهزاهز معه وهو غائب عن الوجود ولما ان صار على وجه الارض وهو مخبط مع الجواد لايقدر يخلص نفسه فانقض عليه خصمه القاسم أسرع من البرق فأخذه أسير بعد أن خلصه من الجواد وقاده ذليل حقير ورفعه ومضى به إلى الأمين ففرح به فرحا عظيم ونظر إلى أبو الهزاهز وهو مجروح وكانه جسد بلا روح (قال الراوى) ولما أن صار أبو الهزاهز قدام الامين وبخه بالكلام وقال له ويلك وبلغ من قدرك أن تضرب فى وجهى بالحسام وتشاقق الامام فلم يرد عليه جواب لأنه غائب عن الصواب ثم أن الامين أمر بضرب رقبته فقالوا له أرباب دولته يا أمير المؤمنين مهل عليه إلى غداة غد حتى اننا ننظر مايكون من أمرنا مع غيره وأنت قادر بعد ذلك على قتله فلم يلوى عليهم وقد وثب الامين بروحه وجذب حسامه وجعل يضربه به حتى ظن انه قضى عليه وكانت المضارب كلها فى غير المقاتل بإذن الله خالق العباد وجاعل الجباله أوتاد ولما أن فعل به الآمين هذه الفعال أمر أن يرمى خارج السرداق فشالوه وقد ظنوا انه شرب كاس الحمام وأرموه بظاهر الخيام (قال الراوى) وكان لؤلؤ غلام أبو محمد البطال فى عسكر الأمين وقد شاهد تلك الأمور فى هذه النوبه فصبر حتى نامت العيون وأتى اليه فرآه وهو ملقى على ظهره والكلاب تحوم من حواليه وهو يعبث بيديه ورجليه فدنا منه وجلس عنده وطرد الكلاب عنه ووضع يده على جسده وجس فؤاده فرأى الروح فيه والنفس يطلع وينزل فلفه فى كساء أسود كان اللؤلؤ ملتفا به كبعض عرب الحجاز وحمله وسار به الى عسكر الأمير ظالم وجعله قدامه فلما نظرت اليه السودان وأمراء الحبشان صاحوا واق واق ماهذا المصاب والله لاتركنا من العرب إنسان ولا من الأكراد فرسان ثم انهم بكوا عليه ونتفوا شعورهم وهلبوا خيولهم وكثر ويلهم وثبورهم هذا وقد تقدم اليه البطال وشال عنه ذلك الكساء وجسه بيده فوجد الروح فيه تتردد وعروقه تضرب فعلم انه فى قيد الحياة فجعل يعصب مايحتاج اليه التعصيب ويدهن بالمراهم ما يحتاج الى الدهان وقطب ما يحتاج إلى التقطيب وسقاه بعد ذلك من الشراب الذى يعرفه ففتح عينيه وعادت روحه اليه هذا وقد بات الأمير ظالم فى غم عظيم وحنق على الأمين وعلى

ذلك القاسم الكردى المهين هذا والسودان تضج بالبكاء والنحيب وأبو محمد يسليهم ويسكتهم إلى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الأبطال على ظهور الجرد القداح وتقلدوا بالصفاح واعتدوا بالرماح ولما ان تكاملت المواكب كان أول من برز إلى مقام الحرب والكفاح الأمير ظالم وهو كأنه الأسد المهاجم وقد اسودت الدنيا فى عينيه لأجل ماتم على أبو الهزاهز لأنه كان يعز عليه ولما ان صار بين الصفوف نادى لايخرج إلى إلا الرجل الكردى المعروف المسمى بقاسم فانى أنا الأمير ظالم فلاق الجماجم ومطير البراجم ثم انه أنشد يقول :

سيعلم ذا قاسم بأنى أبيده ... إذا ما التقينا فى مقام المعارك
وآخذ تارى من غشوم معاند ... وأتركه شلوا صريع السنابك
فدونك واقصدنى وكن ذو حمية ... إذا جالت الفرسان عند التشابك

(قال الراوى) ولما ان فرغ الأمير ظالم من شعره خرج اليه قاسم الكردى وعليه خلعة الأمين ولامة حرب تسوى عشرة آلاف دينار وحمل على الأمير ظالم من غير نظيم ولا نثار وأطبق عليه بفؤاد قوى وجنان جرى وتضاربا وتحاربا وتشابكا وتلاصقا وقد ملىء غيظا وحنقا وسمعت أصوات الصوارم مثل المطارق إذا وقعت على السنادين وتعاركا عراك من له على صاحبه دين وقد طلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ولم زالا على ذلك العيار إلى ان تضاحا النهار ولم يصل أحدهما إلى الآخر وتعجبت من قتالهم كل من حضر فقال الأمير ظالم عمرى ما رأيت أحسن احتراز منه هذا والكردى حمل على الأمير ظالم بعد أن افترقا للراحة ساعة وقد أشار القاسم يقول

أياظالما وافا لحربك قاسم ... وفىٌّ كمىٌّ ماضى العزم حازم
شجاع همام قسورى صميدع ... تعود ضرب الهام يوم التزاحم
وحقك لو لاقينا عمرا وعنترا ... لما سلموا منى ولا عاد سالم
وماأنت عندى من رجال أعدهم ... ولكن مثلك فى عداد البهائم
سأسقيك والمأمون بعدك سرعة ... كؤس المنايا من حدود الصوارم
وأرديكما تحت الغبار تنوشكم ... من الجوعقبان النسور القشاعم

(قال الراوى) فلما أن سمع الأمير ظالم منه ذلك الشعر والنظام صارت عيناه مثل أجاج الدم أو قطع العندم وحمل عليه بقلب قوى وجنان جرى وتضاربا وتطاعنا ساعة من الزمان وبعد ذلك اختلف بينهما طعنتين قاطعتين فاما طعنة قاسم الكردى فانها وقعت فى صدر

جواد ظالم أخرقت جوفه وأما طعنة ظالم فانها وقعت فى صدر قاسم الكردى خرج السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد ووقع إلى الأرض والمهاد وهو يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه هذا وقد صاح الأمير ظالم فى أصحابه وقال لهم احملوا بارك الله فيكم واعلموا أنها حملة الانفصال فعند ذلك حملت بنى كلاب والسودان الانجاب هذاوقد نظرت الاكراد إلى سيدها قتيل فلم تجد صبر دون أن حملت على الأمير ظالم وبربرت بلغاتها ونظر الأمين إلى ذلك فزاد به الخبل وأمر باقى العساكر بالحملة فحملت وحكمت الصوارم فجارت وماعدلت وتعلقت الرجال بالرجال واشتد الحرب والقتال وزاد الزلزال وتقهقر الجبان وفر المهان وتقدم الشجاع وطعن الفرسان وكان يومهم يوم عسير أصبح شره مستطير وثار الغبار وقل الاصطبار وحارت الأفكار (قال الراوى) لهذه الأخبار فبينماهم فى أشد ما يكون من القتال والحرب والنزال وإذا بمنادى ينادى من تحت الغبار إلا وأن الأمين قد قتل ومضى كانه ماكان وهذه رأسه على ذلك فدونكم يابنى كلاب وأعدامكم اللئام افلقوا منهم الهام وافعلوا فعل الكرام (قال الراوى) وكان السبب فى قتله الأمين كلام عجيب وأمر غريب وذلك أنه كان له غلام يقال له روزبى وكان جميل الصورة بهى المنظر وكان الأمين يحبه محبة زائدة وكان الغلام يحب سرية من سرارى الأمين وقد تم له معها وقائع فبلغ الأمين من بعض الجوار بذلك فلم يزل يتجسس إلى أن نظر ذلك فقتل الجارية ومن محبته فى الغلام ابقاه وكان الغلام محبا لهذه الجارية وامق بها ولما أن قتلها الأمين حزن عليها فعول على قتل مولاه ولم يزل ينتهز الفرص حتى أتت عليه هذه الأحكام ووقع القتال بينه وبين أخيه المأمون فصبر ذلك الغلام إلى أن جرى من الامر ماجرى ونظر إلى العسكر وقد أبعدت عنه واختلطت بعضها ببعض وقد اشتغل كل واحد بنفسه وقد بقى الامين واقف وليس عنده أحد غير صاحب العلم والدمامن من الأوداج تفج والرجال تبطح والشجعان تذبح فوجد ذلك الوقت الغلام إلى قتل الأمين سبيل فعول على قتله من أجل أنه يأخذ ثار محبوبته وقد زين له الشيطان ذلك وحمله على قتله عيان فبينما هو مقدم ومؤخر فى ذلك وإذا بفارس قد طلب العلم الذى تحته الأمين وكان ذلك الفارس هو الحسن بن طاهر والفوارس من خلفه وما زال فى حملته إلى أن قتل صاحب العلم ولما رأى الغلام إلى ذلك الشأن أقبل على الأمين وهو على غفلة منه وطعنه فى ظهره برمح كان فى يده فوقع الامين عن سرجه وكان الحسن بن طاهر لما أن قتل صاحب العلم طلب الامين ليأخذه أسير إلى عند أخيه فرآه وقد وقع من على سرجه فقال يارجال هـذا أمير المؤمنين قد قتل فترجلت إليه الرجال ونزل إليه الحسن فوجده ملقا وفيه ذلك الجرح العظيم فلما علم أنه

هناك أراد الحسن انهزام العساكر فقطع رأسه فى عاجل الحال وأمر الصايح أن يصيح بقتله فنادى بذلك النداء وقد زالت دولته وزالت سلطنته فسبحان من لايقهر سلطانه ولا يذل شأنه وقد شال الرأس على السنان على رمح طويل فلما سمعت الناس بقتل الامين ولوا على أعقابهم منهزمين وملك أخيه المأمون مكانه وأمر الحسن ابن طاهر للخدم بجمع الاسلاب والخيل الشاردة والعدد المبدده والسلاح وأسنة الرماح والاعلام والامتعة والانعام والاثقال والخيام وفى عاجل الحال سير الحسن ابن طاهر إلى المأمون يأمره بالرحيل على عجل وقد كتب اليه كتاب يقول فيه يا أمير المؤمنين اعلم أن الله تعالى قد أعطاك الناو ظفرك بالنصر على العدو وان كان العدو أخوك لأنه قد قتل أولادك وأشمت بك حسادك ولو قدر عليك ما أبقاك ومع ذلك فانى ماقدرت عليه إلا بعد الجهد الجهيد والحرب الشديد وما ادركته إلا وهو مشرف على العطب وقد شرب من غيرى أمر مشرب وتفرقت عساكره فى كل قفر وسبسب فان كان الكوكب قد أفل فان البدر على الناس قد استهل وأضاء واكتمل وان بنى العباس كما قد قال فيهم بعض واصفيهم هذه

نجوم سما كلما غاب كوكب ❊ بدا قمرا تأوى اليه الكواكب

(قال الراوى) ولما ان فرغ الحسن ابن طاهر من كتابة الكتاب أرسله مع نجاب والرأس فى صحبته فلما وصل الكتاب والرأس عظم ذلك على المأمون وقال تبا للدنيا ما زالت تفرق بين الأقارب وتفجع فى الحبايب وترمى بالمصايب وما أعرف المنكوب الا أنا لأنه ابن والدى وهو الغم الأكبر وقتل أولادى وهو صدع فى الفؤاد لا يجبر وقتل أخى وهو قص الجناح عند أهل النظر ولقد قصم ظهرى فقد القرايب والأهل ولقيت فى زمنى أمرا غير سهل (قال الراوى) ثم ان المأمون ترجل بعد ذلك وسجد على التراب وتواضع للملك الوهاب وبعد ذلك ركب ورحل فى عاجل الحال وسار من وقته طالب الحسن ابن طاهر وهو على النهروان هذا وقد وصلت الأخبار الى العراق وجفلت الناس وخافت أهل بغداد من المأمون أن يأمر من معه من العساكر ينهبهم عند القدوم لأجل ما فعلوا فى حقه فكان الأمر بخلاف ذلك ولما وصل المأمون الى النهروان تلقاه الحسن ابن طاهر والأمير ظالم ومن معهم من الفرسان ووجد الأرض هامدة من الأعداء فتعجب من تقلب الزمان واحتوى على الأموال والرجال والمضارب والخيام والسرادقات والأعلام والعدد والخيول الانعام وأقام على النهروان ثلاثة أيام ورحل فى اليوم الرابع بمن معه من العساكر والفرسان طالبا مدينة بغداد وقد ارتفعت على رأسه الأعلام والبنود

وانجرت تلك العساكر والجنود الى أن دخل بغداد فى طالع مسعود وطلع الى قصر المملكة فى يوم مشهود ونادى فى بغداد بالامن والامان فأخذه الدعاء من كل جانب ومكان ولما ان دخل الى القصر وجلس على السرير فى مقعد الخلافة وبايعته الحضور فأطلقت عند ذلك الطيور الى سائر الامصار من المشرق إلى المغرب بأن يخطب للمأمون ويكتب اسمه على الدرهم والدينار وان الأمين قد قتل وانتقل الى دار القرار فما أمسى المساء الا والخبر قد وصل الى اقصى البلاد ففرحت بخلافته جميع العباد لما يعرفون من فهمه وفضله وتفقهه فى الدين وعدله (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر المأمون وما يتم له من الشأن (وأماما كان) من أمر القاضى عقبة القرنان فانه لما ان قتل قاسم الكردى ونظر الى الرجال وقد حملت على الرجال والأبطال على لا بطال علم أنه يوم شديد الأهوال وكان معه غلام يقال له أبو فروة وكان كثير الاحتيال فأقبل عليه عقبة وقال له اعلم يابنى ان الأمور مدبرة وما أخوفنى أن يقتل الأمين ويبقى الأسود الرنيم وولده ظالم الرجيم والبطال اللئيم فى دولة المأمون مقدمين واقع أنا فى ايديهم فيفعلوا بى ما يريدون ولا يعود المأمون يسمع لى كلام ولا يبقى لى فى هذه الأرض مقام ومالى أحسن من الانتزاح والرواح من ذلك المكان فقال له غلامه والى أين تسير فقال إلى بغداد وسوف ترى ما أفعل من المكايد ثم ان الملعون أخذ غلامه وسار وما لحق أن يصل الى داره الا وعسكر الأمير قد وصل فى أثره منهزما وهو يخبر بقتل الأمين فعندها قال عقبه لغلامه أبو فروة هذا هو الحساب الذى حسبته ولكن أطلب عرب من أرض الحجاز فمضى الغلام الى حاجة مولاه وغاب ساعة وعاد ومعه أقوام من العرب فلما صاروا عند عقبة ترحب بهم وأكرمهم وقال لهم أريد من يحملنى إلى مكة وله على مائة دينار فقالوا له نحن نحملك واليها نوصلك فقال لهم قبل كل شىء خذوا هذا الذهب ثم انه أعطاهم مائة دينار وقال لهم إذا وصلتم إلى مكة اعطيتكم ماتريدون وما تشتهون فلما نظرت العرب إلى ذلك المال وقد سمعوا ماوعدهم به أخذهم الاندهال وقالوا متى يكون ذلك قال لهم فى هذه الساعة فأخذوه وساروا به من يومهم وغلامه أبو فروة معه وما زالوا يقطعون الفيافى والقفار ولا يقر لهم قرار الى أن وصلوا الى مكه وكان قد أخذ معه من بغداد خمسة آلاف دينار (قال الراوى) ولما ان وصل الى مكه اكترى له دار وأقام بها وقربه القرار وجعل يفرق على أهل مكه الدرهم والدينار وكان معروفا عندهم فجعلوا يعظموه ويكرموه وأقام فى مكه يعلم الناس العلوم فى الحرم ويعمل الدروس فى ذلك المقام المعظم (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة الملعون (وأماما كان من المأمون فانه جلس على سرير الخـــلافة وأطلق من فى الحبوس وأزال المظالم

والمكوس وصارت الناس يأتون اليه ويعزونه فى أخيه ويهنوه بالخلافة التى وصلت اليه وكان قد سمع ان أصل ماجرى بينه وبين أخيه من الست زبيده فعزم على اخراجها من القصر فوصل اليها الخبر وكان قد ورد عليها من قتل ولدها الأمين أعظم من ماجرى عليها من موت الرشيد أمير المؤمنين وانه لما ان بلغها ان المأمون يريد اخراجها من القصر هجمت عليه فى داره وهى صارخة ودخلت ولما ان صارت بين يديه بكت وأنت واشتكت وكان عليها لباس السواد وأكثرت من النوح والتعداد وقد تغيرت أحوالها بعد فقد رجالها وقالت له يا أمير المؤمنين اياك والاغترار بالدنيا فانها مكارة وبار بابها غدارة سرورها أيام وشرورها أعوام وفرحها منام وملكها حمام وطعامها سمام فانظر فى عواقب الملوك الخالية والأمم البالية كيف أصبحت منازلهم خاليــة وقصورهم خاوية وهم فى القبور الخالية وعظامهم بالية ولم يبق منهم باقية والعاقل اللبيب من اتعظ بغيره ومعلوم انى كنت حزينه فانما حزنى على أبيك وأخيك ولقد عجبت من فعالك مع أخيك الأمين فلو كان له الآن لسان لكان قال هذين البيتين ثم بكت الست زبيده وأشارت تقول

أخى المأمون ما تسمع ندائى   وقد قطع الورى منى رجائى
وبعد الملك قد أصبحت فان   وفى عمرى نفذ سهم القضاء

ثم أنها بكت وانتحبت ثم صاحت ونادت واسيداه وأذلاه وولاداه وأعزاه واابناه ثم استرجعت بعد ذلك وأشارت تقول هذه الأبيات

تذكر آثار من قد مضوا   ففاض الدمع سحابا هتونا
فرددت فى النفس تذكارهم   ليحدث فى القلب داء دفينا
وقد لمت نفسى وعزيتها   وقد أعنت النفس أن لاتلينا
أيا نفس ما تنظرى قصرهم   لفقدانهم مظلما كالحزينا
ينوح غراب المنــايا عليه   ويبكى المنازل والذاهبينا
فياعين جودى بفيض الدموع   لموت الرشيد وفقد الامينا
وكيف السرور وقد مكنت   سيوف الأعادى ياقوم فينا
محمد يا واحدى لوترى   زبيدة تبكى عليك العيونا
لقد أظلم القصر ياواحدى   وقد شمت الضد والحاسدينا
وقفت على داركم داعيــا   أنادى بكم أيها الغائبون
فاين الرشيد وأين الأمين   وأين الرجال واين البنونا

وأين الحماة وأين الولاة   وأين الرعاة إذا مادهينا
وأين الذى كان ركنى بهم   شديد وكنا بهم آمنينا
فنادتنى الدار من بعدهم   درست وقد هلك العامرينا
وأين الملوك وأهل الوفا   ومن كنت ترجين أو تحذرينا
أما تنظرى قصرهم مظلما   وهم فى الثرى كلهم خامدينا
إلى أن بقوا تحت بطن الثرى   وكانوا كمثلك فى القصر حينا
فلما سمعت جواب الديار   فأظهرت ما كان عندى دفينا
وما كنت أحسب ياواحدى   بأن الفراق سريعا يكونا
فاين الرشيد يرى ذلتى   تهددنا النـاس أن يخرجوا
ديارك تبكى إذا أصبحت   وقد هلك الأهل والاقربينا
وما كنت أحسب مأموننا   يخيب فيه الرجا والظنونا
فياذلنى بعد ساداتنا   ويا حزنـنا بعدهم أجمعينا
وقد كنت آمل مأموننا   يكون لضعفى وحالى معينا
فمن لى سـواك إذا نالنى   زمانى بأمر عظيم يشينا
فانت لنـا اليوم بعد الأمين   فلا تشمت بنـا الحاسدينا
ولاتك تغترون نظر إلى   إناس مضوا لنا سالفينا
وقد ترحل الآن من بعدهم   تكون إليهم من اللاحقينا
أليس مصير الورى للفنا   ولو عمر المرء فيها سنينا
يساقون سوقا إلى ربهم   فهم للشقاوة أو يسعدونا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المأمون ذلك من كلام السيدة زبيدة بكى حتى غشى عليه فلما أفاق من غشوته وثب إليها وقبل رأسها وقال ياسيدتى كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما كان قصدى أن أفعل به هذه الفعال ولو وصل إلى سالما ما كنت قتلته أبدا وكنت تركته وانتزحت عنه إلى خراسان فما خلانى من يده وأنا لكى اليوم أوفى مما كان الأمين وبالله أقسم ما خالفت لكى قولا ولا كان على أمركى أمرا وأننى مدبرة القصر ومن خالفك أناله مخالف وانى لرأبك مؤالف ثم ردها إلى قصرها فرجعت إلى دارها (قال الراوى) وأرسل المأمون وأتى بالأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب والأمراء كلهم وأخلع عليهم وقال لهم اعلموا أنى قد صفحت عنكم وقام عندى عذركم لأنه من خدم الخلفاء يجب أن يكون من أهل الوفاء وأرسل إلى الأمير عمرو بن عبيد الله

وخلع عليه وعلى بنى سليم وقال للبطال لاتفارقنى وقال للأمير عبد الوهاب والأمير عمرو بن عبيد الله ارحلوا إلى ملطية وتكونوا فيها وأقسم بالله قسما لئن رجع وقع بينكم خلف فانى على باب ملطية أصلبكم فما أنا الرشيد ولا أنا الأمين ولا يدخل على محال ولا يعجبنى القيل والقال ولا يقع فى قلوبكم ان كلامى لغرض لاطاعتكم للأمين فوالله ليس الأمر كذلك ولكنى أريد أعلمكم حسن الطريقة وأقيم كلمة الحقيقة (قال الراوى) ياسادة يا كرام وسار الأمير عبد الوهاب وقلبه مكسور بهذا الخطاب وكذلك عمرو بن عبيد الله وصار الحسن بن طاهر مدبر العساكر وارتفع عن الوزاره وتسلم من المأمون سلطنة العجم من أول بلاد همدان وأصفهان ومرو الى توريز وبخارى وخراسان إلى أرض بابان وبلد الديلمان وجعله فيها ولقبه ذا اليمن فسار اليها وأعطى المأمون الوزارة للفضل بن سهل وكان رجلا اديبا لبيبا دينا ورعا وكان حسن الظن فى كل أحد ولا سيما فى القاضى عقبة حتى انه كان يقول أن عقبة من أصحاب الكرامات وخلع المأمون على الامير ظالم وشرفه وأعطاه أموال عظيمة وسلم اليه منشورا بانه أمير الامراء على كل العرب وعلى كل من ضرب فى البيداء طنب وأحضر أبو الهزاهز وكان قد برىء مما كان فيه من الجراحات وقال له تمنى على فقال اعطينى الامارة على كل اسود فى الأرض فقال لك ذلك ففرح أبو الهزاهز وقال لاأرجع أدع عبدالوهاب ولا غيره يحكم على السودان أبدا ثم أن المأمون قال لظالم اختار أن شئت من الموصل إلى الرحبة وان شئت من حلب إلى أرض دمشق فقال ما أريد الا أكون عند أبى فى ملطيه فى وجه الروم فقال له لك ذلك وعقد له الرايات والأعلام وشرف أبو الهزاهز وساروا إلى ملطيه (قال الراوى) ثم أن المأمون خلى بالفضل بن سهل والحسن بن طاهر وقال لهما عندكما خبر من القاضى عقبة فقالوا لا والله ياأمير المؤمنين قال لهم صح عندى انه زين للامين قتلى وأريد آخذ منه ماأراد أن يأخذه منى فقال له الحسن إذا رأيت ذلك يا أمير المؤمنين فما تجد عقبة إلا عند السيدة زبيدة فأرسل المأمون بحسن تدبيره يقول أيتها السيدة لقد خفى عنا القاضى عقبة وما أرى له خبر ولقد كنت فى هذه الايام نحتاج إلى منادمته ومحادثته إذ هو كهف العلوم وخبير بالطب والفقه والنجوم فويل للملك لايكون القاضى عقبة جليسه وخليفه لايكون آنيسه فاذا كان عندك منه خبر فاعلمينا حتى نرسل اليه ونحضره (قال الراوى) ياسادة يا كرام كان ساعة وصل الرسول من عند المأمون إلى زبيدة كان قد وصل اليها بالاتفاق العجيب والأمر الغريب كتاب من عند عقبة فقالت ما كنت أعلم له خبر ولكن الساعة وصل إلى كتاب

من مكة يعزينى فى ولدى الامين ويرثى لحالى وهو مقيم فى أرض الحجاز من أن يرحل الامين إلى النهروان فلما سمع الخارم ذلك أخذ كتاب عقبة وعاد به إلى المأمون ففضه وإذا فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) أيتها السيدة فان الله قد حكم بالموت على الخلائق وعزاهم فى نفوسهم من له الفضل والمنه (قال الراوى) وكان عقبة أخبث أهل زمانه فعلم أن هذا الكتاب أن يقع فى أيد المأمون فكتب بعد التعزية إذا كان مولانا المأمون سالما فلا تأسفى على هالك وان كان من ارباب الشرف والممالك واعلمى أن لكل أجل كتاب ولكل عمل حساب ولكل أمر سبب وقد علم كل ذى عقل وأدب أن الامين اليوم فى الجنة مستقر وعدوه فى سقر وإذا كان قد مضى فالمأمون فوق الرضى ثم أنشد

قالوا مضى جبل شامخ * فقلت قد جاء ركن شديد
وقد قيل أن الامين انقضى * وقد مات قهرا فقلنا شهيد
وقد نقل الملك من بعده * لمأموننا وهو ما قد نريد
فيارب كن راحما للامين * وأبق أخيه زمانا سعيد

وبالله أقسم بالحق مابلغنى الاكل خير فقد ساءه قتل أخيه وبالله العظيم اننى داعى له ليل ونهار على أنه ليس ينبغى الجفا إلا إننى بعد مولاى الرشيد قد عولت على الانقطاع فى طاعة الملك الحميد الفعال لما يريد ولا أرجع بعد مجلسه الشريف أحضر مجلسا ولا اكون لغيره نديما ولا مؤنسا لاننى أعلم اننى كثير الاعداء خصوصا من بنى كلاب والأمير عبدالوهاب وأبو محمد البطال وغيرهم وهذا المأمون أعلم أهل الأرض الا انه على كل حال معه حدة الشباب وأخاف ان يقتلنى ومابى موتى لأن الموت لابد منه لكن أخشى ان أكون سببا لتحريم الجنة ومن أنا حتى يأثم من أجلى وأريد موتى يكون عندالبيت الحرام والسلام (قال الراوى) وان المأمون لما قرأ الكتاب رق قلبه وقال ظلمنا هذا المسكين بحديث البطال لأنه ذكر انه فى عسكر الامين يدبر على هلا كنا فقال الفضل ابن سهل ياأمير المؤمنين معلوم انك تعرف منزلة عقبة عند الرشيد فلا تسمع فيه كلام الاعداء فهو الرجل الذى لو أقسم على الله ابر قسمه ولايجوز أن يكون مجلسك خاليا من مثله فقال المأمون أكتب اليه كتاب وأمره فيه بالمجىء الينا ليكون عندنا ويدبر ملكنا برأيه الحسن فقال الفضل السمع والطاعة وكتب الكتاب وأرسله إلى مكة فى طلب عقبه وسعت هذه الاخبار حتى وصلت إلى الآمير أبو محمد البطال العيار المحتال واعلم بها الأمير عبد الوهاب فقال الأمير ان هؤلاء القوم لا يعمل فيهم

الجميل والساعة تنظر كيف يعمل عقبة ويلعب فقال الأمير ظالم ما يكون المأمون يسمع فينا لأنه عرف ما عملنا معه لاسيما لما أردت قتل أبى وقطع حسبى ونسبى وضربته تلك الضربة المعروفة وهذا فى خدمته ومحبته فقال البطال سوف ترى مايجرى علينا منه مادام عقبة عنده وأنا معول على أننى أسبق إلى الكوفة لعلى ان آخذه من الطريق واقتله فى موضعه ونستريح منه فقال الأمير عبد الوهاب اعلم اننا ما أقمنا فى ملطية شهرا كاملا والرأى عندى ان تقعد ونستعين بالله على هذا الشيطان ونحسب ان الرشيد مامات (قال الراوى) ووصلت الكتب الى مكة واجتمع الرسول بعقبة فأعطاه الكتب فلما قرأه وفهم معناه فرح بذلك وأقبل على الغلام وقال له ياأبو فروة الآن طاب المسير اليهم وسوف ترى ما أصنع فيهم (ياسادة) وان عقبة سار ليل ونهار يقطع الفيافى والقفار حتى وصل إلى بغداد ليلا وتوصل حتى دخل الى السيدة زبيدة ففرحت بقدومه وبكت فى وجهه وقالت ياقاضى ذهب ولدى كانه ماكان فوا أسفاه عليه وواشوقاة اليه فلما سمع عقبة ذلك أظهر البكاء والأسف واللوعة واللهف وقال لها هذا الذى كنت من أجله قد عولت على المقام فى مكة لأن مالى قلب أنظر الى هذا القصر بعد أمير المؤمنين الأمين وانتى تعلمين ان المأمون ماله عين ترانى لأنه يعلم انى أميل اليكم دونه وما سبب هذه النوبة الا ظالم فقالت اما ظالم فكلما قلته عليه صحيح لأنه هو الذى قوى عزم المأمون والا ماكان له قدرة أن يلتقى المأمون الأمين فى تلك العساكر التى تجمعت وأما عبد الوهاب فما رأيت منه الا أنه كان مع ولدى حتى وصل اليه المأمون ثم كان قبض على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فضحك عقبة وقال معلوم انك سليمة القلب هذا كله من عبدالوهاب وعمله ومكره يخاف من كلام الناس وانما أظهر انه مع الأمين وعلم ولده ظالم وقال له امضى الى المأمون وهذا كله صنعة البطال وأنا أعرف أن هذه الحيل كلها منه وبالله العظيم لو انى استحل لكنت اعمل أنا عمل أوقع بين المأمون وبينهم حتى لا يرجع المأمون ينظر اليهم ويعمل على قتلهم فقد أخذنا بالتار منهم وازلم يقتلهم فهو يعذبهم فى أيامه ولايفرحوا فى أيامه كما فرحوا فى أيام الرشيد فلما سمعت زبيدة ذلك من كلام عقبة وهى امرأة على كل حال فقالت ياقاضى ومن لى بذلك لعلى آخذ بتار ولدى واشفى فؤادى وكبدى فهو يقبض عليهم ويقتلهم فقال القاضى عقبة انظرى هذه الكتب كتاب من الأمير عبد الوهاب وكتاب من الأميرة ذات الهمة وكتاب من الأمير ظالم وكتاب من أبو محمد البطال وقال لها اذا دخلت أنا على المأمون وتحدثت معه بما يجب ان يكون تنفذى انت الكتب (قال الراوى) وبات عقبة لعنه الله عند السيدة زبيدة طول الليل الى الصباح

فلما أصبح الصباح خرج متنكر من القصر ويقول قد وصل القاضى عقبة وهو مريض ففعل ذلك وشاع الخبر فى القصر وبلغ المأمون ذلك فأرسل اليه بدلة حسنة وبغلة النوبة فقال عقبة اقسم لا مشيت اليه الا راجلا ولو كنت فى سياق الموت فرحا بهذه الأيام وكم ليلة بت فيها وعينى ساهرة ادعو له حتى رأيته فى هذه المنزلة وسار الى ان دخل الى المأمون وقد اظهر الوجع والمرض وكان عقبة شيخا كبيرا فاذا اظهر الضعف يبقى كانه ميت فلما وقعت عينه على المأمون قبّل الأرض وانشد يقول

روحى فداك فقد رأيتك سالما * فى نعمة الله التى آتاكها
فأتمها واطالها وادامها * لك أيها المأمون من اعطاكها
واعزك الله القوى بنصره * فى ظل كل ولاية ولاكها
وكلاك من ريب الزمان وصرفه * ومن المكاره ربنا وقاكها
وعليك من بعد السلام تحية * موصولة من كل من حياكها
انى كسوتك من ثنايا حلة * يبقى على مر الزمان شراكها

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المأمون ذلك وثب قائما واكرمه وأدناه وعظمه وعلاه ونهض له الفضل بن سهل وطاهر بن الحسن وأرباب الدولة كلهم حتى لم يبق قاعدا الا وقام حتى كانهم كانوا خدام وأقبل المأمون عليه وجعل يسأله عن حاله فقال يامولانا لى بمكة مدة وما أردت أحضر هذه الفتن لأنى رجل أهل من الشفقة والدين وقله الكلام فما رأيت أن أدخل فى هذه الأمور ثم اقبل على بعض القراء وقال له اقرأ لنا ما تيسر من القرآن فجعل القارىء يقرأ الآية وعقبة يتكلم عليها من جهة التفسير حتى بكى الكبير والصغير وأما الفضل بن سهل فانه طاب قلبه وخرق ثيابه وكان يوما عظيما لم يسمع قط بمثله وأخرج المأمون خلعة سوداء خلعها عليه وهى خلعة عباسية تسوى الف دينار مصرية وقال هاتو البردة اعملوها على أكتافه فان العلماء ورثة الأنبياء (قال الراوى) ولما تمكن من قلب المأمون قال يامولاى كيف الحال على والدتك فى كتاب الله السيدة زبيدة فانى ما اشتغل قلبى بقتل الأمين لأنه ظالم نفسه وأراد هلاك الخلق فرجع ذلك عليه وقد قال على كرم الله وجهه من حفر لأخيه المؤمن قليبا أوقعه الله فيه قريبا وقد حملت حزنا من حزنها وما ورد على قلبها من بعد الرشيد وفقده ثم بعد ذلك ولدها ولكن بعد أن يمد الله فى عمرك هانت وكان هذه الشدائد على قلبها ما كانت فقال المأمون ما نحن ياقاضى إلا بحكمها وهذه الأمور التى جرت مقدرة ولا يملك الانسان لنفسه نفعا ولا ضرا فقال يامولاى أريد أدخل اليها كى أسلم عليها فقال المأمون لك ذلك فقال يامولاى يكون معى الخدم والوزير

الفضل بن سهل لأنى ماأسلم عليها إلا من وراء الستار وقصدى بهذا الفعل أن لا تقول أننى أنافقها لأن لى أعداء كثيرة وبالله أقسم لا مضيت اليها إلا على ماذكرت (قال الراوى) وكان قصد عقبة بذلك أنها إذا أظهرت الكتب لايقال أنها منه ثم قام عقبة ومعه الخدم وظاهر بن الحسن والفضل بن سهل ووصلت الخدم إلى زبيدة يشاوروها فى قدومه وهى قد أظهرت أنها لم تره ولم رأته من مدة مديدة وكان قد قال لها وأوصاها أنها تظهر الاشتياق إليه وقد أظهر هو ذلك (ياسادة) فاذا هى من وراء الستار تقول مرحبا بمن كان لنار كنا وناصح لا إله إلا الله ياقاضى من حين قتل ولدى مارأيناك ولا بعثت لنا كتاب تعزينا فيه والمأمون بنفسه عزانى وطيب قلبى وأعطانى كل ماطلبت فبكى عقبة وقال أيتها السيدة ومن أولى منه بهذه الفعال وهو من أهل البيت الطاهر والعنصر الفاخر وأما أنا عبدكم وأنا كما قال عمرو بن معد يكرب لما قيل له حدثنا شيئا من حديث الجاهلية فقال شغلتنى الحنيفية عن غيرها وكذلك أيها السيدة أنا شغلنى خوف الله عن هذه الدنيا وما فيها ولى إليك حاجة قالت وما هى أيها القاضى الجليل فما حوائجك عندى إلا مقضية فقال لها أريد أن يكون قلبك طيب على ولدك المأمون وتدعين له ولا تدعين عليه ولا تسمعين فيه كلام مخلوق فما كان له فى قتل أخيه غرض فقالت أيها القاضى أن بكيت فيكون بكائى لمصاب الأمين وفقده وأما المأمون فما قلبى الاطيب عليه وهو ولدى فى كتاب الله عز وجل فقال عقبة اللعين وما معنى هذا الكلام فقالت هذا معناه ثم صاحت بالخادم وناولته الكتب فأخذها من يدها وخرج وأعطاها له فنظر عقبة إلى الخط فرماه من يده وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لالمستها بيدى لأن القوم أعدائى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأخذها طاهر بن الحسن فقام عقبة وخرج وقد علاه الصفار فقال له المأمون ماحالك أيها القاضى فقال ياأمير المؤمنين انى وقعت على أمر من الأمور وأظنه بهتان وزور لأن القوم وإن كانوا من أصل طيب مايحسن أن يكون هذا منهم ويجرى ذلك فى حقك فلما سمع المأمون ذلك تغير لونه ونظر إلى طاهر فرمى اليه الكتب فلما وقف عليها المأمون وعرف مافيها تغير لونه فكان فى الكتاب الأول من عند عبد الوهاب إلى السيدة زبيدة أما أنا أيتها السيدة فقد فعلت فعال مع الحجام بن مراحل وندمت عليه ولولا ولدى ظالم لكان أنف راغم لأنه ظن أنه يعطيه امارة من العرب والثغور ويخرج منها بنى سليم ويدفع عن بنى كلاب ويجعل ظالم مقدما على عساكر الترك والعجم موضع طاهر بن الحسن حتى ينال بذلك العز الفاخر ثم بعد ذلك أسمعنى الكلام الغليظ بعد مالنا عليه من الخدم وقد عولنا على قتله قبل أن يتمهد له البلاد وتعطى الخلافة لإحدى

ولديكى أما المؤتمن وأما المعتصم ودع يكونوا صغار ونحن لهم خدم والثانى كتاب ظالم يقول لها ماتفعل ويظهر لها الندامة ويقول لها أنا أقابل المأمون وقد عولت أن أسير ومعى ثلاثين ألف من بنى كلاب والسودان الانجاب وننحدر إلى بغداد وندخل من باب البر ونقتل المأمون فى فراشه وتصبح عساكر السودان وبنى كلاب على العراق وما تنتطح فيها كبشان فلما نظر المأمون إلى ذلك انقلبت عيناه فى أم رأسه وفتح كتاب البطال وإذا فيه يوعدها بالمعاونة على أنه يكون الوزير مكان الفضل بن سهل فقال المأمون أحسنت يا أبو محمد مايصلح للوزارة إلا أنت فقال الفضل بن سهل والله ياأمير المؤمنين ماحضور عقبة إلا مبارك ولولا ذلك لكانوا لعبوا بعقل السيدة زبيدة ويعملوا المعتصم خليفة فقال المأمون الآن كيف نعمل حتى نقبض عليهم ولا يحدث منهم حادث يشوش ملكى فقال عقبة أشير على أمير المؤمنين بشىء وبالله العظيم لولا أن عبد الوهاب وهؤلاء أعدائى وإلا أشرت على أمير المؤمنين بأمر يأخذهم منه بلا تعب ولا نصب ولكن أخاف أن يقال أن لى فى هذه النوبة غرض فلما سمع المأمون ذلك قال ما هذا وقت السكوت ولا ترعى لهم وترعنى ولقد وجب عليهم القتل باجماع المسلمين فى هذه النوبة فقال عقبة ماأقول هـــذا الرأى إلا لأمير المؤمنين والفضل بن سهل وطاهر بن الحسن فأمر المأمون الناس بالانصراف واختلى عقبه بهم وقال ياأمير المؤمنين إنك أن أرسلت اليهم تقبض عليهم لاتقدر على ذلك وان أنت قد دعوتهم إلى العراق تذكر أحوالهم ويجىء بعضهم ولكن أقول لك كلمة ماسبقنى اليها أحد بشرط أن لايخرج هذا الكلام لأحد لأنى ما أفزع إلا انك ما تضرب رقابهم ويخلصون ويخرجون فيقتلونى ويعملون على انقطاع دولتك فقال له المأمون لك ذلك انهم مايقعون فى يدى ويرجعون يمشون على وجه الأرض أبدا فقل ما أنت قائل فقال يامولاى اركب الساعة فى الف فارس ولا يعلم بك أحد ويكون معك البازات والصقور والكلاب والفهود واقصد الى الرقة فاذا دخلتها أنفذ الى عبد الوهاب وقول له هذا زمان الربيع وقد ضحكت الأرض عن ثغرها وأشجارها وقد عولت على الفرجة فى دمشق وغوطتها والترب والمرج جميعه شهر من الزمان وأريد تسير أنت والأمير ظالم فما بقى لى صبر على فراقكما وكذلك الأميرة ذات الهمة والأمير أبو محمد البطال فهو نعم النديم فاذا وصلت يا أمير المؤمنين إلى هناك ووصلوا اليك تقبض عليهم وما ينكرون هذا الأمر عليك وان شئت تضرب رقابهم وتتم الى دمشق على نية الفرجة فافعل وتكون قد ظفرت فقال المأمون لله درك ياقاضى فيما دبرت فلقد فتحت لنا نعم الباب ثم انه عول على ذلك وأخذ لوقته ألف فارس مماليك ترك وأمر طاهر

أن يسير بعده فى عشرة آلاف فارس من الترك وأخذ آلة الصيد والقنص وسار ليل ونهار حتى وصل الى الرقة والقاضى عقبة معه مختفى وقد قال له يامولاى لاتخرج من بغداد حتى تظهر انك قبضت علىّ حتى يسمع الناس ذلك فان لهم عيون هاهنا لمثل هذه الأشياء وان الأخبار سوف تصل إلى ملطية فقال المأمون صدقت يا قاضى ثم انه أظهر انه قبض عليه ويريد قتله وقال له أنت تريد ان تعمل على هلاكى مع الأمين وأنت أوقعت بيننا حتى هلك ولا بد من قتلك وشاع هذا فى بغداد وكتب الأصدقاء إلى الأمير عبد الوهاب تعلمه بذلك فقالت الأميرة ذات الهمة ألم أقل لك أن عقبة ما يتفق على المأمون كذبه ومحاله وهو يعلم ماقد فعل مع الأمير ففرح الأمير وسائر بنى كلاب واغتموا بنى سليم فقال الأمير أبو محمد والله ان نفسى تحدثنى ان هذا كله حيلة وسوف ينكشف الخبر وأقاموا كذلك الى أن وصل المأمون إلى الرقة فى أحسن زى وقد انزعجت الآفاق ولم يكن أحد من الخلفاء أظرف من ركبته ولا أحسن من دولته ولا أعظم من هيبته وسوف يذكر ذلك فى مكانه (قال الراوى) ووصل رسول المأمون إلى عبد الوهاب بما قد ذكر وفرح بذلك إذ أرسل المأمون اليه دون بنى سليم وقال للأميرة وأنت أيضا وظالم وأبو محمد البطال خذوا أهبتكم حتى نسير فى غداة غد فى عشر فوارس فقالوا سمعا وطاعة هذا والبطال غير طيب القلب للمسير وأن الامير تجرد فى عشرة فوارس منهم الاميرة ذات الهمة وظالم وأبو الهزاهز والبطال فقال الأمير ضيغم فأنا قد اشتهيت الفرجة فى دمشق لانها جنة الدنيا وهذا زمان الربيع والأرض تبتهج بأنوار الأزهار والبلابل تحاكى صوت الهزار وهذا زمان الفرجة ولابد لأمير المؤمنين مايخلع عليكم ويشرفكم فى هذه النوبة وقالوا أمراء بنى كلاب ونحن أيضا مانعقد ولا بد من المسير معكم حتى نحظى أيضا بالخلع مثلكم (قال الراوى) والعرب فيهم الطمع العظيم فلما قالوا ذلك انتخب منهم تمام العشرين أمير من خيار قومه وسادات عشيرته وقالوا سيروا بنا وعلى الضمان بالخلع لكم ولكن نحن سائرين على وجه الفرجة وسار الأمير عبد الوهاب بأمراء بنى كلاب حتى إذا وصلوا رأس العين (قال الراوى) ياسادة ياكرام ووصل الخبر إلى ملطية من قبل الأمير عبد الوهاب يأمر بنى كلاب كلهم أن يسيروا إلى آمد فان المأمون ماقصده الفرجة بل قصده أن لايبقى صغير ولا كبير إلا وينهض إلى آمد وهناك يكون الملتقى (قال الراوى) وكان هذا من تدبير عقبة حتى يخرج بنى كلاب من ملطية وأرسل إلى الأمير عمرو بن عبيد الله يعلمه بالقصة سرا ويطيب قلبه ويقول له لولا أعمل هذا العمل لكان المأمون قدم بنى كلاب عليكم وصار ظالم عنده فى موضعك ولا يبقى لبنى سليم ذكر ماقام قائم وقعد

وضرب فى البيداء وقد وكان الأمير عمرو بن عبيد الله لما وصلت الرسالة الأولى للأمير عبد الوهاب بالفرجة عظم عليه ذلك وكبر لديه وكادت مرارته أن تنشق وقال ما بقى لى ولا لبنى سليم عند المأمون منزلة وما قتل أخاه الأمين وفيه شىء من الخير ومادام قد أرسل اليهم وأمرهم بالمسير ويدعوهم إلى الفرجة ونحن ماجرى لنا فى بغداد ذكر ولا أعرض علينا ذلك وبقى كذلك على نهاية من الغم إلى أن وصل اليه كتاب عقبة بتطبيب قلبه فدعا بنى سليم فقالوا له بنى سليم هل يريد منا أكثر مما نحن فيه وقد أهاننا المامون هذه الإهانة التى ما عليها من مزيد وجعلنا لبنى كلاب عبيد وصاروا عنده بمنزلة أهل الرأى السديد حتى جعلهم له ندماء ونحن ماعرض بذكرنا فقال اعلموا ان كان قد نزل بى من الغم أعظم مما نزل بكم إلى أن وصلنى كتاب الشيخ الزاهد الصالح العابد القاضى عقبة ثم أوقفهم عمرو على مكنون هذه القصة فطابت قلوبهم بالفرح وذهب عنهم الهم والترح لان الحسد يعمل فى الانسان مالا يعمل الحسام ولهذا قال على كرم الله وجهه لله در الحسد ما أعد له بدأ بصاحبه فقتله وأقام عمرو بن عبيد الله وبنى سليم ينتظرون الخبر يصل اليهم بقتل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب هذا وقد عولوا السفهاء من بنى سليم على نهب بيوت بنى كلاب وأخذ أموالهم وهتك حريمهم فمنعوا المشايخ من ذلك وقالوا اصبروا حتى نرى ما يكون فان كان الأمر كما قيل فما أقدركم على نهب أموالهم وأخذ رحالهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان عقبة لما خرج من بغداد مع المأمون فعل هذه الفعايل وكتب أيضا كتاب وسلمه إلى غلامه أبو فروة وقال له امضى بهذا الكتاب إلى القسطنطونية الساعة واقطع البلاد فقال يامولاى ومانى هذا الكتاب فقال فيه هلاك مائة ألف أو يزيدون ولعل المسيح يكون قد نظر إلى دين النصرانية ونصره على دين الحنيفية فأخذ الكتاب وسار يقطع الأرض فى الطول والعرض إلى أن وصل إلى مدينة القسطنطونية وحضر إلى بين يدى الملك ميخائيل وقرأ عليه كتاب عقبة وكان فيه (أما بعد) أيها الملك ان قيمة الأشياء أربابها وقيمة الأحباء أصحابها وأنا قد دبرت تدبير يكون فيه لأعدائكم التدمير وقد عملت أعمالى وفرقت الجيوش والمأمون قد قتل أخاه وبعد ذلك فانى قد ألقيت بين الأسود الزنيم الذى هو عماد دين الاسلام وذات الهمة العاهرة التى لها فى القلوب حرارات وظالم واللص أبو محمد البطال الذى قد ربى على الخديعة والمحال وأنا قد أخرجت المأمون من بغداد حتى يقتلهم وقد وصل إلى الرقة وأنا آمره أن لا يقتلهم إلا عند الخانوقة فأريد أن يكون وصولكم إلى ذلك الموضع فى أربع عشر من بعد عيد الصليب حتى أسلم لكم الجميع مع المأمون (ياسادة) وما قصدى بقتل المأمون عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب

ولكن أريد أن يكون هلاكهم بسيوفكم وأصلب عبد الوهاب وأبو محمد البطال وذات الهمة على الأخشاب فالعجل العجل (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن سمع الملك ميخائيل ذلك قال ماأظن أن يكون فى الأرض واحد أصلح من هذا الرجل وكم يضرب على دين النصرانية وكم يعاقب وهو على صبره ينظر فى مصالح الروم الآن جهزوا العساكر حتى أسير بروحى فلى أسوة بالشيخ النجيح فى خدمة المسيح ثم تجرد فى أربعين ألف من العرب المتنصرة وسار بطلب الموضع الذى قد ذكرناه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ووصل الأمير عبد الوهاب الى الرقة ففرح به المأمون وأظهر الاستبشار بقدومه وكذلك البطال والاميرة ذات الهمة وظالم وسائر الأمراء وان المأمون أكرمهم غاية الإكرام وأنزلهم فى الخيام وخلا بعقبة ليلا وقال له قل لى كيف أقبضهم أو أقتلهم فقال يا أمير المؤمنين ترسل الساعة خلفهم حتى تشاورهم فى أمر من الأمور على أنهم إذا قبضت منهم ستة لايقدرون الباقون أن يمتنعون فأرسل المأمون إلى عبد الوهاب يقول له تفضل أيها الأمير أنت والأمير ظالم والأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال فانه قد وصلنى من العراق أمرا وأريد أطلعكم عليه (قال الراوى) ياسادة يا كرام فقاموا كلهم لما وصل الهم الخادم إلا الأمير أبو محمد فقال له الأمير عبد الوهاب أجب أمير المؤمنين فقال له الأمير أبو محمد لقد أخذنى مرض وضير وما أقول اننى أسلم فى هذه الليلة إلى الصباح والله يجعل العاقبة خير فعرف أمير المؤمنين حالى وابسط له عذرى وان كان عنده شراب من الأشربة الذى تسكن الأرياح فليمن علىَّ به فى بعض من الأقداح (قال الراوى) ياسادة يا كرام وجعل أبو محمد يئن ويتأوه وكان ذلك من أبو محمد حيلة وخبرة بالامور لأنه حدثته نفسه وقال ماهذه العزمه وانقطاع كتب عقبه الا لأمر يحدث ثم أنه وثب من الخيمة فقال له بعض بنى كلاب مابالك أيها الأمير قال ان المغص الذى بى قد زاد وأريد أخلو بروحى فى الوهاد وخرج من الخيمة ينتظر أمر الأمراء ومايتم لهم ويجرى (قال الراوى) ياسادة يا كرام ودخلوا الامراء سرادق المأمون وهم يظنون أنهم آمنون فلما تمثلوا بين يدى المأمون أمر بالقبض عليهم فجردت الغلمان السيوف وقبضوا عليهم فاستسلموا لقضاء الملك الرؤوف فصاحت ذات الهمة وقالت ياأمير المؤمنين ماهذا الفعل الذى يقبح من غيرك فكيف يحسن منك قال ياعجوز السوء هذا الفعل تنكريه وهذا خطك إلى زبيده وأنت توعديها بقلع مملكتى وتلاف مهجتى ثم أطلعهم على الكتب التى ذكرناها فقالت ذات الهمة والله لاشك انه خطى ولو كنت مارأيت خطى لكنت شككت فى خط ولدى عبد الوهاب. (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان الامراء والأميرة لماقرأوا ذلك القول لزبيده

ونحن نقطع رأس المأمون ونسلم الامر إلى المعتصم قال بعضهم لبعض هذا والله قد زور علينا وعلى خطوطنا ولو ضرب المأمون رقابنا فى هذه النوبة رقابنا لكان معذور لان ما يسمع هذا أحد من الناس ويصبر عليه ثم عملوا القيود فى أرجلهم وقال عقبة يا أمير المؤمنين قل للغلمان يكتمون هذا الأمر حتى يقبضون على اللص المحتال أبو محمد البطال الذى طلب أن يكون مكان هذا الوزير فما بقى هنا لك من يقدر أن يدفع ولا يمنع فمضت الغلمان اليهم وجاؤا بباقى الأمراء أسارى حيارى برأى عقبة والأمير أبو ليس معهم (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد البطال صار يكذب نفسه تارة ويصدقها نارة حتى لم يبقى من الليل الا نصفه ووصلت الغلمان وقبضوا على الباقين وأخرجوهم من الخيام وقيدوهم بقيود الدواب فقال أبو محمد هذا والله الذى كنت أحذره وكان حسابى وما قبض عليهم المأمون الا لأمر عظيم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وان البطال لما تحقق ذلك طلب الطريق هاربا وهو الى ملطية طالبا وهو لا يعلم ما قد جرى من قضيتهم فهو سائر وإذا بأربعة أشباح فى ظلام الليل والواحد يقول للآخر ان لحقنا مولانا أبو محمد البطال فهو المراد فان الأمر الذى خطر بباله صحيح فتأملهم وإذا بهم غلمانه الأربعة (ياسادة) وكانوا قد خرجوا من ملطية لما سمعوا هذه الأخبار الردية وأخرجت بنى كلاب (ياسادة) من ملطية وجرى عليهم ماجرى فأنكروا هذا وقالوا لبعضهم الحقوا بنا الأمير أبو محمد البطال فان كان فى خير فرحنا به وان كان فى شدة عملنا على خلاصه فلما وصلوا اليه ولقيهم فى الطريق وهو لا يعرف من الفزع والجزع والحزن والهلع فقالوا له ماوراءك أيها الأمير فأعاد عليهم القصة من أولها وما جرى لهم وكيف كان عليهم الحال فعجبوا من ذلك وقالوا ما بقى أحد يعرف الجميل فقال لهم البطال أنتم ايش أخرجكم من ملطية فقالوا ما بقى فيها أحد من بنى كلاب لأنه وصل كتاب مع رجل بدوى يأمرهم أن لا يبقى أحد من بنى كلاب لا صغير ولا كبير الا ويمضون إلى آمد فلما سمعوا ذلك مضوا الى آمد فما وجدنا فيها أحد فلما رأينا ذلك علمنا انها حيلة ورجعنا وبنى كلاب معنا فلما وصلنا إلى ملطية وجدنا الأبواب مغلقة وطلع الأمير عمرو بن عبيد الله على الأصوار وناد يامعشر بنى كلاب قد علمتم اننى عبد مأمور وقد أرسل المأمون يأمرنا أن نخرجكم من البلد والآن تمضون إلى عبد الوهاب وتنظرون ما جرى له مع المأمون ومع ذلك فما هو الا انفسد حاله مع المأمون فلما سمعوا ذلك ساروا طالبين الأمير عبدالوهاب وقد سبقناهم حتى لقيناك والحمد لله على رؤياك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما جرى وأما المأمون فان عقبة قال له ياأمير المؤمنين ارحل الساعة بالليل فان الأخبار ماتنكتم وتسمع عنك الروم انك جئت

إلى هاهنا من أجل هؤلاء وربما سألك فيهم سائل أو يحول بينك وبينهم حائل ارحل من يومك هذا فاذا وصلت إلى برية الخانوقة هناك ان أردت أن تسحبهم على وجوههم فافعل وان أنت وصلت برية الخانوقة هناك ان أردت ان تسحبهم على وجوههم فافعل وان أنت وصلت إلى بغداد أرميهم فى حبس الدم فلايخرجون منه أبدا وان أردت قتلهم فى الطريق فافعل وإذا أنت وصلت إلى هناك فما تبالى بأهل الارض (ياسادة) ورحل المأمون باقى ليلته وسار الى أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وهم سائرين الى وقت الضحى وأوسعوا فى البر وإذا بغبار قد ملأ الاقطار والامصار فقال الفضل ابن سهل لطاهر بن الحسن انظر من يأخد لنا خبر هذا الغبار (قال الراوى) ياسادة يا كرام وانبسط الغبار شرقا وغربا وسهلا ووعرا حتى اسود الافق واظلمت الطرق وعدم النور وذهب بياض الجو واسودت الجهات ونفرت الوحوش من الغابات وهبت الرياح العواصف رائعة زوابع العبرات ثم انكشف الغبار وبان القتار وظهر ما تحته للابصار (قال الراوى) ياسادة يا كرام وإذا بها خيول مجفجفه وأصناف مختلفة وصلبان قد رفعت وسيوف قد لمعت وخيول قد صهلت والأرض بحوافرها قد تزلزلت وهم ينادون باختلاف لغاتهم فلما نظر المأمون الى ذلك اصفر لونه وتغير كونه وانتفض وضوءه وقال فى نفسه وما ظالم الا ويبلى بظالم ثم قال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال انظروا إلى هذه النوبة إلى شؤم هذا الاتفاق وصاح المأمون بالغلمان وقال ويلكم يحمل بعضكم عليهم وبعضكم يحل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقد وقعنا فى هذه النوبة التى قد عملت علينا وعليهم وهذا بظلمهم وحملت الاتراك وقد أحاطوا بهم من كل جانب وعملت المضارب وسالت الدماء مثل السيل وجرت الخيل ووقع بركابها الويل وقتل شجعانها وأبطالها وأقرانها واشتهرت أهوالها ولم يزل السيف يعمل والدم يبزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى وقت العصر وعقبة قد التصق الى أصحاب المأمون وقد أظهر الفزع والجزع وهو يقول ليت روحى كانت فداء أمير المؤمنين وقد أتى مولانا مالم يكن فى الحسبان فادعوا الله ياأمير المؤمنين فان دعاك مستجاب مبارك لعل الله تعالى يكشف عنا هذه الغمة ببركتك فلما سمع أمير المؤمنين ذلك أيقن إنه هالك وقتل من العسكر ألف وثمانمائة وأسر الباقين وأخذ المأمون والفضل بن سهل والحسن بن طاهر عن بكرة أبيهم والقاضى عقبة فى الجملة وهو يقول وا اسلاماه واشيبتاه ياقوم أهينوا شيبتى والطموا قفتى ولا تؤذون أمير المؤمنين المأمون خليفة الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه والمأمون يسمع ذلك وهو يقول فضحنا والله القاضى عقبة ياليته يسكت عسى انى أخفى بين الخلائق

ويأتى فى العرضيات مالم يكن فى الحسبان وعقبة ينادى بلا هدوولا قرار (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأخذوا الأمراء كلهم على البغال وفى أرجلهم القيود الثقال (قال الراوى) ياسادة ياكرام والأمير عبد الوهاب قد نظر إلى هذه المصيبة ورأى عقبة ينادى بذلك النداء فقال لعنك الله فما هذا كله إلا فعالك ولقد تضرب رقابنا ورقبة المأمون فقالت الأميرة مابقى لنا إلى النجاة سَبيل إلا أن يشاء الله تعالى (قال الراوى) واحتوى الملك ميخائيل على الأموال والرجال والأمراء وأصحابهم وعملوا فى رقابهم الحبال وفى أرجلهم القيود الثقال زيادة على ما كانوا فيه وقال لأصحابه اطلبوا القسطنطونية فاذا نحن وصلنا ضربت رقاب الجميع وجمعت العساكر وسرت إلى بلادهم أهلكها وساروا بقية يومهم إلى أن أقبل الليل بظلماه فأمرهم بالنزول وجمع الأسارى بعضهم إلى بعض وهم فى القيود والشدة ثم أقبل ميخائيل على قومه وقال إن هذا يغضب المسيح إذ جعلنا الحبال فى الشيخ النجيح مع هؤلاء الانذال وإنما نطالب كتمان سره واخفاء أمره وقد تم لنا ما نريد والمسيح يعوضه الثواب بما جرى عليه فى مرضاة دين النصرانية ثم أقبل على عشرة من البطارقة وقال امضوا إلى عند الإسراء واسحبوا الشيخ النجيح واظهروا أنكم تريدون ضربه وعقوبته وأتونى به لنخلصه مما هو فيه فانى اخشى أن يغضب علينا المسيح قال فمضوا البطارقة إلى عقبة وتصدون وأوهموا انهم يضربوه وهو يتاوه وسحبوه إلى أن أتوا به إلى سرادق الملك فلما وقعت عينه عليه نهض وقبل وجهه وقال أيها الشيخ النجيح انشر علينا جناح رحمتك مما قاسيت من القيود والشد الوثيق فقال عقبة أيها الملك بهذا الفعل ينكتم أمرى فلا تسألنى حتى لايظهر كلما أبرمناه فقال له الملك ميخائيل المسيح يطول فى عمرك فانك عماد دين أهل النصرانية والملة المسيحية فقال عقبة اعلم أن ماقلبى طلب لأجل أن ماوقع فى قبضتى شيطان الانس والجن أبو محمد البطال العيار المحتال وما أقول أننى أصل إلى القسطنطينية أنا ومن معى سالمين مادام البطال قد سلم فى هذه النوبة وجعل عقبة يعض أنامله أسفاولهفا ويقول أن وصلت إلى القسطنطونية سالم وهو معنا فأنا أكشف وجهى بعد ذلك وأسلم اليك الأرض بأكتافها والبلاد والنواحى بأطرافها واخراب المساجد والجوامع واهدم المآذن واجعل للرهبان فيها مساكن واسفك دم الرجال والنساء وأشق بطون الحبالى حتى لايبقى على وجه الأرض مسلم فقال له الملك ميخائيل طب نفسا وقر عينا فلو أن عساكر الاسلام جميعا قد وصلت حتى يخلصوهم من يدى لما قدروا على ذلك لأن معى ستين ألف وغدا يصل أرمانوس فى مائة ألف ويلقانا فى الطريق فقال عقبة ان أردت أن تأمن على من معك من الهرب فاثقب أكعابهم واعمل

فيها الأوتاد بعضها إلى بعض وأظهر أنك قد فعلت ذلك بى أولا ثم ابتدىء بالمأمون وثنى بطاهر وثلث بالشيخ النحس الذى يظن أنه من أولياء المسلمين وهو الفضل بن سهل الوزير ثم ذات الهمة ولكن تثقب أكعابهم بمسمار قد أحمى فى النار زائد المنفذ ثم عبد الوهاب وظالم واحرص أن لاتعطب قوائمهم فلما سمع ميخائيل ذلك قبض على عقبة وأظهر أنه يثقب كعبه وجعل عقبة يستغيث فقال المأمون لبعض الروم ماالذى يصنعون بذلك الشيخ المسكين فقال أن الملك حنق عليه وقد أمر أن يثقب كعبه وهو يقول يامولاى بالمأمون أمير المؤمنين فقال المأمون وقد بكى مارأيت قط أدين وأشفق علينا من هذا القاضى عقبة ولقد كذب الذى قال أن له عند الروم منزلة عظيمة فهذا كله محال عليه.

(قال) ثم أمر الملك ميخائيل فأحضر بين يديه المأمون وثقب كعبه (ياسادة) وهذا رجل كعبه رقيق لم يتعود شدة ولا قاسا نائبة فجعل يستغيث وقد أشرف من ذلك على الموت ثم أخذ من بعده الأمير عبد الوهاب وأوقع عليه العذاب وضربه حتى غشى عليه وثقب كعبيه وعقبة يقول اصبر أيها الأمير على هذه المصيبة فهذا كله فى سبيل الله اصبر ياعبد الوهاب وابشر بما قد كتب لك من الثواب فلم يصبر عن الجواب بل قال يالملعون أن لى من الأجر مالا عين رأت ولا اذن سمعت وأنا أعلم أن هذا كله فى سبيل الله تعالى وليت كان لى ألف روح حتى ابذلها فى طاعة ربى ويسفك دمها فى الجهاد فى طاعة رب العباد ثم أحضرت الأميرة وفعل بها كذلك وهى صابرة لا تتكلم فقال لها المعاقب بالعربى ويلك لما لاتصيحين مثل أصحابك كانك تتجلدين على العذاب فقالت ويلك الذى أصيح له بنداى هو عالم بشكواى فلما سمع عقبة ذلك بكى ثم قال والله لقد صدقتى أيتها الأميرة وهذا اعتقادى واعتقاد المسلمين ويقين المؤمنين الموحدين وغمز البطريق حتى يزيد فى ضربها ففعل ذلك وهى مكتوفة اليدين مقيدة الرجلين ولم تزداد إلا صبرا فلما زاد عليها الأمر قالت كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وفعل بالأمير ظالم كذلك وبالأمير ضيغم كذلك وجعل ضيغم يقول هذا جزاء من يكون بملطية ويريد الفرجة بدمشق الشام فضحك الأمير عبد الوهاب من وسط الغيظ وفعلوا بالأمراء واحدبعد واحد إلى الصباح ورفعوا القوم على البغال وهموا بالارتحال وإذا بغبار ثار وطلع وتلملم وأتسع وانكشف وانقشع وظهرت من تحته ليوث الحرب وأبطال الطعن والضرب وكان كذلك أبو محمد البطال ومعه أبطال بنى كلاب (قال الراوى) وذلك إنه لما وصلت بنى كلاب إلى ملطية وقال لهم عمرو بن عبيد الله أنا عبد مأمور وان القوم ساروا طالبين الأمير عبد الوهاب وقد استدل

عليهم من أمرهم كل باب فلقيهم الأمير محمد أبو البطال كما ذكرنا فى الطريق فلما نظر إليهم بكى فى وجوههم ونادى وآ أميراهوا أميرناه واشماتة أعداه الا وأن هذه كانت حيلة من عقبة الملعون وقد حمل المأمون علينا وزور كتب على خطنا كانما كتبناها بأيدينا وقد قبض على الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وباقى الأصحاب فقالت بنو كلاب الأنجاب فما الذى تشير علينا أن نفعل فقال إن كانت لكم نخوة فأنتم أكثر من أربعة آلاف والمأمون فى عشرة آلاف تقصدون إلى الرقة فان كانوا بها مقيمين أخذنا الكل من ظاهرها وشفينا الغليل من عقبة ونصلبه بين يدى المأمون وما علينا من أهل الأرض ملام فقالت بنى كلاب والله ما يقع عيوننا عليه إلا ونهبره بالسيوف والصوارم ولا تخاف لومة لائم فعندها سار بهم البطال وفرح بهم وقال لابد أن أجعل ظن المأمون فينا صحيح وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا حتى وصلوا إلى الرقة فقيل لهم من أمس رحل المأمون طالب دمشق فجعل البطال يقتفى أثرهم فلما كان من الغد نهارا أشرف على الملك ميخائيل ومعه البطارقة والعمالقة وهم قد رفعوا الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب على الدواب وكان الملك ميخائيل قد أمن على نفسه لأن ما فى الرقة عسكر والنجدة منهم بعيدة ولا علموا بهذه الأسباب ولا بمجىء بنى كلاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان هذا من عمل القاضى عقبة لأنه طلب أن يخرج بنى كلاب من ملطية إذا قتل الامير والاميرة ولم يعلم ان هذا يكون وانه لما نظر إلى ذلك أيقن أنه هالك وأقبل على نفسه يعاتبها ويقول إذا أراد المسيح هلاك النملة جعل لها جناحين فيالها من نوبة ما أعظمها وغزوة ما أيشمها ومابى إلا أننى قد ثقبت منهم الكعاب وأرجع أقع فى أيدى بنى كلاب لاسيما وفيهم هذا المجنون ظالم ثم أقبل على الملك ميخائيل وقال هذه عساكر المسلمين قد وصلت فعلى ماذا عولت أن تعمل فقال الملك ياقاضى لاتفزع ولا تجزع فما أنا مثل الملك منويل ثم أشار إلى البطارقة ان يلقوا القوم من غير إهمال ولا اغفال وصاح فى العرب المتنصرة فأجابوه وقالوا ما نبالى بهم ولنا نجدة تأتى مع هاشم بن شيبان هذا والبطال لما رأى الصلبان قال هذا والله تتمة حيلة عقبة قد كاتب الروم أن يحملون على الأمراء ويأخذوهم أجمعين احملوا بارك الله فيكم (ياسادة) والأمير عبد الوهاب قد أيقن بالخلاص حين عاين أصحابه ورجاله وأبطاله وكانت باقى عساكره مفرقين فى القلاع والأماكن وحملت الأبطال على الأبطال وأشتد الزحام وصالت النصال على العظام وغشى الغبار البصر ونزل الدم وانهمر ومال من الفارس فى سرجه التعب والضجر وحارت الألباب من خوف الصارم الذكر

واندرس رسم الجبان واندثر وطلب السلامة والسفر ولم يبق شجاع إلا وانبهر ولا بطل إلا وقصر ولا ضيغم إلا وهدر ولاقسور إلا وزمجر وعثرت الخيل بجماجم البشر وقرفيهم القضى والقدر وظهرت بنو كلاب على الروم وكان يومهم يوم مذموم وبقيت الخيل تقع وتقوم وغشيهم الغبار مثل الغموم هذا والبطال قد انفرد فى ألف من الأبطال إلى ظاهر العسكر وكان كل من هرب من المعمعة قتله كل ذلك خوفا من هروب عقبة هذا والأمير عبد الوهاب قد كاد قلبه أن يطير من الفرح بعد الشدة التى هو فيها هو وامه وأولاده وقد قتل صاحب العلم وانهزم وزال ركنه وانهدم وحمى القارس ودمدم وانقطع طمع عقبة وانحسم وبكى عوض الدموع دم ولم يبق لجيش الروم غير أنه ينهزم وإذا بالخيول قد تسارعت والبيارق قد سطعت والبيض قد لمعت والاسنة قد تشعشت والأفئدة قد تصدعت والمواكب كأنها المراكب قد أقلعت وقد طلع أرمانوس فى مائة ألف عنان وكذلك هشام أخوا حرب بن شيبان ولما علم بذلك عقبة فرح وقال هذا تمام السعادة وما أظن أن المسيح يغفل عنى هـذه النوبة فكنت أعتب عليه (ياسادة) وأما الأمير عبد الوهاب فانه لما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا مالم يكن فى الحساب وزاد به الهم (وأما البطال) فانه أقبل على قومه وقال لهم اياكم أن يخامركم فزع أو يلحقكم جزع فعبد الوهاب وذات الهمة مافتحوا البلاد بسيوفهم وانما فتحوها بسجارتهم فبادروا إلى خلاص الامير عبدالوهاب والا فهو هالك وأنتم كذلك وأنا أول من يحمل فاصدموهم قبل ان يصدموكم فعند ذلك أكبوا الرؤوس فى قرابيص السروج وحملوا حملة رجل واحد وقد تقدم هياج الكردى وبناته وأبطال العرب والعبيد ونادى المنادى بينهم بالتزاحم حتى جزت العلاصم وفلقت الجماجم وهلكت العوالم وقد التصق القاضى عقبة وهو مشدود على فرس إلى الفضل ابن سهل فقال له الفضل أيها القاضى عليك بالدعاء فقال عقبة اعلم أن دعائى ماحجب وقد دعوت جهدى ولولا ذلك لما بقى أحد منا الا هالك ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالإعتكار وغابت الأرواح من الخوف والفزع والأنبهار ونزلت الروم الأشرار والمتنصرة الكفار وأضرمت من حولهم شعل النهار وكان الحرس طول الليل بالرجال والخيل فلما أصبح الصباح عمدوا الى حمل السلاح وجردت الصفاح وشرعت الرماح وجالت الصافنات فى البطاح وتصادمت الجيشان ودام بينهما الطعان إلى الظهر وإذا بغبار من بلد الروم قد ظهر وانكشف وإذا به الملك دنكسار وهو مالك الصقلب وقدخرج خلف الملك خدمة له وطلبا

للغزاة وأدرك القوم وهم على غاية الجهد وقد صبروا بني كلاب على ماهم عليه فلما نظروا إلى تلك العساكر رأوا الدنيا قد مالت عليهم بالاعداء وما لهم مقصد يقصدون اليه وهم فى وسط العجاج على ماهم عليه وقد ضاقت منهم الانفاس وكثرت عليهم الارجاس فعند ذلك طلب كل واحد منهم هواه وكان أول من انهزم أبو محمد البطال وقال مابى موتى مثل مابى من شماتة الاعداء وقتل من بنى كلاب ستمائة ومن الملثمة والبربر ثلثمائة ومن السودان أربعمائة وكانت نوبة ماسمع بمثلها وأخذ الامير هياج الكردى أسير ففرح عقبة بأخذه مثل فرحه بأخذ الامير عبد الوهاب لأن بينهم العداوة القديمة كما قد ذكرنا وقتل له أربع بنات وانهزم ثلاثة وكانت هذه أخت وقعة الفنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام وطابت الدنيا لعقبة وجمعت الاسلاب وقطعت الرؤوس من القتلا ورفعتها العرب المتنصرة على الرماح وطلبت القسطنطونية ونظر الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة إلى ماحل بهم وبالناس فنسيوا ماهم فيه من العذاب وبكوا على الشيوخ والشباب ونظر عقبة إلى الرؤوس التى على الرماح فجعل ينادى هنيئا لكم أرواحكم فى الجنة قد وصلت إلى رب كريم والأمير عبد الوهاب وذات الهمة قدانفطرت منهم المرائر وكذلك المأمون يبكى على نفسه ويقول ليت كان ملكى زال ودولتىانقرضتولا جرى على الناس ماجرى وربما ان عبدالوهاب وذات الهمة قد كاتبوا زبيدة خوفا من انكسار قلبها فعجلت أنا بذلك لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذه النوبة أموت ويتحدثوا الناس بهذا الفعل الردىء بعدى ماقام قائم وقعد إلى الأبد ثم جعل ينظر إلى الأمراء وهم مثل السباع الا انهم لاسبيل لهم إلى الخلاص فقال لوكنت أحضرتهم فى بغداد ثم أوقفتهم على فعالهم كان أصلح مماجئت إلى هذا المكان الذى جاءت الروم اليه فلاستر الله على عقبه فما كانت شورته إلا ميشومة ولا آمن أيضا أن يكون قد اتفق هو وزبيدة على هذه الحيلة على هؤلاء الأمراء لما بينهم من العداوة والبغضاء وزورت عليهم تلك الكتب ولكن إذا نزل القضاء عمى البصر فأين كان عقلى ثم جعل يعاتب نفسه وساروا بهم إلى أن بقى بينهم وبين القسطنطونية يوم واحد وأمر الملك ان تزين البلد ويخرج أهله إلى لقاء الملك وهو يقول هذا مالم يقدر عليه الملك منويل فى عمره وبات فى هناء فلما أصبح رفع الأسارى على البغال وسبق البشير إلى البلد وزين البلد وغلقت الدروب والأسواق وزينت الجدران والأصوار بالثياب الأطلس وأثواب الديباج من الرومى القسطنطينى والملكى والمقصب والمذهب والمدثر وأقبلت الأموال على الدكاكين وقطع العود ونوافح المسك وغير ذلك وأخرجوا حكماء الروم كل عجيبة

وغريبة ولعبت أهل الخيالات وسكبت الخمور وذبحت الأغنام ورويت المدام واصطنعوا الطعام ولبسوا الخواص والعوام وخرجت البنات العذارى والنسوان وفرحت الصبيان وعلقت الصلبان وخرجت القسوس والرهبان ولم يبق شماس ولامطران ورفلت النسوان فى أثواب الديباج وكشفت الوجوه المزينات على الشراب مع ترافة الأبدان واحمرار الاقحوان ولعبوا بالعيدان وتواترت الأصوات والألحان من طيبة الأشجان وكان ذلك أطيب زمان وهو زمان الربيع الموصوف بكل لسان والأرض ضاحكة عن ثغور الاقحوان والبنات قد أينعت أحداق أزهاره وارتفعت عنها الأجفان وعروق الحشائش كأنها المرجان والنوفر يتوارى فى مياه الغدران وسكرن النسوان وخرقن الغلائل الإنطاكى والكتان وبانت طيات مدارج تلك الاعكان ولم يزالوا كذلك حتى وصل الملك ميخائيل فى ذلك الموكب الثقيل وأخذه الدعاء من الرجال والنساء من كل مكان وعبروا الاسارى والمأمون فى أوائلهم والفضل بن سهل ذو الرياستين وطاهر بن الحسن ذو اليمينين وأحمد بن أبى خالد ومحمد بن داود والحسن بن سهل فجعلت الروم تصيح بهم حتى أرادوا أن يرجموهم بالحجارة فمنعهم من ذلك البترك وقال لايجوز ان يكون هذا إلا من الناس الصعاليك وهذا خليفة المسلمين وما ندرى كيف يكون الحال ثم عبر بعده الامير عبد الوهاب وحوله أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وعقبة بينهم والروم يعلمون ان ذلك حيلة منه ونظر إلى الامير عبد الوهاب وأولاده ضيغم وقشعم وظالم وسيف الحنيفية وأمه ذات الهمة وجميع الامراء المعروفين الذين أذلوا الروم ورموا نفوسهم عليهم وأخذهم اللطم من كل جانب ورموا عليهم الاشياء القذرة وعقبة يقول للأمير عبد الوهاب مابنا هذه الاشياء النجسة مثل مابنا اننا لانقدر نصلى فى هذه الثياب التى علينا ولكن هذا فى سبيل الله وما لاحد فى هذا حيلة ثم جعل عقبة ينادى برفيع من صوته معاشر الروم أرفقوا بهؤلاء الامراء ولا تضربوهم فهم عماد المسلمين وقوام دين الحنيفية وربما جرى بيننا وبينكم الصلح فابقوا للصلح موضع وهذه ذات الهمة وعبد الوهاب وأصحابهم وهذا ظالم الذى قد سمعتم صفته فلما سمعوا ذلك من كلامه أكثروا الضرب واللطم لهم دون أصحابهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام والأمير عبد الوهاب قد علم مراد عقبة (ياسادة) ودخل الملك من باب الذهب فقال على بالمأسورين فقدموهم اليه فضرب منهم مائتين رقبة من أصحاب المأمون من الترك وكل من كان معهم من الأسارى إلا الأمير عبد الوهاب وتمام العشرين والفضل وطاهر وان الملك ميخائيل أمر بهم إلى بلاد البلاط التى فى القسطنطينية والمأمون معهم وقال يكونوا هنالك الى غداة غدفان كان المأمون يسلم

لى البلاد والا ضربت رقبته ورقبة كل من معه ثم أمر الملك باحضار عقبة من بينهم فلما صار بين يدى الملك قال قد علمت ان مايهلك فى هذه النوبة غيرى لامحالة لأنك ما أخذتنى الا وتريد قتلى فقال الملك وهو يضحك نعم أريد قتلك لأنك راهب المسلمين فقال المأمون ياهذا لاتقتله ولا تفعل به شيئا فانه شيخ كبير وما وقعنا هذه النوبة إلا برأيه وتدبيره ولو قتلتنى ما قدرت على أخذ البلاد لأن أخى المؤتمن قد أوصى له الرشيد بالخلافة وهو يكون الخليفة بعدى ولا تقدر على أخذ البلاد لأن الله لايخلى أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أنصار وان أنت أطلقتنى على انى أعتمد معك العهود على اننى ما آخذ منك الخراج الذى كنت تحمله إلى الرشيد عشرين سنة وأعطيك من الهدايا والتحف ماتريد فقال الملك ميخائيل هذا مقالك أنت لابد من قتلك وقتل هذا الأسود عبد الوهاب وحق المسيح والإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل لاعاد عبد الوهاب يخلص ولا أمه ولا أصحابه ماطرد الليل النهار ولا بد ما أجمع سائر الروم لهم وأحرقهم فى قدور النحاس فقد أحرقوا الكبود وأنحلوا الأجساد وقتلوا الآباء والأجداد وسبوا الذرارى والأولاد وما صار للرشيد علينا من الأموال فى كل سنة وقهرنا على طول الأعوام إلا بهذا الاسود الزنيم والبغل اللئيم ابن مرزوق الذى فعل مالا يقدر عليه مخلوق ولولاه لكنا ملكنا رقبة الرشيد وجعلناه لنا من جملة العبيد وما قامت دولة بنى العباس إلا بهؤلاء القوم فلما سمع المأمون ذلك علم أن قوله صحيح فندم على فعله بهم إذا لم ينفعه الندم وتنفس صعدا ولهفا وأظهر حزنا وكلفا ثم رفعوا الكل إلى دار البلاط وأنزلوهم فى المطامير ووكل بهم ألف بطريق وحلف ان كل من هجع منهم فى ليلته أرمى رقبته وأخذ الملك ميخائيل عقبة اللعين اليه هذا والامير عبد الوهاب قد أيقن فى هذه النوبة بالهلاك (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من بنو كلاب فانهم لما انهزموا فى تلك الوقعة وقتل منهم من قتل وساروا طالبين ملطية فلما أشرفوا عليها ونظر الامير عمرو بن عبيد الله اليهم غلق الابواب وكان قد استقدم بنى سليم عن بكرة أبيهم كى لايحتاج المأمون إلى بعض الخدم فكانوا ثمانين ألف عنان فلما أشرفوا بنى كلاب ونظروا اليهم بنى سليم وإلى ماحل بهم فظنوا ان ذلك من المأمون فارتفع صياحهم عليهم وقالوا ذهبت دولة بنى كلاب وما أشرع المأمون فيهم القتل إلا وقد حلت دماهم وأموالهم ثم ان السفهاء من بنى سليم هجموا على البنات العربيات من بنى كلاب فقالوا لهم ويلكم يا أندال العرب ماهذه الفعال بالحرم ماهذا شيم الكرم فنادى منادى بنى سليم ان رجالكم قد قتلت وأبطالكم قد ملكت ولم يسلم منهم إلا القليل والباقى بين اسير وقتيل فعند ذلك

ارتفعت الضجات وكشفن الرؤوس على السادات وانجرحت القلوب وكان ذلك اليوم يوم عظيم لم يسمع قط بمثله ولم تبق دار من دور بنى كلاب الانهبت إلادار الأميرة علوى فانها كان فيها القناصة أم ظالم ونورى زوجة البطال وانهن لما نظرن إلى ذلك أخذن السيوف وقلن والله لايقدر أحد أن يدخل الينا وفينا عين تطرف ونادت الأميرة علوى ياويلكم ماتدعون حرمة الجوار وقرب الديار ولا جميل الأمير عبد الوهاب مرة بعد أخرى فقالوا لها أن الأمير عبد الوهاب قتله المأمون فسلى روحك تسلى وإلا سوف تندمى فقالت والله لا كان ذلك أبدا وهجم عليها الأمير عطارد وكان من أقارب الامير عمرو بن عبيد الله فى مائة رجل وكان شيطانا مريدا وجبارا عنيدا كارها للأمير عبد الوهاب وقال ويلك اخرجى إلى دار غيرها فما قصدنا إلا أخذ الأموال فقالت له الأميرة علوى ياويلك كيف تأخذ أنت أموال الأمير عبد الوهاب إن كان هلك كما زعمت فما أنت وارثه ولا لك عليه دين وإن كان سالما فسوف ترى عاقبة ذلك فلما سمع عطارد ذلك صاح برجاله خذوهم فالتقتهم القناصة بساعد قوى وجنان جرى فما كانت إلا طرقة الطارق حتى قتلت منهم أربعة وعشرين رجل وصاح عطارد بالرجال وتكاثروا عليها فحملت نورى فكشفتهم عنها وحملت القناصة على عطارد وضربته بالسيف على رأسه نزلت الى حد اضراضه وقتلت نورى من القوم جماعة وبلغ الخبر إلى الأمير عمرو فجرد عليهم وقال ياويلكم من أمركم بهذا فعظم عليه وكبر لديه وحملت بنو سليم الاموال التى أخذوها من بنى كلاب وكانت شىء كثير تزيد على خمسمائة الف دينار وقالوا له فى دار الامير عبد الوهاب مثلها أو أكثر وقد قتل ابن عمك فلا أقل مما تأخذ الأموال بتارك فأمرهم بالقتال وقصدتهم الرجال وقاتلوا القوم أجمع يومهم وليلتهم وأخذن بعد أن كثرت فيهن الجراح ورموهم بالحجارة من أعلى الدار ونهبت دار الأميرة علوى والاميرة ذات الهمة ورفعوا الاموال الى دار الامير عمرو بن عبيد الله ووصلت بنو كلاب من ظاهر الصور وصارحوا ويلكم ما فعل بنا هذا المأمون وانما هم الروم والملك ميخائيل وأعادوا عليهم القصة فلما سمع الامير عمرو بن عبيد الله ذلك أرسل الى الرقة فلما علم صحة الخبر عظم عليه وكبر لديه وجمع بنى سليم وشاورهم فى رد الاموال فقالوا أيها الامير اما الملك فما يستبقى الأسود ولا من يلحقه من النسب ويخلص كل من معه بالأموال والرأى عندنا أن نخرج نساء بنى كلاب الى عندهم ونقول لهم الأموال التى كانت فى بيوتكم هى كانت أموال المأمون نريد نشتريه بها وقد مننا عليكم بالحريم فاذهبوا حيث شئتم (قال الراوى) ياساده فلما سمع الامير عمرو بن عبيد الله كلامهم أخرج النساء

التى لبنى كلاب ونساء عبد الوهاب وعلوى والقناصة ونورى فلما حصلوا عندهم أخبروهم بما جرى عليهم وسألوهم عمن هلك منهم فقالوا أكثر من عطب من عسكر بنى كلاب الذين وفدوا من الحجاز والمثمة وغيرهم ثم قال ان القوم ساروا بهم إلى آمد ودخلوا بهم اليها فلما سمع ميمون الجماس بالقصة قامت عليه القيامة وقال ماصنع البطال هلك أوسلم فقالوا سلم ولكن لما أظلم الليل طلبناه هو وغلمانه فما وجدناه (ياسادة) هذا وان الامير عمرو بن عبيد الله عول على مكاتبة الملك ميخائيل فى شأن المأمون ليضمن له كل مايريد (قال الراوى) ياساده فهذا ماجرى ههنا (وأما الملك ميخائيل) فانه لما صار فى قصره أحضر عقبة معه وأجلسه فى دست المملكة وقال له أنت شيخ زماننا نتيجة عصرنا وأواننا ولولاك لما وصلنا إلى مثل هذا فقال له بحياتك إن طول المسيح فى عمرى لانصبن لك الرايات والأعلام فى الحجاز ولا يتم لنا هذا الا أن تفعل ماأقول لك فقال وما ذلك قال اذا أصبح الصباح تعجل بهلاك هؤلاء المأسورين الذين عندك وأول ماتبدأ بالمأمون حتى تقع لك الهيبة فى قلوب العباد وتملك البلاد ثم تجمع الكتائب والمواكب وأنا أسير معك وأقول ما تصنع بهم وما الذى فيه راحة لنا فقال له الملك ميخائيل طب نفساً وقر عينا فان شئت أجعلك تضرب رقابهم بيدك حتى يكون أشفى لفؤادك إذا بلغت مرادك من أعدائك وحسادك فقال عقبة فما عندى من الرأى إلا أن ترسل الساعة البطارقة يأتون بالاسود الزنيم وأصحابه فتضرب رقابهم وهذا الليل مامضى منه أكثر من نصفه وكان ميخائيل قد نصب مجلس الشراب فرحا وعقبة إلى جانبه وهو يأكل من لحم الخنزير ويشرب من الخمر العصير هو والملك ميخائيل والملك يقول له هذا هو الرأى الصحيح (قال الراوى) فهو كذلك وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما وقد أقبلت البطارقة بالضجيج والعجيج فقال الملك ياويلكم ماوراكم ماالذى دهاكم فقالوا أيها الملك ذبح منا سبعين ووقع رؤوس أربعين وما ندرى ماجرى على المطمورة التى فيها المأسورين من المسلمين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما أصيب الأمير أبو محمد البطال فى عسكره وعلم أن الأمير عبد الوهاب وقد صار فى يد ميخائيل ضاقت عليه الدنيا وتوسوس وقال لأصحابه ما لرواحنا وجه من الوجوه ونحن قد فقدنا وهلكنا لفقد الأمير الأوحد والبطل الأمجد الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وظالم ومن معهم من الأصحاب وما يدخلون إلا بلد القسطنطينية وعقبة مع الملك فما يبقى عليهم لأن الملك ميخائيل ما ينظر فى عاقبة وهو جاهل وعقبة يحسن له ذلك وقد هلكوا أصحابنا ولا بد لى من إتباعهم فقالوا ونحن معك لأنك تعلم أن عقبة ما يخفى

عليه زينا وإن أخذنا فقد أمن على نفسه ويحث الملك على قتل الأمراء وقتلنا معهم فقال البطال سير وابنا وتوكلوا على الله وسار البطال ودخل هو وغلمانه إلى القسطنطينية ولم ينكر عليهم أحد ولما أفرد المأمون هو وأصحابه فى مطمورة ووكل بهما خمسمائة بطريق وتوكلوا بالمطمورة التى فيها الأمير عبد الوهاب مثل ذلك هذا وان البطال دخل مع البطارقة وجلس معهم وجعل يقول لهم إياكم والنوم فقد سمعتم ما قال الملك ميخائيل فى حفظ هؤلاء الأسارى الشياطين ثم أبسط معهم فى الحديث والمسامرة وفى بعض الأوقات (ياسادة) يتلو الإنجيل ويقرأ المزامير بصوت شجى يصرع الطير من الهوى حتى أخذ بعقولهم وجعل يزحف من موضعه حتى قرب من الموضع الذى فيه خابية المـــاء الذين يشربون منه وحك أذنه فأخرج منها قطعة بنج اقريطش ورماها فى الخابية فما هم إلا أن شربوا منها حتى وقعوا سكارى على الأرض وقد أمنوا أن يطرقهم طارق (قال الراوى) ولما أن نظر البطال إلى ذلك وثب قائما وقد قال لغلمانه أذبحوا الذين حول المطمورة فقد ناموا حتى تأمنوا على أنفسكم فوثبوا إليهم وأنطرحوا بالخناجر عليهم فذبحوا منهم جماعة وقصدوا إلى الأمير أبو محمد البطال وفتحوا المطمورة ونزلوا إليها فكان أول من نزل وأخرج الاميرة وفك قيدها أبو محمد البطال وقد أعطاها خنجر وقال لها كل من دنا منهم اذبحيه فأرادت ذلك وإذا قد أنتبه النائم على شخر القتلى وصاح الصائح وتواثبوا البطارقة من كل جانب وجاءت البطارقة إلى المطمورة الذى فيها المأمون وقد نظر الامير أبو محمد إلى ذلك فنجا بروحه وغلمانه والاميرة ذات الهمة وخرج من الموضع الذي دخل منه هو وغلمانه والاميرة ذات الهمة ولم يزالوا إلى أن أتوا إلى دار البطريق مارس وطرقوا الباب فخرج وهو مذعور وكان قد ورد على قلبه مالو طرح على الجبال لما طاقته فلما أن رآه فرح بهم ودخلوا داره وقد سارت البطارقة إلى ميخائيل وهو كما ذكرنا والبطارقة حوله فى مجلس الشراب وأخبروه بالقصة ومن قتل فأمر الملك بانتقاد المطامير فرجعوا أخبروه بأن ماعدم أحدا من الأمراء وأعمى الله الكل عن الاميرة ذات الهمة فقال الملك ياقوم أن هذا العجب والمطمورة ماأخذ منها أحد وهذا بابها مفتوح والرجال قد ذبحوا وما هذا إلا فعل البطال وكأنه يقول لو أننى أردت خلاصهم لقدرت عليهم ولكن أن قتل منهم أحد لذبحتكم كما ذبحت حرب بن شيبان وحق المسيح لا تعرضت لواحد منهم بقتل حتى يقع فى يدى البطال أطلبوه فلا بارك المسيح فيكم فعند ذلك طلبوه فلم يعرفوا له خبر ولا وقعوا له على أثر ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وقال الملك قد عولت انى أرسل عبد الوهاب ومن معه إلى قلعة الشيطان وآخذ المأمون وأسير

إلى البلاد وأهلك العباد واقتل أهل البغي والفساد فقال عقبة هذا هو الرأي السديد والامر الرشيد ثم أحضرهم بين يديه وطلب الاميرة ذات الهمة فلم يجدها فعظم عليه ذلك وقال وحق المسيح هذا عجيب قد انفلتت اللبوة الشمطاء فقال عقبة في نفسه محسنك ياولد الزنا كلما اصطدت أنا شيء تطلقه أنت فأمر الملك فأسرعت الخيل في طلبها فساروا ورجعوا وما وقعوا لها على أثر فعند ذلك قال ميخائيل إذا أنا ملكت البلاد لابد لى من أخذ هذا الشيطان البطال ويكون قتله وقتل هؤلاء المأسورين في يوم واحد فقال عقبة أيها الملك لاتمضى الى بلاد الإسلام حتى تنفذ هؤلاء إلى قلعة الشيطبان (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان عقبة عارفا بتلك القلعة وله فيها مال عظيم وكانت هذه القلعة مبنية بالحجر والحديد والكلس ذكر فى أنثى بعضها على بعض فليس مثلها على وجه الارض وان هذه القلعة على رأس جبل فاذا صعد ابن آدم على رأسه يرى الجمل من أسفل مثل العصفور ومن حولها جبل لايرام كامل دائرة مغاير لايحصيها إلا الله تعالى وفيها عالم عظيم صغار العيون ليس لهم لحاء وهم جنس من جنس المغليبط وأنخرهم وهـــذا الجبل يقال له جبل العجائب لأن بليناس الحكيم كان قد ترهب فيه زمانا وكان فى سفح الجبل برج عظيم وفى وسطه صخرة خضراء ينبع منها ماء أحلى من الشهد (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما رأى بليناس ذلك بنا فى ذلك المكان دىراعظيما وجعل الدير دائر بتلك الصخرة والعين وجعل للقبة أربعة أبواب من النحاس وعمل فى الباب الذى يلى الشرق أسد باسط ذراعيه مفتوح الفم يدور على لولب ورقى اليه الماء من تلك الصخرة إلى أن خرج الماء منه إلى بركة تحت باب القبة الشرقى وعمل فى البركة أنابيت يخرج الماء منها وغرس من حول ذلك الدير بساتين وكروم تسقى من ذلك الماء وقد جعل فى الباب الثالث صنما احتكم صفته ورتب حكمته فمن توجه إلى الدير من العدو داو الصنم ويرجع إلى الجهة التى يأتى العدو منها ثم تتحرك يديه جميعا فتهتز فيها جلاجل مصنوعة تستمع على بعد من الدير فاذا فعل الصنم ذلك اخذوا أهل الدير أهبتهم وتحضروا لعدوهم وجعل فى الباب الرابع صنم آخر من النحاس الطيلثون الذى لايبلى طوله عشرين ذراع وجعل وجه مما يلى الشرق وصنع جرسا عظيما معلقا فى يده فاذا جاءت ساعة من الساعات التى يتعبدون فيها وصلواتهم حرك الصنم جسده فيتحرك الجرس فعند ذلك تأهبوا للصلاة ثم انه عمد الى جانب الدير فبنى فيه مجلسا مربعا على لوالب الحديد تدور على ممر الساعات وعمل فى وسطه دكة مرصعة بالجزع اليماني وصنع لها درج وجعل للعقبة باب من الفضة وقفله بقفل حكمته ومن داخل الباب أربع شخوص جلوس على هيآت الخدم بأيديهم

مراوح ثم غير باب المجلس وطلسمه وكتب عليه وهو يقول هذا ماصنعه بليناس الحكيم بن بطليناس اليونانى من حكمته وانه نظر فى علمه وأما أعطاه الله من حكمته فرأى انه متى ظهر فى هذا الدير شخص وفتح له باب هذا المجلس وباب الدكة فانه يكون له شأن وأى شأن ويملك ملك عظيم (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان هذا الدير له شان عظيم وذكر فى بلاد الروم ولايسكنه إلاملك أو ملكة يترهبوا وكان له من النذور شىء لايقع عليه احصاء وكان يسمى بالرومية كريكانوس معناه دير النذور ولما شاع ذكره وانتشر فى النصرانية أمره وعلوه وعلموا به ملوك النصرانية والقسطنطونيه فبنوا بالقرب منه قلعة مانعة مرتفعة شاسعة مبنية بالكلس والحديد ليس لهاطريق ولاعليها تسليق وتركوها خزانة لهم وسموها قلعة ديابيك معناه قلعة الشيطان وكانوا الملوك يتوارثون وكان بذلك الجبل أولئك القوم الذين ذكرنا صفتهم انهم صغار العيون وكان البطال دخل سائر بلاد الروم الا هذا الجبل لم يقدر يدخله وسبب ذلك انه لم يعرف بلسانهم وأيضا انهم فى مغائر ذلك الجبل ولا لهم سوق ولا مدينة ولا طريق وكان الشتاء إذا اشتدعليهم بالثلوج فيبقوا فى تلك المغائر هم وخيلهم وعندهم جميع مايحتاجون اليه ولهم من الكروم والثمار فى ظهر ذلك الجبل مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولم يخرج أحدا منهم إلى بلاد الإسلام ولا قاتلوا بين يدى أحد من الملوك فاذا أصاب ملك الروم كائنة يوجه اليهم البترك يطلب منهم النجدة ويقول لهم ان المسيح قد فرض عليكم الجهاد فيقولوا صدقت إنما افترض علينا أن نجاهد بين يدى ملكنا لابين يدى سواه (قال الراوى) والأصل فى ذلك أن القوم كان لهم ملك يقال له نسطوريا ابن شمعون وكان عارفا كثير الحيل شجاع بطل لايقاس به ولم يزل كذلك حتى قدح همته وقرأ شيئا من الحكمة وبنى على باب مغارته التى يسكن فيها هيكل عظيم وجعل على الهيكل فارس من النحاس بيده بوق من الفضة فاذا قدم إلى زيارته ملك أو قد نوى له الغدر فى نفسه يزعق ذلك الفارس ببوقه فلا يظهر ويرجع ذلك الملك خائبا مما أمل فلما حضرته الوفاة قالوا له قومه أيها الملك من يملكنا بعدك فقالوا اعلموا انى أردت أن أجعل لكم ملكا من الملوك منكم وأجعل أمركم إلى ملك القسطنطونية فأتانى الشيخ وقال لى لاتفعل ذلك فان هذه البنت التى خلفتها سوف يكون لها أمرا أومن بعض أولادها ولدا يكون ملكا لقومك جميعا ويملك سرير الملك الاكبر ويملك البلاد من المشرق إلى المغرب وتعود الدنيا كلها مسيحية فلا تطيعوا أحدا من بعدى من الملوك وكونوا ملوك أنفسكم فلما سمعوا ذلك من كلامه فقالوا هذا الذى نريد ونصير أعز الناس وأعلام ويعود الملك فينا وطمعوا

فى ذلك قال وكان قصد الملك يكون الملك فى ذريته أبدا فقضى انه مات وترك ابنة عاقلة لبيبة اسمها مارية فتزوجها رجل اسمه جرجيس ابن قلفطون فصار ملك القوم ولم يرزق غير ابنة فسماها بطوانة فلما كمل عقلها وهبت نفسها للسيح فأخلوا لها الرهبان قلايه برسمها وكان أبوها وأمها يزورونها فى الشهر مرة هذا فى أيام توفيل ابن لاوون وكان على قلوب المغلبيط من القلعة أمر عظــيم لانها حاكمة عليهم فى سن ذلك الجبل ولا سبيل لهم اليها ولم تزل ابنة الملك فى قلايتها لاتنزل الايوم الصلاة فى بيعة ذلك الدير وهو يوم الاحــد وتعود وكان قد ترهب فى الدير ابن ملك البرجان وكان اسمه فرسيس بن مطليس وكان أجمل خلق الله تعالى فمد عينه إلى الجارية فهواها فلما رأت منه المحبة أحبته أيضا ولم يزالا كذلك الى أن وجدا لهم غفلة من أهل الدير فاجتمعا فعلقت منه فلما تبين حملها خافت من أهل الدير على نفسها وأيضا من أبيها الملك فقالت لابن ملك البرجان هات أعلمنى كيف الحيلة فى الخلاص لأنى ان رأوا حملى قتلونى الرهبان فقال لها لاخوف عليكى وكان قد قرأ شيء من الحكمة ومن العزائم والنار نجيات وأنه ضرب مندل فى الحكمة ثم بخر وعزم ليلة الأحد وأحضر ملوك الجان فى المندل وقال لهم لايبقى أحد منكم إلا ويمضى إلى راهب من الرهبان الذين فى الدير فى نومه ويقول له أن الحوارى قد عبر الليلة على ديركم ورأى حسن عبادتكم فشكره فعلكم ولم يرى أقوى عبادة من بطرنة ابنة الملك ثم تقول له انه قال لها انها قديسة زمانها وقد أشار إليها بعامود فى يده فحملت فعظموا ماعظم الحوارى ثم أصرفهم من المندل واستخرج خاتما كان معه لايظهره لأحد وكان هذا الخاتم صنعة الحكيم هرمس إذا مر الذى كان فى أصبعه على أى موضع كان رفرفت عليه الطيور وإن أمسكه انسان ألقت الطيور عليه أنفسها وانه طبع بخاتمه على طين وألقاه بالليل على سطح قلاية الجارية وناولها الخاتم وقال لها اعمليه فى شعرك ففعلت ذلك ورجع إلى قلايته وقد اتقن أمره وذهب كل واحد من الجن إلى راهب من رهبان الدير وألقوا اليهم أن الحوارى قد فعل كذا وكذا فلما كان عند الصباح يوم الأحد ضرب التمثال بجرسه قال كبيرهم رأيت البارحة فى النوم كذا وكذا فقال كل واحد منهم وأنا رأيت ذلك ثم خرجوا إلى وسط الدير وإذا بالطيور حائمة على قلاية الجارية يرمون أنفسهم على السطح فبقوا كذلك حائرين وصلبوا على وجوههم وطرقوا الباب عليها وكانت لاتحضر معهم قط ولا تشاهد أمر من الأمور ولا تبرح من قلايتها بطول الدهر إلا أنها صار نهارها وليلها فى عبادة عشية وابتكار (قال الراوى) ياسادة يا كرام فخرجت وهى حاملة فى تسعة اشهر فما هى إلا أن ظهرت حتى ألقت الطيور أنفسها

عليها وجعلت ترفرف حواليها فازداد وتعجب وصففوا لها ومرغوا خدودهم على فؤادها وقالوا لها أيتها السيدة الكريمة ماهذا فقالت رأيت البارحة السيد الحوارى وقد أشار إلىّ بعامود كان فى يده من النور فعلقت وهذا بيان ماترون فعظموا شأنها وارتفعت أصواتهم بقراءة الإنجيل فلما زاد أمرهم وإذا قد أخذها الطلق فولدت من ساعتها غلاما ذكر فأطلقوا البخور وقدسوها ثم انهم أخذوا المولود وطافوا به الدير كله وانهم عبروا به على المجلس الذى يدور فانفتح له بابه فرقصوا به وعطعطوا ومسحوا به على وجوههم ودخلوا به إليه وإذا بباب الدكة قد انفتح وقامت الأشخاص الأربعة وبأيديهم المراوح يروحوا عليه وتركوا الجارية هنالك ومولودها قد سموه كوشانوش وشاع ذلك فى المغلبيط وفى جميع أجناس الروم وكتبوا الكتب إلى بترك القسطنطونية وإلى رومية المدائن وأقبلوا بالأموال والنذور من الشموع والستور وكبر كوشانوش وترعرع وتعلم طرف من الحكمة وعلمه أبوه شيئا مما كان يحفظه ثم مات منويل وترك ميخائيل وقد صار لكوشانوش من العمر عشرين سنة وقد عظم شأنه وارتفع مكانه وسار خبره إلى أكثر الروم وهم يقولون هذا بركة المسيح فلو قال للواحد اقتل نفسك لفعل (ياسادة) هذا وقد سلمت إليه الخاتم المعلوم المعمول بالحكمة فاذاركب لاتزال الطيور ترفرف عليه وأخذ أموال الدير وكان شىء كثير وأخذ مال جده لأمه فتقوى به وجاءت حكماء بلاد اليونان منهم فرهيوس وشيطالوس ومهداووس وتوارثوا كتب بليناس الحكيم فلما رأوه وما هو فيه بنوا له قصر وسموه قصر طانيا وقد انطلى عليهم أمره ومعنى اسم القصر نصف الدنيا وصنعوا فى وسط القصر حجر من الرخام طوله سبعون ذراع وعلى رأسه مجلس للملك وأمروا أن لايصعد معه أحد ولا يطلع إليه غيره وعملوا فيه مرآة عظيمة وكان ذلك المجلس يشرف على سائر الجبل وكان لايغيب عنه أحدا ممن يخدمه إلا أطلع فى تلك المراية فينظر إليه وهو فى الحالة التى هو فيها فاذا حضر عنده سأله عن ماكان يعمل فان صدقه قال صدقت وإن كذبه قال كذبت كنت بتعمل كذا وكذا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فاستعبد الروم بذلك الأمر وبلغ خبره إلى الملك ميخائيل فهم أن يسير إليه بعساكره فقال له البترك أيها الملك إن أنت فعلت ذلك أخرقت حشمة ملكك لأن هذا قد صار عندهم معظم ويقال انك خدشته وما تدرى مايجرى عليك منه (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وكوشانوش كان يصيد السباع من الفلوات حتى نفرت من تلك الأرض وكان يمضى خلفها الفرسخ والفرسخين حتى يصطادها وكان هائل المنظر عظيم الهيكل كانه الجمل وقومه أزيد من ثلثمائة ألف فارس سوى

ما بينهم من غير تلك البلاد وسمع كوشانوش بما اعتدوا فيه وقد أخذه الطمع وقال أنا ملك الأرض ثم أقبــل على قومه وقال لهم خذوا الأهبة لقتال الروم وفتح القسطنطونيـة حتى تصير لنـا المملـكة وبعد ذلك تصير الروم كلها من تحت أيديكم وتملـكوا البلاد شرقا وغربا وبعداً وقربا فقالوا أيها الملك لو كانت لنا هذه القلعة التى للملك ميخائيل التى تسمى قلعة الشيطبان لرفعنا اليها جميع الذهب والفضة وغير ذلك فقال هذه القلعة كيف قدروا يملـكوها ملوك الروم وهى عندكم فى بلادكم فقالوا المغلبيط أيها الملك كانت لنا أول الزمان ثم أخذها الملك منويل بحيلة عجيبة لأنه بذل للرجال الأموال فسلموها اليه وللملك ميخائيل فيها أموال عظيمة وفيها ألف بطريق بالديوان على الملك وهم فى هذا الجبل عندنا فقال وحق المسيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لارجعت عن أخذها والا تتحدث الروم عنى اننى ما قدرت على أخذها قلعة الى جانبى ولا وصلت اليها ثم انه سار بعد ان لبس عدة جلاده وركب جواده وسار الى قلعة الشيطبان ونادى بأعلا صوته يامعاشر البطارقة وأهل هـذه القلعة الشاهقة من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا أعرفه بنفسى أنا كوشانوش عامود النور وهذه القلعة كانت لجدى فى الزمن القديم فمن طاعنى كنت له كفيلا ومن عصانى صيرته قتيلا فشاشت الناس وأحاطوا بالغلام من كل جانب ومكان فهم ذات اليمين وذات الشمال وبذل فيهم السيف اليمان فنادت أهل القلعة الأمان الأمان أنت أحق بهذا الـكلام وأطاعوه وجمعوا له الأموال وصار تحت يده ثلاث آلاف من الافيال ولا يعلم الملك ميخائيل بما جرى فى القلعة لأنه كان مشتغل بقتال المسلمين كما ذكرنا فى هذه الوقعة (قال الراوى) وفى تلك الأيام وصـل الى القلعة ألف بطريق من عند ميخائيل ومعهم الأسارى على ذلك الحال الوبيل وهم الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وأمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وما عدم منهم الا الأميرة ذات الهمة لأن البطال قد خلصها كما ذكرنا فى هذا الـكتاب وكان الملك لما أخرج الأمراء من البلد مضى عقبة وقعد على باب الذهب يترصد وقال للملك اعلم ان أبو محمد البطال ما خلص ذات الهمة الا وهو مقيم فى القسطنطونية عند من يعلم أنه مخـــامر على دين النصرانية كما أخامر أنا على دين الحنيفية ولـكن أنا أعلم أن الأمراء اذا اخرجوا لا بد ما يتبعهم البطال ولو كان فى رجليه القيود الثقال لأنه شيطان محتال وما يعلم اننى على الباب جاثم وعندى البطارقة بالصوارم فلو كان فى صورة الجن عرفته وبادرته وأخذته وان عقبة (ياسادة) قصد هنالك وأخرج الملك الأمـــراء من القسطنطونية وأخرج معهم لأهل ذلك الجبل هدية سنية هذا وان الأمير أبو محمد البطال سمع أن

عقبة قاعد على باب الذهب فلم يقدر ان يخرج خلف الأمراء فقلقت ذات الهمة لذلك السبب فقال لها أبو محمد دعى عنك القلق البارد فلو خرجنا فى بطون الخيل تحت ظلام الليل لحل بنا من عقبة الويل وما لنا الا الاصطبار والرجوع الى الملك الجبار وساروا البطارقة الى أن وصلوا الى القلعة وأوصلوا الى القوم هدية عظيمة لها قدر وقيمة فسألوهم عن الأسارى فأخبروهم بحقيقة أمرهم والأخبار وقالوا ما هؤلاء الذين أخربوا بلاد الروم من سائر الأقطار وقد وصل الملك الى أخذهم وأخذ الخليفة الذى هو ملك المسلمين الأبرار وساروا طالبين القلعة وان كوشانوش لما نظر الى ذلك أقبل على قومه وقال لهم كونوا على أهبة فانى أريد أن أسير خلفهم وأدخل القلعة وأكون لها بسيفى مالك فارحلوا فى أعقابهم تجدونى قد أخذتها سرعة فقالوا أنت وحدك وهؤلاء ألف بطريق ومثلهم فى القلعة فقال لهم دعوا هذا فلو كانوا فى عدة النجوم وقطرات الغيوم لا بد لى من هذا ولا أتخلا عنهم وسوف ترون ما يكون منى ومنهم ثم أخذ سيفا وترسا وسار حتى دخل فى جملتهم وقد لبس زيهم فلم ينكروه لكثرتهم ولما دخلوا فى القلعة لم يصبر حتى يصلوا أصحابه بل صاح فيهم وقد سل سيفه ونادى من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا قاتل السباع وقناص الاسود أنا كوشانوش بن عامود النور وقد وعدنى المسيح أنى أملك الارض فى طولها والعرض وهذه أول ما أملك من البلاد فان أردتم النجاة فدعوا عنكم الجلاد وان أبيتم ذلك فوحق حنا ومريم والمسيح المكرم ما أبقى منكم لا صغير ولا كبير فلما ان سمعوا القوم كلامه قالوا هذا مجنون وحق الرهبان يطمع أن يخرجكم من القلعة ويأخذ من أيديكم هذا المكان ثم انهم صاحوا وحملوا على انهم يقتلوه فضرب واحد منهم قتله وثانى جندله فلما رأوا ذلك حملوا عليه وأشهروا القواضب وأحاطوا به من كل جانب وقطعت الرؤوس واختلست النفوس ودارت طاحون المنية وحامت عقبان الزرية وفاضت الدما من الاجساد وعملت الصوارم الحداد وقتل منهم كوشانوش فى نهاره مائة وعشرون بطريق وضربهم ضربا شديداً أشد من نار الحريق وملك باب القلعة عليهم وقهرهم فلما عاينوا ذلك خافوا أن تأتى قومه فيهلكون عن آخرهم فأرموا أنفسهم عليهم حتى حصلوا الباب وولوا منهزمين هاربين فالتقوهم أصحاب كوشانوش فقتلوا منهم خلق كثير وما سلم منهم الأمن كان فى عمره تقصير وملك كوشانوش القلعة وفرح فرحا عظيما ونظر إلى حصن لم يرى أحسن منه فى سائر الأقاليم فقال هذه تصلح لجمع الأموال لا لجمع الرجال لأن مايحتاج إلى القلاع والحصون إلا الجبان دون الشجاع ونظر إلى الأمراء وهم فى ذلك

الكتاف الشديد والقيود الحديد فقال مايجوز هذا بل أنا أطلقهم فى القلعة فاذا جاءوا أهلهم وطلبوا خلاصهم رميناهم من أعلا القلعة برؤوسهم وان أرادوا أن يشتروا أرواحهم بالمال فعلت ذلك معهم وأوهمتهم نفوسهم ثم دنا من سيف الحنيفية وحل كتافه بيده وقيده من رجليه فوثب سيف الحنيفية قائما كأنه الجمل حتى كأنه مارأى بؤس ولا ضرر وطلب كوشانوش على عجل وقد أخذ سيف من سيوف القتلى بيده وطلب عجلة قبل أن تصل قومه اليه ويدخلوا القلعة ويشتد الأمر عليه فلما رآه كوشانوش وقد أخذ السيف وهجم عليه صاح به كوشانوش وقد صاح أيضا سيف الحنيفية وحمل كل واحد منهما على صاحبه وصرخ به كوشانوش صوتا كأنه الرعد القاصف وضربه بالسيف على رأسه صفحا مثل البرق الخاطف كاد أن يقضى عليه فوقع إلى الأرض مافى عينه قطرة ورد القيد فى رجليه كما كان وقعد إلى الأمير ظالم يفك قيده وإذا بالصياح قد علا فنظر إلى باب القلعة وإذا بقومه قد دخلوا عدد الجراد فلما وقعت عيونهم عليه وقعوا إلى الأرض يقبلون بين يديه فأعاد عليهم حديث سيف الحنيفية فقالوا أيها الملك لقد أردت أن تطلق هذه السباع الفاردة الضارية من قيودها لأن هؤلاء آفة الدنيا وخراب بيوت النصرانية وجعلوا يحدثون بأخبارهم وما وصل اليهم من الأحاديث عن الأمير عبد الوهاب فلما نظر اليه تعجب منه غاية العجب ثم قالوا أيها الملك نحن قد عولنا إذا ملكنا القسطنطونية سرنا إلى بلاد الإسلام ولا ندرى كيف يكون أمرنا مع هؤلاء ويوجب أن يكونوا هاهنا ونوكل بهم من يطعمهم ويسقيهم فاذا كانت لنا بلاد الإسلام فنحن قادرون على قتلهم وان كانت علينا جعلناهم فداء لمن يؤسر منا فقال كوشانوش على الضمان أن أفتح لكم الأرض ولكن افعلوا ماتريدون ثم وضع الأمراء فى المطمورة ووكل بهم من يقوتهم ويقوم بأمرهم وتجهز طالب القسطنطونية (قال الراوى) ووصل الخبر إلى الملك ميخائيل أن القلعة قد أخذت فعظم عليه وكبر لديه وأما اللعين عقبة فانه فرح غاية الفرح وسمع الملك ميخائيل ان كوشانوش قد طلبه فى ثلثمائة ألف وقد اتبعه من حوله مثل ذلك وانه فتح القلعة وحده وفيها الفين بطريق فعظم فى عينه وقال هذا أشد على من المسلمين لأن أولئك يريدون الأموال وهذا يريد الملك ففزع من ذلك فزعا عظيما وجمع أرباب دولته وأعاد عليهم النوبة فقال مارس ودارس أيها الملك مافى الأمر الا أنك تطلق خليفة المسلمين على أن يكون لك عونا على عدوك وتصالحه على سنين على أن يكون لك عونا على عدوك وتتفرغ أنت فقال نعم ما رأيتم ثم انه أخرج المأمون وخلع عليه وعلى كل من كان معه من خواصه وأطلق الأسارى جميعهم وصالحه أربع سنين على أن يكون

له عونا على عدوه ولم يصدق المأمون بالخلاص وسيره مع ألف بطريق الى ملطيه وخرج الأمير عمرو بن عبيد الله إلى لقاهم وسيره مع بني سليم إلى العراق وكانت الدنيا قد قامت على قدم وساق والعالم قد اجتمع فى بغداد من كل الآفاق ليسيرون إلى بلد الروم (ياسادة) وكان عمرو بن عبيد الله قد أحضر الأموال التى أخذها من بنى كلاب وقال للمأمون هذه أخذتها من بني كلاب على انني أنفقها على العساكر وأطلب خلاصك فقال المأمون والله مامثل بنى كلاب ولو عدمت مشورة القاضي عقبة لكنت مسعود ولقد سألت ميخائيل فى خلاصه فقال مايبرح عندنا فى السجن فهو الذى جيش علينا عساكر المسلمين ثم أمر المأمون لعمرو بن عبيد الله أن يرد أموال بنى كلاب عليهم بحيث لايعدم لهم درهم واحد وسير ذلك لهم الى آمد ويعتذر اليهم ويقول لهم ان المأمون يعتذر اليكم بما فعل مع أمرائكم وهو الذى لاينام ولا يتهنى بطعام حتى يكون السبب فى خلاصهم كما كان السبب فى أسرهم ففعل عمرو بن عبيد الله ما أشار به الخليفة وكان قد فرط فى أموالهم فى مائة ألف دينار فخاف من الخليفة واحتاج إلى وزن ذلك من ماله وتضعضعت أحواله وأرسل ذلك اليهم وأعاد ماقاله المأمون عليهم فطابت قلوبهم وقالوا نرجو من الله خلاص المأسورين من أمرائنا (قال الراوى) لهذا الكلام وان المأمون لما وصل إلى العراق فرحت بذلك الآفاق وفتح الخزائن وأخرج الأموال من عهد جده والأموال التى كنزها الرشيد وأنفقها فى عساكر الترك والعجم وأمر الديلم وأمر الناس ان ينادوا بالغزو إلى بلاد الروم وقال لا بد لى أن أسير إلى بلاد الكفار وأضربهم بالصارم البتار وأطلب هذا الذى خرج على ميخائيل كوشانوش وأكون معاونة فى مقابلة فعله فى خلاص الأمراء الاجلاء وبرز الخيام والسرادقات إلى تل عقدقون وخرجت الجيوش من بغداد بعدد الجراد (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير أبو محمد البطال فان الأميرة ذات الهمة قالت له ياأبو محمد إعلم إنى لو كنت مع ولدى فى الأسر مشاهدة له لكان على طيب وسهل على من غيبته ولا أعلم ما كان من حاله فقال لها يا أميرة ماتجىء الأشياء فى كل وقت بالاستعجال بل الأمهال فقالت الأميرة أنا ما أقيم لأنى ما أقدر أتوصل إليه بالسرقة لأنه فى موضع ما للطير عليه سبيل وهى قلعة الشيطبان وهم فى أسر هذا الذى قد ظهر للمغليبيط كوشانوش وأخاف أن يهلك ولدى وما بلغت المنا وقد عولت على أننى أمضى إلى ملطية وآخذ بنى كلاب والسودان الأنجاب وأسير إلى بلد الروم وأنفق الأموال التى لنا فى ملطية فى العرب والأكراد ولا أدخل هذه البلاد إلا بجيش عرمرم فقال أبو محمد لاتفعلى وأصبرى فان بنى كلاب قد نهبت أموالهم

وأخذت رجالهم وأخرجت نسوانهم وأخذوهم ومضوا إلى آمد وهم عنـد ميمون الجماس فلما سمعت ذلك قالت ومن فعل بهم هذه الفعـال فقال لهم البطال فعلوا بهم بنو سليم وعمرو بن عبيد الله فلما سمعت ذلك قالت فعلوا غير فعل العرب وخرجوا عن كريم النسب ووالله لولا عاقبة هذا الأمر وان أنا عشت وزال عنى ما أنا فيه من فراق الأولاد والأقارب الاجواد لاتركن ملطية من بنى سليم بلقع يهيج فيها الغراب الأبقع ثم أنهـا خرجت مع البطال من القسطنطونية كأنهم من أهلها فلما ان حصلت فى ظاهرها قال لها البطال أنا مقيم ههنا أنا وغلمانى على بركة الله تعـالى وانتى سيرى كذلك على بركة الله تعالى (قال الراوى) فاستقامت الأميرة على الطريق وإذا قد عبر عليهـا بطريق لابس لأمة حرب وهو على فرس من الخيل الجياد شديد الحيل متقلد بسيف أبتر كثير الجوهر يساوى عشرة بدر فلم يحس الفارس إلا والأميرة وثبت عليـه مثل الأسد الغضنفر ولـكمته فى دماغه طيرت مخه وليست لبسه بعدما عجلت عطبه وأخذت حصانه وسارت به وودعت البطال وقالت له عليـك بالحرص فى خلاص الأمراء وأنا التى لا أغيب إلا القليل ثم ولت وهى تقول هذه الأبيات

لنا كل يوم زفرة وعليـل ويفقدنا دور لنـا وطلول
ويضحى اجتماع الشمل منا مشتت فمنـا اسير للعدا وقتيل
وتغدر جيران لنـا بعد فقدنا وتنهب أموال لنـا وخيول
ولا فى بنى العباس شخص يرى لنا فعال ولا يرعى لنا بجميل
سأجمع قوم من كرام عشائرى كرام لعمرى والـكرام قليل
وأطعن بالسيف اليمانى يمنة ويحكم فى هام العداة صقيل
وأترك أثار الدماء على الثرى تسيل كما سالت لذاك سيول

(قال الراوى) ثم أن الأميرة سارت تقع الفيافى والقفار والأودية والامصار ولا يقر لها قرار حتى وصلت إلى أول الدروب وإذا بمائة فارس ما بين رامح وتارس وهم كالليوث العوابس من العرب المتنصرة وفيهم حرب بن شيبان لأن الملك ميخائيل كان قد أرسله فى حاجة له من بعض الحصون فهو فى رجوعه اذلتى الأميرة ذات الهمة وأنها لما نظرت إليه عرفته وعرفت رجاله فقالت هذا والله أول الغنيمة وآخذ تار بنى كلاب من هؤلاء اللئام ولوضاربتهم بالحسام إلى وقت الظلام ثم ترجلت عن جوادها وافتقدت حزامه ووثبت وصارت على ظهره من غير أن تضع رجلها فى الركاب وأخذت القنطارية الخلنجية هذا والقوم ينظروا إليها فقال بعضهم لبعض ما أحسن تمايل

هذا البطريق فقال لهم حرب وكان من فرسان زمانه وأرباب البصيرة فى الحرب ومقام الطعن والضرب فقال وذمة العرب العربا بعداً وقربا ما هذه قط ركبة رومى وما هى إلا وثبة العربيات وقد رابنى أمر هذا الفارس وان صدقنى حذرى ولم يخطىء نظرى فهى ذات الهمة لأنها قد خلصت من عند الملك بحيلة أبو محمد البطال وقد قتلت بعض الروم وأخذت عدته وطلبت بلاد الإسلام وإن كان الامر كذلك فنحن نتقرب اليوم عند الملك بأخذها ثم أطلقوا إليها الاعنه وقوموا نحوها الاسنه وقالوا من أنت أيها الفارس قل واخبر وإلا أخذناك بالرماح وما بين عيناك فنادت الأميرة ذات الهمة ويلكم يا كلاب العرب المتنصره اللئام يامن تركهم الملك العلام وجعلهم حطبا لدار الإنتقام وأحرمهم بكفرهم دار السلام ما اسرع ما نسيتمونى أنا أم الأشبال وولدى الأسد الريبال واليوم آخذ منكم بالتار وأكشف عنى العار فى طاعة الملك الجبار فلما سمعوا كلامها عرفوها ولم ينكروها وقالوا الحرب بن شيبان لقد صدقت فيما قلت فقالوا أحملوا أنتم فانى أصبح خاطرى مشغول من منام رأيته البارحة رأيت كأن حية قد طوقت على رقبتى وسحبتنى صوب بلد المسلمين وقد أشتغل خاطرى من ذلك فقالوا هذا أضغاث أحلام ثم هموا على الأميرة فما كانت إلا ساعة حتى أصرعت من القوم ستين بستين حملة وملكت عليهم الطريق وضربتهم ضربا أحد من الحريق ولم تزل كذلك حتى مضى النهار وقد فرغت من عصابة الكفار وأخذت حرب بن شيبان أسير وشدته على فرسه وسارت تقطع الأرض ذات الطول والعرض حتى وصلت إلى آمد ووقع الصوت بقدومها وكان يوما عظيما عند بنى كلاب والسودان الانجاب لأنهم مثل الغنم بلا راعى ونزل ميمون الجماس وسألوها عن خلاصها كيف كان فأخبرتهم بذلك وأعلمتهم أن الأمير عبد الوهاب وأصحابه فى قلعة الشيطبان ثم قالت لميمون الجماس أريد كلما كان عندك من الأموال التى فى الخزائن فقال سمعا وطاعة (قال ياسادة) وبذلت للعرب الأموال من بنى كلاب وغيرهم لأن بنى كلاب قد نهبت أموالهم ورجالهم واشترت لهم ما يحتاجون اليه ووعدتهم بكل جميل وخعلت على السودان من النوبة والحبشان وسألت عن باقى المثلثة فقالوا لها رجعوا كلهم إلى بلادهم ولم يبق منهم غير أبو يخلف وأنه حضر عند الأميرة فقالت له وقد نظرت إليه وما عنده من الهم على من قتل من قومه فقال لها ماتركت لى ستى شمسه عقل أحزن به على من قتل من أصحابى فضحكت عليه الأميرة ذات الهمة وقالت له استراح من العقل وأرسلت الكتب إلى بنى كلاب والنجاب وحلفائها ولم تزل كذلك إلى أن وصلت إليها الاعراب من كل فج وواد حتى صارت الأميرة فى خمسين ألف عنان سوى عشرين ألف من السودان أو يزيدون وقالت

لهم خذوا الأهبة للرحيل (قال الراوى) فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من كوشانوش فانه لما قبض على الأمراء وفعل بهم مافعل ورفع أمواله إلى القلعه وترك فيها بطريق وقال له هذه لاتفتحها لأحد غيرى فقال سمعا وطاعة وسار فى ثلثمائة ألف فارس طالب القسطنطينية وبلغ الخبر إلى الملك ميخائيل فجمع الملوك والعساكر فاجتمعت له ثلثمائة ألف إلا أن طاعة هؤلاء الثلثمائة ألف لكوشانوش خلاف طاعة الروم للملك ميخائيل ولو قال لهم ارموا أنفسكم فى بحر لفعلوا (قال الراوى) وكان الملتقى فى مرج تصف الدنيا وهو مرج طوله يوم وعرضه مثل ذلك كانه الزمرد من كثرة النبات ووقعت العين على العين واضرمت النيران وتحارب الفريقان إلى أن أصبح الصباح وكان كوشانوش حارس القوم على جواده لم ينام طول ليلته هذا وأن البطال هو وغلمانه قد اختلطوا مع عساكر كوشانوش من النهار وقالوا هذا الملك أحب الينا من غيره لأنه قد وعده المسيح أن يملك الأرض وأقاموا معهم والمغليبط يظن أنهم من بطارقة مدينة القسطنطينية وقد استأنسوا اليهم وأن البطال قال لغلمانه اطلبوا موضع الملك كوشانوش فان نحن ظفرنا به فهو الذى نريده لأنى ما كنت أطلقه إلا بالأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب ودع مايجرى بينه وبين ملك الروم (ياسادة) وأن البطال لما رآه قد تولى الحرس بنفسه جعل يرقبه وقال لابد له من الكرى ولم يزل كذلك وهو مثل الشيطان يدور من حول عسكره حتى صار الربع الأخير من الليل (ياسادة) فترجل من على فرسه والأمير أبو محمد يرقبه هو وغلمانه ثم أن كوشانوش قصد قنية من العسكر وطرح رأسه على حجر ونام فقال البطال هذا الذى كنا نريده وماسهرنا إلا من أجل هذا ووالله لقد استعجلت الأميرة بالمسير وإلا ما كنت برحت إلا والأمراء قد خلصوا بهذا الذى تأخذه الساعة ثم إن البطال سار واتبعوه غلمانه حتى قعد عند رأسه وله غطيط مثل همرات الأسد على الفريسة فقبض البطال على ذراعيه وقال لغلمانه اعلموا أنه جبار من الجبابرة شدوا يديه حتى أنه إذا أفاق لا يكون له علينا سبيل قالوا هذا هو الصواب ثم شدوا يديه بزنار ابريسم وقالوا قد وقع الخبيث مانراه إلا كانه ميت وعولوا على حمله وإذا به قد ثار قائم وهو يضحك وتمطا فى كتافه قطعه وأخذ البطال ورفعه بيده فى الهواء حتى بان بياض ابطه ولطم به لؤلؤ كاد أن يقضى عليه وأراد سبك أن يهرب مع بديع فوثب وثبة تزيد على عشرة أزرع وقبض على رجلين سبك وضرب به الارض ونظر بديع إلى ذلك فسلم نفسه وقال ماأيشمها علينا من سفره وأقبل الملك كوشانوش على البطال وقال له ويلك وحق المسيح والانجيل ومافيه من التحريم والتحليل رأيتك وعلمت انك من أصحاب ميخائيل وأنك ماجئت إلا لمصيبه فلما رأيتك تراقبنى طول الليل علمت

أن المطلوب أنا ففعلت هذه الفعلة حتى أنظر قصدك ماهو فلما قعدتم عند رأسى وقلتم إن لم نربط يديه ما نقدر عليه فأردت أن أوريك أن شد يدى لا يمنعنى عنك (قال الراوى) ثم قبض على الأربعة وسار بهم طالب عسكره وهو يظنهم من الروم أصحاب الملك ميخائيل فلما صار فى عسكره وأخبر قومه بالخبر فلما أصبح الصباح قال لقومه هؤلاء يجب أن نرمى إلى الروم رؤوسهم حتى لا يرجع أحدا منهم يجسر على مثل هذا ثم سلمهم إلى قومه وكشف رؤوسهم وجردت السيوف وأيقنوا بالحتوف فقال البطال هذه نوبة ما وقعنا قط فى أردىء منها وجعل يتشهد (قال الراوى) فهو كذلك اذ نظر بعض البطارقة ممن كان سافر الى بلاد الاسلام فعرفهم وقال ويلكم ما هؤلاء من أصحاب ميخائيل هذا شيطان الانس والجن هذا أبو محمد البطال العيار المحتال المختبىء فى جفون الرجال وفى ثياب ربات الحجال وهو رفيق الاسارى الذين عندكم هذا الذى تصفه الروم وتقاسى منه البلاء والهموم (قال الراوى) فلما سمع كوشانوش ذلك ضحك وقال هذا الذى وصفتموه فقال نعم أيها الملك فقال الملك أنا أرسل هذا الى عند أصحابه وإذا فرغتم من الملك ميخائيل وفتحت البلاد فأنا أوريكم أى قتلة أقتلهم ثم عمل القيود فى أرجلهم وأرسلهم الى القلعة مع الرجال فلما حصلوا القلعة وفتحت المطموره التى فيها الامراء والامير عبد الوهاب يقول والله أنى طيب القلب مادام البطال خلفنا والاميرة ذات الهمة ولا بد للبطال ما يجىء إلى هذا الموضع ولو كانت القلعة معلقة فى الهواء فأجابه البطال ها أنا قد جئت اليك ولكن فى فى رجلى قيد وزنه عشرة أرطال بالدمشقى (قال الراوى) وأنزلوا البطال وغلمانه فلما رآه عبد الوهاب عظم عليه وكبر لديه وقال ياأبو محمد الأميرة ذات الهمة معك فقال لا ولكن ما دام هذا الشيطان كوشانوش ههنا فهو يحشرنا كلنا فى هذا الجب وبالله ما سلمنا من القتل الا بشعرة واحدة وأعاد عليه قصته فتعجب الأمير من ذلك وقال له كلما تصف فهو قليل وأخذ هذه القلعة من الألف بطريق وسلم ولدى سيف الحنيفية ان يعطب فقال البطال ومن أين لكم المأكول فقال قد وكل بنا من يرمى لنا فى كل ثلاثة أيام ما نسد به الرمق ولا شك أن هذه المطمورة تحت الأرض لأنها بعيدة القرار مظلمة فى الليل والنهار فقال البطال والله ان مقامنا ههنا أريح لنا من خدمة بنى العباس فى ملطيه وما صفا لنا عيش يوم واحد ولكن كان قدوم آثاركم من الحجاز فى ساعة غير محمودة (قال الراوى) وان الملك كوشانوش اصطفت عساكره وعساكر الملك ميخائيل وعولوا على اللقاء فقالت اصحاب الملك ميخائيل أيها الملك من قبل أن تفنى الروم هل لك أن

ترسل اليه من يقولوا له ان كان حملك على هذا طلب مال أو نوال فنحن نعطيك وان كان غرضك القلعة فقد أخذتها ونحن نعطيك فوقها ما أردت وان كان قصدك غير ذلك فأعلمنا فان الملك ما يريد اهراق دم النصرانية خوفا من المسيح فلما سمع الملك ميخائيل ذلك الكلام من قومه رآه صوب واستدعى بالبترك وعقبة وشومدرس وسيرهم الى الملك كوشانوش (قال الراوى) ياسادة وسار البترك وعقبة وشومدرس فلما وصلوا اليه جعل البترك يقول له أيها الملك اعلم أن المسيح قد نهى دين النصرانية ان يهرق بعضها دم بعض لأن هذا فساد الأرض والملك يقول ان كان قصدك الأموال والرجال فهو يعطيك الذى تريد وعندك المأسورين الذين أخذتهم ولو طلبت أوزانهم أعطوك ومما فتح من بلاد المسلمين يعطيك قسم مثل ما يعطى الستة عشر ملك وأنت مقيم فى مقاطع ولا تقيم الفتنة فى هذا الدين فيغضب عليك المسيح كما قد نقل الينا مع الرهبان الزهاد عن الآباء والأجداد فقال ويلكم هذا عهد بعيد وأنا أقوى منكم لأن أمى رأت الحوارى فى النوم وأشار اليها بعامود من النور فحملت بى ثم أخبرها بأنى أملك الأرض ذات الطول والعرض وأول ما أملك مدينة القسطنطينيه ثم قبض عليهم وقال لبعض البطارقة أوصلوا هؤلاء الى البطارقة الذين فى القلعة وانزلوهم فى المطمورة التى فيها الأسارى من المسلمين فقالت البطارقة السمع والطاعة أيها الملك الكريم (ياساده) هذا وعقبة قد كشف رأسه وأظهر ناموسه وهو يصيح أيها الملك لا تفعل فانى كنت أهلك واعلم ان مقامى فى بلاد الاسلام عونا على القوم اللئام وبينى وبين هؤلاء المأسورين أمور لا تخفى وأخاف أن يقتلونى ان صرت فى هذه المطمورة معهم فان كان ولا بد من ذلك فاقتلنى بسيفك ولا أقتل بسيوف أعدائى فقال كوشانوش وحق المسيح لا بد من نزولك الى ذلك الموضع لأنى أقول فافعل ولا أعود فيما أقول بخلاف سائر الملوك ثم أقبل على أحد البطارقة وقال له قل للاسارى الذين فى المطمورة أنا أقسم بالمسيح وحق العامود الذى ضربت به أمى حتى حملت بى أننى متى سمعت ان أحدا ضربه لاقطعن أيديكم وأصلبكم على باب الحصن (قال الراوى) وكان هذا يمينه المغلظ وكان اذا اجتهد يقول وحق العامود انه يكون كذا وكذا (ياساده) ودخلوا به إلى القلعة ووصلوا بهم الى المطمورة وكانت القلعة ملآنة من البطارقه وأولاد العمالقه وغيرهم وكان كوشانوش لما مسكها قد أخذ من الأموال التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ومن ودائع ملوك الروم وانه لما ملك ذلك لم يرفع منه الى خزائنه شيئا بل فرقه على العساكر التى معه وهم قومه المغلبيط فأصلحوا به أحوالهم وزادوا فى التجمل وقال لهم أريد أجمع الاموال وأبنى لكم كنيسة من الذهب والفضة

وأرصعها بالجواهر ويكون طولها أربعون ذراعا وعرضها كذلك حتى تفتخرون بذلك على سائر أهل الامصار والاقطار (قال الراوى) ولما وصلوا البطارقة إلى القلعـة وفتحو المطمورة فقال البطال لاشك أن هذا الشيطان كوشانوش قد بدا له رأى فى قتلنا أو قصد اليه عقبة وعرفه على ذلك لأنه لايقعد عنا من سائر الجهات والله المعين على ذلك وانه فى الكلام وإذا بشخص قد دلوه البطارقة بالحبال لأن الموضع عميق القرار منقور فى الجبل إلى قراره والظلمة على راس الجبل كما ذكرنا فتأمل البطال والامير عبد الوهاب وقد طارت قلوبهم فزعا وخوفا أن يكون ذلك الشخص هو الاميرة ذات الهمة لانهم لايعلمون ما كان منها واذا به البترك الذى للملك ميخائيل ومن بعده نزل القاضى عقبة فلما وقعت عين الامير ظالم على القاضى عقبة صاح وقال أهلا وسهلا بشيخ السفلة جئت مليح على غفله ولطمه على رأسه فطار الدم من نفوخه وتقاطرت الاكف عليه وكذلك على الراهب شومدرس فجعل يصيح ويستغيث فنزل اليهم البطريق والسيف مجرد بيده وجعل يضربهم على رؤسهم صفحا فأمسكوا عنهم وقال لهم ان الملك كوشانوش اقسم بالاقسام العظام أن من مد يده منكم الى هؤلاء الثلاثة أرسل من يقتلكم فى هذه المطمورة فقال البطال سمعا وطاعة ماتتعرض لهم بعد ذلك وصعد البطريق والتى عليهم الطابق (قال الراوى) ياساده ياكرام وان ظالم أراد أن يقتل عقبة وطرح يده فى حلقه وقال دع يقضى الله ما هو قاض فقال البطال ماهذا صواب وانت تعرف هذا الشخص الذى قد خرج الى الملك ميخائيل وانه فى صورة ابليس وهو جبار من الجبابرة ورؤوسنا كلها مرهونة بهذا الشخص السوء وما يستوى ذلك وانما الاحسن يقتل الإنسان عدوه ويظفر بالسلامة من بعده وأما ان تقتل به فهذا غير صواب فامسك ظالم عنه واقبل البطال على عقبة وقال له ويلك ياعقبة ما الذى اوقعك ههنا بحق دينك وان كان مالك دين فقال عقبه ويلك ياخبيث لقد أقول أن فى الأرض اعظم من هيبه هذا الاسود عبد الوهاب حتى رأيت هذا الملك كوشانوش فالمسيح يقوى عزمه فلا يصلح للملك وفتح البلاد غيره ولا لقتال المسلمين سواء وهو يملك الأرض جميعها لامحالة والدليل على ذلك انكم وقعتم فى يده من غير تعب ولا نصب وهذه علامة السعاد ودلائل بلوغ الارادة ثم أعاد عليهم قصته مع كوشانوش فتعجبوا من ذلك وضحكوا فقالوا لاتضحكوا فأنا مصيرى أخرج وأنتم لا بد لكم من ضرب رقابكم وأنت يابطال كيف كان وقوعك فأعاد عليه قصته من أولها إلى آخرها فكشر على أنيابه وضحك وقال لعلى دعائى يكون مستجاب فأرسل المسيح لنا من يمهد الارض فى طولها

والعرض ولا يبقى مسلم فصاح الأمير عبد الوهاب وقال والله ياملعون ما أبالى دخول الموت على أو خروجه فكف ألفاظك والاقتلتك وقتلت هذين الكلبين شومدرس والبترك فقال عقبة ماتقدر علي قتلى أبدا لانك فى ذلك عاجز وأنا ماأبالى أن أقتل فقتل أولادك وأحبابك وأصحابك بدمى فقال شو مدس والبترك أيها الشيخ النجيح أقصر عن هذا الكلام فما أنت تصير عند الموت مثل واحد منهم وأنت تعلم ذلك فلا تكن سببا لهلاك نفسك وهلاكنا معك فسكت عقبة (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من الملك ميخائيل فانه لما أرسل البترك وعقبةوشومدرس إلى الملك كوشانوش يرجوا الصلح على مافى نفسه فلم يقدر على ذلك فبلغه أن كوشانوش قد قبض عليهم فصف الملك العساكر وماجت الأرض بتلك العساكر التي ليس لها أول من آخر حتى خيل للإنسان ان الارض قد قلعت من تخومها والسماء قدسارت بنجومها وقد تصايحت أبطال الملك ميخائيل وسبعة عشر ملك وجميع أجناسها مثل الانجبار والبنجاك والارمن الملافطه والبنادقه والصقالبة واليونان والزعاوره وطائفة القسطنطونية وركب الملك ميخائيل ورفع الاعلام ونشرت الرايات والبيارق وظهرت السيوف والطوارق واشتهرت الصوارم المواحق والاسنة الخوارق وركب كوشانوش معول على الحمله على تلك العساكر جميعها بنفسه من غير انفساح ولا انتزاح لأنه رجل جبار ولا ينظر فى عاقبة هذا وقد مالت الكتائب على الكتائب وارتفع الصياح من كل جانب وعملت من السيوف رقاقها وزاورت من الابطال احداقها وقام الحرب على ساق وهزت النصول بعد امتشاقها وأزبدت من الشجعان أشــداقها وانبط فى ذلك المرج اعناقها وجرت الدماء بانهراقها ونودى فى قبائل الانفس بمحاقها وودعت الارواح الابدان وداع فراقها وطارت رؤوس الهياكل من أعناقها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالإعتكار وقد جرت الدماء مثل الانهار (قال الراوى) ياسادة ولما كان فى اليوم الثانى قتل من الروم أكثر من أربعين ألف فارس وكان ذلك ما بين العسكرين فعند ذلك برز الملك كوشانوش إلى الحرب ومقام الطعن والضرب على جواد وقاح قد غذي بلبن الاقاح يسبق الرياح بوجه كالمصباح وعليه ثوب ملكى قسطنطي ومن فوقه درع بصفائح ذهب أحمر قد نظمت بشراريب الحرير الاخضر من فوقه ثوب ملكى مدثر فى وسطه زنار حرير برمانتين جوهر وعليه صليب ياقوت أحمر وفى يده صارم ذكر مليح الجوهر له متن أخضر أمضى من القضاء والقدر كأنه البحر إذا ذخر ينزل فى الحجر يقدح منه الشرر ومعه قنطاريه خلنجية عليها سنان

أفرنجى بطارقة هرقلية بخاصرتين علية مليحة الادهان كثيرة الالوان لايعمل فيها يمانى وعلى رأسه بيضة ساطعة بثلاثة طبقات الواحدة بولاد والثانية فضة والثالثة ذهب مرصع بالجوهر (ياسادة) وان كوشانوش صال وجال ونادى برفيع صوته يامعاشر الروم مالنا فى اهراق دمكم حاجة ولا نريد نفنى عبدة المسيح ولكن لابد من الملك أن يكون لى ولا أترك أحدا سواى يتولاه ولا يحكم فيه غيرى فليخرج إلى الملك ميخائيل فأنا إن ظفرت به كان الملك لى وأن هو ظفر بى عادوا هؤلاء العساكر تحت حكمه ويكونوا فى خدمته (قال الراوى) فلما سمعوا الروم ذلك قالوا ومن هو هذا الكلب حتى يخرج اليه الملك ونحن نفديه بأرواحنا فقال من خرج إليه وقتله أو أسره فله على بوزنه ذهب (ياسادة) فما بقى فيهم إلا من طلب الخروج إليه وجردوا السيوف على بعضهم البعض فأصلح الملك بينهم وضرب القرعة فوقعت على الكندفرون ملك الملافطه فخرج فى لامة تامة على جواد سابق وفى كفه سيف ماحق ورمح خارق وحمل عليـــه من غير أن يتكلم وأن كوشانوش نادى من أنت قال ملك الملافطة فقال ويلك ومن أنت حتى تخرج إلى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فصرخ الكندفرون وأبعد جواده فى المرج حتى حما الجواد ورجع إليه ومعه قنطارية لو طعن بهـــا جبل لنفذت فيه وقصده بالطعنة طالب صدره حتى إذا وصلت إليه ضرب بيده إليها وجذبها اليه وقبض على السنان من ثلثيه ومده اليـه حتى حك الركاب بالركاب هنالك ضربه على وجهه خلط الزرد مع رأســـه وقطع أنفه ونزلت أضراسه ووقع فى الحال إلى الأرض طريحا والملوك قد نظرت إليه ونظرت الملافطه إلى ملكها وقد صار على وجه الأرض جديل من غير سيف ولا سنان فقال الملك ميخائيل أعيدوا القرعة بينكم حتى نرى من يخرج إليه فقال ملك الأرمن اما أنا فلا أزاحم على القرعة فمن أراد أن يخرج من غير قرعة فليخرج فقال الملك ميخائيل من أتانى به زوجته ابنتى نور العين (ياسادة) وكانت هذه الجارية قد شاع ذكرها فى بلاد الروم كلها بالحسن والجمال والترف والدلال والبها والكمال وقال لا أريد لها مهر إلا رأس كوشانوش فما فيهم إلا من رغب أن تكون الجارية زوجته ويحظى بذلك الحسن والجمال والترف والدال (ياسادة) فبرز إليه ملك اللان وكان اسمه توماس بن يعلونا وكان فارس لايطاق وعلقم مر المذاق حتى صار عنده بين الصفين فصاح به كوشانوش ولم يطل الخطاب حتى أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى أصحابه ولم يزالوا الملوك يخرجوا اليه فارس بعد فارس وهو يأخذهم حتى أخذ خمسة عشر ملك أسارى ولم يجرد سيفه وإنما يطاعنهم بالرمح ثم يهاجمهم

ويأخذهم حتى أخذهم فشهدت الروم أنه أوحد أهل الأرض فى الطول والعرض ولم يبق من الملوك غير ملك الأرمن فكان أسمه الكندفرون بن قطسه فقالوا له البطارقة أيها الملك ابرز اليه لعل يكون المسيح قد جعل أبنة الملك زوجتك فقال أنا قد عولت على الرهبانية ما أحب زواج (قال الراوى) وان الملك كوشانوش نادى برفيع صوته يبرز إلى الملك ميخائيل وأنا وحق المسيح قد تعبت ولا نعتمد على غيره فما هذه صفة من يريد يملك رقاب العالم وإلا وحق المسيح الساعة أحمل بعساكره ولو كانوا بعدد النجوم فنيتهم فعندها قال الملك ميخائيل ما فى الأمر غير اللقا والمبارزة ثم أنه ظهر على جواد كريم مثل الليل البهيم يسبق النسيم وعليه درع داودى وثوب ديباجى متقلد بسيف قوى المسمار ماضى الشفار قاطع للأعمار وهو فى تنور ذهب بالفضة مكوكب وحمل على كوشانوش وصاح كل واحد منهما على صاحبه وجالت الخيل حتى عاد النهار مثل الليل (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد سمع الفريقان صراخهما وقد علا صياحهما وانكشف الغبار عنهما وإذا بالملك كوشانوش حمل على الملك ميخائيل كأنه الفيل ونظرت الروم إلى تلك الحملة فحملت تطلب خلاص ملكها وحملت أصحاب كوشانوش ولم يزال الحرب الشديد بين العسكرين إلى غروب الشمس وقد أوصل الملك كوشانوش الملك ميخائيل إلى قومه وحمل على صاحب العلم وطعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره ومال العلم فولت عساكر الروم منهزمين وصوارم المغلبيط تعمل فيهم وقد ضاقت عليهم الأرض فى الطول والعرض وأصبح الصباح وملك كوشانوش الخيام والمضارب والرجال والأموال وقوى عزمه واستدعى بعسكره وانضاف اليهم مائة ألف من زى المغلبيط وعمل كوشانوش القيود فى رجل الملك ميخائيل وكذلك الملوك وأرسلهم إلى قلعة الشيطبان إلى المطمورة التى فيها الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقالوا له خواص دولته لم لاتأخذ معك الملك ميخائيل الى القسطنطونية حتى يسلموها اليك فقال لى رأى آخر سوف أفعله (قال الراوى) ياساده ياكرام وسارت البطارقة ومعهم ميخائيل والملوك وفتحوا المطمورة وأنزلوهم فيها فتعجب الأمير عبد الوهاب من تقلب الأوقات والزمان بأهله وتغير الدول على غفلة وجعلوا المسلمين يلعنون عقبة والملك ميخائيل فنهاهم الأمير عبد الوهاب عن ذلك وقال دعوه فعند من زوال دولته ما يغنيه عن الكلام (قال الراوى) ياسادة وسأل البطال عن القصة فأعاد عليه الملك ميخائيل حديث كوشانوش فعظم ذلك فى قلب الأمير عبد الوهاب وقال يفعل الله مايشاء وفرح عقبة بذلك الا أنه لم يظهره من أجل الملك ميخائيل بل أظهر التوجع هذا وان الملك كوشانوش جمع الأموال والرجال

والعساكر وسار طالب القسطنطونية وقد انحشر فيها عالم عظيم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ونزل عليها وغلقت دونه الأبواب وعمل القتال عليها عشرين يوم وكل يوم يزداد عسكره وهو يعطى ويوهب ويخلع حتى لم يبق مما أخذ من عسكر الملك ميخائيل درهم واحد فلما كان اليوم الحادى والعشرين رمى اليهم سهم من بعض الأبراج فيه كتاب مكتوب يقول له فيه أيها الملك قد عرفنا قرب منزلتك من المسيح وانك تعبد الملة المسيحية كما كانت أول مرة فاذا كان هذه الليلة ازحف إلى هذا البرج ونحن نرفع الرجال ونساء البلد اليك فلما قرأ كوشانوش ذلك الكتاب فرح وقال انصبوا السلالم إلى برج الزاوية فنصبت وطلعوا الرجال ونزلوا إلى باب الذهب فكسروا الأقفال وانقلب البلد وعمل السيف إلى الصباح فنادوا أهل كوشانوش يامنصور فأمر برفع السيف عنهم وملك البلد والقصر وكلما فيه من الأموال وجلس على سرير المملكة ونادى المنادى بازالة المظالم والمكوس ومن أراد الديوان كما كان مع الملك ميخائيل وزيادة فعليه بالملك كوشانوش فانه يعطيه أكثر مافى نفسه وما يريد منكم درهم فسمع ذلك أهل البلد والناس فقالوا هذا هو الملك حقا (قال الراوى) وفتح كوشانوش الخزائن التى من عهد منويل وتوفيل وفرقها على الناس وخلع وردالمظالم وكتب الكتب إلى سائر الأقاليم الرومية يقول لهم ان ملوككم عندى أسارى وقد عولت على الخروج إلى بلاد الإسلام فان أطعتمونى وسرتم إلى فلكم عندى اليد البيضاء وإلا وحق المسيح سرت اليكم ومحوت آثاركم فلما وصلت الكتب الى الأقاليم أزعنوا بالطاعة وصارت له الهيبة فى قلوب الروم وجاءت العساكر من كل مكان حتى بقى فى الف الف وأربعمائة ألف عنان ولم يتخلف غير ملك الافرنج فانه أرسل يقول له ما أدخل تحت طاعتك حتى تنفذ إلى ولدى من أسرك فما نحن والروم سواء فلما سمع كوشانوش ذلك عظم عليه وكبر لديه وكاد أن يهلك من شدة الغضب وكان إذا غضب يخرج من جسده شعر مثل الابر وهذا بخلاف صفة الروم لأن الروم تضرب الأمثال بنعومة أبدانهم فسار اليه فى مائة الف فارس من قومه فلما تقابلوا برز اليه مللك الأفرنج فحمل كوشانوش عليه ولم يطل بينهما القتال حتى طعنه كوشانوش فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وحمل بأصحابه على الافرنج فما أقاموا أكثر من ساعة وانهزموا بعد أن قتل منهم عشرة آلاف وحمل رؤسهم على القنطاريات وخرب أرضهم وسبا نساؤهم وعاد إلى القسطنطينية وعمل رؤسهم صوامع وعظم أمره وزاد شره وأرسل إلى جميع الآفات يجمع العساكر حتى صار بظاهر القسطنطينية الف الف سوى أصحابه الذين خرجوا معه

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما رأى انقياد العساكر إلى طاعته بفلاسفة الروم والحكماء وقال لهم أريد أن تصنعوا لى حكمة أفتخر بها على جميع ملوك الروم القدماء فقالوا أيها الملك السمع والطاعة امهلنا حتى ندبر ذلك ونحققه ثم اجتمع بعضهم على بعض واجتمعوا برأيهم المتفق أن يستخرجوا له دهنا يدهن به ويدخل النار فلا تحرقه وكان كل من غضب عليه ألقاه فى النار وهى معه أينما سار لاتفارقه فلما فعلوا ذلك أعجبه وأكرمهم كرامة عظيمة

تم الجزء الحادى والثلاثون ويليه الجزء الثانى والثلاثون

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثانى والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
باكرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا ماجرى للملك كوشانوش مع فلاسفة الروم وحكمائهم (وأما ماكان) من الأميرة ذات الهمة فانها حملت على قلبها من أجل أسر ولدها الأمير عبد الوهاب وأولاده وسائر أصحابه وسمعت أن هذا الخارجى قد ملكهم وأخذهم أسارى ولم تعلم هم سالمين أو شربوا كؤس الردى فورد على قلبها من ذلك هما لو ورد على جبل ماحمله ثم أنها جمعت العساكر وعولت على الدخول إلى بلد الروم وقد لحقتها حمى فى الليلة التى عولت على الخروج فيها إلى بلد الروم ثم زاد بها الحال فى اليوم الثانى وتولد منها مرضا عظيما واجتمع عليها الفكر من أمر الأمير عبد الوهاب وأصحابه وكيف حصلوا فى أيدى الأعداء. فقالت معلوم أن الموت لابد منه وما قصدى إلا أن يكون قومى وولدى حاضرين عندى ههنا فلوجه ربى الحمد والشكر على ماأعطانى وتفرقت العساكر القادمين والجند الوافدين عليها ومكثت الأميرة على ذلك زمان طويل حتى لم يبق هنها إلا الخيال فلما أيست من اللقا وما فيه من الاجتماع بولدها لحقها الاكتئاب والانتحاب فبكت بكاء شديد وأنشدت تقول

طال سقمى واستزاد مصائبا * وأصبح عظمى عارى اللحم واهيا
وزادت على قلبى هموم كثيرة * وصرت خيالا لاأجيب المناديا
ولو كان مابى بالجبال تصدعا * جلاميدها من بعض ما قدد هانيا
وما بى سوى فقد الأمير الذى به * يطيب زمانى فى الورى وحياتيا
لقد شمت الملعون عقبة والعدا * وأصبح ربعى خاليا منه واهيا
تراه أسير أم تراه مجندلا * فاندبه حتى قد تحين وفاتيا

لقد بكت الخيل الكرام لفقده * وصارت عليه بانتحاب بواكيا
وقد كنت أرجو عزة فتعذرت * على وخانتنى جميع الأمانيا
وأصبحت لا أقوى لطرد ذبابة * وأعجز عن ردى جواب المناديا
فلو ان لى حيل بمقدار اننى * أجرد لرمحى واستقر حصانيا
لكنت وبيت الله من بعد واحدى * تركت بلاد الكفر قفرا خواليا
أيا فارس الهيجاء ياضيغم السرا * وياسيدا فى حربه غير وانيا
ويا ظالما لو تنظرونى مريضة * وقد زاد ما بى فقدكم وشجانيا
كفى حزنى انى أنادى باسمكم * ولا لى مجيبا قد تسمع ندائيا
سألتكمو بالله الأرثيتمو * ورقوا لما بى وارحموا سوء حاليا
سلامى عليكم طال شوقى اليكم * ولى مرض قد هدمنى توائيا
فان نحن عشنا يجمع الله بيننا * وان كان موتى قبل يوم دنائيا
فهذوا على قبرى بآمد واندبوا * على وروحوا واذكروا مادهانيا
وقولوا لابنى عانق القبر ساعة * اليك لعل الضم يروى صدائيا
وصلى إله العرش ربى دائما * على المصطفى مين جاء للخلق هاديا
كذا الآل والاصحاب ماهبت الصبا * وما تاح قمرى قصور شجانيا
وما ضحكت زهر وما سحب بكت * ومارقص الغصن الرطيب العواليا
وما لعلع الحادى المجد لطيبة * وما قد دعا لله فى الليل داعيا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغت الأميرة ذات الهمة من شعرها والنظام غشى عليها بعد أن قالت هذه الأبيات وارتفعت الضجات وخرقت بنى كلاب أثوابها وعظم مصابها وأرخت العمائم فى الرقاب وكذلك السودان والأصحاب ولطمت عليها نسوان بنى كلاب وأقامت الأميرة فى الغمرات وقد أخذوا لها فى أمور الممات وإذا بها قد جرت دموعها على خدودها مثل المطر الهطال وهى تقول فى غشوتها الحمد لله على كل حال ياولدى لو نظرت عيناك الى ما حل بى من المرض الذى أشرفت منه على الوفاة وما عاقنى عن طلبك والدخول إلى خلاصك سواء فالحمد لله الذى جمع شملك بشملى قبل موتى والشكر لله ثم فتحت عيناها وقالت أين ولدى الأمير عبد الوهاب الساعة كنت أنا واياه فعلموا الناس ان خياله قد زارها فى غشوتها فما منهم الا من جرت دموعه من عيناه وقال الساعة مضى يأتى بالطبيب ليداويكى من هذا السقام فسكن مابها من الآلام ببركة سيدنا محمد خير الأنام وعلمت ان ذلك الاحتلام والالتمام انما كان أضغاث احلام فعادت الى ما كانت عليه من

العسكرات فبكوا غلمانها عليها وأجروا العبرات وعظمت الحسرات وأقامت الأميرة فى غشوتها ذلك اليوم حتى وصل صابر المرعشى من بلد الروم وقدم بقلب محترق بالنار وسأل عن الأميرة فأخبروه بحالها وسألوه عن الأمراء فقال هم سالمين ولكن أريد الأميرة حتى أقول لها مامعى من الأخبار فوصل الخبر الى الأميرة ذات الهمة فكادت من فرط الحسرات ان يقضى عليها ثم قالت سندونى فسندوها ووقع فيهم بذلك الاسبشتار ودخل عليها صابر المرعشى فقالت له وقد تنفست صعدا هات مامعك يامبارك فهل معك علم من الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأمراء الأبرار فقال لها الكل سالمين الا انهم فى قلعة الشيطبان وأنا أسأل الله تعالى ان يخلصوا منها و يملكونها منهم فقالت والبطال ما كان منه فقال لها أسير هو وغلمانه وهم عند الأمير فقالت هل معك علم من عقبة الملعون قال نعم هو عندهم الآخر أسير فقالت كيف ذلك فأعاد عليها القصة جميعها وان ميخائيل والملوك جميعهم فى أسر الملك كوشانوش وقد أخذ منه القسطنطونية وقتل ملك الافرنج تونير وقد جمع كوشانوش العساكر وبذل الأموال للكبير والصغير وقد وصل الى البلستين فى الفى الف من الروم فطاب قلب الأميرة بذلك (ياسادة) بسلامة ولدها ومن معه من الأصحاب وطمعت لهم فى الفرج من عند اللطيف الخبير ووجدت فى نفسها راحة عظيمة ونشاط كثير ولم تعبأ بذكر الجيوش ولا بكثرتها فهذا ما كان منها (ياسادة) وأما ما كان من كوشانوش فانه رحل طالب ملطية وكان الأمير عمر بن عبيد الله مقيما فيها وقد جمع العساكر حتى صار (ياسادة) فى مائة ألف عنان فبينما هم كذلك واذا بالغبار قد طلع كانه الدخان واسود منه ضوء النهار وانكشف ذلك الغبار عن بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وبريق الزرد النضيد وصلصة الحديد وظهرت الصلبان والاعلام والشجعان كانها سباع الآجام وهمهمت الخيول ولمعت أسنة الدحول وأشرف الملك كوشانوش وهو فى المقدمة وله همهمة ودمدمة وقد أوقر الجواد لعظم خلقته وعقره من ثقل جثته وضربت الطبول عند النزول ومدت الطوائل لصواهل الخيول وحفرت المعالف ورجفت الرواجف وأحدقوا بملطية تلك العساكر فبقيت كانها المركب فى لجة البحر وانصمت الاسماع من كثرة الركض ونفرت الوحوش من الفلوات وضاقت الجنبات ونظر عمرو إلى ذلك الجمع العظيم فتغيرت منه الأحوال وقال لبنى سليم اعلموا أن الروم قد ما خرجوا فى عسكر مثل هذا العسكر فما عندكم من الرأى من اطلاق الطيور إلى العراق بهذا الخبر ونستدعى بالمأمون أن يأتينا بالعساكر ويعيننا على هذا الأمر المنكر ونغلق الأبواب ولا نتعرض لقتال حتى تأتينا عساكر الخليفة وتقوى منا الهمة الضعيفة وتخرج الساعة إلى هذا الجيش

العرمرم ونلتى هذه الطوائف والأمم فقالوا أيها الأمير قد علمت أدام الله علاك أن بنى كلاب كان يكون أكثر عددهم ستون ألفا وأقل من ذلك وكان إذا نزل عليهم من نزل أرموا أرواحهم فيهم للهلاك ولو كانوا أعداءهم بعدد التراب وقطرات السحاب ولهذا كان لهم عند الخليفة مكان ويرفع لهم قدرا وشأن وما نحن دونهم فى ضرب الحسام ولا فى ظن السنان ولا بد مانرى نفوسنا عليهم ولو كانوا عدد النجوم فان كانت لنا فهو المراد والذى نروم وننال بذلك القدر الرفيع عند كل أحد ويعلو ذكرنا مثل بنى كلاب إلى أبد الأبد فعند ذلك فتحوا الباب وخرجوا بنى سليم فى تكامل العدد وفى أيديهم السيوف والعمد وفى أوائلهم الأمير عمرو بن عبيد الله كانه الأسد الغضبان وقد هموا بالقتال على من كفر وجحد وأم عمرو تقول ياولدى لو كنت تقاتل من وراء الاصوار لكان أحب إليك من أن ترمى روحك فى هذا البحر الزخار يابنى لاتسمع من كلام بنى سليم فماهم قوم يدفعون عن أنفسهم ضيم ولا تشبههم بليوث الغاب أبطال بنى كلاب ولو كانوا بنى كلاب الساعة عندكم ولو كانوا مع بعض جندكم فانتم طلبتم أن تخلى منهم الديار حتى تبقى لكم الثغور وحدكم فانظروا الآن كيف يكون ملاقاة الرجال وتحقيق القتال وصدق الفعال وركوبكم العار ورميتم بالمذلة والشنار فلما سمع كلام أمه لم يلتفت اليها ولا أقبل بوجه عليها وخرج إلى ظاهر البلد وقد قطب فى وجهها وجرد واستعد فى مائة ألف فارس بالسيوف الرقاق والرماح الدقاق والخيول العتاق فلما نظروا الروم إلى ذلك قالوا لكوشانوش أيها الملك هذا صاحب ملطية خرج إليك فى مائة ألف فتبسم من قولهم وضحك وقال وحق المسيح لو كانوا هؤلاء كل واحد منهم مثل الذى عندى فى الاسر فى قلعة الشيطبان وهم مثلهم فى القوة والشجاعة لكنت مليابهم وحدى فى معترك الضراب والطعان ثم ادعى برجل من قومه يقال له قسطون وكان مقدما فى بطارقة النصرانية وقال له قد انتدبتك لهذه العصابة الحنيفية التى هى عسكر ملطية فقال السمع والطاعة وانتخب مائة فارس من البطارقة القوية واصطفت صفوفهم فى مقابلة بنى سليم وطلبوا القتال بالسوية وحمل بعضهم على بعض وارتجت الأرض وعملت المرهفات وحكمت المشرفيات وهمهمت خيول السادات وطلع الغبار إلى عنان السموات ونصروا بنى سليم على أصحاب البطريق وإذا وأذاقوهم طعنا أمر من الحريق وعادت الروم منهزمة وبنى سليم خلفها مصمصمة وقد نثروا منهم الرؤس نثرا وسالت الدما نهرا وطرحت الرجال صبرا وقطعوهم عشرا عشرا وعاد ربح الكفار خسرا فلما رأى كوشانوش إلى ذلك عظم عليه وكبر لديه وركب لوقته وساعته فركبت العساكر والدساكر وزحفوا على بنى سليم مثل البحر الزاخر فعندها

فاضت الدما من المناخر ففلقت الاضلاع وتفطرت من الهلع المرائر ودارت عليهم الدوائر ونفذت الأحكام والمقادير وحسر عن ساعديه البطل المغاور وكان يوما عظيما على بنى سليم انهزمت فيه وتكسرت وقتل منهم عالم عظيم ودخلوا على البلد وقد نقص منهم العدد هذا وكوشانوش قد غضب وزجر وصاح فى عسكره وهدر وأقسم لا بد له من أخذ البلد فى ذلك النهار فقالوا له أيها الملك هذه البلد حصينة الاصوار وقد نزلنا عليها مع سائر الملوك طرق معده فلم نقدر عليها فلا تعجل فى طول الحصار فلما سمع كوشانوش ذلك قبض على الذى خاطبه بهذا الخطاب وأمر أن يضرب منهم عشر رقاب ثم زحف إلى البلد وهو يزعق فأحدقت به الروم كما يحدق البياض بسواد الحدق وزاد الحنق وترجل معه مائة ألف بطريق كأنهم نار الحريق وستروه بالدرق وقد جرى منهم العرق وقد تقدمت النقابة إلى الصور وضربوه بالمعاول وزحفت المحافل ونقبوا الابراج وكان يوم انزعاج فما كانت إلا ساعة انهدم جانب الصور وجرى القدر المقدور وهجمت الروم إلى البلد وارتفع صياح نساء بنى سليم وانعقد وطلب النجاة لنفسه كل أحد فلم يرى لها سبيل ولا وجد وكان الذى أخذوا منهم أسارى أربعين الف وقتل من دنى أجله وانهزموا الباقون وملكت الاموال والرجال والنساء والبنات والبنون وأخذوا الامير عمرو ابن عبيد الله برقبته أسير ولم يتركوا من نساء بنى سليم لا صغير ولا كبير (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن ملكت البلد وأسرت بنى سليم بأجمعها وكان من جملة من أسر منهم ومن العرب والسودان ثلثمائة ألف أسير ما بين صبي وأمرأة ورجل وسار بهم إلى القسطنطونية وكان يوم دخولهم يوم عظيم (قال الراوى) ووصلت الاخبار إلى بنى كلاب وهم فى آمد ففرحوا بما جرى على بنى سليم فقالت الاميرة ذات الهمة وقد برئت من المرض ودخلت الحمام وركبت الخيل وعادت إلى صحتها وزيادة فوقها ببركة النبى صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما يسرنى ذلك ولا يعجبنى أن تسبى الحرائر فى أيدى الكفار والأشرار وحملت على قلبها من ذلك أمرا عظيما (قال الراوى) وسار كوشانوش طالب العراق وقد وسمع أن الخليفة جمع العساكر فلم يلتفت إلى ذلك وقال ان العراق كرسى بلاد الإسلام فاذا ملكت العراق أخذت سائر الآفاق ولا أضيع أوقاتى فى الهزيان (قال الراوى) وسار طالب لقاء الخليفة وسار الخليفة طالب لقاءه فى الموضع المعروف بالمعامع وكان المأمون فى ألف ألف وفارس فلم تصبر العساكر بعضها على بعض دون أن حملت الخيل على الخيل جرت الدما مثل السيل وعمل القتال إلى الليل وأنفصلوا فلما أصبح الصباح أرتفع الصياح وعملت الصفاح ولم يزل القتال يعمل ثلاثة أيام هذا وكوشانوش ركب فى ذلك العسكر الكبير والجم الغفير فلما صار فى وسط المعمعة

حمل طالب الموكب الذى فيه المأمون وطعن صاحب العلم فقتله وطعن الوزير الفضل بن مهل فجندله وكان ملاصقا للمأمون وقد ظن الملك أنه الخليفة (قال الراوى) فلما رأت العساكر ذلك ظنوا أن الذى قتل هو المأمون فانهزمت الجيوش وتمزقت وتفرقت الكتائب والمواكب وانهزم الباقون إلى العراق وصار كوشانوش وقد ملك الاموال والاثقال بما لاعين رأت ولا أذن سمعت وأخذ من الاسارى عالم عظيم لايحصى عددهم الا الله تعالى وأرسل تلك الأموال والأسارى الى القسطنطونية وجائته الاخبار بوصولها وسار طالب بغداد ولم يلتفت للموصل ولا لغيره حتى وصل الى بغداد ونادى المنادى فى بغداد بالغزاة وخرج المأمون ثانيا فكسره كوشانوش وتم طالب البصرة والعساكر تتبعه ولم يتعرض كوشانوش إلى بغداد وقال لعسكره معلوم ان البلاد لكم لايعارضكم فيها معارض وإذا أخذنا الخليفة صارت الأمور خفيفة ونملك البلاد من غير مرافع ولا ممانع وان أنا اشتغلت بنهب الأموال لربما يعود الخليفة ويجمع العساكر وتطول الأيام علينا وأنا على عجل من أمرى لأن الاسكندر خرج من دياره فملك الأرض فى ثلاثة عشرسنة وأنا أريد أملكها فى عشر سنين (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولحق المأمون بالبصرة وكانت الأنهار والمياه على زيادتها وقد جاز الماء على الأقاليم وصارت الدنيا خراب مقفره ولم يكن له سبيل إلى العبور إلى البصرة فقيل له أيها الملك اقطع النخل واعمل الجسور فقال افعلوا ذلك فقطع فى عشرة أيام أكثر من مائة ألف نخلة وعمل الجسور فلما ان سمع الخليفة بذلك عول على الهرب الى خراسان (قال الراوى) وأن كوشانوش صبح معول على العبور وإذا بخمسة نجابين يخرقوا العسكر حتى وصلوا إلى كوشانوش فباسوا الأرض وخرقوا أثوابهم وإذا هم من العرب المتنصرة وجعلوا يحثون التراب على رؤسهم وقالوا أيها الملك العجل العجل فان البلاد قد نزل بها الويل فقال ويلكم ما الخبر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أن الأميرة ذات الهمة وجدت الراحة من المرض كما ذكرنا بفتح ملطية ومضى كوشانوش إلى العراق فجمعت بنى كلاب وقالت اعلموا أن ما بقى لى صبر على ولدى وأريد المسير الساعة إلى بلاد الروم فانها خالية مافيها ديار وما رحل كوشانوش إلى هذه البلاد إلا وقد خلت سائر الأماكن من الاجناد وقد عولت على الدخول إلى بلاد الروم لعلى أظفر بملك من الملوك أو قلعة من القلاع فتكون فداء لولدى ولعل الله يسهل خلاصهم بما لم يكن فى الحساب ثم انها جمعت العرب والسودان ورحلت إلى بلاد الروم فى خمسين ألف من العرب وعشرين ألف من السودان وسارت الأميرة تقطع الأرض حتى وصلت إلى القسطنطونية فغلقت الأبواب فى وجهها ثلاثة أيام فلم تجد اليها سبيل

فما كان لها غير الرحيل وقصدت حصن يانس المتعذب تطلب لها منه خبر فلما إن وصلت إليه فرح بقدومها وقال لها الحمد لله على سلامتك وأننى مشتاق اليكى مع ما أننى خائف من هذا الشيطان كوشانوش الذى خرب البلاد التى كانت لى حول حصنى وما كنت أقدر أركب من يوم ملك القسطنطونية ومع ذلك كله فمالى عيش هنى من خوفى على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقالت الأميرة أما أنا فلا تسأل عن حالى فهل عندك علم من ولدى فقال نعم فى قلعة الشيطبان وأنا أعرف أهل الأرض بها لأننى أقمت فيها سنين والآن فاغتنموا خلو بلاد الروم ثم ارحلوا بنا اليها لعل نتوصل إلى فتحها ان شاء الله تعالى فلما سمعت الأميرة ذات الهمة ذلك قالت له بارك الله فيك يايانس وسار معها فى أربعة آلاف بطريق فلما وصلوا الى قلعة الشيطبان ونظرت الأميرة الى حصن ماللطيور عليه سبيل فقالت الأميرة ليانس لو بقينا على هذه القلعة أعمار النسور ما قدرنا عليها فقال أيتها الأميرة اننى عارف بمكان أسلم اليكى القلعة فى أقل الأيام وبقيوا يقاتلوا أهل القلعة ثلاثة أيام فقتل من الناس جماعة فقالت الأميرة ليانس أين الذى وعدتنى به فهذا الذى نحن فيه خسارة كل يوم يقتل منا جماعة وما نقدر على قتل واحد منهم لأنهم فى مكان حصين فقال يانس والله لقد كنت أعرف مكان فى هذا المكان وأنا صغير ويدخل الواحد منه الى القلعة لأن هذه القلعة ولدت فيها وفيها ربيت وكان عمى ملكها وقد تاه عنى المكان وأنا فى حيره من منذ ثلاثة أيام فهو معها فى الكلام وإذا بشخص يلوح من ذروة الجبل فلما ان رآه ارتاعوا منه وبهتوا ينظرون واليه يشخصون ثم ان السودان أولاد الحبشان توائبو كالعقبان وجردوا السيوف من أغمادها وقصدوه واذا هو أبو محمد البطال ومن ورائه غلامه لؤلؤ فوقع فيهم الفرح والصياح ثم حملوهم الى عند الأميرة فلما وقفوا بين يديها ووقع نظرها عليه قالت ياأبا محمد قال لبيك يامولاتى الحمد لله على سلامتك فقالت ايش عندك من الأخبار فقال لها ابشرى أيتها الأميرة ببلوغ المنى وقتل الأعداء (وقال الراوى) ياسادة يا كرام وكان له حديث عجيب وأمر غريب وذلك ان الملك كوشانوش لما أسر الملك ميخائيل والملوك معه وأنزلوهم الى المطمورة وكان معهم مارس ودارس أيضا مأسورين وكانت تلك المطمورة التى فى قلعة الشيطبان يقال لها مطمورة الفناء وكانت مادخلها أحد وخرج منها وكان كوشانوش لما ملك هذه القلعة فرح بها غاية الفرح وقال ما على وجه الأرض مثلها ثم انه رفع اليها نساءه ونساء الخواص ومن سائر بنات البطارقة الكبار وأربعة آلاف جارية ورفع فيها اموال الرجال كلها وكلما ملأوه المغلبيط على طول الاوقات

والأيام ثم ادعى ببطريق يقال له صليبا ابن قضيب وكان ذو عقل ورأى الا أنه خلق من الغضب والصخب ليس فى قلبه رحمة وكان أوحش خلق الله وجها وأبخلهم يدا الا أنه كان شجاعا لا يلتقا وبطلا عند اللقا مبارز للحروب كاشف للكروب وكان مصرا على المعاصى وان كوشانوش قال له قد عرفت فيك من الشجاعة والبراعة وقد أمرتك على كل من فيها فما أعجبنى فى هذا الأمر سواك فأنت تحت يدك من أجنادك ألف وقد أضفت اليك ثلاثة آلاف أخر فشكره صليبا على ذلك وقال أيها الملك طب نفسا وقر عينا فلو جاء كل من فى الدنيا من المسلمين والروم لما قدروا على هذه القلعة وأنا فيها وان تم عليها حال من الأحوال فأنا المطلوب بها قال كوشانوش ولهذا اخترتك دون غيرك وضم اليه الثلاثة آلاف (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان لهذا البطريق زوجة يقال لها مليكة قد أجمعت الروم انه لم يكن فى بلاد الروم كافة من يضاهيها فى الحسن والجمال والبهاء والكمال وكان خبرها قد سارت به الركبان وقد وصل حديثها الى ميخائيل فشغف بها على الصفقة وارسل الى أبيها يخطبها منه وبذل له الأموال وماأراد من الأحمال فقال أبوها ومن مثلى وقد خطب الملك ابنتى (ياسادة) وكان هذا صليبا قد رأى مليكة وقد كشفت رأسها عجبا بحسنها وجمالها وانه لما رآها هام بحسنها وجعل يهدى لأبوها من التحف والأموال ماأبهره ثم خطب الجارية بعد خطبة الملك ميخائيل لها فأبى أبيها ان يزوجه اياها وكرهت هى أيضا ذلك فلما سمع صليبا ذلك جعل يرغب أبيها فى الأموال فان المال يلعب بعقول الرجال ويهادى سائر البطارقة ويسألهم ان يسألوا أباها وهو مع ذلك قد رغب فى الملك ميخائيل وان هذا صليبا طرح روحه على الملك كوشانوش وحمل اليه ما يسوى عشرة آلاف دينار وديباج وجواهر فأحضر أباها وزوجها له كرها منه ودخل بها وهى أبغض الناس اليه كما ذكرنا من سماجة خلقته وقبح صورته وكان له عشرة أولاد كل واحد يعد بألف فارس وتحت أيديهم فى الحصن ثلاثة آلاف بطريق والبطريق صليبا يعد بالجميع فلما دخلوا الملوك القلعة وهم أسارى فى الذل والقيود فى أرجلهم والملك ميخائيل فى أولهم وقد خرجت نسوان البطارقة التى فى القلعة ينظرون اليهم وخرجت مليكه زوجة صليبا تنظر الى ملك الروم وعلى بدنها ثوب أحمر وفوقه بدنة لؤلؤ فى قدر اللؤلؤ الكبار وقد أرخت ذوائب فى مثل سواد الليل الدامس والظلام المتغامس وقد بهتت اليها النواظر وهى مكشوفة الرأس والبطريق صليبا بين يديها يحجبها من محبته لها وأنه لما نظر إلى الملك ميخائيل بين الملوك مأسور فى ذلة الأسر وخجلة القهر فقال لها وقد أراد أن يوريها الملك ميخائيل ملك القسطنطونية وجعل يقول لها ماأخر الرجال

بالملك والأموال وإنما فخرها بالشجاعة والنوال فلما عاينت ذلك اليوم قال لها يامليكة أنظرى إلى الملك ميخائيل يساق مثل النساء ما كان فيه أن يمنع عن نفسه فنظرت مليكة إلى الملك ميخائيل وكان مليح الشباب بشعر أجعد وخد مورد طويل القامة كانه قضيب بان أو غزال عطشان وقد خجل من نظر النسوان وقد غمض عينيه بأجفان كانه مقاديم أجنحة النسور وقد أطبقها على مقتلين نرجيستين مراض وقد أحمرت منه الوجنات فصار يسبي المخدرات فلما نظرت إليه مليكة كان مثل سهم مرق أخذ بمجامع قلبها وأحتوى حسنه على لبها فقالت لاحفظ الله الملك كوشانوش كما أحرمنى مثل هؤلاء فليت لو تزوجت بهذا الملك وبت معه ليلة واحدة ومت ولا أخذنى صليبا بن قضيبا ودفع الملك ميخائيل وقد سمع كلامها فسأل الجوار عنها فأخبروه بها فبهت ناظره اليها وانها لما رأته يحدق بالنظر اليها ضحكت وتمايلت وانعطفت وشدت الزنار على خصرها حتى كاد خصرها ينخصر وظهر ردفها مثل تل رمل فلم يبق أحدا من الملوك الاوغاب رشده مما رأى وأنزل القوم فى المطمورة وكان قلب الملكة مليكة نزل معهم فيها وقد تمكن حب الملك ميخائيل من قلبها وكتمت أمرها فحمى مزاجها ووقعت مريضة وهم لايعلمون بها وكان لها قهرمانة فدخلت عليها فوجدتها تبكى وتقول كلام بالرومى يقتضى الهوى والمحبة والجوى فأنكرت حالها وقالت لها أيتها الملكة أظهرى ذلك إلى فانى فى موضع السر والجوانح وإن دام كتمانكى هلكتى فقالت لها اعلمى انى عاشقة رامقة فقالت لها القهرمانة كنتى أعلمتينى بهذا فى الأول فلو كان من تحبيه تحت الأرض لا وصلتكى اليه وأوصلته اليكى ومن هو الذى تحبيه وما اسمه لقد علا نجمه فقالت لها الملك ميخائيل الذى كان خطبنى فى الأول فقالت لها القهرمانة وحق الانجيل والمسيح مايصلح لعناق هذا الوجه المليح غيره ولقد أرميتى قلبك فى موضعه ولا بد مما أجمع بينكى وبينه اليوم فى أقرب الأوقات ثم خرجت القهرمانة من عندها وقد طيبت قلبها بذلك الخطاب ودخلت على زوجة البطريق الذى هو موكل بانزال الطعام إلى المطمورة فقالت لها أن الملكة مليكة تدعوكى اليها فوثبت مسرعة فلما وقفت بين يديها باست الأرض وقالت بما تأمر الملكة حفظها المسيح فقد أعطاها وجه مليح فقالت لها القهرمانة اعلمى أن الملكة تريد أن تعطيكى شيأ تفتخرين به على أبناء جنسك ثم أنها خلعت عليها خلعة كاملة من ثياب مليكة فذهلت المرأة وقالت ياستى بم استوجبت هذا فقالت لها لكى علينا أضعافه من كل ماتريدين شيء من المال والجواهر واللؤلؤ وغيره على أن الملكة قد أحبت هذا الملك ميخائيل وهى تريد النزول اليه تتحدث معه قدر ساعة واحدة فقالت سمعا وطاعة وأن مفاتيح المطمورة عندى وزوجى مايفتح عليهم إلا فى كل

ثلاثة أيام ينزل لهم مايحتاجون اليه من الزاد إلى اليوم الثالث وأنا إذا خرج زوجك صليبا إلى الصيد والقنص وخرج زوجى معه وخلى لنا المكان افتح لكم باب المطمورة وتنزلين واتى آمنة مطمئنة وتفكين قيده وتجلسين معه يوما كاملا فقالت الملكة مليكة أنا اليوم أخرج لكى صليبا إلى الصيد والقنص ونخلو نحن باتنهاز الفرصة ثم أرسلت خلفه فدخل وقبلها بين عينيها وقال لها وحق المسيح أن روحى هى المريضة لمرضك وكيف لى أن أصل إلى غرضك فقالت له اعلم انى نمت الساعه فرأيت فى منامى القديس الشهيد ومريحنا المعمدان وهو يقول لى قد قرب صلاحك وقد وصلنى إلى فرحك وخلاصك من هذا المرض الشديد والألم ولكل شىء سبب قولى لزوجك صليبا يخرج إلى الغابات فيصطاد لكى سبع أحمر طويل الوبر تأكلين من لحمه وقد برئتى وشفيتى فى الحال فلما سمع ذلك باس الأرض فرحا فقال لها ها أنا الساعة أخرج فى مائة فارس وندور الغابات والفلوات ولو بقيت عشرة أيام ما آتى إلا به ثم أنه ركب لوقته وساعته لأنه محبا لها ويطلب أن يتقرب إلى قلبها بكل مايقدر عليه ويصل إليه وخرج معه مائة فارس من البطارقة وخرج البطريق الموكل بالمطمورة مع صليبا لأنه كان يزدار الملك وقد أوصى زوجته بالأسارى فعند ذلك خرجت الملكة مليكة والقهرمانة إلى بيت زوجة البطريق وقد صارلها عندها منزلة عظيمة (قال الراوى) ياسادة ياكرام وفتحت زوجة الطريق باب المطمورة ونصبت سلم خشب زائد الطول يصلح لحفر الابيارى ونزلوا بين يديها وإذا بالمكان واسع تحت القلعة كلها ونظروا الملوك إلى من قد نزل وإذا بها الملكة مليكة وقد أضاء المكان من حسن وجهها وانها ابعدت عنهم إلى جانب من الموضع الذى هم فيه وقالت أريد الملك ميخائيل فحمل اليها وقد حار كل من فى المطمورة من ذلك وقالوا لاشك أنهم يقتلوه وقال قوم لابل قد سمعوا ان كوشانوش قد هلك فنزلوا يطلبوا منه الأمان إلا أبو محمد البطال فانه أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له اعلم أيها الأمير ان نزول هذه الجارية زوجة البطريق فى هذه الساعة لأمر عظيم وفى هذا الوقت ماهو إلا لسبب من الأسباب وهذه قيادة لنا فيها منفعة وأريد أن أزحف إلى عندهم وأدبرهم بعقلى وجعلت مليكة تشكو إلى الملك ميخائيل مالاقت من هواه فقال لها وحق المسيح عندى أضعاف ذلك وهو الذى سلانى عما أنا فيه فى هذا السجن بعد المملكة والأمر والنهى وجعل كل واحد منهما يضم اليه صاحبه ويقبله وأبو محمد يزحف اليهم حتى وصل قريبا منهم فصاحت عليهم زوجة البطريق وقالت له ويلك ما الذى تريد أرجع وإلا وحق المسيح قطعت رأسك فقال لها ياستاه أنا ماجئت الأخدمة للملك ميخائيل لشىء له فيه

صلاح فلما سمع الملك ذلك من كلام البطال علم انه ما جاء إلا ليدبر فى خلاص الكل فقال له تقدم إلى عندنا وأشارت هى أيضا اليه فزحف حتى وصل إلى عندهم وباس الأرض وقال لها بالرومى ما يصلح هذا الجمال المليح إلا لمثل هذا الملك ومعلوم أن هذا الخارجى كوشانوش مايدوم ملكه ولو كان هذا الملك بينه وبين هؤلاء الأمراء هدنة لماتم عليه هذا الأمر كله والآن فان أردتى أن تكونوا زوجة الملك ميخائيل وتملكى الروم جمعا فدبرى فى خلاصه وخلاص من معه من الملوك وهؤلاء السباع الضاربة الكواسر والليوث الجواسر وهم وحق دينى يفتحون هذه القلعة وبعدها يملكون مدينة القسطنطونية ويكسرون الملك كوشانوش ويحلوا به الرزية ولو كان عساكره فى عدد القطر ورمل البرية فقال الملك ميخائيل مافى كلامك شك ولا ريب أبدا فقالت مليكه اعلم أيها الملك ان فى القلعة أربعة آلاف بطريق لاسيما هذا الكلب الزنديق صليبا الذى بان منه ما بان على التحقيق فقال لها ميخائيل وحق المسيح أن هؤلاء المسلمين لو أطلق منهم رجل واحد لكان مليا لقتال كل من فى القلعة فقالت إذا كان الأمر على ذلك الحال فاستوثق منهم بالإيمان والعهود وها أنا صاعدة وأدبر لكم فى الخلاص من ضيق الأقفاص ثم انها صعدت وهى فرحانة ورجع الملك والبطال الى الأمير عبد الوهاب وأخبره بتلك الأوصاف وقال له ميخائيل أريد أستوثق منكم بالإيمان الزكية أنكم تكونوا معى حتى أفتح مدينة القسطنطونية وتكفونى هم هذا الملك كوشانوش ولكم على كل عام المال الذى كنت أحمله للخليفة وفى هذه القلعة من الأموال مالا يحصى بمقال يكون لكم حلال فحلف الأمير عبدالوهاب على مايريد من الأسباب وكذلك أصحابه وقال له الأمير انى أريد أصافيك لعلى أجد فيك مالم أجده فيمن أفنيت عمرى فى خدمتهم (قال الراوى) وحين صعدت مليكه وصل صليبا ومعه سبع أحمر وكان قد رآه ودموعه تجرى ووبره كثير لأنه كان محموم لأن الأسد كل قليل يحم ولولا ذلك ما كان أحدا يقدر عليه فأكلت من لحمه ولم تفق وهو شىء يسير وأظهرت العافية من غير تنكير ثم طلبت البطريق الموكل بالمطمورة وقالت ماقولك فيمن يخليك صاحب هذه القلعة ويصير لك بذلك الشجاعة والسمعة وتنظر مايسرك ومايزيل همك وضرك وتصبر من قبل الملك ميخائيل وتصير بين قومك جليل (ياسادة) ولعبت بعقله بالمال فقال لها أنا بحكمك فى كل حال فقالت له انزل إلى الأسارى وفك قيودهم وأنزل لهم العدد حتى تبلغهم مقصودهم وتكمد عدوهم وحسدوهم (ياسادة ياكرام) وفى ذلك اليوم نزل عسكر الأميرة ذات الهمة على القلعة وأشهروا أسيوفهم وقاتلوا الناس والامراء لايعلمون إلا ان مليكة قالت للأمراء أنتم ضعاف من قلة

الماكول فاصبروا ثلاثة أيام وصارت ترسل لهم الدجاج المسمن والخرفان الرضع وذلك كله بين أيديهم تيضع وهم فى أرغد عيش وأجل رفعة وسمع الامير عبدالوهاب ان القلعة محاصرة فسأل عن ذلك فقالوا له ماندرى من هم ولكن هاهنا موضع فى القلعة ينفذ إلى الجبل فان كان فيكم من يخرج ويكشف الخبر ويقفو الاثر فافعلوا ولا تخافوا من أحد من البشر فانهم أما أصحاب الملك ميخائيل أو أصحابكم الابطال البهاليل الليوث الافاضيل قال فخرج البطال وغلامه لؤلؤ الفريد المفضال كما ذكرنا فى هذه الاقوال وترجلت الاميرة ذات الهمة وسارت مع البطال ولؤلؤ إلى الخرق وساروا تحت الارض ساعة طويلة ثم وصلوا إلى أزج معقود ولكنه مرتفع ودخلوا منه إلى الموضع الذى فيه الامراء ولما نظرت الاميرة إلى ولدها أرمت روحها عليه فلما نظر اليها الامير عرفها وهى مثل الخلال فجعل يقبلها ويبكى وسألها عن حالها فأخبرته بمرضها وسالتهم عن أحوالهم وقالت أيها الامير إنى ما أرى عليكم أثر الاسر وأراكم مطلوقين والعدد لابسين فأعاد عليها القصة وحدثها بما جرى لهم فسجدت شكرا لله تعالى فصعدت وصعد الامير عبد الوهاب وظالم وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز ومالك ابن طوق وسعيد ابن الفرج وهارون العلوى وورد بن الازهر ومالك بن بشر وراشد بن ضمرة وقشعم وضيغم وابراهيم أولاد الأمير عبد الوهاب وسائر الأمراء والملوك الستة عشر والملك ميخائيل والأمير أبو محمد البطال وغلمانه وغيرهم فلما صاروا فى أعلا الحصن نادوا الله أكبر فتح الله ونصروحيانا بالظفر ومعهم القاضى عقبة وشو مدرس الكشيحان وكان ميخائيل قد حلف للأمراء لايتعرضون لهم فى هذه النوبة ولما وقع التكبير فى الحصن انزعج باهله وصاح البطريق صليبا فى قومه وقال ويلكم كان المأسورين قد حلوا من قيودهم وصاح فى بطارقته وأمرهم بالقتال وجرى بينهم حرب شديد ما عليه من مزيد فبينما الناس قد امتزج بعضهم ببعض وقد امتلأ منهم الحصن طول وعرض إذا التقى ظالم بالبطريق صليبا فضربه بالسيف على عانقه أطلعه يلمع من علائقه ووقع صريعا وقتل سيف الحنيفية ثلاثة من أولاده والأمير عبد الوهاب وأبو الهزاهز وذات الهمة وسملق قد صرعوا البطارقة وقتل منهم أكثر من سبعمائة بطريق ونادى المنادى من وسط القلعة كرياليسون فأرموا سلاحهم والعدد وفتح باب الحصن ودخل المسلمون مثل السباع الضارية وقد بربرت السودان بلغاتها وزجرت بصفاتها وأظهرت ما كان من كل مكتوم من هؤلاء وقالوا للامراء نعطى الامان لمن كفر برب الأرض وسمواتها وضربوا الرقاب الكل سوى البطريق الموكل بالمطمورة فانهم وفوا

له كما انه وفى لهم واحتوى القوم على الاموال وملكوا القلعة وما فيها من المال وزوجت مليكة لميخائيل ودخل عليها من ليلته وكتب ميخائيل الى الافرنج الذى كان كوشانوش قد خرب ديارهم فأعلمهم بسلامته وان المسلمين معه وهو طالب القسطنطونية فاجتمعوا وساروا اليه فى عشرة آلاف بطريق وان الملوك كتبوا الى أقاليمهم واجتمعوا من عشرة وعشرين وانضافوا الكل اليه حتى صاروا فى مائة ألف وقال الأمير عبدالوهاب للاميرة ذات الهمة ماعندك من الرأى فقالت نسير الى بلد القسطنطونية واعلم أن فيها ألف يسير نساء وصبيان ورجال وغيرهم فنخلصهم فعند ذلك ادعى الامير عبد الوهاب ببنى كلاب والسودان والانجاب وقسم بينهم الاموال التى اخذها من القلعة وهى أموال جمه وبلغ الامير أن عمرو بن عبيد الله نهب أموالهم ورجالهم فعظم ذلك على الأمير وقال لقد أحسن الذى كان هذا فى غيبتى ولكن قد كفى نفسه ورجاله وأمواله وأولاده وعياله وقد سمعت انه فى القسطنطونية أسير ذليل حقير ثم ضم الأموال وقسمها عليهم وكان أقل من ملك منهم ثلاثة آلاف دينار ذهب وسار الأمير عبدالوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب ومعه الملك ميخائيل الى جانبه وهو يقول له على وجه الملاعبة أيها الامير أعلم انك قد فعلت مع الخلفاء مافعلت وماعوت لك ذلك وحق المسيح والإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل لئن أردت المقام عندى وأنت على دينك لاعطيك عمورية الكبرى وأضيف اليها ألف قرية اقطاعا لك فقال الأمير أن دخلت على الشرط الذى أقول فأنا أفعل ذلك وأكون مجاورك ومن طلبك مانعت عنك بسيفى فقال ميخائيل وحق المسيح لو قلت لى أخرج من ملكك لخرجت وسلمته اليك فقال الأمير ماأريد إلا أن تدعنى فى هذه النوبة أصلب هذا الملعون عقبة (ياسادة) وكان هذا عقبة الى جانب الملك وهو يمدح عبد الوهاب ويقول ما فى الزمان مثل هذا الأمير لأنه فارس الزمان وانه لما سمع ذلك أقبل يضاحك الأمير ويقول له دع عنك هذه المحون الساعة فما المزاح فى مثل هذا الوقت طيب وان كان هذا فى قلبك فيكون فى غير هذا الطريق لأنك قد حلفت وحلف كل أمير معك وجرى الصلح انك لاتتعرض لنا بشى فى هذه المرة هذا والأمير ظالم فى قلبه النار من عقبة وهو معول على قتله اذا فتحوا القسطنطونية وقال يجرى ما يجرى يا سادة وصار القوم طالبين مدينة القسطنطونية حتى وصلوا اليها وطلب الملك ميخائيل القاضى عقبة حتى يستشيره ففتشوا عليه فلم يجدوه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وذلك لما سمع من كلام الأمير عبدالوهاب قال هذا الاسود الحجام مالذوت عليه سبيل وما هذا الا شيطان من الشياطين وأخاف ربما فتح القسطنطونية لأنه مافيها من يحامى

عنها ولا يريدون أهلها إلا الملك ميخائيل وخاف أن يجد لهم رأى ويصلبونى ومالى موتى مثل مايرانى نلت منهم مرادى ولا شفيت غليل فؤادى فلما أمسى المساء ودخل الليل هرب وسار طالب عسكر كوشانوش وأينما كان من الأرض يقصده ولم يزل سائر الى أن التقى بعساكر كوشانوش راجعين على ملطية (قال الراوى) وكان الملك كوشانوش لما سمع بهذا الخبر وهو على أرض البصرة لم يفزع ولم يخرج ولم يدخله من ذلك هلع بل قال لاصحابه فرطنا فى أمرنا وما طرأ علينا هذا الا بترك الاسارى فى القلعة ولو كنت ضربت رقابهم لكنت على أمان منهم والآن أنا فعلت هـــذه الفعال وأن رحلت على استعجال لا آمن من عسكر المسلمين أن تتبع آثارنا والامصار أمصارهم وأنا قصدى أن أمضى إلى بلد الروم ولو كانوا فى عدد التراب أو النجوم طحنتهم ورجعت إلى هذه الديار وأخرب الامصار ولكن برحل خلفنا رحلة بعد رحلة وننهب البلاد ونهتك العباد فقالوا له الذى تراه أيها الملك هو الصواب فرحل عند ذلك إلى خلفه ونهب وقد أجفل الناس بين يديه واحترز أهل بغداد لنفوسهم وقد هربت السيدة زبيدة بجوارها وأولادها طالبة بلاد العجم وأن عسكر كوشانوش نهبوا القرى والرساتيق والعالم تجفل بين يديه وهو لايمر ببلد الانهبه فما وصل إلى ملطية إلا ومعه مائة ألف أسير ومن الأموال مالا يقع عليه إحصاء (قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد دخل إلى ملطية وعقبة قد دخل عليه فى صورة رجل راهب حتى لايعرفه المأسورين من أرض العراق وقد صبغ لحيته خضراء كأنها لحية فرعون وكان ذلك اليوم يوم الأحد وقد بطل الملك كوشانوش المسير فى ذلك اليوم (قاقا الراوى) ياسادة ياكرام وكان هذا رسمه فى كل يوم أحد تجمع إليه الرهبان والقسوس ويتناصرون بين يديه وكل من فيه آية يقولها وحكمة ينعيها أو معرفة ينشرها وكان كوشانوش فى جمع الأشياء ماهر وإذا رأى رجلا خبيراً عالماً بأبواب العلم قربه وأدناه وأوصله وحياه ولما دخل القاضى عقبة فى تلك الصورة لم يعرفه أنه هو الذى أسره ولا عرفه أحدا وعليه ثوب صوف أخضر واسع الأكمام وقد انحنى حتى يقول القائل أنه قد فنى من طول الأيام والشهور والأعوام فلما دخل عليهم تعجبوا إلى كبر سنه وضعفه ووثب من الملوك والقساقسه والرهبان والشمامسه والمطارنه والأساقفة وأكرموه لأجل غربته والثانى لأجل كبره لأن الكبير قد وصى بالرأفة فى سائر الأمم وان عقبة لما جلس (ياسادة) فى أعلا مكان وأرفع موضع مد يده إلى كوشانوش ومسحها على رأسه وقال مرحبا بسيف المسيح فأعجب الملك ذلك وقال له يا أبونا ممن طريقك فقال يابنى من القمامة وأنا راهبها

ومدبرها اليوم من تسعين سنة على طول الأيام والشهور والأعوام وما خرجت منها قط إلا فى هذه النوبة لأن المسيح أمرنى بذلك وقال لى أدلك على عبادة أعظم مما أنت فيها فقلت وما هى يامولاى قال الجهاد بين يدى الملك كوشانوش فهو يكون ملك الأقطار وسائر الأمصار وأنه يجب علىّ نصره فامضى إليه وحذره من الملك ميخائل فانه قد ملك القلعة وخلص هو وسائر شياطين المسلمين والسبب فى ذلك أن الملكة مليكة خانت عهد المسيح وفعلت الفعل القبيح وقد وصلت القاهرة ذات الهمة ومعها خمسين ألف عنان ومعهم ميخائيل فى مائة ألف من أهل البلاد وقد ملكوا القسطنطونية فخذ حذرك منهم ولا تهمل أمرهم ولاتأمن شرهم فان أنت أخذتهم وقتلتهم فقد بلغت المراد وملكت البلاد وان لم تصل إلى ذلك فأنت عن قريب هالك فلما سمع كوشانوش ذلك تعجب وقال لكل شىء سبب ولولا هذه الملعونة لم يتم على هذا وكان أبوها معه فى العسكر فدعاه وأوقفه بين يديه وضرب رقبته وكان إذا غضب لايهدى غضبه حتى يرى الدماء تسيل بين يديه مثل النهر فدعا بالمأسورين وضرب منهم ألف رقبة وكلما قتل إنسان يقول عقبة وابردها على كبدى هذا الذى كنت أريد من زمان وحق المسيح لادبرن على هلاك ميخائيل وهذا الأسود الزنيم عبد الوهاب حتى يملك كوشانوش الأرض ذات الطول والعرض وأقبل كوشانوش على الرهبان وقال لهم تحدثوا معه فجعلوا يقولون سمعنا كذا ويفسروا الإنجيل فقال عقبة إذا كنتم مثل الدواب فلا تنطقوا فى مجالس الملوك ثم ابتدأ وجعل يقص عليهم كل ما قالوه ويفسر عليهم كل ما عملوه وجعل يقرأ الإنجيل بكل لسان ويفسره بكل لغة وأنهم لما سمعوا ذلك من كلامه وثبوا كلهم من جانبه وجلسوا بين يديه بعد ما أعتذروا إليه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وجعلوا الحكماء يتحدثون بفضل علومهم وما وصلوا إليه من غريب الحكمة فقال عقبة هذا الأمر سهل وجعل يصف الأشياء التى عملوها حتى كأنه هو صنعها وتلا عليهم كل حكمة قالوها وقال هذه ناقصة وزاد عليها كذا وكذا وذكر لهم من كتاب حكماء الزمان مالا يحسنون أن يسمعوه فاقروه له بالفضل عن بكرة أبيهم وعظم فى عين الملك كوشانوش فوثب له قائما وقال يا أبونا اعزرنى فما عرفت مكانك والا وحق عامود النور ان جلست إلا فى الدست وأنا دونك على كرسى ذهب فوثب عقبة وقال لقد حلفت بعامود عظيم وهو كريم وعقبة (ياسادة) يدرى أن أمه قد حبلها بعض الرهبان ولكن قصد يعظم قصته وقصة العامود عنده (ياسادة) وعند الروم حتى يتم له الناموس عليهم وصار عقبة عندهم فى منزلة ما نالها أحد من البشر فلما مضى يوم الأحد رحل كوشانوش فقال له عقبة أنت معك من

الأسارى عالم عظيم فلا ترحل إلا على سفك دم ولا تنزل إلا على صفة ذلك هذا وقد كثر صياح المأسورين وجعلوا يدعون على عقبة ويقولون مازلنا في عافية ونرجو الحياة حتى وصل الينا هذا الراهب الملعون فعمت علينا المصائب وجعلوا ينادون واسلاماه وادين محمداه وكلما زادوا في ذلك زاد عقبة في القول والتحريض عليهم (قال الراوى) وسار كوشانوش يقطع المنازل ويدق الحصا والجنادل ليل ونهار وغدوا وأبكار لايقر له قرار ولا يستطيب المنازل والديار بل سائر يجد في سيره حتى وصل الى قرب القسطنطونية بعد احدى وعشرين يوما (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأماما كان) من الملك ميخائيل والأمير عبد الوهاب وجماعة الأصحاب فانهم لما وصلوا الى باب القسطنطونية نزلوا ونظر اليهم اخلاطون الذى كان فيها من قبل كوشانوش وكان عنده عالم عظيم من القسطنطونية ومن المغلبيط فخرج الى لقاء ميخائيل ومعه عسكر ودساكر وكان رجل خبير بالحرب وخدائعها ولم يصبر دون أن حمل على عسكر الأمير عبد الوهاب وعسكر ميخائيل وطلب بذلك أن تكون له الهيبة عليهم فوقع فى نكبة ما لها دواء لأنه كان فى ضميره أنه يكون هو الظافر بهم وكان يقول ما فى الأرض من يقوم بمقام الحرب قدامه الا الملك كوشانوش فانه يقوم بى ولا أقوم به (قال الراوى) وعملت السيوف وطارت القحوف وجدعت الأنوف وشربوا شراب الحتوف وكان يوم مخوف ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى أن صارت الشمس فى قبة السماء وكان وكان الزمان زمان الحر الشديد فلما انفصل الجمعان خرج فارس من وسط المغلبيط على جواد أشهب ديال الذنب واسع الصدر قصير الظهر ثم حمل على الناس ونادى يامعاشر الأبطال من الروم والمسلمين أنا أفلاطون مقدم على هذا العسكر والقسطنطونيه وما بينكم وبين أخذ البلد الا قتلى فهل من مبارز فانى أحب يوم الهزاهز فخرج اليه من الروم فارس فجعل يقتل ويأسر حتى أخذ ستة عشر فارس وخرج اليه من بنى كلاب أربعة فعند ذلك أرادت الخروج الأميرة ذات الهمة على ما بها من المرض فلم يمكنوها من ذلك سادات بنى كلاب وإذا بالأمير عبد الوهاب هم بالخروج فتعلق به الأمـــير ظالم وقال هذا أول جهادى فى طاعة الله فهو سبب فتح هذه البلد ولولا انه واثق بنفسه لما خرج الينا (قال الراوى) ياساده ياكرام فحمل الأمير ظالم وهو يقول

ستعلم يا كلب عقور بأننى * صبور على دفع العدا بالقواضب
وتعلم من منا يكون مجندلا * اذا حكمت فينا سيوف المضارب

أنا ظالم المعروف فى الحرب واللقا * اذا صهلت أفراسها والجنايب
أقاتل عن دين النبي محمد * وخير الورق مابين ماش وراكب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا وتجاوبا وتماحكا وتعاركا واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة ظالم فوقعت فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره فوقع قتيلا وعلى الأرض جديلا وصاحوا المسلمين وحملوا على عسكره فما كانت الا ساعة حتى قتل منهم عشرة آلاف بطريق وصاحوا أهل البلد من داخلها ميخائيل يامنصور ودخل الأمير عبد الوهاب وكل من معه من الأصحاب فوجدوا فى القصر أموالا عظيمة وهى التى أخذها كوشانوش من ملطية ومن سائر البلاد والمواضع والجهات ووجد الأمير عبد الوهاب الاسارى فيها بعدد التراب من بنى سليم وبنى كلاب فجعلوا ينادون وا أميراه وا سيداه فبكى الأمير وقال قد فرج الله عنكم ونظر الى بنى سليم فى الحبال والقيود فلم يقبل عليهم فجعلوا يدعــون له ويعترفون بالذنب وهو لا يلتفت اليهم حتى مر بالأمير عمرو بن عبيد الله فقال ياعمرو ومثلك تكون الجيران والأصحاب فعندها قام الأمير عمرو بن عبيد الله بين يديه وبكى وقامت أمه تنشد وتقول

ألا أيها المولى الذى طاب أصله * ونال العلا فى شرقها والمغارب
علوت على كل الأنام كمثل ما * علت شمسا من فوق مالى الكواكب
ألا جد بعفو منك ياسيد المنا * ويامعدن الأبطال ياابن الاطايب
وان كان عمرو قد أسافى فعاله * فأنت الذى ترجى لدفع النوائب
فارعى عبيد الله من أجل دينه * وأفعاله فى عاليات المراتب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فبكا الأمير عبد الوهاب وقال ماأدرى إلى متى يكون هذا الجفاء ولكن مالقيت فى هذا الاخير وأطلق الاسارى من بنى سليم وهم أربعين ألف من سائر البلاد وصار الأمير عبد الوهاب فى عالم عظيم وأقام كذلك عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادى عشر وإذا بالغبار قد علا من سائر الأقطار واظلم منه النهار وتزلزلت منه الأرض والديار ونفرت الوحوش من القفار وتزايد الغبار حتى عميت منه الأبصار واقبلت جيوش الكفار كأنها أمواج البحار فعلم الأمير عبد الوهاب أن الملك كوشانوش قد وصل إلى أهبة القتال وكان الأمير أبو محمد قد أرسل غلامه أبو الليل يأتى له بالأخبار فرجع ومعه أحمد الشمشاطى فقال خبرك يامولاى أنه قد وصل إلى الملك كوشانوش وراهب بيت المقدس وهو أعلم أهل زمانه واحكمهم غلب كل قس عنده وراهب واشار على الملك أن لا يرحل إلا على قتل مائة أسير فهو يفعل ذلك فى كل مرحلة وقد قتل أمم كثيرة والناس ينادون وا اسلاماه وادين محمداه

فبكى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وقال لعن الله هؤلاء الرهبان فوالله ما نعرف لأى وجه يأمرون بسفك الدماء فقال البطال اعلم أيها الاميران قلبي يحدثنى أن هذا الراهب ماهو راهب بيت المقدس وما هو إلا عقبة وقد دخل على كوشانوش بهذه الحيلة حتى ينال مايريده والآن فقد طاب أخذه من منامه وأنا أمضى وغلمانى معى وأوريك كيف آخذه من قبل أن يفتح لكوشانوش ألف باب من الحيل فقال الأمير عبد الوهاب اعلم ياأبو محمد أن هذا كوشانوش كما سمعت عنه ورأيت وأنا خائف عليك منه ومن عساكره أن يعرفك أحدا منهم فقال البطال معلوم انى ماأرمى عينى فى عين عقبة ولكنى اختلط بالقوم فان قدرت على خلاص الأسارى فعلت ذلك وإن لم أقدر فأنا أعلمكم ما تصنعون (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولبس البطال ثياب البطارقة البنجاك وكذلك غلمانه معه حتى دخلوا عسكر الملك كوشانوش ونظر إلى سائر الطوائف من الروم يمدحون كوشانوش وكرمه وحسن أفعاله وقالوا مانريد ميخائيل ولا أحدا من الملوك ولا نريد إلا هذا الفارس وهو علا نجمه أنه يملك الأرض ذات الطول والعرض وبعد ذلك فان الراهب مقلاطون راهب بيت المقدس قد جاء اليه برسالة من عند السيد المسيح أنه يكون ملك الدنيا وما بقى إلا خدمته والدخول تحت طاعته (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان كوشانوش قد أخذ فى هذه النوبة من الأموال والرجال من العرق وغيرها مالا تحمله الجمال ولا تقله البغال وقد قال لسائر الطوائف وحق المسيح لارجعت إلى بلد الروم ومعى من هذه الأموال درهم واخذ ثم أنه فرقها عليهم فاستغنوا الجميع واتفقوا على محبته وطابت قلوبهم لخدمته وكانوا مشفقين على مملكته فما بقى بينه وبين القسطنطونية غير أربع فراسخ نزل على مرج القضاء وسار الملك كوشانوش عن القسطنطونية فقيل انها قد فتحت وقتل كل من فيها من البطارقة والمقدم عليهم وقد صار الملك ميخائيل فى دار عزه كما كان على غاية السرور فعظم ذلك عليه وكبر لديه فقال له الروم هذا لانبالى به أيها الملك فهذا وحق المسيح أو أن هلاكهم ونحن نضرب بالسيوف بين يديك فى وجوه الحبايب والقرايب فقال الملك كوشانوش وحق المسيح مابى إلا هذا الأمر لأنى طيب القلب أن ألقى كل من فى القسطنطونية من أهل النصرانية والحنيفية وأن مابى انهم قطعونى عن طريقى بعد ما كنت فتحت بلاد الاسلام وفتحت مواضع مواضع ما يفتحها أحد من الانام وما بقى إلا أخذ الخليفة من البصرة وقد أخذت الدنيا فى كره فقال عقبة وقد سمع كلامه أيها الملك أن فى القسطنطونية رجال ماهم كالرجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما وقد تركوا الدنيا وراء ظهورهم وأقبلوا على الآخرة بوجوههم

وقد هان عليهم الموت واستعذبوه وما فيهم إلا من يقول أنه مايرى أن يبرز لك فانظر لنفسك قبل أن يغلب الأمر عليك (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع كوشانوش كلامه ضحك ضحكاً عاليا وقال ياأبونا أنت معزور لأنك ماتعرفنى فقال أما أنا فانى عارف بك ولكن اسأل عنهم من غيرى وحلفهم بالمسيح والانجيل انهم يصدقوك عند ذلك حدثوه الروم بأخبارهم وفعالهم فعظموا الأمراء فى عين كوشانوش وقال أيها الشيخ الراهب دبر لنا مايكون فيه الصلاح وباب النجاح لعل المسيح يعقبنا برأيك الفلاح فقال عقبة مافى الأمر إلا انهم إذا صاروا بقربك ووقعت العين على العين تكون قد دعوت اليك خمسة ملوك ومعهم خمسمائة ألف وترتبهم إذا اصطفت الصفوف وجردت السيوف وغولوا الناس على الصدام يضيحون ويقفزون إلى عند الملك ميخائيل وهم ينادون ميخائيل يامنصور وإذا حملوا عليك فاثبت لهم وإذا انفصلوا عنك وصاروا مع الملك ميخائيل وآمن اليهم هناك يطبقون عليه وعلى الأمراء فى خمسمائه ألف فارس وتحمل أنت وباقى العسكر فأنا أعلم أنك إذا فعلت هذا مايبقى منهم صغير ولا كبير وندمرهم تدمير فقال كوشانوش للشيخ النجيح أنت فما ابرك رأيك وأحلا كلامك ثم ادعا فى الحبال بملك المغلبيط وضم إليه أربع ملوك أخر فصاروا فى خمسمائة الف وأوصاهم بذلك فقالوا سمعا وطاعة وقد قال عقبه لكوشانوش هذا الأمر لايظهر منكم فى العسكر فما نأمن أن يكون فى عسكرك جاسوس فيعلم القوم بذلك فينفسد علينا ما دبرنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان هذا الأمر قبل قدوم أبو محمد البطال إلى عسكر كوشانوش هذا وعبد الوهاب قد جمع سائر الأمراء والملك ميخائيل معهم وقال لهم أن القوم قد نزلوا بالقرب منا والرأى أن ننزل إليهم ولو كانوا فى عدد النجوم وقطرات الغيوم فقال ميخائيل اعلم أيها الأمير أن هذا العسكر الذى معه عالم لايحصى عددهم ولايدرى مددهم والقسطنطونية بلد حصين ولولا ماعمل علنيا وسلمت من داخلها والا لواقام عليها عمره كله لما وصل إليها فقال الأمير عبد الوهاب وما هو الرأى عندكم فقال الرأى اننا نقيم خلف الأصوار ونقاتله وننظر فعاله ولينظر أيضا إلى رايات المسلمين وهى سود عباسية عليها مكتوب نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (قال الراوى) ياسادة باكرام فلما نظر كوشانوش انقلبت عيناه فى أم رأسه وخرج شعر بدنه من ثيابه (ياسادة) ونظر عقبة إلى ذلك فقال كوشانوش هذا هو قاتل الأسود الحجام ولعل المسيح يكون قد أقام هذا الملك لهلاك هؤلاء المسلمين الذين قد قطروا مرارتى وعملوا على هلاكى وتلاف مهجتى

هذا وقد ركب الملك كوشانوش وركب ألف ألف عن يمينه وألف ألف عن شماله ووقع التبع من خلف ظهره عند ذلك أظلم الضوء وعاد النهار كالدجا وصاحت الخلائق وحققت الحقائق وشابت من هول ذلك المفارق وصهلت الصافنات وتزلزلت الجنبات وهدرت السباع فى الغابات تروم افتراس السادات وتحسر الناس على ما فات وعملت المرهفات وخرقت الجيوب السمريات ولعبت والرماح بالأعلام والرايات وتقطعت قلوب الكماة هذا وقد ركب الأمير عمرو بن عبيد الله فى أربعين ألف من بنى سليم وجعلوا يلذون بركاب الأمير عبد الوهاب وهم كلهم إليه معتذرين وعلى ما فعلوا نادمين ومن الأمير خلجلين هذا وقد أشار كوشانوش إلى المواكب كلها بالحملة فحملت مثل الجراد المنتشر أو الثلج المنحدر وحمل الأمير عبد الوهاب فى سائر بنى كلاب وحمل بين يديه الأمير قراقد وأبو الهزاهز فى السودان الانجاب وحمل ظالم فى عبيده وحمل عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم ونادوا باسم الملك القدوس وكان يوما عبوس تطايرت فيه الرؤوس وخرجت من الأجساد النفوس ورفعوا أصواتهم الرهبان والقسوس هذا والناس بين ناكس ومنكوس وذبحت البطارقة ذبح التيوس وحميت على رؤوسهم الشموس هنالك صاحت الملوك الخمسة ونادت ميخائيل يامنصور وكانت هذه الملوك التى تقدم ذكرها (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأحدقوا بالملك ميخائيل وجعلوا يعتذرون إليه ويقبلون الأرض بين يديه فقال لهم ما هذا وقت الإعتذار وفرح الأمير عبد الوهاب بذلك وقال الحمد لله الذى خالف بين كلمتهم لأن هذا الشيطان كوشانوش فى عالم عظيم وان لم ينفصل جمعه وإلا تعبنا معه (ياسادة) فهو فى الكلام وقد مال إلى ميخائيل كى يهينيه فبينما هو كذلك وإذا بالخمس ملوك وأصحابهم قد صاحوا صيحة واحدة فكان الخضرا انطبقت على الغبرا وأطبقوا على الملك ميخائيل والأمير عبد الوهاب وعساكرهم وحمل كوشانوش معاونالهم وحصر الأمير عبد الوهاب الملك ميخائيل بين خمسمائة ألف واشتغل باقى الناس بما هم فيه وبقى الأمير يدافع عن نفسه هذا وان الأميرة صاحت بجوادها وقد عملت بالحال واحترقت الرجال وصناديد الأبطال ووراءها الأمير عبد الوهاب وكان منها بقدر رمية سهم فنظره الملك كوشانوش فانقض عليه انقضاض الباز وهاجمه مهاجمة البطل المغوار وصوب قنطاريته اليه فوقع السنان فى صدر إبراهيم مرق من ظهره (قال الراوى) ياسادة ياكرام وما كان للأمير عبد الوهاب ولد من علوى غيره وان الأميرة لما رأت ذلك صاحت صوتا أذهل الناس ونادت وأولداه واقتيلاه فظنت بنى كلاب أن الأمير عبد الوهاب قتل فانهزمت بنى كلاب طالبين القسطنطونية وأنهزمت الروم

من أصحاب الملك ميخائيل وقد قتل منهم عشرة آلاف وكل يومهم يوم طويل وقبض الأمير ظالم والأمير سيف الحنيفية وقشعم وضيغم وأبو المزاهز وقراقد وقرقود وسائر الأمراء والسودان عن بكرة أبيهم لأنهم وقفوا مع الأميرة ذات الهمة ولم ينهزموا هذا وقد التحم القتال بين كوشانوش والأمير عبد الوهاب ما عنده من قتل ولده إبراهيم من خبر غير أنه صاح يا آل حام يا آل حام يا أولاد الكرام جاهدوا فى دين الملك العلام حتى تجاوروا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فعند ذلك بربرت السودان وصاحت الحبشان وحمل الأمير عبد الوهاب والأمير ظالم وسيف الحنيفية ففرقوهم شرقا وغربا وبعداً وقربا بعد أن قتلوا منهم خلق كثير وخلصوا الملك ميخائيل فلما امن على نفسه ترجل وباس الركاب فى رجل الأمير عبد الوهاب فقال له الأمير عبد الوهاب وولده ظالم وذمة العرب لابد لنا ما نكافئك بالجميل ونردك إلى سرير ملكك هذا وان القاضى عقبة لما رأى ذلك جعل يصيح بالرومى وينادى بكل لسان ويحرض الملوك على القتال ويقول ويلكم اعلموا أن الملك ميخائيل قد أسلم فلا تبقوا عليه ولا على أصحابه ولا على المسلمين وكانت الروم (ياسادة) كلما سمعوا كلامه يزدادوا تحريضا على القتال (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان البطال يراقبه وقد شك فيه ثم قال هذا والله عقبة ولولا انى أعلم ان مايتكلم بهذا غيره لما عرفته وقال لغلمانه ويلكم اهجموا بنا عليه فى وسط المعمعة وقطعوه بالخناجر فهذا وقت الاغتنام فقصدوه فبينما هم كذلك وإذا بصياح يصيح فتبينوه وإذا به الملك كوشانوش وقد أخذ الأميرة ذات الهمة أسيرة (قال الراوى) ياسادة يا كرام وذلك انها كانت من أثر المرض الذى كان بها وانفجعت لقتل إبراهيم وانهد قواها وانها أرمت اليه روحها لحذفها كوشانوش بعامود حديد كان فى يده كثير الحلق فخرج كأنه حجر منجنيق فلولا البعد لكان قضى عليها فوقع بين أكتافها على غفلة منها فوقعت إلى الأرض بنفسها فأخذها أسيرة أسرع من البرق فلما نظر عقبة إلى ذلك قال أحسنت يا شجاع زمانه وفريد عصره وأوانه هذه والله الغولة الشمطاء والحية الرقطاء وحق المسيح مالك نظير فى الأرض بعد ما أخذت هذه العاهرة التى قد قطعت الأكباد وخربت البلاد ولولاها لكان دين النصرانية قد علا وزاد وسمع الأمير عبد الوهاب بالخبر فحمل وحمل من بعده ظالم وسيف الحنيفية وبردين الأزهر وهارون العلوى وكشفت السودان الرؤوس وبان منهم كل بطل هموس هذا وقد ترادفت الأبطال وتراجعت أبطال بنى كلاب كأنهم الذئاب ووراءها بنى سليم كأنها أسود الغاب وحملوا وقام الحرب على ساق وقد عملت السيوف الرقاق وأحدقوا السودان بالملك كوشانوش كأنهم زبر الحديد أو حجارة الجلاميد وكان

قصدهم خلاص الأميرة ذات الهمة وهو يحمل عليهم تارة وهم يحملون عليه تارة فبينما هم كذلك وإذا بالأمير ظالم قد أقبل وإلى كوشانوش قد وصل وأطبق عليهم وحمل وكذلك كوشانوش حمل عليه والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان له رن والأمير ظالم استقبله وهو ينشد ويقول .

ألا قل لكوشانوش سوف تنوشه سباع الفيافى دائرات السباسب
ويبقى طريحا فى الفلاة مجندلا يحوم عليه الطير من كل جانب
ويعلم هذا الجمع من هو خاسر إذا اختلفت أسيافنا بالمضارب
إذا كنت كوشانوش فى الحرب اننى هروس لابطال الوغا فى الغياهب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انهما تطاعنا طعنا تعجز عنه الابطال الصناديد وأيقن الجميع لظالم أو لكوشانوش بهلاكه فعند ذلك صاحت العبيد وحملوا عليهما ففرقوا بينهما فكانت ساعة لايدرك مثلها (ياسادة) هذا وكوشانوش قد صاح بالبطارقة ليأخذوا منه الاميرة ذات الهمة فاول من سبق وبادر إلى أخذها كان أبو محمد البطال وغلمانه وهو يظن انهم من بعض الاصحاب والتحم القتال إلى أن مضى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه ونادوا بالانفصال عن القتال وقد وقع التلاف بالرجال واسودت الآفاق بظلامها ورجع عبد الوهاب ولم يدخل البلد وضربت مضاربه ومضارب ميخائيل ملك الروم إلى ظاهرها (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا والملك ميخائيل قد أخذ بيد عبد الوهاب واقعده معه على السرير وقال له أيها الامير ماكنا اليوم إلا رابحين لو سلمنا من فقد الاميرة ذات الهمة (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا كله وما عند الامير خبر من قتل ولده إبراهيم وظالم يقول أيها الامير ما أظن أحدا فى الناس مثل قوة هذا الكلب كوشانوش ولقد رأيت اليوم منه مالم أره من أحد (ياسادة) فهم فى الكلام وإذا بالامير أبو محمد قد دخل عليهم ومعه الاميرة ذات الهمة وقد سكن مابها وهى تمشى على مهل من الالم الذى لحقها فلما رآها الامير وثب اليها قائما واعتنقها وحمد الله تعالى على سلامتها وقام لها أيضا الملك ميخائيل وكل من كان فى السرادقات من روم واسلام وقال لها الأمير ياأماه كيف حالك جعلت فداك وما كان لكى أن تلقى نفسك فى مقام الحرب وأنت مريضة ومتوعكة من آثار المرض فقالت والله (ياسادة) ماأخذنى الملعون مواجهة وإنما نظرت إلى الأمير إبراهيم وقد طعنه الملعون فى صدره أخرج السنان من ظهره فغاب عنى رشدى وخاننى جلدى ونزلت اليه حتى أرفعه من تحت أرجل الخيل لعل يكون فيه روح فضربنى الملعون بعامود على غفلة منى وسوف أوريه غب هذه الغفلة فى غداة غد إن شا الله

تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب بقتل ولده إبراهيم صرخ صرخة عظيمة كاد أن يقضى عليه ونظر إلى أولاده وهم قيام فى خدمته فلم يراه بينهم فقام وقعد وغاب عقله وقلق قلقا عظيما وبكى بكاء شديدا وقال واحسرتاه على المجاهدين فى سبيل الله ثم قال خذوا المشاعل وطوفوا المعمعة لعل تلقوه ففعلوا ذلك وصاروا يقلبون القتلى وهم لا يعرفوهم من وطىء الخيل فبينما الأمير أبو محمد يطوف بين القتلا إذ سمع أنين ضعيف فتأمله واذا به الامير ابراهيم وهو فى نزاع الموت فبكا البطال وحمله إلى عند أباه وهو مخضب بدماه فلما نظر اليه علم انه هالك فضاقت عليه المسالك وبكا عليه بكاء شديد ثم انشد يقول

رياح الصبا بالله بالله باغى * الى أرض علوى عظم ماقدرزانيا
لجعت فى إبراهيم فى موقت الوغا * وقد كان إبراهيم بيننا محاميا
الا ياحمام الايك خبر لامه * وقولا لها صبرا على ما دهانيا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم صار الأمير يقبل وجهه ويمسح عوارضه ويقول وددت من الله تعالى لو كلمنى كلمة واحدة فلما تهور الليل فتح عينيه فقبله الأمير وبكى وقال له يابنى هذا الوداع متى الأجتماع هذا الفراق متى التلاق (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولقد حدثنى ثابت بن الفضل بن حازم بن كامل ابن يوسف بن المثنى بن الفرج بن مالك عن أبيه مالك بن بشر الكلابى الاقطع قال كنت حاضر ثلث الليل والأمير عبد الوهاب يقول له يا ابراهيم هذا الوداع متى الاجتماع هذا الفراق متى التلاق وإذا بابراهيم قد فتح عينه وقال ياأبتاه أما التلاق فبين يدى الملك الخلاق وأما الاجتماع فى دار مافيها انقطاع وهو مقعد صدق عند مليك مقتدر ثم قال ياأبتاه بلغ سلامى الى والدتى وأخضب توبى بدمى واحمله إلى علوى فالله يصبرها على هذا البلاء ثم تشهد بعد ذلك وقضى نحبه ولحق بربه فضجت الناس بالبكاء والنحيب هذا والأمير عبد الوهاب (ياسادة) يبكى وينتحب ثم انه رثاه وأنشد يقول

الى الله أشكو ثقل ماقدأصابنى * فقد خاننى صبرى وقد حرت فى أمرى
لفقد حبيب كان بيننا كالبدر * يزيد وبيت الله حسنا على البدر
فاضحى جديلا فى التراب معفرا * قتيلا بحد السيف فى بلد الكفر
ولو علمت علوى بما قد أصابها * لكان لها دمع على خدها يجرى
وحق النبى الهادى الشفيع محمد * نبى الهادى والعالم الطاهر الطهر
لانتقمن اليوم أو بعده غدا * من القاتل الملعون فى مجمع القفر

وأقطع أعناق الرجال بصارمى ٭ وآخذ نار السيد العالى الذكر
وما مات من أضحى قتيلا معفرا ٭ بطاعة رب الخلق فى البر والبحر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وحزن الأمير على ولده ابراهيم حزنا عظيما وعول ان يصبر ابراهيم ويلفه فى ثيابه ويحمله الى آمد نحو أمه وبات الناس طول ليلتهم يبكون على الأمير ابراهيم هذا والأميرة ذات الهمة دموعها لا ترقأ الى ان برق ضياء الفجر وصلى القوم صلاة الصبح (ياسادة) هذا وقد دقت النواقيس وقس كل قيس ذات اليمين وذات الشمال وصاح كل راهب ومطران ورفعت الصلبان وكفروا بالرحمن وطلع الغبار الى العنان وركب أهل الايمان فى مقابلة أهل الطغيان (ياسادة) هذا وان عقبة كان تلك الليلة قد علم بموت ابراهيم فورد على قلبه مسرة عظيمة ومما أصابه من الفرح أحضر تلك الليلة المغانى والدفوف والشبان والزمور وامتلأ المكان من شرب الخمور وقام ورقص وقال وقال هذا واحد من الجماعة قد اشتفيت منه وبات على ما هو عليه فلما أصبح الصباح أضاء بنوره ولاح أقبل على كوشانوش وقال له يامولاى لقد فعلت الفعل المليح وأرضيت السيد المسيح بقتل ابراهيم بن الأسود الزنيم وبأسر ذات الهمة لولا انك سلمتها الى من لا تعرفه ولولا ذلك كانت هلكت فقال كوشانوش يا أبونا أنا سلمتها الى بطريق أشقر ومعه ثلاثة من حوله كانهم أولاده فقال عقبة هذه وحق المسيح صفة أبومحمد البطال العيار المحتال ومعدن المكر والخداع وغلمانه الأنذال (قال الراوى) ياسادة يا كرام واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وقد ركب أيضا الملك ميخائيل وعلى قلبه من الهم والغم غير قليل من أجل الأمير عبد الوهاب هذا وقد صاح الصائح فى الفريقين فحملوا على بعضهم بعض وعمل الصارم اليمانى فى أعناق الرجال وطاب الطعان وملت الخيل من الجولان وأبيض من الهول الخافقان ولم تزل الحرب دائمة والطيور حائمة والقيامة قائمة والخصوم متلازمة وقطعت من الخيول القوائم وفنيت العوالم وطار القمم وشابت اللمم ولقطت الطيور العيون من المحاجر وعملت البواتر وتفطرت المرائر ودارت الدوائر وشابت الذوائب وحكمت البوارق وانجلت العواتق وطارت السواعد وبان فعل البطل الماجد وامتلأت البطح لما قد وقع عليها من الاشباح ولم يبق فى أكف الرجال غير مقابض الصفاح وأعقاب الرماح ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالإعتكار ونادى المنادى بالانفصال إلى اليوم الثانى وأما السودان فانها عادت وهى كأنها خيول قد قطعت الشكال وهى تتراقص كانها الاسود فى الدحال هذا وقد

أضرمت النيران وتحارسوا الفريقان وكان الأمير عبد الوهاب لا يجد الصبر من فقد ابراهيم فلما زادت بحار الأحزان على قلبه أنشد وقال

يا عاذلى دعنى واترك العذلا وابكى على من فى فيافى الحرب مجندلا
ياقرة العين عندى والحبيب لما والعين أعظم شىء يطرق الرجلا
هذا الفراق متى يرجى دنوهم إلى القيامة والإنسان قد ذهلا
ياقرة العين عندى والحبيب لما لله ذلك لى من فارس بطلا
لهنى على ولد كانت خلائقه دين ومعرفة ما أن له مثلا
ياريح الا ماحملنى نحوهم خبرا عن الهلال الذى فى الأرض قد أفلا
ياعازلى دعنى من ملامك لى فليس لى مهجة تقوى على العذلا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فما سمع أحد شعر الأمير عبد الوهاب إلا وبكى فلما جن الليل قام للصلاة وتلاوة القرآن ولم يزل كذلك الى أن أصبح الصباح هذا والبطال قد مضى إلى عسكر كوشانوش من أول الليل فوجد عقبة وهو فى ذلك اللهو والطرب والدفوف والمغانى وقد أقام على باب سرادقه خمسمائة بطريق بالسيوف المجذبة والدرق المكوكبة لأنه كان شديد الحذر لأن الملك كوشانوش قد جعل أمور العسكر وتدبيرها اليه وقد تولى الحرس بالبطارقة فلم يجد البطال حيلة يصل بها إلى مايريد لأن عقبة ساعة فى الحرس وساعة فى مضربه ليتم له الفرح والسرور وحواليه البطارقة وأولاد العمالقة (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأصبح الصباح كما ذكرنا فى اليوم الثالث وركبت الحبشان فقال الأمير عبد الوهاب أننى ما أبلغ مرادى من كثرة العدد وما فى الأمر إلا أننى أخرج بين الصفين وأطلب البراز (قال الراوى) فهو معول على ذلك وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم يفتح باب الحرب على سبيل المبارزة وكان كوشانوش قد أمره بذلك لأنه قال لعقبة أعلم أن هذا الامر يطول ويفوت المأمول وكيف هؤلاء المسلمين يقاتلون مع الملك ميخائيل فقال عقبة اعلم أيها الملك أن المسلمين مايقويهم على القتال إلا ثلاثة عبد الوهاب وظالم وذات الهمة فلو عدموا هؤلاء الثلاثة هدموا العسكر ويبقى ثلاثة أخر قشعم وضيغم وسيف الحنيفية فما كانت بنى كلاب تقيم بعدهم يوم واحد وكنت تملك البلاد وتهلك العباد فقال كوشانوش فما فى الامر إلا أننى أرمى روحى على البراز ولى خرجوا إلى كلهم فى مرة واحدة لقتلتهم الجميع فقال عقبة لاتبارزهم إلا واحد لواحد ولو عليك نذر إنك متى أخذت أسود بنى كلا وهو عبد الوهاب تسلمه إلى فقال سمعا وطاعة ثم أن كوشانوش أمر ذلك الفارس بالخروج يطلب القتال ويروم النزال خرج إليه قشعم كأنه الربان

وأطبق عليه الحصاد ومد إليه السنان وتذكر أخيه إبراهيم فبكى بكاء شديد وأنشد

إلا من لى بقربك يا اخيا ... ومن لى أن أبنك ما لديا
لطوعك خطب دهر بعد نشر ... كذلك خطبه نشرا وطيا
وكانت فى حياتك لى عظات ... وانت اليوم اوعظ منك حيا
قتيلا فى بلاد الروم ملقا ... كسانا حليه حزنا وعيا
بكيتك يا أخى بدموع عينى ... فلم يغنى عليك البكاء شيا
سئمت من الحياة لفقد انسى ... واخطأ العالمين إذا لديا
ولا رضيت عن الأيام دهرى ... بما صنعت بما جارت عليا
سآخذ تاره جهدى سريعا ... ولا أبغى الحياة بها اليا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأطبق قشعم على الفارس وما أطال بينهما القتال حتى اختلف بينهما طعنتان وكان السابق بالطعنة قشعم فوقعت فى صدر الرومى خرجت من ظهره وطلب قشعم البراز فخرج إليه ثانى فقتله وثالث جندله ورابع أعدمه وخامس أراده وسادس أفناه وسابع طرحه إلى الفلاه وثامن وتاسع فماأبقاه ولم يزل يقتل واحد بعد واحد حتى قتل سبعة عشر بطريق من كل بطل عميق فقال الملك كوشانوش وقد نظر إلى الروم وقد عجزت عن مبارزته فقال من هو هذا الفارس الذىقد نكل بالاقيال وجزعت منه الأبطال ولاشك أنه أمير من أمراء المسلمين فارس من فرسان الموحدين أو الفارس المنسوب عبد الوهاب وفارس بنى كلاب فقال عقبة يامولاى هذا ولده قشعم أخو الفارس الذى قتلته بالأمس إلا أن هذا أفرس منه فلما سمع ذلك غضب وقال من يبرز إليه فما هو من أبرز إليه بروحى مخافة البطارقة من شره وجعل الملك كوشانوش يقول لواحد بعد واحد أبرز إليه فان برز إليه طائعا أو كارها لأن كل من أمتنع أرماه فى النار المضرمة الذى تقدم ذكرها فجعل يخرج إليه فارس بعد فارس من خيار البطارقة المذكورين والأبطال المشهورين حتى كملوا خمسة وأربعين فارس وعاد الأمير قشعم إلى أبيه وقد أمسى المساء ففرح به وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وبكى لفقد أخيه إبراهيم فقالوا أيها الأمير لك من الأولاد ما يسليك عنه فقال لاتقولون هذا فان ما من ولد الاوله منزلة فى قلبى وأصبح الناس فى اليوم الرابع فخرج سيف الحنيفية وكان الأمير ظالم معول على ذلك فمنعه سيف الحنيفية من ذلك وقبل رأسه وأقسم عليه بذمة العرب لاتفعل وخرج إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فلما صار فى الميدان أطلق عنان الحصان وأسيل دمعه وأبدى لوعته على فقد أخيه

إبراهيم وأنشد وقال

ياعين جودى بالدموع السواكب على السيد المقتول وابن الاطايب
وجودى على إبراهيم الدمع دافقا فقد كان موصوفا بكل العجائب
ولولاه ما كانت بقلبى حرارة على أحد من موبقات النوائب
سآخذ له بالثار من كل غاشم وأتركهم صرعا فوق الترائب

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم حمل على القوم من قبل أن يطلب منهم مبارزة فقتل من الميمنة ثلاثة وحمل على الميسرة قتل ثلاثة وحمل على القلب قتل فارسين كانا عن يمين الملك كوشانوش وكانا أعز الناس عليه وأحظاهم لديه وعاد سيف الحنيفية إلى ساحة الميدان بعد أن خطف مهج الاقران وطلب البراز فخرج إليه فارس بعد فارس وهو يلتقطهم بالسنان من غير مطاولة فقال كوشانوش وحق الإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل من جاءنى برأسه أعطيته وزنه ذهبا وجوهر فما كانت إلا ساعة حتى خرج إليه جماعة من البطارقة وأولاد العمالقة كل واحد يعد بألف فارس وهو يطرحهم على الأرض حتى طرح منهم عشرين فارس وأنقطع الناس عن الخروج إليه فلما نظر كوشانوش إلى ذلك قامت عليه القيامة وأنقلبت عيناه فى أم رأسه مثل أنابيت الدم وخرج إلى الميدان وهو على جواد أدهم مسوم معلم بغرة كالدرهم سريع هبوب مهوب طلوب وطىء المركوب معود على الهيجان خواض العجاج محجل الأطراف من الخيل الاشراف وفى يده حسام ماضى الشفار قوى المسمار كأنه شعلة من النار وهو فى كف رجل جبار وحمل على سيف الحنيفية حملة منكرة وقال له بالرومى دونك والقتال يانسل اللئام فعلم سيف الحنيفية قوله لأن جنسه من المغلبيط وتربأ بينهم كما ذكرنا فحمل عليه سيف الحنيفية وهو يرتجز ويقول

ويلك قد لاقاك ليثا معودا بخوض المنايا فى مقام الوقائع
خبير بضرب السيف فى كل معرك إذا قصرت أبطالها فى المعامع
همام شجاع باسل ذو همة عليه لفقده الأح لسعة لاسع

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه وتضاربا بالسيفين حتى لم يبق فى أيديهما غير المقابض وتطاعنا بالرمحين حتى شهدت لهما الفريقين وشخصت لهما الأبصار وطلع عليهما الغبار وقامت الحرب على ساق وتقابضا بالكفين وجذب بعضهما بعضا وكان كوشانوش أقوى من سيف الحنيفية وأطول باع وأشد ذراع فأنشب مخاليبه فى أطواقه وجذبه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى البطارقة

وقال لهم أحفظوه فما رأيت فارسا أقوى منه فقال له يامولاى إن كان فيك تلتى رجل فيه قوة عشرة رجال من هذا وهو ظالم بن عبد الوهاب وإلا فارجع فقال كوشانوش وحق المسيح لو اجتمع مثله مائة بطل من الابطال لقيتهم وحدي ورجع يطالب البراز ثم الامير ظالم يبرز اليه فمنعه أبوه عبدالوهاب وقال يا بنى لاتجمعوا على فراقكم فقد كفانى مادهانى ولكن أنا أخرج اليه وماله غيرى فقال له ظالم هذا لايكون أبدا وسوف تره الساعة أسيرا أو بعد بلاوهم بالخروج فمنعه ضيغم وقال كانكم تنقصوابى وصاح بجواده وحمل على الملك كوشانوش وتطاعنا ساعة ثم أن كوشانوش طعنه طعنة واصله فلو وقعت فيه لكان قد قضى عليه إلا أنه خرج عنها عرضا وان كوشانوش أقلب القنطارية أسرع من البرق وطعنه فى صدره ألقاه على ظهره وقاده ذليل حقير فقال عقبة ما أبرك هذا اليوم إلا أن المسيح قد فتح لنا أبواب النجاح وعاد علينا بالنصر والصلاح (قال الراوى) ياسادة ياكرام هنالك خرج الامير ظالم على جواد أصفر مليح الخبر صافى الجوهر حسن المنظر من أشرف خيول العرب يسوى عشر بدر أحسن من الابجر الذى كان لعنتر وفى يده صارم ذكر فهمز فى الميدان وضرب جواده بالسوط فانسبط من تحته حتى تم حزام الأرض ورجع إلى طبعه وأنشد يقول

أرى الدهر لايبقى على فرد حالة وما زال خوانا لكل خليل
مضى مثل إبراهيم قتيلا وبعده أخوه أسيرا ان ذا لجليل
سأضرب من تاراهما بمهند لعمرى ثقيل فى الحروب صقيل
ولا كل من نادى بانى همامها يكون له الدعوى بعد ومقيل
لاقتحمن الروم حتى أخوضهم ولو علقت أقبالها بديول
ويعلم كوشانوش فى الحرب اننى خلاف الذى لاقاه قبل حلول
فيا ابن الذى قالت أتانى مسيحنا تقرب حتى صار لخل لخول
لجاءت بنذل قد يؤمل انه يملك أقطارا وربع طلول
ومن بعدا هذا ظالما يستفره ويتركه فى القاع بعد قتيل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وهم ظالم بالحملة فالتفت كوشانوش إلى بطارقته لما طال عليه مقال ظالم فى شعره وقال لهم بحق المسيح إيش يقول هذا فما كان فيهم من يحسن يفيده غير عقبة فانه تقدم وباس الأرض وأعاد عليه شعر ظالم بلغته وزاد من عنده أضعاف ماقال ظالم فانقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح صيحة أزعج بها من حوله وطار الدم من مناخيره وقام شعر جسده كما ذكرنا وهدر وبربر وأطبق على ظالم وزعق فكان مثل بحرين تلاطما أو جبلين تصادما وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر إلى أن وقفت

منهما الجوادين او خدرت الساعدين ووقف كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا ثم عادا إلى الكر والفر والصد والرد حتى ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وأعطى كل واحد صاحبه قفاه يريد المسير إلى طائفته فعند رجوع ظالم أخرج كوشانوش من تحت فخذه حربة وهزها وضرب بها ظالم فوقعت فى كتفه فغاب ظالم عن رشده فأكب عليه كوشانوش وأخذه أسير وقاده ذليل حقير ووقع الصائح بين العسكرين وارتجت الأرض من وقع حوافر خيل الفريقين ونظرت أعين المعشرين وإذا بحصان قد خرج من المعمعة وهو يجرى ولم أحدا يملك لجامه وقد قال القائل ما أوحش الديار بعد أصحابها والخيول بعد ركابها وسمع عبد الوهاب بأن ولده أصيب فقال والله ان كان ولدى أخذ إلا أخذ غادر إلا أنا رأيته رابح عليه (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكانت الأميره ذات الهمة قد قالت للأمير عبد الوهاب اعلم ان كوشانوش فى طبقة عالية من الفروسية وأنا خائفة على ظالم منه وان كان فارس شديد وأنا أقول والعياذ بالله ان جرى على ظالم شىء فما خرج اليه غيرى فقال الأمير عبد الوهاب ماهذا صواب وانى فى حالة المرض ضعيفة وأخشى عليكى يفعل بك كوشانوش كأول مرة والبرازلى أجمل وأنا أفديك بالماه بنفسى وأقيك بروحى فاتى الإسلام كله (قال الراوى) وبات الأمير عبد الوهاب وجميع الأصحاب فى هم وغم لا يوصف والملك ميخائيل قد ورد عليه ما تركه يأكل زنديه وهو خائف من انقلاب كوشانوش عليه فلما اشتد على الأمير ذلك تزايدت عليه الزفرات وتضاعفت الحسرات وجرت منه العبرات فكتب بالدموع المنحدرات على الوجنات بسطور اللهفات يقول

ديارى من الأحباب أصبحت قفرة ... وقد كان منها واحد بعد واحد
فهذا قتيل فى التراب معفر ... وهذا أسير فى أكف المصايد
مضى ولدى إبراهيم وهو مجاهد ... وكان له دره بكل المساجد
وقد كان صواما وكان مصدقا ... وكان سخى الكف عند المقاصد
وكان شجاعا ماجدا ذو حمية ... وكان مطيعا غير عاص لوالد
ومن بعده سيف الحنيفية الذى ... له صولة فى موقفات المشاهد
شجاعا كميت باسل غير قاصر ... ملبح كريم الأصل ندب مجالد
وضيغم قد ولى فولت مسرتى ... وأشمت أعدائى به وحواسد
وغم علينا فقد ظالم بعدهم ... ومن مثلهم يوم الوغا والأوابد
أبادوا سيوف الهند فى كل كافر ... وأفنوا رماح الخط فى كل جاحد

لقد كان ظالم منى فى مثل مقلتى وكان كيا فى الحروب مساعد
وقد كان ركنى ان عزتنى ملة وكان يقينى فى الوغا ومعاضدى
بقيت كأنى لم أكن قط والد ولا والدا لى يلتجى فى الشدائد
ومع ذا وذا نفسى بهذا جليدة بطاعة مولاها وحفظ الموارد
غدا ننظر الهيجاء بين صميدع ويشهد لى من كان فى الناس جاحد
ويعلم انى مثل الذى مضوا وان كنت شيخا لا تذل مقاصدى
ومن مثل مالى قد قتلتم لواحدى حشاشة كبدى بالسيوف الجدايد
سآخذ له بالتار حتى ترونى أجول غدا فى ألف ألف معاند

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وبات الأمير ليلته قلقا حتى أصبح الصباح وكان كوشانوش لما أخذ الأمير ظالم وحمله إلى العسكر ورآه عقبة فصرخ صرخة كادت مرارته تنفطر مرحا وضرب بالبرنس الذى كان على رأسه الأرض وقال أيها الملك بعد أخذت ظالم مالك فى الدنيا مقاوم وهو فى طبقة أبيه لابل أفضل لأن هذا كل يوم فى زيادة وأبيه فى نقصان فقال كوشانوش لقد رأيت من هذا الصبى على صغر سنه مالم أره من أحد غيره ولولا انى ضربته بالحربة وكان منحرف إلى عسكره لما كنت قدرت عليه وقد بقى الاسود عبد الوهاب وذات الهمة وقد أفنيت هذا الجمع فقال عقبة المسيح يشد أزرك وما بقى غير ما قلت وقد ملكت الارض فى الطول والعرض فقال كوشانوش طب نفسا وقرعينا وحق المسيح لو كانوا فى عدد التراب وقطر السحاب بعدما آخذ عبد الوهاب مايكون لهم عندى حساب وبات عقبة طيب القلب على ماوعده به كوشانوش وأما ظالم فانه أشرف على الموت من تلك الضربة ورفعوا الاسارى إلى خيمة عقبة ووكلوا بحفظهم ألف بطريق يمين وشمال وأقبل عقبة على كوشانوش وقال مرحبا وأهلا وسهلا بالفارس الهمام والليث الضرغام ومن هو صديقى وصاحبى على طول الأيام كيف ترى بركة الجهاد فقال ظالم ياكلب النصرانية ويا أخس من غمس فى ماء المعمودية لو نظرت الى ماأعدالله لك ولأوليائه وأحبابه لما كنت تستعظم ماترى ولو نظرت مقعدك فى النار ومقعد كل منافق جبار لما وجدت بهذه النقمة التى أنت فيها لذة ولا طرب ولا سرور فغضب عقبة من كلام الأمير ظالم وقال له ويلك اننى أريد أنتقم منكم فى هذه الليلة حتى يزداد ثوابك أكثر ثم ضربه حتى غاب عن الدنيا وظن انه مات وسحبته الغلمان إلى جانب السرادقات واخوته ينظرون اليه ويبكون عليه ولا يقدرون على نفع ولا مضرة هذا وعقبة عن له رأى وهو انه يضرم

نارا ويرى الكل فيها فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الخيالة وزحفت الرجالة على بطون القتلى وقد صبغت الأرض بالدما وطلب الامير عبدالوهاب البراز فعلت الخيل ركابها وهمزتها الرجالة بأعقابها حتى أدمت المهاميز أجنابها وصدمت الكباش الكباش ودام الصدام وقد قويت قلوب أصحاب كوشانوش وصاح الأمير عبد الوهاب فى بنى كلاب ولم يزل الصارم يعمل فى الأعناق طول النهار حتى أقبل عليهم الليل وضعف الجبان وقل منه الحيل وباتوا يتحارثون الى الصباح وخرج كوشانوش وقد ترجل عقبة فى جملة الرهبان بين يديه وهو فى تلك الصورة ولم يعرفه أحد غير البطال فقال للأمير عبدالوهاب تريد يا أمير تعرف عقبة وتراه بعينك فقال وأين هو الملعون فقال ترى الملك كوشانوش قد خرج فقال لاشك فى ذاك فقال ترى هو عن يمينه فنظر الأمير اليه فكاد أن يطير حمية للدين ثم هم بالحملة ليطعنه فلاحت من عقبة التفاته فنظر الى البطال وهو يشير للأمير عبد الوهاب فعرف الخبيث وكان قدام الملك فتأخر إلى خلفه وقال أيها الملك قد حصنتك من أعداءك بأربع أناجيل (قال الراوى) وخرج الملك كوشانوش على جواد أبلق كأنه البرق إذا برق أو الرعد إذا خفق أو النجم إذا زرق وعليه درع داودى وعلى رأسه بيضة لامعة وفى يده صمصامة قاطعة تنفذ فى الدروع المانعة وان الأمير عبدالوهاب لما رآه وقد توسط مقام الحرب وموقف الطعن والضرب لم يصبر دون أن أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها أوصيك بنفسك خيرا أنا خارج إلى هذا الجاحد متوكل على الملك الواحد فقالت الاميرة ياولدى هذا مالا يكون ولا أدعك تخرج اليه وعيناى تحمل الماء فى دار الدنيا وها أنا خارجة اليه وقادمة عليه وآخذ ثارى منه فان ظفرت به فهو المراد ونشفى منه الفؤاد وان كانت الأخرى فافعل بنفسك ما تريد ثم انها أنشدت تقول

بنى دع الحرب كى أصطليها * فلقد شاب رأسى والله فيها
فمالى سواك فدع ذا وذاك * فانى سأكفيك ما تبتغيها
ولا تتركنى بلا واحد * فتنقص حياتى وأشتهيها
إذا ما تدلت عناقيدها * من الموت كنت التى أجتنيها

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فنظر الامير عبدالوهاب الى وجه الاميرة وهو ناقص زائد النقصان فقال لا والله لايكون ذلك أبدا ولا أسلمك لشرب كاس الردا وأريد أن أكون لك الفدا ثم انه أشار يقول

أذ لهمة كنى من العزل وأعلمى * بانى همام فى الوغا غير معجم

ولا تحسبيني فى الوغا مثــل ظالم ولا تجمليني فى الحروب كضيغم
أما تعلمى انى تعودت خوضهـا وان كنت لا تدرى بذلك فاعلمى
وحق النبي المصطفى خير الورى ومن خص بالآيات من آل هاشم
لاقتحمن الحرب حتى تربنهم على الأرض صرعا للنسور القشاعم
فلا تنكرى نفسى فانى همامها تبدلت فى الدنيا مقام المكارم
سأترك كوشانوش فى الأرض ثاويا وأضربه بالسيف يوم التلاحم
وأتركه فى القاع طعما لوحشهـا ولو كان فى ألف من الروم لاحم
أنا ابن حماة المجد فى موقف الوغا إذا خاضت الاقران وسط التراكم
وما عرفوا أهل الصليب بانني تقدمت فى الهيجا على كل عالم
ترى همتى فوق الثرى ما أكفها وعزمة صدق من فؤادى سالم

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فعندها صاح الأمير بجواده وقد ذهلت الأميرة من كلامه وسرعة جوابه وانقطع خاطرها عن رد مرامه فتركت الشكوى ورجعت بالدعاء إلى عالم السر والنجوى ونادت يا إله الأرض والسماء يا من تجلى لجبل الطور فتقطع وخاطب موسى وعرف قلب العابد الخائف لخضع وتبع نور جلاله فتشعشع هذا ولدى وحشاشة كبدى المجاهد فى سبيلك على طول الأيام والأعوام المجتهد فى طاعتك المتواضع لكل الأنام لايشتغل بما خولته من الأنعام الضارب فى أعدائك بالحسام وأنت المتفضل عليه بالسلامة والاكرام فأسألك يارب الأنام الا نصرة الإسلام ولا تشمت بنا الكفرة اللئام فأنت ذو الجلال والإكرام والجود والانعام فلما فرغت ذات الهمة من دعائها وخرج الأمير عبد الوهاب وجواده يركض فلما نظر كوشانوش اليه والى ركبته استدل على قوته وشدته وصدق فروسيته وشجاعته ولما وصل الأمير عبد الوهاب اليه أشار يقول هذه الأبيات

أتاك وبيت الله منى غضنفر له صولة فى الحرب ليس لها مثل
ألا خبروا ياقوم من كان ميتا على الفرش والآجال خير من القتل
ألا إنما الإنسان عمر بلذة ولا خير فى عمر إذا لم يكن فضل
فدونك كوشانوش حربى فان تشا زيادة أقران فذاك هو السهل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فصاح عقبة صيحة عظيمة من خلف الملك كوشانوش وناداه بالرومى خذ حذرك أيها الملك فهذا هو الأسود الزنيم والبطل اللئيم هذا شيطان الإنس والجان هذا الذى تفزع به الروم الصلبان هذا عبد الوهاب هذا مفنى الإخوة

والأصحاب هذا هادم الأطلال وجاعلها خراب هذا مشوش قلوب أهل الكتاب فلما علم الملك كوشانوش انه الأمير عبد الوهاب فرح بلقائه وحمل عليه وحمل الأمير عليه فما نظرت العيون ولا سمعت الآذان مثل ماجرى لهما فى الحرب وموقف الطعن والضرب (قال الراوى) وفتحوا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وحملا فى الميمنة حتى غابا وفى الميسرة حتى قيل قد ذابا هكذا طول النهار إلى وقت العصر وأيست كل طائفة من صاحبها الاان الأميرة ذات الهمة مازالت باكيه العين من وقت الضحى الى أن صار العصر وإذا بها تضحك وتقول تمام الإحسان ياحنان يامنان يامن لايشغلك شأن عن شأن فقال لها بعض الأصحاب أيتها الأميرة هذا كوشانوش قد ساوى ولدك فى القتال طول النهار إلى هذه الساعة فقالت اعلموا ان ولدى قد زاد عليه بكل درهم ألف والساعة يأخذه أخذا بالكف (قال الراوى) فما تمت كلامها حتى ارتفعت الصيحات وزادت الضجات وعظمت الرزيات وصاحت الأميرة بالسودان وبنى كلاب كونوا على أهبة الحملة فانى خائفة من غدر الروم لأنهم مجبولين على ذلك وهو شعارهم ودثارهم فارتفع الصياح أكثر من الأول وإذا بالأسد الوثاب وفارس بنى كلاب الأمير عبد الوهاب فعل كفعله ودنى بعضهم من بعض وتماحكا وتعاركا وكل واحد منهما جذب صاحبه ورفص جواده بأحد رجليه الا ان عبد الوهاب ثبت همته ونور أريحته وصاح به صيحة المعروفة فى الحرب عند هجمته ومد اليه يده وقبض على أطواقه وأخرج رجله من الركاب مثل البرق البارق ولكن جنب جواده فخرج من تحته يرتعد كالسعفة فى يوم ريح عاصف وبقى كوشانوش على ساعده فتأوه فصاح فيه الأمير فمن صيحته ارتعدت الجبابرة وخافته الأكاسرة ولم يزل يسير به إلى نحو عساكره (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وعقبة قد صاح صيحة كادت مرارته تنفطر وأشار إلى العساكر بالحملة فحملت وعلى خلاص ملكها عولت وبذلت نفوسها وما قصرت وكذلك الأميرة ذات الهمة أيضا قد حملت وبنى كلاب خلفها مثل أسود الغاب وتبعتها السودان الأنجاب وعملت الصوارم الحداد وفلقت الجماجم وشوشت العمائم وذبحت العلاصم ولم يزل السيف يعمل فى المفارق ويقطع العواتق والخيل عضت لجمها وتقطعت حرمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها حتى ذهب النهار بضيائه وأقبل الليل بظلمائه وقد سبقت الأميرة ذات الهمة إلى الأمير عبد الوهاب وخلصته من المواقف العظام الصعاب وعاونها على ذلك سادات بنى كلاب والسودان الأنجاب وخلص الأمير عبد الوهاب وكوشانوش معه أسير ذليل حقير وقاتلا الملك ميخائيل وأصحابه ذلك اليوم فى الروم قتال عظيم ما نظر مثله الناظرون وبذل المجهود

ورجع كل عسكر إلى موقفه وموضعه وأضرمت النيران وتحارسوا الفريقان هذا والأمير قد أحضر كوشانوش وقال له ويلك ياملعون لقد تجبرت على الله تعالى والله مبيد الجبابرة وقاصم الاكاسرة وكيف وأنت كافر برب الدنيا والآخرة وتجعل روحك ابن المسيح وأمك غير طاهرة (ياسادة) فلم يتكلم غير أنه قال اعلم أن عندى أولادك ومائة أسير من بلاد الإسلام فاطلقنى فى غد وأنا وحق عامود النور الذى ضربت به أمى أطلقهم كلهم فقال الأمير أقسم قسما بالله تعالى لولا خوف الله تعالى لسلمتك إلى السودان وأتركهم يضربوك بمثل العامود الذى ضربت به أمك حتى لاترجع قط تقسم بهذا القسم (قال الراوى) ياسادة يا كرام وأما القاضى عقبة فانه لم ينم تلك الليلة إلا يطوف على قبائل الروم ويطمن قلوبهم ويوعدهم بخلاص الملك كوشانوش وقال فى غداة غد أخرج أولاد الأمير عبد الوهاب إلى بين الصفين وأقول لسياف الملك يهول عليهم بضرب رقابهم فلو كان عند الأسود الزنيم والبغل اللئيم مثل الملك كوشانوش ألف لفداهم بواحد من هؤلاء فطاب قلوب الروم وباتوا على ماهم عليه فلما أصبح الصباح صاح القاضى عقبة بالبطارقة وأولاد العمالقة وأمرهم أن يسحبوا سيف الحنيفية وضيغم وظالم فلم يجدوا منهم أحدا فضاقت على عقبة الأرض بما رحبت وانفطرت مرارته وقام وقعد وقال اعلموا أننى ما بعثنى المسيح من بيت المقدس إلى عند الملك إلا ان عاش وزيره ومدبره ومشيره وإن مات كنت موضعه وإذا كان الملك جاهل حكيم هو أفضل مما يكون جاهل عديم ومعلوم أن كوشانوش مع العدو أسير فان خلص فهو الذى نريد إن لم يخلص فاحسبونى إياه أحكم فيكم بأحكام السيد المسيح وأعلمكم شرائع الدين الصحيح واعلموا أن من قتل منكم يصل فى مقام الحواريين ويصير فى أعلا عليين وجعل عقبة يقرأ عليهم الإنجيل ويتلو عليهم المزامير وكان قد صبغ لحيته خضراء وكل شعر بدنه وعارضيه ورأسه وصار فى قالب عجيب فلو بقى مع أولاده ماعرفوه قط (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما أن سمعوا ذلك من كلام عقبـــة قالوا أيها العبد الصالح والرجل الناصح نحن كنا نطيع كوشانوش للدنيا فكيف لانطيعك أنت من أجل السيد المسيح ليكون ذلك أجمل وأولى ولو أضرمت نارا لولجناها فلما علم ذلك منهم جعل يدعو كل قوم ناحية ويتقدم عليهم بطريق يصلح للتقدمة ويقول أنت فلان وأبوك فلان وميلادك فى البلد الفلانى وقد أخبرنى المسيح أن يكون منك مايرضيه وتصل إلى مال كثير غير قليل فلما سمع القوم ذلك قالوا هذا شىء لايقدر عليه إلا السيد المسيح وجعل عقبة يكلم كل طائفة بلسانها ويخبرهم بأسماء الآباء والأجداد لأنه يعرفهم الجميع فصاروا

القوم له عبيد ورأوا الجهاد بين يديه قربان إلى المسبح هنالك صف صفوفهم وجردت سيوفهم وهانت عليهم حتوفهم هذا والأمير عبد الوهاب عنده الملك كوشانوش. وهو حائر لايدرى مايعمل هل يطلب به فداء أولاده أم لا وقال فى نفسه مالنا إلا أن نشاور الأمير أبو محمد البطال فى هذا الأمر فسأل الأمير عنه فقيل قد فقدناه من البارحة نصف الليل فبقى الأمير حائر فى نفسه من غيبته يظن شرا وخيرا وهو لايدرى ما تجرى به الافلاك من سعادة أو هلاك فبينما هو كذلك وإذا قد أقبل عليه لؤلؤ غلام البطال وقال له يامولاى يهنيك الزمان فقال بماذا قل وأوجز قال له يامولاى قد سرق مولاى أبو محمد البطال أولادك ضيغم وسيف الحنيفية وظالم فعند ذلك سجد الأمير شكراً الله على التراب لرب الأرباب وقال الحمد لله الذى لم يضيع سعى البطال ثم أقبل على ميخائيل وقال له ماترى قال له إذا وصل البطال بأولادك قلت لك ما يكون فبينماهم كذلك إذ دخل عليهم البطال ومعه ضيغم وسيف الحنيفية وظالم يتوكأ على سبك غلام البطال وهو معصب الجرح فعندها وثب الأمير قائما على قدميه ووثب بنو كلاب والسودان الانجاب كانهم ليوث الغاب فرحا بالبطال وبالأمراء القادمين واعتنق ظالم وكشف جرحه فوجده قد صلح فعند ذلك أقبل عليه الملك ميخائيل وقال له أيها الأمير الآن ما بقى من تخشاه وقد خلصوا أولادك وبرد فؤادك وقد بقى الأمر يحتاج إلى شىء واحد وذلك أنكم تخرجون الساعة إلى بين الصفين وتضربون رقبة كوشانوش فى مقابلة ولدك إبراهيم فاذا هلك انقطعت أطماع عسكر النصرانية من حياته وتهرب الطوائف متفرقة ولعلهم يأتون الينا فقال البطال لعمرى أن القياس كذا يكون بلا محالة فعند ذلك سلم عبد الوهاب الملك كوشانوش إلى السودان والعبيد والحبشان وقال لهم أخرجوا هذا الملعون إلى مقام الهياج فاذا وقفتم هنالك أضربوا رقبته فقالت الاميرة والله لايضرب رقبته غيرى لاشفى منه نفسى لانه قتل ولد ولدى وهو الامير إبراهيم وخرجوا العبيد والاميرة ذات الهمة من خلف كوشانوش والسيف فى يمينها ونظرت الروم إلى ذلك فتصايحت فقال عقبة ائتونى بأسارى المسلمين واسحبوهم عاجل فجعلوا يسحبون الرجال يمين ويسار من النسوان والرجال والاطفال هنالك كبرت الاميرة ذات الهمة وضربت كوشانوش بالسيف على رقبته فطارت ستة أذرع فلما نظروا الروم إلى تلك الضربة صلبوا على وجوههم وهموا بضرب أعناق الاسارى فقال عقبة خلوا الاسارى واحملوا عليهم فما أرى النوبة إلا اصعبة فحملوا حملة رجل واحد فى ألف ألف فارس وحمل الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب وحمل الملك ميخائيل وقاتلت طوائف الروم عسكر ميخائيل

وقالوا نحن قد أرسل الينا المسيح راهبا يكون ملكا لنا وهو زاهدفى الدنيا (قال الراوى) ياسادة يا كرام وعمل القتال إلى أن دخل الظلام وانفصل الضياء وادلهم الغيام ورجعت كل طائفة إلى مقامها ولما استقر الأمير فى سرادقه دخل عليه ميخائيل فوثب له الأمير قائما وأجلسه معه (ياسادة) وان الملك ميخائيل أقبل على الأمير وقال أيها الأمير مامنع الروم أن يرجعوا الى طاعتى الاراهب قمامة وقد ذكر انه رسول المسيح وهو أبيض اللون أخضر الذقن يعرف سائر العلوم والاحكام ولقدأرسلت اليهم البترك الكبير ليردهم إلى الطاعة فرجموه بالحجارة وقالوا نحن مانعرف الاراهب المسيح مقلاطون وقد جاءنى من عندهم جاسوس يذكرانهم يجعلون محل ملكه فى مدينة الصخرخلف إقليم الصقلب وقد ذكروا أن هذا الراهب يعلم الغيوب ويخبر بما فى طى الكتاب مكتوب وان كان الأمر على ماقد ذكر فقد ذهب ملكى وزال سرير عزى فضحك البطال وكذلك الأمير عبد الوهاب وقالوا له ماتعرف هذا الراهب فقال لاوحق المسيح فقال البطال هو الشيطان المارد والكلب المعاند صاحب الحيل والمكايد عقبة الذى لايعرف الصديق ولا يرى له فى الدنيا رفيق ليس له غرض الا سفك الدما وقتل العبيد والموالى فهو من دين النصرانية مطرود عن الصليب ومن دين الإسلام قد طرده القريب المجيب ولا يعتقد دين بل ينافق على كل العالمين فقال الملك ميخائيل دعونا الساعة فما هذا وقت مزاح والارواح قد طارت من أقفاص الاشباح ومع ذلك فما أقول لكم ان عقبة مسلم لان حاله لاينكتم غير انه لايريد أن يبق فى الأرض غير دولتى وان أعنان الخلق تحت قبضتى وما قطعه عنى غير الخوف منكم والا كان يريد عسكرى ويعمل على هلاك هذا الراهب مقلا طون فقال البطال أيها الملك تحلف لنا أنت والبترك بالإنجيل أن هذا الراهب اذا قبضناه وبين يديك طرحناه وصح عندك انه عقبة تبيحنا صلبه بلا ممانعة ولا مدافعة لأن لله علينا عهود لابد من صلبه على باب الذهب إن شئت طائعا أو كارها فقال الملك اعمل أنت على قبض هذا الشيطان فوحق المسيح لئن كان عقبة وفعل فى حق هذه الفعال لانتقمت منه قبلكم وأمكنكم من صلبه ان شئتم على باب الذهب أوباب النحاس عند ذلك أحضر البطال البترك وحلف الملك باراذته على هذا أربعين يمينا عندها طاب قلب البطال وقلب عبد الوهاب وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وعملت بين الفريقين الصفاح وصاح غراب البين فيمن صاح وامتلأت تلك البطاح من القتلى عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادي عشر انهزمت عساكر الروم وتبعتهم عساكر الأمير عبدالوهاب وأصحاب الملك ميخائيل يوما كاملا الى أن أرموهم إلى شجر العلق ووقفت عساكر الروم

وكان القتال ذلك اليوم يزيد عن الوصف ونادوا أصحاب كوشانوس عمن تقاتلون وقد ملكت أثقالكم وقبائلكم وخيامكم ونصرنا المسيح عليكم وما انهزمنا خوفا من سيوفكم بل لأمور تقتضى هلاككم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب والملك ميخائيل ذلك رجعوا على اعقابهم وكان الأمير عبد الوهاب قد خلا بولده ظالم وأمه فى السرادق تعلله فلما أشرف الأمير على المنزل رآه خاليا من الأصحاب ينوح عليه البوم والغراب فزاد همه والاكتئاب ونادى يامسبب الأسباب أسألك بفاتحة الكتاب ان تفرج عنا وتعطينا الثواب ثم بكى وكذلك أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب لما قد حل بهم من العذاب ونظر الأمير عبد الوهاب الى ابراج القسطنطونية وعليها خمسمائة ألف بطريق والراهب مقلاطون فى أول الناس وهو يقول لاطهرن الأرض من المارقين فبقى الملك ميخائيل حائر وبكى وجرت دموعه وكذلك الأمير عبد الوهاب لاجل فقد الأحباب والأمراء والأموال التى أخذوها من قلعة الشيطبان لأنهم قد كانوا أودعوها فى البلد وخرجوا الى القتال جرايد ولم يعلموا ان هذا يتم عليهم (قال الراوى) وكان هذا من عمل القاضى عقبة وذلك انه أقبل على قومه وقال لهم ويلكم نحن فى عالم عظيم ولو سلمنا أنفسنا اليهم ليقتلونا لما فرغوا منا فى سنة وعلى الضمان وحق المسيح ان من قتل منكم أوصلته إلى دار الكرامة والدوام والسلامة فى جوار سمعون الصفا والشهيد مركوركيس بن صعوان ومائة ألف قسيس ومائة ألف مطران وفى جوار حسان وروح وريحان ويكون المسلمين حفاة عراة وهم يستغيثون بى فلا أسمعهم ويستجيرون بى فلا أجيرهم (ياسادة) وان عقبة لما خاصبهم بذلك هان عليهم الموت فى طاعة عقبة وهم يقولون راهب المسيح قد تكفل خلاصنا ثم قال لهم قد طال مقامكم مع هؤلاء ومافى الأمر الا يرحل الليلة منكم خمس ملوك فى خمسمائة ألف فارس يتواروا عن العيون ثم يصيحون صيحة واحدة ويطبقون عليهم وتلتقى العساكر بعضها ببعض ويصبرون معهم ساعة جيدة وينهزمون بين أيديهم فلا بد من اتباعهم وأوسعوا أنتم فى الهرب إلى آخر القلعة ارجعوا عليهم تجدونا نحن قد ملكنا الخيام والمضارب بما فيها وآخذنا البلد التى هى القسطنطونية بحيلة عجيبة ومكيدة غريبة (قال الراوى) ياسادة ياكرام وفعل ذلك عقبة وتم له هذا الأمر واخذ الأمير ظالم والأميرة ذات الهمة لأنه لم يتخلف فى المضارب سواها فمانعت عن نفسها واحدق بها مائة الف فارس ورموا عليها الطوارق حتى كادت للحياة تفارق واخذت الأميرة ذات الهمة وظالم وجميع مافى المضارب وسرداق الملك ميخائيل والاموال والعدد وملكوا القسطنطونية (ياسادة) ورجع الأمير عبد الوهاب كما ذكرنا فما وجد له خيمة يأوى

اليها وأمر عقبة العساكر أن تخرج عليهم من مدينة القسطنطونيه فخرجت وأطبقت عليهم العساكر ومن خلفهم وكانت ساعة تضرب بها الأمثال ويتعوذ منها صناديد الرجال ودارت طاحون الحرب والأهوال ودام القتال وقتل من أصحاب الملك ميخائيل خمسين ألف ومن أصحاب الامير عبد الوهاب ثلاثة آلاف فارس من كل بطل مداعس وانهزم ميخائيل لاجل ماحل به من التنكيل الاان الامير عبد الوهاب ترجل وترجلت سائر بنى كلاب والسودان الانجاب وضربوا قوائم الخيل بالسيوف فبروها ووقعت إلى الارض وقتلت ركابها وصرعت أبطالها بسيوف أولاد حام الكرام المجاهدين فى دين الملك العلام فما كانت إلا ساعة حتى قتل من أصحاب عقبة خمسين ألف أو يزيدون ورموا الناس إلى البلد صارخين صاغرين وولوا بين أيديهم مكسورين ونظر ميخائيل إلى الطلب عنه قد خف وقد انقطع وسمع دوى فى الهواء فرفع رأسه وقد طار فؤاده من الفزع وإذا بقائل يقول الحرب الحرب يا أولاد حام وهم ميخائيل وقال لمن معه من الروم اما تسمعون ما أنا سامع فقالوا بلى أيها الملك منادى ينادى يا أولاد حام وهم السودان فقال أعوذ بالمسيح من هذا الفعل القبيح هذا مالايليق بنا ان نفعله مع المسلمين ولاسيما عبد الوهاب وقد بذل نفسه دوننا كذا وكذا مرة وما انقطع عنا الطلب إلا وقد اصطلاها بنفسه فارجعوا بنا ثم رجع والبطارقة معه فما وصل إلا والامير رمى الناس إلى البلد وعظم القتال باقى النهار فلما كان فى اليوم الثانى عشر عادوا إلى القتال وبقوا فى مقابلة الامير عبد الوهاب إلى الظهر وانهزموا بعد ان قتل منهم أكثر من اليوم الاول ورموهم إلى الباب فمات منهم خلق كثير من الرجال وغلق الباب وان عقبة لما رأى ذلك حنق وأخرج ألف أسير من أسارى العراق وضرب رقابهم على الصور وأرمي أبدانهم إلى ظاهر البلد وهم ينادون لاإله إلاالله محمد رسول الله مرحبا بقضاء الله وصارت الرؤوس تتطاير وهى تنطق بالشهادة وعقبة يقول من لم يجحد هذا الكلمة والا قتلته فما منهم يقول إلاالقتل ولاأحول عن الكلمة التى عليها خلقنا وعليها نموت ان شاء الله وقتلوا القوم عن بكرة أبيهم وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة والامير عبد الوهاب يبكى على أحوالهم وهو خائف أيضا من عقبة ان يفعل بالامير ظالم وأمه ذات الهمة مثلهم وكل من يقتل ويرمى إلى الارض يأمر الرجال أن يبصروه وأقام الامير يحاصر البلد شهرا كاملا وفيه عسكر عظيم فقال الامير والله أنا خائف أن يطول المقام وتفنى الايام ولكن مالى إلى الرحيل سبيل ولو أقمت هاهنا أعمار النسور وحشرت من بين القبور (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا والسودان وأمراء الحبشان يطوفون الضياع ويأخذون العلوفات فلما طال على الامير المطال أمر باحضار البطال فطلبوه فلم يجدوه فقال الامير لغلامه صفوان أين مولاك فقال

له يامولاى من أمس مارأيته ولارأيت غلامه وقد اشتغل قلبي عليه فاسأل عنه السودان فانه أكثر مقامه فيهم وهو يألفهم أكثر من بنى كلاب فمضى الغلام ورجع وهويخبرهم انهم فقدوه وغلامه معه فبقى الامير بين الخوف والرجاء وكان عقبة غرضه فى المحاصرة والقتال لاجل أن يضعف الامير وأصحابه لانه أخبر الناس بهم وعساكر الروم الذين فى خدمته قد احتوى على قلوبهم وقد هان عليهم الموت وقالوا أطلقنا حتى نخرج إليهم فقال ماهذا وقته اصبروا لما أقول لكم وكان لعقبة موضع فى مدينة القسطنطونية مدفون فيه ثمان مائة ألف دينار مدخرة من أيام منويل وانه أقبل على ملوك الروم وقال لهم البارحة أتانى المسيح وقال لى ان كنت محتاج إلى نفقة ففى الموضع الفلانى ثمانمائة ألف دينار فتصرف فيها الساعة وسوف أسلم أليك مطلب الجوهر حتى تدفع لكل ملك جوهرة تسوى خراج القسطنطونية مائة سنة ثم أن عقبة فتح ذلك المكان فلما رأوا الروم ذلك قالوا هذا هو راهب المسيح لاشك فيه وهو خليفته فى الدنيا وصاروا إذا دخلوا على عقبة يقبلون الارض ويشيرون إليه بالتسلم كما يشيرون إلى الصور والتماثيل وأن الامير أبو محمد لما رأى هذا الملعون عقبة وما هو فيه سار بغلمانه إلى ساحل البحر ثلاثة أيام بالتمام فقالوا غلمانه إلى أين قد عولت بنا فقال قد عولت على أننى أسلم إليكم رقبة القاضى عقبة فى هذه الليلة وأفرق هذه العساكر وأشتت هذه العشائر ونفتح القسطنطونية ونصلب عقبة على بابها فقالوا لاشك أن هذا قد رأيته فى المنام فقال سوف ترون ما يفعل البطال بصدق الفعال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما كان فى اليوم الرابع أشرف على جزيرة قريبة من البر وعلى ساحل البحر زوارق وشلنديات فعبر الابطال وغلامه إلى الجزيرة والتفت إلى غلامه يانس وقال له خذ هذه الخمسةدنانير وأنزل بالعجل واشترى بها صوف جافى من ثياب الصيادين وشبكات وهذه عشرين دينار اشترى بها غنم وحطها فى الزوارق وسمك وملح فنحن غدا إن شاء الله مقلعين إلى القسطنطونية وسوف أوريكم صنعة يعجز عنا أهل المشارق والمغارب ويقع فى هذه الشباك من ترجو أن يقع وهو القاضى عقبة (ياسادة) وأن غلام البطال فعل جميع ما أشار به مولاه ولبس البطال وغلمانه الثياب ومشوا فى الجزيرة وهم يقولون من أراد أن يربح بالدرهم عشرة فليحمل الغنم والسمك إلى القسطنطونية فلما سمعوا ذلك تبادروا الطماعين وحملوا الغنم والسمك والعسل والغلة فى المراكب الصغار والكبار وكان الذى أقلع معه إلى البلد اثنى وأربعين مركب والبطال فى جملة القوم وغلمانه وقد حمل معه جماعة بالكرى ودخل القوم إلى المينا وطلبوا أن تفتح لهم المينا حتى تدخل الزوارق بالاغنام والسمك فقال عقبة لاهل القسطنطينية تعرفون هؤلاء القوم فقالوا انعم

أيها العبد الصالح نعرفهم ونعرف أسماؤهم وأولادهم وكل أهل هذه الجزيرة تحمل إلينا السمك والأغنام لأنها جزيرة ما فى الجزائر خصب منها يقال لها جزيرة الحوت (قال الراوى) فلم يقبل عقبة كلامهم حتى أطلع إلى القوم ونظر إليهم وأنهم مامعهم عدو فلم يلتفت إليهم وأيضا من رائحة السمك لم يقف ورفعت السلاسل وفتح باب المينا ودخلوا البلد والبلد على كل حال محاصر وفيه خلق كثير وجعلوا يشترون من القسطنطينيه من أسلاب القتلى وثياب الديباج وغيرها هذا والبطال صبر إلى أن هدى الظلام واختلط القتام ونام من نام وقد سأل بعض النسوان عن الأميرة ذات الهمة فقالوا هى فى القصر الذى فيه راهب المسيح وكل ليلة يكويها بشحم الخنزير وكذلك الجروح التى معها وأن البطال لما ان كان وقت العشاء دخل إلى القصر هو وغلمانه فى جماعة من يسلم على عقبة لأن الروم ما عادتهم الحجاب والبطال خبير بالقصر وأنه قصد إلى اصطبل تمليخا أم قسطنطين وكان عارفا به إلى أن ذهب من الليل هجعه وخرج هو وغلمانه وفى أوساطهم الخناجر وهم متوكلين على الملك القادر ودخلوا إلى القبة التى فيها القاضى عقبة فنظروا إليه وقد أخرج الأميرة ذات الهمة وهو يعاقبها وهو يقول لها ياعاهرة هذا أوان قتلك وحق المسيح لاحان عليك البغال والحمير هذا وهو يضحك ويقول فى آخر ضحكة أعوذ بالمسيح ومريحنا المعمدان وبدير شمعون الصفا مما أخاف واحذر من طوارق الليل والنهار وصاح بالغلمان وأمرهم أن يخرجوهم على وجوههم إلى البيت الذى هو فيه وكان البيت قريبا منه وخرج الأمير ظالم وقد إلتحم جرحه من تقطير شحم الخنزير إلا أنه فى البلاء العظيم من العقوبة فلما نظر هو الأمير أبو محمد فرح وقال الحمد لله هذا أمر قد تيسر ثم أنه صبر حتى رقد النوام وأطلع الحى العلام فدنا إلى ذلك البيت وفتحه ولم تحس الأميرة إلا وهو قد دخل عليها وقبل يديها فقالت له من الأرض صعدت أو من السماء نزلت فاخبرنى بأمرك فقال ما هذا وقت سؤال ففرحت الأميرة وقطع كتفها وكذلك الأمير ظالم وقد فرح وقال ياأبو محمد ما أخذنى الملعون عقبة الا اغتيال وإلا كان أحقر من أن يصل إلى أو يقدر على وبعد أن التحم جرحى وخلصت بعون الله تعالى لابد أن أقاتل وأبذل المجهود فأنت على ماذا عولت فقال قد عولت على أخذ عقبة فلعله فى موضعه فنأخذه من منامه فقال الأمير ظالم اعلم أنه محترز على نفسه خائف من الطلب وهو فى هذا البيت الذى نحن فيه ولكن ما نعلم مكانه فقال البطال اعلم أنه لما أخرجكم كنت ذلك الوقت مشاهد لفعله وصبرت على فعله وقد أخفيت الغلمان فى ذلك البيت الذى تروه ودخلت اليكما وقد مضى من الليل نصفه ومع ذلك فلابد من مراصدة القبة لعل يخرج منها ثم عطف وصفر لغلمانه فحضروا عنده

كالبرق الخاطف أو السحاب الواكف وكل واحد منهم بيده خنجر امضى من القدر وقام الأمير ظالم والأميرة معه وتقدم إلى القبة فتحوها ثم هجموا فوجدوا عشرة من البطارقة نيام فذبحوهم عن آخرهم هذا والأمير ظالم قد اغتنم فرصة الغفلة من البطال حتى لا يمنعه من السرير ووثب الى السرير فوجد شخصا نائما فقعد على صدره ومكن الخنجر من نحره ومسك دقنه وذبحه من أذنه فالتفت البطال إلى ظالم فوجده قد جم على فريسته والمذبوح يخور فى دمه فرجع عليه باللوم وتمنى أن يكون هو المذبوح وقال له ويلك يا ظالم قتلت عقبة بن مصعب وما هذا إلا جهلا منك وغضب البطال غاية الغضب فقالت الأميرة يا أبو محمد امضى فقال ظالم أنا كنت قد أقسمت متى وقع فى يدى قتلته فقال البطال انك ناقص العقل فقالت الأميرة فات ماذبح يا أبا محمد نأخذ رأسه معنا ونصلبه على باب الذهب فاطلبوا بنا النجاة لأنفسنا لأنا لا نقدر نفتح البلد وفيه ألف ألف بطريق وما هو صواب ان نخاطر بأنفسنا ونكون قد ألقينا بأيدينا إلى التهلكة ودع عقبة فلا رحم الله صدره ولا بل ثراه الى ان قد استراحت الروم والمسلمين من شره فعندها خرجوا القوم وهم موتى من الفزع والجزع والهلع ورأس عقبة فى يد الامير ظالم وأتى به البطال إلى باب القصر وفتحه بعد ان قتلوا الرجال الذين كانوا عليه ودخلوا فى أزقة البلد وداروا إلى وقت الفجر وفتح باب المينا وخرج البطال وهو أعمى أصم لقتله عقبة وكيف ما اشتفى منه وطلعوا الى المراكب ودفعت بهم الغلمان وطنبت القلوع فخرجوا الى البحر والدنيا بعد غلس وقد وقع الصياح فى بلد القسطنطينية من أربع جنباتها وانقلبت بأهلها فقال البطال لغلمانه قدفوا بالمقاديف يا أولاد العواهر حتى نخرج إلى الشط قبل ان تركب خلفنا المراكب فما هذه النوبة مثل غيرها وما كان يصل إلى الأرض من دمانا قطرة فعند ذلك أجهدوا نفوسهم كما أمرهم البطال وقد نظروا أهل البلد الى ذلك فقدفوا المراكب كالجنائب وكان البحر ذلك اليوم زايد لأن الهواء كان عاصف والأمواج مثل الجبال ترفع المراكب إلى النجوم وتحطها إلى التخوم وقدفت بالمقاديف فلحقت مركب البطال وتكاثرت عليه الرجال وكانوا قد أخذوا عدة المقتولين هنالك أخذ كل واحد بيده حسام ووقفت الأميرة فى المركب على مقدمه وظالم على مؤخره والبحر فى عب عبابه وهم فى قبضة ملك الموت ودارت بهم المراكب وفوقها الرجال مثل السلاهب وقرب منهم مركب خفيف مثل هبوب الريح ونطح مركب البطال فلما نظر ظالم الى ذلك جمع أياله وهمز همزة صار فى وسط المركب كالعقاب الكاسر والطير الطائر وكان فيه أربعين بطريق وكل واحد منهم مثل العتيق فأطبق عليهم وضرب واحد منهم بالسيف على

عاتقه أطلعه يلمع من علائقه ودار واستقبل القوم بصدر مافيه غير الملك المتعال فسقاهم شراب الوبال ولم يكن لهم سبيل إلى الخلاص والانتقال وجال وصال وبلبل الخاطر بضرب يهد الجبال فأرموا أنفسهم إلى تلك الأهوال والأمواج التى تشيب الأطفال وملك المركب وصعد إلى مركب البطال فوجد الأميرة فرغت من المركب التى قدامها وأقلبت أسفله أعلاه وسقتهم المنية كاسها ورجعت الى البطال والعرق قد كلل جبينه وضاقت الأماكن الفسيحة عليه وهو يصيح فلا يجاب ويدعوا بالويل والانتحاب فنزلت الأميرة عليه ونثرت الرؤس نثرا وأبادتهم عشرا عشر ونظروا الباقين إلى ماحل بالموكلين فعولوا على الهرب إلى مينة القسطنطينية (يا سادة) وسمع الأمير عبد الوهاب التكبير فى البحر ورأى تلك المراكب فرجف قلبه وركب الى الساحل فى سادات قومه فوجد الصياح عالى والصراخ نامى وفى القسطنطينية العويل والبكا قد ملأ الخافقين وزعاق وضجيج فبقى الأمير عبدالوهاب حائر (ياساده) ونظر إلى أربعين مركب قد لحقت المركب الذى فيه الأمير أبو محمد البطال وقد قربوا منهم ورموا الحديد على أربعين قامة وبقت المراكب على وجه الماء كانها الخيل على مداود ها تلعب والأميره ذات الهمة قد كبرت وهى تضرب يمينا وشمالا والأمير ظالم كذلك وسمع الأمير عبدالوهاب تكبير الأميره كما ذكرنا فعرف الصوت وقال والله هذا تكبير الأميرة ذات الهمة وصوتها وصوت ظالم فحمد الله على ذلك وسمع أيضا صوت أبو محمد البطال وزعقاته فقال والله ما كانت سفرة أبو محمد الا المثل هذه البضاعة وما هذا الا لأمر عجيب وحال غريب هذا والأميره ذات الهمة قد حمت جانب المركب الواحد من عشرين مركب والأمير ظالم (ياسادة) وقد حمى الجانب الآخر وقد انفتح عليه الجرح الذى فى كتفه من كثرة المضارب وظهرت عليه البطارقة وقد أشرفت المركب على الأخذ فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى هذا كله قال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالوا أبطال بنى كلاب والله إن قعدنا عنهم هلكوا وملكوا فقالوا أبطال السودان أيها الأمير فكيف الحيله فى الوصول اليهم والقدوم عليهم وبين أيدينا هذا البحر الذخار الذى نراه كانه يشعل النار فقال الأمير عبد الوهاب أما أنا فلا صبر لى عنهم ولا أترك والدتى وولدى وأحب الناس إلى مهجتى الامير أبو محمد البطال تتحكم فيه سيوف العدا ولابد لى أن أشرب قبلهم شراب الردا ثم أن الأمير عبد الوهاب قلع ثيابه وبقى بسراويله وأخذ سيفه ودرقته ورمى نفسه إلى البحر فنظر الأمير قراقد إلى ذلك فقال البحر شفاء وأنا أعمل مثل الأمير عبد الوهاب ثم نزع ثيابه وبقى فى سراويله كانه الجاموس

العظيم الذى مابجسده شعر وأخذ بيده سيف وترس ورمى نفسه إلى البحر ورمى الأمير قرقود روحه خلفهم وكذلك الأمير أبو المزاهز والامير ضيغم وسعاذة الاسود ومندل وكزدم وطمطم وطماطم وسحلفات البحر وأبو الغهب وجودر الصفدى وموقف الحبشى وأبو ضفدعة والاشوص وجراد ومفلح العقل وشاوب الدم وتمام الاربعين أمير من أولاد حام الكرام الضاربين بالحسام الناصرين لدين الاسلام ودين الملك العلام ولم ينزل أحد من بنى كلاب لما رأوا تلك الاهوال هذا والمراكب (ياسادة) فى القتال الشديد الذى ماعليه من مريد وقد أيقنوا بأخذ المركب ولم يكن عند الاميره ولاعند ظالم ولاعند أبو محمد البطال خبر من الامير عبد الوهاب الا كل واحد مشتغل بنفسه وان الامير جعل يصيح طالبا لهم وقد سبق كل السودان ووصل إلى بعض المراكب وتعلق به وصار فى الحال فى وسطه ونادى الله أكبر أنا عبد الوهاب وضرب طولا وعرضا وسقاهم من الموت كاسات أمر مر الصبر ونثر الرؤوس نثرا وأبادهم خمسا وعشرا فقتل من القوم من قتل وأرموا الباقين أرواحهم الى البحر وملك المركب بما فيها من العدد وما أحسوا من فى المركب الثانى إلاوقراقد وقرقود وأبو المزاهز قد صاروا فى مركبهم وعمل الصارم فيهم ونثروا الجماجم نثرا وطلعت باقى السودان فى المراكب كأنهم السلاهب وعملت القواضب وكثر الصياح من كل جانب ونادوا الروم بعضهم لبعض ياويلكم خلوا المراكب فان البحر قد انقلب أمواجه سوذان فاطلبوا النجاة وإلا هلكتم بلا محاله فعند ذلك تخلوا عن مركب أبو محمد وقد قتل منهم خلق كثير وأما المراكب التى ملكتها السودان ما بقى فيها من الروم انسان وقصد الأمير عبد الوهاب المركب الذى فيها أبو محمد وقد قتل منهم خلق كثير ونظر الى الاميرة ذات الهمة وإلى ولده فرمى نفسه عليهم وكذلك فعل بالاميرأبو محمد البطال وشكره على فعاله وقال لله درك فقد صار لك على من الايادى مالاأنهض بشكره وساروا حتى وصلوا الى الشط ونزل ظالم وفى يده رأس عقبة بتلك الشيبة الخضراء فقال لهم الامير عبد الوهاب ماهذا الرأس قالوا هذا رأس عقبة فكادت مرارته تنفطر ثم وثب إلى الرأس وجعل ينظر اليه ويتبينه وإذا به صحيح العين وكان عقبة أعور فهدأ روع الأمير عبد الوهاب وقال ماهذا رأس عقبة ألا ترون إلى عينيه صحاح فتقدم أبو محمد وجعل ينظر اليه وقال الحمد لله ماهو رأس اللعين عقبة وأنا ماأردت قتله حتى أشتفى منه ونهتك ستره ونخرب الكنيسة التى فى داره ونصلبه على باب الذهب كما أمرنا سيدنا سيد البتر وعادوا القوم الى الخيام وقد ضاق صدر الأمير ظالم كيف لم يظفر بعقبة وقال ماأقول الا أن هذا شيطان من بنى آدم هذا ماكان (وأما ماكان) من عقبة فانه لمادخل

من القبة وصار فى البيت مخفى ما يهتدى أحد إليه إذ سمع شخير البطارقة لما ذبحوهم فعلم أنه هو المطلوب دونهم فجلس وصبر إلى طلوع الفجر وعلم أن هذا فعل البطال وأنه مايقيم فى البلد إلى تلك الساعة فصعد إلى البيت فوجد الكل صرعى والشيخ شموط مذبوح على تلك الحالة فضحك وقال لقد سعد شموط بصبغ لحيته ونومه فى مكانى وأظن أن الفاعل به أبو محمد البطال ولقد ظن أبو محمد أننى أنا أنام نومة العرايس على الفرش وما يعلم بأننى أعلم بعقول الأمم وأقلب دول العرب والعجم ثم انه سحب جثة شموط إلى جانب البيت وغسل الدم ورمى ماهناك من الفرش ورد الطابق الذى على البيت وصاح صوتا فأرعب الناس فتبادرت إليه البطارقة وقالوا مالك أيها العبد الصالح قال أعلموا أننى كنت البارحة مع المسيح فى روضة المنافى جرن فى جزا وشمعون الصفا الذى فيها عيسى ومريم وأن شموط نظر إلى ذلك فقال ما بقى فى الدنيا حاجة وأنا أريد العيش السليم وقد أقام مع الحواريون فلما سمعوا الروم ذلك صلبوا على وجوههم وقالوا ياأبونا ما حال المسيح لاخذك وأخذ شموط إلا وقدامكم لصوص المسلمين يدهمون هذا الموضع ويقتلون من فيه فخلصك المسيح من اعدائك فتى نصل نحن إلى هذا المقام وشاع فى البلد قتل البطارقة وسلامة راهب المسيح فخرجوا من القصر ونظروا إلى المراكب الهاربة فى البحر وخرجت إليه المراكب كما ذكرنا وأقبلت الروم على عقبة وقالوا له ياأبونا ما بقى لنا فى الحياة راحة ولا بد لنا من الخروج إلى هؤلاء المسلمين فقال دونكم والباب أخرجوا إليهم فما بقى غير هذه الوقعة وكان قد ورد على قلبه من خلاص الأميرة ذات الهمة وخلاص الأمير ظالم أمر عظيم وفتح باب الذهب وخرجت الناس مثل الجراد المنتشر وقال لهم عقبة من قتل منكم فى هذه البلية بين الصفوف إلا عداء عبر به المسيح بالليل وأوصله إلى جزائر المنا ومن سلم حمله بالحياة إلى ذلك المكان فما فيهم إلا من رغب أن يكون اما قاتل أو مقتول فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى القوم التفت إلى أبو محمد وقال له ما سبب خروجهم فى هذه الساعة وقد كانوا محصورين قد وصل إليهم نجدة فقال البطال أعلم أيها الأمير أن عقبة الشيطان الرجيم ما كان إلا مختفى فى موضع وكأنه قد خرج بعد الذى حصل منا فى مكانه ولعب بعقول الناس وقال لهم أنا كنت الليلة عند المسيح وعند السيدة مريم ومالى من الوقائع وقد سرقت الجوار من بلاد الروم وفتحت الادبره ولى مثل ذلك كثير فقال له الأمير وما الرأى عندك ياأبا محمد فقال الرأى إن أنت فعلت ما أقول لك عليه تخلصت من كثرتهم ومن قتالهم ولا يضرك ولا يطول مقامك عقدهم بلا فائدة فقال الأمير دبر هذه النوبة بفعلك فما فينا من يخالفك فقال له طب نفسا

وقر عينا فاذا حملوا عليك الكفار فاعلم أنهم يقاتلوك قتال ما رأيت مثله قط مما قد شعب رؤسهم الملعون بزوره وبهتانه فاذا حملوا قاتلهم قليل وأطاب الهرب والفرار واقصد طريق ملطية فهم طامعون فيك من كلام عقبة فلا بد أن يتبعوك إلى الدروب فارجع عليهم فانها تكون نوبة عظيمة ما يصل منهم إلى البلد أحد فقال الأمير عبد الوهاب نعم ما رأيت ياأبا محمد (قال الراوى) واصطفت الجيشان وتصادمت الجمعان وتقابلت الأبطال وكان يوم مشهود يشيب لهوله الطفل المولود فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى الروم وقد أطبقوا على أصحابه عندها رد عنان جواده منهزما وولى هاربا ولما رأوا بنى كلاب ذلك ولو امنهزمين خلفــــه وتبعتهم السودان وصاحت بهم الروم وقد طمعت والقلوب ترجف من هول تلك الساعة وقد شقيت والدموع وقد كفت والروم خلفهم طالبين وقد أيقنوا أنهم منهزمين فتبعوهم فى ذلك العالم وقد أوسع الأمير فى الهرب وجدوا الروم خلفه فى الطلب إلى وقت الظهر ثم رجع الأمير عبد الوهاب فى سادات بنى كلاب والسودان الأنجاب وقد كشف رأسه وقال يابنى الأعمام لهذا اليوم تدخر النفوس فعند ذلك تجارت العربان والسودان وصاح دونكم هؤلاء اللئام واصبروا صبر الكرام وقاتلوا بالحسام فى طاعة الملك العلام فرجعوا سادات بنى كلاب كأنهم أسود الغاب وتبعتهم السودان الأنجاب فأشبعوا الروم طعنا وضربا (قال الراوى) فلما نظرت الروم إلى القوم وقد عطفوا عليهم مثل السباع قال قائلهم ويلكم إن القوم قد استخرجوكم وأنتم قد بعدتم عن البلد فارجعوا وإلا ما بقى منكم أحد (قال) فانهزم القوم وعملت الرماح فى ظهورهم حتى مزقت الصدور ومع بنى كلاب خيل كأنها النعام فلاوأبيك مازال السيف يعمل طول النهار إلى الليل وتفرقت البطارقة ذات اليمين وذات الشمال فما وصلوا إلى القسطنطونية إلا وقد قتل منهم مائة ألف بطريق أو يزيدون لأن أصحاب الأمير خمسين ألف ما فيهم إلا من قتل الواحد والأثنين والثلاثة وكذلك أصحاب الملك ميخائيل فلما نظر عقبة إلى ذلك فزع من مز فتح الباب وكان بالليل فخاف من ذلك خوفا من أن يدخل منهم أحد من أصحاب الأمير عبد الوهاب فيملكون الباب (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل طول الليل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد فاضت الدما على البطاح وأمتلأت الأرض من القتلا والأشباح فعند ذلك اندفعوا منهزمين على وجوههم فما أصبحوا الا والأمير عبد الوهاب قد ملك العدد والاسلاب مالا يحدولا يعــــد (قال الراوى) ياسادة ونظرت أهل المدينة الى تلك العساكر قد انهزمت فقالوا ازلم نصيح ميخائيل يامنصور والاما يكون لنا نجاة ولامنجا من هؤلاء القوم يسفكون دماءنا ولا يبقى منا راهب ولا قسيس ولا راهب المسيح

فصاح القوم عن بكرة أبيهم ميخائيل يامنصور وارتفع الصياح عند الصباح ودنوا إلى باب المدينة وهو باب الذهب وكسروا الاقفال وفتحوه ودخل الملك ميخائيل والامير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب وهم لايصدقون بذلك لان الظفر عظيم مع حملتهم على ذلك العسكر العظيم ولم يكن البطال له شغل إلا أنه خلف باب الذهب وامر ان لا يفتح باب من ابواب البلدوقال للأمير عبد الوهاب معلوم أن عقبة ماخرج من البلد والبلد قد غلقناه والموضع فقد رميناه بالرجال والابطال والملك ميخائيل بقي فى قبضتنا مايقدر يتكلم كلمة واحدة بسببه وقد عنى به الزمان وقدجرى لناماجرى بيننا وبينه وقد فعلنا فى حقه مافعلنا وقدملكناه سرير ملكه والآن نلزم الباب (قال الراوى) ياسادة فعندذلك توكل الامير عبدالوهاب بباب البلدوأقلبوا أول البلدوآخره وفتشوا القصر وجميع المواضع على عقبة فلم يجدوه فقال البطال ما هذا إلا شيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) وكان عقبة لكثرة ماحضر من الحروب وشاهد من الخطوب قد عرف غوائلها ولما التقى الأمير عبد الوهاب مع الروم بان له رجحان الإيمان على أهل الكفر والطغيان وعلم أن الأمور تؤل إلى الهلاك وأنه إذا أقام هلك فلم يكن له إلا أن أقبل على عشرين بطريق من المغلبيط وقال لهم اعلموا اننى لم أقاتل هؤلاء المسلمين إلا لأمر من الأمور وانى قد عولت أن أنزل فى بعض هذه المراكب إلى جزيرة المنا التى فيها شمعون الصفا وأصحاب مريم وعيسى وعندهم قد غدا صاحبكم شموط أخذ عندهم آية من الآيات ومعجزة من المعجزات يقهر هؤلاء المسلمين فمن كان منكم معول يأتى معى يرى المسيح فى يومه هذا فليفعل ويتبعنى (قال الراوى) ياسادة فلما سمعوا القوم ذلك باسوا الأرض بين يديه وقالوا متى يكون رجوعنا قال فى هذه الليلة لأننى لا يمكننى المقام لأجل هذه الحروب فقالوا العشرين بطريق كلنا نروح فى خدمتك إلى أين أنت قاصد قال إلى جزيرة فرغان بن مقرب وكانت هذه الجزيرة فى وسط البحر وفيها عشرين راهب فى عشرين صومعة من قديم الزمان وكانوا الناس يحملون اليهم من القسطنطونية النذور وغيرهم ويعظمون ذلك الموضع فقالت البطارقة لعقبة أيها العبد الصالح إذا نحن وصلنا اليها وقدمنا عليها ما نصنع فقال سوف أكشف لكم عن أبصاركم وترون الجزيرة التى ذكرتها لكم وهى من الياقوت الأحمر وفيها لعب من الجوهر والزبرجد الأخضر لايراها أحد إلا صفا وحار وصار ذاهل الوفا (قال الراوى) وساروا القوم طالبين الجزيرة طول النهار إلى وقت المسا والتصقوا إلى الجزيرة التى فيها الرهبان فعندها وثب عقبة إلى قربة الماء وأخذ قدحا من الزجاج وملاه من مائها وقال لأحدهم انزل فى هذا البحر حتى تطهر من هذه الدنيا وتعالى اشرب من هذا الماء وارمى روحك إلى المركب

ساعة فانه سوف يقع عليك النوم فما تفتح عينك حتى ترى الجزيرة التى ذكرتها فعمل ذلك البطريق ما قال واغتسل وشرب الماء وقد قلع الله عنه ثوب الحياة والعافية ووقع إلى الأرض لساعته وجعل عقبة يفعل ذلك بواحد بعد واحد ويمزج من ذلك الماء بالدواء المسموم حتى ماتوا الكل عن بكرة أبيهم وراحوا إلى سقر وشربوا كاسا أدهى وأمر فقال عقبة الحمد للمسيح لأننى علمت اننى قد نجوت ولم يعلم بى أحد ولا يتبعنى ولا يكيدنى ثم ان عقبة نزل من المركب إلى الجزيرة وقطع الحبل المشكوك إلى الشجرة بعد ان لبس السواد من ثياب الرهبان وغير تلك الصفة التى كان فيها ونصب قامته ولما قطع الحبل الذى للمركب أتت الرياح وضربت المركب فى لجج البحار وهى تمر مر السحاب ومشى عقبة فى الجزيرة قدر نصف فرسخ الى أن وصل إلى الصوامع نصف الليل والقناديل فى الصوامع تلمع وتسرج وفيها شيوخ وشباب مترهبين لا ينامون فى الليل ولا يفطرون النهار إلا أن عملهم كما قال الله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ثم ان عقبة قصد الى بعض المواضع فسمعه بعض الرهبان وهو يترنم بالإنجيل وكان عقبة طيب النغمة كما قد ذكرنا وقد فتح حلقا شجيا نديا منتهيا وقرأ الإنجيل كما ذكرنا فكاد كل راهب يصرع فى موضعه (قال الراوى) وتقدم عقبة الى الصومعة الثانية والثالثة والرابعة ولم يزل كذلك الى أن طاف للعشرين صومعة ومضى فاختبى فى جانب الجزيرة حتى أصبح الصباح وأشرفت الرهبان من رؤس القلايا والصوامع وقالوا لبعضهم هل سمعتم ماسمعنا قالوا ما فينا الا من قد سمع الإنجيل ومعلوم اننا فى وسط البحر وما لأحد علينا طريق إلا فى كل سنة يوما واحدا وقد عرفوا الناس هذا من طول الايام وقديم الزمان وما هذا إلا المسيح عبر بنا فى هذه الليلة اما ماسمعتم طيب تلك النغمة وحسن تلك التلاوة لانه أطلع على صدق أسرارنا وجودة صبرنا على هذا الانقطاع عن المخلوقين (قال الراوى) ياسادة هذا وان عقبة صبر الى وقت الظلام وخرج على حسب العادة الاولى وجعل يتلو الإنجيل ويبكى فأشرفوا عليه وقالوا له ياهذا الا ماظهرت لنا بحق ماتتلوه من الإنجيل حتى نعدل اليك ونقرأ الإنجيل عليك ونزداد أيضاً من بركاتك فقال عقبة ها أنا مقيم على بركة المسيح فعند ذلك نزلوا الرهبان وفى أيديهم الشموع فلما نظروا الى هيئته جعلوا يقبلون الارض بين يديه وهو يكلم كل واحد منهم بلغته ويعظمهم وهم يبكون على فعالهم لانهم من أولاد الملوك القدماء الذين زهدوا فى الملك فقال لهم عقبة لا تبكون واعلموا انكم من خيار الناس وأحب الى المسيح لانى أقمت فى بعض الجزائر هكذا مثلكم مدة من السنين وضاق صدرى فسألت السيد المسيح

أن ينقلني الى أحب الخلق اليه كيما آنس بهم فنقاني اليكم وقال لى قم الى أحب الناس الى وهم على النصرانية وقبلة الشريعة المسيحية فكن معهم ثم أخذ بيدى وطرحنى البارحة أمس عندكم ففرحوا بذلك وأقام الملعون عقبة عندهم يعلمهم شرائعهم ويقرئهم الانجيل وصار يعلم القوم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ماجرى من عقبة (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه لماملك البلد أقبل على الملك ميخائيل وقال له الآن رد الله عليك ملكك وهى القسطنطونية وملك الملعون كوشانوش ولى عليك أن تحمل الأموال إلى ملطية وما بينك وبين المأمون بالله معاملة والصلح بينى وبينك مقيم واعلم ان عقبة وحق محمد المصطفى هو الذى عمل هذه الفتن كلها وماهرب إلا حتى لاتقع عينك عليه لأنه متى وقع فى يدى صلبته على باب الذهب من غير ممانعة ولامدافعة فقال له الملك ميخائيل لو طلبت ولدى تفعل به مهما أردت وحق المسيح مامنعتك عنه فى مقابلة ما فعلته معى من الجميل وأوليتنى من من التفصيل ولك على المال الذى كنت أحمله الى الخليفة فى كل عام وهدايا أفضل من ذلك ولكن أريد أن تمن بأفضالك على وتتم ذلك بالأمير حرب بن شيبان فهو مقدم المتنصره فقال الأمير عبد الوهاب ماعندى له خبر فقالت الأميره ذات الهمة يلى أيها الأمير أنا أخذته وهو فى آمد وعلى أرسله اليك وحق ذمة العرب لاحلت عن قولى فطاب قلب الملك ميخائيل وأخلع عن الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمه وعلى كل الأمراء وأعطاهم الأموال والهدايا والتحف ماعجزت عن حمله البغال والجمال (قال الراوى) ثم أن الملعون شومدرس دنا من الملك ميخائيل وقال له أيها الملك لاعيش لخائف وأنا خائف طول دهرى أنا وزوجتى شوما وما خلصت من ملطية إلا بعد ماكنت آيس منها وأنا أشتهى أن أصطلح أنا والأمير أبو محمد البطال على أننى أحلف بالانجيل ماأتعرض له يوما من الأيام قط ويعطينى الأمان ويعطى الراهبه شوما أيضا كذلك (قال الراوى) ياسادة فضحك الملك ميخائيل وأعاد القصة على الأمير أبو محمد البطال فقال الأمير أبو محمد ان فى قلبى أمور لابد من انجازها وعلى يمين اننى لابد ان أسحب الملعونة شوما بكعبها مثل رأس الغنم فقال الملعون شومدرس معلوم انك الساعة هذه ما تقدر عليها والكريم يصون الحريم ومافى هذا الكلام الذى تقوله صواب وأنا أطلب منك الصلح على أنك عارف بى وبها ولك على حق الصلح عشرة آلاف دينار رومى مدفونة عندى فى القسطنطينية أسلمها اليك ويكون العهد بيننا إلى مدة خمس سنين ولاتتعرض لى ولا لها فقام الأمير أبو محمد البطال لما سمع بذكر المال لانت عروقه فقال نعم ولعمرى ما أنت إلا رجل ماتؤذى وكذلك زوجتك والكلام يجرى بين الناس وماعندى أنت إلا كريم الأصل والعقل فضحك الأمير عبد الوهاب وقال

ماأخرج البرطيل إلارجل حكيم (قال الراوى) ثم أن الملك ميخائيل أصلح بين الأمير أبو محمد البطال وبين الراهب شومدرس وعول الأمير عبد الوهاب على الرحيل إلى ملطية والأمير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم وبنى كلاب والسودان والأنجاب وقد أخذوا التابوت الذى فيه الأمير ابراهيم ولد الأمير عبد الوهاب المجاهد فى سبيل الله الصائم القائم وخرج الملك ميخائيل لوداعهم وسائر ملوك الروم يوما كاملا (قال الراوى) ياسادة فلما رجع الملك ميخائيل أقبل الأمير أبو محمد البطال على الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير اعلم ان فى قلبى نيران لاتطفى وأمور لاتخفى ونسير إلى ملطية ويكون عقبة قد قتل منا من قتل وأسر منا من أسر ويسلم الملعون فى هذه النوبة وما نؤثر فيه أثر وهذا مالايتم على فقال الأمير عبد الوهاب وما الذى تفعل وهذا الملعون ما نعرف له مكان فقال الأمير أبو محمد البطال لابد ما يظهر لاسيما اذا رجعت أنت ويسمع برجوعك إلى ملطية وأنا الذى لاأتبعكم وبالله لاخرجت من بلاد الروم حتى آخذ عقبة فأنت ايش نيتك ياأمير فقال إلى ملطية ولا أرجع إلى الخليفة ولا إلى غيره وان كان الأمير عمرو يطلب المقام فى ملطية فما أمنعه فاننى أرعى له العهد القديم من الآباء والاجداد وان لم يفعل ذلك فالامر اليه وان طلب المأمون منى ملطية قلت له ان كنت امام المسلمين اسكت عنها وان طلبت القتال وأحوجتنى أن أخلع العذار فما يكون لنا خليفة غير القرآن المجيد ولانخرج عن أحكامه ولانزيد عن حلاله وحرامه ووعده ووعيده وزجره ووعظه نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونقيم الحدود ونطلب القرب من أقطار الحجاز لأن العز باقى فى سيوفهم وأبذل لهم الأموال التى آخذها كل سنة من ميخائيل وهى ستمائة ألف دينار وهدية ثياب وأقدم له ولدى ظالم على سائر العساكر والبس الصوف وانقطع فى مسجد فقد فنى عمرى وخدمت من لايرعى لى خدمة ولايعرف لى حرمة ولو انفردت إلى خدمة الله تعالى سنة من الزمان لوجدت منه الأمان من النيران فما يقطع قلبى إلا خوفى من ربى لان الموت قد قرب وطريقى بعد المسير بعيد وزادى قليل وقلبى عليل وقد أذن الرحيل وقد شدت نياق التحويل وعبروا الأصحاب بأعمالهم وبقى ظهرى ثقيل وما يبقى بعد كل شىء الا الملك الجليل ثم بكا الأمير عبد الوهاب وبكت الأميرة ذات الهمة وقالت يابنى أمك أولى بالبكاء منك لأن لها أعمال لاترضاها لنفسها فكيف لربها ثم قالت والله ياولدى ماكنت أخترع الوقائع وأخوف المعامع الاطلبا للجهاد فى طاعة الله فهو أصلح لك فما وفالك احد من الخلفاء حتى يفى لك المأمون وأنا أيضا أفعل مثل فعالك فودعهم الأمير أبو محمد وهو يبكى لفراق الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه وهو ينادى وقد رفع طرفه إلى السماء وناى يارب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشعر الحرام لاتحشرنى يوم

القيامة الا مع الأميره والأمير وقال والله لاأتزهد حتى أسلخ عقبه وبعدها مالى فى الدنيا حاجة إلا لقاكم ثم أخذ غلمانه وكلما يحتاج اليه من حوائج حيله وطلب قرية البترك وهى من كبار قرى القسطنطونيه وفيها عالم عظيم وأقام هناك يتنسم الأخبار ويقفوا الآثار وسار الأمير عبد الوهاب حتى وصل الى ملطية وهى خالية وقد أشرفت بنى سليم وأولادهم ونساءهم فلما نظروا إلى الوطن بكوا من فرط الفرح بالعوده اليه ودخلو بنى كلاب ومعهم الرجال والأموال وأرسلوا الأمير عبدالوهاب إلى آمد إلى ميمون الجماس يأمره ان يسير نساءهم ورجالهم الى ملطيه ويعرفه بما فتح الله على يديه من الظفر والنصر والغنائم وان يطلق حرب بن شيبان ويرسله إلى القسطنطونية فلما وصل الرسول إلى ميمون الجماس فرح بذلك فرحا شديدا وسارت الأميره علوى وهى مشتاقه إلى الأمير إبراهيم وكان محبوبا إلى قلبها لاينقطع ذكره عن لسانها ولم ترزق من الأمير عبد الوهاب غيره وكان ريحانة قلبها فما كانت صورته تغيب عن عينها حتى إذا وصلت إلى ملطية وجدوا بنى كلاب والسودان الانجاب قد ملكوا الأماكن ومعهم الأموال والرجال والجوار الروميات حتى ضاق منهم الفضا وسدوا البيدا وشرعوا فى اعادة ماخرب من ملطية وعادت أعمر ما كانت (قال الراوى) فلما قدمت الأميره علوى إلى دارها والتقت بالأمير عبد الوهاب واعتنقتها وادارت عينها ذات اليمين وذات اليسار فلم ترى ولدها ابراهيم فقالت واين ولدى وحشاشة كبدى أيها الأمير فبكا لقولها فصاحت ومسكت بيديها احشائها وقد أحسس قلبها بالفراق وحانت منها التفاته فنظرت التابوت فمالت اليه فأخبرها الأمير بالحال فأرمت روحها اليه وصاحت وصرخت ونادت واحبيباه ياولدى ماهذه عادتك إذاقدمت من غزاتك ابن محبتك وشوقك إلى ياواحد أمه ياابن المنقطعه ياغريب عن وطنه ياقتيل الغربة ياجديل الوقعة ثم أنت وحنت وبكت وأنشدت تقول

ألا لا يلمنى عاتب وعذول ... فقلبي مريض والفؤاد عليل
وشوقى نيران وعقلى مؤول ... وعيشى مذموم لديه عليل
وكيف يلذا العيش من بعدما اتى ... حبيبى إبراهيم وهو قتيل
فيا واحدى بالله الا اجبتنى ... ورق لقابى فى الأنام كليل
يعز علىّ أن نظرت لمقلتى ... خيول عليها فى الهياج تجول
وكنت إذا ماجئت من بعد غزوة ... تبشرنى دارى بكم وطلول
وقد اصحت دارى عليم حزينة ... ولى فى أثرها زفرة وعويل

لقد كنت صوام النهار مراقبا ... وليلك قوام وأنت نحيل
فياقاتل ابراهيم إلا رحمتنى ... فمالى سواه مؤنس وخليل
ألا فاكشفوا تابوته كى أضمه ... فمالى إلى صبر عليه سبيل
ألا وأخبرونى هل تخضب عارضا ... له بدم الاوداج وهو جديل

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انقطع خاطرها لما وصلت إلى هذه البيت وقالت عليك سلام الله ياإبراهيم ووقعت إلى الارض مغشيا عليها ولا بقى طرفا إلا وبكى ولا قلبا إلا أقلقته ولافؤاد إلا أحرقته فلماأفاقت وكان الأمير أمر أن يرفع التابوت عنهاوما أفاقت الأميره علوى الا وقد دفن فى ملطية على باب الباب الشرقى وبنيت عليه قبة عظيمه وانقطعت الأميره علوى إلى مجاورة قبره وقدأقام الامير عبدالوهاب للعزاء ثمانية عشر يوما وهلبت الخيل وكسرت السيوف والرماح وحزنوا بنى كلاب نواصيهم وكذلك السودان أقاموا بالبكاء والنحيب على قبره وكان موت الامير إبراهيم ودفنه فى مشهد عظيم وذبح الامير عبدالوهاب الذبائح وعقر الخيل وكذلك الامير عمرو بن عبيد الله وأكلوا الناس وأطعموا الفقراء والمساكين وتصدقوا على قبره بأموال تعجزعنها الالسن فبينما هم كذلك واذا بالحجاب قد أتت ومعها الكتب من المأمون إلى الامير عبد الوهاب فلما وقف عليها قال والله لولا انكم رسل لضربت رقابكم ثم التفت إلى الاميرة وقال من يلومنى على مصالحة ملك الروم فقالت أيها الامير ما الذى أتاك من الاخبار فقال سوف يكون هذا سبب سفك الدماء وارمال النساء فقالت اعلمنى ياولدى ماالخبر حتى أشير عليك بماتراه (قال ياسادة) فأرمى اليها بعض الكتب وإذا فيه (أما بعد) أيها الامير الخطير الحمد لله على ماأولاك من الظفر بأعداك وذلك بحسن صبرك وجزيل رأيك ولقد نلت عند الله المنزلة العالية بقتلك كوشانوش ونلت الثواب العظيم يوم تكون الجبال كالعهن المنفوش ومع ذلك فانى لما خرج كوشانوش إلى العراق كانت طريق خراسان مسدودة بالثلج فماقدرت العساكر يظهر فتم له ماتم لانقطاع العساكر عنى وقتل وزيرى أحمد بن سهل وقد نصبت مكانه أخوه ذو العلمين وجمال الدولتين فى موضع الوزارة وقد وصل الينا الخبر بما قد وصل اليك من الاموال والرجال ولنا منه الخمس ونريد خط ميخائيل على حمل المال الينا فى كل عام وان أبى فسوف أرميه وتربة الرشيد بعساكر أولها عنده فى البلاد وآخرها يأخذون الزاد من بغداد وقد انفقت جميع المال فى قتال كوشانوش وقد جمعت الرجال من الآفاق وأنا أريد منكم الساعة الاموال التى هى من ميخائيل والخمس مماوصل معك فقد وصل الى الجاسوس وأخبرنى بأن الطمع ألتى قول زينة ابليس

من عينيك وصالحت ملك الروم على أنه يحمل الاموال اليك وهذا مالا أرضاه لك ولا أصدقه منك فان كان ذلك بحقيق وذلك يؤول إلى الصدق فاستعد للحرب جلبابا وللمسألة جوابا فانى سائر اليك بعسكر قد ملأت الآفاق من شام وعراق وإن أنت أرسلت مالنا عندك من الأموال وكاتبت ملك الروم أن يعود إلى ماكان عليه من حمله المال الينا فأنت عندنا فى أعز مكان ولا ترجع إلى قول حاسد ولا تصغى إلى قول معاند والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى وتقرب إلى قلوب بنى عم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما وقفت الأميرة على الكتاب قالت اعلم أيها الأمير انى قد ضجرت من الحرب وماأريد قتال المسلمين والصواب انى أكتب اليه كتاب وأذكر فية كلام وخطاب فان رضى به وبما فيه فهو الذى نريد والا فليصنع بعد ذلك مايريد ثم أحضرت دواة وقرطاس وكتبت إلى المأمون بخط يدها تقول فى أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (أما بعد) أطال الله عز مولانا الامام ابن الامام الصوام القوام صاحب البردة والحسام الذى اختاره الله للمسلمين امام الزاهد العابد المجاهد أدام الله عزه وخذل ضده ثم دعت له فى الكتاب وقالت فى عقيب رعائها ياأمير المؤمنين ان الأموال والرجال الذين لولاهم كان كوشانوش استولى على بلادك وسبى حريمك وقتل أولادك وغير عليك مرادك وأشمت بك أعاديك وحسادك وأيضاً أيها المولى أنت تعلم أن القوم كانوا انهزموا بين يديك من البصره والذى وقع لعبد الوهاب جمع به الرجال يكونوا برسم القتال لانك تعلم ان هذه النوبة التى أردت قبضه فيها وقتل عشرة آلاف فارس ولهم معك بين يدى الله وقفة طويلة وكنت قد ذهبت دولتك وزالت نعمتك ومهجتك فوافقناك وبلغناك مناك وأما قاضيك الذى هو ركن الاسلام عقبة فقدشهد عليه الملك ميخائيل وجميع أهل دولته بالكفر والتعطيل وأحسب ياأمير المؤمنين انما نحن فى الدنيا ودعنا فى ملطية فى وجوه الكفره لالك ولا عليك ولا تلح علينا فيخرج الأمر من يديك ويدينا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كتبت الأميرة ذات الهمة وقرأه الأمير عبد الوهاب فأعجبه مافيه من الخطاب وأقامت الأميرة تنتظر رد الجواب ووصلت الكتب الى العراق ووقف عليها المأمون ورماها الى الوزير ذو العلمين الحسن سهل وقال له ماتقول فى هذا الكتاب فقال الوزير ياأمير المؤمنين ان الصدق أفضل الأشياء وأعلاها وأجمل الأقوال وأبهاها ومانصبتنى لك وزير الاحق أقول لك مافيه الصواب لتعمل عليل ومافيه الخطاب اعلم أن دولة بنى العباس ماكان سبب سعادتها الابالأمير المهاب والفارس الوثاب الاجل عبد الوهاب وله الخدم القديمة والأفعال

العميمة وبعد ذلك مافيكم من يرعاها وعرف قدره وما عملت معه فى هذه الأيام مكرمة أردت القبض عليه سلط الله عليك وقد قتل من سودانه من قدعلته من الأبطال وهلكوا طائفة البررة وقد كان منهم رجال وأشرفت أنت على الهلاك وقتل أخى فى محبتك ورضاك ولا تقل كوشانوش هو الذى فعل وصنع فلوكان عبد الوهاب فى ركابك لم يقدر كوشانوش يعبر ملطية والا فقد خلص الآمير وأصحابه من فم الآسد بعد ما قاسوا مالا قاساه أحد وقد رضوا بالمقام فى تلك البلد والرأى عندى ترسل لهم التشاريف والخلع والخيل والجنايب والسيوف والمراكب فوالله لانشأ لك مثل عبد الوهاب أبدا فلا تخوفهم بوزن الأموال وسير الرحال ودعهم يكونوا فى الثغور يحاموا عن دين الاسلام والملك الغفور حتى تتم لك الأمور وتبقى ماعشت مؤيدا منصورا فلا أفلحت دولة يكون عبد الوهاب لها مناويا وقد علمت منزلة من يكون لها معافيا فانه محامى عن دين الله مجاهد فى سبيل الله فدع عنك يا أمـــير المؤمنين الردى واطلب طريق الرشد والهدى والا فسوف تسأل فكيف الاعتذار بين يدى الله غدا وقد نصحتك ورأيك أعلا فلما سمع المأمون ذلك من كلامه علم أنه صواب وقال له بلين الخطاب ماأظن أن عبدالوهاب يرجع الى طاعتى بعد هذه النوبة التى جرت عليه بسبب حركتى وقتل ولده إبراهيم فى ذلك الموقف العظيم فقال له الوزير يا أمير المؤمنين أنا أقدر بعون الله أن أفعل فعلا يكون فيه الصلاح ولا تعرف رجوعه الى الطاعة الا منى لانه كريم الحسب والنسب من أشرف العرب لايعمل معه الغضب فقال المأمون كذلك ففتح ذو العلمين الوزير الخزائن وجمع الهدايا والخلع والرايات مالا يقع عليه أحد بعدد الرمل والحصى لسائر بنى كلاب والسودان الانجاب وكذلك لامير الروم البطليموس والكندفرون والخيل والنخافيف وكتب إلى الامير عبد الوهاب يستعطفه ويعزيه فى ولده ويذكر له ماجرى مع المأمون من كلامه والضمان الذى ضمنه وانه بعدذلك يكون عند الخليفة فى الامكان وهم الوزير أن يرسل الكتاب وإذا بغلام قد خرج من دار السيدة زبيدة إلى الوزير وباس الأرض وقال يامولانا معلوم ان القاضى عقبة فقيه المسلمين ماله من أميال عند الروم وهى ما تلزمك فيه بشىء بل تشتريه بمالها وتبغى بذلك مرضاة الله تعالى فلما سمع المأمون ذلك من السيدة زبيدة قال سمعا وطاعة فلك أن أسال الأمير عبد الوهاب عنه (ياسادة) وسير الخلع والتشاريف إلى ملطيه مع ولد الوزير وكان ولد نفيس فاضل أديب ماجد ووصل كتاب الطائر إلى ملطيه قبل ذلك وقد انتظرت الأميرة والأمير لقدومه وركبوا إلى لقائه لما بلغهم من كلام أبيه فى حقهم (قال الراوى) ياسادة

باكرام ووصل طاهر بن الوزير بتلك الخلع والتشاريف وغير ذلك وكان الذى وصل إلى ملطيه من المال مائة ألف دينار بصناديقها سوى الخيل والرايات والهدايا ولبس الأمير الخلعة وكذلك الأميرة وأمراء بنى كلاب والسودان الأنجاب ومن يلوذ بالأمير من الإخوان والأصحاب وانتظروا بنى سليم الخلع فما كان لهم فيها نصيب فدخل الفهار الجهال إلى عمرو بن عبيد الله وقالوا له ماترى ان الخليفة ما ذكرنا مع من ذكر فقال عمرو دعواءكم لطامع ولا ترجعون إلى حسد هؤلاء القوم فقد عملتم معهم كل قبيح وقابلوكم بالجميل (ياسادة) وأما الامير عبد الوهاب فانه قال للأميرة ماتقولين يا أماه فقالت يابنى لا تخيب ظن الوزير فانه قد أحسن الظن فيك ولعل الله قد أخلف لنا عوض الوزير جعفر البرمكى رحمه الله فأجاب الأمير بالسمع والطاعة والخدمة وقال مضى مامضى وأنا العبد والخادم وكان قدمنع خطبة المأمون فعاد خطب له ثم ان طاهر بن الوزير قد عول على الانصراف فأقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له هذا كتاب السيدة زبيدة اليك وهذا كتاب المأمون وهم يسألونك عن القاضى عقبة وهو يقول معلوم ان الرجل كان معنا مأسور فى بلد الروم ومع ذلك فما عندى الله منه خبر ولنا أسوة بأخى وصاحبى البطال وماعندى منه خبر وسوف أرسل إلى بلد الروم وأسأل عن ذلك ورجع ولد الوزير إلى العراق هذا جرى من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه أقام فى قرية البترك شهرين لم يسمع لعقبة خبر ولا وقف له على أثر فلما كان فى بعض الأيام نظر إلى قوم من أهل القرية طرحوا فى البحر عشر مراكب كبار وملؤها غلة وعسل وخمر وزيت فتقدم أبو محمد إلى رجل منهم وقال الى أين تريد هذه المراكب فقال الى جزيرة الرهبان ووصف له حديثها وكان أبو محمد البطال قعد فى هذه القرية متزى بزيهم على صفة الأرمن وعليه لحية بيضاء قد هندمها وأتقنها بشىء لايهتدى اليه إبليس ولا يقدر عليه راهب ولا قسيس وقد ترك غلمانه كصنعته ولا سيما لؤلؤ كان يشبهه بكل نوع وباقى الغلمان يلحقونه بالمكر والحيل فقال أبو محمد فهل يمضى إلى هذه الجزيرة سواكم فقال أقل مايكون فى هذه الجزيرة ألف ألف مركب من سائر بلاد الروم فقال أبو محمد البطال ان صدقنى حذرى ان كان عقبة الا فيها ثم انه أخذ معه كلما يحتاج اليه من آلة الحيل والمكر ومن المسك والعود والشمع والثياب ووضعه فى بعض المراكب وأقلع من يوم الخميس فأصبح يوم الجمعة وقد اصطفت المراكب وطلع كلها على الجزيرة ونزلت الناس من المراكب وحملت النذور وان أبو محمد قال والله لقد رأيت من الأموال والرجال والزادمالا عين رأت ولا أذن سمعت ثم قال والله ماوطئت هذا الموضع وأخاف أن عقبة ماخفيت أخباره

فى بلد الروم إلا وهو فى هذا الموضع وماجئت الى هاهنا الا لامور إما أراها هنا وأظفر بالشيخ السوء عقبة لأن الناس على ماقيل ان من يقيم ههنا مايمضى الى العام الآتى فاتركوا من ينزل على سبيل الخفية ويكشف خبر هذه الجزيرة وأهلها فقال لؤلؤ أنت يامولاى مالها سواك فقال مالها غيرى ثم وثب وأشرف مع الناس على الموضع وقد أخذ معه شىء من الزاد وشمع وزيت وجعل يفرق على الرهبان ونظر إلى صومعة وقد أحدقت بها الناس من كل جانب فسأل عنها فقالوا أن راهب وصل إلينا وقد عول على الرهبانية عندنا وأعادوا عليه الحديث فسار أبو محمد وجعل يستتر بالأحجار الصوامع خوفا من عقبة حتى وصل قريبا منه فوجد عقبة قد كبر أردانه وأرخى طيلسانه وجعل أكمامه على نخذيه مرميه وقد مشط لحيته وهو يتلو الإنجيل بأحسن الألحان وأطيب الأشجان وقد رمت القسوس والرهبان خدودها على التراب يطلبون العفو من رب الأرباب وهو يقول قال المسيح قالت السيدة مريم فعند ذلك رجع أبو محمد على أثره إلى أن وصل إلى غلمانه وهو على غاية المسرة وقال هذا الذى أريد فقالوا له غلمانه ما الذى رأيت فقال عقبة ها هنا وقد صار مقدم القوم وهذه النذور كلها تحمل اليه وأعطيته شمعة وهى أيشم شمعة وقعت فى يده فى هذه السنة فياعجباه الذى ماعرفنى ولا تميز فى وجهى ولا أظنه الا أمن طلبى له فالحمد لله على ذلك وجعل يترقب الليل حتى يأتى فلما جن الليل وثب قائما ومشى صوب الصومعة التى فيها عقبة وكانت مبنية من الصخر الأسود ذكر فى أنثى ولها باب من الحديد ولا سبيل إلى دخولها ولا طريق عليها ولا نقب ينقب ولا لأحد عليها سبيل فرجع أبو محمد إلى غلمانه وقال أما الليلة فمالنا إليه وصول لأن الملعون محترز فى السفر والحضر كذلك فى النهار وعزة الله لارجعت من هـــذه الجزيرة بعد هذا التعب إلا به ولابد أن يطول على المقام فى هذه الديار ولو بقيت ههنا عمر النسور كله فاما ان أظفر بمنائى وأما أن أموت بدائى وأقام الأمير أبو محمد كذلك ثلاثه أيام إلى ليلة الأحد وقد أيس من الوصول إليه فجمع غلمانه اليه وقال لهم قد عولت على المقام ههنا حتى أصل إلى ما أريد أو يملكنى هذا الشيطان المريد فهو معهم فى هذا الكلام وإذا براهب نزل من بعض الصوامع ومعه رهبان فالراهب الأول شيخ مليح وهو حلو اللسان ووراءه وقد كانوا عند القاضى عقبة فى الصومعة التى وصفناها ولم يزل ماشى إلى أن وصل إلى أن وصل إلى المركب التى فيهـــا أبو محمد البطال وغلمانه فوقف هنالك وقالوا الاثنين الآخرين هذاهو المركب بعينه فأنكر ابو محمد هذا الأمر وقال لغلمانه مامعنى هذا الكلام فقالوا ما يعلم السراير إلا الله تعالى فقال الأمير أبو محمد البطال والله ما هذا إلا أمر

عظيم ولقد رأيته الساعة وهو خارج من الصومعة التى فيها عقبه لعنه الله ووقف ينظر قال فلما وصل الراهب إليهم وصار معهم بحيث أن يسمع كلامهم فوقف قريبا من المركب ونادى ياأبو محمد أظهر إلى الماهر الذى فما هذا فعال من يجيء إلى هذا المكان فشال الأمير أبو محمد رأسه وقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فنادى أحدهم يا أبو محمد دع عنك التغافل فأنت أبو محمد وهذا لؤلؤ وهذا سبك وهذا يانس بلا محالة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك أقبل على الراهب وقال له ويحك أيها الراهب ما هذه الأسماء التى تنادى بها ونحن لا نعرفها وكان أبو محمد يكلمه بالرومى المغلق حتى كأنه من خلف الجزائر السبعة عشر وقال الراهب وحق دينى انك أبو محمد وهؤلاء غلمانك كما قال الذى أنفذنى اليك وعرفنى بك وبأصحابك هؤلاء الذين بين يديك فأخرجوا الى حتى أقول لكم ما تعود به حياة أنفسكم وأقول ما قيل لى فلما سمع أبو محمد ذلك أقبل على غلمانه وقال بان الامر وعلم الملعون بنا وماسكت عنا الا علم ان الهوى لايصلح لإقلاعنا عن الجزيرة ومالنا الا الهرب سبيل وقد أرسل هذا الراهب الينا يظهر انه قدر علينا وأنه قد أمهلنا وما بقى فى الامر الا اننا ندفع المال وهذا الالف دينار الذى سرقناها من ضيعة البترك من دار الوالى لهذا الراهب ونطلب منه الامان وان يخفى أمرنا الى وقت يطيب الهوى لاقلاعنا فهو كذلك والراهب قال لهم ياهؤلاء انزلوا فالحاجة التى جئت فيها لكم قد قضيت فعند ذلك صعد الأمير أبو محمد ولؤلؤ وسبك وبديع قال فلما رآهم الراهب ونزلوا مشى بين أيديهم وعلم انه البطال وغلمانه فقال لهم الراهب اتبعونى ياحملة القرآن ياصوامين شهر رمضان فتبعه أبو محمد وغلمانه وهو مفكر فى هذه القضية الغريبة والأمور العجيبة ولم يعلم باطنها ولم يزل بهم الراهب حتى وصلوا صومعة منفردة عن الصوامع ثم أقبل على إحدى الشابين الذين معه وقال لهم ياأولادى أأتونا بالوضوء فقد آن وقت العشاء فغاب واحد وأتى بالوضوء ثم أقبل الراهب على الأمير ابو محمد وقال له اسمع منى ما اقول قبل ان اطلعك على الامر فأنا أشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الشفيع لمن صلى عليه من امته وان عيسى روح الله وكلمته

(قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا حصل من الراهب ومن معه وأبو محد البطال حار فى أمره وعقله وتبلبل خاطره من فصاحته وارتعش جنانه وضربت أسنانه من خوف الله تعالى لانه لايعلم ما السبب فى ذلك ثم أنه أقبل على الراهب وقال له أيها الشيخ كل أمرك عجيب وأريد أسألك عن معرفتك لى فقال الراهب اعلم يامولاى أن

إلى ههنا عشرين سنة ولى هذين الشابين وهما أولادى الذى أصول بهما على الدهر فلما كان هذه الليلة الماضية غلبتنى عيناى فرأيت فى المنام شخص يمشى على وجه البحر ومن حوله جماعة وهو ذو حسن وجمال وهيبة وكمال فسألت عن القوم من المقدم عليهم فقالوا هذا السيد المسيح فتقدمت اليه لاسلم عليه نصاح وقال لى أرجع يامن غضب عليه الملك القدوس فقلت له أنا من المنفردين فى هذه الجزيرة فى طاعتك فقال لى يامسكين قد هبت ريح الشقاوة على شجرة أعمالك فبقيت بلا ظلال فقلت وكيف السبيل إلى النجاة فقال لى اتبع النبى الامى التهامى القرشى المدنى الذى مكتوب اسمه فى التوراة والإنجيل الذى ختم الله والأنبياء بنبوته وسبح الحصا فى راحته وأنا أرجو النجاة يوم القيامة بشفاعته إن مريم يوم القيامة تفتخر بفاطمة ابنته فقلت وكيف أفعل ياروح الله وكلمته فأشار بيده إلى شخص عن يمينه عليه أكبر الكمال والجمال والهيبة والبهاء والدلال تضرب به الأمثال فقال لى ذلك الشخص بعينه قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فقلتها ثم أخبرنى بنفاق عقبة الملعون وماقد أعد الله له من انتهاك الستر وما أعد الله له من العقوبة فى دار الآخرة والاصاب على رؤس الأشهاد والفضيحة يوم الميعاد وكذلك فى الدنيا بين العباد ثم قل لى أيها الراهب حقنا اليوم عليك واجب ولنا اليك حاجة وهو أن رجلا من أمتى وصل اليك واسمه أبو محمد البطال ومعه غلمان له فلان وفلان وقدموا فى طلب هذا الملعون الذى كذب برسالتى ولم تصدق قولى ونبوتى ويستبيح دماء أمتى ويخرب ديار أحبتى وسوف يتحدث اليك بين يديك بما يهتك الله به ستره ويكشف للناس مكتوم أمره فاذا أفقت من منامك أعرض الاسلام على ولديك فان الله تعالى قد هداهم واذهب أنت إلى مركب وناده باسمه وعاونه على خصمه ثم أنى أفقت وأنا مسرور بما فتح الله على من جميل الامتنان وجزيل الاحسان وعرفنى الهدايه والايمان وأخبرت أولادى بما رأيته فى المنام فلم يصدقونى وقالا لى قم بنا إلى المركب الذى وصفت فان كان الرجل هناك كما قد ذكرت فنحن نتبعك فيما أخبرت ونعلم أن مقالك صدق وهما معى فلم نزل إلى أن وصلنا اليك والآن فها أنا بين يديك وولدى أسلما لما صدقت لهما فى علمى ومع ذلك فانى أبوهما ونحن بحكمك فافعل ماشئت فنحن بين يديك لأجل حاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿تم الجزء الثانى والثلاثون ويليه الجزء الثالث والثلاثون﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثالث والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقال الأمير أبو محمد وقد جرى دمعه على خديه وقال الحمد لله على كل حال الذى رضينى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أكون من أمته ثم قال اعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ماقال انه يريد ان يقربنى بين يديك بأمور فيها فضيحته الا وسوف يكون ذاك وقد ضاق الوقت وما يتم لنا شىء حتى تمضى هذه المراكب فى غداة غد فاذا لم يبق أحد منهم تدعوه الى صومعتك ونكون فيها مختفيين ثم تتحدث معه فاذا انبسط معك فى الحديث قل له اعلم انى رأيت السيد المسيح فى المقام الاعلى وهو يقول انك أحب الخلق اليه وانك المجاهد فى بلاد الإسلام وان حلولك ومسكنك فى بلاد الإسلام فى ملطية واسمك عقبة يقول لك أبشر فقد قرب ظفرك بالاعداء ووصولك إلى ماتهوى وهلاك الاسود وأبو محمد البطال وتبلغ ماتريد فانه إذا سمع هذا منك فلا بد له أن يتحدث معك بمساويه كما قال رسول الله ﷺ (قال الراوى) فأقبلت المراكب من كل جانب وودعت الرهبان وعادت طالبة ديارها ومشوا الرهبان إلى بعضهم وكان هذا الراهب الذى قد أسلم قبل قدوم المراكب وعقبة بيوم واحد وان الراهب دخل على عقبة فقام له قائما وأكرمه غاية الإكرام فقال له أيها الراهب والشيخ العالم والرجل الناصح أريدك الليلة تكون عندى فى صومعتى فقال عقبة وحق المسيح ان قلبى يحب طاعتك ثم قال حبا وكرامة ثم أن عقبة أتى معه إلى صومعته فلما استقر به الجلوس جعل يحدثه ويضاحكه وقال أيها الشيخ الصالح قد رأيت البارحة السيد المسيح وهو يقول لى عنك كذا فقال له عقبة وحق المسيح لقد صدق فى كلامه ولقد كنت فى شك حتى

أتيتنى بالعلامة والبراهين وكان الراهب قد علمه البطال مايقول له وعلمه علائم ودلائل فقال عقبة اعلم اننى أقل ماعلمت فى بلاد الإسلام أن لى فى ملطية تحت الأرض كنيسة فى دارى فى الجانب الأيمن وكنيسة أخرى فى الجانب الأيسر وهى تحت عامود السور وفيها مذبح وهى مبنية بالرخام والذهب والفضة والزمرد وغير ذلك وقد أنفقت عليها أموال لاتحد ولا توصف وعليها الصلبان معلقة والسيوف وفيها بئر لايعرف له قرار وقد قتلت فيه من المسلمين بعدد النجوم فى السماء وأكثرهم من بلاد الحجاز وخرسان وغيرهم ومن قدرت عليه من أهل ملطية خلقا لايحصى وأيضا لى كنيسة أخرى فى ملطية تحت الأرض وفيها خمسة وأربعون قسا من خمسة عشر إقليم يكفرون بدين الاسلام وأنا أطعمهم وأسقيهم الخمر وأنزل اليهم فى ظلام الليل وربما قمت عندهم تحت الأرض الشهر والإثنين وربما عملت على تجار المسلمين وربما عملت على قتل المسلمين وانزلتهم اليهم واقطع رؤسهم واعدامهم نفوسهم كل هذا أيها الراهب أجاهد فى سبيل دين المسيح لعلى أنال منه الثواب الراجح وأكون لديه ناصح فقال الراهب وقد أشار اليه البطال من داخل الخزانة وقد طار قلبه من الفرح قل له أين هذه الكنيسة الاخرى وفى أى موضع من ملطية فقال له الراهب ذلك فقال عقبة هى فى مطية وما يحتاج إلى كشف السؤال فقال الراهب لعقبة لعل المسيح يسهل لنا زيارتها فقال هى قريب من دارى فى الجانب الآخر من غير المكان (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يكون فى الارض أكثر جدالا من عقبة ولا أخبث منه وانه لما نظر إلى تفتيش الراهب عليه وكان اسمه عبد المسيح وولده عبد الصليب والآخر عبد مريم فلما سمع ذلك كان كأنه نائم فاستيقظ وأنكر لجاجته عليه وسؤاله وقال فى نفسه لقد أنكرت أمر هذ الراهب من ثلاثه أوجه أحدها أنه ما أجابنى قبل اليوم إلى موضعه والثانى سؤاله لى فى هذه النوبة والثالث تفتيشه على فى الكنيسة والرابعة انى أرى المراكب كلها قد أقلعت إلا مركب واحد ملصق إلى الجزيرة وإن صدقنى حذرى ولم يكذبنى خاطرى فقد وصل أبو محمد البطال إلى ههنا وحق المسيح لامحالة وما رأى لى هذا المنام إلا حيلة وهـــذه مناصبه ومكايده لأنه كثير الإحتيال عجيب الأعمال كثير المحال ومالى إلا أظهر لخارج الصومعة كقضاء حاجة وأمضى إلى صومعتى وأفتش عن هذا الذى خطر بنا فان كان صحيح فقد قرب هلاك أبو محمد البطال فوثب عقبة أن يخرج من الصومعة فأومأ ابو محمد إلى الراهب وقال اعلم انه قد عول على الهرب فقال الراهب ماله إلى هـذا السبيل لأن الباب قد أغلقته وهو من الحديد ثم قال الراهب إلى اين أيها العبد الصالح والرجل الناصح

قال أريد أمضى إلى حاجة لابد منها فقال الراهب مالى إلى فتح الباب سبيل لأن المسيح قد قال إذا حصل عقبة عندك فى هذه الصومعة فلا تدعه يخرج حتى يحدثك بحديث هذه الكنيسة التى فيها الرهبان التى إلى جانب داره التى فيها العامود فقال عقبة افتح فما اقول لك اين هى ابدا ولو حضر المسيح فعندها صاح البطال وخرج كأنه مارد من الجان ونادى ياقرنان لم يحضر المسيح فنحن بعض تلامذته وجرد بيده خنجرا يأخذ بالبصر ونظره عقبة وإذا به الأمير أبو محمد البطال فلما رآه غاب رشده وخرج اوّاوّ من الجانب الآخر وكذلك سبك ويانس فلما نظر عقبه إلى ذلك اقبل على نفسه يلومه وقال مالى وللجزائر كنت قعدت فى أرض اليونان أو بلاد الحبشان ثم التفت وقال ويلك ياابو محمد وصلت إلى حيلتك إلى ههنا الآن خلنى فى هذه الجزيرة حتى اعطيك وحق المسيح ثلثمائة ألف دينار وكلما كسبت فى هذه السنة فقال البطال دع عنك الخداع ثم قال لغلمانه خذوه فأخذوه أسرع من طبق الجفن وقلع عوارضه والدقن وكانت ليلته أيشم الليالى عليه وطرح الجنزير فى رقبته والاكرة فى فمه والقيد فى رجليه وكان الهوى طيب للأقلاع وأقبل البطال على الراهب قال له ما الذى ترى تقيم ههنا أو تمضى معنا فقال له الراهب اعلم يا أبو محمد إنى كنت على طريقة وهى غير الحقيقة مصاحب الرهبان المنفردين عن الأوطان فكيف الآن وقد عرفت خالق الإنسان فقال البطال اعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم يقول لارهبانية فى الاسلام وأنتم قد أسلمتم لله تعالى ولا ينبغى لكم الرهبانية بل تسيرون إلى بلد الحنيفية فقال الراهب إلى أين تمضى فقال نمضى إلى أى موضع أردت وعلى أى طريق شئت والواجب عندى أن نسير إلى السويدية ياراهب ولوأقمنا فى البحر ماأقمنا وعليك الأمان من كل ماتخاف شره وروحى مبذولة دون روحك فلاتخاف من أحد فقال الراهب اعلم ان الهوى قد طاب وغدا يطلبون الرهبان الشيخ السوء فايرونه وربمارجع وانفلت من أيدينا ودبر على هلاكنا ومالنا إلا المسير وسرعة التشمير والاتكال على الملك القدير فقال البطال هذا هو الرأى الصواب ثم انهم قاموا من ليلتهم وطلبوا المراكب ورفعوا عقبة وكلما يحتاجون اليه من الزاد والماء وغير ذلك وقد سماهم الواحد عبد القدرة والآخر عبد الله وسمى نفسه عبد الفعال لما يشاء ورفعوا عقبة فى المركب وقد انفطرت مرارته ودامت حسرته وأيقن بالهلاك وسوء الارتباك وشرع البطال له القلاع وملأ القلع وطلب السويدية من بلاد الله تعالى وأقام كذلك وقد طاب له الهوى ثلاثة أيام ثم هبت عليهم ريح أسود صرصر عاصفة مزعجة فانزعج البحر وهاج وأزبد واصطفقت أمواجه وثار العجاج وارتفع قسطل الهياج وأزبد طياره وعظمت زخاره وطار شراره وأظلم

مناره وسبحت حيتانه وطلع من القرار ماله وزادالبحر سواد حتى صار مثل ظلام الليل وغلقت الملائكة الموكلون بالبحر أديال سواحله وقد كان ذلك الوقت فى أشد ما يكون من الحركة وقدكاد ان يفرق مافيه بزلازله وغوائله فمنعت الملائكة من مراده لما سبق فى المشيئة من سلامة خلق الله تعالى وحياة عباده هذاوالبطال ينادي ياسلام سلم والراهب يقول يامنجي نجي وغلمان البطال ينادوا العفوالعفووعقبة يقول ماكان المسيح يغفل عنكم حتى تصلون سالمين وتبلغوا منى المنا وتشمتون بى الأعداء ولابد للسيح مايفرقكم وتأكلكم حيتان البحر فعندها وثب البطال وطلب عقبة وجعل يلطمه على وجهه ورأسه من كثرة غيظه وحنقه وقال ياملعون وايش هذه القدرة التى للسيح حتى يقدر على هذا البحر الزاخر الذى ليس له أول ولا آخر يهيجه ويسكنه وإنماهومدبر بالقدرة ومكون بالمشيئة قد حفت به الملائكة الكرام الذى جعلهم اللهخدام فى الضياء والظلام عقبة هذا مالاأسمعه ولايقدر هذا الا الذى أحي الموتى من القبوروخلق من الطين طيور وأقام الموتى قبل النشور وله هذه الأمور وجعل يصفق بيده ويرقص بأكتافه ويغايظ الأمير أبومحمد البطال فقال له البطال ياويلك ياعدو الله وهل المسيح إلاعبد مخلوق بل هذه صفة من رفع فوقنا سبع طبقات وجعل الأرض مهاداوالجبال أوتاداوأحصى المخلوقات أزواجا وأفراداوقدرالأمور والازدياد وهو جعل البحر يوم القيامة جماد وجعل للناس بعثا وميعادا وهيألنا قلبا وفؤادا ولم يخلق الخلق إلالميعاد وهدانا لدين الاسلام توفيقا وارشادا وهداية وسدادا وما المسيح إلا عبد الله ورسوله ولا يقدر على شيء من الذى ذكرت إلا باذنه ومراده وهو عبد الله فضله على طائفة من عباده حتى بعث النبي الواضح والعلم اللائح صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود الذى حن إليه الجزع وسلمت عليه الأسود والضبع وكلمته السباع وشهد بنبوته الشجر والمدر وخاطبه البعير بأحسن خطاب والحصى والحجر ووطيء بقلمه السموات السبعة وسمع صلاة من يصلى عليه يوم الجمعة ومالت إليه النخلة والجزع وحيته بالأكرام الغزال ونبع الماء من بين أصابعه كالزلال فهو النبي المرتضى والحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى دعا الخلائق إلى عبادة الله الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد الذى رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد وأرسى الشوامخ على الأرض وجعل لها مستند عرف الخلائق طريق الحقائق فلم يقعد عن معرفته إلا الزنديق الفاسق وبعد ذلك ياملعون بعد أن أعلم أنك قد هلكت ما أبالى ولو غرقت ألف مرة وإن زاد الأمر علينا فأنا أشد يديك ورجليك حتى إذا غرقت لا يكون لك إلى الخلاص سبيل ولا تجد لنفسك مناص هذا وعقبة قد

زاد كفرا ونفاقا حتى زاد الأمر وأسود الأفق وأشتد الريح وأظلم البحر فلما صار كذلك لم يبق أحد يقدر أن يرى رفيقه وأيقن كل منهم بالفراق وكادت نفوسهم تتعلق من الفزع والغرق وردتهم الريح العاصفة والرعود القاصفة وقد أدار القلع البطال مع الرياح كذلك ستة وعشرون يوما وهم يقلعون مثل النسور طائرين حتى خيل لهم أنهم خرجوا من دار الدنيا إلى دار الآخرة واشتغل كل واحد منهم بنفسه دون صاحبه وجعلوا يتضرعون إلى الله بالدعاء وعقبة المنحوس يقول وحق المسيح أننى أفرح بحياتى وبهلاكى مادام خلصت النصرانية منك ومن غلمانك فلم يجبه البطال وأقبل على الراهب عبد الفعال لما يشاء وولده عبد القدرة وعبد الله وجعلوا يقولون الحمد لله الذى ختم لنا بالشهادة والله ما نبالى بعد أن كان منا ما كان فى دار الدنيا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما كان فى اليوم السابع والعشرين نظر البطال إلى جبلين شامخين فى الهوى وهما ملتقيان والبحر يعبر من بينهما وكان هذا موضع يسمى قرن الدنيا وبحر تلك المواضع حالك السواد يأخذ الرجل منه الزعاد وهو مع ذلك منتن الرائحة والجبلان ليقول أحدا إلا انهما فى السماء لعلوهما والثلج عليهما متراكم هنالك هبت عليهم ريح هامدة باردة فلم فلم يغنى عنهم اللباس ويبست الأيدى وأدارت الريح المركب من جوانبها فصارت تدور فى البحر فلم يحسوا إلا والمركب قد صدمت جبلا فى البحر ولم يعلموا به فتقطعت قطع وأطبق عليهم الموج المتراكم فعندها صار كل منهم يشهد للملك العالم إلا عقبة اللعين النادم وعظمت الموجات وصارت كالجبال الراسيات وهذا الجبل الذى كسر المركب فى لحفة جزيرة كافورية فتعلق الراهب عبد الفعال لما يشاء وغلمان البطال بتلك الجزيرة وغرق ولدا الراهب رحمهما الله تعالى وأما البطال وعقبة فلم يعرفوا لهما خبر وكانت تلك الجزيرة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار تنزل من رأس الجبلين المذكورين بعد ساعة سكن الريح وهدى البحر وأبقى الزمان غلمان البطال فى تلك الجزيرة يبكون على البطال وهلاكه وكونهم منقطعين مالهم إلى الخروج من سبيل فقال لهم الراهب لكم أسوة بى قد عدمت أولادى وأنا صابر لحكم الله تعالى وهذا دليل على إنى صرت مقبولا عند الله فانه إذا أحب عبدا أبتلاه وقد أبتلانى بفقد أولادى فاحسبوا أنكم خلقتم فى هذه البقعة ولكم من الفواكه الصيفية والشتوية ما تأكلون ولكم ما تشربون من هذه المياه المنحدرة من أعلا هذه الجبال الشواهق ونعبد الملك الخالق والموت قريب منا فهانت عليهم الدنيا وأقبلوا على خدمة المولى شهرين كاملين ثم قالوا أيها العبد الصالح أما ترى هذه الجزيرة واسعة ومانعلم أن هل فيها عمران أم لانقم بنا حتى ندور فيها وننظر

عجائب مخلوقات الله تعالى و ننظر إلى هذين الجبلين فقال ذلك اليكم وأنا موافقكم على ذلك فنهضوا وجعلوا يطوفون الجزيرة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع نظروا إلى شجر رمان كثير ونظروا إلى شجرة كبيرة تظلل مائة فارس (قال الراوى) ياسادة يا كرام وتحت الشجرة كلام فقصدوا إلى تلك الشجرة فوجدوا تحتها صنم من حديد فى صورة إنسان وعليه أسطر مكتوبة وبين يديه شيخ كبير السن وهو يقول بلسان الأرمن أيها الرب الخالق ارحم هذا الشيخ الذى أفنى عمره فى طاعتك فلما أن نظروه ضجوا بالتوحيد وكلموه بلسانه فتعجب منهم وقال ياقوم وحق الرب هذا أنالى هنا مائة عام من منذ ما كنت غلام فما رأيت خلقا سواكم فمن أين أنتم. وصلتم إلى هنا فقال له الراهب عبد الغفار اعلم اننا قد احترنا فى أمرك وعبادتك لهذه الصورة التى بين يديك والعبادة لاتكون إلا لخالق الخلق اخبرنا بحالك حتى نخبرك بحالنا فقال لهم اعلموا أنى من مدينة قرن الدنيا وهى مدينة كانت فى لحف هذا الجبل وفيها عالم عظيم وكان فيها ملك يقال له عبد البحر الكبير وكانوا أهل مدينتنا كلهم يعبدون البحر ويعبدون له على طول الزمان وقد جرت عادتهم بذلك حتى كثر فيهم الفساد واستباحوا الفروج حراما حتى لم ينكر ذلك كبرائهم فغضب عليهم البحر وزاد على ماكان وارتفع إلى نصف الجبل وقد علا على المدينة فأخربها ولم ينجى منها مخلوق إلا أنا وذلك الوقت إنى كنت ابن عشرين عام فرمانى الموج إلى هذه الجزيرة ولم أعلم كيف وصلت إلى ههنا وأنا متعلق بهذا التمثال ثم نقص البحر ورجع إلى ماكان عليه من الأول وقد هلك ذلك الخلق وقد علمت أن ماأنجانى من ذلك الهول المهول إلا هذا وهو لاشك أنه خالق المدينة التى كنت فيها وخالق هذا البحر وإن كنت على عبادته من منذ مائة عام لا أنام الليل ولا أنظر النهار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعوا منه ذلك قالوا والله هذا عجب ثم قال له لؤلؤ أيها الشيخ لقد ضعيت دهرك وأفنيت عمرك وهذا الذى أنت تعبده ليس له أذن تسمع ولا قلب يخشع بل أنه ذليل يخضع فأين أنت ممن خلق الليل والنهار وخلق الفلك الدوار والسموات والأرض والشمس والقمر والنبات (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الشيخ ذلك ضحك وقال فهذا الذى مدحته وعبدته أين مكانه فقال لؤلؤ اعلم أنه بكل مكان وهو خالق ريان وليس كمثله فى مكان فلما سمع الشيخ مقاله قال فكيف عرفتموه قال لؤلؤ أرسل الينا رسلا وبعث الأنبياء وأنزل عليهم الكتب فلما سمع ذلك قال وهل أتاكم كتاب قال نعم قد جاءنا نبيا بكتاب شريف وهو أشرف الكتب فقال الشيخ أنا أعلم أن كتب الملوك حسان أشراف فأسمعونى هذا الكتاب الذى قد نزل عليكم فعند ذلك ابتدأ لؤلؤ يقرأ سورة الكهف إلى أن وصل

إلى قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا عندها صاح ذلك الشيخ ووقع على الأرض مغشيا عليه وقد فتح الله سبحانه وتعالى قفل قلبه ثم بكى وقال ترى ياقوم هذا الملك يقبلنى من بعد هذه الغفلة الطويلة وكثرة الأعراض فان لى مائة وعشرين عام آكل خيره وأعبد غيره ولا منعنى رزقه ولا خيره فقالوا نعم يقبل التوبة ويعفوا عن السيئات بابه مفتوح وجوده للواردين بممنوح قال وكيف أقول حتى أسير مثلكم قال لؤلؤ قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم من قلب خالص ونية وجعل لؤلؤ يعلمه مايحتاج اليه من وضوء وغسل وخلافه ثم أنه قال له ياهذا مقامنا فى بلاد الاسلام أفضل من سائر البقاع فهل تعرف لنا من هذا المكان خلاص قال نعم وأنا صحبتكم حتى إنى أعرف أمور دينى ولكن بين أيدينا عجائب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسهل علينا ثم قال أقيموا بنا ههنا ثلاثة أيام حتى أعبد الله تعالى فى هذه البقعة التى طالما عصيت الله فيها فأقاموا كما قال ثم ساروا والشيخ بين أيديهم سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن أقبل عليهم الشيخ وقال اعلموا أن فى هذه الجزيرة مدينة صغيرة على جانب البحر وهم يعبدون النار والنور وكان فى قديم الزمان بيننا وبينهم حروب على هذا فهم يعبدون النار ونحن نعبد البحر فلما هلك أهل مدينتنا ازدادوا هؤلاء كفرا وقالوا أن النار أهلكتهم وأن لهم من دود الحرير شىء كثير وأن كل واحد منهم يتحصل له فى كل سنة ألف رطل أبريسم وتأتيهم المراكب من القسطنطونية يشترون منهم ذلك الحرير وقد بقى بيننا وبينهم ساعة واحدة وإذا رأونا لأبدان يسألونا عن ديننا فقال لؤلؤ دعونى أنا أكلمهم فقالوا افعل مابدالك وبعد ساعة اشرفوا على مدينة بيضاء مثل الحمامة وفيها عالم أحسن الخلق وجوها (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما قاربوهم قالوا لهم من أين أنتم فقال لؤلؤ نحن قوم من سعاة الأرض على دين المسيح ونحن بطارقة الملك ميخائيل وقد زهدنا فى الدنيا ونحن أولاد هذا الراهب الكبير الفانى قالوا ومن أين أقبلتم فى هذه الطريق وما فيها عمران ولا سكان ثم حملوهم إلى ملكهم وعرضوهم عليه فقال ما نعرف ما تقولون اضرموا لهم النار فان أهلكتهم فهى غضبانة عليهم وأن انكفت عنهم فهى راضية عليهم فسحبوهم على وجوههم وأضرموا النار وقد أرادوا أن يرموهم فيها وإذا بثلاثة مراكب قد أقبلوا من بلاد البرغل ومعهم الزيت والخمر والزبيب والكتان ليأخذوا به الحرير فلما رسوا على ساحل البحر فرأوا النار وهى تضرم

فأتوا لينظروها ويريدوا أن يعرفوا ماسبب ذلك فنظرهم لؤلؤ فعرفهم بصفتهم فكلمهم بلغاتهم وقال ياقوم نحن على دين المسيح وقد طلبنا الترهب والسياحة فى الأرض إلى أن دخلنا فى هذه الجزيرة وقد تعدوا هؤلاء علينا وهم يريدوا احراقنا وما نعلم لذلك سبب فاشتروا نا منهم فلما سمعوا القوم ذلك أقبلوا على الملك وقالوا أيها الملك نحن لانمكنك من حرق هؤلاء لأنهم من أهل ملتنا وحق المسيح إن أنت فعلت ذلك ويبلغ الخبر إلى الروم فتسير اليك المراكب ويكون ذلك سببا لزوال ملكك فدعهم ولك علينا كل ما أردت من الأموال فأجابهم إلى ذلك ولما قضوا حاجتهم أخذوهم إلى بلاد البرغل ثم قالوا لغلمان البطال إلى أين تريدون قالوا نقصد القسطنطينية حتى لايعرفهم أحد ولما وصلوا إلى بلاد البرغل خرجوا منها وقصدوا حصن يانس المتعذب فلما أقبلوا عليه فرح بهم وسألهم عن البطال فأخبروه بقصته فورد على قلبه مالا يرد على قلب بشر وقعد له فى العذاء سبعة أيام وفى ظنه انه مات فى البحر غريق ثم نظر يانس إلى الشيخ الذى كان يعبد الصنم والى حسن وجهه وقيل له انه أسلم وقد سموه عبداللطيف فجهزهم بالدواب وجميع يحتاجون اليه وساروا وهم طالبين مدينة ملطية وهم فى عيشه هنية (هذا ماجرى لهؤلاء) اسمع ما كان من عبدالوهاب لما طالت عليه غيبة البطال فكتب إلى ملك الروم ميخائيل يقول أنت تعلم مالقيت فى خدمتك من التنكيل وأخى أبو محمد البطال قد دخل بلاد الروم فى طلب عدوى وعدوه وهو القاضى عقبة والآن ماأعلم ما صار عليه من الاحوال وأريد منك من كل بد وسبب أن تسأل عنه أين ماكان ماذا والا أنقض ماينى وبينك من الهدنة وحسن الارب لأن البطال غائب سبعة شهور وماأنقطع عنا إلا وهومسجون أومدفون وأزيد على قسمى قسما برب العالمين لئن لم أعلم خيره منكم لاتركن دياركم خرابا وهيضبا (قال الراوى) هذا ماكان من عبدالوهاب (وأما ماكان) من أمير المؤمنين المأمون لما حصل الصلح بينه وبين عبد الوهاب وصار له عنده المنزلة العالية ورفعة الجناب فكان المأمون يطلب من يحادثه فقال الوزير يامولانا أنت غافل عن نزهة الزمان وفريد عصره ولأن أبو محمد البطال فطلبه الخليفة فلم يطلع له على خبر ولا جلية أثر فتأسف عليه ثم انه بعث إلى ملك الروم لاجله كتاب فرأى ملك الروم فى الامضا المأمون فأمر المناداه أن تنادى فى سائر بلاد الروم وجزائرها وقراها فلم يقع له على أثر فأرسل إلى عبدالوهاب والى المأمون يقول وحق المسيح والإنجيل والابرئت من دين النصرانية وقطعت زنار الملة المسيحية أننى لاأعلم لابو محمد خبر ولا جيلة أثر فعلم الأمير انه ما عنده علم وكذلك المأمون وأما محبين عقبة فانهم قالوا يا أمير المؤمنين أنا نعرف بأن

موجود من لا يعرف البطال أن يتحدث بين يديه بحرف واحد فقال من هو قالوا هو القاضى عقبة العابد الزاهد الذى قد طالت غيبته ولم نعلم هو مقتول أم هو مأسور (قال) المأمون والله لقد ذكرتمونى به فأرسل إلى ملك الروم يقول أن كان القاضى عقبة عندك فى الاعتقال فأنا أحسن لك فى المال على قدر ماتشاء وان كان ماهو هناك فاحرص لنا على خبره فرد ميخائيل الجواب يقول أما الرجل خلص منا لاننا نعرف انه قسيس المسلمين وهو عندنا بمنزلة البترك الا أننا لانعلم ما بينه وبين البطال من الدخول والعداوة والأهوال وقد عدما الاثنان ولا شك أن أحدهما هرب فتبعه الآخر وهذا ماعندى من الخبر وفى تلك الأيام وصلوا غلمان البطال ففرح عبدالوهاب بقدومهم وفى ظنه أن البطال معهم ولما توجه لؤلؤ لعبد الوهاب شق ما كان عليه من الثياب ولطم على وجهه وزادفى الانتحاب وفعل يانس وسبك كذلك فعظم على الأمير وكاد أن يقضى عليه وسألهم عن حالهم فأخبروه بما جرى من الابتداء للانتهاء فكان ذلك عليه أعظم من قتل ولده ابراهيم وكذلك الأميره ذات الهمة وفعدو اللعزاء سبعة أيام وقال لغلمان البطال لاتذكروا عقبة فيشمتوا بالبطال بنى سليم ويقولون لولا انه دخل خلف ذلك الصالح المسكين لما كان من الهالكين ولا بد أن يلعنوه باقى أعمارهم وربما سلم عقبة فتبقى أعظم شماتة إلى الأعداء ثم أن عبد الوهاب سأل عن الراهب فأخبره بخبرهما فأكرمهم غاية الإكرام وأفرد للشيخ موضعا للعبادة وقال لعبد اللطيف أفرد لك دار صغيرة برسمك لانك رجل نحيف فقال مالى بذلك حاجة وما تعودت إلا بالوحدة وأحب أن أكون فى خراب البلد من ظاهرها ثم خرج إلى الخراب وصار الأمير كل يوم جمعة يخرج اليه ويقضى حوائجه وهو يأبى ففى يوم من بعض الأيام رأى الأمير الأمير فى منامه قائلا يقول قم ياعبد الوهاب إلى تشييع جنازة الاحباب فقد قبضنا روح الغريب بعيد الدار شاط المزار ثم أفاق من نومه باكى العين وقال للاميرة انى قد رأيت كذ وكذا قالت لايكون الشيح العابد قد قضى نحبه فقم بنا اليه فقاموا ووصلوا اليه فوجدوه مستقبل إلى القبلة ووجهه يشرق بالنور وقد قضى نحبه ولحق بربه فجهزوه ودفنوه وقد أيس الأمير من البطال وفرحت بنى سليم وقالوا مايفتح باب الشر والمصائب لعبد الوهاب إلا هو ولايسعده فى الحروب وفتح البلاد غيره حتى ظهر لعبد الوهاب هذا الاثم وها قد ولت سعادته ولا بقى يفلح فبلغ الأمير ذلك فسكت ولاتكلم هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير ظالم فانه مرض مرض شديد وصار مثل الخلال حتى لغاية أن توفت زوجته ولم يعلم بها وبلغ خبر مرضه إلى المأمون فأرسل إليه أبا سعيد الطبيب حكيم زمانه فلما حضر عنده جس نبضه فلم يظهر له منه شىء من العلل فقال للأمير ولدك الغالب أن فيه نظرى من الجن ومالى فيه طلب ولكن عليك بالقرآن والمعزمين

وأرباب الرقا والعارفين فأحضر الأمير المعزمين فأظهروا صناعتهم ثم عرفوا أن ولده قد تعافا وقد زال مابه ودخلت عليه جدته ذات الهمة يوما من الأيام فوجدته يتنهد وهو فى أشد الآلام وينشد يقول

وجاؤا إلينا بالعزائم والرقا ... وصبوا على الماء من ألم النكس
وقالوا به من الجن نظرة ... ولو صدقوا قالوا به نظرة الإنس
وبى علة لا أشتهى أن أذيعها ... لعظم الحيا منى ومن شرف النفس
فأصبح حيرانا وأمسى مولها ... وأصبح من نار الغرام على أمسى

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذات الهمة شعره فرحت بانكشاف سره وقد علمت أنه عاشق فدخلت عليه وسألته عن ذلك فأنكر حاله وجحد مقاله خجلا منها فخرجت من عنده ولما كان وقت الليل قصدته وحدها من بعد رقده وإذا به ينشد مرة أخرى من فؤاد مخيف بصوت ضعيف هذه الابيات

خليلى قبل الصبح بالله عرجوا ... ولا تتركانى فى الظلام مخرجا
وعوجوا على صب قتيل معذب ... تراه إلى نحو الحبيب ماجلجا
ولولا حيائى من أبى وعهوده ... لسرت إليها قبل مايذهب الدجا
هى السؤل للقلب الكئيب الذى به ... لواعج نيران تهيج موهجا
فلا سلوة ان لم أنل ما أريده ... وأضحى قتيل بالمنايا مسهجا
وإنى كئيب فى هواها متيم ... وفى كل ألفاظى إليها ملجلجا

(قال الراوى) ثم أنه بكا بكاء شديد فتركته الأميرة حتى سكت وقالت ياولدى لقد علمت مابك من شعرك ونظامك فأطلعنى على سرك فأنا ماأحدث أباك بل أساعدك على بلاك ولا تقل أن أبو محمد كان أسرع منى أو اجسر وأنا وأنت وغلمان البطال خلفى نلتق جيشا عرمرما فأخبرنى بما عندك حتى ترى العجب منى عندها قال أيتها الأميرة لما كنا فى قلعـــة الشيطبان ونحن فى الأسر والهوان رأيت الجارية مليكة التى هويت الملك ميخائيل كأنها قد طرحت فى رجلى قيدا ثقيلا وكنت أول من عاهده أن لا أخون فكتمت أمرى وهذه قصتى وان أنتى ساعدتينى وإلا أنا من الهالكين بلا محاله فقالت طب نفسا وقر عينا وأعلم أن أبو محمد ماهلك إلافى بلاد الروم ثم أنها صبرت عشرة أيام ودخلت على عبد الوهاب وحدثته بحديثه ثم قالت له وما الرأى فى ذلك فقال وما عسى أن أرى وأنا قد حلفت للروم إلى أجل معلوم وما جنى ميخائيل جناية يستحق عليها فسخ الهدنة ولا يحيل منى أن أرسل اليه من أجل زوجته وهذا لايجوز أبدا ودعه يموت

مثل ظالم ألف ولد فقالت الأميرة أما علمت مافعل ميخائيل من الفعل الوبيل وأنه ارسل كتابه إلينا يقول فيه وإلا قلت أن الله واحد أحد فرد صمد فهذا يدل على أنه يستهزيء بنا وبالله والله العظيم ما أترك ولدى ظالم يهلك تلهفا ويموت أسفا وأنا التى أريد أن أدخل إلى بلاد الروم وأطلب هذه الجارية من الحى القيوم فقال لها عبد الوهاب إن بلاد الروم قد التمت وعادت إلى طاعة ميخائيل ومع ذلك أن شومدرس وزوجته شامو فى المدينة وهم أشر النصرانية وأخاف عليكى منهم فغضبت الأميرة من كلامه وقالت والله لادخلت بلاد الروم فى هذه المرة إلا وحدى ومعى فقط ظالم ولؤلؤ وجوهر ويانس وكان جوهر مقيما بمدينة آمد فلما أن سمع بهلاك مولاه فى بلاد الروم أتوا إلى لؤلؤ لأنه كان عاقلا عارفا بالأعمال إلا أنه دون البطال وكانوا غلمان البطال كلهم فى خدمته وخرجت الأميرة من عند ولدها ودخلت على ظالم وقالت له قد عزمت على الدخول إلى بلاد الروم فقم أنت على حالك وكن طيب الخاطر قال فوثب قائما وقال مالى على ذلك من سبيل ولا اصطبار وإذا صرت معك لذلك تحصل لى العافيـــة فأخذت الأميرة ما تحتاج اليه وسارت ومعها ظالم وغلمان البطال (قال الراوى) هذا ما كان (وأما ما كان) عن بلاد الروم فان شومدرس قال لشوما فى يوم من الأيام ان فى قلبى من فقد ولدى نار شديدة لاترام لأنى للآن ماأخذت له بالثأر وما كان يمنعنى إلا أبو محمد البطال لأنى وقعت فى يده مرار عديده ولولا فى أجلى تأخير لـكنت هلـكت وقد حللت بى المقادير ولـكن ما بقى الآن من أخاف منه بالـكلية ولا بد لى أسير إلى ملطية وأدبر فى هلاك الأمراء بكل نية أما عبد الوهاب وإما سيف الحنيفية وأبيها يكونوا عوضا عن ولدى ويرتاح من ذلك كبدى فقالت شوما وأنا أريد أمضى معك ولا يتم لك أمرا إلابى أنت لعبد الوهاب وأنا لذات الهمة قال أريد أشاور فى ذلك الملك ميخائيل ثم أنه من وقته دخل عليه وحدثه بمـا أراد يفعل قال لو صح ذلك ومات عبد الوهاب وأمه ذات الهمة لـكنت أملك سائر البلاد من الاسلام روح ياأبونا وافعل ما بدالك فما لهم عندى لاعهد ولا ذمام ولا يمين فعند ذلك قام وأخذ معه مائة رجل من العرب المتنصرة وقال لهم أريد اعمل عملا تتحدث الناس به على قارعة الطريق ثم خرج الملعون وصبغ لحيته حتى صارت كالليل الدامس ولبس زى تاجر من تجار الروم وأخذ معه أربعين بغل تحمل أنواع القماش فقال دارس أيها الملك اننا مانرضى لك بهذا الفعل لأنهم قد صنعوا معك معروف وقتلوا عدوك كوشانوش وقد ردوا اليك بلدك من بعد ما كانت خرجت من يدك فقال الملك أو ما تعلم انهم قد قتلوا من الروم عالم بعدد النجوم ولا بد لى ما احتال على هلاكهم

بأى وجه كان ولو أبذل نصف ملكى وكيف انى لا أكره من يقول إن الله واحد أحد فرد صمد فسكت دارس عن كلامه ثم قال لأخيه نكتب لعبد الوهاب ونعلمه بهذه الحيلة خوفا عليه من الاسر أو القتل هذه شروط الاخوان (قال الراوى) وسار شومدرس ببضائعه وأمواله ومعه العرب المتنصرة حتى وصل إلى دير الصليب وهو من ضمن أحكام مدينة ميخائيل وهى القسطنطينية وكان بالتقادير وصولهم وصول الأميرة ذات الهمة وأصحابها فى وقت واحد ونزلوا فى جانب الدير وهم متنكرين فنظرهم الملعون شومدرس فأنكر أمرهم وقال لشوما أن هؤلاء قد أنكرهم قلبى وأنا خائف أن يكونوا من لصوص الاسلام وقد دخلوا فى كشف أخبار أبو محمد البطال وهم فى ظنهم أنه سالم فقالت له أصبر أنا آتيك بأخبارهم فى هذه الساعة ثم سترت وجهها وأخذت معها ثلاثة قربانات من خبز الديوره وجاءت اليهم وسلمت عليهم بالرومى وقالت خذوا هذا كاوه وادعوا إلى بالعافية فنهص لؤلؤ وأخذ منها القربانات وهى قد عرفتهم إلا ظالم فلم تعرفه ثم أنها رجعت وهى تعثر فى اذيالها من الخوف والفزع فقال لها شومدرس ما بالك فقالت له ياشيخ قد حل بك الهم والبلاء أفق من نومك إن كنت نائم قال شومدرس ويلك قد قطعتى ظهرى بهذا الكلام وكيف عرفتهم ومن هم وكيف عرفتى أن فيهم العجوز الشمطاء ذات الهمة قالت عرفتها بغلمان البطال وهم لؤلؤ وسبك ويانس وبديع فلا تكن ارعن كيف انى لاأعرفهم وقد بقيت مأسورة عندهم سابق مدة شهور وأيام ومعهم غلام أشبه الناس بظالم إلا أن عليه آثار مرض فقال شومدرس من بعد ما اسودت الدنيا فى عينيه وحق المسيح إن كان كما ذكرتى وعلمو بنا فما هى إلا سفرة مشئومة علينا لأن كل واحد من هؤلاء يريد لرأسه عسكر كامل ثم أنه التفت للعرب الذين معه وقال لهم اعلموا أنه قد تم من الأمر ما هو كذا وكذا وما أظنه أكيد وقد عولت على أننى أطلق الطيور إلى الملك ميخائيل واعلمه بهذه القصه حتى أنه يرسل الينا حرب بن شيبان فى جماعة من الفرسان ويأخذون هؤلاء ومعهم ذات الهمة ويكون الظفر والمال لغيرنا مثل من حضر إلى بيت العروس حضر الأكل والشرب والعروس أخذها خلافه والغالب أن هذه ليس ذات الهمة لأن شوما كبرت وخرفت ولكن هؤلاء قوم اسلام ولاشك فيهم وأنا أقول لكم على ماتفعلون فقالوا ياأبونا لو اضرمت لنا النار لولجناها قل وأوجز فقال اعلموا أن النوم سلطان وهؤلاء القوم من أثر التعب والسفر فى غاية وهم الآن آمنين ومتى ناموا نهجم عليهم وتضعون سيوفكم فيهم فلا يقوم للقوم من بعدها قائم فلما سمعوا القوم منه ذلك قالوا هذا هو الرأى الصواب وإن لم يكونوا نيام فلا تفرطوا فى أرواحكم فان فيهم الذى قد قطعت

وقاب العرب وافنت بطارقة الروم وهى فاطمة بنت مظلوم ثم انهم أرسلوا واحد منهم فرأوا القوم نيام والأميرة وحدها جالسة على الأرض والسيف مجرد أمامها وظالم يراعى النجوم مما به من لوعة الحب وترادف الهموم وهو يبكى ويقول

أبات ونجم الليل يجرح مقاتى وجسمى وقلبى للهموم نديم
وقائلة لم لا تنام اجبتها دعينى ورأى أننى لسقيم
أما مسعف أشكو اليه صبابتى أما منصف ابكى اليه رحيم

(قال الراوى) فلما سمع الرجل ذلك عاد إلى قومه وأخبرهم بما قد رأى فلم يتجاسروا أن يدنوا منهم أو يقوم واحد من مكانه فلما نظرت شوما ذلك قالت أشير عليكم بما تفعلوا وفيه سلامتكم ونأخذهم من غير قتال ولا نزال قالوا وما ذلك قالت تقوموا وتدخلون الدير وتقولون لأهله أن هؤلاء الذين بجانب الدير هم لصوص المسلمين ونريد منكم إذا أصبح الصباح يخرج سيدكم ومقدمكم ويقول لهم أن يحضرون طعامه قبل رحيلهم ويقول انى ماعبرنى عابر من هذا المكان إلا وأضيفه ويأكل زادى وهذا نفعله مع الأمة المسيحية ومن سائر الروم ثم يحلفون عليهم فاذا صاروا معهم فى الدير يعملون لهم الطعام فى البيت الذى فيه الصور وهو بيت من الرخام وبابه من الحديد الصينى لو اجتمعت عليه من الخلائق ألوف لما قدروا ان يفتحوه فاذا صاروا فيه وتحصلوا من داخله يغلق عليهم الباب وترسل إلى الملك ميخائيل كتاب فهو يأتى ويأخذهم وأنتم سالمين فقالوا البطارقة المسيح يطول عمرك فما أبرك من رأيك ثم ان القوم رجعوا إلى مواضعهم ينتظرون الصباح وهم معولين على الرحيل إلى مدينة القسطنطونية (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب البديع الغريب قال فعند ذلك إلتفت لؤلؤ إلى الأميرة ذات الهمة وقال لها اعلمى أيتها الأميرة ان هذا الدير له فى كل سنة عيدما يبقى فى بلاد الروم بنت ملك الا تحضره ويحملون الشموع والنذور اليه وهو عيد النساء وان النسوان يباهون الرجال بما يحملون اليه من الأموال والرحال ويوم الأحد بعد أربعة أيام يكون عيد النساء ويحضر فيه كل ملكة للروم فلعل الجارية التى هى زوجة الملك ميخائيل تسير اليه فى جملة النسوان فتقرب علينا الطريق ونفوز بالسعادة والتوفيق ومع ذلك فانى أرى الأمير ظالم وقد زاد به الضعف وماله فى تلك الأيام قدره على ركوب الخيل وهذا المكان أخف لناوله ماذام بهذا المرض الشديد فقالت الأميرة ذات الهمة هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ولم تعلم ماسبق لهم فى أم الكتاب حتى ذهب ديجور الظلام وأشرف ثغر الصباح بالابتسام هنا لك أقبلوا أهل الدير إلى الاميرة ذات الهمة ومن معها وكان اللعين

شومدرس الذئب الاجرب قد رتب معهم ما قالت اللعينة شوما فأتوا الجميع اليهم وصلبوا على وجوههم وقالوا لهم أيها القوم القادمون علينا والواردون الينا اعلموا انه قد جرى لنا فى موضعنا هذا عادة ولا بد لنا من فعلها ولا نستحسن أبدا نقطعها وهو اننا نطعم طعامنا لكل من يعبر علينا ويصل الينا وقد شاع عنا ذلك فى بلاد الروم فلا تقطعوا عنا ماتعودنا عليه طول أعمارنا من الرسوم وأخلاق البطارقة تجيب إلى الاكرام فنحن نبلغكم مرادكم ونهلك أعداءكم إذا كنتم تدخلوا معنا إلى الدير (قال الراوى) لهذا الكلام ياسادة يا كرام فلما سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك الكلام أجابت اليه بحسن اهتمام ولم تعلم بما قدره عليها الملك العلام وكذلك غلمان الامير أبو محمد البطال ثم ان لؤلؤ التفت إلى الاميرة وقال لها أيتها الاميرة والسيدة الخطيرة ان لنا فى دخولنا إلى هذا الدير منافع عدة وهو اننا ندخل إلى هذا الدير وننظر اليه وإلى من الذى فيه فاذا أقبلت اليه النسوان من كل جانب ومكان وكانت فيهم الملكة مليكه زوجة الملك ميخائيل أخذناها وإذا لم تجىء فربما ينظر الامير ظالم إلى بنات البطارقة الذين كأنهن البدور الطوالع فلعل أن يميل قلبه إلى واحدة منهن والا خاطرنا بنفوسنا وددخلنا إلى القسطنطونية وبذلنا المجهود فقامت الاميرة ومعها غلمان البطال ودخلوا معهم الدير فقالوا البطارقة وهذا الغلام لم لايكون معنا فقالت الاميرة هو مريض شديد المرض لايقدر على أكل الطعام ولا له قدرة على القيام فعند ذلك دخلت الاميرة ذات الهمة إلى الدير والغلمان معها وصاروا فى بيت الرخام وهم متقلدون بالسيوف الرقاق من تحت أثوابهم وجلسوا من حول الطعام والرهبان على رؤسهم قيام ثم خرجوا من عندهم على أنهم ينقلون اليهم أنواع الطعام وانطبقت الرجال على الباب فغلقوه وطرحوا عليه الاقفال الحديد وتصايحت العرب والرهبان وجعلوا يضحكون ويقولون أخذنا مخربة الاطلال والدمن وصاحبة المصائب والفتن فقالت الاميرة كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لقد عميت بصيرتنا ومكنتهم القدرة منا ومانى إلا الامير ظالم لانه ماله قدرة وأما نحن فقد وقعنا بلا محاله وخرجت الرجال إلى الامير ظالم فأخذوه أخذا بالكف وما فيهم الا من هو عليه حنق لما بينهم وبين الامير عبد الوهاب من الحروب والوقائع وخرج شومدرس ولا لايصدق بالنصر وقد دارت الرجال بالأمير ظالم وهو مكتوف وقد عول شومدرس على ضرب عنقه وقال من أخذ تاره فى آخر عمره ومات فلا حسرة فى قلبه وهذا أقتله عوضا عن ولدى دهر شوم فقالت له العرب المتنصرة اعلم ياأبونا أن الملك ميخائيل مايعمل إلا بمشورة الشيخ النجيح وهذا

له عنده حكم عظيم مثل الاسود عبد الوهاب والصـــواب انك ترسل الى الملك يرسل اليك مائة فارس ويفتح على هؤلاء ويأخذهم من القبة ويحلون الكل اليه وبعـــد ذلك فأنت تأخذه من الملك ميخائيل تفعل به ماتريد وكان الرسول الذى مضى إلى ملك الروم الشيخ دغفل المتنصر لأنه قال ان أرسلت طائر سارت الروم كلها إلينا ونريد ما يكون لأحد مع المتنصرة شركة حتى ينالون عند الملك ميخائيل مكان عظيم (قال الراوى) وسار الرسول على ذلك ثلاثة أيام ووصلت النسوان يوم السبت إلى الدير من كل جانب ومكان ونظر الأمير ظالم وهو فى جانب الدير إلى بنت الملوك والبطارقة فتذكر الجارية وما حل بالأميرة ذات الهمة من أجله فتنهد وأنشد

الليل من سهرى على نهـاار ... يزداد طولا والدموع غزار
أرعى نجوما ما تغيب كأنهـا ... افلاكها وقفت فليس تدار
وألوم قلبـا فى هواك حذرته ... منه فما أغناه منـــك حذار
لمـا رأت عينى إلى أعطافهـــا ... والخصر ملتف به الزنار
وخفت حتى حرمت عضوا ناحلا ... وضعفت إذ دارت بى الكفا
قد كنت أضحك أن رأيت ميتما ... وأقول هـذا فى البرية عار
حتى رأيت جمالها وكمالها ... ولقيت ما فعلت بى الأقدار
قد كان دمعى فى النوائب جامدا ... واليوم عينى للبكاء تعار
ورأيت ذلهمة لأجل مطالبى ... صارت أسيرة عصبه الأشرار
خدعت بحيلة كافر ذو حيلة ... شومدرس الملعون والغدار
وبقيت فى قيد بأحجل أننى ... بى يأخذون لدهرشوم الثار
والله لولا أننى ذو لوعة ... مما أحن وفى فؤادى نار
ما كان جمع القوم لمـا أقبلوا ... وصلوا إلى وصدهم بتـار
وتركتهم وسط الفلاة لو أنهم ... فى كثرتهم الأوراق والأمطار
ما كنت أول وامق ذو حسرة ... قتلوه دون هواه وهو عوار

(قال الراوى) فلما كان يوم الأحد وصلت من القسطنطينية النسوان أفواجا أفواجا ودخل خادما مثل القمر المنير وخلفه عشرين جارية كأنهن الأقمار وفى أوائلهن جارية الزنار على خصرها والصليب فى صدرها وهى مثل الغزال العطشان تفوق بالحسن جميع الإنس والجان وكانت هذه مليكه زوجة الملك ميخائيل محبوبة الأمير ظالم لخانت من ظالم التفاته فنظر إلى مليكة فطار قلبه من بين جنبيه وصاح ووقع

مغشيا عليه فنظرت مليكة إليه نصاحت وإيماه ما هذا فقالوا لها هذا ظالم ولد الأمير عبد الوهاب وهو أسير وكذلك ذات الهمة وأعادوا عليها القصة فدنت من الأمير ظالم وقالت وحق المسيح ما رأت عيني قط أحسن من هذا ظالم فما الذى غيره وهو فارس الخيل شديد الحيل فقالوا لها أنه مريض (قال الراوى) وما زالت واقفة حتى أفاق وهى تتعجب منه لأنها قد نظرته مرار وكيف يفعل بالفرسان ويبلبل الأقران وما زالت على أقدامها واقفة حتى أفاق وحدقت إليه بعيونها النرجسية (قال الراوى) فرجعت قوة ظالم إليه حتى حدثته نفسه أنه يهجم على كل من فى الدير وصبر إلى الليل وتمطا فى كتافه قطعه وكان القوم آمنون منه لما عاينوا من مرضه وقالوا هذا ما يعيش إلى أن تصل خيل الملك إلينا وما هو الا يهلك هذا وقد قالت مليكة للخادم وحق المسيح أن هذا المسلم لما خلص ميخائيل هو الذى قتل أكثر من كان فى القلعة وفعل معنا كل جميل ولا بد أن أسأل الملك فيه حتى لايقتله فقوموا بنا إليه حتى نطيب قلبه وسارت فى جوارها والحسن قد أجارها والخادم والشموع بين يديها وقد صاح الخادم على أهل الدير والعرب المتنصرة فتفرقوا حتى لايقفوا فى طريق زوجة الملك ميخائيل ووصلت إلى عند الأمير ظالم ونصب لها كرسى من الذهب وقالت بالعربى طيب قلبك وحق المسيح والإنجيل لاتركت الملك يقتلك ولو أراد الملك لما قبلت منه وكان (يا سادة) الملك ميخائيل قد هام بحبها وتشوش عقله بسببها لايقر له قرار ولا يصبر على الجلوس مع البطارقة الكبار بل من المجلس إلى الدار هكذا طول النهار ثم قالت مليكة وايش الذى يؤلمك فأنا وحق المسيح أداويك بالذى يكون فيه العافية كرامة لخدامتك لنافى قلعة الشيطبان هذا والخادم قد طرح السيف الذى معه بين يديه وهو يلعب مع بعض الجوار وظالم منطلق اليدين فقال فى نفسه ماهذا وقت القعود مالى إلا أن أقوم الساعة وأرمى نفسى على كل من فى الدير وآخذ الجارية واخلص الأميرة قبل أن يفطنوا بنا الأعداء فلما حدثته نفسه بذلك وقالت له مليكة أنا أداويك قال الأمير ظالم أما سبب مرضى فأتى من هذه الدنيا غرضى فلما سمعت ذلك خجلت واحمر وجهها فصاح الخادم وقال ويلك يا كلب العرب وحمال الحطب اليوم أحسن خطابك ياقليل الأدب فعندها قام الأمير ظالم كأنه المجنون ووثب وثبة وخطف السيف من بين يدى الخادم ونادى ياابن العواهر واللخنا الكوافر لمثلى تقول هذا المقال وضربه على رأسه نزل السيف إلى أضراسه فولت النسوان وتبادرت الاقران وهمهمت الشجعان وسمع شومدرس بذلك فعض يديه لهفا وصاح فى الرجال وقال لهم اغلقوا الباب حتى لايهرب ظالم وحملوا عليه وقد جردوا السيوف

وأظهروا الحتوف وحمل الأمير ظالم عليهم وهو يرتجل ويقول هذه الأبيات

سيعلم شومدرس أنني * سألحقه الآن مع دهر شوم
وما كنت فى أسره باكيا * ولكن هواها لقلبي ظلوم
نهاري مريض وطرفى غضيض * وليلى أبيت وأرعى النجوم
إلى أن رأيت جمال الحبيب * فعادت إلى حياة تدوم
سأترك ذا الدير من جمعكم * قفار عليه غراب وبوم
أنا ظالم فاعرفوا همتى * ولولم يكن فى غير الرسوم

(قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى نصف الليل وقد قتل الأمير ظالم من القوم سبعين رجل من أهل الدير وعشرين راهب وهرب باقى الرجال وشومدرس قد رفع ثيابه على أكتافه وشوما زوجته خلفه يطلبون الباب فوثب الأمير ظالم وحال بينهم وبين الباب ولم يزل يضرب فيهم حتى قتل الباقين ولم يبق إلا الراهب شومدوس وشوما وانها لما نظرت إلى الأمير ظالم أيقنت بالمهالك وولت هاربه تريد الملكة مليكة لأنها الملعونة لما نظرت إلى الأمير وهو يذكرها علمت أنه مادخل إلى بلد الروم إلا بسببها وما كان مريضا إلا من شوقه اليها وأن شوما أرادت أن تستجير بها فسبقها الأمير ظالم من حنقة عليها لأنها كانت طول النهار تلطمه على وجهه وفى أوقات تعول عليه وأعوذ بالله من بول العجائز وصنانه وكان يقاسى منها البلاء وهو موثوق بالكتاف وعليه ذل الهوى وشغل القلب وما كان يقدر يجاوبها ولا يمد يده اليها فلما هربت علم مافى نفسها فوثب وثبة على وثبة كانه الأسد وضربها بالسيف على إحدى كتفيها فقطع إلى أن خرج من بين فخذيها ووقعت شطرين وعجل الله بروحها إلى النار وبئس القرار (قال الراوى) ولما نظر شومدرس إلى ذلك أيقن أنه هالك فسلم روحه وقد طار عقله فقال ظالم والله لما أكف عنك القتل حتى تشتفى منك جدتى ذات الهمة (قال الراوى) ثم دنا إلى باقى الرهبان الذين فى الدير وقال افتحوا باب بيت الضيافة يا كلاب الرهبانية وإلا قضيت عليكم عن آخرهم يا أولاد الحرام ففتحوه فى الحال (باسادة) ونظرت الأميرة إلى ذلك فحمدت ربها على هذا النصر وسألت ظالم عن هذه القصة فأعاد عليها مجىء الجارية فقالت والله لو كتب هذا الحديث بماء الذهب على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم أن الأميرة وثبت كاللبوة الضاربة وقبضت على قائم سيفها وأخذت درقتها وقصدت وسط الدير وكذلك الأمير ظالم ولؤلؤ وأصحابها بين يديها كانهم شياطين الأرض وقبضت الأميرة على مليكة وبنات البطارقة وما معهم من الأموال وهو مالا عين رأت ولا أذن سمعت وقيدوا شومدرس وأخذا الجارية مليكة ورأس شوما وساروا

ولو كان لهم أجنحة لطاروا طالبين بلاد الاسلام يقطعون الفيافى والقفار والأديرة والامصار خمسة أيام فلما كان اليوم السادس لحقتهم الخيل مثل قطع الليل فى عشرة آلاف فارس كالليوث العوابس هذا والأمير ظالم قد ذهب مابه من المرض ونال من الجارية مليكة الغرض ونظر إلى ذاك هو والأميرة ذات الهمة ورأوا حرب بن شيبان مقدم العرب المتنصرة فاستندوا إلى جبل يقال له الجبل الأحمر وأرسلت الأميرة ذات الهمة لؤلؤ ليأتى اليها بالنجدة ثم حمل ظالم وتلاقا الفرسان ومزق الاقران وأباد الأبطال وهو يهدر كانه الجمل الهائج فى الربيع ثم أنه قال لذات الهمة جدته دونك وأى جانب منهم وأنا للجانب الآخر ثم دكس على الخيل وهو ينشد ويقول:

ألا فاخبروا عنى مليكة اننى * خلاف الذى كانت تريد لها بعلا
وقد علمت انى تركت رجالهم * على سادة فى الدير من صارنى قتلا
وخلصت غلمان الأمير جميعهم * وذلهمة أكرم بها مالها مثلا
وحزت الذى يهوى فؤادى وغيرها * من المال والديباج بالرح والاسلا
وأعطيت شوما ضربة عربية * قطعت بها رأس لها قسمة عدلا
وزوجها قد أضحى لدينا مقيدا * حزينا كئيبا يندب الأهل والخلا
وأدركنا حرب بن شيبان سرعة * بجيش تضج الأرض من كثرة وجلا
وما لامنى فى الجيش بالحرب لائم * زجرت عدوى ثم ناديته مهلا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وحمل حرب بن شيبان وقال ويلكم انطبقوا عليهم وارفعوهم على الرماح وقطعوهم بشفار الصفاح فلما سمعوا كلامه حملوا عليهم واشتد الكرب وزاد الحرب وأسندوا المسلمين ظهورهم إلى الجبل ونادت مليكة وهى تحرض الروم على القتال ونادى شومدرس على العرب المتنصرة يقول ارحموا الشيخ العالم وخلصوه من يد هذا الظالم وارحموا من قد أصبح أسير ومفارق لزوجته شوما هذا وقد توقدت عليه الشمس فحميت عليه الجلاميد وانذهل الفارس الصنديد وأجاد الهمام الشديد ولم يزل القتال فى تلك النهار إلى وقت الزوال وقد قصرت الخيل التى تحت الأميرة والأمير ظالم وقد أشرفت على الهلاك فنادت ذات الهمة إنزل بنا يابنى حتى نصل إلى هذا الجبل فلعل الفرج يكون قريب فهذا ما كان من الأميرة ذات الهمة (وأما ماكان) من غلمان البطال فانهم لما وقع بهم الملل رفعوا مليكة مع الجوار والأموال إلى أعلا الجبل ومعهم أبو الشر شومدرس وقد تحصنوا الكل هناك وقعدوا عندهم يحرسوهم هذا والأميرة لما قالت لظالم اطلع بنا إلى الجبل

وكان الأمر كذلك فترجلت خلفهم الرجال وكل واحد منهم كانه شيطان حتى وصلوا إلى باب الكهف فلما نظروهم الغلمان نزلوا عليهم رمى بالاحجار ودحرجوها عليهم من الاعلى إلى الادنى فهشمت الرجال فعند ذلك عادوا راجعين وقتل منهم أربعة وعشرين وتكسر سبعة وقد حجب الظلام بينهم فهذا ماكان من هؤلاء (وأما حرب ابن شيبان) فانه أقام الحرس عليهم خوفا من هروبهم وهو لايقدر يصعد اليهم لأن الكهف الذى هم فيه ضيق المطلع وذات الهمة قد وجدت راحة ثم طلبت من غلمان البطال الماء فقالوا والله يا أميرة من خوفنا ماأخذناه هنا هذا وقد اشتد بها الظمأ فعندها قام سبك وقال أنزل وأجيب لكم الماء وتوكل على رب الأرض والسماء قال ولم يكن له طريق الا على القوم فنزل وهو يقرأ فى هذه الآية وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون هذا ولم يزل يخترق المضارب والخيام ويدور فى أوساطهم حتى أتى إلى مضرب حرب بن شيبان وهجم عليه فوجده نائم ومن حوله الغلمان وهو آمن على نفسه ويقول أن القوم محصورين من داخل الجبل فى المغارة ولم يخطر فى باله أن يطرقهم طارق هذا وان سبك قرب من قربة الماء وعول على حملها فحدثته نفسه أن يأخذ حرب ابن شيبان فخاف أن يفيقوا ولا يحصل له ويعدم أخذ الماء فتركه ولم يتقدم اليه ثم تقدم وقد سحب من وسطه خنجرا أمضى من القضا وذبح الرجال الذين حوله وكانت عدتهم عشرين ثم دنى من حرب بن شيبان ووضع الكورة فى فه وهو راكب صدره الخنجرة فى يده وحمله على أكتافه وقربة الماء فى يده الثانية وقد خرج من السرداق وعبر على الرجال النيام وهو من خلف الخيام حتى وصل إلى الجبل هذا وقد وقع الصوت فتبعته الرجال وحرب بن شيبان على أكتافه فهم الأمير ظالم وذات الهمة ونزلوا إلى الرجال سقوهم كاس الهوان ودام القتال إلى الصباح وقد بدأ الضوء ولاح وقتل من القوم مائة وعشرة وتخلص سبك بما معه وحمد الله على ماأعطاه إلا والغبار غبر فجعلوا القوم ينظرون اليه وكانت هذه الغبرة غبرة أرمانوس صاحب ملك الروم ميخائيل ومعهم عشرين ألف من البطارقة والرهبان لأنه قد قام من القسطنطينية إلى البنجاك ونصب فيها ملك لأن ملكهم كان قتل فى يوم حرب كوشانوش فلما عاد وسمع بهذه القصة سار إلى العرب المتنصرة فوجدهم قد عولوا على الهرب والفرار وان أرمانوس لما أقبل ورأى ذلك سأله عن الحال فأخبروه بأسر مليكة وقتل الراهبة شوما وشومدرس الآخر أسير فعظم عليه وكبر لديه فقال وحق المسيح لأقولن لميخائيل أن يقطع ديوان العرب المتنصرة ثم قال ماهذا عليكم ذل وعار وان يكون رجل وامرأة يقوموا فى مقابلة عشرة آلاف من العرب

فقال له رجل من العرب وكان مجروح أنت حلفت انك تقول للملك ان يقطع خبزنا ورواتبنا فوالله ما بينك وبين الموت الاحتى ينزلوا اليك ويخرج روحك من بين جنبيك فلما ان سمع ارمانوس ذلك الكلام غضب وهم أن يقتل ذلك الرجل فقالوا رجاله ماهذا صواب أن تقتله وماندرى مايكون منك ومنهم فدعه سالم حتى يرى ماتفعل بهم وما يفعلون بك وان كانت لك لامانع من قتله على كلامه فتركه وأمر البطارقة أن يصعدوا إلى الجبل هذا وقد عمل القتال والحرب والنزال بطول ذلك النهار ولم يزالوا على ذلك المنوال أربعة أيام وفى اليوم الخامس وغبرة قد قامت وانقطعت عن أربعة آلاف فارس فى الحديد غواطس ولؤلؤ فى مقدمة الجيش وهو يصيح قد جاءكم الفرج من الله تعالى الحنان المنان الذى لايشغله شأن عن شأن فبلغ الخبر لارمانوس مقدم الروم بأن يانس المتعذب قد أقبل فأرسل اليه ارمانوس يقول ماالذى قد أخرجك من حصنك وأتى بك إلى ههنا فلما ان وصل اليه الرسول وسمع منه ذلك فأنفذ اليه مع الرسول يقول له فعلك الردىء لأن بينكم وبين الإسلام هدنة بعشرة سنوات وأنتم قد أرسلتم شومدرس حتى يعمل على الاميرة وعلى عبد الوهاب وهؤلاء لهم عيون وارصاد فى بلاد الروم ومع ذلك فانهم لما سمعوا بذلك ساروا لمن خرج فى طلبهم وهو يريد عطبهم بغير جناية وصلت منهم فلما سمع أرمانوس ذلك من الرسول انفذ ثانى اليه يقول دع عنك هذا الكلام وحق الإنجيل ماأنت الا مسلم وتريد أن تصلح نوبتك معهم فلما وصلت الرسالة اليه أرسل يقول له أما ماذكرت فانه صحيح وانا فلا أنقض عهد القوم الذى بينى وبينهم فلما سمع أرمانوس ذلك قال البطارقة اعلموا أن الملك منويل مامات إلا بحسرة هؤلاء فاحملوا عليهم وخذوهم هذا وقد نظرت الاميرة ذات الهمة إلى ذلك فنزلت ونزل الامير ظالم من الجبل وحملوا على الروم ومكنوا منهم الحسام وفلقوا الهام وزلزلوا الاقدام ولم يزال السيف يعمل والدم يبذل حتى وصلوا الى عند يانس وهو فى وسط الروم فطلعت العرب إلى الجبل المرتفع العالى وملكوا غلمان البطال وقد أخذوا شومدرس وحرب ابن شيبان وخلصوا امليكة من الكتاف وعلم ظالم بأخذ مليكة فصاح مثل الجمال وقد أحدقت به الخيل والرجال من كل جانب ومكان وما زالوا كذلك حتى ذهب النهار وافترقت الفرسان وتحارس الجيشان إلى أن أصبح الصباح وذات الهمة شكرت يانس على فعله وقالت له لله درك أيها الأمير الأجل الماجد والبطل المجاهد فقال لها طيبى نفسا وقرى عينا واشرحى صدرك فوالله ما منا أحد إلا وقد هان عليه القتل فى سبيل الله فدعت له الأميرة وقالت له هل طايرت الطيور إلى ملطية وعرفت الأمير بهذه القضية فقال لها نعم وقد قلت فى آخر الكتاب العجل العجل فطاب قلبها ولما أصبح الصباح

وقع الحرب والكفاح وقتل جماعة من أصحاب يانس وقد بان فيهم النقص ولم يبان في الروم لكثرتهم ولما كان في اليوم الثامن والغبار غبر حتى سد الأقطار وبان من تحته صلبان وعسكر ميخائيل وقد وصلت وهي مائة وعشرين ألف فارس وكان السبب في ذلك انه قد أبطأ عليه خبر العرب المتنصرة ووصل اليه خبر الجارية مليكة فسير أرمانوس يكشف له الخبر فغاب عنه خبره فقام بنفسه وقال وحق المسيح لو دخلت إلى بلاد المسلمين لم أزال وراءهم ولا أرجع إلا بها ثم انه سار حتى لحق الناس كما وصفنا وكان وصوله آخر النهار وقد أخبروه بخلاص شومدرس وقتل زوجته فقال ميخائيل وحق الإنجيل لاقتلن بثأر شوما الراهبة إلا ذات الهمة العاهرة عشاقة العبيد ولابد من يانس وأصحابه ذات اليمين وذات الشمال فهذا كان السبب وأما يانس لما رأى ذلك تغير لونه فقالت له الأميرة ماحالك قال لها اعلمي أيتها الأميرة القتال في موضع الغلبة مذلة والعاقل من ينظر في العواقب وما أنا ما أنا خائف الا عليكي لأنك ركن الإسلام فقالت له الأميرة اعلم يا يانس أن الرأي عندي ان تركب انت واصحابك ويهربون تحت الليل وانا افديكم بروحي وأرد من يتبعكم فان سلمت أنت واصحابك بلغت الغرض من سلامتك فقال لها يانس والله ماأسفي على قتلي وقتل أصحابي مثل مابي أنتم والرأي عندي ان تأخذي الامير ظالم وتنجوا واذا سلمتم فما أبالي بعد بأي موتة أموت قالت له الاميرة اصبر سوف يأتيك الفرج واما انا في غداة غد أريد أرمي روحي تحت الصليب الذهب والعلم الاخضر واقتل ميخائيل ومتى قتل هجت عساكره ولاتقام لهم راية ومازالوا في ذلك حتى أصبح الصباح فركب الملك ميخائيل وقال للبطارقة ياويلكم خذوهم وبسيوفكم انهبوهم فعندذلك حملت البطارقة مرة واحدة واحدقوا بهم كما يحاط السوار بالمعصم أو الخاتم بالاصبع فوالله ما كانت الالحظة حتى أخذوا يانس أسير وثلاثة آلاف من أصحابه وقتلوا الباقي في سبيل الله ولم يبق غير الأمير ظالم وذات الهمة وأخذوا لؤلؤ غلام البطال ودارت الأبطال بظالم وذات الهمة وقد أيقنوا بفناء الأعمار وقد كلت خيولهما ووقفت عن الجولان وتكردست عليهم البطارقه ومال الملك ميخائيل وصاح ياويلكم شيلوهم على أسنة الرماح فهجمت عليهم البطارقة ولم يبق في أخذهم إلا شيء يسير وإذا بالغبار غبر وقد ظهرت الأسنة وتراكمت الاعنة فوقفت الروم ينظرون إلى ذاك وإذا برايات اسلامية واعلام محمدية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي أوائل الخيل عبد الوهاب وخلفه سائر الأصحاب من أبطال بني كلاب والسودان الانجاب فلما نظر ميخائيل إلى ذلك أقبل على قومه وقال لهم اعلموا أنني قد نظرت البارحة منام أشغل قلبي وسرى هذا وقد خرجت الأميرة بين العساكر وتعجبت

إلى ذاك الفرج الذى قد أتاها فنادت الله أكبر وحملت فخرجت الصفوف وجدعت الانوف ولوحت القحوف ولعبت فى أوساطهم بمردوف فبينما هى كذلك وإذا بشخص قد أقبل عليها مبادر فلما رأته حملت عليه فكشف عن وجهه اللثام وإذا به صابر المرعشى الجاسوس الذى للاسلام فنادته مامعك من الأخبار ياصابر فقال لكى البشارة أيتها الأميرة من جهتين أحدهما بقدوم الأمير عبد الوهاب ورجال بنى كلاب والوجه الثانى حديث لله فيه رضى وهو معها فى الكلام وعبد الوهاب قد حمل ونادى الله أكبر وقد حملت بنى كلاب والسودان الانجاب وبنى سليم وغيرهم من الاعراب وعظم المصاب وقد سالت الدماء وحمل ظالم وهو ينادى على البطارقة والرهبان خاب أملكم ياعابدين الصلبان اليوم تشربوا كاس الهوان وما كانت إلا ساعة حتى انطرحت البطارقة على وجه الأرض فى الطول والعرض وحمل عبد الوهاب وطعن صاحب العلم فقتله وهجم على ميخائيل تعلق بجلباب درعه أخذه أسير فلما رأت البطارقة ملكهم أسروه المسلمين وولوا الأدبار وهم طالبين الديار وقد أخذوا مليكة وشومدرس ومانجى من أصحاب الملك إلا من جواده سابق وفى أجله تأخير وخلصوا الأمير يانس وأصحابه ثم أنه أقبل على ذات الهمة وهناها بالسلامة ثم أقبلت على صابر المرعشى وقالت له أن قلبى متعلق بكلامك فما الذى قد قلت قال لها ما أغفلك عن الجنة التى قد فتحت أبوابها فقالت له الأميرة بأى شىء فقال سارعى ياأميرة فهى قصة عجيبة وذلك اننى قد عرض لى حاجة يوم فى بلاد الصقلب وقد قصدتها وطلبت حاجتى فلم أقدر عليها وكان طريقى إلى تلك الحاجة من بحر الروح وهو الاقليم الثامن من جهة أرض يهودا ابن يعقوب عليه السلام فقالت ذات الهمة وعبد الوهاب وماكانت حاجتك الذى قصدت من أجلها إلى هذه البلاد التى قط ما سمعنا بها إلا منك فقال يامولاتى اعلمى أن لى بنت لاتنام الليل ولا النهار من الضربان الذى بها وكنت سمعت أن فى بلد الصقلب حكيما يعمل دهان لذلك الداء ويقال له دهن السواكن وهذا الدهن إذا وقع على صاحب الضربان سكن مابه لوقته وساعته ولو كان له عام مع صاحبه وثمن الدرهم من ذلك الدهن بثلاثة دنانير ذهب أحمر فلما سمعت ياأميرة بذلك من الذى أخبرنى بهذا الدواء هان على أن أجيبه ولو الدرهم بعشرة لأجل راحة بنتى فسافرت حتى وصلت إلى بلد الصقلب وسألت عن الحكيم فقال لى أنه قد سار من هذه الأرض لأنه ماكان من الصقلب بل كان من الأرض الثامنة من طائفه يقال لها القرازمة لأنهم لم يقولون أن المسيح روح الله بل يقولون أنه إله سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون الجاحدون علوا كبيرا فلما أن سمع عبد الوهاب وذات الهمة ذلك اقشعرت أبدانهم ثم قالوا والله ما سمعنا بهذا الحديث فى طائفة من الروم

من قبل هذا اليوم ثم قال صابر ولما سمعت يامولاى بهذا الحديث حملنى الاشفاق والصبر حتى وصلت لتلك الأرض وكان بينها وبين الصقلب كما بين ملطية والقسطنطينية ولا يوجد فى طريقهم من الماء إلا فى كل ثلاثة أيام مرة ولذلك لم يدخل اليهم قط من عسكر الروم أحد إلا ويهلك من شدة الظمأ وأما فى زمن الشتاء فلهم فيه برد شديد وتعلو الثلوج على بعضها حتى تسد الطرقات فلا سبيل لأحد عليهم ومع ذلك فانهم فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى ولهم حصون وضياع وقلاع وقد رأيت لهم مراكب كثيرة فى البحر وتدخل مراكبهم إلى السند والغرب وهم حسان الوجوه والملك الذى لهم مثل أربعة رجال جل الذى خلق وصور وسألت عنه فقيل لى أنها أنثى ليس ذكر ولها وجه كانه القمر المنير والله ما تصلح الملكة نورى أن تكون لها خادمة ولا شمسية ولا ملكية الكل عندها لا يسووا شىء وبالله أيها الأمير أشتهى أن تكون هذه الجارية ملكة لكم من دون الرجال فقالوا هى بنت الملك وانها فى الشجاعة بمكان عظيم وأنها إذا غضبت على كل من فى الأرض وأرادت لأخذت أموالهم وقد بلغ من قوتها أن تأخذ بقوائم الجمل العظيم وترفعه عن الارض بقوة زندها وساعدها ساعة ثم تضعه على الأرض من يديها وقد عطبت قوائمه من شدة قبضتها عليها ومع ذلك قد وهبت روحها للسيح وهى يقال لها كرنة وكل من أرسل من الملوك لها أنه يريد الزواج لابد أن تقتله ولم ترضى لها بعلا ولها فى البحر ألف مركب حربى بالعدد والرجال ولقد دخلت إلى تلك البلد فرأيت فيها من الأمول مالا عين رأت ولا أذن سمعت وفيها كنيسة يقال لها كنيسة العهد وفيها الرهبان شىء كثير وأننى لما نظرت إلى ذلك رأيت أربعة أبواب وعلى كل باب فارس وبيده قوس وبأيدى الفرسان البوقات إلى دخول الانسان لأن الانسان إذا رأى إلى تلك الاشخاص يظن أنهم من بنى آدم حتى لا يصل أحد من الأعداء اليها وهذا كله من عمل الناس القدماء من اليونان بطلا سمهم ويقتلون كل من قرب عليهم ومن فوق الاسوار المنجنيقات والفرادات والحجر على الصور مرصوص كيمان بجنابهم ثم أننى دخلت من باب تلك المدينة وقصدت إلى البيعة التى لهم وأنا فى زى الرهبان السائحين فى الأرض وقد سمعتهم يقولون سيروا بنا إلى الكنيسة التى فيها المسلمين الاسارى حتى نعذبهم كما جرت عادتنا فلما أن سمعت ذلك طار عقلى فسرت مع القوم حتى دخلوا لها وبقوا فيها ومديت نظرى فرأيت فى وسطها أربعمائة رجل ومائة امرأة والكل عرايا وفى أعناقهم الجنازير ومع كل واحد منهم كلب مثل الخنزير وهم مشدودين فى سلسلة طويلة وإذا أرادت الكلاب الخروج من الكنيسة منعتها السلاسل التى فى رقابها ورقاب المأسورين فتكشر الكلاب عن أنيابها فينهشوهم

وهم يستغيثون فلا يرحمهم أحد ورأيت الملكة كرنا وهى تحلف بالإنجيل وتقول لا فرجت عنكم من هذا الذى أنتم فيه حتى تقولون ان المسيح هو الإله وهم يقولون لا كان ذلك أبدا ولو شربنا شراب الردا فلا رب إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى خلق عيسى ابن مريم لا إله غيره ولا معبود سواه وان محمد رسول الله وهم يقرؤن القرآن فأخذتنى الغيرة الإسلامية عليهم وصبرت حتى خرجوا الناس وقد انغلق الباب وأنا فيها فسترت وجهى عن نسائهم والجميع مثل البدور ولا أدرى من أى بلد قد أتوا بهؤلاء إنى ثم دنوت اليهم من جهة الرجال فرأيت شيخ مليح الصورة فتقدمت اليه وسلمت عليه بلسان العربى فلما سمع كلامى رد على السلام وبكى فقلت له يامولاى من أين أرضكم وكيف وصلتم إلى هذه الديار التى هى فى أيدى الكفار فقال الشيخ اعلم ياولدى انى أنا كنت ملك لهؤلاء القوم الذين تراهم من حولى غير انى ما اغتريت بالملك عن عبادة ربى ساعة واحدة قط عن المفروض على ولا ألتى الله سبحانه وتعالى بظلم مخلوق واننى قد عزمت على الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام وقد تجهزت ومعى خواص من دولتى وقد خفنا من السير فى البر فركبنا البحر فى سفينة وقلعنا من بلادنا إلى جهة الاسكندرية لأن بلدى فى أقصى بلاد الملثمة وأنا يقال لى عبد الودود وما حملنى على ذلك الاشوق إلى بنتى وهى فى أرض الشرق ومتزوجة بأمير يقال له ظالم ابن عبد الوهاب أمير بنى كلاب فقلت أولا أحج والثانى أزور ابنتى وأجدد بها عهدى قبل الموت ولما ركبنا البحر أقمنا فيه عشرة أيام وقلنا اننا قد قربنا من البلاد وإذا قد هب علينا ريح عاصف أحرمتنا أن نسير الى امامنا وأقامت الريح علينا هكذا عشرة أيام ونحن لا نعلم الى أين سائرة بنا المركب ثم سكن الريح فأرمينا المراسى على أربعين قامة فى البحر وقد فرغ مامعنا من الزاد والماء حتى صار الانسان لايقدر أن يقف على طوله من الجوع ثم هبت الريح ثانى ساعة فأرمتنا إلى هذه المدينة وهذه الجزيرة التى ما كانت لنا على بال فأخذونا هؤلاء ونحن لانقدر ان نمنع عن نفوسنا وأخذوا كل ماكان معنا من المال وهو شىء لاتحمله الجمال وهم لايطعمونا إلا فى كل يوم وليلة مرة واحدة ونضرب الضرب الكثير الذى لانطيقه على اننا نرجع عن كلمة التحقيق ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم الشفيق ونقول كلمة كفرهم وهذا لايكون أبدا فلما سمعت منه ذلك قلت له أيها الشيخ ابشر فان الله سبحانه وتعالى قد فرج عنك وعن كل من معك فبكى وقال يا بنى بماذا فقلت له اعلم اننى أنا صاحب هذا الذى قد ذكرت واسمه ظالم ابن عبد الوهاب واننى قد دخلت هذه الديار لأجل سبب من الأسباب وما كان لى هذا فى حساب وما بينك وبين

الفرج إلا بمقدار ماأصل الى المجاهدين الذين قتلوا وفتكوا فى بلاد أعداء الدين وأذلوا العباد شرقا وغربا وهم المؤمنين بعدا وقربا فكأنك بهم وقد ساروا اليك وهم رجال بعدد النجوم يحملون الحديد فى طاعة الله الملك المجيد فسألنى عنكم فأخبرته بسلامتكم فبكى فرحا وقال لى يا أخى عجل بالرحيل ولا تقصد التطويل وإذا وصلت الى الأمير عبد الوهاب وظالم ابنه زوج ابنتى فقل لهم ان جماعة من أمة محمد مظلومين وقد تمكنت منهم الأعداء وهتكوا الرجال منهم والنساء وهم ينادون بالملك الأعلى وهم عراة الأجساد جياع البطون وفاض به الحال فأنشد يقول :

بلغى ياريح قصتنا * واذكرى مابى من المحن
لأمير طاب عنصره * وسقاه الوابل الهتن
فى سبيل الله نصرته * لمدى الأيام والزمن

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وان صابر المرعشى قال ثم اننى صبرت الى أن أصبح الصباح وكنت سألتهم كم لكم وأنتم فى هذا العذاب فقالوا اثنين وعشرين شهر فودعتهم وخرجت أقطع البرارى والقفار وأنا أصل سير الليل بسير النهار حتى وصلت فى هذا النهار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عبد الوهاب والأميرة هذا الخطاب فبكى وزاد به الانتحاب وكذلك والدته ذات الهمة وقد مزق الأمير ظالم ما عليه من الثياب وفاق لبنت عبد الودود وكان كأنه فى منام واستيقظ وعبد الوهاب حلف وقال والله لانمت على فراش ولا خلعت عن جسدى الحديد ولاملأت جوفى بطعام حتى أشرف على جزيرة مطلبونة وأطلب من الله المعونة ثم انه قال للرجال ياإخوانى من أراد منكم الرجوع من هنا إلى ملطية فليرجع قالت المجاهدين لاوالله ماتفوزون أنتم وحدكم بالأجر والثواب ونحن خلف الباب وظالم يذكر ماجرى له لما كان عندهم من الكرامة وقد ترحم على البطال وقال هذه الدنيا دار نكد ولا ينجو منها أحد ثم أنه قال ارحلوا بنا من وقتنا هذا فقالت ذات الهمة اعلم أيها الامير إنك تريد ترحل إلى هذه الأرض البعيدة ونخاف من عسكر الروم أن ينطبقوا علينا من خلفنا ولكن الواجب أن نصالح ملك الروم هذا على كل شىء كان عليه من المال والهدنة إلى أربع السنين وبعد ذلك نمن عليه بروحه ونطلقه من الإعتقال ونحمله جميلة بذلك ورأيك فى ذلك أوفى فلما سمع عبد الوهاب من أمه ذلك رآه عين الصواب فأحضر الملك ميخائيل وقال له رأيت روحك ياملعون كيف غدرت وأردت أن ترسل شومدرس يعمل على هلاكنا فقال ميخائيل أنا ماأعرف منك إلا العفو والمعروف فعندها وقع الصلح على أن مليكة يأخذها ظالم ولا سبيل لأحد عليها ويزن

المال ودية من قتل وإخراج الجزية فى كل عام على القدر الذى عرف بحمله للخليفة فقال ميخائيل فى سره أنا أنجوا فى هذه الساعة بروحى وبعد ذلك أجتهد فى خلاص مليكة وأقطع عليه خمسين ألف دينار هذا وقد سلم عبد الوهاب ميخائيل وشومدرس إلى يانس المتعذب وقال خذهما عندك حتى يحضر المال أطلقهما فقال سمعا وطاعة ثم سار عبد الوهاب وهو طالب مدينة مطلبونا وسار معه عشرة آلاف فارس من بنى سليم ومثلهم من بنى كلاب والسودان كانت عدتهم أربعة آلاف أسود وكان ظالم أرسل مليكة إلى ملطية وقد تقدم أمامهم صابر المرعشى يدلهم على الطريق ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى الأقليم المعروف ببلاد مطلبونا فرأوه أقليم عظيم وبلد هائل هذا وقد وقع الصائح بوصول العرب وجفلت أهل الإقليم وكان الأمير ظالم سائر فى المقدمة فأول ما ورد مكن منهم السيوف والقوم آمنين منذ ما خلقت الدنيا ولا يكون أحد فى يوم من الأيام قد تعدى عليهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد انقلبت الأرض وما انفض ذلك اليوم حتى صار على ظاهر البلد مائتين ألف من الرجال وهم خلق طوال والقسى والنبال فى أيديهم فقال الأمير لا إله إلا الله سبحانه الخالق البارىء وإن كان قتالهم على قدر أجسامهم فلا بد أن نلقى منهم تعب شديد هذا وقد أدركهم المساء فباتوا فى ذلك المكان حتى أصبح الصباح فقالت الأميرة ذات الهمة ما الذى ترى ياأمير من الرأى فما أرى لهم صوت ولا صياح فقال الأمير عبد الوهاب ما هذا منهم إلا احتقارا بنا والله هذا يدل على أنهم أبطال الأرض فى الطول والعرض فبينما هم كذلك وإذا بفارس قد أشرف عليهم ولم يسلم بل صاح بالرومى ياويلكم من أنتم وماتريدون ولماذا جئتم طالبون هل أنتم من عساكر ميخائيل الذين يقولون أن له شريك ولا يقولون أنه وحده هو الرب فأعلمونا من قبل أن ندوسكم بحوافر الخيل فلما أن سمع الأمير ذلك المقال وهو ينظر إلى الصورة من بعيد وهو كأنه الجبل الأسود وقد صار مفتكر فيه وفى الصورة والوصول إليه ثم أنه صاح على ذلك البطريق وقال له ارجع لمن أرسلك وقل له نحن من أصحاب منويل ولا ميخائيل نحن من أصحاب المظلل بالغمام وهو الشفيع فى يوم الزحام وما جئنا إلى هذه الأرض التى لكم إلا غيرة لله ولرسوله ولا بد ما تخرب دياركم فقال له الرسول بعد ماصلب على وجهه من كلامه ويلك ولم ذلك فقال له الأمير لأنكم كفرتم بالرحمن الذى لا يشغله شأن عن شأن فلما أن سمع البطريق منه ذلك رجع وهو غضبان إلى أن وقف قدام الملكة وقال لها اعلمى أن هؤلاء القوم الذين قد جاءوا أرضنا مسلمين من بلاد بيت المقدس وهم المجاهدين مثل القوم الذين عندنا مأسورين وقصدوا لهذه الأرض لأجل خلاص الذين عندنا ويريدون أن

يفتحوا بلادنا كما فتحوا بلاد الروم ومرادهم يأخذوا الديار فلما أن سمعت الملكة من الرسول ذلك قالت له و لم لم خضبت سيفك من دمائهم فقال لها أيتها الملكة إنى لم أقدر أفعل أمر حتى تأذنى لى وها نحن بين يديكى فأى بطريق أذنتيه حمل عليهم ورد عسكرهم مكسورة فقالت من يخرج إليهم فوحق المسيح لو كانوا بعدد النجوم وخرجنا إليهم كان ذلك نقصا بنا وكان لها بطريق مقدم على عساكرها يقال له قفتخور وهو جبـــار عنيد يعد بألف فارس فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبد الوهاب فانه لما مضى الرسول بقى واقف منتظر الجواب وهو كذلك وإذا بالعساكر قد تفرقت وانصرف أكثرها إلى البلد والباقى منهم مائة ألف بطريق هذا وقد اصطفت الرجال واشتهرت النصال وكانت تلك الساعة إذا نظر إليها الناظر طار عقله من هؤلاء العساكر وطولهم لأن أقل ما فيهم طوله ستة أذرع بذراع القوم فقال عبد الوهاب لوالدته يا ترى ما شأنهم فاننى أراهم قد افترقوا فقالت يا بنى أن القوم قد احتقرونا وقسموا العساكر هذا وقد نظر الأمير إلى خيل القوم وإلى زينتهم فعلم أنهم ملوك الأرض ثم صاح عبد الوهاب فى رجاله وقال ما وقوفكم اصدموهم قال وأبيك ماسمعت الرجال من عبد الوهاب ذلك حتى هجموا عليهم وهم يصيحوا الله أكبر الله أكبر ففرقوهم شرقا وغربا وطعنوهم بالرماح فانكسرت الرماح مما عليهم من الملبوس ولم تعمل فيهم وكان أكثر الدرق الذى معهم من جلد الدواب التى تخرج من البحر وقد ذكرنا أنهم كانوا يضربوا بالنبال جيد عند ذلك صاح مقدم العسكر قفتخور وأوتر قوسه وضرب عبد الوهاب فجاءت للقضاء فى جواده نفذت منه ثم قال لجماعته كل واحد منكم يفعل كفعلى عند ذلك فعلوا وما كانت الا ساعة حتى بطحوا الخيل ولما نظرت العرب إلى ذلك أيقنوا بالمهالك ولما رأت ذات الهمة إلى ذلك صاحت بالسودان وقالت يا آل حام يا آل حام ثم أنها ترجلت وترجل معها أربعة وعشرين ألف من السودان من كل بطل أنجد وحذف عمامته عبدالوهاب إلى الأرض وقال أقسم بالله قسما صادقا لاركبت جوادى حتى أخضب سنانى ويدى من دم الأعداء هذا وقد حملت الأميرة والامير ولهم هماهم ودمادم وهدير وقد نظرت السودان إلى فعل ذات الهمة وعبدالوهاب وكيف انه كشف رأسه وأرمى عمامته فقال بعضهم لبعض كيف يكون الامير مكشوف الرأس ورؤوسنا نحن تحت اللباس وأرموا العمائم وصارت كل رأس مثل قدر النحاس ونادوا كلهم بصوت واحد واق واق فخيل للروم أن السماء قد انطبقت على الأرض وثبتوا قلوبهم وحملوا عليهم وصوبوا الرماح اليهم حتى إذا وصلت الرماح اليهم ضربتها الأبطال بالصفاح حتى تطايرت قطع هذا والسودان قد بركت على

الركب كأنهم سد من حديد وصفوا دروقهم على وجه الأض فصارت كأنها حصـــن من الحصون وتحتها قلوب حبشان لايخافون من المنون (قال الراوى) ياسادة يا كرام وهجموا على الخيل عند تقصف الرماح وتثلم الصفاح وضربوا قوائمها بالصوارم فبروا منها القوائم ونظرت العرب إلى ذلك فترجلت وما كانت الاساعة حتى طرحوا الخيل على وجه الأرض (قال الراوى) وترجلت الروم وعلقت الرجال بعضها ببعض باللحاء وامتلأ الأرض من القتلى وفاضت الدماء وعملت الصوارم فى الهاهم ووقعت الرجال من شدة الصدام ونفذت السهام فى لبات الرجال الكرام وصار النهار مثل الليل الديجور لم تعرف العرب من العلوج ولاحت أبدان البطارقة مثل الثلوج ووقعت الأقيال من السروج وتقدم قفتخور وقد هاج كما يهيج الجمل وقتل من السودان والعرب نحو أربعين وهو قد ترجـــل وجعل يزبد كالفحل من الابل ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجع كل قوم إلى مكانهم وأضرمت النيران وتحارس الفريقان وأقبل الأمير عبدالوهاب على الأميرة ذات الهمة وقال لها ياأماه أقسم بالله رب الأرض والسماء إن كنت مالقيت من سائر الطوائف أوقح من هؤلاء القوم وما رأيت مثلهم ولا أصبر منهم على القتال ولا أثبت فى الحرب والنزال ولقد لقيت منهم اليوم تعبا عظيما ونصبا ورأينا من سيوفهم عطبا ولابد لنا معهم من هول عظيم لايصبر عليه الا كل كريم ثم سأل عن الأمير ظالم فقيل انه مجروح فعظم عليه وكبر لديه وقال علىّ به فأحضر بين يديه فسأله الأمير كيف سبب جرحه فقال حملت على هذا الملعون المقدم على الروم فلما أقبل احتقرت به وحسبت انه من بعض بطارقة الروم وتطاعنت أنا وإياه ساعة من النهار فطعن جوادى فقتله ولحق السنـان فخذى فوثبت إلى الأرض والا كنت قد عطبت ولو لم تدركنى السودان لـكان قد قضى على من ذلك الجرح فقالت الأميرة مالهؤلاء القوم إلا البراز والا مانصل إلى مانريد وباتوا على ذلك والسودان قد غنموا من اسلاب الروم ماليس لاحد مثله وهم يختصمون ويقاتلون طول ليلتهم وبعضهم يغنى بلغة السودان ويضحكون ويلعبون (قال الراوى) ياسادة يا كرام وأما البطريق قفتخور فانه لما رجع إلى قومه قال لهم وحق المسيح لقد سار الينا الملك منويل فى أبطال الروم وسائر الطوائف فما لقينا قط أشد من هؤلاء المسلمين وما لنا أن نخرج اليهم واحد بعد واحد حتى نأخذ أبطالهم ونأسر أقيالهم (قال الراوى) ولما أصبح الصباح ارتفع منهم الصياح وزاد الصراخ وقد ركب

ققتخور وركب عسكر الروم كلهم لانهم وصات اليهم الخيول من البلد واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وتزاحمت الالوف وكان ذلك اليوم يوم مخوف وكان أول من خرج إلى الحرب الأمير أبو الهزاهز وهو راكب على جواد أدهم أسحم كأنه الليل المظلم وهو مليح القوائم كأنها دعائم يسبق بجريه الريح الهبوب كريم منسوب سليم الاطراف سريع الانعطاف سهل القياد بقوائم شداد منية الطالب ورغبة الراغب يسبق الجنائب ولا تبعد عليه المشارق والمغارب راكبة فى أمان من المعاطب والأمير أبو الهزاهز من فوقه أعظم سوادا من هباب الحداد ولكنه كريم من الحبشان الاجواد فى يده قناة سمراء صلبة الأنابيب حسنة التكعيب وعلى رأسها سنان كأنه كوكب أو نار ذات لهب أو حمة عقرب ثم أنه جال وصال ولعب فى حومة الميدان وأنشد وجعل يقول

ألا يا كلاب الروم قد هلك الكفر ✲ ولاح لنا نجم السعادة والنصر
رجال كماة ليس فى الخلق مثلهم ✲ اذا حكمت فى طول أبطالها البتر
وسوف ترى أبطالكم قد تجندلات ✲ وطار على أجسامهم طائر النسر
فهل فيكم ليث شجاع مبارز ✲ فيبرز نحوى قبل أن يأتيكم أمر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فما تم كلامه حتى قفز اليه فارس من الروم يقال له دقيانوس وكان من الأبطال المشهورين وحمل على أبو الهزاهز حملة صادقة وفى يده صمصامة بارقة وتحته حجرة سابقة وقد استتر بطارقة من عمل البنادقة وله همهمة مثل الرعود الخافقة وأخذ فى الاقبال والادبار والراحة والقتال والضرب بالنصال والطعن بالعوال والانعطاف والانفتال والركض والخبب والافتراق والانطباق والوقوف والسباق وقد قامت الحرب على ساق وزمجر أبو الهزاهز وطلع منه الزبد على الأشداق وتعندمت عينيه واحمرت منه الأحداق ونظروا الروم إلى فارس لا يطاق وتضاربا بالسيوف الرقاق وعض كل منهما أنامله على صاحبه لهفا وجعل ينظر اليه أسفا حتى لاح المضرب لأبو الهزاهز فضربه على عاتقه أطلع السيف من علائقه وكبرت سادات بنى كلاب وزمجرت السودان الأنجاب هنالك زعقت عساكر الروم زعقة واحدة ورأيت الأمور متزايدة وإذا ببطريق تدخرج من المضيق على جواد مثل الفتيق يسبق البرق البارق ويفوت الطرف الرامق لا يلحقه الطير السابق وفى يده سيف ماحق ورمح خارق ولما حققت الحقائق وأبصرته الأبصار الروامق وإذا به ققتخور الذى تقدم ذكره وقد قام شعر بدنه مثل المسلات وله همهمة مثل أسد الغابات فقالت الأميرة ياعبد الوهاب اعلم أن خير القول أصدقه فالحق أبو الهزاهز والا ما تلحقه فما هو من رجال هذا الملعون (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان ققتخور

حمل على أبو الهزاهز وحمل أبو الهزاهز عليه وقد ظن أنه مثل البطارقة فلما اختبره اختبار خالص علم أن حاله معه ناقص فالتفت إلى الأمير وصاح بصوت مثل صوت الجاموس الحقنى ياعبد الوهاب فقد حل بى العذاب فقال الأمير عبد الوهاب للأميرة ذات الهمة قنى موضعى ثم حمل عبد الوهاب كانه أسد الغاب وكان على جواد أبلق مليح كالبرق إذا برق أوالرعد اذا خفق لمشيته رونق وبيده سيف لوضرب به أصول الشجر لمحق ورمح لوطعن به الجبل خرق (قال الراوى) ياسادة ياكرام وحمل كل واحد منهما على صاحبه هذا ويفتخور قد أخرج يده من جلباب درعه وكان له ساعدان كانهما اسطوانتان ثم أنه همهم وللامير عبد الوهاب صدم وعليه هجم فغضب الأميرعبد الوهاب من فعله ونهمه (ياسادة) واحتكم القتال بينهما وطلع الغبار عليهما ونظرت الفريقان اليهما ووقعت الخيل من تحتهما وحمى الحديد عليهما وتطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين حتى لم يبق فى أيديهما غير القبضتين وافترقا فى الميدان حتى قيل أنهما لا يرجعان والتصقا حتى قيل أنهما لايفترقان ثم انكشف الغبار وكل واحد منهما قدبان حنقه على صاحبه وجعل ينظره ويرمقه ومناه عنقه ثم رجعا إلى ماكانا عليه من الكر والفر والنهى والأمر والحلو والمر واختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنه البطريق حتى اذا قرب السنان من الأمير عبد الوهاب انقلب واذا به لفرسه لبب ورجع الأمير أسرع من الأجل اذا اقترب وطعنه فى صدره أطلع السنان من ظهره فعند ذلك حملت الروم على الأمير عبد الوهاب فصاحت الأميرة بصوت جوهرى يهد الجبال وتفزع منه الأبطال ويذل لسماعه الأسد الريبال ونادت فى بنى كلاب دونكم وهؤلاء الكلاب وحملت السودان الأنجاب واختلط الصناديد ولان الحديد وكانت ساعة عظيمة يشيب لهولها الطفل الوليد وبان عند ذلك الضعيف من الجليد وقطعت المفاصل وبانت المقاتل وتشوشت العمائم وفاضت الدماء مثل فيض الغمائم وهلكت من هول ذلك اليوم العالم وانكسرت الروم وكان يومهم يوم مذموم وقتل منهم ذلك اليوم خلق كثير فأخذوا الناس أسلابهم وخيولهم وأموالهم وجعلت السودان يتراقصون ولا يخافون عواقب الفناء ولا يبالون وجعلت السودان تخلع ماعليها من اللباس وتلبس من أثياب القتلا حتى السراويل وقد نظروا إلى أبدان كأنها اللؤلؤ أو الثلج الأبيض هذا وقد وصلت الأخبار إلى البلد بقتل يفتخور فركبت الملكة كرنه وقد انقلبت البلد بأهلها وخرجت وضربت بين يديها البوقات وهم من الذهب والفضة وهى لا تخاف من كثرة العساكر ولم تفزع لقتل البطريق المقدم ذكره وضربت لها الخيام هذا وقد أمسى المساء ونزلت بظاهر البلد ونزل عبد الوهاب فى مكانه وطلب الأميرة

فلم يجدها فعند ذلك ضاق صدره وسأل عنها سائر الناس وكلا منهم يقول لانعلم لها خبر ولا أثر فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ولكن انظروا الأمير ظالم حتى انه يركب فى مع السودان الحرس الليلة والا يكبسونا فطلبوا الأمير ظالم فلم يجدوه فعظم عليه وكبر لديه وقال والله هذا ما كان فى الحساب فبات طول ليلته لايعلم هل هم قتلوا أم أسروا وعند الفجر ارتفع الصياح من السودان الذين كأنهم جن سليمان وأرموا الدروع والجواشن وبقوا بالسراويل مثل الجانب ولما نظرت الملكة كرنة إلى ذلك صلبت على وجهها وقالت لقومها ويماه ويماه هؤلاء كأنهم لاشك من دواب البحر فقالوا لها أيتها الملكة سمعنا ان فى الأرض من خلق المسيح من هو بهذه الصفة فقالت لهم اعلموا ان لاشك هؤلاء أقوى من بنى آدم فى العفة والشدة ثم انهم لعبوا بالطنابير وهم يرقصون فقالت كرنة وحق البحر إذا ذخر ان هؤلاء الذين نسمع بهم ويقولوا عنهم انهم عفاريت ومن الذى يقدر أن يقاتلهم ثم أمرتهم أن يهجموا عليهم حتى انها ترى قتالهم كيف يكون فأطلقوا عليهم الخيل فتلقتهم السودان بقلوب كأنها حجر صوان ساعة من الزمان واندقت البطارقة هاربة وإلى الملكة طالبة قالت ياويلكم ما الخبر فقالوا أيتها الملكة الإنسان يريد أن يقاتل إنسان مثله وهؤلاء كأنهم العفاريت المتمردين ولا لنا قدرة عليهم قالت لهم الحق عندى أنا الذى فرطت فى قعودى عنكم ولكن فى غداة غد لأفعلن بهم فعلا يتحدثوا به إلى آخر الزمان وأجعهم على المأسورين الذين فى الدير وأصب عليهم أنواع العذاب هذا ما كان من الملكة كرنة وقومها (اسمع ما كان) من عبد الوهاب بات وأصبح وقد ركب فى رجاله وأبطاله وجعل ضيغم فى الميسرة وأخيه سيف الحنيفية فى الميمنة وقد استوحش العسكر لذات الهمة وغيبتها وكل طائفة تريد أن تعمل أكثر من الطائفة الأخرى هذا وان الملكة كرنة لما نظرت الى ذلك صفت عساكرها وترتبت للقتال فمد نظره عبد الوهاب فرأى عشرة آلاف بطريق قد وقفت على صف واحد قال فى سره وذمة العرب انى وددت من الله أن تكون هذه العدة للمجاهدين فى سبيل الله واذا بالصياح قد علا ونما هذا والملكة قد حملت وأشارت الى أصحابها بالحملة وكانت أصواتهم على قدر خلقتهم فارتجت الارض فى الطول والعرض وقد جاوبوهم السودان بالبربرة والدنقرة وكان أول من اندفع من القوم الملكة كرنه وهى رويدا حتى بقيت بوسط المعمعة كأنها فارس ذكر من عظيم خلقتها وطلبت أبو الهزاهز فارتما عليها بذلك القد والهيكل وهو كما تفهم السامعين أوصافه وأنشد

اليوم يوم الضرب فى ذا الكافرين والطعان بالخيطة والعوالى

في طاعة الواحد ذو الجلال ولا نمل يوما فى القتالى
فانظروا اليوم إلى فعل العبيد فى موقف الحرب والنزالى
فهذه الوقعات من أشغالنا ولا نرهب لساعات النبالى

(قال الراوى) فتلقته الملكة كرنة حملة رجل جبار ولما نظر اليها نظرة أعقبته ألف حسرة ومن ثيابها الذهبية والطلعة البهية تخبل عقله وضاع حواسه فطمعت نفسه فأرادأن يأخذها أسيرة على قيد الحياة حتى تكون له زوجة وهو لها بعل ويكون له الفخر والفضل على أصحابه وقد همَّ أن يهجم عليها ليأخذها وإذ بقراقد انقض عليه كانقضاض الباز من جو السماء على أضعف الطيور وحمل عليها فصاح عليه أبو الهزاهز ويلك ياقراقد فما أجهلك خليها واطلب غيرها لأنى أريد أن أحظى بها وهى لى وأنا لها فقال قراقد لا كرامة ولا عزازة لك والله ولو يكون أسرتها لايتم لك ذلك ارجع أنت وتخلا عنها فما أنت من أهلها ولا من رجالها فغضب عند ذلك أبو الهزاهز وقال له وبلغ من قدرك أن تقول لى مثل ذلك يا ابن الحرام وأنت تعرف اننى أثبت منك جنان وأقوى فى حومة الميدان والطعن بالسنان وأما أنت فمصرى ولا قيمة لك ولا شأن وكم فى الصعيــــد مثلك يا ابن الألف قرنان فلما سمع قراقد ذلك صاح مثل الجمال وحمل كل واحد منهما على صاحبه هذا والملكة كرنة قد علمت ان كل واحد من هؤلاء أراد أن يحمل عليها فرده الآخر فوقفت وأرادت تعلم من فيهم الأقوى لأنها رأتهم كبار الأجساد كأنهم من قوم عاد هذا ولما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك الحال فرق بينهم بعــــد أن قامت عبيد هؤلاء على عبيد هؤلاء وقتل ما بينهم أربعة وعشرين من الطائفتين ولما استقر بهم القرار زعق عبد الوهاب على أبو الهزاهز وعلى قراقد وقال لهم اعلموا ان الرجال الذين قتــلوا بينكم أنتم المطالبين بهم يوم القيامة قال أبو الهزاهز اننى ياسيدى لا أرجع إلا أقتل هذا الأسود قراقد حتى تكون المطالبة واحدة وقال قراقد مثل ذلك وقد زاد الكلام وكل واحد راح إلى مضربه والحسام مجرد فى يده وغلظة الأكباد فى داخل الأجساد فغضب الأمير عبد الوهاب وقد أمر بالقبض عليهم والاعتقال وقد طرح فى ارجلهم القيود ففعلوا بهم فى ذلك وقد قال لهم أخبرونى عن سبب هذه الفتنة التى جرت بينكم فقالوا له بسبب كرنه فقال لهم الويل لكم كنتم طرحتم القرعة وعلى كل من وقعت عليه يبرز إليها فى الأول ومع ذلك فما فاتكم شىء من ذلك وفى غداة غد عند الصباح إذا ركبت الرجال تروم الحرب والكفاح نرمى بينكم القرعة وتخرجوا إليها واحد بعد واحد واعلموا أنه على ما قيل لى انها اشجع من

البطريق الذى قتل وكل منكم يحترز على نفسه ولا يرجع إلى مثلها فقد هلكوا الناس بينكم واشتفوا الأعداء بفعالكم وانا فعندى من الهم والغم لفقد الأميرة وظالم الذى مثلهم ما يوجد ولا اعلم لهم خبر هل هم قتلاء أم أسراء وفقد ولدى إبراهيم قد أذهب صبرى وجلدى وأيضا أننى قد أصبت فى مثل ابو محمد البطال الذى مثله ما يوجد وما لحياتى بعده رونق فياليت الفراق لم يخلق لأننى والله متفكر فى هذه المدينة ولو رزقنى الله النصر على العسكر لبقيت مشتغل لأنهم ينهزموا ويدخلون كلهم فى مثل هذه البلد التى هى أحصن من آمد ولو أقمت عليها أبد الآبدين ودهر الداهرين لما كان لى اليها من وصول ولا إلى نحوها دخول ولو كان عندنا أبو محمد البطال لكان حالنا قد انبرم وعقد الرأى قد انتظم (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد بات الأمير عبد الوهاب على غاية من الهم والغم ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح تارت الرجال من مراقدها وحلت الخيل من مقاودها وجردت الأبطال سيوفها من أغمادها وتبادرت إلى مقام جلادها وركبت ظهور جيادها وكانت الملكة كرنه فى تلك الساعة تقول وحق المسيح لقد رأيت من الاسودين قتال مليح وأن هؤلاء القول مادخلوا إلى ديارنا الاوهم فى غاية الهمة وفتحوا ستة عشر أقليم من بلاد الروم إلا وهم أفرس أهل الأرض ولولا ذلك ما ثبتوا بين أيديكم ساعة واحدة وقد عولت فى غداة غد ان أخرج إلى البراز وأنظر إلى قتالهم فليس الخبر كالعيان (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا ولما أن أصبحوا من الغد كان أول من خرج إلى البراز وإلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب كانت الملكة كرنه وهى على جواد شديد الحيل والإمكان عظيم الهيكل وهى مع ذلك أحسن الناس وجها كما قد ذكرنا أول من الظرف والبياض بخد أحمر وطرف أكحل وقد أسيل وثغر جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وقد ظهرت فى حلة سوداء على بياض يسلب الفؤاد وقد وقفت بين الصفين وصلبت على وجهها فعند ذلك صاح أبو الهزاهز يامولاى قارع بيننا فعندها قارع فوقعت القرعة على قراقد ثلاث مرات فعند ذلك خرج قراقد وهو فرحان كانه الفتيق على جواد له كالحريق وفى يده صارم رقيق ومازال حتى قرب منها فلم تمهله دون أن حملت عليه وقصدت إليه وقد حمل عليها بفؤاد جرى من حرصه عليها وكانت قد خرجت كما ذكرنا فى ثوب أطلس مدفون فيه زرد متزايد العدد كأنه عيون الجرد بأزرار ذهب فخلعت الثوب وأرمته عن بدنها وحملت على قراقد غير مكترثة به فمد قراقد عينه فنظر إلى مدرج أعكانها وبياض جسمها فأشغله ذلك عن الاحتراز من سنانها فلم يشعر دون أن طعنته بعقب الرمح فى صدره وقع على ظهره فانقضت

عليه أخذته أسير وقادته ذليل حقير وطلبت بعد ذلك البراز فخرج إليها أبو الهزاهز وقد شمت بقراقد لحمل عليها وحملت عليه وتضاربا وتطاعنا فانحرف كل واحد منهما عن طعنة صاحبه إلا أنهما فى حدة جرى الجوادين حك الركاب بالركاب فألقوا رماحهم ولم يلحقوا أن يتضاربوا بل تقابضوا بالكفوف ثم صاحت الملكة كرنة على أبو الهزاهز بلسان الرومى ومدت يدها إليه وهو فى هرجه ومرجه أخذته من بحر سرجه ورجعت به سلمته إلى رجالها شدوه كتاف وقووا السواعد والأطراف ثم عادت إلى الميدان وطلبت البراز فخرج لها الأمير ضيغم فأخذته فخرج إليها مالك ابن طوق فأخذته فخرج إليها الأمير راشد فأخذته وكذلك صندل أخذته فخرج فرج وكان من عبيد أبو الهزاهز ما قام معها إلا شىء يسير فأخذته فازداد بعبد الوهاب الحقد والحنق فخرج إليها وأنشد يقول

لعمرى ما حرب النساء بسائد ولا كنت شاهده مالم يشاهد

وعاينت منها لبوة زاد شرها على كل ليث كان فى الحرب ماجد

فلا بد من حربى لهـا لو أننى بقيت قتيلا بين واش وحاسد

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغ من شعره ونظمه حمل عليها والتقوا مثل البحار إذا تلاطمت أو جبال تصادمت وفتحوا فى الأرض ميدان فقلع الأمير سنان رمحه وحذفه فى الهوى وتلقاه نزل محتكم بالسوى ثم دق بكعبه الأرض كأنه التحم ببعضه بعض فلما نظرت كرنه إلى ذلك الفعل الذى فعله فلم يعظم عليها دون أن ضربت بيدها إلى الرمح الذى معها وخلعته أنبوب بعد أنبوب ورمته إلى الأرض واعتمدت على الحسام ثم هجم عليها الأمير بالرمح وأراد أن يطعنها فضربت رمحه برته كما يبرى الكاتب القلم ثم تقابضوا باليدين وجالوا بالجوادين وقد خذل منهما الزندين فمع القضاء والقدر وقع جواد الأمير فى جحر اليربوع فنزل فيه إلى نصفه فانكبت عليه أخذته أسير وقادته ذليل حقير وأن الناس لما نظرت إلى ذلك وما حل بالأمير أرادوا الحملة عليها حتى يخلصوه من يدها فمنعهم من ذلك سيف الحنيفية وقال لهم إن حملتم عليها هلك الأمير لأن هؤلاء لا ينظرون فى عاقبة ولا يعرفون من هو الأمير ووالله ما أخذأبى إلا غصبا لأنه قد خانه جواده وأنا أريد أن أخرج اليها فان أخذتها فهو المراد ولمن كانت الأخرى فافعلوا بعد ذلك مابدالكم (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وأن الملكة كرنة لما أخذت الأمير وسلمته إلى البطارقة رجعت طالبة البراز فهم سيف الحنيفية أن يبرز اليها وإذا بغبار قد طلع من بين العسكر وفارس على جواد أشقر بعمامة رسيسة

وثياب دنيسة وثيابه ممزقة وفى كفه حسام مثل الصاعقة وهو مضيق اللثام وعيناه تلوح كانها عيون الأرقم وانحذف على الملكة كرنة كانه شهاب هنالك صاحت عليه وقومت الرمح وهزته حتى التف طرفيه على بعضهم وضربته ضربة شاذة فتلقى ذلك الفارس وضرب رمحها براه كما يبرى الكاتب القلم فوقعت له فى قلبها هيبة عظيمة ثم عاد اليها ذلك الفارس وزاوغها وطعنها بعقب الرمح واتكا عليها جعل أعلا مافيها ظهرها ثم وقع عليها شدها كتاف وقوى منها السواعد والاطراف فهجم عليه فارس من رجالها وهو يريد خلاصها من يده فما كان الفارس المذكور إلا أنه قام من الأرض واثب كالأسد وضرب قوائم جواده عرقبه وقبل وقوعه من فوق الجواد ضربه بالحسام طير منه الهام هذا والروم قد حارت من فعل ذلك الفارس وعجبوا مما عاينوا وقد عاد بها الفارس يطلب عسكر المسلمين فناداه سيف الحنيفية من أنت أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام فقد أشفيت الغليل وأرضيت الرب الجليل فكشف اللثام عن وجهه وإذا به الاميرة ذات الهمة فلما أن رأوها صاحوا وقد فرحوا وأخذها الدعاء من كل جانب ومكان واجتمعوا وسلموا عليها وقد سألوها عن حالها (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى غيبة الاميرة والأمير ظالم وهو أن الأمير ظالم قد قلق على الملك عبد الودود وقال ما بقى لى قرار وعبد الودود فى تلك الحالة التى حدثنى بها صابر المرعشى فقالت له الاميرة ذات الهمة وما الحيلة فقال لها اعلمى أن الحيلة أننى قد أخذت اليوم من أسلاب القوم القتلى وفى غداة غد ألبسهم وأسير فى جملتهم وصابر المرعشى معى فاذا صرت فى البلد قصدت إلى تلك الكنيسة فان وجدتهم سالمين فالحمد لله رب العالمين وان كانوا هالكين بردت هذه النار التى فى قلبى ولعل الله تعالى أن يرزقنى النصر على الروم إذا صرت فى المكان الذى فيه عبد الودود وكل ذلك من أجل مافعل فى حقى من غير معرفة بى لأن الجميل لمن بدأ به (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما ان سمعت الأميرة من ظالم ذلك الكلام قالت له وأنا معك أيها الأمير الأجل الكبير القدر العالى المحل سائرة لأننى عنك غير صابرة وما أدرى مايكون من أمرك ومع ذلك فاننى قد اشتقت إلى هذا الرجل الذى قد وصفت دينه وزهده وحلاوة فعله الجميل الذى لم يسبقه اليه أحـــد لأنه أعطاك عسكره ونعمته وزوجك بابنته وقد باتوا تلك الليلة ولما أن أصبح الصباح لبس كل واحد منهما زى القوم وقد ساروا على ماذكرنا إلى أن اختلطوا مع القوم وكان ذلك اليوم الذى كسر فيه البطريق قفتخور وقتل ودخل عسكره منهزم مكسور وسارت الأميرة وظالم معهم ودخلوا البلد وكانت الملكة كرنة قد خرجت إلى القتال فقصد ظالم إلى الكنيسة التى فيها الاسارى

وقد دخل مع جماعة من الروم لأنهم كانوا إذا دخلوا إلى كنائسهم يتقربوا بضرب هؤلاء المسلمين الاسارى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فدخل صابر المرعشى بين أيديهم فجعلوا الروم يلطموهم على وجوههم وتنظر الأميرة ذات الهمة اليهم وكذلك ظالم وصابر المرعشى وقد تغيرت أحوالهم وقد مات منهم جماعة وعبد الودود أنحلته الاحزان وأشعلت فى قلبه النيران وقد أسبل الدمع من الأجفان فأنشد يقول

المرء ليس له علم بجبرته ☆ وليس ينجو من الأشياء بفطنته

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ونظر ظالم إلى عبد الودود فى تلك الحالة فعرفه وقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأقبل على الأميرة ذات الهمة وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وهم أن يجرد سيفه ويضرب فى الروم فقالت له الأميرة على ماذا عولت عليه فعرفها بما فى نفسه فقالت له لا تفعل واعلم إن فعلته يكون سببا لهلاكنا وهلاك عبد الودود معنا لأن البلد بلد عظيم وهو حصين واذا غلقت الأبواب ولو أننا بعدد التراب لافنونا بالقرضاب ولكن اصبر وترفق بنفسك ياولدى واعلم ان العجلة من الشيطان وعقبها ندامة وليس فيها سلامة (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد خرجوا البطارقة ولم يبق غير ظالم والأميرة هذا وان صابر كشف وجهه وتقدم إلى عند عبد الودود فلما ان نظره عرفه فقال له مرحبا بك ياأخى قد أوعدتنى انك توصل خبرى إلى الأمير ظالم بما قد حل بى ونالنى من هذه الأمور التى أنا فيها وهؤلاء المأسورين والله مابنا إلى الانقطاع عن عبادة ربنا ثم بكى بكاء ضعيف الخوى من الجوع فأنشد

كادت غداة فراقكم كبدى ☆ تفنى وكاد القلب ينصدع
مذغبتمو وأقمت بعدكم ☆ لم يبق لى فى لذة طمع
ولقد فزعت لبعدكم زمنا ☆ لوكان يفنى الخوف والفزع

(قال الراوى) فلما سمع ظالم شعره صاح وقال يامولاى ليتنى لم أخلق بعد ماجرى عليك هذا وأنا فى الحياة مقيم لكن هذا كما قال الله العظيم وكان ذلك فى الكتاب مسطورا هذا وقد كشف ظالم عن وجهه فنظر اليه الملك عبد الودود فعرفه فغاب عن الدنيا وغشى عليه لفرط ما قد ورد عليه من الفرح والسرور وكان قلبه يصدق ونفسه تكذب وصار قلبه بين الخوف والرجاء وبكى الأمير ظالم ثم أنه أفاق من غشوته وهو يقول

ما أظن الزمان يأتى بهذا ☆ غير أنى رأيته فى المنام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد اعتنقه الأمير ظالم وضمه إلى صدره وقال له أبشر

أيها الملك فقد أتاك الفرج من عند صاحب الفرج وقد قال له وهذه الأميرة ذات الهمة سيدة المجاهدين وناصرة دين رب العالمين فلما أن سمع ذلك فرح وقد فرحوا لملثمة الرجال والنساء غاية الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وخلعت الأميرة كسوة من التي على أبدانهم وستروا بها بعض النسوان وقد تباشروا بالفرج ثم أقبل الملك عبد الودود على الأمير ظالم وقال له يا بنى كيف الخلاص مما نحن فيه فقال له اعلم أن عسكر الأمير عبد الوهاب على ظاهر البلد وهو فى مائه ألف فارس وأنا والأميرة ذات الهمة هاهنا عندكم فقال له عبد الودود يا بنى ماأقول أن أحدا فى دار الدنيا مثلك فى الشجاعة والبراعة فقال له يا مولاى هذه الأميرة اذا وزنت أنا وهى فى العيار كانت هى قنطار وأنا درهم ووالدى عبدالوهاب مثلها فى الشجاعة فابشر أيها الملك بالفرج والسرور إن شاء الله تعالى فبكى من الفرح والسرور وبكوا النسوان وقالوا ماأطيب الفرج من وسط الشدة هذا وقد باتوا عندهم يتحادثون وقد حلهم الأمير ظالم من الكتاف وعند الصباح خرجت الملكة كرنه وجرى ماجرى وأسرت الملكة كرنه قراقد وأبو الهزاهز ومن معهم من الأصحاب وقد أرسلتهم إلى البلد فبينما الأمير ظالم على ماهو عليه اذدخل الأمير قراقد أسير ومعه عشرة من الأبطال يقودوه وبعده أبو الهزاهز ومعه عشرة أخر ودخل بعده مالك ابن طوق وبعده راشد بن ضمره وبعده الأمير هياج الكردى فلماأن نظرت الأميرة إلى ذلك دنت إلى ناحية أبو الهزاهز وقالت له ياويلك ومن الذى فعل بكم هذه الفعال فعرفها بالقصة وقال لها وأنتى هاهنا قالت نعم ويلك أخبرنى فقال لها وإيش أخبرك يغنيكى نظرك من حمل حديثنا لأنه عبره لمن اعتبر عند كل أحد من البشر واعلمى اننا كلنا قد أسرتنا الملكة كرنه وكانك بعبدالوهاب يأتيكى إلى هاهنا وفى رقبته حبل طويل فقالت له الاميرة ذات الهمة لابشرك الله بخير يا أسود يازنيم فقال لها الساعة تبصرين صحة القول (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما أن سمعت الأميرة من أبو الهزاهز ذلك الكلام أقبلت على الأمير ظالم وقالت له اعلم انى مابقيت أقدر على المقام هاهنا وها أنا خارجة وما مجىء هؤلاء الأسارى إلا جيد لنا لانه قد صار عندك أبطال العرب ولعلى أقدر على عدة أرسلها اليكم مع صابر المرعشى لان هذه البلد لو أقمنا على ظاهره ألف عام لما وصلنا اليه ولا فى المنام وأنتم إذا كنتم فى البلد قدرتم ان شاء الله على فتح الباب لانى خائفة لايتم على عبد الوهاب أمر من الامور فيحملون هؤلاء على أصحابنا فلو انهزموا رمية سهم لعب السيف فيهم وما كان ينفلت منهم أحد لان الديار ديار الاعداء فكن أنت عند هؤلاء فان القوم مشتغلون بالقتال وما يأتى اليوم اليكم أحد (قال الراوى) ياسادة يا كرام ثم انها خرجت لوقتها وساعتها واختلطت مع القوم والعساكر

والعالم عظيم والجم غفير إلى أن خرجت من البلد ودارت عسكر الروم ونظرت إلى الامير عبد الوهاب وقد خرج إلى الملكة كرنة واتفق له معها ما اتفق وأسرته فلما نظرت إلى ذلك خرجت بذلك الزى وأخذت كرنة أسيرا كما ذكرنا (قال الراوى) ياسادة يا كرام ورجعنا إلى ما كنا عليه من الحديث وأن الروم لم ينهزموا ولكنهم حملوا يريدون خلاص الملكة وقد صارت فى يد قناصها وضربت الأوداج وعاد النهار مثل الليل الداج واختلط الاعراب والاعلاج وصار النجيع مثل البحر العجاج وانتثرت الرؤوس وتشوشت عمائم الرجال وحملت أسود الحرب واختلف الطعن والضرب وكان ذلك اليوم يوم صعب واشتد الكرب واستغاث المسلمون إلى الرب وحامت عليهم العقبان وعملت الصوارم فى نواعم الأبدان ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى وقت العصر ونادى المنادى بالانفصال عن القتال ونزل عسكر الروم فى موضعه فقالت الأميرة عمرى قد فنى فى كشف الكرب ما رأيت أصبر من هؤلاء على الحرب فلما نزلت الأميرة أحضرت كرنه قدامها وهى ذليلة حقيرة ونظرت إلى ذات الهمة فقالت وحق المسيح ما كنت أقول ان على وجه الأرض قط من يقوم مقامى فى الحرب ولم أجد أحدا يجسر على ذلك فمن أنت أيها الفارس فكشفت الأميرة اللثام عن وجهها وقالت أنا امرأة مثلك أنا أم الفارس الذى خانه جواده وإلا ما كنتى قدرتى ما كتى قياده وهو عبد الوهاب وسيد بنى كلاب فقالت كرنه وحق المسيح انك أقوى منه وأخبر بالحرب ومع ذلك فلقد رأيت منه ما لا يصطلا بناره ولولا انكبابه بالجواد لما بلغت منه المراد والآن فما ينفعكم كونى عندكم لأنى أعلم أن أهل البلد قوم لا ينظرون فى عاقبة وما لهم عقول وأخاف أن يقتلون ولدك فيكون عاقبة ذلك علىّ (قال الراوى) ووقع انفدا بالملكة كرنا وسارت إلى عسكرها وسار الأمير عبد الوهاب إلى عسكره وهو يقول والله أن العجب والمعايرة هى مر المذاق أنا عايرت أبو الهزاهز وقراقد كيف أنها أخذتهم وملكتهم فعثر بى جوادى ونفذ فى حكم الله ثم فرح بالأميرة وقال لها معكى خبر ولدى ظالم فقالت نعم أنه كان من الأمر كذا وكذا ثم أخبرته بما جرى فبكى الأمير عبد الوهاب مما وصفت له من أحوال المسلمين وأبطال الموحدين فقال لها على ماذا دواتى فقالت على أنك أنت الساعة تحمل على القوم وتقاتل الأعداء لعلى أدخل البلد مع المنهزمين وتحاصر أنت البلد لعل الله تعالى يسهل فتحها لأن فيها ملك الأرض وتطهرها من كلمة الكفر ثم تخلص المأسورين ففرح الأمير عبد الوهاب بمقالها وقال الحمد لله الذى أخلف على عوض أبو محمد فى تدبيره وان كنت لا اسلوه ما غردت

الحمائم على الأغصان وحن الغريب إلى الأوطان ثم ان الأمير عبد الوهاب ركب فى ساعته بأبطاله ونظرت الروم إلى ذلك فعلموا أن القوم قد عولوا على القتال والنزال فركبوا وركبت الملكة كرنه وقد انكسرت نفسها وحملت فى أوائل الناس وحملت الروم فى ذلك الهول العظيم وزاد الأمر وضاق الصدر وعيل الصبر ولفح الحر وقطعت الآمال وارتجت الأرض من عظم الزلزال وعضت الخيل لجمها وانقطعت حزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها وكان يوم عظيم وطعن الأمير عبد الوهاب صاحب العلم فقتله وآخر فجندله ولم يبق من العرب والسودان إلا من قتل واحد من الكفار وقد امتلأت الأرض من القتلا ونظرت الملكة كرنه إلى ما حل بها من هذه النائبات التى قد نزلت على عسكرها فخافت وألوت عنان جوادها ودخلت البلد وانهزم الجيش من ورائها ودخلت الأميرة ذات الهمة فى جملة الناس فى الزى الذى دخلت به أول الناس ودخل معها لؤلؤ وسبك وجوهر مع جملة المنهزمين من بعض الأبواب وكان للمدينة أبواب ودخلت الناس لا يعقل الأخ على أخيه ولا الولد على أبيه وأغلقت الأبواب وأمنوا أهل البلد على نفوسهم لأنهم لو نزل عليهم كسرى لم يقدر عليهم) قال الراوى وسارت الأميرة وغلمان البطال إلى الكنيسة وقد نظروا إلى عبد الودود فقال لهم مالنا نسمع الصياح فقالت الأميرة أبشر فقد قرب الفرج وانكسرت عساكر الروم وقد صار عندك أبطال العرب وسار الأمراء عند باب البلد ونحن نؤمل من الله تعالى يكون الفرج قبل الصباح فباسوا القوم الأرض شكراً لله تعالى على هذا ولما أمسى المساء قالت الأميرة لغلمان البطال أنتم الآن أخبر منا فى هذا الشأن فما عندكم من الرأى لأن البلد حصين وهذه الأبراج التى للاصوار لو أراد كل واحد يحتمى فيها كانت مثل حصن وكل برج كبير عظيم ولكن كيف الوصول إلى أن نملك بعض الأبراج لأن الصور كله ما له درج يصعد إلا من القصر الذى للملكة كرنه وهو مكان رفيع لا يصل اليه واصل ولا يقدر عليه حامل فقالوا لها وماذا تفعلى أيتها الاميرة نحن مادخلنا إلى هذه المدينة إلا فى يومنا هذا ولكن نخرج وندور فى البلد ونقول لك مايكون إن شاء الله تعالى ثم ان الملكة كرنه دخلت إلى البلد ثم غلقت الابواب وبقيت فزعة جزعة فقالوا لها البطارقة من إيش هذا الفزع الذى قد نزل عليكم وان هذه المدينة لو نزل عليها أهل الدنيا لما وصلوا إليها ولا قدروا عليها فقالت اعلموا أنى وحق المسيح ما كنت أقول أن فى الأرض من يقوم مقامى ولا يروم مرامى ولقد رأيت من هذه المرأة التى هى أم المتقدم على هذا العسكر مالا يظن أنه يكون فى بشر ومن هم بهذه الصفة فلا آمن مكرهم وحيلهم ومافى الأمر إلا الاحتراز

على كل حال فان من أهمل الأشياء فقد ندم وقد قال أرسطاطا ليس الحكيم من لم ينظر فى العواقب ماالدهر له بصاحب ثم أنها أرسلت إلى الملك عبد الودود ومن معه لتأخذه بألف بطريق فلم يمكن الأميرة الدفع وكذلك باقى الاسراء من الأمراء فقال ظالم أيتها الأميرة خاب والله ما أملناه كيف نسكت عنهم فهم أن يجرد سيفه فهمزت عليه الأميرة وقالت أمسك عليك ياظالم ولا تعجل فنحن مع القوم وهم مالهم خبرة بناو بأعمالنا ونحن نعمل على فتح بعض الأبواب ونملك بعض الابراج ونرفع الرجال وقد ملكنا البلد إن شاء الله تعالى وكلما بقينا كان خيرا لنا ولو طلبنا الساعة منهم القتال لم نقدر على ذلك لأن القوم عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وكنا نهلك ولا نصل إلى مانريد فسكت الأمير ظالم وحملت البطارقة الاسارى إلى قصر الملكة فأنزلوهم فى المطامير وأفردوا للأمراء مطمورة أخرى وجعل فيها ضيغم وأبو الهزاهز وقراقد ومالك ابن طوق وراشد ابن ضمرة ثم أطبقت عليهم هذا وقد بقى فى البلد الأميرة ذات الهمة وظالم وصابر المرعشى وغلمان البطال والباب قد غلق وأن الملكة كرنة قالت لقومها ماذا ترون من الرأى فقالوا وما عسى أن نرى فى ذلك مالنا إلا نصعد على الصور فما للاعداء عبور ونرميهم بالسهام والأحجار ونقتل منهم الصغار والكبار وهم إذا أرموا علينا فلا تصل لنا فقالت هذا هو الصواب وصعد القوم على الاصوار بالعدد اللامعة والدروع المانعة والدرق الحديد الصينى وهم على علو ذلك المكان وجعلوا يصيحون على الناس ويسبوا الأمير عبد الوهاب فركب فى السودان وزحف إلى البلد فرأى ما أمله بعيدو البلد لا يقدر عليه أحدو لم يصعد اليه سهم ولا حجر وأرموا عليهم الأحجار فقتل من السودان اثناعشر رجل فلما نظرت إلى السودان حنقت وبربرت وهدرت وأقبلوا على الأمير عبد الوهاب وقالوا أيها الأمير والله ليس لنا صبر على هذا الأمر ولا نقدر على هذا البلد ولو أقمنا طول الاعمار لأنه ما مثله فى البلاد والامصار فقال لهم فما الحيلة فقالوا انصعد إلى هذا الجبل الذى بين أيدينا ونقطع الأشجار ثم نعمل سلالم فلو كان الصور ألف قامة عملنا سلالم فى طوله فعند ذلك قال لهم الأمير عبد الوهاب افعلوا ما بدالكم واجتهدو فى خلاص أمرائكم وانصروا دينكم فلما أن سمعوا ذلك ساروا إلى الجبل وقطعوا الأشجار من أصولها فكان مالا يعد ولا يحصى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا جرى لهؤلاء وأما الاميرة ذات الهمة ومن معها فانها فى البلد محصورة لاتقدر على الصور ولا تصل اليه وفى المدينة مائة برج ومائة بدنة فى كل برج مائة بطريق وهم ينامون فيهم وبين كل برج وبرج مائة ذراع ولا سبيل لأحد من عسكر الأمير عبد الوهاب أن يتقرب من الصور لان الحجر يأتيه من ذلك الارتفاع فيهلك به فأقاموا على ذلك وقد ضاقت عليهم الامور

أيام عدة وقد فرغت السودان من السلالم لانهم أوصلوها إلى بعضها البعض فصار السلم طول البرج وكان فى عسكر الامير عبد الوهاب ثلاثين ألف رامى يرمون على الحدق وأن الامير ركب ورفعت السلالم ومشت الرجال تحتها وتقدمت بين يديها أصحاب القواس الحديد ورمت بالنبل ثلاثين ألف رامى عن يد واحدة فلما أرمت النبال تصايحت الروم وألقوا عليهم الطلاقات والحجارة ولعبت الفرادات وكثر الصياح وزاد الصراخ وصبرت السودان وزحفت الحبشان وقد قتل منهم جماعة حتى ألصقوا السلالم إلى الابراج وطلعوا فيها مثل الجن وأتاهم من الاحجار ماليس له حد ولا مقدار فقاتلت الرجال وتناصلت الابطال وهم مع ذلك صابرين وإلى رؤوس الاصوار سائرين وهم لربهم شاكرين فلله درهم لقد أشفوا الغليل وأرضوا الملك الجليل فقالت الملكة كرنة أتونى بالنفط فأتوها به فضربت بعض السلالم فاحترق والتهب ورجعت الرجال من عليها عندها عاينوا اللهب ولم يزالوا فى القتال الشديد والحرب الاكيد وهم على مافاتهم قلقون إذ لم تتم لهم السلالم فيصعدون هذا والملكة كرنة قد أقبلت على قومها وقالت لهم اعلموا أن ما بلى أحد بمثل ما بلينا به من هؤلاء القوم وهم مايخافون الموت وإلا ماكانت هذه الفعال فعالهم ولا شك انهم يرون فى دينهم أن هذا الفعل يقربهم إلى ربهم فهم يطلبو بذلك مرضاته ولما كان عندنا بقايا نفط لما قدرنا على رميهم عن السلالم ولو صاروا معنا فى الابراج كنا هلكنا بلا محالة وقد كان ملك الجزيرتين خطبنى كما علمتم ورديت رسالته كما فهمتم وأظنــــه مشغوف بحبى راغب فى مواصلتى وله فى جزيرته عالم عظيم ماله أحصى بعدد الرمل والحصى وقد رأيت من الصواب أن أكتب إليه كلام أعرفه بما جرى علينا من هؤلاء السودان والعربان فهو يسير الينا ويحمل عنا هذه الملة لانه أقل ما يأتى الينا فى ألف مركب واضمن له انى أزوجه بروحى وأكتب أيضا إلى جزيرة مقلاطوس الذى طلبنى من الاول وخطبنى وما أنعمت بذلك وفى قلبه منى حسرات وأضمن له ماأضمن لساترون فانه يأتى الينا فى عسكر جرار وأقول لهم تدفعون عنى هذا العدو الذى قد نزل علينا والبلاء الذى أحاط بى وأترك عن نفسى التعب وأستريح من النصب والسعيد من كفى بغيره فقالوا لها هذا هو الصواب أيتها الملكة لاننا قد دفعنا إلى مالا طاقة لنا به فعند ذلك كتبت الكتب على ماشرحناه ثم علقتها على أجنحة الطيور وسيرت أيضا الحرقات الخفاف بنسخ الكتب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان فى كتابها إلى الملك مقلاطوس (أما بعد) فانى أكره الرجال لانى كنت قادرة على حماية بلدى من كل عدو يطرقنى والآن فقد

بليت بمالا أطيق لأنى قد سارت إلى العساكر المسلمين من أرضهم وقد قصدوا إلى ونزلوا على بعد أن أخربوا بلاد الملك ميخائيل وأذلوا كل من فيها من ملك جليل وقد قتلوا من بطارقتى بعدد التراب وقطر السحاب وبلد محصور بعدما أصبح جيش عزى مكسور ولم يبق لى طاقة بالخروج اليهم ولا الهجوم عليهم لأن فيهم رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما وقد ندمت على ماكان منى اليك وقد كتبت اليك هذا الكتاب على انك تسير إلى بروحك وقومك فان أنت صرفت عنى هذا العدو كنت لك كما تر من الجناح وأن لم تفعل ذلك فقد أرسلت الملك الجزيرتين وطلبت منه ايضا ماطلبت منك على أن تكون لحسنى وجمالى حائز ولا يحجزنى عنك حاجز ومن قعد منكم فهو الذليل العاجز وكتبت لساترون أيضا مثل ذلك (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان للملكة كرنه قهرمانة وهى عجوز طاعنة فى السن إلا أنها مثل الافعى كلما طال عمرها زاد شرها وكانت لاتزال فى القصر مع الملكة كرنه وهى ترى فيها أمر عظيم (يا سادة) وان الأمير ظالم من ضجره قال للأميرة ذات الهمة وغلمان البطال ماهذا صواب نقيم ههنا محصورين ولابد أن نطلع مع أهل المدينة إلى قصر الملكة نعمل الليلة على أخذها فقالوا غلمان البطال والأميرة مالنا غير هذا الأمر إن شاء الله تعالى (ياسادة) وانهم لما أصبحوا دخلوا مع جملة الناس للسلام على الملكة كرنة وأهل المدينة قدلاح لهم الفرج لأجل ماقد سمعوه من أخبار الملكة وكيف كتبت إلى ملوك الجزائر وسارت الأميرة والأمير ظالم وغلمان البطال الى القصر وسلموا مع جملة البطارقة وخرجوا كانهم يدورون فى القصر فتفرقوا فيه مع البطارقة يريدون أن يخفون أمرهم ويكتمون حالهم فلما تصرم النهار وأقبل الليل وتفرقت البطارقة إلى الابراج والاصوار وقد بقى فى القصر مائة غلام وهؤلاء منفردين منهم (ياساده) وان القهرمانة نظرت اليهم فأنكرتهم وقالت وحق المسيح أن هؤلاء القوم وان كان لبسهم لبسنا فانه تكلف لا تطبع وقد كنت أسمع فى قديم الزمان أن المسلمين يفتحون البلاد بالحيل والخداع وما هؤلاء إلا من الاعداء بلا محالة ثم قالت للملكة كرنة ذلك فلما سمعت كرنة ذلك صلبت على وجهها ثم سارقت الأميرة ذات الهمة بالنظر فعرفت عيناها فتغير وجهها حتى كانها قد عاينت ملك الموت من تلك الهيبة التى قد دخلت فى قلبها الشدة فزعها ورعبها وأخبرت البطارقة فقالوا أيتها الملكه أن آجالهم قد ساقتهم الينا وما جهد هؤلاء أن يعملون فنحن الساعة نحمل عليهم ثم نقطعهم بالسيوف ونسقيهم شراب الحتوف فقالت كرنة خلوا عنكم هذا الطمع ولا تقولوا أن آجالهم ساقتهم الينا فربما فيها يكون آجالكم أنتم قد حضرت لأنى أعلم من هؤلاء القوم

مالا تعلمون وقد شاهدت منهم مالا تشاهدون ولو لا نعرف منهم ذلك كان القصر ملكوه وتهلك منهم وتملك البلد أعوذ بالمسيح من ذلك الأمر القبيح فقالوا وما الذى تأمرين به فقالت من الرأى أنكم تأمرون من على الصور من البطارقة عشرة آلاف ينزلون اليهم لكى يقبضون عليهم ومع ذلك فانى أقول انى لا أقدر عليهم بأقل من عشرين ألف بطريق وكل هذا احتراز من فرد شخص أعرفه فانه وحده يريد عشرة آلاف وما أدرى ان كان الباقى مثلها فما يكفينا أربعين ألفا فضحكوا البطارقة من قولها وقالوا أيتها الملكة الكريمة قد وقع لهم فى قلبك هيبة عظيمة وسوف ترين ما يسرك من حالنا وحالهم (ياسادة) وتفرقوا البطارقة وصعدوا على الأصوار وتحدثوا مع المقدمين من البطارقة وأولاد العمالقة فأخذوا العدد ونزلوا من الأصوار بالتروس المكوكبة والسيوف المجذبة والعمد المذهبة والحراب المركبة وهم متالأبطال ونزلوا إلى القصر فى أزيد من ثمانين ألف بطريق فعندها أقبلت الأميرة ذات الهمة على الأمير ظالم وقالت له يابنى ماقلت لك لايزال بك جهالة الصبا وعجل الهوى حتى أرميتنا فى أيدى الأعداء لنشرب شراب الردى إلا أن القوم قد علموا بنا وبالله ماصعدوا هؤلاء القوم ورجعوا على أعقابهم فى هذا الخلق العظيم إلا وقد وقع بنا الإنكار نخذ الآن لنفسك ولا تموت إلا كريم فقال الأمير ظالم أيتها الأميرة ما تم إلا الخير اقصدى انتى مطلع الابراج حتى لايقدر أحد على النزول من الأعلاج وأنا أكفيك مؤونة من قد نزل وأرغم آنافهم وأعجل تلافهم فعجبت الأميرة من قوله ونظرت إليه وقد قامت عيناه فى أم رأسه فقالت لله درك ودر أبيك فأنتم المجاهدون فى سبيل الله الذابين عن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت يابنى قد وقعنا فى هذه النوبة ولكن ما بقى لنا إلا الاعتماد على الله تعالى والضرب بالحسام فى طاعة الملك العلام فان كانت المنية قد حضرت فهو المراد فى طاعة الملك الجواد المنزه عن الآباء والأجداد الخالى عن الصاحبة والأولاد مهلك الأمم الطاغية أهل الفساد تعالى ربنا عما يقولون أهل الفساد يابنى وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه ألف ضربة بالسيف أهون من موتة الفراش وان نحن كان لنا فى الأجل تأخير فما نبالى بأهل الكفر والطغيان غير إنى أقول انى أجلد منك للقاهم فانفرد أنت بنفسك إلى مطلع الصور من هذا المكان ويكون معك غلمان البطال وأنا أحمل عليهم وألقاهم وأصبر على أذاهم وبلاهم فقال ظالم مالى وجه ألقى به ربى ولا أبى إذا أسلمتك للعدا فقالت له الأميرة أسمع ماأقول ولا تخالف رأيى فعنـــد ذلك عول على ما قالت وصاحت البطارقة وأشارت الملكة إلى الأميرة وغلمان البطال ونظرت الروم إلى ذلك فأكبوا طالبين الحملة وإذا بصياح قدعلا

وصراخ قد نما من جانب البلد حتى خيل للناس أن البلد قد أنقلبت فقالت الملكة ويلكم ما الخبر لا يكونوا المسلمين قد فتحوا احد الأبواب (ياسادة) وان الأميرة لما سمعت الأصوات اختلج بقلبها مثل ماظنت الملكة وبقيت مرتقبة الخبر هذا والروم قد كفوا عنها من الفزع والجزع ومضت البطارقة ورجعوا وهم يتصايحون الصياح العظيم فارتاعت الملكة كرنة من ذلك وصدقت الأميرة ما كان قد خطر بقلبها فقالت ماخبركم ومن بشره رماكم فقالوا أيتها الملكة ما وراءنا إلا الخير والسرور كرنة ويلكم والغبطة والحبور وقد ذهب عنا كل هم وغم وغرور فقالت وما ذلك قالوا برأيك السديد الذى ما عليه من مزيد قد أمتلأ البحر مراكب من ناحية مقلاطوس أكثر من اربعين مركب والشمع يقيد فى وسط البحر وفى غداة غد يهلك هذا العدو ولا يرجع إلى بلادهم منهم أحد ولا يقصدنا عدوا بعدها أبدا ففرحت بذلك وصلبت على وجهها وقالت لقد أسرع مقلاطوس إلى وحق المسيح لا أملك روحى إلا له لأنه كان أسرع إلى قضاء ما طلبت وإنجاز ما أملت وإنما ما ترادف الرجال إلا للحماية وصاحت بهم الآن أخذوا هؤلاء القوم فعندها حملت البطارقة على الأميرة ذات الهمة حملت حملة عظيمه وقد أيقنوا بأخذها فقطعت الأميرة المعاصم وجزرتهم جزر البهائم وألقت عليهم البلاء القائم ومكنت منهم الصوارم وكذلك ظالم قد وصل إلى المطلع ولم يأخذه فزع وكل من طلب النزول لرأسه قطع وهو مثل الأسد الاذرع حتى أنقطع من النزول الطمع ونادى منادى البطارقة ويلكم ألا وإن الموت الأحمر قد وقف فى هذا الباب فلما قربوا وسمعوا ذلك تجنبوه ونظر ظالم إلى البطارقة وقد أحدقت بالأميرة وقد أنقطعوا عما كانوا عزموا عليه فرجع إلى الأميرة ذات الهمة وقد أحدقت بها الأبطال وهى تضرب يمين وشمال وقد دعست فيهم دعس الجمال (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك كشف الأمير ظالم الناس عنها وضربهم بالقواضب وأحدقت بهم الروم من كل جانب وقد علا الصياح هذا والأمير عبد الوهاب يسمع ذلك الصياح فى البلد وقد نظر ذلك الأسطول الذى فى البحر فزاد الصياح لأجل ذلك ونظرت الملكة كرنة إلى الرجال وقد قتلت والأبطال وقد جندلت فنادت ويلكم افتحوا باب القصر حتى يدخل إلى القصر العوام ففتحوا ودخلوا فصار فى القصر من العالم مالا يحصى ولم يزل الأمر كذلك إلى أن أصبح الصباح وقد قتلوا فى هذه الليلة بعضهم بعضا وامتلأت بالقتلا الأرض هنالك ضربوهم من فوق رؤوسهم بالحجارة وأكبوا عليهم الدرق وتكاثروا عليهم فأخذوهم بعد تعب عظيم وقتال جسيم واحتووا على الأمير ظالم والأميرة وغلمان البطال وصابر المرعشى هذا والأمير عبد الوهاب ماعنده من هذا خبر إلا أنه خائف عليهم وقد طال أمرهم

وغاب خبرهم عنه فقال لبنى كلاب اعلموا أنى قدرابنى بطء أصحابى فى هذه المدة كلها فقالت له بنى كلاب أيها الأمير الأجل إذا كانت الأبواب مغلقة والابراج شاهقة فمن أين لهم خلاص فقال لهم الأمير عبد الوهاب لعمرى يابنى عمى ما الأمر الأصعب نسأل الله سبحانه وتعالى تيسير كل عسير وهذه النار التى قد لاحت فى البحر ماهى إلا مراكب حربية بحرية وهى نجدة لأهل البلد والرأى عندى اننا إذا أصبح الصباح وتحققنا انها مراكب رحلنا عن البلد ونرجع إلى خلفنا رحلة واحدة ونظهر أننا قد فزعنا من هذا الأسطول الذى لهم حتى يطمع أهل البلد فينا ويفتحوا الابواب ويعولوا على الضراب ويخرجون من الأبواب فان كانت الأميرة وظالم معهم محصورين ومن الخروج ممنوعين فهم يخرجون معهم فقالوا صدقت أيها الأمير وعولوا على ذلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلع الصبح ضاحكا بعد ماكان حالكا وقد ظهرت المراكب من كل جانب عليها أنواع اللبود والملابس كانهم عرايس وهى تجرى بهم فى موج كالجبال وعلى ظهرها القنطاريات العوال فى أيدى الرجال والسيوف الصقال والقسى والنبال وفى أوائلهم مركب كبير طويل مغشاة بالذهب والفضة وعشر ثياب من الديباج الاطلس الأحمر عوضا عن اللبود الطلاقيات وذلك المركب كان فيه الملك مقلاطوس وهو جبار من الجبابرة (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا والأمير عبد الوهاب لما نظر إلى ذلك الأمر أمر أن تدق الطبول وتضرب البوقات والنفير للرحيل ففعلوا ذلك ورحل الأمير ونظروا الروم والملكة كرنة إلى ذلك ورحيل الامير طمعوا وقالت الملكة كرنة الذى أخذناهم حامية الجيش الذى للسلمين وما بقى لهم من يقوم مقامهم وانهم فى شدة النوائب فلم يكن لهم غير الهرب يرجون بذلك النجاة وينجوا من العطب ثم أمرت بفتح الأبواب وخرجت الرجال على الخيول العتاق وبأيديهم السيوف الرقاق وانقلبت الأرض على ساق وقدم (ياسادة) هذا وقد التصقت المراكب إلى الساحل وهى أربعين مركب فى كل مركب منهم ثلاثمائة رجل الاخس مراكب فى كل واحد منهم ألف وخمسمائة من البطارقة (ياسادة) والملك فى المركب المتقدم ذكره وزعقت الروم بعضها على بعض وقد انقلبت بهم تلك الأرض وفرقت عليهم الملكة الخيل وركب منهم من يصلح للركوب وتبعوا عسكر الامير عبد الوهاب فعندها صاح الامير على أبطاله الآن احملوا بنا عليهم وعودوا بنا اليهم فان كانت الأميرة سالمة أو مطلقة فتكون قد خرجت عن البلد وإن كانت الاخرى فأكون على علم من أمرهم ثم أقلب عنان جواده ونادى الله أكبر وألوت السودان الاعنة وقوموا الأسنة وثبتوا الاجنة وحملوا حملة رجل واحد

وعملت الصوارم فى الجماجم وطارت البراجم وحامت عليهم الحمائم ونثرت السواعد والمعاصم وصبرت المسلمين صبر الكرام وخرجت الدماء مثل أمطار الغمام ولم يكن إلا عاطب وسالم ومقصوم وقاصم وفرحان ونادم وكانت النجاة هنالك أكبر الغنائم حتى قتلت العوالم ورأيت عساكر الروم هزائم والخيل تعثر بالجماجم وقد أرخت لها اللجائم وقتل من الروم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أتوا إلى البلد هنالك نزل من المراكب أكثر من عشرين ألف بطريق وحملوا على المسلمين ودارت طاحون المنون ورجعت الرجال المهزومون واختلط الكافرون والمسلمون (ياسادة) ولم يزل الناس يقاتلون إلى أن ذهب النهار مندرجا وأقبل الليل بالدجا وضرمت النيران وتحارست الفريقان (ياسادة) وأن عبد الوهاب لم ينظر من الاميرة خبر ولا أحد من أصحابها له أثر ظهر فتحير وقال كلمة لايخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال هذه نوبة لم تكن لنا فى حساب وضاق صدر الامير عبدالوهاب وبنوا كلاب والسودان الانجاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا جرى ههنا وأما الملكة كرنة فانها فرحت بقدوم مقلاطوس (ياسادة) وكانت أكثر المركب ما نزل أصحابها لانها مثقلة كبار فما نزلوا إلا فى وقت الظهر وكان وصولهم من الكثرة فى آخر وقت وانقلبت بهم الدنيا فقال الملك مقلاطوس الملكة كرنة غدا أخرج إلى المقدم الذى على العسكر وآخذه قبضا بالكف وأشتفى منه وأشفيكى وقد وصل معى أكثر من سبعين ألف بطريق وأنا آمرهم أن يحملوا على هؤلاء حملة واحدة وقد تركوا الدنيا والارض منهم خامدة (ياسادة) وكان مقلاطوس موصوف بالشجاعة والقوة والبراعة لايمل من القتال ولا يفزع من الاقيال فهو فارس لايطاق علقم مر المذاق ومع ذلك فما كان ينام الليل من حب الملكة كرنة وقد وعدها أنه يرمى روحه فى غداة غد إلى البلاء فقالت ان فعلت ذلك فما يضيع عندى فقال مقلاطوس أنا ما أريد هذا الكلام وأننى ما أتيت إلا أقيد رجلى فى رضاكى حتى أبلغك آمالك ومناكى فان كان كلامك حقيقة فتحلفى لى أنك ماترجعى عن قولك بل تزوجينى روحك فقالت وحق المسيح أنا أحلف لك على ذلك بكل يمين حلفتنى إياه فقال لبعض غلمانه أننى ما أريد أحلفها إلا بين يدى البترك حتى أؤكد عليها فى اليمين ولا يكون لها عذرا هنالك مضوا غلمانه إلى المراكب وقصدوا المركب الكبير الذى للملك وأنزلوا بتركهم من المركب فى حراقة وساروا به إلى عند الملك فنظرت الملكة كرنة إلى بترك مليح الشيبة كثير الهيبة مقلوع العين اليمين عليه ثياب الصالحين لجهنم فسلم عليهم وجلس إلى جنب الملك وتكلم وترجم وتكلم فى المسيح انه الإله

القديم وأجاب عن ذلك بأدلة لايقدر عليها الروم فسبي عقولهم (ياسادة) وكانت الملكة كرنة قد أحضرت من عندها من القسوس والرهبان والشمامسة والاساقفة والمطران والجاتليق والبترك فلم يقدر أحدا يتكلم قدامه بل حيرهم فى الكلام وأبهتهم فى النظام فقالت الملكة كرنة وقد باست رجلى الملك ويديه ورأسه وعينه وحق الصليب لقد شرفك المسيح علينا بهذا البترك الذى مارأينا مثله من أين لك هذه البركة النازلة والشقاوة الشاملة فقال لها اعلمى أيتها الملكة ان له عندى سنة وكان فى البحر غريقا ثم وصل الينا سعادة وتوفيقا فقالت الملكة أيها الشيخ الصالح ومن أين كانت طريقك فقال لها ان أردتم أن أخبركم بخبرى أشرط عليكم شرط أن لايعرفه أحد فقالوا السمع والطاعة ثم دخلوا البلد تلك الساعة (ياسادة) وسمع عبد الوهاب بدخول الروم إلى البلد فلم يدرى ماسبب ذلك (ياسادة) فلما صاروا فى البلد وغلقت أبوابه وجلست الملكة كرنة على سرير عرعر ونصبت للبترك كرسياً من الذهب الأحمر فجلس عليه وهو متعجب من ذلك البلد وأصواره وقد قر قلبه وفؤاده وقالت له الملكة كرنة حدثنا الآن بحديثك يا أبونا وحديث هذا البحر الذى خلصت منه بعد الغرق وهو لو وقع فيه أهل الدنيا لما نجى منهم أحد فقال لهم اعلموا إنى حجة السيد المسيح ويقال لى الشيخ النجيح ولى فى بلاد الإسلام أفعال عظيمة وأمور غير ذميمة سيما مع هؤلاء القوم الذين هم عليكم نازلون ولكم مقاتلون وقد قتلت منهم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وبعدد الكواكب السيارة فى الأفلاك ومع ذلك فقد أجهدنى الزمان وغالتنى فيهم الأيام ولولاهم لكانت قد رفعت من الدنيا كلمة الإخلاص ولم يبق لمن يقولها خلاص وكان فيهم رجل عيار محتال ليس كمثله فى الرجال يقال له أبو محمد البطال وكان كثير الاحتيال على الاقيال فهربت منه إلى جزيرة الرهبان وأقمت فيها ثلاثة أشهر من الزمان حتى سمع بخبرى ذلك الشيطان فأتى إلى ذلك المكان ولعب بعقل بعض الرهبان وأحاله عن دينه وهو دين الصلبان ثم انهم مالوا إلى وحملوا على وقبضونى وطرحونى فى مركب إلى من يسقينى شراب العطب وهم يريدون اخذى إلى من كونهم يحملونى اليه بغير ذنب ولا سبب فلما ان توسطنا لجج البحار تخالفت علينا الأمواج حتى صارت كأنها الجبال الشامخة وعصفت بنا الرياح اللواقح وقد غضب عليهم السيد المسيح من أجلى فلم يضيع دعائى وفعلى فانكسرت بنا المركب عند بحرى قرنى الدنيا وهما الجبلان الشامخان وقد جعل الموج يرفعنى ويضمنى ويشيلنى ويحطنى إلى ان لاح لى مكان المركب وقد انفلت ومن المركب انقطع فعند ذلك صرت على خشبة راكبا وأملت النجاة والسلامة من بعدما كنت عاطبا وقد قذفنى الموج من بين الجبلين إلى بحر

قدر الدنيا مرار لايقاس بالبحار وأيست من البر وهاج الهم على والفكر وقد استولى على سلطان البحر فعاد ضحكى بكا وصرت أتوسل إلى المسيح بالدعاء وبلغت روحى إلى التراق وجرت مدامعى من الآماق وأيقنت الروح بالفراق وعاد الصبر كالصبر وبلغت الروح منى الضر وطلعت على طلائع الحمام وخرس لسانى عن الكلام وقد بلغت روحى إلى الحناجر وقرحت بمدامعى المحاجر وقد صرت على ذلك المنــوال فى البحر مدة عشرة أيام وأنام بلا طعام ولا منام إلى أن كان فى الليلة الحادية عشر سكن البحر من بعد الغليان والزجرة والهدران ثم انى بقيت لا أقدر على الحركة والسكون حتى رمتنى الأمواج إلى الجزيرة التى فيها الملك مقلاطوس وصرت مقدما فيها عند الملك على سائر الرهبان والقسوس وأيضاً انى قد نسيت كلما جرى على عند هلاك شيطان الإنس ومهلك كل بطريق وقس أبو محمد البطال العيار المحتال وقد هلك معه الراهب وما بقى بعده إلا هلاك الأسود الزنيم أمير بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب ومن بعده اللئيمة العاهرة التى هى بربوبية المسيح كافرة ومن بعدها ظالم الزنيم الغاشم فلعل أن تبلغ نفسى ذلك قبل الممات ولو ساعة من الساعات (قال الراوى) فلما ان سمعت الملكة منه ذلك الكلام قالت وحق المسيح لقد كنت أسمع بذكرك أيها الشيخ النجيح وفعالك مع منويل وما تصنع مع المسلمين لأن التجار تحمل الينا الأخبار التى تجرى فى الأمصار فقال مقلاطوس طيبوا نفوسكم وقروا عيونكم فمـــا بينكم وبين هؤلاء الاعداء إلا صبيحة غد وأسقيهم شراب الردا ولا أبقى منهم أحدا فقال عقبة دعنى آخذهم بالحيلة والا نوبتكم معهم طويلة واعمل على هلاكهم عمله وإلا فما تقدرون عليهم ولا تصلون اليهم لأنى أعرف الخلق بهم لاسيما ان كانت فيهم أم الأسود التى مثلها لايوجد وكل من فى الأرض لايقاومونها لأنها فريدة العصر ومخربة كل قلعة وقصر فقالت الملكة كرنة المسيح قد كفاك مؤنتها وهى عنـــدى أسيرة ذليلة حقيرة مشدودة كتاف ولكن قد صح عندى أن كل ما وصفت فيها حقا وقولك فى شجاعتها صدقا وأنا قد أختبرتها وهى عندنا أسيرة فى مطمورة فى هذا القصر وأمير يقال له ظالم وجماعة من سودانهم وعربانهم أسارى (ياسادة) فلما سمع ذلك عقبة طار عقله وباس الأرض وقال للمسيح الشكر فى سائر الأيام والليالى لأنه مانجانى من تلك الأهوال إلا لأجل هلاك هؤلاء الأندال وبعد تلاف أبو محمد البطال فما يبقى فى قلبى حسرة إلا إذا أهلكتهم الليلة وما أبالى بعدها متى يكون حمامى ثم أنه ارخى الحزن وبكا بكاءاً شديداً وتكلم بالإنجيل حتى ترك الدموع تسيل فقالوا وما هذا البكاء أيها

الشيخ الصالح والرجل الناصح فقال بكاى أن أموت وما وفيت بالعهد الذى عاهدنى به المسيح ويكون قولى عنده غير صحيح فقالوا ولأ ذلك فقال إنى عاهدت نفسى إننى لابد أن أشرب من دم هذه العاهرة ذات الهمة جرعة أطفىء بها نار كل من هلك من عباد المسيح الأخيار فقالت له الملكة ياهذا أن المسيح قد أوصلك إلى ما تحب وبلغك الأرب فلا يذهب عليك عهدك ولا يزال ذلك فقم إليهم ونحن بين يديك وان شئت أن تنزل إليهم وحدك فهم وحدهم فى المطامير وفى أرجلهم القيود والمسامير وفى رقابهم الاغلال والجنازير وشد اليمين على الشمال وهم فى ناحية منفردين عن المأسورين الأولين من المسلمين (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك فتح عينه الصحيحة وقد كاد من السرور يغشى عليه وقال من عندكم من الاسارى سوى من قد جرى ذكرهم فقالت له الملكة كرنة ملك الغرب يقال له عبد الودود الملثم وأعادت عليه قصته وأنه خرج من أرض المغرب يريد مكة فلما سمع عقبة ذلك قال أحسنتى يامنكة هذا وحق المسيح الذى زوج أبنته لظالم لما دخل بلاد الغرب من مدة سابقة وأن البطال وظالم قد كانا يذكر أن من دينـــه كل شىء زائد ولولاه كان البطال وظالم قد هلكوا من السنة الأولى وحق المسيح لابد ما أخضب شيبتى من دم لبتـــه واذبح الجميع ولا أبقى منهم فطيم ولا رضيع فيالها من ليلة ما أبركها ومن سفرة ما أسعدها ومن أيام ما أحسنها ثم وثب قائما وأخذ معه بعض الغلمان ومعه سيف مشهور وسوط مضفور لو ضرب به الجبل لأصبح مقبور (يا سادة يا كرام) أن الملكة كرنه ومقلاطوس أرادوا القيام معه ليحضروا معه النوبة فقال وحق المسيح لايصحبنى منكما أحد فلى مع القوم موافقة وخطاب وعتاب وجواب وان فى القتل لهم راحة ولكن مرادى غير ذلك وهو أننى أنزل اليهم وأسطو عليهم فاذا أشفيت منهم الفؤاد رفعتهم اليكم ويكون قتلهم على يديكم ونرمى فى غداة غد برؤوسهم إلى هذا الأسود فما يبقى لهم بعد ذلك سند ولاعمد ويكون ذلك سببا لهزيمتهم وسببا لهلاك عسكره وهزيمته من غير زاد وإلا فيهلك فى تلك الطريق القفرة والمواضع الوعرة (ياسادة) فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا الأمر فى ذلك اليك دونك وما تحب فعند ذلك سار عقبة إلى أن نزل إلى المطمورة الذى فيها عبد الودود فدنا اليه ثم قبض عليه وعلى شيبته وجعل يضربه بالسوط وهويقول صبرا لحكم الله تعالى له الحمد من قبل ومن بعد ولم يزل يضربه الملعون حتى غشى عليه ولم يترك أحدا إلا ضربه وصعد يريد ذات الهمة وظالم وغلمان البطال وصابر المرعشى (قال الراوى) ولو علم عقبة ان غلمان البطال أيضا هناك لكان طارعقله فرحا بهم وبهلاكهم على يديه لكنه تحقق هلاكهم

فى البحر الزاخر فعند ذلك أقبل إلى نحوهم (قال الراوى) وكان بالأمر المقدر أن الروم لما أنزلوا ظالم والأميرة وغلمان البطال إلى عند الأمراء فى المطمورة وحطوا فى أعناقهم الأغلال وفى أرجلهم القيود الثقال أقاموا فيها ثلاثة أيام وقد مد لؤلؤ يده الشمال إلى رأسه ليحكها وإذا فى رأسه مبرد بولاد لو وقع على جبل لبرده من عمل الهند وسقاية السند وهو قد كان قديما لأبو محمد البطال فقالت الأميرة ذات الهمة ما الذى يبكيك يالؤلؤيابنى اصبر لحكم ربك فقال لها ياستاه ما بكيت مما أنا فيه وإنما بكائى لأنى قد لقيت فى شعرى مبرد كان لمولاى الأمير أبو محمد البطال وقد أعطانى إياه فأخذته الأميرة ذات الهمة وبردت قيدها وقيودهم وفتح لؤلؤ الأغلال (قال) أبو الهزاهز أنتم كنتم اثنين ودخلتم إلى هذا المكان والآن نحن الساعة جماعة ولو طلعنا على غفلة ملكنا القصر بلا محالة وهم على غير أهبة من أمرهم فقال قراقد وهياج وظالم وضيغم ورائد وذات الهمة هذا هو الصواب (ياساده) والقوم قد عولوا يصعدون والقاضى عقبة قد أشرف على باب المطموره وأمر بفتحها فوجدها مخلوعة وذلك أن أبو الهزاهز وقراقد كانا عالجا الباب حتى فتحوه وهموا أن يصعدون فسمعوا الكلام فرجعوا الى المكان ولم يعلموا من قصد اليهم وأشرف عليهم (ياسادة) وان عقبة لما عاين ذلك أقبل على البطارقة وقال لقد سلمنا أن نعدم التوفيق فقالوا له كيف ذاك فقال لهم اعلموا أن المسلمين قد قلعوا الباب وكسروا القيود وفكوا الأغلال ولو كنا نزلنا اليهم ماكان مر بنا ليلة أثقل منها لأنى أعرف الناس بهم (ياسادة) ثم صاح عقبة صوتا كالرعد القاصف فقام كل قاعد واستيقظ كل راقد فقالوا ما أدراك فأعاد عليهم القصة التى ذكرناها فقالوا ياهذا مالهم إلى ذلك من سبيل فقال عقبة اسمعوا منى ما أقول لكم وافهموا واصغوا إلى ذلك القول أطبقوا الباب عليهم وادعوا بالرجال والبطارقة وقال لهم احفظوه حتى لايطلعون الليلة اليكم ولا تناموا إلى وقت الصباح واعلموا ان وصولى الليلة اليكم من أبرك الأشياء عليكم وإلا كانوا القوم قد مكنوا السيوف فيكم فلما سمعوا ذلك من كلامه فعلوا ما قال لهم وأقاموا على ذلك الموضع الف من الرجال بالسيوف الصقال والعمد الثقال وقد بقيوا فى حيرة من أمرهم وعقبة قد حذرهم وقال لاتنامون إلى ان تطلع غرة الصباح فلما كان وقت السحر وإذا بالصياح قد ارتفع وكان الظلام بدا أن ينقشع وصعدوا على الأبراج وإذا بالبحر قد امتلأ كله بالمراكب كأنها الجبال والشموع والمشاعل فى أربعين مركب وفيها الملك ساطرون فلما نظر الى ذلك مقلاطوس عظم عليه وكبر لديه وقال للملكة كرنة ما الذى أحوجلم ان ترسلوا إلى الملك ساطرون فقالت وما عليك منه أنا قصدى

من يصرف هذا العدو عنى ومن قدر على صرفهم كنت له زوجة وأنت صاحب البداية لأنك كنت السابق وان أعطاك المسيح ماتريد رجعوا هؤلاء القوم وما أملوه بعيد وان كنت ماتقدر على ذلك وضرت من هؤلاء القوم هالك فما يضرك ماجرى على بعد ذلك فقال صدقتى أيتها الملكة كرنا وأنا أقول انى فى بركة هذا الشيخ الذى معى لو أردت أن أفتح البر والبحر لصح لى ذلك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأرسلت الملكة إلى الملك ساطرون تشكره على ذلك وتحدد عليه الشرط الذى وصفنا مع مقلاطوس فلما سمع ساطرون أن مقلاطوس قد وصلت مراكبه إلى الساحل قبله وان كرنة أجابته إلى التزويج به وان مقلاطوس قد سبا عقلها وملك قلبها ومعه بترك يزعم أنه أعلم أهل زمانه من الشرق إلى الغرب قال وبلغ من قدر مقلاطوس ان تكون هذه الجارية له عروس ومن أحق بها منى هذا مالا أسمعه وحق المسيح لابد لى أن أحرق مراكبه وأقتل أصحابه وأقاربه فجعلوا أصحاب الملكة كرنه يقولوا أيها الملك الكريم لاتفعل فان الملكة مارغبت فى مقلاطوس لأجل مال ولا جمال ولارجال ولانوال وقصدها مطاوعة هذا البترك الذى قد أبهر بعلمه سائر العلماء وهو يزعم أنه من حواريين عيسى بن مريم القدماء (ياسادة) فلما سمع ساطرون ذلك قال ان كان سبب رغبتها لأجل هذا البترك فعندى وحق المسيح راهبا كان يسوح على وجه الماء اسمه مقلعونا وله علوم لايصل إليها واصل ولايشاكله فيها مشاكل ولا يماثله فيها مماثل ولو أن عندى البترك الذى عندهم ألف بترك لم يقدروا أن يتكلموا مع مقلعونا اذا حضروا ومع ذلك وحق المسيح لابدما يرون ماأعمل وقد أملتهم إلاأن يصبح الصباح وقد جعلت مبادرة هذا اللعين مقلاطوس الذى قدأتى يريد العروس وهذا مالا يصل اليه ولا يقدر عليه وأنا فى حياة الدنيا ورجع رسول الملكة كرنه اليها وأخبرها بما قال الملك ساطرون وما قدعول عليه فقالت كرنه معلوم ان كل واحد من الملكين قد تفضل وأنا ماأنا راغبة فى أحدهم دون الآخر لأن مالى فى مواصلة رجل حاجة إذا لم يكشف عنى هذا العدو وأنا قد جعلت الخروج فى غداة غد لهذا الملك مقلاطوس كما جرى بيننا العهد والميثاق بأنه يكون أول من يقاتل وان كان الفتح والنصر له كنت على ما استحلفنى الشيخ الصالح والبترك الذى هو على أهل العلوم راجح (قال الراوى) هذا جرى ولما طلعت الشمس فتح باب البلد وخرج منهم كل من جحد وكفر وافترى على الفرد الصمد وخرجت كرنة وخرج الملك مقلاطوس (ياسادة) وأما الأمير عبد الوهاب فانه كان كثير الاكتئاب لايعلم بالمأسورين هل هم سالمين أو عاطبين وبقى كذلك هذا وقد خرجت العساكر فهان عليه الأمر وأقبل على بنى كلاب

والسودان وقال لهم عليكم بأخذ الأسارى لعل تكون لنا فدية لمن فى أيديهم وان كانت الأميرة ذات الهمة مأسورة فيكون لنا من يخلصها فقالوا سمعا وطاعة وخرج الملك مقلاطوس وقد عول أن يرمى روحه للموت الأحمر من أجل الملكة كرنة سيما وقد وقع له ضد آخر وقد اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وعولوا على الحملة وإذا بالصياح من البحر قد علا والصراخ قد نما وكان ذلك من أصحاب الملك ساطرون لأنه لما نظر إلى مقلاطوس وقد عول على الخروج الى عسكر عبد الوهاب خشى ساطرون من فوات الأمر ولم يعلم مابين يديه وقال ماهذا صواب إذ حكم مقلاطوس على هذه العصابة القليلة يعنى عسكر الأمير عبد الوهاب فيكسرهم ويفوز بهذه الجارية دونى ثم انه ادعى بالراهب الذى عنده مقلعونا لحضروعليه زربقانة صوف أخضر وعلى رأسه برنس أسودوله شعر طويل وهو قصير من الرجال عليه آثار العبادة والترف والدلال فقال له الملك ساطرون أيها الراهب اعلم أن حق عليك واجب وأريد أن تساعدنا بما يكون عندك من علمك فقال الراهب مقلعونا قل أيها الملك ماتريد حتى أشير عليك بالذى فيه السداد فقال اعلم انى رامق بهذه الجارية كرنا صاحبة المدينة التى يقال لها مطلبونا ومع ذلك فان قلبى قد دخل عليه العارض يوم طمعتنى بالوصال وقدوصل اليها أيضا مقلاطوس فى مراكب مثل مراكبى ومطالبه مثل مطالبى وقد كنت أريد ان يكون أنا أول من خرج الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب والملكة كرنه قد أمرت ان يكون القتال اليوم بهذا الشيطان وأخاف أن يكشف هذا العدو عن هذا البلد ويأخذ الجارية وأرجع أنا بالحرمان لانى قد رضيت بالحكومة وأنا أعلم أنى إن طلبت القتال اليوم تأبى الملكة كرنة لأن معهم شيخ يزعم أن ليس فى الروم من يعلم علمه وسألتهم عن اسمه فأخبرونى أنه من ديار الروم عند ملك القسطنطونية اسمه الشيخ النجبح وحجة السيد المسيح وهذا لعمرى يكون أرفع لمنزلته ان يكون الراهب برهان المسيح وحجته فلما سمع مقلعونا ذلك تفتحت عينيه وتغير لونه وأصفر وجهه وقال هؤلاء القوم النازلون بهذه المدينة هم روم أو غير ذلك فقال الملك ساطرون قد قالوا لى أصحاب الملكة كرنه انهم مسلمون أصحاب رجل من العرب يقال له عبد الوهاب ومعه قوم سودان أبطال شجعان لايبالون بالقتال ولايهابون الحرب والنزال رجال المامع وليوث الوقائع غير أن رسول الملكة كرنة ذكر لى ان لأميرهم أم يقال لها ذات الهمة أفرس أهل الأرض فى الطول والعرض وقدأخذت أسيره ومعها جماعة من السودان وغيرهم وهم تحت الأسر الشديد والضرب الأكيد الذى ماعليه من مزيد وقدكان هذا التبرك قد عول على قتلهم وقتل الأميرة ذات الهمة لأن بينه

نوبة عظيمة وأمور جسيمة وهذا سبب حديثهم أيها الراهب وماسمعته من رجال كرنه (قال الراوى) فلما سمع الراهب مقلعونا ذلك وثب قائما وزرف طرفه دمعا ساجما وقال له أيها الملك وهذا الراهب الذى لهم هل تعرفه انه عندهم جديد أوقديم فقال الملك ساطرون ياراهب زعموا أنه عندهم من عام أول عند الملك مقلاطوس لانهم يزعمون أنه وجدوه غريقا فى البحر كما وجدناك (ياساده) فلما سمع الراهب مقلعونا ذلك قال وكيف وصل هذا العدو إلى هذا المكان وإلى هنا وقد أرسلت الملكة كرنة اليك وكيف طرق المسلمون هذه الديار فقال له الملك ساطرون أيها الراهب يزعمون أن سبب هذا كله مركب طلع من الغرب فيه رجل يقال له عبد الودود بن اسماعيل وكان معول على الحج إلى مكة وان الريح أرمت مركب عبد الودود إلى هذه الجزيرة فهم فيهاأسارى وسمع خبرهم هذا العسكر فجاء من أجلهم فلما سمع الراهب مقلعونا ذلك كادت مرارته ان تنشق وتزهق عند سماع هذا الكلام وقال أيها الملك هذا عجز منك والرأى عندي أنك الساعةتحرق هذه المراكب التى لهذا الشيطان مقلاطوس حتى تنكسر همته وتقتل رجاله التى فى صحبته حتى لايبقى لها من يدفع عنها العدوالذى قدنزل عليها غيرك ولاتعتمد فى الملمات على سواك وأماماذكرت من أمر هذا البترك الذى عندهم فاحرص أن تدعوه إلى مناظرتى وسوف ترى مايسرك فلما قال لنلك ساطرون هذا الكلام أعلم أصحابه بذلك فتحابوا من كل جانب وجردوا القواضب وسمعوا أصحاب مقلاطوس الصياح فى البحر فأقبلوا عليه وأخبروه بالخبر فغضب وزمجر وقال وحق المسيح لقد أشغلنى هذا الملعون ساطرون عن هؤلاء المسلمين ولا بد لىأن أبدأ به اطلعوا الساعة إلى مراكبكم فطلبوا المراكب فكانت فى الميناء فصعدوا فيها ولولا كانت السلاسل على المينا كان ساطرون أحرق مراكبهم وكانت أربعين مركب مابين صغيرة وكبيرة وكذلك مراكب ساطرون وخرجت بعضها عن بعض كانها العرايس المجلية عليها اللبود الطليقانية ووقفت الرجال بالسيوف الهندية والرماح الخطية والعمد الهرقلية والحراب الحبشية والقنطاريات الأندلسية وضربوا المراكب بقوارير النفطوقد هاج البحر فى تلك الساعة ولما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك قال الحمد لله الذى رد كيدهم فى نحرهم وأقام ينتظر مراكب الملكين وكيف يكون القتال بين الطائفتين ولمن يكون الطعن من الجماعتين وصادمت المراكب مصادمة البطل الجحجاح وتناطحت مثل الكبش فى النطاح وعملت الصفاح وتطاعنوا بالرماح واشتد العطب والحرد وعمل الصارم المهند وكان يوم عسير على من كفر وجحد ولم يزل القتال بينهم طول النهار وقد عظم ذلك على الملكة كرنه وقد خرج الأمر عن يديها وتكسرت

المراكب وهلك من فيها فلما نظرت الملكة كرنه إلى ذلك ركبت بنفسها وقدم لها مركب حربى وخرجت اليهم ودخلت بينهم وقالت لهم ويلكم ما تريد أكثر من هذا بأن يكون المسلمون سالمون وأنتم بسيوفكم عاطبون يقتل بعضكم بعضا ولا تكفرون فاذا كان ولا بد لكم من هذا فارجعوا إلى موضعكم فمالى حاجة فيمن لا يكشف عنى الأعداء لأنى فى موضع لايقدر عليه عدو ولو أقاموا حتى يشيب الغراب وينقطع الحساب وتنشف البحرين من الماء وتعدم الشمس من السماء ويذهب النهار والظلماء لما وصلوا إلى ولا يقدروا على وأنا أقسم بالانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لئن رجعتم بعد خروجكم إلى القتال لا نال أحد منكم مراد وترجعون بحسرة الفؤاد فلما سمعوا ذلك من كلامها افترقوا بعضهم من بعض وجرى الشرط بينهم انهم إذا أصبح الصباح ينزل الملك ساطرون إلى قومه وينزل الملك مقلاطوس فى قومه ويقف كل قوم إلى جانب ويعتمدوا فى ذلك على المبارزة فمن ظفر بعبد الوهاب فهو المحكم فيها أو الآمر والناهى فى البلد وهى بحكمه (قال الراوى) فهذا جرى ههنا وأما عقبة فانه نزل إلى المطمورة ومعه البطارقة بالسيوف البارقة وقال لهم اعلموا أن الاسارى قد فكوا القيود وهم فى المطمورة وفيهم ولد الأسود عبد الوهاب وما أقدر على النزول اليهم إلا أن يعودوا إلى ما كانوا عليه من الاغلال والسلاسل والقيود فعند ذلك نزلوا البطارقة حتى صاروا فى أسفل المطمورة وصاحوا بالرجال اعدوا أن القيود فى أرجلكم ونظر الأمير ظالم إلى ذلك فوثب كانه الأسد الغضبان إلى بعض البطارقة وقبض على يده فكاد أن يطحن عظمه وصاح بالبطارقة فولوا هاربين ووقع البطريق إلى الأرض ميت ووقع السيف من يده فأخذ ظالم وأخذ ترسه أيضا وصاح بهم هنالك انطبقوا عليه فمكن حسامه (ياسادة) فلقد ترك الرؤس بلا قوائم والاكف بلا معاصم ونظر عقبة إلى ذلك فعلم أنه قد سلم القوم إلى الهلاك فصاح بالبطارقة فجعلوا ينزلون واحدا بعد واحد وهو لقوائمهم يقطع وآنافهم يجدع وكانت الأميرة ذات الهمة قد أخذت سيفا آخر وكذلك أبو الهزاهز وكل واحد منهم قد استقبل وأما المائة الاولى فانهم عاجلون حلول المنية والاجل وحل بهم البلاء المنزل وقال عقبة فى نفسه أرى كل من نزل اليهم لايطلع نخشى من الملكة كرنه لاتعتب عليه فى هذا التدبير المفسود إذ كان سببا لهلاك رجالها والبطارقة الخاصة (ياسادة) وأن عقبة فكر فيما يفعل فما كان له إلا أنه صاح بالبطارقة على بالاخشاب والحطب وإلا فقد سلموا المأسورين من العطب فعندها تارت الرجال إلى الأخشاب والاحطاب وجابوها من كل جانب ومكان وأرموها عليهم فلما رأت الاميرة ذلك قالت كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا تلافنا

وصاحوا أيضا الامراء الذين فى المطمورة لاتحرقونا فانا نهلك فصاح عقبة لابد من ذلك إلا أن ترموا السيوف وتعملون القيود فى أرجلكم وإلا وحق المسيح أهلكنا كم كلكم بالنار فعند ذلك أرمى ظالم وذات الهمة السيوف من أيديهما وسلما أنفسهما إلى الاعداء وأطفيت عنهم النار ونزل عقبة هنالك والاميرة قد سمعت صوته وهى بين مكذبة ومصدقة حتى لاح لها طلعته وبان لها عورته فحينئذ عرفته وعلمت أن هذا كله من حيلته فقالت كلمة لايخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال لها عقبة لو كان معك الإنس والجن لما قدروا أن يخلصوكى فى هذه النوبة من يدى وأما أبو محمد فما بقيتى تريه أبدا وحق المسيح أن المسيح قد غرقه فى البحر وسلمنى وإلى جزيرة مقلاطوس أوصلنى ثم بعد ذلك إلى قبض روحك أرسلنى وعلى هلاك من معك حرضنى وبتلاف الملك عبدالودود ومن معه أمرنى وعلى هلاك الأسود الحجام قد سلطنى فأيقنى بقولى ولا بداخلك فى ذلك شك (ياسادة يا كرام) ثم دنا منها وضربها الضرب الوجيع وفعل بكل واحد منهم كذلك (ياسادة) ومانى هؤلاء إلا من ظفر به عقبة وفعل به مثل مافعل بالآخر فلما ضربهم الضرب الوجيع بكوا من شدة الضرب الذى كأنه النار واعتراهم الوجع ولحقهم القلق وأضرمت فى أكبادهم نار الحريق فلما علم أنه قد انتقم منهم صعد من المكان والبطارقة معه وقد أشفى غليله وهو واثق بقتلهم بعد ذلك كله وسمع بصلح الملكين فركب من وقته وساعته فى حراقة لطيفة والشمع بين يديه يقد حتى وصل إلى الملكة كرنه وقال لها لا زلتى مصلحة لاجماع الأمور مسلمة من كل محذور

﴿ تم الجزء الثالث والثلاثون ويليه الجزء الرابع والثلاثون ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الرابع والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

دار العهد الجديد للطباعة
بالخرنفش ٤٦ ب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم أن عقبة سار إلى الملك مقلاطوس وقال له أيها الملك لاتشغل قلبك غدا تحضرون الحرب كلكم وموقف الطعن وحق المسيح لاعملن لك على هلاك العسكر بعد أن أحصل المقدم عليهم أسير ذليل حقير وأنا أوريك ما يكون منى وبما تحدث به الاولون والآخرون وان كنت ماتعرفنى فأنا أعرفك بنفسى أنا عرقة البلاء أنا سخطة المسيح على الأعداء أنا شوم زمان هذه الدنيا وبعد ذلك فانى قد سمعت ان الملك ساطرون معه راهب جليل المقدار ويريد أن يناظرنى وها أنا ماضى اليه على أننى أنظر إلى هذا الراهب بحجة المناظرة وأدبر على هلاكه ولا تعرف أيها الملك هذا الأمر الا منى والسلام ثم ركب فى جراقة وسار الشيخ إلى أن وصل مركب الملك ساطرون (قال الراوى) وفى تلك الساعة كان هو والراهب مقلعونا يتحدثون وعلى مثل هذا يدبرون وان عقبة لما وصل إلى المركب صاح أيها الملك الكريم الجناب الرفيع الركاب لازلت موفق للصواب انا البترك الذى وصفونى بحضرتك وقد اشتقت إلى مشاهدتك أناظر من يدعى عندك العلم فى مجلسك حتى يتبين لك أهل العلم من أهل الجهل فشكره على ذلك الملك ساطرون وأمره بالصعود وقد قام له قائما ورفع موضعه لما أن سمع أن الملكة كرنة قائمة به فظن فى نفسه انه يقضى نوبته عندها فلما استوى عقبة جالس مد عينه إلى جانب الملك فنظر إلى الراهب مقلعونا إلى جانبه وهو يخاطبه فجعل ينظر اليه فقال له الملك ماحالك أيها البترك فقال له يامولاى وحق المسيح أن هذا

الراهب الذى عندك أشبه الناس برجل كان خراب بيوت النصرانية الذى أرمل العيال ويتم الأطفال وأخذ الرجال وفتح الحصون والقلاع وملك الأماكن والبقاع ومع ذلك لولا أنى رأيت ذلك الشخص وقد هلك لكنت أقول انه هو فكلمه الراهب بلسان أهل الجزيرة وقال له أيها البترك انت الذى تدعى انك أعلم الخلق من الغرب إلى الشرق والمسيح قد أمرك أن لاتفعل ذلك وان لا بد له مما يسألك عن دعواك وممن تقول انك أعلم منه لايرضاك أن تكون له تلميذ وبعد ذلك كله فأنا لاأفتخر بهذا وانما افتخر بالمنزلة من السيد المسيح هل تقدر أنت الساعة أن الايصبح الصباح الا وقد رجعت إلا المراكب ومعك أمير المسلمين عبد الوهاب فقال عقبة لا وحق المسيح لا أقدر على هذا فقال الراهب مقلعونا وأنا فى هذه الساعة أنزل ولا أعود اليك وقت السحر الا ورسه معى ولو كانوا فى عدد التراب وقطر السحاب لوطئت أعناقهم ثم وثب قائما وقد أبهت الملك ساطرون والقاضى بهذا عقبة الكلام

(قال الراوى) وكان هذا الراهب (ياسادة) أبو محمد البطال وانما قال ذلك المقال خوفا من عقبة انه يسترجع رأيه فيعرفه ويعمل على هلاكه ثم أن الراهب مقلعونا وثب قائما ونزل فى بعض الحرقات وقد قال لمن معه من البطارقة تكونوا معى وتسيروا معى فى هذه الحراقة وسار حتى طلع إلى ذلك الساحل هذا وعقبه قد طار عقله فرحا وظن أن ذلك حقا وقال وحق المسيح ما كنت أريد قتله الا على يدى أو بحضرتى ولكن أنا آخذه الساعة ثم انه ودع الملك ساطرون وقال له أيها الملك أنا لك مساعد وأقول للملكه لاتأخذ أحدا غيرك بحيلتى واعمل هذا لما يصلنى من برك وأعطاك فوعده الملك ساطرون بكل جميل (قال الراوى) وان عقبة قد نزل من ساعته وسار حتى أتى إلى مركب الملك مقلاطوس فوجده على غاية القلق فى انتظاره فلما وصل اليه قال له أن الملك ساطرون ما هو من رجال الحرب وما كان تكلم ذلك إلا وقد عول على أخذ الأمير الذى لهذا الجيش سرقه وذلك أن الراهب الذى عنده قد نزل فى خمس رجال وقد ضمن له أن يأتيه به والرأى عندى أننى أنزل أنا ومائة من البطارقة الذين عندك إلى ساحل البحر فنكون هناك مقيمين وبين الرجال جاثمين فاذا أقبل به أخذناه منه فلما سمع الملك مقلاطوس ذلك قال الأمر اليك أيها البترك وأمر بحراقة كبيرة فيها أربعون رجلا وسار عقبة إلى أن وصل إلى الساحل وهو يقول لولم يكن فى الأمر إلا قتل الراهب فهو الكفاية لأنه على صورة ذلك العيار أبو محمد البطال وجلس عقبة على الساحل (قال الراوى) وكان الأمير أبو محمد البطال لما نزل أوقف البطارقة وسار

حتى وصل إلى عسكر عبد الوهاب وكان الأمير نائم فى مضربه وقد افتكر فى غيبة ولده ظالم والأميره وغلبت عيناه الكرى (ياسادة) وفى تلك الساعة رأى الأمير أبو محمد البطال فى المنام فانتبه مرعوبا ودموعه تجرى وعنده عبده صالح عند رجليه فناداه ياصالح وكان نائما فناداه لبيك قال لقد كنت أشتهى أن أرى الأمير أبو محمد فى النوم والآن فقد رأيته ولم يكن لى لسان أسأله مالقى من ربه فهو فى الكلام وأبو محمد صار مع عبد الوهاب فى المضرب وقد سمع كلامه فناداه أنت تشتهى أيها الأمير انك ترانى فى المنام وأنا أشتهى أن أراك فى اليقظة أنا أخوك البطال (قال الراوى) فيالها من ساعة ما كان أسرها على عبد الوهاب (قال) فجعل الأمير يقبله ويضمه إلى صدره وهو لايصدق بذلك ويقول أرجوا من الله تعالى أن يطلعنى على خبر الأميرة والاسارى فقال الأمير أبو محمد الأسارى فى المطمورة عند كرنة وخبرهم عندى وعقبة عند الملك مقلاطوس وقد نزلت على انى أسرقك ولا بد له أن يتبعنى من حرصه عليك فقم فى عشرين بطل أو أربعين وقد اخذناه الساعة فوثب الأمير عبد الوهاب وادعى بعشرين من السودان وأعلمهم أبو محمد أن هذا الراهب هو عقبة فغابت عقولهم وجعلوا يبوسون التراب شكراً لله تعالى رب الارباب الذى إذا دعى اجاب وسار بهم إلى الساحل فوجد عقبة والبطارقة معه فحملوا عليهم ومكنوا السيوف منهم فقتلوهم عن آخرهم وأخذوا عقبة قبضا باليد ولطمه البطال إلى أن غشى عليه وكتفوه السودان بتلك الايادى الخفاف وأحدقت به البربر والحبشان وقال له أبو محمد البطال ياشيطان كيف رأيت فعل ربى جمعنى واياك حتى لاأموت الا وقد اشتفيت منك فقال له عقبة ويلك وما للموت عليك طريق ولقد نفر قلبى منك لما سمعت أن اسمك مقلعونا وعلمت انكم من ههنا حقيقا تقلعونا (قال الراوى) واخذه عبد الوهاب إلى مضربه وهو مسرور بقتل هؤلاء البطارقة وبأخذ عقبة وباجتماعه بأبو محمد البطال (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب أقبل على البطال وقال له كيف كان سبب سلامتك فقال أيها الأمير جرى على كل غريبة وعجيبة تطرب منها المستمعون وذلك إنى أيها السيد الخطير لما انكسر بنا المركب ساق الله تعالى لى لوح من الألواح التى للمركب فكانت تارة ترفعنى وتارة تضعنى وتارة أيقن بالوفاة وتارة أطمع فى الحياة وقد خان النطق لسانى وذهبت القوة من بنانى فحينئذ هانت على روحى وأيقنت بالوفاة وهممت أن أترك ذلك اللوح من يدى لما ضعف صبرى وجلدى ووقع الخذلان فى جسدى وتعود النفس أنها تتعلق بأذيال الطمع وتتأسف على الحياة فأعود إلى الإمساك خوفا من الهلاك وأطمع بمطامع

لمالى وأسأل ربى كشف مابى من أحوالى حتى تعود إلى القوة والنشاط وبقيت كذلك أيام متواتره وكأنى قد خرجت من دار الدنيا إلى دار الآخرة وقد فنيت قوتى وذهبت جلادتى وزالت الأمنية من عيشتى ونسيت أهلى وعيالى ولم يخطر بقلبى ذكر أحد من أهل مودتى ولم يبق لى غير الأسف على تلاف مهجتى فلذلك أرخيت روحى عن اللوح الخشب وسلمت نفسى إلى شرب العطب ويامولاى هنالك جاءتنى موجة كأنها الجبل الشامخ أو الطود الباذخ فدفعتنى دفعة واحدة فظننت أنى قد وصلت بها إلى شرب كأس الحمام وندمت على إفلات اللوح من يدى لما عاينت من الأهوال العظام فهناك عبثت بيدى ساعة سياحته وتعلق أملى إلى أن أصل إلى ذلك اللوح توصلا للراحة وإذا أنا قد وقعت رجلى على رمل ناعم وسكن ذلك الموج القائم المتلاطم فبقيت فى حكمى حاكم وهززت روحى وأنا على الحقيقة قائم فمددت بصرى وإذا أنا بجزيرة مد البصر فيها من الأشجار والأطيار مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فدخلتها وأمنت على روحى من هلاكى فى البحر وفرحت بحصولى على تراب البر إلا أننى قد خرجت من البحر العجاج كأننى بيضة الدجاج لا أقبض يمينا ولا أسطو شمالا وقد لقيت مما جرى على أهوالا فوقفت هافتا وإلى الجوباهتا ولم أزل كذلك حتى حميت الشمس على ودفيت عظامى ووجدت النشاط والقوة والإنبساط وكثر طمعى فى الحياة وقد أيقنت بأن الله أعادنى إلى دنياه فلما صرت قائما على قدمى ونظرت إلى الجزيرة بعينى وإذا أنا بجزيرة واسعة بعيدة شاسعة كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار قد غردت فيها الأطيار عامرة الأوكار كثيرة الأزهار طيبة النبات أرجة الجنبات عليها من الثمار رطبا ويابسا وقد ضحك وجه الأرض بعدما كان عابسا وقد جمعت الرياض الأنيقة والحياض العجيبة الوريقة والأوراق الزمردية والثمار العسجدية والأزهار الفضية وعين ماء سارحة فيها طيور الماء سابحة فلما نظرت إلى ذلك وشاهدت ما شاهدت حينئذ طلع طالع السعود على ووجدت قوتى قد عادت إلى فوقعت على الثمار وقوع رجل ذو حاجة قوية واضطرار وقد زادت بى الفاقه ولم يبق بى على الصبر عاقة فأكلت حتى وقعت طريح من الثمار من كل فن مليح ورجع لى ما ذهب من القوى والحيل وعدل عندى الثمر مقام الخبز واللحم المشوى ثم شربت من ذلك الماء الزلال وانهلت ما أصلح من الحال وعدت إلى حال الصحة فى الجوانح والاصابع ثم إنى سرت طالبا طريقا يكون لى فيها إلى النجاة سبيل وطامع فى النجاة وأنا مع ذلك خالف من سبع يفترسنى أو وحش يأكلنى حتى انتهيت إلى جبل عالى فعلوت على

ذروته وحصلت على قمته وإذا بى قد أشرفت على ساحل عظيم وعنده مركب كبيرة كأنه الجبال فى الهيكل والتجسيم فنزلت نحوه وأنا أغدو وأهرول كالولهان الحائر وأسير سير الخائف الفزعان وذلك من خوفى من العطب لى لايقلع المراكب ولا أجد لى إلى سواه مذهب يامولاى فلم أزال كذلك وأنا أنادى بالعزيز المالك الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه وقد خطر على قلبى فى ذلك الوقت ذكرى فبكيت شوقا إليك وإلى سلامتى وكيف الوصول اليك وافتكرت فى طول غيبتى وأنشدت هذه الأبيات

ترى نلتقى من بعدطول المراحل ومن بعد تفريق وحزن مواصل
ومن بعد مكثى فى البحار تحطنى وترفعنى أمواجه كالجنادل
حياة وقد هانت على منيتى وأطلقت لوحا أوثقته أنامل
ولم يبق فى البحر عزم وقوة وصرت كأنى عاطل من مفاصلى
فلم أدرحتى صرت فى الرمل قائما وقدصرت فى أرض على متن ساحل
وعاينت أشجار وفيها منافع لكل عليل خامض البطن ناحل
فأمعنت فى كل وصرت مؤملا نجاة وإنى سالم من مقاتلى
فعاينت من تحت السواحل مركبا عليه رجال فى قلوع هواكل
فسرت إليهم عادم العقل خائف وقد زاد شوقى ثم أدنت بلابلى
وذكرنى دهرى حبيبا فقدته وسيد سادات الرجال الفواضل
فقلت لعلل الله يجمع بيننا ونرجع فى اطلالنا والمنازل

(قال الراوى) هذا والأمير عبد الوهاب يسمع ويبكى وأبو محمد البطال يحدثه ويبكى ثم قال يامولاى لم أزل كذلك حتى وصلت إليهم فلما عاينوا صورتى وأبصروا عظم انطلاقى وسرعتى خافوا من جانبى وظنوا أن خلفى رجال يرومون أخذ المركب وما فيه من الأموال فحينئذ رفعت الرجال القلوع وقد جردت من عينى سواجم الدموع وأيست من السلامة والرجوع إلى الأطلال والربوع ونظرت المركب وقلوعه مثل أجنحة النسور فهنالك قصرت عما كنت عليه من الجريان وعدت إلى حال النفير عند انقطاع الأمل من حياة الإنسان يامولاى فرفعت صوتى إلى تعالى الله وقلت يامن إذا أخذ بيد المقصرين لحقوا السابقين ومن إذا نظر إلى المنقطعين سبقوا السابقين أسالك بحق من اصطفيته من أطيب قريش فرعا وأجلهم موردا ومنبعا فنفع الله به العباد نفعا وصدع به الشرك صدعا إلا أخذت بيدى لقد ذهب صبرى وجلدى ولم يبق لى طمع فى

الرجوع إلى بلدى وأهلى وقد أقلع هذا المركب وتركنى وساروا مقلعين ولم يأخذونى وقد استغثت بك فدلنى على ما أعمل فقد ضاقت على الحيل يامولاى فوالله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ما هدى صوتى من الدعاء العظيم وفرغت من النداء حتى هاجت رياح الهوى لما يشاء الله تعالى وبقيت متفكر فى ذلك بالمركب قد أتى من صدر البحر راجعا وقد داروا القلوع وطلبوا من البحر ولعب الهوى فى مقلوع وطلب المركب هواه وهم لا يقدرون على الاقلاع به لأن الهوى يردهم إلى ذلك الساحل غصبا عليهم وما زالوا حتى وصلوا إلى الموضع الذى كانوا عليه وأرموا مراسى البحر هناك هرولت اليهم طالبا نحوهم أنادى برب المشارق والمغارب ولى دمع ساكب حتى وصلت إلى الساحل وخلعت عنى ثوب الفزع وأرميت روحى إلى البحر سياحة حتى وصلت اليهم وإذا هم قوم يهود فجعلوا يشتمونى وبالحجارة يرجمونى فناديت ياقوم أنا رجل غريق وقد جرى على ما لا أطيق ثم كلمتهم بلسانهم العبرانى فلما سمعوا منى لغتهم ألقوا إلى الحبال ورفعونى بلطف وامتهال وصرت معهم فى المركب جالس وأيقنت بالحياة بعد ما كنت آيس وجعلت أحدثهم كيف كانت غرقتى وحالى وهم يعجبون مما جرى لى ثم سكن الهوى لما صرت معهم فى المركب هناك رفعهم القلوع وساروا ثلاثة أيام بريح طيب وفى كل يوم أصل بهم فقلت لهم يا قوم إلى أين أنتم سائرون قالوا إلى أقصى بلاد الهند فقلت لهم مبارك وقد هان على ذلك عند سلامتى وقلت أنا من هناك أتوصل إلى البر ولا أرجع ركوب البحر يامولاى فأقمت معهم ستة أيام ثم هاج البحر وقد أظلم الليل وترادفت الأمواج ونار البحر العجاج فبقيت فى مقدمة المركب وتمسكت باحدى ألواحه فما أنا إلا أن مسكت ذلك اللوح حتى اصطففت عليها موجات من الجانبات فكسرت المركب وشرب كل من فيه شراب العطب وركبت أنا على ذلك اللوح كأنى ما برحت وقد زاد على الأمر ووصل إلى الضر وعيل صبرى وهاج البحر على يامولاى فلما كان وقت الصباح وإذا بالخشبة تضرب الساحة وقد انفتح الضيا وذهب غياهب الدجا يامولاى فلما كان هذا الأمر مددت عينى فنظرت جزيرة عامرة فيها عالم عظيم كثير وهى جزيرة هذا الملك ساطرون الذى وصلت معه فقصدته وكلمتهم بلغتهم ثم إنى بعد ذلك يامولاى ادعيت انى سائح فى الدنيا وانى من رهبانهم فألبسونى أفخر أثوابهم فتزهدت فيها ولبست الصوف وأقمت عندهم هذه المدة الطويلة حتى وصل كتاب الملكة كرنة يذكر أن عبد الوهاب نزل عليها فوالله ما صدقت أنكم تأتون إلى هذه الأرض والبلاد فلما وصلت الى ههنا وسمعت الصفة

معول على الدخول إلى المركب وأسير إلى الملك ساطرون وأقول له أيها الملك لقد سلمت أمير المسلمين إلى أصحابك يجيئوا لك به وإذا أنا بذلك الشيطان الذى هو بترك مقلاطوس نزل خلفى برجال من أصحابه معول على انه إذا وصلت أنا بأمير المسلمين أخذوه منى غصب عنى فعلم المسيح ماقد أملوه من الغدر وأضمروا من الخديعة والمكر فظفر بنا المسلمون فقتلوا أصحابى وأصحابه أجمعين وأسروا البترك وسلمت أنا أن أهلك فرميت روحى إلى البحر سباحة وأنا أنوح على أصحابى ونفسى أعظم نياحة وأريد أيها الملك إذا نزلتم فى غداة غد إلى الساحل لقتال هذا العسكر النازل أكون أنا قد نزلت فى مركب للملكة كرنة ووصلت معها إلى مدينة مطلبونا فأنظرها وأشاهدها وبعد ذلك أتوصل إلى ترغيب الملكة كرنة اليك دون صاحبك مقلاطوس فان هى أجابت إلى ذلك وإلا نظرت إلى البلد ومن أين توصل اليه ثم أعمل بعد ذلك أيها الأمير على خلاص الاميرة ذات الهمة والامير ظالم ولدك وعبد الودود ومن معهما من الرجال الكرام وأسلم اليك البلد فى ليلة واحدة أن شاء الله تعالى ثم ان أبو محمد البطال قال وما دام ان البحر ماغرقنى فما أفزع من كل أحد فى الوجود مادمت فى طاعة الواحد المعبود (قال الراوى) هذا والأمير أبو محمد يتحدث مع الأمير عبد الوهاب وعقبة يسمع ومرارته تنفطر وقال له ياأبو محمد مارأيت قط أحيل منك ولا أمكر منك فقال البطال لا كلام حتى أفرغ من هذه الأمور الثقال وتبصر ماأنزلها عليك من الأهوال وأخرج كلما قاسيته من دماغك فقال عقبة ياأبو محمد لاتفعل فان جرى عليك أكثر من هذا فى البحر وأقمت فيها عشرة أيام وقد زاد على البلاء وأيقنت بالهلاك والردى فهنالك رفعت رأسى إلى السماء وقلت إلهى وسيدى أنت تعلم انى ما كفرت بك إلا بسبب واحد وهو من طريق كياد أبو محمد البطال وكان ذلك من طلب المباهات والمباراة فى دار الدنيا وطردى من الله تعالى لأنه يفعل ما يشاء لااعتراض عليه فى ملكه فقالت يامولاى أنا أعلم أنك أنت الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد المنزه عن الصاحبة والولد وأنا عبد قد خدعتنى نفسى فأعطيتها مناها والآن فما للعبد الآبق إلا الرجوع إلى مولاه وكاشف ضره وبلواه وأنت الملك الكريم الذى لايضرك كفرى ولا يزيد فى ملكك منكرى وقد تبت إليك واعتمدت عليك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد نذرت على نفسى مائة ألف دينار صدقة لله تعالى فى بيت الله الحرام على صعاليك أهل زمزم والمقام وما كان ذلك من رغبتى فى الحياة ولا خوفا من الوفاة بل اردت أن أسجد لله سجدة واحدة بإخلاص النية صادق الطوية معترف لله بالوحدانية

لعل يغفر لى زلك وزلتى ويتجاوز عن خطيئتى ويرحم شيبتى فعند ذالك عجل بسلامتى وقد ندمت على ما كان منى فى الزمان الأول ثم انى لما وصلت إلى مركب مقلاطوس ماصدقت تصلون إلى هذه الديار حتى صح لى أنكم بنو كلاب الاخيار والمقدم عليهم هذا البطل الكرار إلى أن دخلت على مقلاطوس على أن يسمح لى بالنزول اليكم وأظهر له أننى أريد أسرق أميركم وكان قصدى بذلك القرب اليكم وأقص قصتى عليكم فدهمتمونى بالأبطال وعاجلتمونى بالإقبال والآن فان الأمر قد اقترب والقلب قد انقلب وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ثانيا وثالثا ولا يقول قائلا أن هذا فزعا من الموت ولا من خوف القتل فافعلوا بى ما أردتم ثم بعد اسلامى أنتم فى حل من دمى فقد قال الله تعالى قل الذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف (قال الراوى) فلما سمع عبد الوهاب ذلك من كلام عقبة وتضرعه وبكاه ونظر إلى شكواه قال لعل الله تعالى أن يكون قد هداه وعاد إلى دين الاسلام لما رأى من البحر وعجائبه وغرائبه ودلائله وأما الأمير أبو محمد البطال فانه عرف خيانته وقال للأمير عبد الوهاب لاتسمع من هذا القرنان فهو الذى تعرفه وما احتاج أصف لك وهو الذى لاتنكر فاحتفظ به حتى أعود إليك وسوف يتبين لك مايدعيه أنه محال بما يلوح لك من محاله وعمله وأفعاله ثم سار أبو محمد البطال حتى وصل إلى الملك ساطرون وتحدث بما ذكرنا ولما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وذكرت محمد سيد الملاح فعند ذلك نزل الأمير أبو محمد فى مركب الملكة كرنة هذا والملكان قد نزلا إلى البر ونزل معهما عالم عظيم والملكة كرنة قد أرسلت اليهم الخيل والعدد وساروا إلى مقاتلة الأمير الأسود والبطل الامجد الأمير عبد الوهاب وترس قبر النبى صلى الله عليه وسلم وفى أيديهم السيوف والعمد هذا وأبو محمد البطال عند اشتغالهم بالقتال قد خرق الدروب ووصل إلى المطمورة وفتح بابها فوجد الأميرة وهى تقول لمن معها ياقوم ماأعجب أمرنا وكيف هذا الملعون عقبة لحق بنا من دون الأمير أبو محمد البطال صاحبنا وولدنا ولكن تموت الأخيار وتبقى الاشرار ثم أن الأميرة تنهدت تقول

أبا محمد طال الشوق ياولدى ... حتى بقيت بلا صبر ولا جلد
وقد تغير قلبى من فراقك لى ... حتى بقيت بلا قلب ولا جسد
أبا محمد يامن لا نظير له ... فى الفضل والعلم والتدبير والرشد
أبا محمد لو أبصرت سادتنا ... وظالم فى عذاب دائم الكمد
أبا محمد لو أبصرت ذا الهمة ... موثوقة بقياد الذل والنكد

ولو نظرت إلى عبدالودود وقد أمسى أسيرا على حال من الكمد
من المصائب يبغى عقبة أبدا وأنت نائى عن الاحباب لم تعد
ما كنت احسب أن الدهر بوقعنا فى كفه ونكون اليوم فى صفد
وقد توائبت الأبطال من فرح مثل السباع وقد أطلقتهم بيد
حتى أتانا بشبوم الفعل عقبتهم تبدل العيش بعد الصفو بالنكد
من بعد ما بردت كفى قيودهم ثم ارتقيت لأبغى نجح مقتصدى
ونزل الروم والأبطال فى طمع أن يقتلونا لأجل الواحد الصمد
فقام ظالم نحو القوم مبتدرا استملك السيف نحو القوم منفرد
ثم أنثنى نحوهم والرءوس قد نثرت نثر الجواهر من عقد بلا عدد
حتى أمرهم بفعل النار مرتجيا أحراقنا لم يخف من واحد أحد
فلم يكن غير تسليم النفوس إلى أعدائنا للقضا والحير والأمد
وأن قلبى لا يبكى على أحد إلا عليك وطرفى اليوم فى سهد

(قال الراوى) وما استتمت الأميرة شعرها وفرغت من نظمها ونثرها حتى نزل الأمير أبو محمد البطال وفتح باب المطمورة ودموعه مثل الجمان وقد هيجت عليه نيران الأحزان ونادى أيتها الأميرة لا كان يوم لا ألقاكى فيه فقد لقيت مالا يلقاه أحد وتهججت من بلد إلى بلد وبقيت على وجه الماء والموج والزبد وها أنا غلامك أبو محمد فنزل إليها وسلم عليها وثبتت المعرفة به أنه أبو محمد فصارت تمسح عينها وتعجب من هذه السيرة الذى ما روى أحسن منها اتفاق ولا أغرب منها سباق وقالت سبحان الملك الخلاق ما سمع أحد بمثل هذا الإتفاق فى سائر الآفاق ثم غشى عليها من الفرح وتبادروا الرجال إلى أبو محمد يقلبوه ويسلموا عليه أبو الهزاهز وظالم ووقع البكاء من فرح التلاق مثل البكاء يوم الفراق وكانوا كما قيل

هجم السرور على حتى أنه من عظم ما قد سرنى أبكانى
ياعين قد صار البكا لك عادة قد تبكى من فرح ومن أحزان

وأفاقت الأميرة ذات الهمة من غشوتها لأنها كان غشى عليها وسلمت على أبو محمد وسلم على غلامه لؤلؤ وقال له ما كنت أعطيتك مبرد يقال له مخجل القفل ايش فعل به الدهر فقال له غلامه لؤلؤ هاهو معى فأخذه أبو أبو محمد وفك عنهم القيود والأغلال وقال لهم أبشروا بالفرج من الملك المتعال وأعلموا أن الدهر لا يبقى على حال فسألته الأميرة ذات الهمة عما جرى له من الأهوال فقال لها ما هذا وقت سؤال

فهل رأيتم عقبة المحتال فقالت الاميرة لعن الله من ذكرت فأننـــا من ضربه فى أسوأ حال وقد كاد الملعون أن يقضى علينا الاجل فقال أبو محمد لقد سمعت ما قد قال وما أبدا من المقال وأخاف أن ينطلى على الامير المفضال سيد بنى كلاب وزعم أنه لما غرق فى البحر المتلاطم بالامواج التى مثل الجبال وعاين ما عاين من الأهوال فانه رجع عن طريق الكفر والضلال وعاهد الجليل المفضال أنه لايرجع إلى طريق الضلال وأقر أن الله تعالى واحد لا والد له ولا ولد ولا عم له ولا خال وأنه يمسك السموات أن تقع على الأرض وأرسى الجبال وقد صدق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الصادق فى المقال المبعوث من أكرم العرب والمخصوص بالإرسال وأنا علمت أن كل ما يقول عقبة خوفا من النكول وقد بركته عند عبد الوهاب وهو يضع له زخاريف المقـــال والمحال وأنا خائف أن يلعب بعقله بالفيل والقال وأخاف أن يخدعه وينفلت من يده ولا نظفر بعدها أبدا ما أضاء النهار وغشيت الليالى فقوموا بنا نبصر ما نعمل فبكى الأمير ظالم من شدة الفرح ويأخذ عقبة وقال لله درك يا أبا محمد فما أفرح إلا إذا كنت عندها حاضرا ودع أنت عقبة فى يدى وسوف ترى ماأعمل به (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان أبو محمد قال لهم أنتم لاتبرحون من مواضعكم إلى الليـل فأنا أجيب لكم العدد وافتح إن شاء الله تعالى البلد ثم خرج أبو محمد من المطمورة وقصد الموضع الذى فيه عبد الودود الصالح العابد الراكع الساجد ومن معه من أصحاب الرجال والنساء والأطفال وان أبو محمد أظهر للروم أن يتقرب إلى المسيح بضرب المأسورين والعقوبة لهم فسأل عن عبد الودود وأصحابه فأرسل اليهم وهم يقبلون يديه ورجليه وهو يدعوا لهم حتى وصل إلى الموضع فيه المأسورين ففتح عليهم البطريق الموكل بهم ونزل أبو محمد اليهم فسمع عبد الودود وهو يقول لا إله إلا الله سبحان الله وقد ضجوا أصحابه بالدعاء إلى الله تعالى وهو يقول لهم ياقوم عليكم بالصبر فانى سمعت فى الخبر أن الصبر طريق إلى الجنة والفرح من الملك المتعال أعجب فقالوا قد فنى الصبروذهب الجلد ووصل الينا الضرر فقال لهم عبد الودود معلوم إنكم ماخرجتم من بلادكم وأوطانكم الا فى طلب زيارة قبر نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم والحج الى بيت الله ربكم والآن فقد وصلتم إلى الثواب العظيم فى طاعة الملك الوهاب فخذوا القضا بالرضا واعلموا أن الله تعـــالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فان كان لكم فرج فانه يذهب عنكم مانزل بكم من هذه الأهوال والأغلال وان اعطيتم فقد نلتم الأجر فى الآخرة وخلصتم من الدنيا الغادرة ونجوتم إذا صارت الملوك دائرةوالصحائفعلى الرؤوس طائرة والجنة

مزدلفة للمؤمنين ظاهرة والجحيم مظللة على الكافرين قاهرة هناك تحمدون ما جرى عليكم من كل كافر وكافرة وتعلمون أن بضاعتكم غير خاسرة وأقسام ترابكم وافرة وأقدامكم تخطر بهذه الجنود على الصراط عابرة والجبال فى ذلك اليوم سائرة والأرواح بالبقاء الأبدى والعيش السرمدى متباشرة وتعوضون بهذه المجاعة والجوع تجدون موائد حاضرة ويقال لكم يامن شقيتم فى الدنيا تنعموا فى الدار الآخرة جزاء بما صبرتم على عقاب كل كافر وكافرة (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك بكوا وقالوا دع يفعل الله بنامايشاء فهو الذى لا يرد قضاؤه وأمره وإذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يا سادة) فهم كذلك والأمير أبو محمد البطال نزل اليهم فى تلك الساعة وقال لهم ابشروا ياصفوة الله وأحبابه فانه إذا أحب عبداً ابتلاه إذا وجده صابرا على بلاه وفى جميع أموره شاكرا ثم حانت منه التفاتة فرأى البطال فتح له باب الانس فأنس به عن غيره ونظر عبد الودود إلى الأمير أبو محمد البطال وعليه ثياب الرهبان وهو بعيد العهد منه فلم يعرفه فدنا منه الأمير أبو محمد البطال وجعل يقبله ويرتشفه وعبد الودود قد عجب من ذلك وقال ياهذا أرى منك تودد أهل الإيمان ولبسك لبس أهل الكفر والعدوان فاكشف لى عن معنى هذه القصة بحق من لا تراه العيون الذى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فقال له أنا خادمك أبو محمد البطال الذى وصلت مع الأمير ظالم إلى عندك وبهذا الرأى الذى قد توصلت اليك حتى أشرفت عليك ففرح عبد الودود وقال يا أخى كيف أنت وكيف دينك فقال الأمير أبو محمد البطال أنا من الله فى كل عافية وما بقى لهم من الهموم عليكم ثم أن الأمير أبو محمد البطال فك قيودهم وخلصهم وقال لهم كونوا على ما أنتم عليه فاذا جاء الليل أرمى عليكم كلما تريدون من الأكل والشرب والطعام حتى تعود اليكم قوتكم وأرمى اليكم عدة تدفعون بها عن نفوسكم وقد خلصتم ان شاء الله تعالى ففرحوا بذلك وقال لهم الملك عبد الودود ما قلت لكم ان الله سريع الحساب سريع الرضا لمن احتسب وجعل الامير أبو محمد البطال طول النهار يرمى اليهم المأكول والمشروب والملبوس وأهل البلد على الأصوار يشاهدون القتال طول النهار وينظرون لمن يكون الظفر (قال الراوى) ياسادة يا كرام هذا وأبو محمد يدور فى القصر حتى أرمى لعبد الودود وأصحابه ما كفلهم ووجدوا القوم الراحة وأرمى لهم ثياب كثيرة وعقارات حتى استوفوا كلهم عددا ثم فتح لهم خزانة السلاح وأنزل إلى الأميرة ذات الهمة وأصحابها وكل مايحتاجون اليه فقالت الأميرة ذات الهمة لا كان يوما لا أراك فيه يا أبو محمد وأقام الأمير أبو محمد يرتقب الليل وهو يسمع الصياح من ظاهر البلد وقلبه خائف على الامير

عبد الوهاب من الملك ساترون لما يعرف من شجاعته وقد كان حذر الامير عبد الوهاب منه وقال له لاتبرز اليه فأنت تعلم انى خبير بالامور والحروب وقد رأيت أبطال الدنيا ومثل هذا الجبار ما رأيت فقال له الامير عبد الوهاب اعلم انى ما أنتصر على الناس بحيلى ولا بقوتى وإنما أعتمد على معونة الله تعالى (قال الراوى) وكان من الامر انه لما اصطف الصفان وقام الجيشان عن اليمين وعن الشمال وقد خرج أهل البلد ووقفوا فى الجهة الاخرى فبقى الامير عبد الوهاب وأصحابه فى وسط بحر زاخر ولكن لما عاين ذلك أقبل على رجاله وأنشد يقول

إذا طلبوا القوم من كل جانب * ضربناهمو ضربا بحد القواضب
ولم نخش صوتا من عظيم فعالهم * ونبذل فيهم نائبات النوائب
ونشبع وحش البر من كل كافر * وتبديهم نسوانهم بالمصائب
إذا اجتمعوا من كل فج وموضع * نفرقهم فى شرقها والمغارب

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأوقف رجاله صفين فجعل فى الصف الاول أبطال بنى كلاب كأنهم سباع الغاب وقدم عليهم الامير سيف الحنيفية وقال له اعلم يا بنى أن ضرب السيف ما يكون إلا لمثل هذا اليوم وأفرد منهم ألف فارس وسلمهم إلى الامير سملق ووقف عبدالوهاب فى الصف الثالث فى ألفى بطل أبطال قال شجعان فى أيديهم السيوف الصقال والرماح الطوال هذا والروم قد ترحوا القرعة بينهم وبين الملكين ساترون ومقلاطوس المنحوس حتى ينظروا لمن يكون له الحرب فى الاول والقتال من الملكين فوقعت القرعة على الملك مقلاطوس ثلاث مرات فقال له الملك أساترون أخرج فهذا الامر إلى المسيح فقال الملك مقلاطوس لقومه ابدؤا القوم بالحملة الى وقت قيام الشمس فى قبة الفلك وإذا تعبوا أبطال المسلمين من الحرب وضجوا من الطعن والضراب هنالك أناديكم بالانفصال فانفصلوا فأخرج أنا فى الحال وحدى إلى مبارزة الرجال والأمير عبد الوهاب فارس بنى كلاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهنالك حمل الروم على بنى كلاب والعبيد الأنجاب وتلقتهم العرب وحمل عسكر الأمير عبد الوهاب وعمل الصارم القرضاب وعثرت الصافنات برؤوس السادات وأظلمت من الغبار الجنبات ونفرت الوحوش من الغابات وقطعت الظهور وخشعت الصدور وصعبت الأمور وأطلع الحى صاحب الأمور وطارت الرؤوس وضاقت الأنفاس وعظم البأس واشتد المراس وحامت العقبان والطيور على الأجسام المطرحة ورامت العقبان عيون السادات المبطحة فمالت الخيل تحت ركابها وقد فجعت بأصحابها واستوت الشمس فى كبد السماء واشتد الظمأ ونادى الملك مقلاطوس

بالانفصال ورجعوا عن القتال كل قوم إلى مكانهم الأول وقد خمدت من العطش أنفاسهم وكان الأمير عبد الوهاب قاتل فى ذلك اليوم القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد فما هو إلاأن شرب الماء وروى من الظمأ وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم على جواد مضمر مثل لون الغيوم له غرة مثل كبار النجوم مليح الخطرة واسع الخطوة قوى العصب ذيال الذنب بصاص الشعر سائل الغرة بين عينيه درة وعليه سرج من العرعر مصفح بالذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر والجواد يأكل الارض من تحت صاحبه ومن فوقه فارس كالليث العابس على رأسه بيضة عادية مضيئة واسعة مجلية براقة بهية لاتعمل فيها المشرفية ولاالرماح السمهرية ومن تحتها زفادة مليحة أبريسمية وعلى بدنه غلالة رومية ومن فوقه منطقة فى خلالها زردية ودرع مقصب بعواميد من ذهب أحمر شعشعانية والزنار فى وسطه من فوق ذلك كله علامة النصرانية وأهل ماء المعمودية ومعه قنطارية خلنجية وصفيحة هندية وله ركبة تدل على الفروسية ثم وقف بين الفريقين واشتهر بين الصفين ونادى بعد ماصلب على وجهه بالرومى ياجماعة المسلمين ومن دخلوا إلى هذه الديار والاقاليم مغدورين إلا وقد دنت آجالكم من ذاخرجت اليكم وإلى قتالكم فيخرج إلىّ فارسكم الذى عليه تعتمدون وبطلكم الذى به تصولون وشجاعكم الذى به تفتخرون فمن عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أعرفه بنفسى أنا الملك مقلاطوس ابن دقيانوس ابن كندرافوس ابن أفراطوس (قال الراوى) ياسادة ياكرام فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من بنى كلاب (ياسادة) وقوم قناته بين يديه وكان من أبطال العرب واسمه تمال ابن الديال فخرج وهو يقول

ستعلم ياابن الكافرين الجواحد ✡ بأنك تبلى بالامير المجاهد
ويلقيك فوق الارض ملقا معفرا ✡ تنوشك وحش البر مع كل جاحد
فدونك قد لاقاك ليث غضنفر ✡ وأنت الذى تبقى طعام الاساود

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وكل واحد منهما حمل صاحبه وتقاربا وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وتطاعنا بالرماح حتى تقصفت واختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة مقلاطوس فوقعت فى صدر الكلابى مرقت من ظهره وعجل الله بروحه إلى الجنة ثم جال على شماله وطلب البراز وسأل الانجاز وهو يظن أنه قد قتل الامير عبد الوهاب فنادى بالادلال والاعجاب أما صبركم فقد قتل وعطب فهل بقى فيكم من يأخذ له بثأره ويكشف عنه عاره فلم يستتم (ياسادة) حديثه حتى خرج اليه بطل همام وأسد ضرغام على جواد كالغمام بدرع قصير طويل الأكمام وفى كفه حسام ورمح معتدل القوام والفارس شمائله تدل على أنه فارس همام تلوح الشجاعة بين عينيه وتشهد له لاعليه حتى قرب من مقلاطوس

وأشرف عليه ومد السنان اليه وكان ذلك الفارس الأمير الأجل والكهف الأطل أمير بنى كلاب الأمير عبد الوّهاب وترس قبر النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فلما قرب من الملك مقلاطوس وأشرف عليه وكان الأمير نظر إلى المقتول وقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم لاإله إلا الله محمد رسول الله ﷺ رحمك الله ياتمال وأنشد

ستعلم مقلاطوس ذا اليوم انني * سأسقيك كاس الموت من كف أسود
وأترك منك الرأس ملقى كانها * على الأرض شيطان يمر بمرصد
وأترك منك الجسم ملقى معفرا * طريح بضربات الحسام المهند
وأبذل روحى للآله تطوعا * وأنصر دين الهاشمى محمد

(قال الراوى) ياسادة ياكرام وأطبق كل منهما على صاحبه وإذا رفع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن وقدحت النار من صم الجلاميد وكان الحديد محاربة الصناديد فتقاتلا قتالا شديدا وتحاربا وجذبا إلى السيفين بعد أن تطاعنا بالرمحين حتى تتقصفت وطالت الأعناق وشخصت الاحداق ولم يزل السيف بينهما يعمل حتى صاح الملك بالأمير صيحة عظيمة سمعها الجيشان من كل مكان وقلقت القلوب إلى ما يكون بينهما من الحروب العوان وكل طائفة تدعوا لصاحبها بالنصر والظفر واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة الأمير عبد الوهاب فوقع فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فكبرت المسلمين وضبجت الموحدن وبكوا أهل مقلاطوس عليه وعظم عليهم ماوصل اليه وخرج الملك الارقم والنسر القشعم ساترون إذ لم يبق مطلوبا سواه وظن انه ظفر بالملكة كرنة فمن فرحه خرج على جواد أصفر مليح المنظر جيد المخبر صافى الجوهر وعليه درع زرد لايعمل فيه الصفاح ولا تخرقه عوامل الرماح وبيده حسام أخضر وهو كالموت الأحمر فلما نظره عبد الوهاب فتأمله وهو بجواد كالجبل العظيم لتمكنه فى سرجه شهد له بفروسيته وعلم انه الملك أساترون الذى حذره منه البطال ومن قتاله ووصف له ما هو فيه من الشدة لنزاله فاستعد الأمير عبدالوهاب لقتاله ولقاه فى تلك الساعة قصد أبو محمد البرج لما رآه قتل الملك مقلاطوس ونادى بلسان الرومى حتى يسمع الأمير عبد الوهاب ويأخذ حذره من الملك أساترون يقول خذ حذرك أيها الملك من هذا البطل الذى بين يديك وانجز أمره فانه استطال عليك فانه المقدم على عساكر المسلمين كما أنت المقدم على عساكر الروم أجمعين (قال الراوى) فعلم الأمير عبد الوهاب أن أبو محمد البطال يحذره من خصمه فحمل عليه وأكب رأسه فى قربوص

سرجه وكذلك أساترون فنظرت الملكة كرنه وهى جالسة تنظر اليه ونظر إلى شمائلها فقوى نشاطه واشتد انبساطه وأخذ فى الكر والفر وزاد الأمر وعيل الصبر ودام الضرب والحرب والرجوع والطلب وطلع عليهما الغبار وارتفع النقع إلى وقت الاصفرار فلما كان الليل قد أقبل رجع كل بطل منهم إلى مقامه وكل واحد منها مايصدق بالصباح حتى يصبح يخرج إلى خصمه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه ما صدق أن الظلام يأتيه حتى طلب المطمورة وسار نحوها بعزمه ليخرج الاسارى هذا والعساكر قد بهتت والدساكر اصطفت وكان أول من طلب البراز وخرج إلى الميدان الأمير عبد الوهاب فما تم الكلام حتى خرج اليه الملك أساترون وقد غير زيه وأشار إلى الأمير بالحملة فأطبق عليه الأمير عبد الوهاب وأخذ فى المطاولة والمناصلة والحرب والصدام والدكام وتجريع الحمام وإذا بالتكبير من تحت الغبار قد علا وقائل يقول الله أكبر وكان ذلك الامير عبدالوهاب وكان قد أطبق على خصمه الملك اساترون وطعنه فى لبته أطلع السنان يلمع من نقرته فلما نظرت العساكر إلى الملكين قد قتلا تصارخا بعضهم على بعض ويلكم التار التار وأطبقوا على الأمير عبد الوهاب فصاح سيف الحنيفية فى بنى كلاب وحمل وحملت السودان وأختلف الطعن والضرب وتقدمت الشجعان وعمل الصارم اليمان وظهر أهل الايمان على أهل الشرك والطغيان فلما نظرت الملكة كرنه إلى الملك مقلاطوس قتيل وإلى الملك أساترون جديل وبقيا العسكرين اللذين لهما مثل الغنم بلا راعى والأمير عبد الوهاب قد جعل سيفه فى رقابهم ورمحه فى صدورهم وقد أجرى الدماء جريا ونثر الجماجم على الأرض وأنكسرت الروم وتفلل العسكران وطلبوا كلهم عند المساء البحر هاربين وإلى النجاة طالبين وطلعوا إلى المراكب وهموا بالا قلاع إلى بلادهم فأرسلت اليهم الملكة كرنة تقول لهم انكم أخذتم بثار ملوكهم وها أنا خارجة اليهم وأضم كل من فى البهم مع عسكركم وعسكرى فيكون عالم لايحصى وأمر عظيم والمسيح فرض عليكم الجهاد ولم يأمركم بالهرب ولو أشرفتم على الموت والعطب وماعدم من الخلق الا الملكين وأننى أعطيكم المال والخلع والخيل وكلما تريدوه من العدة وغيرها من السلاح فأنا أحمل اليكم ماتعتدون (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الناس يعرفون كثرة أهوالها وشجاعتها فأجابوها إلى ذلك الطائفتين جماعة الملكين ووقفت عند ذلك الرجال وأطاعتها الابطال وفتحت خزائن الأموال وفرقتها على الرجال وقالت مابقى فى الأمر إلا أن نرمى نفوسنا عليهم ونصل اليهم وأهل البلد لم يبق فيهم مقدم ولا كبير

ولا صغير الا وأخرجه اليهم بالعدد الكامل هذا والبطال عدل إلى نحو الابواب يطلب ان يكون فيها بواب ويأخذ الأمراء ويخرج فى ظلام الليل فلم يجد للابواب سبيل فقال مالهذا النوبة الا القصر والسلام ورجع إلى المطمورة التى فيها الأميرة ذات الهمة وقال لها أن الأمير عبد الوهاب قتل الملكين وكسر العسكرين وأفنى الجمعين وان الناس الليلة ماينامون الا فى اصلاح العدد وعولوا أن يخرجوا كلهم من البلد حتى لم يبق هنالك الا النسوان والرأى عندى الامهال إلى الصباح فانى أخاف عليكم منهم وفى القصر أكثر من مائة وخمسين ألف وباب البلد مايقدر عليه أحدا وكذلك الابراج مانصل اليها ولا مانقدر عليها لأن طلوعها صعب المراس فلما سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك قالت رأيك أعلى فقال الامير ظالم مافى الامر إلا الانجاز ونضرب القوم بسيوفنا ولو كانوا عدد التراب فقالت الاميرة دع عنك ياظالم هذا الامر فانهم لو سلموا لنا نفوسهم حتى نقتلهم مافرغنا منهم فى شهر وربما انهم يتكاثروا علينا فلا يبقوا منا أحد فدعهم إلى أن يخرجوا غدا من البلد ونملك الباب عليهم ونشبعهم قتال فما يكون لهم مقام ويكونوا كلهم لسيوفنا طعام فقالت الامراء كلهم هذا هو الصواب ومعلوم أن فينا من يلقى أكثر من قرينه إلا أن تكون الاميرة ذات الهمة فما عليها حساب فانها ترمى روحها فى أهل الارض متكلة على الله المتعال وأقاموا على ذلك الحال والبطال رجع إلى عبد الودود وجعل يبشره بما أعد الله له من الثواب ويصف له كثرة الشوق اليه وكيف غرق فى البحر وما جرى عليه فى هذه المرة فعجب عبد الودود من ذلك ولم يزل الامير أبو محمد البطال عندهم إلى انصباح وقد ارتفع الصياح وإذا بباب البلد فتح وخرجت الملكة كرنة على جواد من الخيل الجياد شديد الحيل قوى العصب ديال الذنب وخرج معها مائة وخمسين ألف بطل ولا بقى فى البلد إلا من ليس له جلد من الرجال ونزلت الرجال من المراكب واجتمع العسكر كله فى جهة واحدة وهم أمم متزايدة هذا والامير قد ركب فى بنى كلاب والسودان الانجاب كانهم سباع الغاب واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وزحفت الرجال والابطال تروم القتال وهزوا الصوارم الصقال وهموا بالحملة بعضهم على بعض وقد تزلزلت الارض من كثرة الركض والخيل قد صهلت والاكباد من الفزع تململت ولم يبق إلا أن تقع الناس بعضهم ببعض وإذا بسواد قد طلع وغبار قد علا حتى ملا البر والاودية والشعاب فأنكروا ذلك عسكر المسلمين وأبطال الموحدين (ياسادة) وأما البطال فانه كان قعد على رأس الابراج يراقب الحملة والقتال بين المسلمين والكافرين ويخرج الاميرة ذات الهمة ومن معها من الامراء والرجال ويأخذ البلد بالابطال الذين

معه فلما نظر إلى ذلك الغبار والسواد المدلهم والغبار المتراكم فارتعد قلبه وطار خوفا على الامير عبد الوهاب وتفكر فى القياد وقصد إلى الاميرة ذات الهمة وأعاد عليها خبر الغبار وقال لها كيف الحال مع ميخائيل أحرب أم سلم وهدنة فقالت بل سلم لأن دخولنا فى هذه النوبة إلى الملكة مليكة من ظالم وظالم حبها وأعادت عليه الحديث والضعف وكيف كان ثم قالت وما أعلم ما كان بعد ذلك يا أبو محمد فقال لها البطال أيها الأميرة الصالحة ما صالحكم ملك الروم ميخائيل إلا من تحت السيف وفى قلبه من الملكة مليكة النار الموقدة التى لا تطفوء واللهيب الذى لا يخفى وما هو الاجمع العساكر من سائر بلاد الروم وسار اليكم فى هذا الوقت الصعب فقالت الأميرة اطلع واكشف لنا الخبر فان كان الأمر كذلك فنحن نخرج نملك البلد ولو بقينا محصورين سنة وعشرة ما بلينا بهم ولا يكون لهم علينا من سبيل ونفتح الباب وندخل عسكرنا إلى البلد ونأمن من كل أحد ونقعد هنا فى هذا البلد إلى أن يضجر الملك ميخائيل ويرحل عنا فقال البطال الرأى عندى غير هذا ولكن حتى أنظر هذا الذى خطر ببالى إن كان له حقيقة أم لا (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان الأمر كما قال البطال لأن الملك ميخائيل لما خرج من الأسر ورجع إلى القسطنطونية وأمن على نفسه وعدم الجارية مليكة محبوبته صعب عليه فوقع على فراش الضنا وزاد معه العنا وهان عليه الهلاك والموت والفنا وقال البترك يا أبونا ما أعرف فى هذه النوبة حياتى إلا منك وإلا أنا هالك يا أبونا وجعل يقبل رأسه مرارا ويديه فقال له البترك السمع والطاعة ولكن الصبر مليح أصبر حتى أن يظهر خبر الأمير عبد الوهاب ومضيه إلى أين فما ألجأهم إلى صلحك فى هذه المرة والرواح على سبيل الإعجال إلا لأمر عظيم ثم أرسل خلف الجواسيس الذين لهم حتى يعلم قصدهم والسبب الذى أوجب رحيلهم وصلحهم فلما حضرت الجواسيس أخبروا انهم قصدوا مطلبونا وأخبروا بذلك فقال البترك أيها الملك أن القوم قد دخلوا إلى أماكن مالهم منها فرج ولا مخرج وهى مدينة مطلبونا وذلك الاقليم فيه خلق كثير والملكة كرنة هى من الشجاعة فى طبقة الأميرة ذات الهمة والرأى انى آخذ كل راهب وقيس وأدخل الاقليم كلها وأسير فيها وأرى ما اشتملت عليه من العجائب وأكشف رأسى ورأس الراهب شومدرس وننادى بالغزو فى بلاد النصارى ونقول لهم أن الأمير عبد الوهاب فى نفر قليل وقد دخل إلى أقصى البلاد وما أبقى لهم أثر ولا يخرج أبدا وما بقى يخرج منها إلى بلاد الاسلام وقد أباد الأمم وفلق القمم وشابت من فعاله اللمم ففرح الملك ميخائيل بذلك وخرج البترك وجمع ستة آلاف فارس وسبعة آلاف راهب وقسيس وشماس

وبترك وحاثليق قدام الملك الكل يتلوا الإنجيل وينادوا بالغزو الى بلاد المسلمين وأتت الملوك والعساكر من سائر الأقطار ولم يبق فى بلاد الروم ديار ولا نافخ نار ولا من يعقل ويشد زنار وأتى واجتمع على باب القسطنطينية ألف ألف وخمسمائة ألف وألف مركب فى البحر فيها ثمانين ألف مقاتل وأمرهم يسيروا فى البحر الى مدينة مطلبونا لنجدة الملكة كرنة ولما عول ميخائيل على الرحيل قال شومدرس أيها الملك قبل كل شىء أنا أسلم إليك حصن يانس المتعذب بكل ما فيه وان شئت أن نبيعهم أرواحهم فافعل وإن شئت أن تضرب رقابهم فهو أحسن وأجمل فقال الملك وكيف نصل اليه وما فى الحصون أحصن منه وطلبه أبى ما قدر عليه وأخى منويل فى عمره الطويل مات قهرا وما قدر عليه وأخى منويل فى عمره الطويل مات قهرا وما قدر عليه فقال له شومدرس على أن أسلمه إليك بمعرفتى وأنا بركة المسيح فى الأرض وسوف ترى العجب ثم أخذ ورقة وكتب فيها ما أراد وسلمها إلى رجل من العرب المتنصرة وأركبه نجيب وقال له خذ هذا الكتاب وإذا وصلت إلى حصن يانس المتعذب فأعطيه هذا الكتاب فقال له سمعا وطاعة وسار البدوى يطلب حصن يانس المتعذب ورحل ملك الروم بعد أربعة أيام فوصل إلى تل الاسد ومفرق الطرق فقال شومدرس للملك أيها الملك أدخل قدامنا واكمن فى هذه الساحة خلف الشقيق فى مائتين ألف وخلفها مائتين ألف فان يانس المتعذب اليوم أوغد يصل إلى ههنا ليصير إلى نصرة الأسود عبد الوهاب فارس بنى كلاب وقد حل به العذاب لما يحضر إلى ههنا فلما سمع الملك كلامه فرح بذلك الفرح الشديد وقال له سوف يكون لك عندى كلما تريد وأجازيك على هذه الأعمال إلى الأبد (ياسادة) وسار المتنصر إلى حصن يانس المتعزب وكان شومدرس علمه ما يقول فلما وصل إليه رفع صوته وبكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وتشوق بالدموع وأنشد

أهل من مجيب للكرام الاطايب ... أحاطت به الأعداء من كل جانب
وصارت حواليهم سباع كواسر ... صراغم غاب فى فضاء السباسب
سباع أسود فى بطون أكفهم ... رماح وأسياف حداد قواضب
وقد أسروا للست ذا الهمة التى ... لها شرف مابين ماش وراكب
وقد قتلوا السودان فى كل ساعة ... ولم يبق الأعاطب وابن عاطب
وقد كتبوا هذا الكتاب اليكم ... لعلكم أن تنصروا الحبايب

(قال الراوى) ثم أرمى الكتاب اليه ففاضت العيون بالمدامع وذهل من كلامه كل سامع وأخذ الكتاب وقرأة وإذا فيه بفضل بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (أما بعد) السلام عليك أيها الأمير الأجل الرفيع القدر والمحل ان الأحكام إذا نفذت بها السهام يبقى منها العاقل جاهل ويصبح النذير ذاهل فقد ذهب ما أملته من الأمل وذهب منى العمل فى هذه النوبة ولا كان يهوى على أن أقعد عن خدمة المؤمنين وما وصلنا إلى أرض مطلبونا لأجل قوم أسارى مغاربة مسلمين حجاج وطائفة موحدين لله رب العالمين فأخذت علينا المواضع من سائر الجهات وأتتنا الروم من سائر الجزائر القاصيات والدانيات فظفروا القوم بنا لأجل العجلة التى كانت معنا وجعلت العين علينا منهم وأنا فقد التجأت إلى جبل أسمه المشارق وأشرف كل من معى على البوايق والهلاك من قلة الزاد وقد قطعت الأكباد فاذا قرأت كتابى هذا فسير إلى ما استطعت من الزاد وأن قدمت لنصرتى نلت ماتريد من الثواب وعلى أن أعوضك ما فيه أمثال ذلك والسلام وان يانس لما سمع ذلك بكى بكاء شديد ماعليه من مزيد وقال لقـــومه ما بقينا نقعد بعد هذا الكتاب عن نصرة المجاهدين وأبطال الموحدين ارحلوا بنا بجميع الزاد والجمال والاحمال والعلوفات والدواب والخيل والبغال والحمير ولم يزل سائر ولم يعلم ما قضاه الله تعالى فلما حصل فى الوادى خرجت عليه أربعمائة ألف من الجانبين وحملت عليه مثل طرفة عين فأخذهم قبضا بالكف وكتفهم وعلى خيولهم شدهم وأنفذهم إلى القسطنطونية وسار ميخائيل حتى أشرف على عسكر الأمير عبد الوهاب فلما أنكشف الغبار وبان ذلك الجيس الجرار ولاح العلم الأخضر والإزدهار الأصفر تغير لونه وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) فياسادة ياكرام وعلمت الملكة كرنة بذلك ففرحت وأرادت أن تميل اليه وكانت غلقت الباب خلفها الملكة كرنة فوقفت لعزة نفسها وتكبرها وكانت الأميرة نظرت الى ملك الروم ميخائيل عرفته من كلام أبو محمد البطـــال وقد أنكشف لها الحال ونظرت الى الأهوال ظاهرة فقالت ما فى الأمر الا نملك البلد ونصيح الى الامير عبد الوهاب يدخل الينا بعساكره واذا صار خلفنا مثل هذا البلد نجزنا فى شغل آخروها أنا خارجة اليه وأترك ميخائيل يبات فى أمر وبيل فخرجت الأميرة وقصدت الأبواب ونادت الله أكبر الله أكبر فأجابوها أصحابها بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم فنزل أبو الهزاهز والأمير ضيغم وظالم وقراقد ومالك وهارون العلوى وكل بطل أمجد وكل واحد من هؤلاء يلقى بلدوعسكر وحده وأما أهل البلد لما راوا قتلتهم طمعوا فيهم وأطلقوا عليهم دون الخمسة آلاف من العوام والسوقة فثارت عليهم فتركوا الرؤوس بلا معاصم والأبدان بلا جماجم وكانت ساعة مامثلها ساعة ولا شاهدت

العيون شكلها وجرت الدماء فى الأسواق فهذا مقطوع وهذا روحه فى التراق فتركوا الدنيا ملآنة من القتلا ولم يبق أحد من أصحاب عبد الودود الا وبذل المجهود وعمل البتار وقطعت الأعمار وقتلت الأبطال شيء مايقع عليه عيار ونادوا الباقين الأمان الأمان وضجت النسوان واستجاروا بهم من قتل الصبيان وسمعت كرنة الصياح من داخل البلد فلم تقدر على الدخول لأن الأبواب مغلوقة فضاقت عليها الدنيا والأرض بما رحبت وما وصلت فرحة الروم الى قلوبهم حتى جرت هذه الغصة وملكوا سرير المملكة كرنة ومستقر عزها وأموالها وأموال الروم وأولادهم ورجالهم فلما ملكت الأميرة ذات الهمة البلد وملكت مفاتيح الأبواب والقلعة واستولت عليها وطلعت من القصر ولبست النساء والرجال الدروع العادية والبيض الهندية والزرد وفرقت عليهم العدد الكاملة من كل شيء ووقفت الأميرة فى أوائلهم على الصور والأمراء كذلك وقفوا من أعلى الصور ونادوا عن لسان واحد الله أكبر الله أكبر فضجت الأصوار والأبراج والبحر العجاج والآفاق والأقطار ووقع على تلك الأرض من التكبير والتهليل الابتهاج وكان الملك عبد الودود مع الأميرة داخل البلد والأسارى الذين خلصهم أبو محمد البطال (ياسادة) وأما الأمير عبد الوهاب فانه ورد عليه من قدوم الملك ميخائيل هم كثير لما رآه فى ذلك العسكر الثقيل مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا بقى يدرى ما كان من أمر الأمير أبو محمد البطال ولا من أمر الأميرة ذات الهمة فلما سمع التهليل بذكر الملك الكبير علم ان البلد أخذت ونادت الأميرة ذات الهمة بصوتها من أعلى الصور بصوت كأنه الرعد القاصف فسمعه كل من كان واقف أيها الامير الماجد والاسد المجاهد ابشر فان البلد ملكتها وكل من فيها قتلته وأسرته فاحمل واضرب هذه الملعونة كرنة بالصارم المهند حتى تصلوا إلى الصور واجعلوه وراء ظهوركم ولا تبالوا بعد ذلك بعدوكم فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب أرمى روحه إلى الارض شكراً لرب الارباب ومعتق الرقاب ثم كشف رأسه وحمل وحملت أصحابه معه حملة رجل واحد بقلب قوى بالله عز وجل ونظرت الملكة كرنة إلى ذلك البلاء الذى نزل عليهم فألقت نفسها على عسكر الامير عبد الوهاب وجرى بينهم الدم وسال وكانت مقتلة عظيمة يشيب من هولها الاطفال وفرق الامير عبد الوهاب الناس شرقا وغربا وأشبعهم طعنا وضربا فاندقت عساكر كرنة منهزمين هاربين ومنهم من طلب ميخائيل وعملت فيهم الصوارم والقواضب ولم يكن للأمير دأب الاسار حتى وصل إلى البلد وصار الصور من وراء ظهره ونظر الملك ميخائيل الملكة كرنة وقد وصلت اليه وشكت مانزل بها لديه واعتمدت فى أمورها عليه فقال لها لا تفزعى

فأنا غداة غد آخذ لكى بالثار وأخلص لك البلد وأكشف عنك العار ثم نظر الى حسنها وجمالها فنسى مليكة وهام قلبه ولبه بمحبة الملكة كرنة ثم قام لها وقال لها ابشرى ببلوغ الارب وهلاك الاعداء وغدا تصل مراكبى الذى أرسلتهم فى البحر وآخذ لكم لكى البلد وأخلصها من أيديهم واعلمى انى ماجئت الى هذه الديار ونزلت وتركت أرضى وخليت سرير ملكى الا من أجلك وفزعى عليكى وعلى أصحابك (قال الراوى) ياسادة يا كرام ففرحت كرنة بكلام ميخائيل وأما الامير عبد الوهاب فرح بوصوله إلى البلد وطلع القصر ونظر إلى نعم فى القلعة لاتحصى ولا تعد ولا يرى لها مثل واعانق الامير ظالم وشكره على فعله فقال له دعنى من هذا العناق والله العظيم لئن لم تطاوعنى على ما أريد لاقتلن روحى فقال الامير عبد الوهاب له قل ماشئت فقال أريد آكل من كبد عقبة قطعة فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك قال له يا بنى اسمع حديثى وحديثه فقال البطال مادام صار لكم حديث فان الملعون قد هرب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماالذى جرى لك يا أمير عبد الوهاب مع عقبة فقال الامير عبد الوهاب انك لما أسرته وتركته فى القيود والاغلال صار يقرأ القرآن ويبكى فظننت ان ذلك حقا وصدقا فحنيت عليه لما سمعته يقرأ القرآن وهو مقيد ويبكى من خوف الملك الديان وجعل يسجد ويركع لله ويندم على ما فاته ويتأسف ندماً ويقول.

ندمت على ما كان منى جهالة ☆ ومن يتبع ماتشتهى النفس يندم
أماتعلموا ان الحساب أمامكم ☆ وان وراكم طالب ليس يظلم
وقدانقضى عمرى بكفرى وشقوتى ☆ وماكنت إلا من رجال جهنم
إلى أن رأيت البحر قد هاج موجه ☆ وهبت به ريح العذاب المحتم
وقد صرت فى بحر عميق قراره ☆ وقد زاد دفع الموج والليل مظلم
وغاب فلاحى ثم لاحت معاطبى ☆ وبحت بما قد كنت أخفى وأكتم
فقلت إلهى إن سلمت فاننى ☆ أعود إلى دين النبى المكرم
وأقر بأن الهاشمى محمد ☆ نبى الهدى المبعوث طه المعظم
وقد عدت يامولاى للعفو طالبا ☆ وأنت بحالى عالم لاتعلم
فجد بالرضا والعفو ياخير غافر ☆ بحرمة أركان الحطيم وزمزم

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما فرغ من هذه الأبيات غشى عليه ساعة ونادى يامولاى افعل بى ماشئت فما أعبد غيرك ولاأقصد باب سواك وان كنت ماتقبلنى فدلنى إلى من أرجع وماذا أصنع مولاى احرقنى بالنار ولاتوقفنى للحساب ولاتهتكنى إذا قامت الخلائق

القبور وضاقت الأمور وانفطرت المرائر فزعا وطارت العقول هلعا وانقطع أصحاب الذنوب فكيف تكون حالتى وإلى من أهرب وهى بعدد أوراق الشجر وقطر المطر ولو وزنت ذنوبى لرجحت على ذنوب أهل الأرض ولم يبق شىء الا وقد فعلت وأنت أعلم به منى وما أكن أعظم من فرعون وقد قلت لموسى لو استغاث بى لأغثته وسمعت كلامه وأجبته ولى أنا شيبة بيضاء وصحيفة سوداء فافعل بى ياسيدى مايشاء ولم يزل يقول مثل ذلك إلى وقت السحر ووثب قائما وقد ضعف عن القيام وطلب يتعبد فى وقت الظلام وإذا به يعثر فى القيام ويقع فقلت فى نفسى قد يكون قد رجع إلى الله تعالى من من قريب وأناما أمنعه من باب الله عزوجل ومالى منه إلاماظهر ولعل يأتى من الغيب عجب ثم وثبت اليه وفكيت قيده بيدى فنادى لاتفعل يامولاى ولاتفك القيد من رجلى فانى عبد ظالم عاصى سعيت بقدمى إلى مالا يرضى ربى فلاتفك القيد من رجلى فلعله اذرآنى مقيدا فى الدنيا يرحمنى فى الآخرة فزادنى ذلك منه يقينا ولم يزل يقوم ويقعد ويركع ويسجد ولم يبق من الليل الا ساعة واحدة ثم غلبنى النوم فانتبهت فما رأيته وبقيت بالرجال فى طلبه فلم يجدوه فندمت على ذلك لان عساكر الملك ميخائيل أشرفت علينا فى هذه المراكب والكتائب وهذا حديثى وحديثه فعندها دق البطال على يده وقال له ماأنت الا حمار وجازت عليك حيلة هذا الملعون الغدار وعملت فيك خباثته ومكره ولعنته ثم ضاق صدر البطال لأجل ذلك وقال أقسم بالله لولا خوفى من عطبك ما صحبتك بعدها أبدا لأنك لاتسمع ماأقول فقال له الأمير عبد الوهاب ياأبو محمد أريد تشتمنى ولا تلعنه فربما يكون قد أسلم حقا كما ذكر وهام فى هذه الجبال فقال له البطال أيها الامير أنت سليم القلب حسن الظن وسوف ترى مايجرى علينا من عقبة والساعة يكون قد مضى إلى الملك ميخائيل يسعى فى هلاكنا وسوف يدبر أمورا لا يهتدى اليها الجن ولا بد ما يصل إلى ميخائيل ويحدثه حديثى وسلامتى ويحذره من حيلتى ولا يقر لى ما أريد أفعله ويبطل على أعمالى (قال الراوى) فقال له الامير عبد الوهاب ياأبو محمد إذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت وأن عقبة قد فك قيده بحيلته ونجا بصنعته فانى أعلم وأتحقق أنه فى سلاسل القضا مسحوب وهو فى قبضة الغالب ولا ينجو منه هارب ولو كان فى الحجب وبات الأمير والأميرة يرقبون الصباح وأما الامير ظالم فانه صعب عليه خلاص عقبة وكبر لديه وسلم الامير عبد الوهاب على الملك عبد الودود ووعده بكل جميل وشكره على فعله مع الأمير ظالم فى بلده (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما عقبة) فانه لما فعل تلك الفعال طلب الهرب وكان لما رأى الأمير عبد الوهاب

غلب عليه السكرى وهمّ يذبحه من الوريد إلى الوريد فنظر الصياح أدركه فخشى يفوته الأمر فخرج وهو لايصدق بالنجاة بما عمل فى المطمورة مع الأميرة فجعل يدور فى ميدان الخيل وهو لايدرى إلى أى موضع يهرب حتى لاح له الغبار وانكشف عن عسكر جرار مثل البحر الزخار فنظر إلى العلم الأخضر فعرفه فطار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال وحق المسيح هذه عساكر ميخائيل ثم دخل عليه وقصد اليه وكان ميخائيل نصب له سرير وجلس عليه وقد أندلهم عليهم الغلس فأقبل على شومدرس والبطارقة وقال ما عندكم من الرأى فصاروا يشيرون عليه كل منهم برأى وهو لا يعجبه قولهم فتنفس صعدا وأظهر كمدا وقال ما ينتج الزمان قط مثل الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة ولو أنه كان هنا لكان دبرنا وكان إلى الرأى السديد أرشدنا الذى ما يعيبه عايب فهو فى الكلام وعقبة عبر عليهم فصاح الملك ميخائيل صوتا أذهل الناس وقام قائما فرحان به وقال هذا هو العبد الصالح الذى اذا ذكر حضر فجعل الملك والملوك يقبلون يديه وهو كما قيل فيه يديه تقبل وعمله لا يقبل ثم ابتدا يحدث الملك بكل ماجرى له من أوله إلى آخره ومارس وأخيه دارس يسمعون ويلعنوه ثم أقبل على الملك وقال له على ماذا عولت عليه فى غداة غد فقال فى غداة غد أطبق عليهم من كل جانب ومكان فقال له عقبة أيها الملك انهم ملكوا المدينة التى ماعلى وجه الأرض مثلها ولا سبيل لنا إليها ولا قدرة لأحد عليها ويطول مقامك ههنا ولكن عندى رأى وهو إنك إذا أصبحت لا تتعرض لقتال بل ترسل إلى اسود بنى كلاب وتقول له هذا البلد تحت ولايتى وأنتم مصالحونى على الهدنة وعظم على مافعلت وبلغنى السبب الذى لأجله دخلت وإلى هذه البلد والمدينة وصلت وهو لأجل هؤلاء المأسورين المغاربة والآن فقد أخذتهم وخلصتهم فخذهم وسير على شرط أنه ما يخرج معك من المدينة مايساوى درهم واحد فان فعلت ذلك فانى مقيم على المصلحة والهدنة وأن أبيت فالحرب بيننا واقع فى اليوم الثانى وربما تندم حيث لاينفعك الندم إذا زل بك القدم بين الامم فكتب بما ذكرنا وأرسله إلى الامير عبد الوهاب فلما قرأه الامير عبد الوهاب بحضرة أبو محمد البطال والامراء عرف أن عقبة هو الذى دبر هذا التدبير وهذه المكيدة فضاقت عليه المذاهب والارض وعلى من معه من الاصحاب والامراء فرد الجواب الامير إلى الملك ميخائيل يقول أما نحن فمعك مصالحون على أننا لانتعرض لمدينة القسطنطونية أبدا وأعمالها وأما هذه البلدة التى نحن فيها فما عليها صلح وكل مافيها من الاموال فهو لنا لان فيها نعم كثيرة لاتحصى وأيضا أن معى السودان الذين تعرفهم ولا تنكرهم وعتبوا على فى هذه النوبة

لما وقع بيني و بينك وقالوا ان أنت صالحت ملك الروم ميخائيل فنحن ما نصالحه أبدا وهذا رزقنا انساق إلينا وما رددتهم عنك إلا حتى أدرى ماسبب قدومك وهجومك إلى هذه الديار فان أبيت أنت إلا ما ذكرت سوف أرميك برجال وأى رجال هانت عليهم نفوسهم فى طاعـة الله لا يخافون الموت ولا يخشون الفوت يرون الضرب بالصوارم أطيب من نوم النائم فى طاعة الملك العالم الذى لا يضيع أجر المحسنين وقد اشترى نفوس المؤمنين (قال الراوى) فلما رجع الجواب إلى الملك ميخائيل عظم عليه وكبر لديه وقال لعقبـة ماذا ترى من الرأى فقال له لا تعجل فان العجلة تورث الزلل والندامة فلما سمع الملك ذلك سكت وكان النهار قد انقضى وقرب المسا وسائر الطوائف اخذوا الاهبة إلى غداة غد للقتال فلما دهمهم الليل اقبل عقبة على الملك ميخائيل وقال له اعلم انى أريد أدبر حيلة على المسلمين وهو أن تأمر أربعمائة الف فارس يتفرقون فى أربع أماكن ثم بعد ذلك تأمر كل بطريق يكون له خيمة يحفر قدام خيمته جب أو جبين من الذى يأخذ الفارس والفارسين وتسقف ويعمل فيها تراب وإذا أصبح الصباح هنالك تلتقى العساكر ويأتى الاسود عبد الوهاب الزنيم وتصبر على القتال ساعة من النهار ثم تولى منهزما وتأخذ فى لحف الجبل الشرقى فاذا تبعوك ينفرشون فى الطلب وما منهم الا من يطلب الخيام يريد النهب فيقعون فى الحفر ويخرجون الكمنا عليهم فما يسلم منهم احد فلما سمع ميخائيل ذلك قال من يلومنى على محبة هذا العبد الصالح الذى هو من أوتاد الارض ثم طلب الملوك وأخبرهم بذلك سرا (ياساده ياكرام) فما قولكم فى ألفى الف وخمسمائة الف دارت عليهم النقباء على حفر الحفائر فما مضى من الليل غير قليل حتى عملوا شغلهم كما ذكر الملك (قال الراوى) فلما أصبح الصباح تارت الرجال إلى الخيول ركبوها وإلى الرماح اعتقلوها ودارت رحاب الحرب وركبت رجال الطعن والضرب وخرج الملك عبدالودود ودارت فيه القوة وكذلك سائر اصحابه وكان فارس مذكور وبطل مشهور وتركت الأميرة ذات الهمة ظالم وسيف الحنيفية فى المدينة فى مائة فارس من السودان ومائة من بنى كلاب ونسوان الملثمة وأولادهم وخرجت الاقران والفرسان وتصادم الجيشان وعملت الصوارم فى الأبدان وهاجت الخيول بالجولان واحتكم الصارم اليمان ورفعت الروم الصلبان وضجت المسلمون بتلاوة القرآن هنالك ألوى ملك الروم العنان وقوم السنان فنظرت سائر الملوك الرومية وسائر الطوائف إلى العلم الاخضر انقلب طالب الهرب فركب كل أحد إلى هواه

طالب ميخائيل الجبل فعندها قصد ميخائيل الجبل وفرح عبد الوهاب بذلك السبب ونظرت السودان الخيام خالية فعدلوا على نهب الخيول والأموال وكذلك بنى كلاب وعبد الوهاب وساروا طالبين الخيام فصاح البطال قف أيها الأمير ان الأمر منكر وليس للروم عادة تنهزم بهذه الهزيمة وهى فى مثل ذلك العسكر الجرار الذى كانه البحر الزخار فقال الأمير عبد الوهاب فما الرأى عندك يا أبو محمد فقال اصبر ساعة وتأنَّ على نفسك يبان لك صحة الخبر لأن هذه حيلة دبرها عقبة عليكم فعندها صاحت السودان واق واق صيحة أزعجت الجمعان ما هذا مليح منك ولا تقطع أرزاقنا بأيدينا وما نبالى ان كانت حيلة أو غيرها فنحن نميل عليهم بسيوفنا (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين الى الخيام وكذلك بنى كلاب طمعا فى المال والكسب والحطام فما كانت الاساعة حتى وقعت السودان فى بطون الجباب والحفر المحفورة ووقع الصياح وارتجت الأرض فى الطول والعرض من شدة الركض ورجع ملك الروم ميخائيل فى العالم العظيم الذى ذكرناه وصدموا عسكر الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وطحنوهم طحن الشعير وفرقوا ذات اليمين والشمال ورجع الأمير عبد الوهاب الى خلفه وسمع الصياح ودقت الخيل بعضها ببعض وطلب الامير عبد الوهاب أحدا من بنى كلاب فلم يجد أحد فظن أنهم قصدوا النهب فمال اليهم ليصيح عليهم فوقعت فرسه فى بعض الحفر المحفورة وأطبقت عليهم جيوش الكفرة من كل جانب ومكان فهلك أبو الهزاهز وأصحابه السبعة آلاف أسود وملكوا قراقد وسودانه الانجاب وثلاثين ألف من بنى كلاب وأخذوا سملق وبردين الازهر ووقع الامير عبد الوهاب فى حفرة فهلك فرسه وطلب الصعود فلم يقدر فقبض قبضا بالكف ووقعت الاميرة ذات الهمة فى بعض الحفر والامير أبو محمد يدق يد على يد ويقول لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) وما جاء وقت العصر حتى أسر من المسلمين سبعين ألف مسلم ولم يسلم من الكل الا البطال لانه كان قد أخبر الامير عبد الوهاب بما أخبره ولم يقبل عنه لان الامر قد فات ولما جرى هذا فتح الامير ظالم وسيف الحنيفية الباب وقد أرموا العمائم عن الرؤوس وأرادوا يطلبون العجاج فمنعهم الامير أبو محمد من ذلك وقال لا تفعلون يا أولادى فانى أخشى عليكم ما يسلم منكم أحد وأيضا فان البلد كادت تخرج من أيديكم وأنا أؤمل أن أفادى هذه البلد بالاسارى وهذه نوبة قد حسبتها ونهيتهم عنها فما فعلوا وماسمعوا وهذه أخت وقعة الفنا فانا لله وانا اليه راجعون ثم بكا أبو محمد البطال ودخل البلد وأمرهم بغلق البلد فغلقت الابواب وصعدوا على الابراج والاصوار ينظرون هذه النوبة العظيمة (قال الراوى) وسار الملك ميخائيل ونزل موضع الأمير عبد الوهاب وفرحت الملكة كرنة وأيقنت ببلوغ المنى وعلمت أن البلد ما بقى فيه أحد

إلا القوم الذين على الأصوار (ياسادة يا كرام) وأظلم الليل وقد حل بالناس الويل وأما الملك ميخائيل فانه أمر باحضار عقبة فلما حضر دخل وقبل الأرض بين يديه فصاح به الملعون ميخائيل لاتفعل أيها الشيخ النجيح بحق المسيح ثم ان ميخائيل نزل من على سرير ملكه وباس الأرض قدام عقبة وقال له هذا بعض حقك وهو على واجب لانك قد أهلكت مائة الف من المسلمين وسلمت إلى أمراء المجاهدين وأبطال الموحدين من المسلمين الذى كنت أخاف منهم على طول السنين فقال عقبة وحياتك أيها الملك لابد لى أن أقطع من الارض كلمة الإخلاص وما كان يحمى بلاد الإسلام إلا هؤلاء المجاهدين ولكن أيها الملك على ماذا عولت تفعل فقال ميخائيل وهل لنا رأى غير رأيك فقال عقبة الرأى عندى اذا أصبح الصباح انك ترمى رؤسهم كلهم وعد أسلم اليك مابقى فى البلد فقال ميخائيل وحق المسيح على هذا عولت (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه أقبل على الامير ظالم والامير سيف الحنيفية وقال لهم لاحياة لى بعد فقد الاحباب دلونى من الصور فى الحبال ادخل الى عسكر المسلمين وأبصر من سلم منهم ومن عطب ولعلى آخذ ملك الروم أو عقبة فمن أخذته منهما كان سببا لخلاص الأسارى (ياسادة) فأنزلوه فى الحبال وسار يطلب عسكر الروم وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وهو يكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وسار حتى دخل عسكر الروم فوجد الاسارى ينتظرون الصباح على أقبح حالة وكذلك عبد الوهاب والأميرة ينتظرون الصباح وقد حاطت بهم الرجال وفى أيديهم الصفاح وهم يقولون لهم ياويلكم ما بقى لكم من أعماركم إلا بقدر ماتذهب الغياهب ونضرب أعناقكم بالقواضب (ياسادة) فعظم ذلك على الأمير أبو محمد وبقى لايدرى ما يعمل ونظر سرادق الملك فى مقابلة الموضع الذى فيه الأمير عبد الوهاب والأميرة والملوك كلهم قائمين قابضين على قوائم السيوف وارباب الدولة كذلك والناس على غاية من الفرح (ياسادة) ويحق ويحق لهم فى هذه النوبة التى ما ظفروا قط بمثلها من بنى كلاب (ياسادة) ونظر أبو محمد الملعون عقبة وهو إلى جانب ميخائيل الأيمن وشومدرس إلى جانبه الأيسر وعقبة يقول أيها الملك قد طاب قلبى بما فتح المسيح عليك من النصر والظفر الذى ما ظننا انه يكون أبداً والمسيح قد نظر اليك فقال ميخائيل هذا كله ببركتك وما وصلنا اليه الا بمشورتك وما سعدنا الا بطلعتك ومشاهدتك فقال عقبة أيها الملك أريد أن أقوم الى موافقة الاسود الزنيم عبد الوهاب والبغل اللئيم وأمه ذات الهمة وأعلمهم انى قد ظفرت بهم على رغم أنفهم ثم أن عقبة أخذا معه مجلد لو ضرب به جمل

لهلك وقصد اليهم والبطارقة من حوله والراهب شومدرس معه حتى وصلوا الى عند الامير والاميرة والملك عبد الودود وأبو الهزاهز ومالك بن طوق وراشد بن ضمرة وغيرهم من الامراء المذكورين والرجال الموصوفين فلما وصل اليهم ونظر عبد الوهاب الى الملعون عقبة فعجب من فعاله وابتدأ بمقاله وقال له ياويحك يا ابن الزنا ما كنت قد ذكرت أنك قد ندمت على ما فعلت وعلى مافات ورجعت إلى خالق الأرض والسموات وقال الملعون يا أسود ما أرجع إلى ما ذكرت حتى أقتلك وأقتل بعدد كل شعرة فى بدنك مائة مسلم مسلم يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك ياحجام أما علمت إنى لعبت بعقلك حتى تم لى عليك ما أريد وأنا الذى دبرت هذه الحيلة عليك ما بقى فى قلبي حسرة وهذه آخر ليلتكم من دار الدنيا وغدا تصلون إلى دار الآخرة وتنالون الجنة والخلود لأجل ركوعكم والسجود ثم أن الملعون عقبة أخرج صليبا وقبله وادعا بالخمر فشرب ثلاثة أقداح وأشار إلى عبد الوهاب ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا أسود ياحجام يا ابن العواهر ... ألم تدريا ابن مرزوق أنى ماكر
أنا السيد المعروف والاوحد الذى ... حفظت علوم مثل بحر زاخر
أنا عقبة المعروف من تذكرونه ... بأنى خبيث كاذب القول غادر
أنا عقبة المحتال والغدر شيمتى ... وليس أنا يوم الكريهة قاصر
ويكفيك إنى كنت فى البحر غارقا ... وعدت سليما منه والبحر زاخر
وقلت بأنى قد رجعت موحدا ... وقلت لكم أن المهيمن قادر
ونزهته عن صاحب ومؤانس ... وعن ولد بين البرية ظاهر
وما كان ذاك القول إلا خديعة ... لأنى بقولى سالب العقل ساحر
إلى أن غفلت عيناك والليل فاحم ... وأظلمت الأقطار والليل عاكر
وأملت أن أذبحك فى الليل عاجلا ... ويفرج بذا قلبا جحودا وكافر
فأدركنى ضوء الصباح وإننى ... رأيت مقامى تعتريه المحاضر
فما كان لى إلا الفرار ولم أكن ... أرجو قدوم الروم والجيش سائر
إلى أن بدا لى عسكر قد تقدمت ... مواكبه إذ أذركته العشائر
وفاضت على الأرضين من كل جانب ... وقد همهمت أبطالها والدساكر
وقد زمجرت أقيالها وفحولها ... وقد نخرت ساداتها والمعاشر
ولاحت لى الصلبان حتى كأنها ... نجوم الثريا طالعات زواهر

فلما رآنى ملك الروم أشرقت   عليه شموس النصر فانسر خاطرى
وقال إذا ما جئت أنت مسلما   فكل كبير للحوادث صاغر
فشاورنى فى أمركم فمنحته   مقالة ذى فكر على الهول جاسر
وأكمنت أبطال النزال جواثم   وعلمتهم أن يحفرون حفائر
فلما بدأ وقت الصباح تهازمت   وما فيهم إلا هزبر مغاور
وقد طمعت فرسانكم فى رجالهم   وساروا يهمهموا كمثل الاباعر
فلم تشعروا حتى رأيتم خيولكم   مكردسة قد أرهقتها المعاشر
وعاد عليهم كل وليث غضنفر   وسلت عليكم مرهفات بواتر
فلم ينجو منكم سالم أو مخبر   ولم ينجوا غدار ولم يبق ناكر
وسبعين ألفا قد أسرنا وبعدهم   فكم من قتيل ضمنته المقابر
فمن ذا له فعل كفعل ومن له   كمثل الذى دارت عليه الدوائر
أرجى بهذا كى أنال مثوبة   وأنجو بها من كل ما أنا حاذر
وسوف ترى فعلى إذ لاح لائح   من الصبح حقا إذ ترنم طائر
وقد صار جيش الروم يرمون رؤسكم   ويفنوا صغارا منكمو وأكابر
واسرى إلى أرض العراق مبادرا   وأملك ما تحويه تلك المعاشر

(قال الراوى) ولما فرغ عقبة من شعره طارت الدمعة من عينين عبد الوهاب وظهرت عليه آثار الإكتئاب وما أقبح الذل بعد العز والفقر بعد الغناء والغربة بعد الوصل وطول المرض وعدم الأطباء وندم الأمير عبد الوهاب ولم ينفعه الندم وضربه عقبة الضرب الوجيع هذا والأمير عبد الوهاب يقول صبرا لحكم الله ثم أن الملعون عقبة فعل بالأميرة ذات الهمة كذلك ولم يبق أحد إلا ضربه والبطارقة قيام من حوله يتعجبون (قال الراوى) ثم أن الملعون عقبة رجع إلى سرادق الملك ميخائيل (ياسادة يا كرام) وأن الملعون شومدرس لما نظر إلى هذا الظفر الذى ما أمل أن يصل إلى مثله أحد من البشر وأنه من تدبير القاضى عقبة داخله الحسد وقال هذا الشيخ النجيح قد نال بهذه الفعال عند الملك ميخائيل وصار له فى قلبه المنزلة التى ما نالها أحد ولعمرى أنه حقيق بالإكرام بعد هذه الفعال وهذا أقوى من الذى عملته أنا مع يانس المعتزب وأصحابه ولكن ما يصل فعلى إلى مقابلة عقبة وفعاله إلا إن كنت أفعل فعلا أفتح به هذه المدينة مطلبونا لأنى رأيت الملك ميخائيل لما وصفت له الملكة كرنة ما فى البلد من الأموال والآنية وكل شىء حسن وأن البلد حصين لا يصل

اليه وأصل ولا يقدر عليه آمل ومالى إلا أننى أمشى فى ظلام الليل من حول البلد وأدبر فيه بحسن بصيرتى ودقيق حيلتى وإلى أن أصبح الصباح من غير أن أعمل عملا أخاف أن يسبقنى الملعون عقبة ولا أقدر على شىء أفعله ثم أن الملعون شومدرس سار طالب البلد وهو يظن أن أبى محمد البطال هالك فى هذه الوقعة (ياسادة) وكان الأمير أبو محمد البطال قد نظره وهو يجيل فكره فعلم أنه فى تدبير أمر من الأمور فخلاه إلى إن وصل إلى قرب من الصور وهو خلفه مثل القط والفار والسامر والسمار هنا لك انقض عليه انقضاض النسور وضرب بيده إلى فمه ومكن الخنجر من نحره وقال والله أن صرخت أو تكلمت لأقطعن أمعاءك فلم يقدر الملعون شومدرس يتكلم وعلم أنه أن صاح هلك لامحالة وعمل الأمير أبو محمد البطال الاكره فى فمه وشد يديه ورجليه ودنا من الصور تحت البرج الذى فيه الأمير ظالم وصاح بظالم (ياسادة يا كرام) وكان الأمير ظالم مثل الوالهة الثكلى أو الحبة على المقلا لا يدرى أى السالم من العاطب ولا المنكوب من الناكب وأن الأمير ظالم نادى ياأبو محمد قال نعم دل لى الحبل بالعجل فقال الأمير ظالم إيش عندك من الأمير عبد الوهاب فقال سالم وكذلك الأميرة ذات الهمة وكل من معهم من السودان الانجاب وبنى كلاب ولكن القوم على نية قتلهم فى غداة غد والله الأمر من قبل ومن بعد ولكن مافيهم من بنام الليلة من فرحهم بما قد وصلوا اليه من هذه النوبة الذى يشيب لهولها الطفل الوليد ويذل لها البطل الصنديد فدلوا الحبال وارفعوا من معى وارفعونى فقد قرب الصباح وما قدرت على أننى أدنو منهم لفرط يقظتهم وعقبة اللعين قد حذر منى إلى الغاية وإنما يسرق اللص من النائم وأما القائم فلا يمكنه ذلك (ياسادة) فدلوا الحبال ورفعوه بعد مارفعوا الملعون شومدس (قال الراوى) وجعل الأمير أبو محمد يحدثهم بما جرى من حال الأمراء المأسورين والأمير ظالم وسيف الحنيفية يبكون فقال الأمير ظالم والله لابد لى فى غداة غد ماأفتح البلد إذا عولوا أن يضربوا رقابهم وأحمل عليهم حتى أقتل ويعلم الناس أنى ما طمعت فى الحياة بعدهم ثم أن الأمير ظالم أنشد وجعل يقول هذه الأبيات

سلام على الدنيا إذا كان والدى	يضحى بذى الارجاقتيل الأعاديا
وذا الهمة الست التى طاب أصلها	وعنصرها فى عصرها والبواديا
وأبطال سادات الرجال ومن همو	يصولوا على كفارها بالعواليا
سأفتح باب الحصن من غير فزعة	وأضرب فيهم بالحسام اليمانيا
ولا أبتغى من بعدهم طيب عيشة	وكيف ومن أهواه فى القبر ثاويا

(قال الراوى) فبكى البطال وقال يابنى إذا كان الأمر على ما قد ذكرت فوالله ما فينا من يتأخر وكلنا إذا ظهرت نظهر وأيضا إذا رأيناهم قد عولوا على قتلهم وإن يكن غير ذلك فنادى بهم أنت وقل لهم إن أردتم البلد فاطلقوا الأسارى حتى نسلمه اليكم ونرجع عنكم وإن كنتم ماتفعلون ذلك فأسالكم وحق المسيح هل أبو محمد البطال معكم أسير أو قتيل عفير فان قصدى بذلك ياولدى انهم إذا سمعوا بقتلى تركوا عنهم الحذر وغرقوا فى بحر الفكر وأنزل اليهم فى هذه الليلة الثانية لعل الله عز وجل أن يسهل لى أخذ الملعون عقبة والملك ميخائيل وما كان يبقى أحدا من أصحابنا فى الأسر (قال الراوى) لهذا الحديث العجيب والأمر المطرب البديع الغريب فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وارتفع الصياح وجردت الصفاح وأيقنوا بنى كلاب والسودان الأنجاب بالعطب إذ لم يبق لهم إلى النجاة سبب (قال الراوى) والأمور مخفية لايعلمها إلا صاحب المشيئة رب البرية (ياسادة) هذا وقد نصب للملك ميخائيل سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وأمر أن يسوقوا الأسارى بين يديه فى مقابلة البلدليرى من قد بقى فيه من المسلمين وأقبل الملك ميخائيل على عقبة وقال اين عينين الملك منويل يرى هذه النوبة وكيف قد جعل المسيح هلاك المسلمين على يدى وفى أيامى فضحك عقبة وقال ما دام المسيح يحفظ شيبتى سوف ترى ما يأتيك من الاحسان والأفعال الحسان التى يعجز عنها كل إنسان فشكره الملك ميخائيل على ذلك ثم أنه قال اطلبوا الراهب شومدرس حتى يأخذ بثار الراهبة شوما الصالحة فقال عقبة وكأنها قد قتلت شوما فقال الملك نعم وأعاد عليه قصتها وحدثه أيضا كيف احتال الراهب شومدرس على يانس المتعزب وأخرجه من الحصن وأسره ومعه ثلاثة آلاف من بطارقته وأصحابه وانهم فى القسطنطونية أسارى ففرح بذلك وباس الأرض وقال شكرا المسيح الآن قد مضى هذا وقد شفيت الغليل ولم يبق فى قلبى لاكثير ولا قليل فوحق المسيح لقدكان فى قلبى من هذا المنافق على دين النصرانية مثل ماكان فى قلبى من هذا الأسود الزنيم والآن مافى الأرض مثل شومدرس ولا يهتدى إلى هذه الفعال غيره وأرجو أن لايفرق المسيح بينى وبينه فى الدنيا والآخرة فقال ميخائيل اطلبوه فطلبوا شومدرس فى موضعه فما وجدوه فعظم ذلك على القاضى عقبة وقال أيها الملك الذى قتل شوما هو ظالم وهو فى المدينة أقتل أنت الساعة هؤلاء الذين عندك وإذا حضر اليك شومدرس فأنا أسلم اليك هذه المدينة ومن فيها ويقتل خصمه بيده وربما يكون قد مضى لمصلحة (قال الراوى) وكان عقبة قد علم أن شومدرس

ما فقد إلا وقد أخذ نخشى أن يكون الملك يتوقف عن قتل الأسارى من أجله فعندها صاح ميخائيل بالرجال وأمرهم أن يسحبون فى أيديهم الأسارى إلى الميدان ويضربون رقابهم .وأعوذ بالله من غلبات الرجال وحضور الآجال وسحبت الأسارى من كل جانب وجردت القواضب وجعل كل إنسان يوحد الله ويتشهد وفتح باب مطلبونا وخرج الأمير ظالم وطاب له الموت فى طاعة الملك القدير فغضب الملك ميخائيل وقال ما يكون قط أعظم من هذا ان يكون فى مائة وخمسين فارس تحمل فى ألفى ألف ويلكم خذوهم حتى نقتلهم كلهم فى مرة واحدة وأطبقت عليهم الكتائب من كل جانب (يا سادة) فهم كذلك وإذا بغبار قد طلع من خلف العساكر حتى ملأ الأقطار وأظلم منه النهار وهى مواكب وجحافل قد ملأت الفضاء وسدت المستوى ونظر عقبة إلى الجو وقد اسود فقال وما عسى أن يكون هذا العسكر ولا شـــك أن عساكر الروم المتخلفين قد أقبلوا ليلحقوا الملك ثم دنا الغبار وانكشف وقد وقف الناس عن القتال ولاحت رايات سود عباسية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عقبة ويلك هذه نوبة مدبرة وما أظنه إلا الخليفة المأمون (قال الراوى) وكان ذلك عسكر المأمون والسبب فى مجيئه إلى هذه الديار أن يانس المتعزب لما وصلت اليه العرب المتنصرة تخبره بما جرى على الأمير عبد الوهاب من تلك الحيلة التى ذكرنا دبرها التى شومدرس وانه أطلق كتاب الطائر من عنده الى بغداد يخبر بذلك. فلما علم المأمون بالأمر استشار وزيره ذو العلمين فقال الوزير اعلم يا أمير المؤمنين أن عبد الوهاب له عليك وعلى أبيك من الخدم والمكارم مالا عين رأت ولا أذن سمعت وأنت بذلك اعلم ومع ذلك فانك كنت قد فعلت معه ما نفر قلبه منك ويجب عليك أن تسير اليه لأجله ولأجل المسلمين وان كان سيرك لأجله فيكون فى مقابلة ما فعله من الجميل فى طول الأيام والسنين وأيضاً فانها غزاة تربح فيها الثواب وتطأ بلاد الروم وتزل لك الرقاب وأنت أخبر بالصواب (قال الراوى) فاستصوب المأمون ذلك الرأى وبرز من يومه وكانت العساكر مجتمعة فى العراق وكتب أيضاً الأخبار على أجنحة الطيور إلى سائر الأمصار بأن تلحقوا الجيوش والعساكر إلى ملطية وأقام بها عشرة أيام ورحل فى ألف ألف من الترك والعجم والعرب والديلم والأكراد وغيرها وسار معه أحمد الشمشاطى دليلا وأخذه فى مواضع قريبة (قال الراوى) وقد كان الملك ميخائيل لما أخذ يانس المتعزب قد اشتغل سره وكان من ثقل عسكره يرحل فى اليوم والاثنين مقدار رحلة واحدة والمأمون لأجل عجلته يسير بالليل والنهار

ولا يأخذه هدو ولا قرار وقد قدم فى مقدمة العساكر الأمير عمرو بن عبيد الله (قال الراوى) ولم يزل كذلك حتى أشرف عليهم الوقت ولما علم عقبة أنه المأمون وقد أتى فى عسكر العراق أقبل على الملك ميخائيل وقال له إياك أن تغفل عن هؤلاء المنافقين يعنى ظالم وسيف الحنيفية ومن معهم ولكن خذهم فاذا وصل هذا العسكر أضرب رقاب هؤلاء الأسارى معهم عن بكرة أبيهم وارميهم برؤسهم فى ذلك تقصم ظهورهم وتحل عزائمهم انهم إنما جاؤا إلى هذه الديار طمعاً فى أن هذا الأمير سالم ولولا ذلك الطمع ما جسر أحد من هؤلاء أن يطأ هذه الأرض فاضرب رقابهم وقد بلغت المراد فقال الملك ويلكم اطبقوا على ظالم ومن معه فحملوا عليه من كل جانب ومكان وقاتل ظالم فلله دره لقد أشفى بقتاله الغليل وأرضى الملك الجليل وفعل أصحابه مثل فعله حتى لعبت الخيل بالجماجم واسترخت الايدى عن قبض الشكائم ووقع ظالم عن جواده وأصحابه كلهم ولم يبق الا أن يؤخذوا أخذاً بالكف وقد قرب العسكر من العسكر ونظر عمرو بن عبيد الله إلى ذلك فقال ياأمير المؤمنين الناس فى القتال وان الروم قد أحاطوا بقوم كانهم رجاله وأريد الحمله فقال له افعل فحمل فى مائة ألف فكشف الروم عن ظالم ونظر ملك الروم إلى ذلك فعظم عليه وأمر ملك الأنجار وقال له أدرك ملك الصقلب فى مائة ألف فحمل فقال المأمون لمروان بن صالح صاحب الجزيرة فحمل فى سبعين ألف وقال ميخائيل للبنجاك فحملت ونادى المأمون فى الاتراك فحملوا وصاح ميخائيل فى الزغاوره فحملوا ونادى المأمون بعساكر الشام فحملت وزاد الأمر وركب ملك الروم ومال بكثرة عسكره على الإسلام فعندها نشر المأمون لواء الحمد ولبس بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعمم بعمامته السحاب وكبر فكبرت الأمم فدقت النواقيس وأنطبقت الطوائف بعضها على بعض وارتجت الأرض فى الطول والعرض وتفحرت من الركض وفاضت الدماء من الوريد وذل الفارس الصنديد وثقل على الأبدان الحديد وقدحت حوافر الخيل النار من صم الجلاميد وبان الفارس المجيد ولم يزل السيف فى قمم الرجال وأعناق الأبطال حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وانفصل الجمعان وتراجع الجيشان ونزل المأمون فى موضعه وقد خلص الأمير ظالم ومن معه من الرجال وقتل منهم خمسين من الأبطال والباقى مثخنين بالجراح لما ترادفت عليهم الصفاح وان المأمون أحضر الأمير ظالم واخلع عليه وقال له أيها الأمير المهاب أبشر من الله تعالى بالثواب ومع ذالك فانى حائر فى هذه الأسباب فاخبرنى أين ولدك الأمير عبد الوهاب وأين بنى كلاب والسودان الأنجاب (قال الراوى) فأعاد ظالم عليه القصة التى دبرها عقبة

على الأمير ومن معه وكيف وقعوا فى الحفائر قال وكانت الروم لما ملكوا المسلمين قد تمموا الحفائر ولم يعلموا أن عسكر المسلمين يطرقوا هذه الديار الليلة ولو علموا بقدومك ياأمير المؤمنين لكانوا سدوا عليكم الضروب والمضايق ولم يكن لأحد منكم طريق إلى هذه الديار فقال المأمون أيها الأمير معلوم انكم قد جرى عليكم ماجرى وعقبة المشوم عدم ولا نعلم له مكان ولا ندرى ماشأنه فكيف يصل إلى هذه الأراضى فقال ظالم ياأمير المؤمنين اعلم انه كان قد غرق هو والبطال وجرى لهم حديث طويل حتى وصلوا إلى هاهنا فى الاساطير وأعاد على المأمون القصة من أولها إلى آخرها فقال المأمون أن كان الأمر على ماذكرت وصح أن عقبه هاهنا فهذه النوبة تكون سببا لاشهاره ثم قال له والأمير أبو محمد ايش صنع الله به فقال ياأمير المؤمنين هو حاضر ولكن لما حملت على الروم وأنا فى طلب أن أرمى روحى إلى الهلاك قبل أن يهلك الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب لأنهم كانوا قد أشرفوا على ضرب الرقاب ما أعلم ماكان منه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع المأمون ذلك منه قلق قلقا عظيما وقال والله ما آمن عليه فى هذه الليلة من أقيالها وما البطال الا قد هلك وعظم عليه ذلك (يا ساده) وأما البطال فانه لما أحدقت الروم بالأمير ظالم ومن معه من الأصحاب علم أنهم هالكين فطلب لروحه النجاة وإذا بعساكر المأمون قد ظهرت وجرى ماذكرناه رجع البطال وقصد الأمير عبد الوهاب وهو بين الأسارى وعندهم خمسه آلاف بطريق بالسيوف المجذبة وهم قيام على رؤسهم وكل من تحرك من الاسارى ضربوا رقبته فلما رآهم البطال كذلك وكان عليه زى البطارقة فصار فى جملتهم وجذب سيف بجوهر بيده ووقف على رأس الامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمة وقال أشتهى ياحجام تقوم من مكانك أو تتحرك من موضعك حتى أعلو رأسك بهذا السيف فرفع الامير رأسه ونظر إلى ذلك المتكلم واذا به البطال فبكى الامير فنظر اليه البطال بعيون كانها النشاب وقال له لاتبكى ولا تلح إلى بالنظر ولا تكلمنى بالعربى فانا لانأمن أن يكون فيهم من يعرف بلسان العربى فسكت الامير وجرى ماذكرنا من القتال طول النهار إلى الليل ورجع ملك الروم إلى موضعه وكان عقبة راكب على جواد تحت العلم إلى جانب ميخائيل وهو يقول أيها الملك طيب قلبك فلو أتى أهل الارض لما بالبيت بهم مادام هذا الاسود وأمه تحت قبضتك وأما المأمون فلا اعتبار بقدومه وان البطال لما نظر إلى ميخائيل وقد نزل فزع من عقبة أن يأتى فى طلب الامير عبدالوهاب فيراه ولا يخفى عليه أمره ونظر إلى البطارقة الذين عنده متوكلين بالاسارى وقد التفتوا صوب الملك ميخائيل وقد أمسى المساء والملك قد ضاق به المنزل الذى كان فيه لان

عسكر الإسلام قد ضيقت عليه الأرض وفى هذا الاشتغال لقى الفرس وأقبل على الامير عبد الوهاب وأمه وقطع كتافهما بحد السيف فوثبت الاميرة والأمير أمامها فى جملة الناس والبطال معهما (ياسادة) وأن البطارقة الذين كانوا متوكلين بهم التفتوا فلم يجدوهم فوقع الصوت وثارت البطارقة من كل جانب وقد اظلم الليل ونالهم فى تلك الساعة الويل لأن البطال وأصحابه التفوا فى وسط البطارقة مثل والسيل وفاز البطال ببلوغ المنا والنيل وتخلص الأمير والأميرة ولم يزل بهما البطال إلى أن أوصلهما إلى عسكر المأمون وتخطا الخيام التى قد ضربت والمفازات التى قد نصبت حتى وصل إلى سرادق المأمون وإذا به جالس وأرباب الدولة قيام بين يديه والوزير ذو العلمين جالس والمأمون يقول والله انى خائف من أن يحدث ميخائيل نفسه بقتل الأمير عبد الوهاب وبعد ذلك فما بقى قتلهما بقتل كل من فى بلاد اشنم وتنقطع دخول عساكر المسلمين ديار الكافرين والرأى عندى أننى أرسل الساعة اليهم وأقول لهم وتربة الرشيد لئن أرميت من رأس واحداً منهم شعرة أو محجم دم لا بد لى أن أقتلك ولو كنت فى حجر أمك وأصحابك عشيرتك وأولادك وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر وقال المأمون من يكون الرسول فقال ظالم أنا ياأمير المؤمنين أو أكون مع بعض ماتراه لأن فى قلبى النار التى لا تطفى فقال الوزير وأنا معك ولى أسوة بك هذا والبطال واقف على باب السرادق يسمع فعندها هجم عليهم ومعه الأمير والأميرة وقبلوا الأرض بين يدى المأمون وسلموا عليه وتقدم البطال وقال ياأمير المؤمنين هــــذه والله همم الرجال الموحدين والخلفاء الأكرمين ولولا قدومك لكانوا الكفرة قد سفكوا منا الدماء وأرملوا النساء وشتموا الأعداء فطار عقل المأمون من الفرح بسلامتهم ونهض لهم قائما وسلم عليهم وقال مرحبا بالأمراء المجاهدين الذين قد ألفوا ركوب الخيل وخوض الليل فى طاعة الله تعالى ثم قال مادام أن الله قد أطلق سبيلكم فما يقدر ميخائيل يسفك دم أحد من المسلمين حتى يبصر على ماذا تنفصل النوبة فقال البطال يامولانا لو كان عقبة غير حاضر لم يجسر على ذلك ولكن عقبة عنده وهو يزين له الليلة قتل الأبطال ويأمره بهلاك الرجال ويطلب بذلك هلاك الاسلام سيما وقد عدم الأمير والأميرة فى هذه الليلة وسوف تنشق مرارته فقال المأمون وقد سمع كلامه اعلم أنى ماأخوض مع الخائضين إلا أن رأيت بعينى فقال البطال إذا كنت تريد هذا فما يتم لك أن تراه وأنت مقيم ههنا وإن أردت ذلك أيها الامام الذى جعله الله تعالى ركنا للاسلام تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم حدود الله فى هذا المنافق الفاسق الذى يلعب بالأديان وبعقول الخلفاء فلما سمع المأمون ذلك قال وكيف

الحيلة قال له تقوم الساعة وألبسك ثياب كما أريد وعلى الضمان بسلامتك ورجوعك فى ساعة واحدة حتى ترى هذا مشاهدة وتسمع كفره بلسانه فان أنت أخذت لله تعالى بالحق أرحت منه الخلق وإلا فانت تعلم ماهو سائلك عن ذلك إذا خشعت الأبصار وحارت الأفكار وذل كل جبار وأزلفت الجنة وسعرت النار (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع المأمون ذلك وعلى كل حال معه جدية الشباب وجسارة الصبا وعزمة الخلافة وقوة السلطنة فوثب قائما وقال إلى متى أسمع هذا من أيام الرشيد بالله أمير المؤمنين ونحن كل يوم معكم ومعه نخوض مع الخائضين تارة تصدق وتارة تكذب ونقول أن هذا غرض منكم لهلاك عقبة لما بينكم وبينه من العداوة وأنا أريد أطلع على مضمون هذه القصة العجيبة التى قد طال أمرها ولم نقف على مكتوم سرها فقال الوزير وأنا ثالثكما (ياسادة) وأن البطال مضى وأتى بثياب البطارقة وألبس المأمون ووزيره ذو العلمين وإنما سمى ذو العلمين لأنه كان أكتب أهل زمانه وفيه دين وأدب وفضل وكان قد ألقى الله تعالى بغضه لعقبة على أنه لم يطلع على مقاله وسار بهم البطال حتى وصل عسكر الروم وكان الملك ميخائيل لما سمع ذلك الصوت الأول عند عدم الأمير والاميرة عظم عليه وكبر لديه وأتى عقبة وسأل البطارقة عنهما فقالوا كان عندنا بطريق مثل الشيطان فاطمأنينا اليه من كثرة ما رأينا من حفظه لهم طول النهار واشتغلنا بالنظر اليكم فلم نشعر إلا والمكان خلا منهما فهز عقبة دقنه وقال وحق فلسيح لقد خلصهم البطال وقال للملك وهو على غاية من الهم إذا كان أصحابك لايحفظون ما أمرهم بحفظة فنحن كل يوم تحت الذل (قال الراوى) ياسادة ياكرام فغضب الملك وضرب رقاب الموكلين الذين كانوا يحفظوهما (ياسادة) وأوصى الباقين الذين هم موكلين بالاسارى أن لا ينامون ولا يرقدون حتى يدبر ما يراه فى ليلته إما يقتلهم بالليل وإما يتركهم ثم أمر بإيقاد الشموع فأوقدت مائة شمعة فى السرادق حتى عاد الليل كالنهار وهكذا عادت ملوك الروم ووقفت الغلمان على أبواب السرادق (ياسادة) وفى تلك الساعة أشرف البطال والمأمون الوزير ذو العلمين حتى وصلوا إلى باب السرادق والبطارقة والخواص قيام أكثر من ألف بطريق فصار البطال فى جملة القوم وأوقف المأمون إلى جانبه وقد نظر المأمون إلى الملك ميخائيل والسيوف بين يديه مجذبة فندم على مجيئه وخاف على نفسه من أن يفطن به أحدا فيهلك وبقى يرتعد مثل السعفة فقال البطال أنت تكون الليلة سبب هلاكنا فلا تفزع وقوى قلبك وعزمك واعلم أن الله إذا ستر لا يقدر مخلوق يفضح وهذا الملعون عينه من باب السرادق وأخاف أن يفطن بنا فنظر المأمون إلى السرادق

وإذا بميخائيل على سرير من العرعر مصفح بالذهب الأحمر مرصع بالجوهر وعلى رأسه قواضب تزهر وتماثيل العنبر ونظر إلى سبعة عشر ملك على سبعة عشر كرسى من الذهب وميخائيل جالس فى الدست وإلى جانبه طراحة قسطنطينى أطلس ملكى ولونها يأخذ بالبصر وقد زاد نورها على ضوء الشمع وعليها شيخ طويل اللحية عليه غفارة تسوى خمسمائة دينار وقد حبكت بالجوهر واللؤلؤ فلما نظر المأمون إلى ذلك أقبل على البطال وقال من هذا الشيخ فقال هذا قاضيكم فانظر صورته وعورته وشيبته وسوف تسمع كلامه ونغمته وأنه أدعى بالطعام فأحضر الدجاج والحلوى وثلاث حنانيص سمان من أولاد الخنازير قد شويت ودهنها ينقط فقال عقبة أيها الملك معلوم أن لحم الغنم والطير طيب وما فى سائر اللحوم أطيب من لحم الخنزير ولو لم يكن فى أكله إلا معاندة المسلمين لأنهم يزعمون أنه حرام عليهم ولعل هذا يشبهه المدام وأخذ عقبة القدح وصار يشرب منه حتى اكتفى فعند ذلك أرخى البرنس عن رأسه عند سكره وكان اجلح من مقدم رأسه فعرفه المأمون وقال ما بقى فى هذا شك هذا والله القاضى عقبة فلعنه الله ولعن من لا يأخذ حق الله منه أن قدرت عليه فى هذه النوبة ثم جعل يسمع كلامه وقد اعتقل لسانه ثم أخذته الغيرة للإسلام وطارت الدمعة من عينيه حنقا وإذا به يقول أيها الملك معلوم أن الأسود الزنيم وأمه قد سلما وما كان عبد الوهاب يحمى الإسلام بسيفه وما كان يحميه إلا بأمه وبالاسارى الذين عندك وهم أبطال بنى كلاب والسودان الانجاب والرأى عندى أن تضرب منهم الساعة ألف رقبة من وجوه السادات الذين هم شجعانهم حتى تأمن من عواقبهم فاذا أصبحت قتلت الباقين فى مقابلة المسلمين فيكون ذلك وهنالهم فقال ملك الروم أيها الشيخ النجيح معلوم إنك ما سموك المسلمين عقبة إلا وأنت عاقبة خير لنا وعاقبة صعبة عليهم وهذا المأمون قد وصل فى هذا الجيش العظيم وماأقدر بعدخلاص عبدالوهاب أسفك دم هذه السودان ولا من بنى كلاب قطرة دم لأنى أعرف أن طالبى عبد الوهاب والبطال اللص المحتال فقال عقبة أما ما ذكرت من المأمون فهو أخرق من أن يفزع منه لأنه فى صورة النسوان وما عليه هيبة الخلافة ولا السلطان والعسكر الذين معه عسكر العراق ومجمعة الآفاق ما بين غسال ودقاق وما ثم عسكر الا بنى كلاب الموصوفين بالطعان والضراب وان أنت قد أخذتهم فلا يداخلك من هذا فزع ولا يقع فى قلبك هلع ومع ذلك فانى ما أبالى بهم وأنا أقول لك غدا يكون عليهم فيه الغلبة ولا يجدوا سبيلا إلى الهرب فعند ذلك أقبل البطال على المأمون وقال له كيف ترى يا أمير المؤمنين فقال أبو محمد أقسم بالبيت الحرام وزمزم والمقام إنك متى ما أتيتنى

به أعطيتك وزنه ذهبا وهى تكون آخر ساعاته من الدنيا وسوف ترى ما أصنع به فو الله ليطولن الوقوف ومعكم الرشيد من أجل هذا الملعون عقبة وأما أنت يا أبو محمد فسوف أغنيك غناء لافقر بعده فقال البطال ياأمير المؤمنين أقسم بالله قسما صادقا مافعلت ذلك فى طلب مال ولانوال ولا قصدت إلا أن تأخذ حق الله منه (ياسادة) هذا والملك ميخائيل قد أقبل على البطارقة وقال لقد قال الشيخ النجيح الحق أريد الساعة تسحبونه مائة من الأمراء المأسورين مثل أبو الهزاهز وقراقد وغيرهم حتى لايبقى لنا فى المسلمين من نخاف فما نخاف من عبد الوهاب إلا بهم فمضت البطارقة إلى ما أمرهم به فعند ذلك خرج البطال والوزير والمأمون وهم لايعقلون حتى وصلوا إلى عسكرهم وقال المأمون لايجب أن أغفل عنهم فأسأل عن دمائهم بين يدى الله تعالى فقال ظالم هذه ليلة الإنفصال وأرسل المأمون إلى الأمراء فركبوا فى كتائبهم وركب فى تلك الساعة أكثر من أربعمائة ألف وركب المأمون وقال الأمير عبد الوهاب معاشر الناس أعلموا أن الاسارى فى لحف الجبل فميلوا عنهم وإلا طحنتهم بحوافر الخيل وسار على الهوينا حتى قاربهم وقد صهلت الخيل فارتجت الدنيا وتصايحت الروم ونادى المنادى من طرف عبد الوهاب أحملوا بارك الله فيكم فحملوا وثارت الروم على مابها من التعب فى ظلام الليل وعملت الصوارم فى الجماجم وقطعت الاكف والمعاصم وقال الأمير أبو محمد للمأمون أقصد بالخيل لحف الجبل حتى نخلص الاسارى فعندها مال المأمون وعبر وعبرت معه الجيوش والعشائر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان عند الاسارى البطارقة الذى تقدم ذكرهم فلما نظروا إلى العساكر وقد انقلبوا عليهم ولو امنهزمين وترجل المأمون عند المأسورين وترجلت الرجال وأطلقت الأبطال هذا وعبد الوهاب قد فتك بالناس ووضع عليهم المذلة والبأس ولما خلصوا الأسارى أخذوا الخيل والقواضب وركبوا الجنائب وأخذوا السيوف الرقاق والتراس الصفاق والرماح الدقاق والخيل العتاق وانضافوا إلى عسكر العراق وأبو الهزاهز فى أوائلهم مقدم السودان من أولاد الحبشان وهم مثل السباع وقد زادهم الغيظ على الروم وجعلوه عليهم ليل ميشوم (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا والبطال قد ترك المعمعة وطلب رأس المضيق فزعا من هروب القاضى عقبة ووصلت الأميرة ذات الهمة إلى سرادق الملك ميخائيل ومعها ألف بطل من الأكراد وظالم فى أوائلهم فملكته وكل من فيه من الرجال هذا وقد مال المأمون على الجانب الآخر فملكه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولقد حدثنى رواة هذه السيرة وهم سعيد بن مجاهد والفصيح بن أديب الزمان وكان منادم المأمون انه لم يكن للروم وقعة

أيشم من هذه الوقعة ولم يبق أحد من عسكر المأمون الا وقتل الواحد والإثنين (قال الراوى) ياسادة يا كرام وفى تاريخ الروم انه قتل فى هذه النوبة من الروم ألف ألف ومائة ألف وخمسين ألف وركب كل واحد هواه ومنهم من أرمى روحه إلى البحر فغرق وطلب من بقى من الروم طريق القسطنطينية وتفرق الناس وأخذت الملكة كرنة أسيرة ولم يزل السيف يعمل طول الليل إلى الصباح وقد أصبحت الدنيا منى الروم بلقع مايرى فيها الأمن هو قتيل عفيرا وأسير حقير هذا والمأمون ماله شغل الا طلب عقبة فى السرادق الذى فيه الملك ميخائيل وفتشه من بين الملوك فلم يجده فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال اطلبوا أبو محمد يشير علينا بما نعمل فطلبوه فعلم عبد الوهاب انه ما غاب إلا بسببه ودخل البلد والمأمون معه وسائر عسكره خوفا من رائحة القتلى وهى مطلبونا مدينة كرنة فنظر موضع مارأى قط مثله ورأى من الأموال والرحال مالا يوصف وقد خلص الملك عبد الودود ودنى من المأمون فأكرم المأمون مثواه وخلع عليه وأعطاه مناه وقال له ان شئت فأنا أقطعك الغرب كله فقال هيهات ليس قصدى المملكة وإنما قصدى بيت الله تعالى وأكون فيه الى أن ألتى الله تعالى وجمع المأمون كلما فى ذلك البلد من الأموال وأقام ينتظر البطال فهو كذلك وقد أحضر ميخائيل بين يديه وقال له ياويلك وأين عقبة فقال هرب ومالى علم به وما كانت طلعته علينـــا الا ميشومة وما أقول ان بقى فى بلد الروم بعد هذه النوبة أحد ولقد كان لى فى البحر ألف مركب ومالى بها علم وانى أظن أن المراكب سبقت (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكانت المراكب قد سارت من القسطنطينية وهبت عليها ريح سوداء فغرق منها أربعمائة مركب ودخلت الباقون إلى جزيرة الملك سائرون ورمتهم الرياح إليها فلم يستطيعون الدخول إلى ساحل مطلبونا (قال الراوى) ياسادة يا كرام ورجع أبو محمد البطال بعد ثلاثة أيام وهو ولهان على الملعون عقبة ابن مصعب القاضى فقال له الأمير عبد الوهاب هل معك منه علم فقال والله ما خرج من هذه الطريق فأما أن يكون فى الغرقا أو فى القتلى وإما أن يكون قد طلع فى بعض المراكب التى كانوا ههنا من الجزيرة التى للملك سائرون ومعلوم أن أهلها كلهم قتلوا فقال أمير المؤمنين للأمير أبو محمد البطال هل ظفرت بالملعون عقبة القاضى فقال لا والله يا أمير المؤمنين ووالله انى وددت لو هلكت ولا يكون قد انفلت منى فى هذه النوبة وما ذهب الملعون عقبة إلا فى البحر إلى بعض الجزائر ولا بد لى من طلبه أينما كان ولو الى آخر الدنيا فقال أمير المؤمنين المأمون أقسم بالله لابرحت من هذا المكان حتى تعود إلى بهذا الشيطان الملعون عقبة فان أنت أتيت

به يا أبو محمد إن شاء الله تعالى سرت به من ههنا إلى القسطنطينية معكم وصلبته كما تشتهون وكذلك هذا ملك الروم وكل من معه حتى لا يرجع أحدا من الروم إذا نظر إلى الرايات الهاشمية والأعلام العباسية يجرد فى وجوهها سيفا ولا يطلب لها حيفا ولا يكذب لها حلفا (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الأمير أبو محمد البطال كلام أمير المؤمنين المأمون فرح فرحا شديد ماعليه من مزيد وقبل الأرض بين يديه وقال الحمد لله الذى جعلك تنظر الحق وتوافق عليه غيرك يرى ذلك ويكذب ناظره لأن الله قد أعمى بصائرهم وسمع الأمير عبد الوهاب والأمير ظالم والأميرة ذات الهمة ذلك فقبلوا الأرض بين يديه وقالوا هذا الذى نريد يا أمير المؤمنين ونصلب أيضا هذا اللعين ميخائيل لأنه عاهدنا وكذب فى أمانته والمصالحة التى بيننا وبينه وتعبنا وقتل منا حتى من الله علينا بقدومك ودارت دائرة السوء على الكافرين ونصر الله الموحدين (قال الراوى) ياسادة يا كرام وتجهز الأمير عبد الوهاب ونزلت بنى كلاب والسودان الأنجاب فى المراكب والأمير أبو محمد البطال المقدم عليهم لأنه عارف بجزيرة ساترون وودعوا الخليفة المأمون وساروا فى طلب عقبة الملعون وكان البطال قد تحدث مع الأمير عبد الوهاب وقال له اعلم بأن المأمون قد وفد فى عساكر العراق وخراسان وغيرها من الآفاق وما فى مطلبونا ورستاقها ما يكفيهم لأن معه عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وكنت لما رمانى البحر فى الغرق ألجأنى البحر إلى هذه الجزيرة التى للملك ساترون فرأيت فيها من الأموال والرجال مثل مافى مطلبونا مرار ومالا يحصى لأنه من مال البطارقة الأول من حين قامت الدنيا وهو مكان ماطرق وبلد ما نكب ولا يفتخروا أصحابها إلا بالقناطير من الأموال والمال الذى فى مطلبونا أصله من ذلك المكان فقالت الأميرة والله لقد رأيت الصواب يا أبو محمد نحمل نحن الكلفة عن عسكر العراق فقال الأمير عبد الوهاب نعم الرأى فرفعت القلوع فكأنها أجنحة النسور وقد تقدم أبو محمد البطال وكان فى أوائل المراكب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو الهزاهز وقراقد فانهما لم يقلعا مع الأمير عبد الوهاب والسبب فى ذلك أن كل واحد منهم يروم أن يطلب الملكة كرنة من المأمون والمأمون فى نفسه من وقت ما رآها غير ما فى نفوسهم وكان أبو الهزاهز هائما بحبها وقد قال فى نفسه المأمون يعلم أن لى عليه خدم كثيرة وقراقد يقول أنا أيضا خدمته فى كل النوب وما فيهم إلا مع هو طامع والعشق هو الطمع ولم يكن فيهم من خاطب المأمون بشىء من ذلك ولكن كل واحد منهم يطلب قدوم الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما

ماكان) عقبة فانه لما سمع الصوت علم أن عسكر المأمون عول على أن يكبس عسكر الروم فى ظلام الليل فخرج لوقته من السرادق وطلب ساحل البحر فوجد جماعة من أهل جزيرة ساترون وقد سمعوا الصياح فجردوا الصفاح وأرادوا أن يخرقوا المعمعة وكان القاضى عقبة بصير بالأمور وأنه أقبل على أولئك القوم وقال لهم على ماذا عولتم فقالوا على القتال فى هذه الساعة فقال لا تفعلوا فان الروم آخر أعمارهم فى هذه الساعة فاقبلوا منى واصعدوا إلى هذه المراكب فان كانت لكم فما أقدركم على النزول وإن كانت عليكم فأنتم تكونوا من دون الكل سالمين (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعوا ذلك رأوه صواب وصعدوا إلى بعض المراكب وهو معهم وكانت الكسرة فى تلك الساعة فقال عقبة كيف رأيتم وحق المسيح ما سلم غيركم فأقاموا ينتظرون أن يلحقهم من أهل الجزيرة أحد فما رأوا أحد فساروا إلى أن وصلوا إلى جزيرة ساترون وأخبروا بقتل الملك وهلاك الناس فوقع فى الجزيرة الصراخ والبكاء وكان فيها من الخلق مالا يحصى (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان عليها الستمائة مركب الذين سلوا من مراكب القسطنطونية وردتهم الريح إلى تلك الجزيرة فسألوهم عن الملك ميخائيل فظهر لهم عقبة فعرفوه وجعلوا يرمون أنفسهم عليه فعظم عقبة عند أهل الجزيرة وقالوا أهل القسطنطونية هذا بركة المسيح فى بلاده فقالوا أهل الجزيرة هذا راهب أو مطران فقالوا أصحاب ميخائيل هذا الذى إذا عدم من الدنيا ذهبت منها البركة هذا حجة المسيح وجعلوا يحدثوا أهل الجزيرة بفعاله وعلمه وما هو عليه من جهاد المسلمين فلما سمعوا ذلك من كلامهم أكرموه وعظموه وقالوا أهل المراكب أيها الشيخ النجيح إنما نحن كنا قد خرجنا من بلد القسطنطونية على أننا نقلع إلى مطلبونا فثارت علينا الرياح وهاج البحر الأسود وغرق منا أربعمائة مركب وخلصنا نحن من العطب وأرمتنا الريح إلى ههنا وما قدرنا نقلع بعد ذلك فان الهوى لا يوافقنا فقال عقبة بلاه الله بنكبه إذا طاب لكم الهوى فأقلعوا بنا إلى مدينة القسطنطينية لأن الملك ميخائيل لا يرجع لاهو ولا كل من معه فافهموا هذا منى وانى لكم ناصح وأعاد عليهم القصة ثم دخل كنيسة الجزيرة وتلا الانجيل وتكلم عليه فأبكى العيون وأحرق القلوب وذكر ملكهم ساترون ومن هلك وجعل يعزيهم فيه ثم قال عقبة اتركوا الساعة عنكم مامضى وخذوا فيما قد أتى لأن المسلمين لابد أن يطلبونى ويأتون اليكم بلا محالة لأن الذى كلف عندكم هو أبو محمد البطال الذى تضرب به الأمثال وقد عاين ما عندكم من الأموال وأخاف أن يقول للسلمين ما قد أبصر ويقول لهم سيروا لأجل الغنيمة وإن ظفرنا بالملعون عقبة فهو الذى نريد وإلا فتملكون المال الذى

ما عليه من مزيد فقال القوم لما سمعوا ذلك أيها الشيخ وكيف ياتون اليكم ونحن فى هذه الجزيرة ألف ألف بطريق وفيها من العدد مالا يوصف وهى مسيرة خمسة أيام وسوف نرسل إلى من حوالينا من البطارقة يأتون إلى ههنا وما نبالى بأهل الارض فى الطول والعرض وأيضا فما يقدر مركب من المراكب يلصق الينا لان عندنا النفط ونحن نعمله ولو وصل الينا أهل الخافقين لاحرقناهم فعند ذلك طاب قلب الملعون عقبة وقال لايطيب قلبي ولا يسكن فؤادى ما دام أن الامير أبو محمد البطال والأمير عبد الوهاب فى طلبي ولعل المسيح لايورينا وجوههم فما هم إلا شياطين ثم جعل الملعون عقبة يرغبهم فى الجهاد وينظرون الروم إلى ما هو عليه من الهلع والجزع يهونون عليه ذلك وهو يقول لهم أنا أدرى من هو خانى وحق المسيح ماأخرجهم يكبسون الناس إلا الأمير أبو محمد البطال فانه قال المأمون عقبة ههنا ولا شك كذبة وقد أخذه ودخل به فى ذلك العسكر العظيم ونظرنى وأنا آكل لحم الخنزير وأشرب الخمر وأقول للملك ميخائيل ما قلت وإنى بعد هذه النوبة إن وقعت فى يده أو فى أيديهم ما يكون لى منهم خلاص وعندهم مثل الأمير أبو محمد البطال لابد ما يتبعنى وكان (ياسادة) طول نهاره يقرأ على روحه كتب الآفات فقال له راهب من أهل الجزيرة يا أبونا أرمى هذا الهم عنك فان فى هذه الجزيرة رجال أكثر مما فى القسطنطونية فاعتمد على المسيح فقال عقبة المسيح ما يقدر يعمل فى هؤلاء لا كثير ولا قليل وهذا شيء قد ثبت عندى مرة بعد أخرى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهو معهم فى الكلام والبوقات ضربت وقالوا هذه فى البحر قلوع قد أشرقت ولعلهم أن يكونوا الذين سلموا فقال الملعون عقبة خلوا عنكم هذا الهذيان فوحق المسيح أن دخلوا إلى جزيرتكم ما تفلحون أبدا والرأى عندى أن لايبقى منكم فى المراكب أحد فهولاء المسلمون ومالكم بهم طاقة فقالوا نحن نفعل هذا ولنا فى البحر مراكب بعدد النجوم والكواكب وما فينا بطريق إلا وله مركب ومركبين وأقل ما تكون مائة ألف مركب مع العدة التى فيها والرجال ومراكب القسطنطونية ستمائة مركب ونرفع معنا النفط فلا ينجو منهم صغير ولا كبير فلما سمع عقبة ذلك منهم ضحك وقال لايجوز ذلك الأمر وان توانيتم عن الشيخ النجيح شرب كأس المهالك (قال الراوى) هذا والمراكب قد قربت وأهل الجزيرة قد أرموا إلى الماء مراكبهم ورفعوا العدو واللبوس والزرد مما يصلح للبحر فما فرغوا من أشغالهم إلا والمراكب قد صارت معهم وهم ينادون بكلمة الإخلاص الذى يغفر الله بها لكل عبد عاص وهى قول لا اله إلا الله محمد رسول الله (قال) وسمع الملعون عقبة كلمة الحق

ومذهبة الأباطيل فقال يا له من يوم ثقيل هذا وقد قربت المراكب من المراكب وجردت القواضب وعملت الرماح وأرخت اللبود وتصايحت الجنود ورميت الكلاليب وظهرت الأعاجيب وعظم القتال واشتد النزال وتراشقوا بالنبال وهاج البحر العجاج وهبت نسائم الموت الفجاج حتى كان المركب يرتفع مد البصر ثم ينحط حتى يقال ذهب ودثر وتخرقت القلوع وأشرف الأمير عبد الوهاب على الغرق فى هذه النوبة والوقوع واختلطت المراكب بعضها ببعض وأحرقوا ثلاث مراكب من مراكب العدو وكذلك الروم أحرقوا من مراكب الأمير عبد الوهاب خمس مراكب لأن النفط كان مع الطائفتين فعند ذلك رموا الرجال الذين فيها أنفسهم إلى البحر طلبا للنجاة وتعلقوا بمراكبهم وكانوا الروم يضربوهم بالنفط وهم لايروهم وأن الأميرة رأت ذلك الهول العظيم تعوذت بالله السميع العليم ولاصقت المراكب وطلبت المقدم عليهم ووثبت فيهم وكذلك الأمير ظالم وثب صار معهم وضربوا بالسيوف وقطعوا منهم القحوف وأرموهم إلى البحر وأقر الله أعين المسلمين بالنصر ووجدوا المراكب ملآنة بالنفط فى الحال قسمت النفط على السودان فما كانت إلا ساعة حتى أحرقوا منهم ثلاثين مركب وملكوا عشرين فاندقت المراكب بين أيديهم ولم يزل القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أظلم الليل وأسود البحر فمال لأمير عبد الوهاب إلى بعض جوانب الجزائر فارسا هناك وأما الروم فانهم قالوا لقد كان الرأى مع الشيخ النجيح ولقد كان من الصواب أن لانخرج إليهم حتى ينزلوهم علينا وما كان يسلم منهم أحد والرأى أن نأخذ أهبة الحرب وآلة الطعن والضرب فعند ذلك ساروا إلى الجزيرة ونظر الأمير عبد الوهاب اليهم ففرحوا لأن قتالهم فى البر كان أحب اليه من البحر وتقدمت المراكب إلى الساحل ووقفت البطارقة فى وجوهها فأرمت السودان أنفسها عراة وفى أيديهم السيوف الهندية والترس والحديد الصينى ولم يزالوا كذلك ترمى روحها وهى حاملة بسلاحها حتى صار على وجه الأرض منهم خلقا كثيراً (قال الراوى) وارتفعت الروم من الساحل ولم يزل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة على الساحل وسارت الابطال والأقيال وعملت هناك الرقاق فى أهل الكفر والنفاق ونظر الملعون عقبة إلى ذاك وقد صار معه فى الجزيرة خلق عظيم فأيقن بالهول الجسيم وقال لذاك الراهب ويلك ياراهب الجزيرة فقال لاوحق المسيح مالنا فرج ولالنا خلاص إلا فى البحر فنادى الملعون عقبة واذلاه واهرباه ياقوم هلكت وحق المسيح (قال الراوى) ولم يزل القاضى عقبة يعمل وقد نظروا والروم إلى قتال ما عهدوه فولوا

منهزمين وقد قتل منهم عالم عظيم فنادوا الأمان الامان فرفع الأمير عبد الوهاب السيف وقال لهم لكم الامن على نفوسكم والأموال حتى تأتونى بالشيخ عقبة الذى وصل لكم فقالوا جميع الروم لعنه الله فما كانت طلعته علينا الا مشؤمة ثم انهم طلبوا عقبة فلم يجدوه لاهو ولا ذلك الراهب الذى كان معه فبقى الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال والأميرة ذات الهمة وأهل الجزيرة كلهم على حيرة فهم كذلك وإذا ببعض الروم قد أشرف على الأمير عبد الوهاب وقال يامولاى لى الامان على أهلى ومالى وأنا أصف لكم مغارا فيها الراهب والشيخ الذى تطلبوه فقال الأمير عبدالوهاب أيها البطريق لك الأمان على أهلك ومالك وجميع ما يكون لك فى هذه المدينة فلما سمع البطريق ذلك من الامير عبد الوهاب فرح وأخذ معه الرجال ودخل إلى المكان كبسه وكانت مغارة كبيرة قديمة واسعة مسيرة يوم تحت الارض فأخذ الأمـــير أبو محمد البطال معه مائة من السودان ودخلوا تحت الأرض فما كانت الا ساعة حتى خرجوا والقاضى عقبة معهم وقد تسلمه ظالم يسحبه من مقدمه على حر وجهه وخلقته حتى فككه وتقلعت أسنانه وهو يستغيث فلا يغاث هذا والسودان قد أحاطوا بالملعون عقبة وجعلوا يضربوه بالعصى وجماعة منهم يصفعوه وهو يهرول بين أيديهم إلى أن وصلو به الى عند الأمير عبد الوهاب فلما نظر اليه وثب قائماً وبصق فى وجهه وقال ياعدو الله قادك الاجل وانقطع منك الأمل ثم أن الأمير عبد الوهاب أمر العساكر أن ينهبوا مافى الحزيرة فنهبوا جميع ماكان فيها من الأموال والرجال وكان مالا يقع عليه عدد وأوسقوا المراكب وقعد الأمير عبد الوهاب عشرة أيام ترفع الأمول إلى المراكب حتى ضجر من ذلك ثم أقلع فى اليوم الحادى عشر إلى أن وصل إلى ملطبونا وأشرفت القلوع وكان الخليفة المأمون قد ضاق صدره لأجل غيبة الأمير عبد الوهاب ولا يدرى ماكان منه فلما أشرفت المراكب دقت الكؤسات وضربت البوقات ولم يزل الامير عبد الوهاب سائر فى المراكب حتى وصل إلى البر ثم انه أمر بنقل الاموال وفرح المأمون بذلك الفرح الشديد فقال الوزير ذوالعلمين للخليفة المأمون يا أمير المؤمنين مثل هذا الرجل يفرط فيه أحد فقال المأمون هذا ماكان يوقع الفتن بيننا غير الملعون عقبة لا كان ولا استكان فوالله لابد أن أهتك ستره وأزيع أمره حتى يلعن إلى الابد ثم أن الخليفة المأمون سأل الناس هل وقعوا بالملعون عقبة فأخبروه انه قد وصل معهم فزاد المأمون فرحا ونزل الامير عبد الوهاب وعقبة معه وهو يقول ياعدو الله قم الى أمير المؤمنين فقد هتك الله سترك وبان له مكتوم أمرك (قال) فلما سمع عقبة ذلك علم

ان المأمون قد أطلع عليه فقال عقبة فى نفسه هذه نوبة نحسه فلما أقبل الامير عبد الوهاب ودخل على المأمون أكرمه ورفع مكانه وعظم شأنه فعند ذلك قدم الامير عبد الوهاب اليه الملعون عقبة فوثب المأمون بنفسه ورفسه فى صدره ألقاه على ظهره وقال له ياعدو الله أكفر بعد أيمان وشك بعد أيقان فقال عقبة يا أمير المأمنين لاتنظر إلى الظاهر وأنظر الى الباطن فأنا أعرف ذنبي وأقر بحالى ياأمير المؤمنين كنت عند الملك ميخائيل مأسور منذ ثلاث سنين وهو يضربنى ليل ونهار ولما سار إلى هذه المكان أخذنى معه لأنه كل يوم يضربونى لانى ناظرت البترك الذى لهم وأقمت لهم الدليل على أن الله تعالى واحد أحد ليس له صاحبه ولا ولد فغضب ملك الروم من كلامى وأوجعنى وآلمنى ضربا فقلت له ياهذا ماتصدك بهذه الفعال الذى تفعل بى فقال الملك ميخائيل أريد منك التنصر والا فانت لاتزال تحت العقوبة حتى تموت فرأيت ياأمير المأمنين انى هالك وأننى لم أعقد الكفر بقلبى على ان ماكانت نيتى الا خالصة وكان منى مارأيت بعد طول الضرب وكثرة الكرب وأيست من حياة الدنيا فلما سمع الخليفة ذلك الكلام من عقبة داخله الشك فقال أبو محمد يامولانا لاتسمع هذا المقال فهو محال ولكن أنا آتيك بالدليل ثم ان أبو محمد قال للسودان ائتونى بالملك ميخائيل فلما أحضروه وثب أبو محمد وأمر العبيد فمدوه بين يدى المأمون وضربه حتى كاد أن يهلكه من الضرب الوجيع وأعاد عليه حديث عقبة وقال له ان لم تصدقنى قتلتك تحت الضرب فقر ملك الروم وهو ميخائيل أن عقبة نصرانى فضحك عقبة وقال للملك ميخائيل ياملك الروم ماينبغى أن تقول فى حقى الا مثل هذا المقال فقال المأمون قد أوهمنى كلامه على اننى لابد لى من قتله وارغامه وأنتم بعد ذلك المقلدون دمه لأنكم تعلمون منه مالا اعلم (قال الراوى) فلما سمع الملعون عقبة ذلك بكى وقال الحمد لله جعلت دمى فى رقبة غيرك لأنك ماتعلم بواطن الأمور وكيفيتها لأننى أنا إنما فعلت ذلك مما وقع على من العقوبة ودخلت فى دين النصرانية فلا تغتر بالدنيا ياأمير المؤمنين فانى شيخ كبير وبعد ذلك فأنت فى حل من دمى ولو علمت ان هذا كان يجرى على منك ماكنت أجبت الروم بلسانى لشدة العقوبة لأننى إذا مت بسيوف الكفار كان أعظم لى أجرا عند الملك الجبار فقال له الأمير أبو محمد البطال ياعدو الله وعدو رسوله دع عندك هذا النفاق فقد هتك الله سترك فى الآفاق ولا بد من صلبك وطرح القيد فى رجليك بالاتفاق (ياسادة) وأخذ الخليفة المأمون فى تقسيم الأموال على الامراء من المسلمين وكان مالا يوصف وأما أصحاب الاميرعبد الوهاب ومن معه من الاصحاب والسودان الانجاب فانهم استغنوا غناء لافقر بعده مما

لايوصف وعرضت بنات البطارقة وقسمت على الرجال وقد وصفنا مافى عسكر الروم من العشائر والالوف والجيوش والصفوف وما فيهم الا من وقع فى قسمته الجارية والإثنين وأخذ المأمون أربعمائة جارية مثل الاقمار إلا أنهم ما فيهم مو يحاكى الملكة كرنة فى حسنها وجمالها كانت كأنها قضيب بأن تنثنا وقد برعت فى الحسن والجمال والكمال والمأمون قد شوق بها فلما كان يوم القسمة تعرض لها ولنفسه انتخبها فقال الامير المناجز المسمى أبو الهزاهز بعد أن قبل الارض يا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين لى عليك خدم كثيرة ومواقف غير يسيرة وأنا ياأمير المؤمنين قد سبتنى هذه الجارية كرنة بطرفها الفاتر ولحظها الساحر وقد تحيرت فى ميدان محبتها وغرقت فى تيار عشقها ومودتها وقد كان أمير المؤمنين محمد الامين تغمده الله برحمته بودلو قطعنى بالسيف قطعا وبضعنى بضعا لاجل خدمتى لك الصادقة وأريد يا أمير المؤمنين من انعامك تمن على فانى فى وجد وغرام لا أقدر على المنام ولا تهنأ بطعام ولم صبرت لهذه الايام الا أنتظر مولانا الإمام ثم ان الأمير أبو الهزاهز أشار إلى المأمون وأنشأ وجعل يقول

أمير المؤمنين سميت حتى * علوت على الخليفة أجمعينا
وجاوزت الثريا فى علو * وقدرك شائع فى العالمينا
فجد لى يا إمام بها سريعا * واعلم بى لأنى ذو حنينا
ولا تأمن على الأقطار منى * واترك كل من فيها رهينا

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع المأمون ذلك من كلام الامير أبو الهزاهز غضب من كلامه وقال له المأمون يا كلب العبيد لمن تقول هذا التهديد والوعيد والوعيد أنا أقسم بالله لو لم تفعل هذا البيت الاخير لكنت أوصلتك الى ماتريد ولكن هذه الجارية لاتصلح الا فى قصور الخلفاء وملوك البلدان والشرفاء ولا يتمتع بها شيطان ولا يأخذها أحد من السودان ثم ان المأمون أمر به ان يمد فلم يقدر الأمير أبو الهزاهز أن يمتنع طمعا أن يرق له قلب الخليفة المأمون فبطحه الى الأرض وضربه مائة سوط وسأل فيه الوزير ذو العلمين ولم يتكلم الأمير عبد الوهاب لأنه لم يعجبه ما خاطب به المأمون من الخطاب (قال الراوى) يا سادة يا كرام وقام الامير أبو الهزاهز من تحت الضرب والأخراق وأصعب ماكان عليه ان الملكة كرنة كانت حاضرة وهى كأنها الغزالة النافرة فأشار اليها الأمير أبو الهزاهر وأنشأ يقول

إلا مبلغ عنى كرنة لأننى * قليل هواها لا أفيق لما بيا
وقدأخرق المأمون من بعدرفعتى * وأشمت بى من أجل ذاك الاعاديا

ولى من هواها حرقة فلو انها ٭ مقسمة فى الخلق ماتوا لمابيا
وقد صدنى عنها من لا أطيقه ٭ ولا أستطع يوما أكون مناويا
سيندم إذ لايقبل الناس عذره ٭ ويعلم انى سوف أمضى لشانيا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام وأراد الأمير عبد الوهاب أن يخاطب الخليفة المأمون لأجل الامير أبو الهزاهز فقال له الامير أبو محمد لاتضيع الكلام لانى قد صح عندى اشتغال قلب المأمون بحبها وبغيته فى قربها فعندها رفعت الاموال على الجمال ونادى منادى المأمون بالارتحال والملعون عقبة قد شوه به الامير أبو محمد وقد جعل على رأسه طرطور اسود وعليه الصلبان وفى رقبته الخرز والودع والاجراس وهو مع ذلك يقرأ القرآن ويقول صبراً صبراً فلعلى أعوض فى الجنة بالواحدة عشرا ورفعت الملكة كرنة فى هودج قد عمل لها وهو مغشى بالذهب الاحمر والديباج والاطلس وسائر الالوان ملبس والملك ميخائيل ينظر والملوك كلهم فى القيود الثقال والسلاسل والاغلال وهم من حولها وألف غلام ترك والملعون عقبة وسائر الملوك وهو قد أيقن أنه من هذه النوبة مايسلم وبأن أجله قد اقترب وان ستره مع المأمون قد انهتك وانما يعلل نفسه بالحياة والخليفة المأمون مع ذلك صمم على صلبه وكان الامير أبو الهزاهز من فرط مابه من الصبابة ولوعة الكآبة قد رجع إلى المأمون وقبل الارض بين يديه وقال يا أمير المؤمنين كلما يصلح للمولى على العبد حرام وقصدى ان توهبنى ذنبى وتسامحنى على ماكان منى فظن المأمون أن هذا منه على الحقيقة فقال له المأمون أنت أخطأ ونحن ما نؤاخذك ثم أن المأمون أخلع على الأمير أبو الهزاهز خلعة سنية وفرح الأمير عبد الوهاب بتلك القضية وقال الحمد لله الذى لم يقع بيننا الخلف حتى لا تشمت بنا الأعداء (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما سمع الأمير أبو محمد البطال هذا من كلام الأمير عبد الوهاب قال له والله أيها الأمير إنى أعرف الناس ياأبو الهزاهز وأنت تعلم أنه بطل من الأبطال وقيل من الأقيال وله الكبد الغليظة وأنا خائف عن الملوك وعلى الملعون عقبة من غائلته فقال الأمير عبد الوهاب للأمير أبو محمد البطال ياأبو محمد ما مع أبو الهزاهز من قلة العقل ما يعمل هذا العمل (قال) وسار الأمير أبو الهزاهز مدة عشرة أيام مع الناس بسودانه السبعة آلاف ثم أن الأمير أبو الهزاهز بكى فى وجوه سودانه ولطم على رأسه اللطم الشديد حتى بربرت السودان من حوله وبكوا كلهم لأجل بكاءه لأنه كبيرهم وابن عمهم فلما هدى صياحهم وبكاؤهم رفع الأمير أبو الهزاهز صوته وأشار إلى سودانه وأنشأ وجعل يقول

ألا يا بنى حام إنى راحل عن دياركم ... ومستبدل من أرضكم منزلا سهلا
لقد ملكت كرنا لقلبي وصيرت ... فؤادى لطول الشوق مستحملا ثقلا

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت السودان وأبناء الحبشان ذلك أحمرت أحداقها وغلظت أرواحها حتى أنقطعت أطواقها وقالوا قل أيها الأمير ما تريد فكلنا لك عبيد ومعلوم أنا وصلنا من بلاد الحجاز إلى هذه الديار وضربنا بسيوفنا فى وجوه الكفار ومع ذلك فلو كنا فى الحجاز نرعى القنصوم وننام فى حرارة مسموم وأنت معنا خير لنا من إقامتنا ههنا فى هذه الأرض وهى كلها للخليفة المأمون وأين لنا مستقر فقال أبو الهزاهز فما الذى ترون عندكم من الرأى فاننى قد غلبنى الهوى الهوى وأنسانى ما فى الدنيا فقال له السودان ما فى الأمر إلا أننا نرسل إلى الملك ميخائيل بعض السودان ونأخذ عليه العهد والميثاق على أننا نخلصه فى هذه الليلة ولسائر الملوك من الوثاق ونأخذ الملكة كرنة ونطالب مدينة القسطينية ونمنع عنه من يطلبه بالكلية على أنه يزوجك بالجارية كرنة ويعطيك ما تتمنا فلما سمع الأمير أبو الهزاهز ذلك من كلام السودان أبتهج وأيقن بالفرج وقال لهم لقد أطلعتمونى من بحر كثير اللجج وسوف أرسل إلى القاضى عقبة وأقول له إنى أخلصه ولسائر الملوك وإنى أكون من رجالهم ثم أن الأمير أبو الهزاهز أرسل الأمير شحتوف إلى القاضى عقبه ولا صمته وبلغه رسالة الأمير أبو الهزاهز فلما سمع الملعون عقبة ذلك الكلام أيقن بالنجاة بعد المهالك وقال معلوم أن الأمير أبو الهزاهز يعرف منزلتى عند الملك ميخائيل ولو كانت أبنته أو زوجته لطلقتها منه وزوجته بها وحق المسيح وإنى بعد ذلك أترك الملك ميخائيل يلبسكم كلكم الأطلس ويركبكم على السروج الذهب والفضة وأن أردتم المقام على دينكم فلا أكراه فى ذلك لكم وأن أردتم الدين العتيق فان الروم يزوجوكم بناتهم ويحلبون لكم الأموال التى لاتحصى وضمن الملعون عقبة الأمير شحتوف ألفى دينار إن تم هذا الأمر فرجع الأمير شحتوف إلى الأمير أبو الهزاهز وقال له أيها الأميران الأمر قد احتكم والحال قد انتظم وأنبرم ففرح الأمير أبو الهزاهز وذاك الحال وقام الأمير أبو الهزاهز باقى النهار إلى أن أقبل الليل بالإعتقار نزل الخليفة المأمون راح يستريح وعلق الناس على الدواب وما عندهم خبر عن هذه الأسباب وكان الأمير أبو الهزاهز قد تقدم إلى السودان وأمرهم أن ينزلوا على رأس الطريق وأمرهم أن يكونوا على اهبة وجعل السودان تفتقد سيوفها وقد غلظت أكبادها وشدت جميع خيولها عند نزولها ولما مضى من الليل نصفه والأمير أبو الهزاهز يرقب النجوم وهو حليف الفكر والهموم فأنشأ وجعل يقول

بنى حام هذا الليل قد غاب نجمه ... وقد حان أن يأتى الصباح ويطلع
وفى كبدى نار وعقلى مولع ... وقلبى محزون وسرى مودع
بنى حام هذا الليل ليل اجتماعنا ... فقوموا الى ضرب السيوف وأسرعوا
فموت الفتى خير له من مقامه ... بأرض هوان يشتكى ليس ينفع

(قال الراوى) ياسادة يا كرام هنالك ركبت الرجال وتبادرت الأبطال وهمت الأقيال والناس آمنون بعضهم من بعض وكانت تلك الليلة الحراسة للأمير أبو الهزاهز خرج فى ألفين أسود من سودانه فلما عول الأمير الهزاهز على ذلك وسار إلى أن وصل إلى قريب السرادق التى للمأمون فدخل إلى خيمه صغيرة قد افردت للملكة كرنة ومعها الجوار من بنات البطارقة وخيمة اخرى على بعد منها فيها الملك ميخائيل والقاضى عقبة وسائر الملوك والأتراك الموكلين من حولهم فقسم الأمير أبو الهزاهز السودان نصفين النصف الأول يأخذون القاضى عقبة ومن معه من الملوك وأنفرد هو بمن معه طالب سرادق الملكة كرنة كيما يهجم عليها ليأخذها إذ لاح للامير أبو الهزاهز شبح فوقف ينظر اليه حتى دنا منه فنظر أبو الهزاهز فاذا هو الامير أبو محمد البطال ولؤلؤ ويانس وسبك (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أن الامير أبو محمد البطال من خوفه لايهرب لايهرب عقبه فكان يفتقده فى الليل فصادف للامير أبو الهزاهز تلك الليلة وهو فى ذلك الجيش العرمرم وهم ثلاثة آلاف أدهم والباقون قد مضوا على ماذكرنا فأنكر الامير أبو محمد لابو الهزاهز وقال مابال الامير ابو الهزاهز قد ركب فى هذه الساعة فى هؤلاء الجماعة فقال الامير أبو الهزاهز للامير أبو محمد البطال لامر لابد ان تقف عليه وقد رأيت ذلك صوابا فقال له الامير أبو محمد البطال وقد نفر قلبه قل ماعندك واوضح فأنت تعلم انى محب مشفق ناصح وكان ذلك من الامير أبو محمد البطال خديعة لأنه قد علم مافى نفس الامير أبو الهزاهز ومسك على لحيته وقال لغلمانه لو كان الامير عبد الوهاب يقبل منى لكان حصل له الخير فقال أبو الهزاهز ياأبو محمد أنت تعلم انى ان حلفت أصدق أم أكذب فقال الأمير أبو محمد بل تصدق فقال الأمير أبو الهزاهز أقسم قسما بمن شرق الشرق وغرب الغرب لئن لم تدير كتائك لاخذت مافى عيناك فلما سمع الامير أبو محمد البطال كلام الامير أبو الهزاهز ونظر الى سواده وقد غلب على سواد الدجا وأشداقة ترغى مثل فحل الابل فسلم الامير أبو محمد نفسه للقضاء وكذلك جميع غلمانه فقال له امير من السودان ما قصدك ايها الأمير بأخذ الأمير ابو محمد البطال فقال ابو الهزاهز ياويلك لو كنا عدد التراب لكان يتبعنا إلى اى موضع سرنا ويسرق الملكة كرنة ومن أراد

منا ولا بد لنا من الاحتراز منه والصواب آخذه وغلمانه ثم أن الأمير أبو الهزاهز هجم على المضرب الذى فيه الملكة كرنه فوجدها والجوار حولها والشموع تقيد بين يديها والسودان معه وقتل الجوار والخدم الذين حولها وحول مضربها وأخذها على بعض بغاله وشدها شدا وثيقا وقد وقع الصوت فى الظلام الليل ونفرت الخيل (قال الراوى) يا سادة يا كرام وقام كل قاعد واستيقظ كل نائم وأخذت السودان عقبة والملك ميخائيل والسبعة عشر ملك وساروا على ظهور الخيل وسارت بهم السودان (يا سادة) وطلبتهم الخيل من عسكر المأمون وهم لايعلمون منهم فرجعت عليهم السودان كزبر الحديد وهم فرسان صناديد وقد حملوا عليهم حملة واحدة فعادوا منهزمين وقد أثخنوهم بالجراح فلما رجعوا على تلك الحالة لقيهم الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فقالوا لهم ياويلكم ماحالكم هل عرفتم من القوم فقالوا ما رأينا الا رماح ممتدة ووجوه مسودة وسواعد مشتدة فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك جد هنالك فى المسير إلى أن أصبح الصباح وضاء بنوره ولاح فلم ير الامير عبد الوهاب لاحد خبر وكان عقبة وملوك الروم لهم خبرة بتلك الطرقات فأخذوا على الطريق اليسرى وهى طريق لايسلكها الا الوحش أو خائف وطلبوا مدينة القسطنطونية والامير عبدالوهاب لما أصبح الصباح رجع إلى أن وصل إلى المأمون وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت لفقد الملكة كرنه وعلم أن الذى أخذها هو الأمير أبو الهزاهز وهو الذى خلص عقبة والملك ميخائيل وسائر الملوك فورد على قلب الخليفة المأمون وعلى الامير عبد الوهاب وعلى الاميرة ذات الهمة وعلى جميع الناس مورد عظيم وقال الامير عبد الوهاب والله ليحملهم عقبة على التنصر وما مع السودان من العقل مايصدهم عن ذلك ثم بكى الامير عبدالوهاب والاميرة ذات الهمة والامراء فعند ذلك قال المأمون والابرئت من السلالة الهاشمية العباسية إن كان لابد لى منهم ولو كانوا تحت الارض فقال الامير عبدالوهاب للخليفة المأمون احضروا الامير أبو محمد البطال حتى نشاوره فقالوا قد فقدناه فصعب ذلك على الامير عبدالوهاب ثم بعد ذلك سار المأمون فى تلك العساكر العظيمة وهو قلق الاحشاء طالب مدينة القسطنطونية سيما وقد علم أن عساكر الروم قد هلك أكثرها وهو طامع فى قتل الامير أبو الهزاهز وكل من معه وصلب عقبة ولم يزل سائر إلى أن أشرف على القسطنطونية وكان الامير أبو الهزاهز قد وصل قبلهم بخمسة أيام وان الملك ميخائيل أقامه وانزع عليه المال حتى وراه عن اعين السودان واغناهم وخلع عليهم من الخلع مالا عين رأت ولا أذن سمعت (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان أهل القسطنطونية

كانوا فى الحزن والعزاء على من هلك من اهلهم وأصحابهم وعلى فقدهم الملك ميخائيل ولولا الملك أرمانوس كان بها لكانت العوام نهبت بعضها بعضا فلما دخل الملك ميخائيل إلى مدينة القسطنطونية فرحوا به وسكن ماكان بهم من الخوف ووجد بها من سلم من تلك الوقعة ثلثمائة ألف والباقون تفرقوا فى بلاد الملك ميخائيل وأعطى للأمير أبو الهزاهز مائة جارية وعشرة خدم مثل البدور وأنزله فى دار المرجان وهى دار مرخمة بالرخام والمرمر والاسرة والعرعر والستور والمقاطيع ونقل اليه من الفرش الديباج والخز والأقبية الفضة والذهب مالا يقع عليه احصار واحضر البترك وكان هذا برأى عقبة لأن عقبة قال للملكة كرنة هذا يكون لك زوج فأبت ذلك فقال عقبة للجارية كرنة اعلمى انه قدمن علىَّ الملك ميخائيل وعلى سائر الملوك وعلى الراهب شومدرس وعليكى أنتى أيضا بالخلاص من أيدى المسلمين وإذا أنتى كنتى سببا لخلاصنا فلك بهذا الثواب الجزيل عند المسيح ولا بد للسلمين مايصلون الينا وينزلون علينا وما بقى فى اليد أحد من عسكر هؤلاء السودان الذين قد وصلوا معناهم سبب حماية البلد وحفظ النصرانية فلا تخالفينى ولكن إذا طاب الزواج فقولى أنا ماأفعل هذا ولا أزوج روحى لمسلم فيسخط على المسيح وان أنتم غصبتمونى على ذلك قتلت روحى (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأحضرت الملكة كرنة والأمير أبو الهزاهز فرحان وقد غاب رشده وغاب صوابه وزاد غرامه ووجده وقد قال عقبة للملك ميخائيل اعلم أن هؤلاء السودان ماكان أبو الهزاهز إلا بهم وهم أبطال الحرب وكل واحد منهم مثل أبو الهزاهز وما فيهم من له خبرة بالدين ولا له عقل يعرف به بين الملتين فأحضرهم وزيد فى أكرامهم وزوجهم من بنات البطارقة ان أردت الحماية فلما ان سمع الملك من عقبة ذلك الكلام أحضر السودان وأعطاهم الخلع الأطلس والمراكب الذهب وأفرد لهم الدور وجمع بعد ذلك الملوك والبطارقة وقال لهم اعلموا أن هؤلاء ماساروا الينا ومنوا علينا الا وقد رغبوا فى ملتنا وان يصيروا من أهل ملتنا وشريعتنا وما بقى لنا حامية سواهم وها أنا قد أعطيتهم الأموال حتى صاروا فى جملة البطارقة مثلكم وأنا أشير عليكم ان تحكوهم فى أموالكم وتزوجوهم بناتكم فى مرضاة المسيح فأجابوا إلى ذلك وأحضروا فى عاجل الحال البنات وهن مثل الشموس الطالعات وقدموهم إلى السودان فلما نظروا إلى تلك الوجوه الصباح والى العيون الصحاح والأموال المباح طارت عقولهم فقال لهم عقبة كل من أراد الزواج فليتقدم فتقدموا الجميع وقالوا ياقاضى ما فينا إلا من هو راغب فى ذلك فقال اختاروا من تلك البنات ماتريدون فوقعوا عليهم مثل المجانين ولما عرف كل واحد زوجته أمر عقبة الى البطارقة أن يأخذوهم إلى دورهم

ويوروهم ماهم فيه من الجواهر والمال الفاخر بعـد ان خطب للروم خطبة بليغة وقال فى بعضها ان المسيح كتب على نفسه كتاب ان كل من كان له بنت وزوجها لمسلم حتى يتنصر بنيت له بيتا فى سقر وأعطيت أبوها بجاورية القديسة مريم فى مثل المقام الأوفر (قال الراوى) ياسادة ياكرام والروم ليس لهم معرفة بالعلوم لأنهم الدواب فجعلوا يقولوا لبناتهم وقد خفن من المسيح فأجابوهم وفعلوا ذلك ولما وصلت السودان إلى دور البطارقة ونظروا إلى تلك الزينة طارت عقولهم وقالوا مانخرج من خلاف الملك ولم يزل عقبة يلعب بعقولهم حتى نصر الجميع وأنزلهم فى جرن المعمودية ودخل كل واحد منهم بزوجته وقد نظروا إلى هذه النعمة فقالوا هذا هو العيش الهنىء وكذلك أبو الهزاهز قاده الهوى الى أن أجابهم إلى التنصر وهو لايعقل مايقول من شدة العشق والغرام ودخل بالملكة كرنة ونال مايتمنى وفى صبيحة ذلك اليوم وصل المأمون فى تلك العساكر العظيمة فنزل على مدينة القسطنطونية ولم يزل حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وإذا بالصياح قد علا من الأبراج فنظروا الناس وإذا به الملك ميخائيل وسائر الملوك من حوله وقد طلعوا عوام البلد والجند وكانوا عالم كثير بعدد الجراد لأن المدينة من أعظم المدائن والأقاليم (قال الراوى) فلما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك أقبل على الخليفة المأمون وقال له ان فى مدينة القسطنطونية عالم كثير ولكن ما أقول أن الملك ميخائيل يفتح الباب للقتال ولا يخطر له ذلك على بال لأن العوام لاتصبر على القتال فهم فى الكلام وإذا بالأبراج قد امتلأت من العرب المتنصرة والسودان وعليهم كلهم الثياب الأطلس كل ثوب يسوى مائة دينار وفى أوساطهم المناطق الجوهر والزنانير الحرير الأصفر وعلى رؤسهم القلانس الملكى المدفر والصلبان على صدورهم من الذهب الأحمر والسيوف المحلاة تأخذ بالبصر وهم مثل النحل الطوال فتأملهم الأمير عبد الوهاب وإذا بهم السودان أصحاب أبو الهزاهز فقال الأمير عبد الوهاب كلمة لايخذل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا هو الذى كنت أتوقعه قد كان وبكى الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وأمراء بنى كلاب ورمت عمائمها على التراب وقلقوا على الأمير أبو محمد البطال وغلمانه لأنهم مايعلمون لهم خبر (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الأمير عبد الوهاب لما رأى ذلك أخذته الحمية فى الله تعالى ونادى ويلك يا أبو الهزاهز أكفر بعد إيمان فبقى أبو الهزاهز لايدرى مايجيبه فقال له عقبة وكان قائما فى الصف الأول يفكر فى طلب حيلة يعملها يهلك بها عساكر المسلمين قل له ياابن مرزوق ما فعلت الكفر بعد الإيمان وإنما فعلت الإيمان

بعد الكفر فلم يعلم الأمير أبو الهزاهز ما يقول وما علم ما تحت هذا اللفظ نصاح بصوت جوهرى مثل بعبعة البعير ياابن مرزوق ما فعلت الكفر بعد الإيمان ولكن الايمان بعد الكفر ثم صار يقول ما بقى إلا عيسى ومريم فصاحت السودان مثل ذلك فما دخل على قلب الأمير عبد الوهاب حسرة أعظم منها وأمر الناس أن يرجعوا إلى القتال (قال الراوى) فبينما الأمير فى هذا الكلام وإذا هو بخمس بطارقة قد وصلوا إليه وسلموا عليه وأعطوه كتاب فلما قرأه الأمير عبد الوهاب وفهم معانيه دق بيد على يد وتغرغرت عيناه بالدموع وقال هذا كتاب قد وصل من حصن يانس المتعزب يخبرونا بأنه قد تم عليه حيلة لأنه وصل اليه رجل يزعم أنه من عندنا حتى خرج طالبا إلينا لينجدنا فأخذوه وأخذوا كل من معه وهم ثلاثة آلاف فارس وهم فى مدينة القسطنطونية وأنا والله أخاف على يانس المتعزب من عقبة الملعون (قال) وعمل القتال بينهم طول النهار إلى الليل وقد قتل من عسكر الخليفة المأمون جماعة كثيرة فلما أمسى المساء جرى حديث يانس المتعزب بحضرة الملك ميخائيل وأصحابه فى الحصن نفرح الملعون عقبة وأمر باحضاره وقال له ياخبيث إلى متى تعيش ولم أضرب رقبتك وكم أضرب فى حصنك ولا بد لى مما أستوفى ذلك منك ثم أن عقبة ضرب يانس المتعزب حتى غشى عليه وفعل الأمير أبو محمد البطال وغلمانه كذلك وكان الملعون عقبة له فى القسطنطونية مائة ألف دينار وديعة ففرقها كلها على السودان وجعل يذكر الأديان ويقول أن دين المسيح هو الدين الصحيح ويقول يا أولادى أنتم تعلمون أن هذه شيبتى قد أبيضت فى هذه الأشياء ولم يبقى دين إلا وعرفته ولا كتاب منزل الا سمعته وحفظته ولو كان لى فى ذلك رغبة لما تركته وجعل الملعون يذكر فضائل عيسى بن مريم واحياؤه الموتى وأنه أبرأ الأكمه والأبرص بأذن الله قال فدخل ذلك فى قلوبهم وفى عقولهم وقالوا لقد مضى زماننا وقال له شحتوف العبد لقد ربحت ثوابا فانظر لنا خدمة نخدم بها المسيح حتى يرضى عنا فقال عقبة أنا أقول لكم ما تصنعون وتصير لكم اليد البيضاء عند الملك وتكونوا قد أرضيتم المسيح فقالوا له وما ذلك أن أردت أن نفتح الباب ونخرج إلى عند الخليفة ونرمى أرواحنا عليه فقال عقبة وبهذا أردت أن أشير عليكم ولكن أنا أريد حياتكم وسلامتكم وأنا أدلكم على شىء اسلم عاقبة فقالوا له قل لنا ذلك فقال أريد منكم الساعة ألف بطل من أبطالكم ونفتح الباب تخرجون بثيابكم التى دخلتم بها إلى عندنا وهى ثياب الإسلام وتمضون إلى حصن يانس المتعزب ويكون معكم حرب بن شيبان فى ثلاثة ألف بطل من الفرسان فاذا أنزلتم وأشرفتم

على الحصن فارفعوا أصواتكم بالتكبير فان أهل الحصن لاينكرون من فعالكم شيئا فاذا فتحوا لكم الباب فقولوا فتحنا بلد القسطنطونية وخلص الأمير عبد الوهاب إلى يانس المتعزب ومن معه وهم ينتظرون الأموال والرجال ولكن الأمير عبد الوهاب قد سمع أن ملك الدوقس قد وصل اليكم فى خمسة آلاف لأنه قد علم أن ما عندكم رجال وقد أرسلنا الآمير نكون معكم إلى أن يعود اليكم فاذا فتحوا لكم الباب فاهجموا عليهم واقتلوا كل من هناك وأرجعوا إلى الملك ميخائيل ومعكم زوجته التى هام بها ظالم وهى الملكة مليكة التى كانت سبب دخولهم إلى بلاد الروم (قال الراوى) فأجابوا السودان إلى ذلك وأفرد الملعون عقبه من السودان المجاهيل حتى لاينكر عليهم أحد وقدم عليهم شحتوف العبد وساروا فى ألف أسود مع حرب بن شيبان يقطعون الطريق والأرض طولا وعرض إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقال أبو المزاهز ما هذا الراى صواب أن نقاتل من خلف الجدران مثل النسوان هذا مالا يكون أبدا وما فى الأمر إلا أننا نفتح الباب ونخرج للطعان والضراب فقال له عقبة دعنى الساعة فما هذا وقته واصبر انا أقول لك متى يكون هذا الامر (قال) وجعلوا يقاتلون من فوق الاصوار ويتراشقون بالنبال والاحجار وقد رجعت الابطال إلى الميدان وجعلوا يشتمون السودان هذا والامير عبد الوهاب رفع رأسه إلى الصور وهو يعظم ويخوفهم من الله تعالى وهم يشتموه فعند ذلك اقسم الخليفة أن لايبرح من بلد القسطنطونية حتى يصلب بنى نخام الكل على ابراج البلد حتى يصيروا عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من شحتوف العبد فانه سار كما ذكرنا حتى وصل إلى حصن يانس وفعل كما علمه عقبة ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير فأشرفوا اهل الحصن عليهم فلما نظروا اهل الحصن وهو حصن يانس المتعزب إلى السودان ذهب عنهم الشك وفرحوا فرحا شديدا لانهم كانوا خائفين من الروم ثم نزلوا اليهم وفتحوا لهم الباب ونزلوا بالطعام والاكرام وسألوهم عن الامير عبد الوهاب فأخبروهم السودان بما علمهم عقبه ففرحوا بذلك فرحا عظيما فقال لهم شحتوف دعونا ندخل إلى الحصن فانا نخاف أن يكون اليوم أو غدا عساكر الروم عندكم فقالوا حفظ الله الامير الذى لا يغفل عنا ثم فتحوا الباب فدخلوا السودان والعرب المتنصرة معهم ولما صاروا داخل الحصن صاحت العرب بكلمة الكفر وكذلك السودان فاندهلوا أهل الحصن وانقلب ذلك الحصن بأهله وقد حاروا من هذه الصفة ونظروا إلى سودان عبد الوهاب الذين يعرفونهم قد بذلوا فيهم السيوف وأسقوهم شراب الحتوف وأخذ الجارية مليكة وأخذوا من

الاموال مايسدعين الشمس وسار شحتوف طالب القسطنطونية بالسبي والتحف وترك في الحصن حرب بن شيبان وكان عقبة أوصى السودان وقال أحرصوا لا ينفلت من الحصن أحد حتى لايخبروا الاسود الزنيم فأخاف عليكم منه أن يلحقكم فتهلكون وعندى فى ذلك شىء آخر وهو أنى أريد أن أدبر حيلة على عبد الوهاب فقبلوا رأيه وقتلوا رجال الحصن وأبادوا الابطال وساروا إلى مدينة القسطنطونية فلما علم عقبة بذلك فرح ثم أدعى ببطريق يقال له بولص وكتب معه كتاب وختمه وقال له تخرج الليلة وتبعد خلف عسكر الخليفه وإذا أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح تصعد إلى الامير عبد الوهاب وتعطيه هذا الكتاب ثم تسير من عنده إلى حصن يانس المتعزب وتعطى هذا الكتاب الآخر إلى حرب بن شيبان ليعمل بما فيه فقال سمعا وطاعة وأخذ البطريق الكتابين من عقبة وخرج فلما أصبح الله بالصباح وصل إلى الأميرعبدالوهاب وأعطاه الكتاب فقرأه وضحك واستبشر وقال الحمد لله فقالت له الأميرة ذات الهمة ما فى هذا الكتاب حتى أظهرت الفرح فقال الأمير عبد الوهاب بشارة ياأم عظيمة ثم أنه قصد الى سرادق الخليفة المأمون واستأذن فأذن له فدخل فقال المأمون ما حالك أيها الامير فقال يا أمير المؤمنين هذا كتاب الأمير أبوا محمد البطال فأخذ الخليفة الكتاب وفتحه وإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) أما بعد فانى لما قبض على عقبة وأبو الهزاهز الذى طردهما الله عن باب الرحمة وكان القدر المقدور انى نهيتهم عن ذلك فقبضوا علىَّ وعلى غلمانى خوفا أن ألتى عليهم الأمير عبدالوهاب ولم أزل فى القسطنطونية معهم إلى أن نزلتم على البلد نخاف عقبة منى على البلد فأخذنى واخذ معه الراهب شو مدرس وقال للملك أرمانوس يسير بهم إلى قلعة الجاتليق ليكونوا هناك فهو أحفظ لهم وانهم وصلوا بنا إلى مرج السنديان وإذا قد خرج عليهم مائة فارس من حصن يانس المتعزب فقتلوا الرجال وخلصونا على انهم يفادوا بنا الأمير يانس المتعزب فلما عرفونى فرحوا بى واخذوا عقبة وشو مدرس والملك أرمانوس وجميع البطارقة وانى كنت فى حالة ماأقدر أصفها لكن منَّ الله علىَّ وخلصنى من الضرب الذى كان يضربنى عقبة وكذلك غلمانى وقد أمرت بضربه حتى اشتفى منه وهو يكفر ويشتم المأمون ويقول افعلوا بى ماشئتم ومولانا أمير المؤمنين قددخل فى قلبه الشك من كلام عقبة ويخشى انه مايصدق كلامنا فيه إذاحققت الحقائق فان قدرت أن تأخذه معك وتسير الينا حتى يسمع كفره وهو لايعلم به ويعلم أيضا انه كان السبب فى تنصر الأمير أبو الهزاهز وانى قد عرفت حال يانس المتعزب وأصحابه وأين هم محبوسين وبهم اقدر أفتح مدينة القسطنطونية وعلى أن أرد

أبو الهزاهز إلى الإسلام فاذا قرأت كتابى فاسرع الحضور واحرص أن يكون معك الخليفه أمير المؤمنين حتى تنفصل القصة فى أمر عقبة (قال الراوى) فلما سمع الخليفة المأمون مافى الكتاب قال والله ياعبد الوهاب إنى لما قال لى عقبة ذلك المقال دخل فى قلبى التكذيب لما رأيت بعينى وسمعته بأذنى ولكن قد صدق الامير أبو محمد البطال فى قوله وإذا كان الليل نمضى أنا وأنت والاميرة ذات الهمة وعشرين من بنى كلاب ولا يعلم بنا إلا الله ونكون هناك سرا ثم أقاموا إلى الليل فقال الامير عبد الوهاب للأمير ظالم كن موضعى فانى ماضى إلى حصن يانس المتعزب وأعاد عليه القصة فقال الامير ظالم لوالده أريد أمضى معك لئلا يرى المأمون الملكة مليكة فيأخذها وكنت ألحق بأبو الهزاهز فاستخلف ولده ضيغم وأمره بالحصار حتى يضيق على أهل البلد واستخلف الخليفة موضعه على بن سهل الهاشمى (قال الراوى) وساروا الامارة فى خمسين أمير من بنى كلاب وبنى سليم وفيهم عشرين أمير من السودان والاميرة ذات الهمة وسعيد بن الفرج وهارون العلوى وراشد بن ضمرة والوزير أحمد ذو العلمين وساروا يقطعون الارض خببا وركض والبطريق الذى جاءهم بالكتاب قد سبقهم إلى حرب بن شيبان وناوله الكتاب وإذا فيه كن على أهبة فاذا دخلوا القادمين من الامراء والامير عبد الوهاب أقبض عليهم ولا تتهاون فيهم فبقى لهم فى الانتظار (قال الراوى) وساروا حتى وصلوا إلى حصن يانس المتعزب فى ثالث يوم ففتح لهم باب الحصن وقد خرج اليهم البطريق الذى أتاهم بالكتاب فباس الأرض قدام الخليفة وقال يامولاى ادخل أنت ومن معك إلى ديار يانس المتعزب حتى لايعلم بكم عقبة (قال) فلما دخلت الأمراء وصاروا من داخل الحصن وكذلك الخليفة والوزير وأما الأميرة فانها قام شعر بدنها فقال الأمير عبد الوهاب ما أبكاكى أيتها الأميرة فقالت ياولدى والله لقد أخذتنى وحشة خذوا أهبتكم وجردوا سيوفكم واعلموا أن هذه النوبة آخذ لكم عقبة والملك ميخائيل على الحقيقة وبالله العظيم ماهى الا حيلة قد دبرت علينا ولكن إياكم أحد يخرج من الباب حتى يتم لنا مانعمل بعد ذلك فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من الأميرة علم انها مجربة زمانها وانها ماقالت ذلك الكلام إلا وقد نفر قلبها مما هى فيه هناك غلقوا المتنصرة الباب وجردوا القرضاب وتواثبوا الرجال على الأمير عبد الوهاب مثل سباع الغاب وهم ثلاثة آلاف فارس من أبطال العرب المتنصرة كل واحد يريد لرأسه جماعة (قال) ونظر الخليفة المأمون إلى ذلك فطار عقله من الخوف والفزع ووقف به الوزير ذو العلمين إلى جانب باب الحصن ووقفت الخدام بين يديه ولما نظر الأمير عبد

الوهاب إلى ذلك كبر وزبجر وهدر وصال على من طغى وكفر وضربهم بالحسام الذكر والأميرة ذات الهمة تضرب فى أعناقهم وقد تصايحت السودان فطارت الرؤوس كأنها الأكر والتقى الأمير عبد الوهات بحرب بن شيبان فى المعركة وهو يرتجز ويقول

إنى أنا الفارس فى الطعان ٭ اسمى حرب وأبى شيبان
ليث كمى قاتل الأقران ٭ لا أنثنى فى معرك الشجعان

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب أجابه على شعره يقول .

يامن هو الكافر بالرحمن ٭ وغره بربه الشيطان
اصبر فقد لاقاك غير وانى ٭ فى طاعة المهيمن الديان

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم الأمير أكب عليه وضربه بالسيف فوقع على الترس قطعه نصفين وقسم البيضة قطعتين و وقع حرب ابن شيبان من قوة الضربة إلى الأرض فأخذه الأمير عبد الوهاب سير ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل منذ يومين والباب قد أغلق عليهم فلم يقدر واحد منهم على الخلاء وحتى قتل منهم ألف وثمانمائة رجل وأرموا الباقين السلاح وطلبوا الأمان فأخذ الأمير عبد الوهاب عددهم وأمر أن يكتف بعضهم بعض ففعلوا ذلك (قال الراوى) وان الأميرة ذات الهمة لما فرغت من ذلك أخذت العجعاج ابن حرب بن شيبان وهو ولده الأكبر وقالت له قد عولت على قتل أبيك وقومك وعشيرتك إلا أن تفعل ماأقول لك فقال العجعاج ياهذه لاتفعلى فأنا وحق المسيح لو قلتى لى اقتل الملك ميخائيل أفدى به أبى وكل عشيرتى لفعلت ذلك فقالت الاميرة ذات الهمة ماأريد منك إلا توصل هذا الكتاب إلى عند القاضى عقبة ثم تعودت على أثرك وأنا وحق من تقصد بيته الحجاج من كل فج والبيت ومن حج والتلبية ومن ضج وأنت تعرفنى بالوفاء لاسيما إذا حلفت إذا أنت مضيت وأوصلت الكتاب إلى عقبة ورجعت ولم تحدثه بما جرى بل تقول له ان القوم قد وقعوا فأسرعوا اليهم فانى أطلق أباك وعشيرتك وقومك فلما سمع العجعاج بن حرب بن شيبان ذلك أخذ علىها العهود وقالت له أنا أحلف لك بالبيت الحرام وزمزم والمقام لئن حدث منك غير ما ذكرت لك ضربت رقابهم يوم يصل لى الخبر فقال العجعاج سوف يبان لك ما أعمل ثم سار يقطع الأرض فى الطول والعرض حتى وصل إلى القسطنطونية وكانت الأميره كلفت حرب بن شيبان حتى كتب لها ذلك الكتاب الذى أعطته لولده وكان قد كتب فيه (أما بعد) أيها الملك فان المسيح قد أعطاك مناك وبلغك هواك من القوم ببركة الشيخ النجيسح وشورته وقد حصلنا الخليفة المأمون وملكنا عبد هالواب

والأميرة ذات الهمة والأمير ظالم وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر ومالك بن طوق وهارون العلوى والوزير ذو العلمين وفلان وفلان فاقصدوا الينا وتسلموهم منا فما نقدر نخرج بهم لأن عساكرهم فى طريقنا وسار بالكتاب حتى وصل إلى القسطنطونية ليلا من باب المينا وأوصل الكتاب إلى عقبة فلما قرأه باس الأرض ونهض ودخل على الملك ميخائيل فقال له هذه نوبة ماتم لنا مثلها ثم سلم اليه الكتاب فلما قرأه فرح فرحا شديدا وقال ياحجة المسيح هذه نوبة ماقدرنا قط على مثلها ولا وصلنا إلى شكلها بأخذ عبد الوهاب والخليفة المأمون والآن سر بنا حتى نشفى منهم الفؤاد ونضرب رقاب الأعداء والحساد وبعد ذلك نأخذ البلاد ونطهرها من أهل الفساد

﴿تم الجزء الرابع والثلاثون ويليه الجزء الخامس والثلاثون﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الخامس والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ثم قال الملك ميخائيل الرأى أن نسير اليهم فى مائة بطريق ونأخذ معنا الراهب شومدرس فقال أبوالهزاهز وأنا معكم حتى أستوفى من الخليفة المأمون بما فعل فى حقى (قال) وان الملك ميخائيل جمع وجوه بطارقته وأخذوا معهم الراهب شومدرس وعقبه من فرط الفرح قد عميت بصيرته ولم ينظر فى عاقبته والأمير أبو الهزاهز سائرحتى يستوفى فى ظلامته فهم على ذلك إذ سمعوا صياح من عسكر الخليفة وصهيل الخيل وقعقعة اللجم وضجيج العرب (قال الراهب) يا سادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أحمد الشمشاطى جاسوس الأمير عبد الوهاب لأنه كان فى مدينة القسطنطونية واطلع على ما أجمعوا عليه فى الرأى وقد وصل العجاج بن حرب ابن شيبان بكتاب أبيه يذكر ذلك الذى كان فيه من أجل الخليفة والأميرعبدالوهاب والأميرة ذات الهمة وكيف تمت الحيلة فلما رأى الملك ميخائيل سائر اليهم ضاقت عليه الأرض بما رحبت وبقى لا يقدر يرمى روحه من الاصوار لأن فى ذلك سبب العطب والبوار فهو كذلك إذ فتح باب الساحل وخرجت منه البطارقة ووقفوا ينتظروا قدوم الملك ميخائيل وشومدرس وعقبه فخرج أحمد الشمشاطى فى الجملة وقصد إلى العسكر ووصل الأمير ضيغم وأخبروه بالخبر فأخذ معه الرجال الأجواد وقال اطلبوا الحصن وأحدقوا به قبل أن يسبقوكم اليه وهو حصن لا يبالى بنزول أحد عليه لأنه عالى البنيان لجمع العسكر كما ذكرنا (يا سادة) وجمع عسكر العراق ولم يأخذهم صبر على المأمون (قال الراوى) وعلم عقبة بذلك فقال وصل الخبر اليهم وما نقدر على الرواح فنؤخذ لكن الساعة تخرجون وتطرحون أنفسكم عليهم وقد أخذتموهم كلهم وملكتم خيامهم ورجالهم (قال الراوى) وفتح باب البلد وخرجت السودان كأنها

جن سليمان وأبو الهزاهز فى أوائلهم وأربعمائة الف من بطارقة الروم ومن عوام القسطنطونية ما لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقد رفعت اصواتهم ونادى مناديهم ويلكم هذه رؤس أصحابكم عبد الوهاب وذات الهمة وسائر الامراء وهذه رأس المأمون (قال الراوى) وكان هذا برأى عقبة لانه قد ضرب مائة من أصحاب يانس المتغرب وأخذ رؤسهم البطارقة وخرقت بها الناس وكانوا بين تصديق وتكذيب والامير ضيغم يصيح ببنى عمه وكل أمير يصيح بقومه وهم لايعلمون ولايعقلون وسمعوا ذلك الصياح والرؤس تتناثر عليهم وتقع فأيقنوا بالهلاك الجميع فأما الرجل الحازم الشجاع فانه دفع ما جمع له من الاموال وترك مانقل من الرجال والأثقال وأخذ ما خف على البغال وركب كل انسان هواه وعملت الصوارم فى أقفية الاكارم وانكشفت عن الرؤس العمائم وبريت المعاصم والغلاصم وقطعت القوائم (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان الامير أبو الهزاهز فى أوائل الناس وهو يرتجز وينشد ويقول

الليل مثلى وأنا المجنون	من بعدما أخرق ينظرون
سوف ترون ضيغم شطون	يبكى على فقد العيون
وحق من يعلم مايكون	لست على فقدكم محزون

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزل السيف يعمل فى المفارق حتى خاض فى الدماء الجواد السابق ولم يقف أحد من العسكر غير الامير قشعم والامير ضيغم فى عشرة آلاف من بنى كلاب الرجال الذين يحببون الامير عبدالوهاب ويجاهدوا فى طاعة رب الارباب والامير فراقد المصرى فى خمسة آلاف أسود من حنقه على الامير أبو الهزاهز ومن معه وأما العساكر فغلبت على أمرها وتفرقت وطلبت بلاد الاسلام دون بلاد الروم وقد ظنوا أن الرؤس التى لها ومن ذكروا على الحقيقة قد هلكوا وأما الامير ضيغم أقبل على قشعم وقال له ياأخى ان أردت النجاة لنفسك فافعل فو الله لا أردت الحياة بعد السادات الكرام الضاربين بالحسام فى الكفرة اللئام وقد رغبت بعدهم فى شرب كاس الحمام فلما سمع الامير قشعم ذلك قال وأنا أيضا لاصبر لى ولا بقيت أريد الحياة مادام أهلى قد قتلوا فى سبيل الله (ياساده وحمل الامير قشعم وهو ينشد ويقول

سلام على الاحباب فى كل ساعة	سلام محب صادق غير كاذب
لقد خانهم دهراً لم يجمعهم	وغادرهم صرفا بحد القواضب
وأصبح بيت الفخر قفرا وأصبحت	معالمهم مهدومة بالمصائب

فياعين هذا موقف بدلت به ‌‌ ‌ الأرض حينا بعد فقد الحبايب
اذا قتل المأمون للكل أسوة ‌ ‌ بما صنعت أيدى الردى للحبايب
ومن بعده ذاك الامير الذى به ‌ ‌ تطول على كل الورى بالمراتب
ومن بعدهم سيف الحنيفية الذى ‌ ‌ له شرف فى شرقها والمغارب
ومالك والقمقام برد وبعده ‌ ‌ لهياج ليث الحرب عند المعاطب
وهرون لاتنساه ثم سعيدنا ‌ ‌ ومدركة بل ذاك ابن الأطايب
وراشد لاتنساه أعنى ابن ضمرة ‌ ‌ وابن أبى القمقام فخر الأعارب
ومالك أعنى بابن بشر وانه ‌ ‌ له الزهد والنهضاء على كل صاحب
ومطاف وابن الصامت الذى لنا ‌ ‌ وابن أبى الديال مع ابن طالب
فياعين جودى لى بدمع وآله ‌ ‌ ولا تبخلى فيهم ديول السحائب
فيارب أفنى أهل كفر بصارم ‌ ‌ وأتركهم صرعى ببطن السباسب

(قال الروى) ياساده ياكرام ولم يزل السيف يعمل كذلك الى أن أصبح الصباح وقد ملكت الروم الخيام والاموال والجمال والاثقال والرجال ونهبتها عوام البلد وبقى الامير ضيغم فى عشرة آلاف من بنى كلاب والامير قراقد فى سودانه الانجاب إلا انهم مالوا الى وادى الفيل يطلبون أن يستروا ظهورهم وقد حالت الروم بينهم وبين الطريق وقد منعتهم منه وقد أحدق بهم أكثر من أربعمائة ألف إلا أن الامير ضيغم قد أحدق به بنى كلاب وقد مدت رماحها نحو عشرة آلاف رمح مثل آجام القصب وقد نظرت الروم من ذلك العجب والامير ضيغم يقول ياابن العم معلوم أن الامير عبد الوهاب قد مضى فلا تعطبوا أرواحكم من أجلنا واطلبوا لأنفسكم النجاة فقالوا لا والله مانراعى إلا الولد بعد الأب ومن لم يفعل ذلك فليس من أهل الوفاء وإنما هو من أهل الخيانة والجفاء (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وسودان الامير أبو الهزاهز قد طرحت أرواحها على سودان الامير قراقد لأن جنسهم نوبى والذى مع أبو الهزاهز حبشان وهما ضدان وتضاربوا بالسيوف حتى خدرت السواعد والكفوف ونظر الامير قراقد الى الأمير أبو الهزاهز وهو يترنم بهذه الأبيات :

إنى أنا الأدهم فوق الأدهم ‌ ‌ يوم الوغى المعروف بالقشمشم
لست أبالى عند قتل المسلم ‌ ‌ لاحسبى غير دين ابن مريم
أنا ابن حام من رجال كردم ‌ ‌ صب مصور قصور مفخم

(قال الراوى) ياساده يا كرام وأن الامير قراقد لما نظر اليه حمل عليه وأطبق وزاد به الحنق والتهب فى قلبه من أجله نار الحرق وأنشد وجعل يقول :

ألا أيها المغرور فى منهج القصد ... وأصبح مطروداً عن الملك الفرد
ومن قلع الإسلام من بيت قلبه ... وخص عن الرحمن بالبعد والطرد
وأصبح بعـد الاعزاز بربه ... كفورا وأضحى اليوم من عصبة الجحد
لأجل كرنا وهى ابنـة أغلف ... ومهتوكة لا تستميل الى الرشد
وخليت دين الهاشمى محمـد ... نبى الهدى خير الورى صاحب الحمد
أيا لون شيطان ويا شبه فاحم ... ويا كلب لا كانت خصالك من عبد
فدونك من ضربة قرقـدية ... لها صولة تأتيك من صارم هند
أنا ابن حماة الدين من حام مولدى ... أدين بدين الله ذى الطول والمجد

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الامير أبو الهزاهز ذلك من شعر قراقد ونظامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وكان الامير راكب على جواد أدهم مثل الليل المظلم يسبق الوابل والعقاب النازل والمقيم الهاطل ومعه حسام عريض فاصـل معتقل برمح عامل وحمل على الامير قراقد وهو ينشد :

ألا يا لهـذا القرد قراقد ... ستصبح من سيفى على الارض خامد
تريد كرنة أيها المصـيبة ... فوجهك وجه القرد والقرد راقد
ولونك لون الكلب والكلب أسود ... وشخصك شخص الذئب والذئب قاعد
وما أنت لى فى اللون قط مشابه ... فلونى حنطى ولونك فاسـد
ستعلم أنى لا أبقى عليكم ... وأسكنكم قفر الديار الغراقد
وأنصر ميخائيل حتى ترونه ... عليـه عقود النصر وسى قلائد
وأعلو بسيفى رأس كل غضنفر ... وأقتل من أضحى من النفوس حاسد
وما ذاك من كفر ومن مهابتى ... لديكم ولكن الامور شدائد
أيضربنى المأمون والناس حضر ... وطرف لكرنا ناظر وهو جامد
ودلهمة مع ابنها ليس ينكروا ... فعال لديه والبلا متزايد
وبالأمس جسمى بالسيوف مبضع ... لأجل حمى المأمون والخلق شاهد
ولم يرع لى هذا وقد كنت عنده ... رفيعاً وقد خابت لديه المقاصد
وعاين أن الخير ليس بنافع ... وأن ضرورات السرور قواصد
فرمت رضا الشيطان فيما فعلته ... وقلت له أنت لى بمساعد

فعلت جميلا مع أناس فضيعوا ... وحافظت بالمعروف والعز قاعد
وكان جزائى منهمو كل محنــة ... وأين الذى يجزى وأين المعاضد
وحسن إبليس كل قبيحة ... وعاضد فعـل منه كف وساعد
فعدت الى الدين العتيق حميـة ... وعـزة نفس طبعها العز وارد
أصبت لعمرى عنـدهم كل فرحة ... وأنى لهم مادمت فى الناس حامد

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغ أبوالهزاهز من شعره حمل كل واحد منهما على صاحــبه واعتمد على صــدق مضاربه وقد كشرا عن أنيابهما وطار الزبد من أشداقهما فلو اطلعت الملـكة (كرنة) فى ذلك الوقت على سماجة وجوههما لـكانت أبصرت الويل من أشـداق تزبد وصنان يفوح وينعقد ولـكنهما (ياساده) كانا أبطال الوغى وليوث الثرى وفرسان الهيجاء وأخذوا فى الـكر والفر والهزل والجد والطرد والرد وانعقد عليهما الغبار وغابا عن الأبصار فعند ذلك شد أبو الهزاهز على قراقد وأنشد يقول :

قراقد جاك الموت من حد صارمى ... ومن كف ليث فى الحروب مصادم
فى كمى وفى قسورى غضـنفر ... عبوس هموس فى الوغى غير نائم
تعود ضرب السيف فى كل معرك ... وفاق الورى إذ كان للقوم هازم
أنا فارس الهيجاء والضـيغم الذى ... علا شرفا فوق الرجال القماقم

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير قراقد شعره حمل عليه وأجابه على شعره يقول :

ألا أيهـا المغرور بالقول والذى ... له موقف فى فعـل أهل المـآثم
فأنت ردىء الاصل والعقل ناقص ... رجعت إلى كفر اللئام الأراقم
ستصبح منى ثاوياً فوق مهمه ... تحوم عليـك الطير مع كل حائم
وأنصر دين الهاشمي محمـد ... نبي الهدى المبعوث من آل هاشم

(قال الراوى) ياساده يا كرام وحمل كل واحد منهما على صاحبـه واحترز من طعنه ومضاربه وتجاولا وتقاتلا وتنازلا وتناضلا وتقاربا وتحاربا وتلاصقا وتضايقا والروم قد أحـدقت بالامير ضيغم ورجاله مثل ما يحدق البياض بسواد الحدق والاحرار بتداوير الأمق . هـذا كله يجرى وما عند الامير عبد الوهاب خبر لأن الامور تجرى والمقادير تسرى والقضاء يعمل والخلق غافلون عن ذلك (ياساده ياكرام) وأن الاميره ذات الهمه انتظرت قدوم ابن حرب بن شيبان فما

رجع فأخذت فى الأهبة ولم تزل فى الانتظار حتى مضى الليل والنهار (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما كان فى بعض الليالى ذكرت العسكر فعظم عليها وكبر لديها وأرسلت مالك بن طوق يكشف الخبر ويأتى فى يومه فسار حتى خرج إلى الطريق فلقى ثلاثة من بنى كلاب وهم هاربين فلما نظر اليهم مالك بن طوق عرفهم فطار عقله لذلك فسألهم عن حالهم فقالوا له أنت سالم ماقتلت مع المأمون والأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة فبهت الأمير مالك من قولهم وسألهم عن حالهم وباطن قصتهم فأخبروه بالأمر من أوله الى آخره فلطم الأمير مالك بن طوق حتى جرى الدم من أنفه وقال تمت والله علينا الحيلة ويلكم الأمير عبد الوهاب والاميرة والخليفة وجميع الامراء سالمين وقد أخذوا حرب بن شيبان ثم ان الامير مالك بن طوق رجع وهو يلطم ويصيح حتى وصل إلى الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة والخليفة وقد بقى فى قلب الاميرة ذات الهمة النار لأجله الامير ضيغم وقشعم وقراقد وسودانه ومن بقى من بنى كلاب فأخذت حرب بن شيبان ومن معه وطرحوهم فى الابراج والقيود فى أرجلهم وتركت عندهم الثلاثة الذين لقيهم مالك بن طوق وسار الامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمة وجميع الامراء يقطعون الارض خببا وركض الى أن وصلوا إلى العسكر وكان قد تخلف الخليفة والوزير فى حصن يانس المتغرب (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير ضيغم والامير قشعم والامير قراقد فانهم لم يزالوا والقتال يعمل بينهم هذه الايام كلها وأبو الهزاهز وقراقد كل واحد منهما ينظر الى صاحبه شزرا ويرمقه حزرا ولم يظفر أحد منهما بصاحبه ولكن قد قتل من بنى كلاب جماعة ومن السودان جماعة وكان ذلك اليوم قد أيقن أصحاب ضيغم وقراقد بالهلاك والوقوع فى الارتباك وإذا بغبار قد ثار حتى ملأ الاقطار وتطاولت الروم إلى ذلك الغبار والامير قشعم يقول ترى عاد الينا أحد من بنى كلاب ورعى الله أيام الامير عبد الوهاب وإذا بالغبار قد انجلى وفى أوائل الناس الامير المهاب الامير عبد الوهاب وفى يده صارم ذكر مشتهر وهو يقول أنا الفارس المهاب المقدم على بنى كلاب وصاحت بعده الاميرة ذات الهمة أنا اللبؤة المصمصمة وحمل الامير ظالم وهو ينشد ويقول

ستعلم أبطال الهياج بأننى أبيد الاعادى بالسيوف الصوارم
وانى أنا المعروف فى حومة الوغا اذا عثرت خيل الردى بالجماجم
سأحمل فى أبطال ذى الروم مسرعا ولا انثنى عنهم لكثر العوالم

(قال الراوى) وحمل بعده قاتل الأبطال بالمشرفيه والمعجل لهم بالمنيه الأمير سيف الحنيفية وحملت من بعدهم الأميره ذات الهمة والأبطال والأقران والصناديد والشجعان (قال الراوى) وكان الخليفة قد تخلف فى حصن يانس كما ذكرنا من خوفه وفزعه والوزير ذو العلمين معه وقد كتب الوزير الكتب وأطلق الطيور التى فى حصن يانس من حمام ملطيه بخبر بأن الخليفة المأمون سالم وسائر الأمراء وهم فى حصن يانس المتغرب وانما ذلك حيلة من الملك ميخائيل (قال الراوى) ونظر الأمير ضيغم الى أبيه عبد الوهاب وسته الأميرة ذات الهمة وأخوته وقومه وعشيرته فأيقن بالسلامة من تلك المهالك (ياسادة) ونظر ميخائيل إلى الامير عبد الوهاب وقد تخلص وأتى فعظم عليه وكبر لديه وأما عقبة فانه دخل إلى القسطنطونية وأما الملك ميخائيل فانه صاح بالبطارقة وقال ويلكم ما هم إلا خمسين فارس خذوهم على أطراف الرماح وقطعوهم بالصفاح (قال الراوى) وكان الأمير قراقد أشرف على العطب من أبو الهزاهز وإذا بصيحة أخذته من خلفه فالتفت الامير قراقد ينظر من هذا الذى يصيح وإذا به فارس مضيق اللثام معتدل القوام وصاح بالامير قراقد فأخرجه من مقام الحرب وحمل على أبو الهزاهز فما طال الخطب ولا تردد الطعن والضرب حتى حمل ذلك الفارس على أبو الهزاهز وقبض على مراق بطنه مع حلق درعه وقلعه من سرجه ونظر السودان إلى ذلك وأن أميرهم أبو الهزاهز قد أخذ فحملت على ذلك الفارس تريد قطع قوائم الجواد الذى تحته (قال الراوى) وكان الذى أخذ أبو الهزاهز هى الاميرة ذات الهمة وهو مثل الطود وعليه ذلك اللبس الفاخر فبينما الاميره ذات الهمة كذلك إذ قص اليها مالك بن بشر الاقطع وراشد بن ضمرة فسلمت أبو الهزاهز اليهما فصار معهما فى أذل مقام (ياساده) هذا وقد حملوا سودان أبو الهزاهز على الاميرة ذات الهمة وقد كشفت رأسها والقت لثامها من على وجهها ونادت ويلكم يابنى حام هذه أفعال الكرام أن تكفروا بالملك العلام فو الله لاهجرنكم فى الله ولأضربنكم بالسيف فى سبيل الله وإن كنتم عندى الاعزاز الاحباب لكن طاعة الله أولى ثم بكت الاميرة ذات الهمة ورفعت رأسها الى السماء ونادت يارب أهديهم فانهم لايعلمون وكشفت الاميره ذات الهمة رأسها فبانت دوائبها فلما نظرت السوان ذلك قالوا لبعضهم بعض واق واق وقد حملت الاميرة وهى تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله اللهم رد قلوب عبادك الشاردة فانى مشفقة

عليهم كشفقة الوالدة (يا سادة) فلما سمعوا السودان ذلك من كلام الأميرة بكوا بخشوع وفاضت من عيونهم الدموع وعلموا أنهم قد طردوا من باب الله تبارك وتعالى فصاحوا كلهم الله أكبر الله أكبر واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وحملوا على الروم حملة واحدة وانضافت عليهم سودان الأمير قراقد فقطعوا من الروم السواعد وأنزلوا على الكفرة الأوابد فما كانت إلا ساعة حتى رأت عساكر الروم منهزمة والأعلام محطمة وصاحب العلم قد قتل والملك ميخائيل قد أسر ونزل الأمير عبد الوهاب بعد القتال وباس التراب شكراً لرب الأرباب الملك التواب الذى إذا دعى أجاب (يا سادة) وأن الأمير عبد الوهاب قال ويحكم حدثونى بهذه القصة التى جرت فقال الأمير ضيغم ما أعلم إلا أن أحمد الشمشاطى وصل الينا وذكر أن الملك ميخائيل قد وصل اليه ابن حرب بن شيبان وقال لنا ان الأمير والأميرة وأمير المؤمنين ومن معهم قد أخذوهم أسارى فقال الأمير عبد الوهاب ان الذى دبرناه عاد علينا دمار وفى تلك الليلة والساعة رحل الامير عبد الوهاب إلى حصن يانس المتغرب بالسودان الانجاب وبنى كلاب خوفا على أمير المؤمنين المأمون وعلى الحصن من حرب ابن شيبان (قال) فأدرك الحصن فرأى قد حدث بعد الامور أمور (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن العرب المتنصرة قرض بعضهم كتاف بعض فانحل من الكتاف عشرة وتواثبوا على الثلاثة الموكلين بهم وهم فى غفلة عما يراد بهم وملكوا عددهم وقد خلص بعضهم بعضاً وملكوا الحصن والعدد وكلما يحتاجون اليه وأخذوا المأمون والوزير ذو العلمين وجعل المأمون يعتب على الوزير ويقول له أنت كنت السبب فى دخولنا إلى بلاد الروم من أجل عبد الوهاب ونحن كل يوم فى عذاب وسوف نهلك نحن وإياه فى كرة واحدة فقال الوزير يا أمير المؤمنين اعلم أن الله تبارك وتعالى يبتلى العبد إذا وجده صابراً على البلاء شاكراً على القضاء قابله على الصبر بالسعادة وعلى الشكر بالزيادة (قال الراوى) ولما وصل الامير عبد الوهاب الى الحصن وجده مغلوق ووجد الرجال فى أعلاه بالاتراس الصفاق والحراب الرشاق والسيوف الرقاق فأقبل على الاميرة ذات الهمه وقال لها كيف ترين هذه النوبة كلما حللنا عقدة انعقدت أقوى منها وأصعب منها فقالت له الاميرة اعلم يا بنى أن الامور مقدرة والافعال بالمشيئة مدبرة ولا لنا تعرض عليه ولا ملجأ إلا اليه (قال الراوى) وارتفع الصياح من العرب المتنصرة وجعلوا يشتمون الامير عبدالوهاب ويقولون له قتلنا الخليفة الذى لكم فقال الامير عبد الوهاب ويلكم يا كلاب المتنصرة اعلموا أن معى الملك ميخائيل ذليل حقير

وسوف أضرب رقبته وأقسم بالله العظيم لا برحت من موضعى حتى أفتح الحصن وإذا دخلته لا أبقى على صغير ولا على كبير فقالت العرب المتنصره افعل ما شئت فما فينا من يسمع كلامك وها المأمون وصاحبه عندنا أسارى فان أردت أن تطلق الملك ميخائيل فنحن نطلقهم فقال الأمير عبد الوهاب أنا أسلم اليكم الملك ميخائيل على أن تسلموا الى الحصن والمأمون وصاحبه فقالوا العرب المتنصرة ما نفادى إلا الملك بالخليفة وصاحبه لا غير (يا ساده) وبقى الامير عبد الوهاب حائر فى أمره لا يدرى ما يفعل لأن الموضع حصين (قال الراوى) وان الأميرة ذات الهمة أقبلت على الامير أبو الهزاهز وقالت له ويلك ما الذى حملك على الكفر بعد الايمان وأنت عندنا أكبر الحبشان وأكرمهم ورفع الامير أبو الهزاهز رأسه الى الاميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الاميره والله ان الضرب بالحسام أهون على مما أضام وقد فعل المأمون الفعل الشنيع وضربنى الضرب الوجيع ولو لم يكن ذلك قدام الملكة كرنة لكان ذلك هين على ولو كان بالسيف ولكن أصعب ما يكون هوان المحب قدام المحبوب ولم يكفيه ذلك حتى هددنى بالمهالك ونازعنى فى الملكة كرنه ولم أرى فى هذه النوبة خلاص إلا بهذه الفعلة وقد قال القائل

تلجى الضرورات فى الامور الى سلوك ما لا يليق بالادب
ما حامل نفسه على سبب الا لامر يليق بالسبب

وبالله أقسم وبزمزم والمقام والبيت الحرام والمشاعر العظام لا أحول عن محبتك ولا أنسى مودتك وكذلك الامير عبدالوهاب له على أيادى كثيرة قد سلفت لا أقوم بشكرها ولو علمت أنه يحمينى من المأمون ما قصدت سواه لكن قد قيل يد الخلافة لا تطاولها يد وقلت إن استجرت به لزمته الحميه والنخوه الأبيه فتقتل الرجال وتهلك الابطال ويكون ذلك سببا لفرج أهل الضلال وقد عفى الله عما سلف (يا ساده) ثم ان الاميره ذات الهمه حلت كتاب أبوالهزاهز وفكت قيده وقبلت رأسه وقالت أريد منك أن تفعل فعال تبيض بها وجهك عند الله وعند المأمون وتكون لك اليد البيضاء وتشكر عند المأمون بكل لسان فقال لها الامير أبو الهزاهز وما الذى أفعل أيتها الاميره فقالت له الاميره ذات الهمه تمضى أنت وأصحابك فى هذه الليلة وتبعد فاذا كان الصباح تشرف علينا أنت وسودانك بهذا الملبوس الذى أعطاه لك الملك ميخائيل ومعهم الرايات والصلبان وأننا ساعة نراكم نميل إلى الحصن وحرب بن شيبان ما عنده خبر أنكم رجعتم الى الاسلام وأنه لما يراكم يفتح لكم وينزل اليكم فاذا طلعتم إلى الحصن

نقبض على حرب ابن شيبان وتضع السيف فى أصحابه فقال الامير أبو الهزاهز لله درك والله هذا هو الامر السديد ويشفى الغليل (ياساده) وأن الامير أبو الهزاهز وأصحابه لما أظلم الظلام أبعدوا عن العسكر وأقاموا ينتظرون الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرقت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح فعند ذلك رجعوا طالبين الحصن كما ذكرت الاميرة ذات الهمة وقد طلع الغبار ونظر حرب بن شيبان الى ذلك الغبار وقد علا فقال انى مفكر فى أمر الملك ميخائيل أن يكون أحد من المسلمين سرقه لأنهم كلهم لصوص فحرب بن شيبان على ذلك وقد حدق بعينه الى نحو الغبار إذ بان من تحته رايات الملك ميخائيل والصلبان ومن تحتها عسكر السودان فلما نظر حرب بن شيبان الى ذلك جعل يصيح على الامير عبد الوهاب وأصحابه ويقول لهم ويلكم ياأندال العرب وحاملين الجلة والحطب حل بكم الويل والحرب وجاءتكم العساكر المنصورة والدساكر المشهورة فعلمت الاميرة ذات الهمة أنه قد تم لها ماتريد فقالت للأمير عبد الوهاب ارحل بنا يابنى فرحلوا وقد أخذهم من الحصن الصياح وأمر حرب بن شيبان أن يفتح باب الحصن ففتح ووقف ينتظر العساكر القادمة ساعة وانكشف وبان من تحته الامير أبو الهزاهز والبطل المناجز والسودان من ورائه كأنهم الغربان فلما رآه حرب بن شيبان بكى من شدة الفرح وقال المسيح قد شد ظهر النصرانية بهذا الامير الكريم والرجل العظيم ولكن قد طال فكرى فى الملك ميخائيل كيف أسر ثم ان حرب بن شيبان نزل الى استقبال الامير أبو الهزاهز وسلم عليه وقال له أيها السيد كيف أسر الملك ميخائيل وأنت سيفه الصقيل ورمحه الطويل فقال الامير أبو الهزاهز اعلم أنه سرق ليلا وأنت تعلم أن فيهم رجال ما نشأوا إلا على اللصوصية والسرقة ولكن لابد لى من أن ألحق بهم وآخذهم عن بكرة أبيهم فما هم إلا فى قلة لأن عسكر المأمون قد انهزم كله وما بقى إلا هؤلاء الذين رأيت فاترك أيها الامير فى الحصن مائة من السودان ومائة من أصحابك المتنصرة وسر بنا خلفهم حتى نخلص الملك ميخائيل وبعد ذلك أريك ما أصنع بهم وبعبد الوهاب فقال حرب بن شيبان نعم ما رأيت . هنالك صعد من السودان الى الحصن مائة فارس يريدوا ألفين لرؤوسهم ولما علم الامير أبو الهزاهز بهذا الحال قبض على حرب بن شيبان وجذبه واقتلعه من سرجه وصاح بأصحابه خذوهم فما فيهم إلا من قبض على أطواق واحد من العرب المتنصرة ولما سمعت الاميرة ذات الهمة الصياح رجعت على عقبها وتصايحت العرب من سائر الجهات وارتفعت من الحصون الصيحات ودارت على المتنصرة

طاحون الآفات وضربوهم بالمشرفيات فقتل منهم أربعمائة فارس وأخذوا الباقين منهم أسارى ثم دخلوا الى الحصن وكانت المائة السودان قد أحاطت بالمائة المتنصرة الهوان ثم باس الامير أبو الهزاهز الارض قدآم الخليفة المأمون وأعلمه الامير عبد الوهاب بما كان منه ففرح المأمون وأعلمه الامير عبد الوهاب أيضا بعودته الى الاسلام فرضى عنه وأخلع عليه ثم ان الامير عبد الوهاب أقبل على المأمون وقال يامولاى أنا أعلم أن صدرك قد ضاق مما جرى عليك من الأثر وأيضا فقد وصلت الأخبار الى سائر الامصار بذلك وأخاف أن تتشوش الدنيا عليك فان رسمت أن تسير معك ألف فارس من بنى كلاب توصلك الى ملطية فانى مايمكننى أرجع حتى أنزل إلى مدينة القسطنطونية ولو بقيت عليها عوض السنة عشر سنين لابد من فتحها وأخلص أبو محمد البطال ويانس المتغرب وآخذ عقبة شيخ الضلالة اللعين وأصلبه على باب الذهب فان صلبه قد وجب وقد وقفت يا أمير المؤمنين على كفره وبان لك مكتوم أمره فقال الامير أبو الهزاهز والله ما تقدر ترحل الى بلاد الاسلام حتى تخلص لى الملكه (كرنة) وما رجعت إليكم إلا بشرط أنكم تقيمون معى حتى أخلصها فأنا أسير محبتها وقد صرت فى قلبها وكان المأمون كما ذكرنا قد رضى على الأمير أبوالهزاهز وخلع عليه لما علم أن خلاصه كان على يديه . ثم ان الامير أبو الهزاهز أنشأ وجعل يقول :

نسير الى أرض العدو ولوأننا ... نقيم بها حتى نذل الأعاديا
وآخذ كرنة وهى عندى عزيزة ... وأملكها بالسيف من كل حاويا
كرنه حياة القلب هى غاية المنى ... لها نظرة تشفى غليل فؤاديا
وهذا الذى قد نلته من وصالها ... بطول بقى المأمون فى السعد ناديا
وما كان ذاك الضرب إلا دعابة ... وانى له عبد بطول حياتيا
فلا ترحلوا حتى أراها أمامكم ... على محمل تسرى بهن انتحابيا

(قال الراوى) فلما سمع المأمون شعر أبو الهزاهز أظهر الجلد وأضمر له الغدر وانه يأخذ منه وقالت السودان مانرحل حتى نأخذ ثيابنا وأموالنا فقال الامير عبدالوهاب نرجو من الله تعالى ذلك فقال المأمون ما أرحل من ههنا حتى أصلب الملعون عقبة على باب (القسطنطونية) فانه نصرانى لا محالة فقال الامير أبو الهزاهز : يا أمير المؤمنين ما فى كلامك هذا شك وقد بلغ التناهى وهو الذى دبر الغدر على

عساكرك حتى انهزم ونهبت أموالك ورجالك (ياسادة) وهم فى الكلام وإذا قد دخل عليه راهب عليه ثياب سود فأنكره الأمير عبد الوهاب وقال لأصحابه أبصروا هذا الراهب لايكون جاسوس فلما تصايحوا عليه كشف عن وجهه وإذا به لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال فلما رآه الأمير عبد الوهاب فرح به واستبشر وناداه لؤلؤ فقال لبيك يامولاى فقال ماوراءك فقال يامولاى هذا كتاب اقرأ مافيه وافهم معاينه فقرأه الأمير عبد الوهاب فلما علم مضمونه سجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذى قرب علينا الأمر وسهل علينا النوبة وهكذا نؤمل من الله تعالى صلب الملعون عقبه فى هذه الكرة إن شاء الله تعالى ثم ان الأمير عبد الوهاب نادى فى الناس بالرحيل فقال له المأمون أيها الأمير ما فى هذا الكتاب فقال الأمير عبد الوهاب سوف تقف عليه إن شاء الله تعالى هذا كتاب الأمير أبو محمد البطال فيه أمور نريد أن نعلمها وأحوال نريد أن ندبرها ولكن لاتقف عليها الابعد إبرامها (قال الراوى) وسار الأمير عبد الوهاب حتى نزل على القسطنطونية وقد غلقت أبوابها وطلعت الرجال على أصوارها وكان الأمير عبدالوهاب قد ترك الملك ميخائيل فى حصن يانس المتغرب ولما نزل الأمير عبد الوهاب على المدينة كان لؤلؤ غلام الأمير أبو محمد البطال قد سبقه اليها ودخل على أبو محمد وأعلمه بذلك الأمر (ياساده) وكان السبب فى ذلك الكتاب أن أبو محمد تسبب فى فتح المطمورة التى كان فيها وخرج منها هو وغلمانه وخاطر بنفسه مماجرى عليه من الملعون عقبه وكان يأتى اليه ومعه بطريق برسم خدمته ومعه شمعه فينزل اليهم ولم يزل يضربهم حتى يسيل دماؤهم وان الأمير أبو محمد البطال مماجرى عليه لم يزل يعالج قيده حتى فكه من رجليه وفك قيود أصحابه وقال لهم قد ضاق صدرى ولابقى لى جلاد على هذا الملعون عقبة وجرأته على الله تعالى وكفره ثم بكى الأمير أبو محمد البطال وقال لأصحابه اعلموا ان الله تعالى قد فك عنا قيودنا فاذا نزل الملعون عقبه الينا يأخذ كل واحد منا قيده ويضربه هو وصاحبه حتى يهلكون فان علموا بنا الروم وقتلونا فنكون شهداء ونصير يوم القيامة سعداء وان لم يعلموا بنا فنحن نكونا سببا لأخذ البلد فى هذه الليلة (قال الراوى) وفى اليوم الثانى نزل عقبه اليهم بعد هذه الوصيه وما علم ان قرطاس النقوع قد عبوه له فقال له الأمير أبو محمد البطال ويلك ياملعون ومن بأعماله مفتون الى متى هذه المبارزة لله تعالى وأنت تعلم أنه واحد أحد لايشاركه مشارك وكل شىء سوى وجهه هالك لاتشبهه الا مثال ولايقاس بالاشكال ولا يوصف بالصاحبة والولد ولايدخل فى حساب ولا عدد ليس له وزير ولامشير

وهو نعم المولى ونعم النصير بعلم ويحصى ويميت ويحيي هو على كل شيء قدير (قال الراوى) فلما سمع عقبه هذا الكلام وفهم هذا النظام قال له لقد أطلت الخطاب وانما نزلت لأجل العقوبة والضرب ثم ان عقبه وثب الى الامير أبو محمد البطال ليضربه هنالك وثب أبو محمد وضربه بالقيد على قمته فتح رأسه فى ثلاث مواضع فوقع الى الارض مغشى عليه لايدرى أين هو وتواثبوا غلمان البطال إلى ذلك البطريق وضربوه الضرب الوثيق حتى سقط ميتا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم ان الامير أبو محمد طلع هو وغلمانه من المطمورة وترك عقبة فيها وهو لايعلم بنفسه ومضى أبو محمد وغلمانه الى دار مارس وأخيه دارس فلما راهم مارس فرح بهم واستبشر بخلاصهم وسأله الامير أبو محمد البطال عن الامير عبد الوهاب فأعاد عليه ما جرى من أول القصة الى اخرها فقال الامير أبو محمد هل عندك علم من يانس المتغرب فقال مارس نعم هو وأصحابه فى دار البلاط فقال الامير أبو محمد انى أريد أن أدبر فى خلاصهم وأسلم اليهم العدد وآخذ البلد وقد ضربت الملعون عقبه ضربة وما أقول انه يشم الهوى ويشرب الماء بعدها ثم ان أبو محمد قال لمارس اصبر على ما أنت عليه حتى أرسل الى الامير عبد الوهاب ينزل على باب الذهب وبعد ذلك نضع السيف فى أهل البلد فقال مارس افعل ما تريد فانى من وراء معونتك فكتب أبو محمد كتاب الى الامير عبد الوهاب وأرسله مع غلامه لؤلؤ كما ذكرنا ورجع لؤلؤ الى مولاه كما وصفنا ووصل عبد الوهاب كما شرحنا ورجعنا الى سياقة الحديث (قال الراوى) وان الروم تقاتلوا بقية نهارهم على الاصوار الى أن أمسى المساء وأظلم الدجا فأتى مارس وأخيه دارس الى دار البلاط وفكوا قيد يانس المتغرب وقيود أصحابه وفرقوا عليهم العدد ثم أقبل مارس على أبو محمد البطال وقال له اعلم انى قد عملت الليلة عملا وأنا خائف منه ولكن قصدى ان نكشف هذه الغمة على المسلمين ولقد ضجرت من مقامى فى أرض الكفرة ولولا اعلم ان مقامى هنا فرج للاسلام ما كنت أقمت ثلاثة أيام وقد حصلت لك على مفاتيح المينا فلما سمع الامير أبو محمد كلام مارس فرح وقال افتح الباب حتى أمضى الى الامير عبد الوهاب فيدخل البلد ومعه الف رجل وقد بلغت غايه الأمل فان كان عقبة سالم صلبناه على خشبه على باب الذهب فعند ذلك أعطاه مفاتيح باب المينا ففتحه الامير أبو محمد وسار حتى وصل الى الامير عبد الوهاب وأخبره بذلك الخبر فقبل الامير عبد الوهاب الأرض شكراً لله تعالى على ما أولاه من جميل العظائم ثم

ان الامير عبد الوهاب وثب الى الاميرة ذات الهمه وأعلمها ثم انتخب ألف فارس أبطال اقيال وسار حتى وصل إلى باب المينا فوجده مفتوح على حاله فدخل الامير عبد الوهاب ورجاله فلما تكاملوا فى البلد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير اللهم صلي وسلم عليه وخرج الامير يانس المتغرب أيضا برجاله ومعه أصحابه الثلاثة آلاف يكبرون وطلبوا السودان باب المينا وملكوه وجاءت بنى كلاب وطلبوا الدخول وقد ثارت الروم من أماكنها وقصدت باب المينا وتضاربوا بالصوارم وقطعت الجماجم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى انهزمت الروم ودخلت السودان البلد ودعسوا فيمن جحد وكفر وحصدوهم مثل الحصيد وألقوهم على الصيد وما كانت إلى ساعة واحدة حتى صار فى البلد أكثر من عشرة آلاف من السودان مثل السباع وقد كثر من الروم الصياح وطارت رؤسهم من الاشباح وبقى القتال يعمل الى الليل عندها صاحت الروم لورك لوورك يعنى الأمان الأمان فرفع الامير عبد الوهاب عنهم السيف وفتح باب الذهب وهرب من هرب من خوف العطب وفرح المأمون بذلك ودخل على كرسى مدينة القسطنطونية وفتح الخزاين وأخرج ما فيها من الأموال وكان مالا عين رأت ولا أذن سمعت ومضت السودان الى منازلهم وأخذوا أموالهم ونسوا أنهم خاصة دور غيرهم وكذلك الملكة كرنة والملكة مليكة ثم ان الامير أبو محمد البطال سلم الملعون شومدرس الى الامير عبد الوهاب فقال عبد الوهاب للامير أبو محمد البطال وأين عقبة يا أبا محمد فقال الامير أبو محمد عندى وتحت يدى فاستوثق من المأمون فى صلبه فى هذه النوبة وقد بلغنا المنى فعند ذلك أقبل الأمير عبد الوهاب على الخليفة المأمون وقال له يا مولاى نريد ما وعدتنا به من صلب عقبة كما ذكرت لنا وقال المأمون هذا هو المراد ومسرة الفؤاد فلقد هتك ستره فى أيامى ولا بد ما أوقع به انتقامى (يا ساده) فمضى الامير أبو محمد إلى تلك المطمورة وفتح بابها فوجد عقبة جالس وهو يئن أنين ضعيف وقد عملت عليه الضربات التى فى رأسه فقال له ما حال الشيخ النجيح يئن ويصيح الساعة أصلبه ويستريح ثم تعلق الامير أبو محمد بذقنه وأخرجه من المطموره إلى أن وصل الى عند الخليفة المأمون فلما رآه المأمون لطم وجهه وقال له يا عدو الله لقد هتك الله سترك وبان للناس كفرك (ياساده) وبات الناس على أن عقبة يصلب فى غداة غد فقال الامير عبد الوهاب يامولانا ما أريد أصلبه إلا على الخشبة التى رأيتها فى المنام ثم

إن الامير عبدالوهاب أرسل الى حصن ياناس يأتى بالخشبة هذا والملعون عقبة لايجيب أحد بكلام لأنه قد أيس من الحياة ومن الجرح الذى فى رأسه وأيقن أنه هالك (ياساده ياكرام) ولم تمض إلا أيام قلائل حتى وصلت الخشبة التى قد نام الأمير عبد الوهاب تحتها وسمعها تئن وتقول اعلم أن الله تعالى قد جعل صلب عقبة على فاذا استيقظت فاقطعنى حتى يأتى إنفاذ المشيئة وتمام الإرادة وانتشب الموت له فقال المأمون انصبوها على باب الذهب وارفعوه عليها فهذا الأمر قد قضى له وأنجزه الله له هذا وعقبة ساكت لايتكلم فلما أيقن بالهلاك وسوء الارتباك نادى ياأميرالمؤمنين وخليفة المسلمين أجب سؤالى فى سماع مقالى ورفع رأسه إلى السماء ونادى : مولاى افعل ما شئت ما أعبد غيرك أنت الواحد الأحد الفرد الصمد لذى لم يشاركك فى ملكك أحد . مولاى وإن كان لابد من هلاكى فلا يكون لخليفة المسلمين فى دمى وظلمى شيئا فأنت أكرم الأكرمين ثم إن عقبة قال : إلهى وسيدى هذا المأمون ربيته على مناكبي ولا أعلم أنه يكون سبب معاطبي ومصيبتى ورجوته لكبرى فكان سببا لهوان شيبتى ولكن هذا مقبول وعلى رأسى محمول ثم إن عقبة أشار الى الخليفة المأمون وجعل يقول :

أنت الإمام وأنت خير الأمة ... أنت الذى ترجى لدفع ملمتى
أنت الذى شرف الزمان بعدله ... لماذا ترخص للبرية قتلتى
قد كان مولاى الرشيد مراعياً ... لعلو مرتبتى وطيبة عشرتى
إن كنت ماترعى أباك وفعله ... فلقد حملتك فى الزمان الصبوتى
ما طال ما كان الرعب مقرباً ... دون الأنام على السرور بحضرتى
فارحم كبير السن عبداً صالحا ... يتلوا لقرآن بحنة وبرنة
ولغربتى ولوحدتى ومودتى ... وارعى لحسن مجالسى فى صحبتى
لا تشمت بى الأعادى بفعالهم ... فتكون معهم داخلا فى قبضتى
أنا جاحد دين النصارى كلهم ... ومكسر الصلبان وسط البيعة
وحق مولانا الخليفة لم أكن ... أبداً أقول بقولهم فى خلوتى
وأنا الذى شهد الأنام بعلمه ... وبحفظه لعلوم هذى الأمة
كم ليلة قضيتها بتلاوة ... وتخشع وتخضع فى ركعتى
كم وقفة لى فى الحجاز وقفتها ... فى يوم سبت أو بيوم الجمعة
كم طفت بالبيت العتيق ملبياً ... وأقبل الأركان عند الطوفة

كم زرت قبر المصطفى وحبيبه ... منى السلام وقد بدت لى عبرتى
يا طال ما عرفتكم بمسائل ... ضاعت على الفقهاء عند المحنة
ماأنت أول من قرا فى حضرتى ... درس العلوم وكم حفظت لخطبتى
كم من كتاب قد شرحت علومه ... يسرته لكم وكم من آية
ولقد أسرت مع القسوس معذبا ... متباعدا عن موطنى وأحبتى
وضربت حتى لم يكن لى قوة ... لعذابهم والضرب أتلف مهجتى
ويقول لى شيخ لهم ياعقبة ... قسم لربك مريم القدسية
وبحق مولانا المسيح وربنا ... لازلت مضروباً بسوط بليتى
حتى تعود إلى المسيح وتمتلى ... من لحم خنزير لنا ومدامة
فأجبتهم وعلمت أنى مكره ... لما جرى لما عدمت جلادتى
وفعلت ماأبصرت كى أنجو به من ... الضرب الوجيع وقد آليت سلامتى
ما قلت انك ناظراً مترقبا ... هذا لعظم مذلتى ومصيبتى
وتنصرت سودانكم بحربوتى ... وتفرقت أبطالكم بخطيتى
وأتيت نحوك والرجال تسوقنى ... وهم يسحبون بلمتى وبلحيتى
حتى أتيت وقلت انك عادلا ... لا ترتضى أفعالهم بظلامتى
إن كنت لاترجى لدفع بليتى ... ولعظم ما أقاسى من النكبة
ياسيد الخلفاء حاشا انه ... من يستجير بك قليل النصرة
أو أن تعود القاصدين إليكم ... عود الأحبة بعد دفن الميتة
والله مابى أن أموت بصلبهم ... بل يهجوا بى فى البلاد بلعنتى
ويموت أكثرهم على إثامة ... فى ظنهم أنى تركت شريعتى
وإن فعلتم ذاك من إهمالكم ... قدرى فما تخشون رب العزة
فغداً ترونى فى القيامة صارخاً ... متعلقا بكم بذيل خليفتى
وأقول يارب العباد أما ترى ... خصماى فى الدنيا وأهل الشقوتى
خذ لى بحقى منهم عنوة ... غداً فى جنان عدن لعظم رزيتى
وأرى الرشيد على الصراط وحوله ... أحبابه يسرون نحو الجنة

(قال الراوى) ثم ان عقبة بكى وصاح: وا رشيداه واسيداه وادينياه وا إسلاماه وا ناصراه وا محمداه وا حجاه وا صوماه وا صلاتاه وا زكاتاه وا تهجداه

واتلاوتاه (قال الراوى) فلما سمع المأمون ذلك من كلام عقبه بكى وبكا الأمير عمرو ابن عبيد الله وجماعة من بنى سليم ونادى عمرو بن عبيدالله واذلاه وا إسلاماه وكذلك بنى سليم وفى تلك الساعة أشرفت العساكر راجعة والكتائب التى كانت انهزمت متسارعة (يا سادة) ثم ان الأمير أبومحمد والأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة والسودان والانجاب وبنى كلاب أقبلوا على الملوك وقالوا يا أمير المؤمنين لا تسمع مقاله ولا ينطلى عليك حاله هذا شيخ الضلال هذا صاحب الزخاريف فى المقال والمحال هذا الذى خرب البلاد هذا الذى أباد العباد هذا الذى فتت الأكباد هذا الذى أيتم الأولاد فقال المأمون أنا ما أسمع مقاله ولاينطلى علىّ محاله هذا الذى لا أجيب سؤاله بعد ما شهدت فعاله ولكن ما أصلبه إلا بمحضر من العالم ليكون ذلك أعظم لمصيبته وأقوى لشناعته وإنى أرى الجو قد اسود ولا شك أنه غبار قد امتد وهم العساكر التى كانت تفرقت رجعت وكأنكم بأعلامهم طلعت (يا سادة) وكان ذلك من المأمون بخلاف ما فى نفسه لأنه لما جرى ما قد ذكرناه وأنشد عقبه الملعون هذا الشعر كما تقدم فندم المأمون على ما فعل فى حقه وقال والله ان له علينا خدمة وربما يكون كما ذكر يجوز أنه ما فعل ذلك إلا من العقوبه وشده الخطب ولو فعل بى هذا أشرفت على الهلاك وكنت أدفع عنى ما أقدر عليه ومع ذلك فانى ما سمعت منه الكفر بالرحمن ولا يستحق القتل على الخمر وإنما عليه الحد ثمانون جلدة وقد ضرب أكثر مما يجب عليه وأنا الساعة إن قلت لهم ما فعل ذلك فلا يسمعون منى لان بنى كلاب والسودان ههنا ومالى طاقة بهم وأنا وحدى وليس عندى أحد من العساكر ولا يغلب بنى كلاب مغالب ولكن ما فى الامر الا أننى أجيبهم الى ذلك حتى تأتى العساكر وامنعهم من ذلك ومن نازعنى فيه أرغمت أنفه ولوحت قحفه ولا أقتل هذا الشيخ المسكين وأدخل به النار يوم الدين وهو حافظ كتاب الله العزيز وله الفضل والعلم (قال الراوى) يا سادة ياكرام فبينما المأمون كذلك اذ جاءت اليه العساكر وقد سكت الامير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة والامير أبومحمد البطال وسائر الامراء (قال الراوى) يا ساده ياكرام ولو كان الامير ظالم علم أن ذلك من المأمون مرافعة لكان ضرب رقبة عقبه وشرع بعد ذلك فى صلبه (يا ساده) وكانت العساكر القادمه أربعمائه ألف عنان فتفرقوا ذات اليمين وذات الشمال وهم فراحا بما قد وصلوا اليه من الغنائم والاموال (قال الراوى) يا ساده ياكرام ورجعت بنى سليم فى ستين ألف عنان ودخلوا الى مدينة القسطنطونية وقد وقفوا على ذلك فعظم عليهم وكبر لديهم وأن الخليفة

المأمون أقبل على الامير عبد الوهاب وقال له أيها الامير الاجل الرفيع المحل انا قد عولت على صلب عقبة ولكن بعد أن لا يتبقى لنا شغل حتى لا تقع الفتنة بين بنى سليم وبين بنى كلاب والصواب عندى أنك تخرج الاموال والرجال والسبايا والصبيان الى ظاهر البلد وتقسم الاموال على الناس أولا وبعد ذلك نفعل ما نريد من صلب هذا الشيطان عقبه فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الصواب وأخرج الامير عبدالوهاب الاموال والرجال وأن الخليفه المأمون أكرم السودان الانجاب وفضلهم على بنى كلاب وكذلك فعل ببنى سليم فصعب ذلك على بنى كلاب وقالوا ذلك للامير عبدالوهاب فقال لهم رضاكم علىّ وأنا أعوضكم غير هذا بقتل عقبة ولو وزنا من عندنا أموال الارض وكذلك خلاص عبد الودود ومن معه وما نريد بعد ذلك شيء وبات الناس على أن عقبه يكون صلبه فى غداة غد وكان عقبه قد توكل به أصحابه وأصدقاه من غلمان المأمون فلما تنصف الليل أرسل المأمون اليهم علىّ بعقبه فأحضره بين يديه فاعتذر المأمون له فبكى عقبه وقال يا مولاى خرب بيتى وانقطع ظهرى مثلك من يعتذرالى وأنا أعلم أنه ما حملك على تلك الفعال وعلى صلبى غير هؤلاء القوم الجهال الذين لا يخافون الله تعالى ولا سيما الامير عبد الوهاب ووالله انه رجل مجاهد فى طاعة الملك الواحد ولكن ما يغنى هذا أن يرمى مثلى وأنا صوام قوام فى هواجرالليالى وخناديس الظلام بمثل هذا المقام ولو قتلنى من غير هذا التشنيع لكان قريب وعلى سهلا وقلت للموت أهلا فقال المأمون لعقبه والله هذه قلوب أهل التقوى الصابرين على البلوى والشدائد والأوابد أيها القاضى أريد الساعة رأيك ولابد ما نشق العصى مع الامير عبدالوهاب وبنى كلاب فى غداة غد وهذا الشيطان أبوالهزاهز قد فعل مافعل فضحك عقبه وقال سبحان الله هذا كفر بالرحمن وشد أبو الزنار وصار من جملة الروم فى كل مكان فلما أن رجع اليكم صدقتموه وأنا فما جاهرتكم بشىء من ذلك وتصدقون فى فوالله ان هذا أمر عجيب ولا يليق بعقل الفطن اللبيب يا مولانا ان كنت عولت على هذا الامر فان أبوالهزاهز وعبد الوهاب فى شوكة قوية وان كانت منك المعاندة والقتال فهو سبب لهلاك الرجال وفقر الابطال وما أشتهى هذا لانك تعرفنى ما أحب سفك دم ولا ذبحت قط ولا عصفور من الرحمة التى فى قلبى ولكن تدعو الساعه بالملك ميخائيل وشومدرس وجملة الملوك وتسلمه مفاتيح القسطنطونية وتعطيهم الامان على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وتأخذ على ملك الروم العهود والمواثيق على أنه متى خرج اليك من الامير عبد الوهاب أمراً تكرهه كان ذلك

عونا عليه واذا فعلت ذلك فلابد للروم ما تجتمع عليه ويكون ذلك منهم عدة وعمدة على عبد الوهاب ثم ترسل الساعة الى الأمير قراقد وتقول له معلوم انك عملت مع عبد الوهاب ما عملت ما تابع رأيك ولا كنت عنده فى منزلة أبوالهزاهز يوما قط وقد علمت مافى قلبك من الملكه (كرنه) التى هى منية القناص ودرة الغواص وقد عولت على اننى أعطيك إياها وكل مالها وجواهرها وأرغم أنف أبوالهزاهز وتكون مقيما فى الحجاز أو فى العراق وأنا أرعى خدمتك دون غيرك (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم إن عقبة قال للخليفة المأمون يامولانا فاذا فعلت ذلك يصيرلك عبد وخادم وأنت بعد أن تبلغ المنى من الملكه كرنه إن شئت تعطيها له وان شئت تصطفيها لنفسك فما تصلح إلا لك فهى بغية العباد وما مثلها فى سائر البلاد وترسل مثل ذلك الى الامير أبوالهزاهز وتقول له قد عولت على رأى وأريد الحديث معك فاذا أتى اليك وصار عندك فى السرادق فاقبض عليه فتسلمه الى ضده الامير قراقد وتقول له احفظه عليك وقد سلمته إليك وترفع الليلة (كرنة) الى خيمتك فاذا أصبح الصباح وعلم الاميرعبد الوهاب بذلك تقول له أنا أعمل بغلمانى ما أريد وأنا أعلم انه ماينكلم فى هذا بكلمة واحدة لأنه طامع بصلبى وما يعلم أن الله قد فتح بصيرة مولانا الخليفة للهدى وفضله بالعقل والتدبير واذا قال لك عبد الوهاب ياأمير المؤمنين نريد ماوعدتنا به من صلب عقبة فقل له اننى ما أقدر أسد أفواه الناس وأخاف اننى إذا رجعت الى بغداد وعقبة قد صلب لايصدقوا اننى اطلعت على أمره واذا أنا رجعت وهو مع غلمانى وهومهتوك الستر أنادى فى مدينة بغداد حتى تعلم كل العباد ثم اصلبه بعد ذلك على الدجلة ولا يلعنوه الناس طول الزمان ويجعلون بقتله من أهل النيران فاذا امتنع من ذلك وطلب أخذى تمنعه بنى سليم وغيرها وهو فى جماعة من بنى كلاب دون الثلاثين ألف وقد تفرقت العساكر التى معه مجتمعة لأنها غنمت وسارت فقال المأمون : نعم مارأيت ثم أرسل الى عبد الملك ميخائيل لحضر وكان أسير كما ذكرنا وسائر الملوك كما وصفنا ومائة ألف بطريك ومافى مدينة القسطنطونية إلا الشيوخ والنسوان والعجائز وأما البنات فان المسلمين قد أسروهم ولما أحضروا أمر المأمون بإحضار عقبة فأقبل عقبة على الملك ميخائيل وقال له ويلك اعلم أن الله تعالى قد أوقعك لما فعلت فى حق تلك الفعال لأنك عاقبتنى عقوبة لو وقعت على الجمال ما ثارت بها وانتقم الله منك قريب غير بعيد ويلك أنت ما أغضبتنى على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وتوكلت بعقوبتى شهرين كاملين فقال الملك ميخائيل هو كذلك فقال شومدرس

معلوم انكم ما تحبون علماءنا ولا نحب علماءكم (قال الراوى) ياساده يا كرام لهذا الحديث العجيب فقال الخليفة هذا هو الصحيح إلا اننى الساعة قد عفوت عنكم بواسطة هذا الشيخ (عقبة) الذى فعلتم فى حقه مالا يطيق فى دينه وصلاحه وأنتم خدمى وخدم آبائى وأجدادى وقد مننت عليكم بأرواحكم والهدنة بيننا هى أربع سنين على أنه ما كان من هذا الأسود الزنيم والبغل اللئيم بخلاف ما أريد وكنتم عليه لا له فقبل ميخائيل الأرض وكان قد أيقن بالموت وسمع هذا الكلام فوقع على قلبه أحلى من الماء البارد على كبد الظمآن وقال أنا عتيقك يامولاى وأنت ما يليق بك إلا العفو ولقد ندمت على مافعلت فى حق هذا القاضى الذى لكم مما كنت أعافيه وهو يقول : (واحد أحد) فعلمت أنه شديد فى دينه وما أصابنى ما أصابنى من الأذية إلا بسببه إلا اننى أغضبته على شرب الخمر (ياساده يا كرام) ثم أطلقه بعد ما تقرر ماذكرنا من الهدنة هو والراهب شومدرس وأرسل المأمون الى الأمير قراقد وقال له اعلم انى قد علمت مافى قلبك من الملكة (كرنه) واننى ماأردتها فى الأول إلا لك لأننى رأيت الأميرعبد الوهاب وذات الهمة وأبو محمد البطال ميلهم إلى أبو الهزاهز وآخذ الجارية منه وأعطيك إياها وهذا الشيخ عقبة له علينا خدم وأن كل ما قيل عنه محال وهو الذى أشار على أن أقبض على أبو الهزاهز وآخذ الجارية منه وأعطيك إياها وتكون من وراء معونتنا على أن هذه العساكر كلها معنا وأنت عندنا مقيم بالعراق فان جرى من عبد الوهاب مالانريد تنصرنا عليه وأعطيك مكانه (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الأميرقراقد بتسليم الملكة (كرنه) إليه وكان فى قلبه النار من هواها فقال ياأمير المؤمنين كل مايقولوه عنهذا الرجل الصالح محال وبينهم وبين صلبه ضرب الرقاب وقطع الأوصال ومورث الوبال ولكن اقبض الليلة على أبو الهزاهز وآخذ الملكة (كرنه) من خيمته وانظر ماأفعل فقال المأمون سمعا وطاعة افعل ذلك وكن أنت على أهبة واكتم مامعك (ياساده) قال وكان أبوالهزاهز لما دعا المأمون قراقد خرج إلى حاجة فنظر الى الخادم الذى للخليفة وقراقد معه وقد دخلا إلى سرادق المأمون فأنكر ذلك لما يعلم مافى نفس المأمون منه فأنكر وعند ذلك قصد إلى خيمة البطال وهومدهوش فقال له ماوراءك فأعاد عليه القصة فقال البطال لا تبرح من مكانك حتى أمضى وأشرف عليهم وأعود إليك ثم ان البطال أتى الى أبو الهزاهز وقال له كن على حذر فان المأمون قد غدر والساعة يأتيك الخادم فلا تذهب معه ولكن رده بالتى هى أحسن وقل له أنا ماأقدر

على المجيء معك اسبب من الاسباب ولسوف يعرف به مولانا ويعزرني فيه وها أنا أمضى الى الامير عبد الوهاب وأعرفه بهذه الأسباب فاني قد حسبت هذا الحساب وماكان استمهال المأمون بصلب عقبة إلا خديعة منه حتى تصل عساكره ومايقدرون والله على ما يريدون فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياساده) وسار البطال حتى دخل على الأمير عبد الوهاب من غير استئذان الى داخل المضرب فلما رآه وثب اليه وقال له ما وراءك يا أبو محمد ما الذى أتى بك إلى هذا المكان فى هذا الوقت الذى لا أقدر أتحدث معك فيه لأنه وقت وردى من الليل وأريد أن أقضى حق الله تعالى قبل المخلوقين فقال له البطال دع عنك الطمع فان لله تعالى أمرا لا بد من إنفاذه فقال عبدالوهاب وكيف ذلك قال البطال اعلم على أن أبو الهزاهز قد غدر به المأمون لأجل قراقد لحال من الاحوال وانى مضيت فوجدت عقبة بجانب المأمون وهو يشير اليه لحال من الأحوال وقد جرى كذا وكذا وقد عولوا على قبض أبوالهزاهز وأخذ كرنة منه وقتله وقتل رجاله وفى قلب المأمون منه الذى تعلم والهوى أيضا الى كرنة غالب عليه وقد تألم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب جعل يرعد مثل السعفه فى يوم ريح عاصف وقال أحقا ما تقول يا أبو محمد قال أى والله حقا أقول فقال الامير عبد الوهاب هذا آخر الزمان بطلت الاقوال والأعمال وكذبت الناس فى الأقوال يا أبو محمد امضى الى أبو الهزاهز وقل له يمضى اليه ودعه يقلبه البغى حتى ننظر ما يكون منه فوالله انها أدمية قد فارت وكأنى بهامن أجسادها قدطارت وبعد ما مضيت القضية ونصبت الخشبة على باب الذهب اقسم لم أنزلها حتى أصلب عليها عقبة فاخرج وقل لابو الهزاهز حتى يمضى اليه ودعه يقبض عليه وأنا الساعه أدهمه بالسودان وآخذه من ذلك المكان ودع يجرى مايجرى قال البطال ان الخلق كثير والعالم غزير قال الامير عبد الوهاب آخذه وأهجم على مدينة القسطنطونية وأغلق أبوابها وأصلبه والكل ينظرون اليه وليس فيهم من يقدر على راحة يوصلها اليه ليعلم المأمون أنى غير عاجز ولا مغبون ارجع أنت وقل لابو الهزاهز كما قلت لك حتى آخذ لك المضرب الذى فيه كرنة واهجم أيضا على الخيمة التى فيها الاسارى وآخذ ميخائيل وباقى الملوك وأصلب ميخائيل وعقبه وأهلك الاثنين ولا ينتطح فيها شاتان فلما سمع البطال هذا الكلام مضى وقلبه على جمر الغضى فوجد الامير أبو الهزاهز جاثيا على ركبتيه وهو يهدر قال له البطال كيف خاطبت رسول الخليفة قال أبو الهزاهز هاهو بين يديك نائم فنظر البطال اليه فاذا هو ميت وقد ضربه على صرصوره فمضى الى رحمة

ربه وهو ملقح بين يديه فى جانب الخيمة (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما رآه البطال ونظر الى ذلك الحال قال له ويلك قتلت رسول الخليفه قال أبو الهزاهز أى يا أبو محمد وان أكثرت أنت الآخر فضولك وكلامك قتلتك معه فقال له البطال دع عنك غلاظة الطبع وجفاء السودانية فان الامير عبد الوهاب يأمرك ويقو لك امضى الى الخليفة وهو خلفك بالسودان فان هو قبض عليك تكون الحجة عليه ونأخذه الساعة والقاضى عقبه معه فقال أبو الهزاهز لو علمنا ان الامر هكذا مالنا قتلنا رسول الخليفة ولكن أمر الامير طاعة ثم أنه سار الى خيمة المأمون من ساعته فما هو الا أن دخل حتى تبادرت اليه الاتراك والديالم فعند ذلك صاح أبو الهزاهز صيحته المعروفة بصوت شنيع حتى اسمع العسكرين وأذهل الفريقين والمعشرين(قال الراوى) ياسادة يا كرام وسمع الامير عبد الوهاب صياحه فكاد فؤاده أن يطير وينفطر وصاح فى الرجال وسراة الابطال هذا وملك الروم ميخائيل قد تحقق وعلم ان عقبة قدأتقن النوبة وكان عقبه قد أرسل الى الامير عمرو بن عبيد الله وقال له خذ الاهبة فى هذه النوبة تتخلص من بنى كلاب وما يبقى لك فى هذه النوبة فى ملطيه من تخافه وقد سخط مولانا الخليفة عليهم فاذا وقع الصوت خذ الاهبة وأهرق دماء بنى كلاب واضربهم بالصارم القرضاب فلما سمع الامير عمرو بن عبيد الله صياح أبو الهزاهز ثار فى ستين الف عنان من بنى سليم وثارت الترك وثار الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة فى بنى كلاب والسودان الانجاب وخرج المأمون وركب قراقد بين يديه فلما ركبت الابطال وتصايحت الاقبال زحف بعضهم على بعض وتواقعت الفرسان على الفرسان على الارض هنالك اقبل الامير أبو محمد البطال على الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وقال ماكان إرسالنا لابو الهزاهز صواب قال عبد الوهاب اعلم انى قلدته البغى ومابقى أحد الا ودارت عليه الدوائر واقبلت الاميرة ذات الهمة على ولدها وقالت له اعلم يابنى ان لاجل همتك وقوة عزيمتك تهلك باقى عشيرتك لانك فى قلة وهذا المأمون فى كثرة قد صبروا أصحابك على البلاد هم والسودان قد صاروا مع قراقد لان المأمون اطمعه فى كرنة أنه يعطيها له ويجعله عوضا عن أبو الهزاهز وأن يجعله من اخصائه ويبلغه ما يتمناه فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب رآه صواب (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان الامير قال يا أماه كيف الحال أنا لا أقرر على الرحيل لانى أنا الذى أقدشرت على أبو الهزاهز أن يمضى اليه حتى قبض عليه ثم انخلا عنه فكيف يكون التدبير وكيف انحلال هذه العقدة وهذا أمر غير الجميل

ولا يفعل هذا إلا كل ذليل والمأمون لا يبقى عليه لأن فى نفسه الذى تعلمين (يا ساده) وأقام الأمير عبد الوهاب إلى عند الصباح وقد تغلغل عسكره من واحد واثنين قال وأرسل ميخائيل إلى سائر الجهات بأن الصلح وقع بينه وبين المأمون على عبدالوهاب وبنى كلاب وقد وقع أيضا بينهم السودان وقد اختلفوا وتكررت المودة التى بينهم وأريد أن لا يختلف منكم لا كبير ولا صغير بل يقصدون إلى مدينة القسطنطونية وأمر بسد المواضع على الأمير عبد الوهاب حتى لا يبقى له مسلك ولا مهرب وأرسل إلى سائر المذاهب والمنافذ والرساتيق التى لسائر الدروب والحصون القريبة والبعيدة قال وسمعت الروم بذلك من سائر الجهات فاستبشروا وجاءت البطارقة من كل مكان من حنقهم على الامير عبدالوهاب لا يخافون إلا منه ومن بنى كلاب لا من الخليفة ولا من عساكر العراق ولما أن سمعوا أن المأمون وسائر العساكر اتفقت عليهم زاد فرحهم وساروا الى أن وصلوا الى مدينة القسطنطونية وفرح المأمون بذلك لانه قد صار فى سبعمائة ألف مقاتل وقد علم بسد الدروب على الامير عبد الوهاب فرح واطمأن قلبه (قال الراوى) يا ساده ياكرام وبلغ الامير عبد الوهاب ذلك فعظم عليه وكبر لديه وعلم أن الصواب كان مع الاميرة ذات الهمه فى الرحيل والانتزاح قبل هذه الامور التى جرت والاحوال التى طرت فلما رأت الاميرة قدوم ولدها قالت له دع عنك الآن ما مضى وخذ فيما هو آت قال يا أماه ما أنا بأول من قتل ظلما وان كان لى فى السابقة أنى أموت حتى أشتفى من عقبه فلا يقدر مخلوق أن يتعرض وان قضى لعقبه أنه يلعب برأسى وعوارضى مخضبة بالدماء فالامر لله سبحانه وتعالى الذى يفعل ما يشاء لأننى عبد وما للعبد أن يعترض على المولى فلما سمع الامير ظالم ذلك قال والله ان أمركم لعجيب انما يفزع من الموت من يطمع فى الخلود والدوام فيخاف من ضرب الحسام وتصاريف الحمام فدع الموت يأتى بكل الاسباب والله لابد لنا من الطعان والضراب ونترك الرقاب والارض بالدماء مخضوبة والاكف مقطوعه والآناف مجدوعه وقال سيف الحنيفيه كذلك لأن من ذاق طعم الموت مرارا فلا يبالى رحل الموت وأقام وسار (يا ساده) وقالوا بنى كلاب نقسم بالله تعالى لقد كبر علينا المأمون ومكر بنا بعدما عاين من عقبه بعينيه ماعاين وشاهد ما شاهد ورجع اليه وغضب على أبو الهزاهز وسودانه وأطلق ملك الروم وما فى المصائب أعظم من هذا وان الصبر على القتال وضرب الصقال ولا غبن الرجال وتكلمت سودان أبو الهزاهز وسودان الامير عبد الوهاب بمثل ذلك وقالوا ما فينا أحد الاوطاب قلبه على الموت والشهادة (قال الراوى) يا سادة ياكرام ولما

أصبح الصباح ركب ملك الروم فى بطارقته وهم ثلثمائة ألف والمأمون فى أربعمائة ألف وقد قدم الامير عمرو بن عبيد الله والترك والديلم وعرب بنى سليم بين يديه وقد جعل عمرو مقدما على الجميع وأمرهم بطاعته وأن يقاتلوا فى ركابه ويكونوا من جملة رجاله وأصحابه وقدم قراقد على سودانه وأضاف اليه ثلاثة آلاف من الهنود وألفين من الديلم فصـــار قراقد فى عشرة آلاف فارس ما بين مدرع وتارس وقدم الباشا على الترك وبندويه ابن ميكائيل على الاكراد والـكل تحت ركاب الامير عمرو بن عبيد الله وهو صاحب التقدمة وملك الروم ميخائيل قدم على كل طائفة بطريقا معروفا بالشجاعة موصوفا بالبراعه وكان الملعون فرق الجيش أربع فرق وجعل فى الفرقة الاولى الصليب الاعظم والى جانبه علم من أعلام الخليفه المأمون علامة الصلح وأنه مطيع له وقدم عليه أرمانوس بن مدارس وقدم على الطائفة الثانية ارموس وعلى الثالثة معدسود بن نقولا وعلى الرابعة برصوما بن ماريحا (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما نظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك أقبل على يانس المتغرب وقال له اعلم أننا من تحت البلاء خلصناك وهذه النعم وهذه الأموال التى وصلت اليك والى أصحابك هى عوضا عن ما مضى وهذا عبد الودود من وقت ما تخلص ما هدى له قلب ولا تهنأ معنا نخذه اليك وعود إلى حصنك وخذ أصحابك واطلب أهلك وإذا وصلت اليهم فاعرض على القوم الذين فى حصنك من بنى كلاب والسودان هذا الأمر فان أرادوا المقام عندك فليفعلوا فان ما لهم طريق الى بلاد الاسلام لأن الدروب مسدودة عليهم وإن أرادوا المجىء الينا لمعونة أصحابهم فليفعلوا فما لهم طريق الا الينا قال يانس المتغرب لما سمع كلام الامير عبد الوهاب ايش هذا الحديث أيها الامير هيهات هيهات أن أمضى الى حصنى وأنت ههنا قد صرت غريقا بين بحرين زاخرين وجبلين شامخين ولى أسوة بك أيها الأمير (قال الراوى) يا ساده يا كرام فقال الامير عبد الوهاب امضى أنت يا مبارك الى ما قد ذكرت لك ولا تخالف لى قولا فما بى الا أن يتم علينا أمرا من الامور فيكون الاعدا تبلغ الغرض من الجانبين فقال عبد الودود أيها الامير والله ما رجعت الى الاوطان ولى ولقومى عين تطرف ولابد من القتال والضرب والنضال والموت لابد منه ولكن النسوان الذين معنا يمضون مع الامير يانس الى حصنه فقال الامير عبد الوهاب ذلك اليكم وأبواب الجنة مفتحة بين أيديكم ولابد من انقاذ الثقل الذى لنا فاذا حصل فى الحصن قاتلنا نحن على قدر ما نجد من القوة والجلد والاتكال على الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا يخيب من عليـــه اعتمد وان لم يكن لنا على المقام اصطبار ووقع بنا الانبهار طلبنا الفرار والهرب

من صورة العطب وتركنا الاعداء فيسلم من سلم ويعطب من عطب ثم إن الامير عبدالوهاب قسم أمراء بنى كلاب أربع فرق وكانوا عشرين ألفا دفع الى ولده الامير ظالم راية بيضاء مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأمره أن يقف بها فى الميمنة فسار الامير ظالم كأنه الأسد الهاجم حتى أتى الى المكان الذى أمره به والده وهو ينشد ويقول :

لقد عايرتنا أم هند بأننا قليل وأن الخائنين كثير
فقلت لها لا تجزعين فإننا رأينا كثير الجاحدين قليل
سنصبر صبر الأكرمين وتنظرى من الضرب عند النقع كيف يقيل
أنا ظالم المعروف فى كل معرك سأجعل عمران الرجال قصير

(قال الراوى) ودفع الراية الثانية إلى ولده الامير سيف الحنيفية وقال له يا ولدى هذه نوبة ما تم علينا مثلها ولك اسوة بأبيك فخذ هذه الراية واعلم أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وانظر الى مابين يديك واعلم انهم فى سبعمائة ألف فارس ونحن فى هذه القلة فلا تحمل إلا وقد طابت نفسك على الموت واجعل أكثر قصدك الى الروم فقال سمعا وطاعة وأخذ الراية وكانت حمراء مكتوب عليها بالأصفر (سبحان من قهر الجبابرة بالفناء والقياصرة بالموت) وسار بها الاميرسيف الحنيفية وهو ينشد ويقول :

إذا غدر المأمون من بعد حلفه وصدق شيخ الكفر والجحد والجهل
واتبع رأى السود من أجل عقبة وخلصه من قبضة الصلب والقتل
ومن بعد هذا يطلب الروم حربنا وسوف ترى منا رجالا بلا ذل
ونطعن لبات الرجال وننثنى إلى ضرب أعناق الأكارم بالنصل
فقد وجلال الله أخلف وعده وجار علينا بالمقال وبالفعل
أنا سيفهم واليوم يظهر جوهرى عليهم ولا الرأى بقولى ولا عدل

(قال الراوى) وسلم الأمير عبد الوهاب الراية الثالثة وهى مسودة مكتوب عليها بالبياض : (من اعتصم بالله نجا) وسلمها الى الملك عبد الودود ملك الملثمة لأنه أقسم عليه بالله العظيم وكان الملك عبد الودود طاعنا فى السن إلا انه فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق بصير بالحرب خبير بالطعن والضرب وانه لما أخذ الراية هزها وتذكر ماجرى عليه من الأهوال فرفع صوته ولعلع بنغمته وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

لقد ذهب أكثر عمرى سريعة وزادى قليل ليس يمكننى غيره قط
وقد ضعفت عيناى من طول مدتى وحل برأسى الشيب إذ نزل الوخط
وكان شبابى للجهاد مطية لها عزمة زالت بهيجانها البسط
إذا عثرت خيل الرجال برؤوسهم لديها واغبرت داميمها الملط
ولم يبق إلا درهم بعد مائة وفى كل يوم درهمى سوف ينحط
وقد أبصرت عيناى دهرا عجائبا ولم ترى يوما مثل ما أبصرته قط
يهين أمير المؤمنين مقدماً بفضل ودين لايجور ولا بسط
ويسمع من قول الذى صح كفره لقد ابعدوا بين الحكومة والشطط
ألا مبلغ عنى الخليفة انه سيندم إذ سيست من الخطب النفط
ويبلغ منه عقبة ما يريده ويسمع فى اعراضه الكلم السقط
أيرفع فيكم عقبة بعد ذلة ويهمل مولانا الامير وينحطط
وتكثر أوباش اللئام ولا يرى كرهط كلاب حين يفقدهم رهط
وسوف ترى منا رجالا تعودت هلاك العدا بالأبيض اللون والخطط

(قال الراوى) ودفع الراية الرابعة الى الاميرة ذات الهمة فأخذتها بعدماهزتها ورجعت الى طبعها العربى وأنشدت تقول :

كل يوم لى غرام وأحزان وحظى منه فى الزيادة والنقصان
فيوم نخوض الروم فى معرك الوغى ونطلب من رب البرية غفران
ويوم تعود المسلمون بأسرهم علينا وأبطال لديها وأقران
فمن بين أيدينا رجال جميعهم يروا حتفنا بين البرية بهتان
يريدون قتل السيد البطل الذى له موقف لايدعى ذاك إنسان
ولو ظفروا يوما لكان قتالهم لهم شرر ولى بعاد حرمان
ومن دون هذا لبوة عامرية ستترك هامات الطوائف ميدان
وأنتم لدينا لا نبالى بجمعكم ومن خلفكم أيضا قسوس ورهبان
وسوف يبين الحق فينا وفيكم إذا ضمنا فى موقف الحرب ميدان

(قال الراوى) وأخذ الامير عبدالوهاب الراية الخامسة وهزها وكشف رأسه وخفف لباسه وبقى فى غلالة انطاكى وقد اعتجر ببردة يمانية ونادى : يا آل كلاب يا آل كلاب فأقبلت عليه مثل الذئاب وقالوا له لبيك ها نحن بين يديك فأمرنا بأمرك فما فينا من يخالفك (قال الراوى) فهم كأنهم زبر الحديد أبطال صناديد

وهم قد ضربوا صفوفا وفى أيديهم السيوف فلما نظر المأمون الى ذلك أقبل على وزيره ذو العلمين وقال له أما ترى الى الأسود الزنيم والبغل اللئيم يؤمل أن يلقى هذا الجمع العظيم الذى هو مثل الليل البهيم فعندها قال الوزير : يامولانا إن كنت تسمع ماأقول فما مثل هذا من يفرط فيه ولا يجب علينا أن رجلا فى عشرين ألفا يريد أن يلقى سبعمائة ألف . هذا لايجب طرده فافعل ماتريد واحسبنى من جملة العبيد لأنه يقال فى الأمثال (إذا كان النصح لايقبل فترك القول أنفع) ومولانا إذا كان لايلتفت الى قول مملوكه ولايعول على حديثه فلا حاجة له لأنه قد صح عند المملوك يامولانا وعند المسلمين جميعا أن القاضى عقبة أسلم وما به قد أحكم وأنت أخبر الناس بالأمر قبل أن يحصل التدبير فسكت الخليفة المأمون ولم يلتفت الى كلام الوزير ذو العلمين بل فى الحال أرسل الى الامير عبد الوهاب يقول له اعلم أن الذى قد ثبت عندى وعند المسلمين وعلماء الموحدين أن القاضى عقبة قد أسلم وأن الذى جرى منه ماهو باختياره وقد شهد له الملك ميخائيل وحلف قدامى بالإنجيل أن هذا كله منه وانه أغضب عقبة حتى فعل مافعل وقد عاد الى دين الاسلام واعترف بالوحدانية للملك العلام وبعد هذا مالى منه إلا الظاهر والباطن لله تعالى وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتيه المنافق المتجرىء على الملك الخالق فكيف أقتل أنا هذا الشيخ وهو إمام من أئمة المسلمين وعالم من علماء الموحدين ولايجوز أن يكون كافر وهو يحفظ كلام الملك القادر والآن قد عفى الله عما سلف فسلم إلينا الملكه كرنه والسبعة آلاف أسود أصحاب أبو الهزاهز الذين تنصروا وشتمونى وقد علموا اننى أنا خليفة المسلمين وعملوا فى حقى ما عملوا وجردوا سيوفهم فى وجهى وعادوا بعد ذلك ورجعوا الى دين حتى نحقن دماءهم ويسلموا مذعنين للحق وهذا أبو الهزاهز يهددنى فى شعره ويعرض بذكرى فى نظمه ونثره وأنا أخبر الناس بأمره واذا لم تفعل ذلك انصرف حيث شئت وبعد ذلك اطلب لك غيرنا فاننى ما أريد صاحبا إذا قلت لا قال نعم ثم يخرق بى فى كل يوم ويقوم مقامى ويطلب قتالى وحربى ونزالى حتى كأنك صرت من أمثالى وأشكالى وإن أنت أبيت ذلك فسوف ترى ماترى فلما وصلت الرسالة الى الامير عبد الوهاب رد الجواب فى ظاهر الكتاب وهو يقول يا أمير المؤمنين : أما بعد فإن الله تعالى يقول : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وحاصله لو أردت أن تجعله خليفة العصر والزمان وصاحب الامر والنهى لفعلت ذلك وهو عليك هين وأما قولك أن أسلم إليك السودان من أصحاب أبو الهزاهز

فان ذلك بعيدا جدا ولا أفعل ذلك أبدا ولكن ان أردت الانصاف وحقن الدماء الذى للسلمين فاطلق لنا أبو الهزاهز حتى أنصرف عنك والارض واسعه وأما قولك أسلم لك الملكة كرنة زوجة الأمير المجاهد والأسد المراصد فهى فى جوارى وتحت زمامى فهذا لا يكون ولو شربت كاس المنون وسوف ترى العجب وإلى الله عز وجل المنقلب (قال الراوى) فلما وصلت الرسالة الى المأمون بهذا اللفظ عظم عليه وكبر لديه وقالت له مقدمين الطوائف الصواب يامولانا لا تحمل على قلبك فنحن اليوم ان شاء الله تعالى نأخذهم بأسرهم ثم ان خشترين الكردى تقدم اليه وقال له يا أمير المؤمنين أنا آتيك برأس عبد الوهاب على أنك تعطينى قلعة المنشار وتزوجنى زوجته القناصه أم الأمير ظالم فإن ظالما ماجاء نجيبا إلا منها ومن نجابتها فلعل أن أرزق منها ولدا ذكرا يكون لى به ذكرا بعد الموت فقال المأمون لك ذلك على (قال) وكان خشترين الكرى هذا من أجهل الأكراد وأكثرهم فساد جبار من الجبابرة وانه لما خرج الى الحرب وموقف الطعن والضرب نادى يخرج لى الأمير عبد الوهاب فإنى أعطيت على قتله قلعة المنشار وزوجته القناصه زوجتى بعده مهرها لا يخرج اليه غيرى (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك قامت اليه القيامة وأراد الامير عبد الوهاب الخروج اليه فلم يمكنه الأمير ظالم وقال أقسمت لا يخرج اليه غيرى لأنى أنا أحق بمهر أمى قال وخرج من بعده الأمير عمرو بن عبيد الله السلمى فخرج اليه عبد الودود بعد أن استأذن الأمير عبد الوهاب وخرج من بعده الأمير سيف الحنيفية لبندونا وخرج الامير مالك بن طوق فخرج اليه دريدرس الرومى وخرج من بعده أرمانرس فخرج اليه أفخر من لبس الملبوس وأزال العكوس وطابت عند رؤيتها النفوس الاميرة المجاهدة ذات الهمة وهم كل واحد منهم ان يحمل على خصمه وإذا بصياح قد علا والصراخ قد نما فى عسكر المأمون فتأملوه الناس بالأعناق وشخصت نحو الصياح الأحداق وإذا به الامير أبو الهزاهز وهو يضرب الأبطال يمينا وشمال وبيده حسام كأنه درابة باب وهو يضرب ويصول وهو هائج كالجمل إذا انحل من العقال (قال) وأحدقت به السودان قراقد وهو يفصل فيهم فصل الشعير وقد تكفل بذلك الجمع الغزير وهو يطلب الخلاص والذهاب الى عسكر الأمير عبد الوهاب (قال) فلما نظرت سودان أبو الهزاهز الى ذلك طلبوه وبأرواحهم فدوه وقالوا له جود يا أبو الهزاهز فى القتال ها نحن قد جئناك ثم حملوا وأرموا أرواحهم الى القتال مثل الطائر إذا

رأى فراخه ورمى روحه يطلب خلاصهم وهو لا يفكر فى عاقبة أمره وضربوا فى عساكر المأمون ضربا شديدا حتى رموهم على الصعيد واختلط بعضهم ببعض وكذلك المبارزون (قاله) ونظر الى ذلك المأمون وصاح بالعساكر كلها وقال لاتدخلوا بين أبو الهزاهز وسودانه وقراقد وسودانه والهنود والديلم خلوا بعضهم لبعض حتى يشتفوا من الصرب فان هذا يوم عظيم يشيب لهوله الطفل الفطيم (قال) فلما قال المأمون ذلك أمسكوا عن القتال والحرب والنزال وكان ذلك برأى الوزير الكامل والرجل الفاضل ذو العلميه لأنه لم يعجبه فعل المأمون ولا أراد سفك الدما وهلاك الورى وكان قد قال ذلك على وجه الاشفاق وقامت الحروب على ساق وعملت الصوارم وفلقت الجماجم وشوشت العمائم وعمل الصقيل وشوش الوجه الجميل وخرس اللسان الجليل فما كانت إلا ساعة واحدة حتى أفنوا سودان قراقد خلق كثير وان أبو الهزاهز التقى بقراقد فى وسط العجاج وضربه ضربة أوثقه بها فوقع الى الارض وانقض عليه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير واقتتلت الهنود والديلم وحل بهم البلاء والنقم (قال) ولما نظرت سودان قراقد أميرها قد أسر خافوا من عاقبة الامر وذكروا أيادى الامير الذى سلفت ووصلت اليهم فنادوا عبد الوهاب يا منصور ومالوا اليه وأقبلوا عليه وفى تلك الساعة خرج الامير ظالم وقد قبض على رقبة خصمه زوج أمه وقاده ذليل حقير أسير وخرج الملك عبد الودود بالامير عمرو بن عبيد الله وخرج عبد الوهاب بخصمه وهو يجره من أذنه وخرجت الاميرة ذات الهمة بخصمها وكل واحد قد أخذ صاحبه فلما نظر المأمون الى ذلك عظم عليه وكبر لديه وحمل بالعساكر كلها هذا وقد عظم أيضا على ملك الروم ميخائيل أسر رجاله وحماة أبطاله فحمل وأما الامير عبد الوهاب فانه قال لقومه بيعوا النفوس مادام المشترى يراكم بعين رحمته لتدخلوا جنته (قال) وأما الملك عبد الودود فإنه قال لا إله إلا الله محمد رسول الله هذا يوم الشهادة وكان فى تلك الليلة قد رأى ابنته فى القوم التى كانت زوجة ظالم ابن الامير عبد الوهاب وهى تقول يا أبت أنت الليلة ضيفى لأنك غداه غد شهيد وأنا شهيدة لانى مت غريبه وموت الغريب شهادة فلماسمع ذلك أيقن بالشهادة فى ذلك اليوم فحمل وهو ينشد ويقول

إبنتى لما رأتنى قالت ستمس ... عندنا من غير بعد
وتصبح حين تلقانا شهيدا ... على حسن المقام بدار خلد
كذلك من يموت غريب أهل ... غريب الدار من أهل وسعد

فقلت لها سأحمل فى غداة واطلب منه انجاز الوعد

(قال الراوى) وحمل فى البطارقة وحملوا عليه وأحاط به الف فارس فقتل منهم فى ذلك اليوم سبعين وقتل من بعد ذلك وعجل الله بروحه إلى الجنة دار الفضل والمنة ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن أمسى المساء وأقبلت غياهب الدجا وقد تضعضع العسكر الذى للامير عبد الوهاب لما قد أحاط به من المواكب والكتائب وتأخر إلى ورائه قدر نصف فرسخ فتصايحت به الأبطال وسراة الاقيال وأحاطوا به مثل السوار فى المعصم حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الرجال وهمهمت الأبطال وأحاطوا بهم من كل جانب وندبت النوادب وعظمت المصائب وعمل القتال واشتد النزال كذلك طول النهار الى الليل فنزلت الرجال عن الخيل وقد أيقن المأمون انه فى غداة غد يأخذهم بلا قتال ولا نزال فما مضى من الليل هجعة الا ديانس المتغرب قد دخل عليه وقال يامولانا أموالنا تؤخذ فى غداة غد فيسلم من يسلم ويعطب من يعطب فقال الأمير عبدالوهاب يا أخى سألتك بالله العظيم وباليوم الآخر خذ الأثقال وامضى الى حصنك كما قد ذكرت لك فرحل الأمير يانس بالأموال والنساء التى للملك عبد الودود وطلب الأمير عبد الوهاب البطال فلم يجده فخشى عليه أن يكون قتل فى الحرب فهو على غاية من الكرب وقد أتى حالك الظلام وأطلع الحى القيوم العلام الذى لاينام واذا بالبطال قد أقبل وهو يلهث من حمل ثقيل فقال له عبد الوهاب ماوراءك يا أبو محمد جعلت من الاسواء فداك وما حملك فقال هذا ملك الروم ميخائيل فعند ذلك فرح الأمير عبد الوهاب وكاد من الفرح أن يطير واذا بغلمان البطال قد اقبلوا فقال الأمير وما معكم فقال لؤلؤ أنا معى المانسطر ومع سبك البطرك ومع بديع الكلب شومدرس الملعون ثم قال ياأخى هذه نوبة الروم ونريد أن نمضى الى عسكر المأمون وسوف نرى ما يكون ففرح الامير عبدالوهاب وقال لله درك يا أبو محمد فمثلك فى البلاد لايوجد (قال) وسار البطال وغلمانه معه باقى ليلته الى عسكر المأمون وقد ذهب من الليل أكثره ولم يبق الا أيسره فلما وصلوا الى عند السرادق كان الملعون عقبه قد خرج من عند المأمون لأنه كان عنده يدبر له المصالح ويشير اليه برأيه الناجح وقد سير معه مائة من الاتراك يرمون على الخندق كأنهم الشياطين وقال لهم المأمون هذا حفظه عليكم وهو برؤسكم وأنا أقسم بحق آبائى وأجدادى الطاهرين لئن حدث عليه حادث لاضربن رقابكم فقالوا يا أمير المؤمنين لو اجتمع أهل الارض فى طولها والعرض لما قدروا أن يسرقوه منا ونحن أخبر

بالحيل وبنا يضرب المثل وكل من رأيناه طاف بالخيمة سقيناه كاس المنية ونوقع به كل البلية (قال) فلما نظر أبو محمد الى ذلك وعقبه خارج من هنالك قال لغلمانه اعلموا اننى قد تم لى الدست على عقبة والساعة آخذه بلا محالة ثم خلاهم ومضى الى خيمة سلارنوش وكان من خواص المأمون وهو أمير محتشم أخفس العينين قصير أزرق أشبه الناس يا أبى محمد البطال (قال الراوى) ياساده يا كرام وكنت اذا حدثت الخليفة الواثق بالله تعالى يتعجب من حسن هذا الاتفاق فدخل أبو محمد الى خيمة سلارنوش فوجده نائم فأخذه قباه ومنطقته وشربوشه وقوسه وحجفته لان سلارنوش كانت لحيته من غير شعر لم فيها غير شعرات شقر قليلة وله عرف بين عينيه وكان أبو محمد قد رآه وعرف زيه فلبس قباه ومنطقته والقلنسوة الذهب على رأسه ونتف لحيته وبرق وجهه وأقام له عرف بين عينيه مثله حتى أنكره أصحابه وصار سلارنوش على الحقيقة وأخذ فى يده دبوسا بعدأن لبس ملبوسه وسار طالب الخيمة التى فيها القاضى عقبه وأول من لقيه فى طريقه غلمانه لؤلؤ ويانس وسبك وجوهر فلم يعرفوه بل قال لؤلؤ ليانس لا شك ان المأمون قدم هذا الشيطان المريد والجبار العنيد على حفظ عقبة فى الليل فلما سمع الامير أبو محمد كلامهم طاب قلبه وعلم أنه قد تم له ما يريد فصاح بهم بالتركى المغلق من أنتم فى هذا الوقت وكان لؤلؤ يعرف بالتركى فكلمه وقال قد أتاكم والله ما لم يكن فى الحساب اقبضوا على الخناجر حتى اذا زاد عليكم هذا الشيطان فى القول اضربوه فما معه أحد ثم أقبل لؤلؤ عليه وقال له أيها السلار الاجل الرفيع المحل نحن من حماة الليل من قبل المأمون فلما سمع أبو محمد كلام قال تكذب يانذل يابن الانذال كأن كلامك كلام غلام البطال فلما سمع لؤلؤ ذلك أصفر لونه وتغير كونه ثم قال هلكنا ورب الكعبة أنا خبير بهذا السلارنوش يريد لرأسه ألفا من الابطال دونكم واياه قبل أن يلقى عليكم الصياح فعند ذلك ضربوا بأيديهم الى الخناجر وصاح فيهم أبو محمد بالعربى هذا جواب من يريد يمشى فى الليل فلو كنت سلار على الحقيقة لما كانت خناجركم تنفع وكانت رؤسكم تقطع وتصفع فلما عرفوه تعجبوا منه ومن عظم حيلته وغريب صنعته (قال) ثم ان الامير أبو محمد سار حتى وصل الى خيمة عقبة وكان ترك الترك كلهم يدورون حول الخيمه وخمسين على بابها قد أوتروا القسى وعملوا فيها السهام وهم قعود فى خندس الظلام وقال لهم عقبة لو تخيل لكم اضربوه بالسهام فان أبا محمد المنصور فى كل كنيسة فى كل صورة أراد ثم أنه قد دخل الى الخيمة وأخذ فى حجره مصحف قديم وقعد يتلو القرآن والمصحف من عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المأمون قد أهداه له وهو بخط أمير المؤمنين على ابن أبي طالب كرم الله وجهه وكان لا يفارق المأمون بالله فى سفر ولا فى حضر وكان عقبه قد طلبه تلك الليلة وقال يا أمير المؤمنين أريد أن أقرأ فى هذا المصحف الى الصباح حتى تعود بركته علىّ وما يقرأ فى هذا المصحف أعرف منى لأنى خبير بقراءته وهو خط ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على عليه السلام فقال له المأمون خذه اليك فانك حقيق بما ذكرت فأخذه عقبه وجعل يقرأ فيه على غير طهـــاره إلا أن المأمون له الظاهر والله تعالى متولى السرائر لأنه كان أعلم أهل زمانه ولما دخل الخيمة رفع صوته بقراءة القرآن حتى لا ينام وأطرب الأتراك بحسن صوته وطيب نغمته وجعل يقرأ حتى أبكى العيون ولم تكن قراءته إلا لعنة منه من خوفه أن لا ينـــام الأتراك ويتم عليه أمر من الأمير أبو محمد البطال وأبو محمد وغلمانه والترك من حواليه فلما عاينوه لم ينكروا من أمره شيئا انه سلارنوش وأبو محمد قد غلق عينيه حتى صار تركى من ألف سنة ونظروا ثيابه وعدته وشربوشه وقدسه وهيبته فلم ينكروا من أمره شيئا فلما حققوه قاموا اليه وسلموا عليه وجعلوا يقبلون يديه ورجليه وقالوا له ما الذى أتى بك فى هذا الوقت أيها السلار الأجل فقال لهم مولانا أمير المؤمنين أرسل الى الساعه خادمه منهج وقال لى مولانا يقول لك الحق الغلمان الذين أرسلتهم إلى خيمة القاض عقبه فهو خائف عليه لأنه رجل مطلوب من هؤلاء القوم وما يحفظه أحد مثلك وقد أتيت اليكم ولى أسوة بكم فعندها دخل أحدهم الى عقبه وأعلمه وكان عقبه يسمع بهذا السلارنوش وانه عند السلطان من خواص الغلمان الذين بين يديه ففرح بذلك الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال لا عدمت همة أمير المؤمنين أدام الله له الرفعة والتمكين فهو الامام ابن الامام المفضل على سائر الأنام وأريد اخرج إلى هذا السلارنوش المحتشم الذى هو عند مولانا مقدم واشكره على هذه الفعلة التى وقعت فى حقها وموضعها ثم خرج والمصحف فى يده وهو يقرأ فسمع أبو محمد صوته وهو خارج اليه فحمل من خروجه هما عظيما لما يعلم من لفتته وخبثه فقرأ هذه الآية (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وان عقبة لما نظر الى أبو محمد وعليه القبا وعلى رأسه ذلك الشربوش المرصع بالدرر والجوهر وهو يتلألأ من البلخش والفيروزج رمى نفسه عليه وأخذ المصحف وجعل يمر به عليه ويقول بحرمة ما فيه اشفيه وعافيه كما جعل نفسه لى الوقاء وعرف أبو محمد كلامه فقال

فى قلبه آمين ان لم أنتقم منك بالعين ثم قال أيها السلار ادخل معى الى الخيمة على السرير الذى أنا عليه حتى أقرأ لك هذا الكتاب وأفسر لك الحكمة ووعده ووعيده وتنزيله وكل حرف نزل فيه فى معنى وكان عقبة خبير بلسان الترك على سائر الأجناس فكان أبو محمد كذلك ودخل أبو محمد وعقبة معه وجلسا على السرير وجعل عقبة يقرأ ويبكى وجعل أبو محمد يبكى وحدث الامير أبو محمد للامير عبدالوهاب أنه سمع من عقبة فى تلك الليلة من التفاسير الغريبة والأمور العجيبة ما لا سمعه من الأئمة الكبار فى سائر الأقطار والأمصار وكنت فى طول ليلتى مفكر فى رواية الأحكام وطرده عن دين الاسلام ولم يزل عقبة يقرأ إلى أن ذهب أكثر الليل وخاف أبو محمد أن يصبح الصباح عليه ويفوته المقصود عند ذلك تناوم ورمى بنفسه على السرير فقام عقبة يقرأ إلى الغلمان وأيقظهم وقال قد سهرت أنا والسلار إلى قرب الصباح وأنتم نيام فكونوا الآن مستيقظين فانى أريد أن آخذ هجعة من الليل فكونوا على يقظة من أمركم ولا تغرقوا فى نومكم فان الشيطان أبو محمد البطال لا يغفل عنكم فقالوا له سمعاً وطاعة ودخل عقبة معولا على النوم ورمى المصحف من يده وقال لقد تصدعت الليلة رأسى من قراءة هذا المصحف غير أنى أسمع الناس فيه قال إلا أن عقبة قد تصدع على أنه لا يسمع كلمة قط لكن الضرورة والحاجة تدعو إلى ذلك احتفاظا على روحى الطاهرة التى ما تموت على دين الحنيفية بل على كلمة المسيحية هذا والامير أبو محمد يسمع كلامه ويقول لعنك الله ثم انطرح عقبة فألقى الله عليه سلطان النوم الذى لا يقدر الانسان على دفعه فلم يقدر يفتح عينيه وكان ذلك عقوبة من الله تعالى له لما فعل بذلك الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه وان الأمير أبو محمد البطال علم منه ذلك فوثب قائما على قدميه إلى الغلمان الترك كأنه يقضى حاجة فوجد الكل نيام فلم يلتفتوا الكل اليه ولا إلى كلام عقبه بل انكب كل واحد منهم على الآخر بقدرة الله تعالى لينفذ الله حكمه عند ذلك رجع إلى عقبة وقعد على صدره وطرح الخنجر على نحره فلم يضطرب كل ذلك لما ألقى الله عليه من النوم وشد يديه الى رجليه وأخذه على كتفيه وخرج والبارى جل جلاله ستر عليه وما هو إلا أن ابعد عن المضرب وتخطا رقاب النيام وإذا بغلمانه قد تلقوه وقالوا له ايش عملت قال قد أمكن الله منه ثم سلمه اليهم ورجع أبو محمد وأخذ المصحف الذى كان للمأمون وكان بخط الامام على عليه السلام ولم يزل سائر حتى وصل للأمير عبدالوهاب انشقاق الفجر الاول وقد سبق اليه لؤلؤ يبشره بذلك فورد على قلب الأمير من الفرح ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقال على حجة لله تعالى إلى البيت الحرام وزيارة قبر محمد

عليه أفضل الصلاة والسلام وأحمل فيه ألف منقطع إلى بيته الحرام العتيق وعلى أضعاف ذلك إن أنا صلبته فى هذه النوبة والله لأجهدن فى ذلك وبالله التوفيق وقويت نيته على ذلك وكان عنده ميخائيل أسير وكذلك البترك والبطارقة المتقدمين فقال الامير عبد الوهاب إذا أنا كسرت المأمون صلبت عقبه وأنا اؤمل من الله تعالى النصر عليه وإنى والله ما قصدت بذلك إلا غيرة للدين وحمية للمسلمين ولم يزل كذلك إلى أن برق الصباح وأضاء بنوره ولاح ووقع الصياح فى عسكر الملك ميخائيل وصاحت البطارقة من كل جانب ومكان وارتفع الصياح والعجاج وأرسل المأمون يكشف الخبر فقالوا ان الملك ميخائيل قد سرق وسرق معه فلان وفلان وان عالم النصرانية وراهب الملة المسيحية شومدرس قد سرق فلما سمع المأمون ذلك قال والله ما فعل هذه الفعال إلا أبو محمد البطال وهذا شيطان ولا يمكن الاحتراز منه ولقد كسر حدة الروم وألقى فيهم البلاء والهموم وما بقى بعدها من يجرد حسام ولا يجسر ان أحدا ينام هذا جرى للملك الذى للروم الليلة وسوف يأتى لنا الليلة الثانية ثم قال لبعض الحجاب امضى الى الصالح عقبة واركبه بغلة النوبة حتى نطلقه على هذه القصة الصعبة ونخبره بما قد جرى على الملك ميخائيل وصحبه والحمد لله رب العالمين التى كانت للروم ولا لنا ونأخذ نحن حذرنا بغيرنا أن السعيد من كفى بغيره ولعل القاضى عقبه يصف لنا شيئا نحترز به من هذا الشيطان الذى هو فى صورة إنسان وكيف يكون هذه الأيام حربنا لهم لأن القوم فى قلة وقد أقاموا بقتالنا هذه الأيام كلها وهذا ما كنت أقول أن أحداً يفعل مثله والآن فأشيروا على بما أفعل والا آمر الناس بالركوب ويحملون فى مائتين ألف ويقاتلونهم طول النهار فاذا مضى النهار ركب غيرهم ويقاتلون طول الليل فاذا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح افعل بهم كذلك حتى يقتلوهم بأسرهم بالسيف ويأخذوهم على سهرهم وتعبهم وضجرهم وتسقيهم شراب العطب (قال) فمضى الحاجب ومعه جماعة من غلمان الدار وهم الأتراك الخاص والعام الى أن وصلوا الى المضرب الذى فيه عقبه فلم يجدوه ولا الأتراك لأن الأتراك كان قال لهم المأمون رؤوسكم مرهونة بهذا القاضى عقبة فلما أصبحوا نظروا عقبة أن يخرج من المضرب فلم يخرج أحد فدخلوا الخيمة فلم يجدوه فظنوا أنه قد مضى الى خيمة سلارنوش فقصدوا الخيمة فوجدوه فى خيمته نائما على سريره كأنه الأسد فدنوا منه ونادوه فاستيقظ فقالوا له يا مولانا حاجب الخليفه قد وصل يطلب القاضى عقبة وهو من وقت أن خرج معك ما رأيناه فقال لهم سلارنوش يا ويلكم أنتم مجانين ونعمة الخليفة من أمس

ماخرجت منها فقال له واحد منهم : ياهذا أما أنت جئت إلينا البارحة وعلى رأسك القبع الذى تفتخر به على سائر البشر بالدر والجوهر وفى وسطك منطقتك وعليك قبالة الذى من عمل تنيس الذى وزن كل مثقال منه بدرة فلما سمع ذلك وثب قائما وقال ماهذا وقت مزاح وبالله ما أملك ما أتجمل به سواه ثم طلب القبع فما وجده والقبع فقده والسيف عدمه وطلب المنطقة فما وجدها فجعل يلطم رأسه ويبربر بالتركية فلما أن سمع الغلمان ذلك علموا أن الحيلة قد تمت عليهم وأن عقبة قد سرق فقال بعضهم لبعض ياويلكم اطلبوا لأنفسكم النجاة قبل أن يعلم الخليفة بذلك فيضرب رقابكم فقالوا إلى أين نهرب إن نحن أقمنا فى العسكر هلكنا وإن مضينا إلى الروم رددنا الى المأمون وما لنا ألا نهرب الى الأمير عبد الوهاب فطلبوا عسكره إلى أن وصلوا الى الامير عبد الوهاب وقصوا قصتهم عليه فضحك حتى استلقى على قفاه وأعطاهم الأمان على أنفسهم ودخل رسول المأمون يطلب عقبة فما وجده فرجع الى الخليفة وأعلمه بذلك فضاقت عليه الارض بمارحبت ثم وصلت قصة السلارنوش وما تم عليه فقال كانت نوبة هؤلاء والليلة نوبتى وبالله أقسم ما أسلم منهم إلا أن تنجز نوبتهم بالعجلة ثم انه صاح بالنقباء وقال اركبوا وتجردوا وأمر الناس بالركوب فركبت الأبطال والأقيال وهممت الاسود والضراغم والنسور القشاعم وهزوا السيوم والصوارم وأعدوها لضرب الجماجم ونظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فركب فى رجاله وأبطاله وقال له الاميردع عنك الفزع والجزع واحتفظ علىعقبه اليوم يكون يومالانفصال وضرب أعناق الجهال فلا تضيق صدرك فأنا إن شاء الله تعالى أفرق العساكر مثل طرفة عين وأصلب عقبة فى غداة غد على رغم أنف الأعداء وكذلك يكون إن شاء الله تعالى ودونك أنت والقتال إن بلغت ماتريد وإلا وأنا وحق المصطفى آخذ المأمون بحيلة ما تهتدى اليها الجن (قال الراوى) ياساده ياكرام واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وأرسل المأمون الى عسكر الروم يقول لهم الملك ميخائيل قد سرقوه لصوص المسلمين من بنى كلاب وقد أخذوا قوما من عندنا ممن يعز علينا وقد عولت اليوم على هلاكهم وانى أمرت الناس فى هذا اليوم أن يبذلوا فيهم السيوف والآن قد تعين قتالهم فاحملوا أنتم من خلفهم وأنا من بين أيديهم حتى لايبقى لهم باقية فأجابوا لذلك ونظرالامير عبدالوهاب الى الجيش وقد عدل عن الحملة فحمل من ذلك هماً عظيما فقالت الاميرة ذات الهمة يابنى أقسم الناس قسمين واخترلنفسك من شئت من الفريقين فقال الامير عبد الوهاب أنا والسودان للروم وانت وبنى كلاب

للمأمون ثم حمل الناس بعضهم على بعض وارتجت جنبات الارض طولا وعرض وعملت الصوارم وفلقت الجماجم وقطعت العلاصم ورمت الاميرة نفسها فى بحر زاخر ليس له أول من آخر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل وقد تضايقت الصفوف وتضاربوا بالسيوف وماهو إلا أن حمل الامير عبد الوهاب على الروم حتى صبحهم صباح ميشوم وطير الرءوس حول القتلى فى الميدان وخاضت الخيل على جماجم الأقران ونصر الله أهل الإيمان على أهل الصلبان فولوا بين يديه منهزمين والى القسطنطونية طالبين ولم يبق منهم أحد ولم يجدوا على قتال الامير عبد الوهاب صبر ولا جلد وطلبوا الأبواب هنالك رجع عنهم البطل الوثاب وأسد الغاب الامير عبد الوهاب طالب أمه الأميره ذات الهمه وكانت الكتائب والمواكب قد أحاطت بها من كل جانب فحمل الامير عبد الوهاب على الناس وصدمهم بالحراب والتراس واشتد الباس وعظم المراس حتى أمسى المساء وقد لاقى كل خصم من خصمه البلاء ونزل الاميرعبدالوهاب فى مقابلتهم وقد قويت نفسه على قتال المأمون والتفت الى الأمير أبو محمد وقال له : يا أخى أريد عقبة فأتى به بين يديه فمده الامير وضربه حتى نزل لحم كتفيه وقال له : ترى ياملعون من يغلب منا ومنهم وكيف يكون صلبك فى هذه النوبة فقال عقبة وأين أنتم من المسيح المعظم ومريحنا المكرم أن ينتقم منكم ويعيننى على قتلكم فوثب الامير ظالم الى سيفه وقال أنا ما أدرى هذا الانتظار الذى تنتظرونه لهذا الجاحد إلى متى فقال الأميرعبد الوهاب نحن ننتظر ماوعدنا الله ورسوله ونريد بذلك تصديق المصطفى صلى الله عليه وسلم فسكت الامير ظالم على غيظ منه وكان قد حزن على عبد الودود ودفنه فى أثوابه وقد نال الشهادة من الجانبين الغربة والقتل فى سبيل الله وأقبل أبو محمد على الامير عبد الوهاب وودعه وقال الآن قد سلمت إليك عقبة وها أناذا ماض الى المأمون وهوالخطر العظيم فان سهل الله تعالى أخذه فانى لم آت به إليك بل أغربه فى بعض المقابر التى فى هذا الجبل حتى تتفرق عساكره وبعد ذلك أحمل عقبة إليه وأخفيه وهولايعلم حتى يسمع كفره ونصلبه بعد ذلك فى رضاء المأمون أولى وسار البطال وقد فرح عبد الوهاب بهذا المقال ودخل الامير أبو محمد البطال عساكر المأمون فوجد المأمون أقام حول السرادق ألف ديلمى بالحراب المسقية والسيوف الهندية فعند ذلك رجع البطال وترك غلمانه حول السرادق ولم يغب أكثر من ساعة حتى رجع إليهم وله شعر أسود مسبول على الأكتاف وهومنقوش مشدود الرجلين بالزنانيرالخضر وقد علق

عليه لحية كبيرة ممشوطة مفروقة ووقف فى جملتهم ومضى عليه أكثر الليل فخشى أن يصبح عليه الصباح فحمل نفسه على الخطر العظيم والأمر الجسيم وقلع وتد من أوتاد السرادق وهجم قاصد الى سرير المأمون فوجد الخدم نيام ذات اليمين وذات الشمال وعلى سرير المأمون شخص نائم فدنا منه وقد تيقن بأخذ المأمون فلما صار معه كشف البردة عن وجهه وإذا به محمد بن إبان السلمى (قال الراوى) ياساده ياكرام وذلك أن المأمون لما أخذ البطال ملك الروم ميخائيل والقاضى عقبة أقام على نفسه الحرس الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال فى نفسه : إن هذا الشيطان الذى هو فى صورة إنسان إذا أتى لا يمنعه حرس ولا بواب ولا يجب أن آخذ أمره على الاهمال لأنه عيار محتال وقد أخذ القاضى عقبة من بين مائة ألف وظهر فى صورة أصدق الناس إليهم وأنا أخشى فى هذه الكرة أن يخرج فى زى أمراء الديلم ويضع السكين على نحرى فأحتاج أن أسلم روحى إليه وإلاقضى على (قال) فبينما المأمون يقرأ على نفسه كتب الآفات ويضمر فى نفسه البليات وإذا بمحمد بن أبان السلمى قد دخل عليه وقبل الأرض بين يديه وخلفه ألف رجل من بنى سليم وقال ياأمير المؤمنين وخليفة الأئمة الراشدين قد أخذ الامير عمرو بن عبيد الله كما علمت فى الحرب وقادوه ذليل حقير والقاضى عقبة قد سرق من مقامه وأخذ من مرقده ولابد للبطال الليلة مما يقصد إليك حتما مقضيا لأنه يقول مايتم لنا صلب عقبة إلا إذا تفرقت عساكر المأمون ونسقيه كاس المنون ولا سبيل إلى تفرقها إلا بأخذه ولا يقدر على ذلك إلا من طريق اللصوصية وقد رأيت ياأمير المؤمنين أن تقيم الحرس على نفسك حول السرادق ثم تتركنى نائم فى موضعك ويكون حول السرير الرجال وفى بيت الحريم الابطال بالسيوف القاطعة والدرق اللامعة فاذا وصل هذا العيار المحتال أبو محمد البطال خرجت عليه الابطال والرجال وتكاثروا عليه ثم يقودك فى الحال ويكون يا أمير المؤمنين قلبك آمناً من جهته ولا يقدر عبد الوهاب يفرط فى الأسارى وإن أردت أن تفتدى به كل من عنده فذلك أحب اليك وأحفظ لديك فلما سمع المأمون ذلك قال هذا هو مليح حسن ان تم هذا الامر فقال محمد بن أبان السلمى هذا يتم لسعادتك يا أمير المؤمنين ولعل الله تعالى أن يرحم عقبة ويخلصه من هؤلاء الذين استحلوا دماه وقد أقام له فى قلوبهم أكثر الغرض السوء ولا يراقبون الله تعالى فى أمره والثانى أنت تعلم مافى قلوبهم من أجل عمرو بن عبيد الله كونه أمير الأمراء فما نأمن عليه من شرهم فلما سمع المأمون ذلك فرح فرحا شديداً وأجابه الى قوله وخرج محمد بن

أبان السلمى وأعلم أمراء بنى سليم بذلك ففرحوا وانتخبوا من سادتهم خمسين فارس وفرقوهم حول السرادق والخيام وأما المأمون وحرمه فإنهم قد راحوا إلى خيمة أخرى فى جانب العسكر ودخل محمد بن أبان السلمى إلى سرير المأمون وأقاموا يراقبون وصول الامير أبو محمد البطال حتى أظلم الظلام واطلع الحى القيوم الذى لا ينام وإذا بأبو محمد قد أقبل فى سرعة أمره وجعل يمشى على بطنه كالحية الرقطاء أو اللبوة الشمطاء يدب كدبيب النمل على حبل الرمل وقلع وتدا من أوتاد السرادق وقد كشف عن النائم وإذا به محمد بن أبان السلمى فأنكر أبو محمد ذلك وعاد راجعا هنالك خرجت عليه الرجال وتبادرت نحوه الابطال وفى أيديهم السيوف الصقال والدرق الثقال ونادوه ياخبيث جاءك العطب وما بقى لك الى النجاة من سبب فلا تطمع فى الهرب فعلم أبو محمد أنه إن هرب وقع فى العطب فسلم نفسه اليهم فأخذوه وكتفوه ومافيهم إلا من ضربه إلا رجل منهم يقال له العربيد بن بكار فإنه لم يضربه فقالوا له وما الذى منعك من ضربه ولم لا تأخذ حقك منه وقد أمكنك الزمان منه قبل أن يحمل الى المأمون فقال كل من يشير بهذا الرأى على نفسه وأما أنا فقد امتثلت أمر أمير المؤمنين بكونى معكم وأما ضربه فمالى فى ذلك من حاجة لأنى أخذت بالنصيب الأوفى وذلك أن فى بعض الأيام كان أمير المؤمنين الرشيد طلب أبو محمد وكان ساخطا عليه وقد عزم على قتله إذا قدر عليه وما قدر عليه إلا بعتبه لأنه نصب له حيله وأخذه بها وحمله الى بغداد وسيره مع الامير عمرو بن عبيد الله من ملطيه فى مائة فارس من بنى سليم وكنت فيهم فمافينا إلا من لطمه وضربه وهو صابر صبر الكرام وقضى من القضاء أن الرشيد بالله أطلقه فما فينا إلا من سرق ثيابه وماله وقطع أذنه وهذه أذنى مقطوعة وفعل ذلك بالمائة رجل وكان لا يرفع الخنجر على أحدنا حتى يشترى روحه منه على قدر حاله فان أمرتمونى أتولع به مرة أخرى حتى أنه يقطع أذنى الاخرى وأبقى إذا وضعت العمامة هتيكه عند الناس فلما سمعوا ذلك من كلامه ضحكوا عليه وقالوا هذه النوبة ما بقى يسلم أبدا فطب نفسا وقر عينا ثم أخذوه ومضوا به الى المأمون فلما علم المأمون بذلك خرج من الخيمة التى كان فيها وفرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وأحضر أبو محمد البطال بين يديه وقال له ياكلب العرب وأخس من ضرب فى البيداء وتد وقد طنب مثلك من يهجم على مثلى والله لأقتلنك شر قتلا حتى يعتبر بك الخاص والعام والحاضر والباد وجميع من فى الأرض والبلاد من الخلق والعباد فلما سمع أبو محمد ذلك رفع رأسه الى المأمون وقال أما قولك ياكلب العرب فما يخلد ذلك

من وجهين إما لبخلى وإما لصورتى ولا يحل لك أن تجعل رجلا مسلما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو رجل مجاهد فى سبيل الله كلباً فان كان هذا لصورتى فلايجوز لك أن تتجرأ على خالقى وإن كان لبخلى فأنت تعلم أن هذا ما هو طبعى فقد وقع فى يده أموال الدنيا مالا تحمله الجمال والبغال ومضى الكل فى ضيافة الضيوف وإغاثة الملهوف وأنت تعلم أن عقبة كفر بالرحمن وشرب الخمر بين يديك فى خيمة الملك ميخائيل وبات سكران وقد امتلأ بطنه من لحم الخنزير ورجعت الى تصديقه وكذبت ماشاهدته بالعيان وسمعت قول زوره والبهتان وأما قولك انى قدتجرأت على سرقتك فقد سرقت من تشرفت به أنت وهو أميرالمؤمنين الرشيد بالله لا كان ممن ينطلى عليه محال عقبة وينكب كل يوم بنكبة والأمير عبد الوهاب كل يوم من أجله مطلوب وهو لايعرفه إلا اذا كانت سيف الروم تخطفه ويرجع عبدالوهاب إلى كرم أصله وجميل فعله فيخلصه مما هو فيه وبعد ذلك لايرى له أن يعود يسمع كلام عقبة حتى أخذه الله إليه وهو على ما كان عليه من حماية شيخ الضلالة ومعدن الجهالة وسيندم إذا حضر الموقف وسمع من الله سؤاله فهنالك اغتاظ المأمون وقام العرق الهاشمى بين عينيه فبدأ أبو محمد البطال بالكلام وقال : وتولى أخوك الأمين على أحكام المسلمين فأخذتنا الحمية لأجل إخراجه لك من العراق وتشتتك فى الآفاق ولم نزل معاضدين وعلى أخوك لك مساعدين حتى قتل مظلوما ورحل الى أبيه مرحوما وبعد ذلك توطدت لك قواعد الخلافة والمملكة خاصة بعد ما كانت مشتركة فلا تغتر يا أمير المؤمنين بالمملكة فلابد أن تندم على فعلك فى اليوم الطويل والرأى عندى أن تصالح السيد المسدد ترس قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم فياأميرالمؤمنين مامثله قط فى هذا الزمان يوجد ولاتنكر فعله وأعطيه ماطلب وبلغه ما أحب ولا تنكر من حقه عليك قد وجب واخلع على من معه من سائر العرب وسلم عقبة اليه وقلده دمه فهو وحق النبي المحتشم الهاشمى محمد صلى الله عليه وسلم كافر فاجر وبعينى رأيته قد تنصر فلايغرك حلاوة مقاله وتسمع من احتياله فلو وصل اليك ما أبقى عليك وان لم تسمع منى ما أقول فهاأنا بين يديك افعل ماتشاء فان الاميرعبد الوهاب يغفل كل من كان عنده وبعد ذلك ماتدرى ماتلقى منه فان كان النصر والظفر له فهو يأخذ بثارى ويلزم الأمر أن يسلم الخلافة الى سلالة المصطفى وابن عمه المرتضى وفاطمة الزهراء وهوموسى الرضى وتبقى فيهم الى يوم القيامة وان كان النصرلك فلابد لعقبة مايعمل عليك ويخرج الروم من بلادهم اليك ويخربون ديارك ويهلكون أنصارك ويعجلون بوارك (قال) فما هو

إلا أن وصل لهذا الكلام حتى انقلبت عين المأمون فى أم رأسه لأن أبو محمد شنع فى الكلام وقلبه وثيق بالأمير المهاب وأن عنده عقبة والأمير عمرو بن عبيد الله وجماعة من عسكر المأمون وكان ظن أبو محمد أن المأمون يحمله على مثل هذا وكان الخليفة على كل حال نفسه نفس السلطنة وفيه حدة الشباب فأخذ مصحف وقال ويلك إيش قصدك أن تصلب عقبة فقال أبو محمد نعم يا أمير المؤمنين قال المأمون وحق مافى هذا المصحف المنزل على النبي المرسل لابد لى فى غداة غد من صلبك على باب القسطنطونية حتى لايرجع أحد من الناس يتلفظ فى مجالس الخلفاء بمثل هذا المقال ثم أمر بضربه فضرب حتى غاب عن الدنيا وندم الأمير أبو محمد على قوله ذلك وعلم أن مافيه احتمى لامثل ما كان الرشيد بالله فأيقن أبو محمد بالهلاك وقال والله ان المأمون ما يبالى أن يسلم عقبة أو هلك وكذلك عمرو بن عبيد الله ما عنده منه خبر والأمير عبد الوهاب ماعنده خبر من هذا الحديث فلما كان انفجار الفجر وذهبت غياهب الدجى وأقبلت عساكر الضيا عند ذلك رجعوا غلمان البطال وقصوا القصة على الأمير عبد الوهاب فصعب عليه وقال كيف أخذوه هل وقعت عليه عين فقالوا له يا أمير سمعنا من قوم بنى سليم يتحدثون أنها حيلة رجل يقال له محمد بن ابان السلمى وانه جرى كذا وكذا وخاطب المأمون بغليظ الكلام فعند ذلك أقسم بالمصحف والطلاق لابد له من صلبه على أى حال كان فقال الامير عبد الوهاب لاحول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم ربما فعل ذلك ولا ينظر فى عاقبة أمره ولابد ما يكون اليوم حرب تسفك فيه دماء المسلمين منا ومنهم وهذا سبب يكون فيه تلاف ابطال الموحدين ولكن عليه نستعين بالملك الحق المعين الذى بيده نواصى الخلق أجمعين فقالت بنى كلاب : اعلم أيها الأمير أنه قد قتل منا فى هذه النوبة سادات كانوا لنا عدة فان كان المأمون قد عول على صلب البطال فنحن وإن كنا فى قلة وهم فى كثرة فنحن رجال وأى رجال قد قطعوا من الحياة أطماعهم وطابت لهم الوفاة وإذا رأيت المأمون وقد قدم الخشبة لأبى محمد البطال وأمر برفعه عليها وتحققت ذلك من صحة يمينه ارفع أنت أيضا عمرو بن عبيد الله عوضا عن صاحبنا أبو محمد فان أراد المأمون الفداء والصلح فعلنا ذلك وإلا فدعه يصنع مايصنع وإن سلم أبو محمد فى هذه فما يسلم من غيرها وعظيم الأهوال والأحداث مثل يسيرها فقالت الأميرة المجاهدة : هذا والله هو السداد والصواب وصاحت السودان وأبناء الحبشان والله لا تركت أبو محمد يصلب وفينا من له ساق وركب

ولو شربنا شراب العطب (قال الراوى) وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ووقع الصياح فى عسكر المأمون وكان ذلك أصوات بنى سليم يستغيثون الى المأمون من أجل عمرو بن عبيد الله وهو لايلتفت اليهم وقد حلف أنه يصلب البطال ولا يبرح من تلك الأرض حتى تأكل الطير من لحمه وأمر المأمون العساكر بالركوب فركب خمسين ألف تركى ترمى عن قوس واحد وخمسين الفى من الأكراد وخمسين الف أجناد وخمسين الف من عسكر الشام والسواحل والباقون من عسكر العراق ومجمعة الآفاق وهم أربعمائة الف بالخيل الجائلة والعدد الكاملة ونادى الأمير عبد الوهاب فى خيله ورجاله وأصحابه وأحبابه فركبوا وقد رموا العمائم عن رؤسهم وقدموا على الموت نفوسهم ووصلوا الذين كانوا فى حصن يانس المتغرب وهم الف فارس فوجد الأمير الراحة بهم وأمر السودان أن يخرجوا الخشبة لصلب عقبة وأمر أن يقدم اليها وقد أيقن بالتلاف وزحف المأمون وقد ألصق الخشبة إلى صور البلد وأومؤا الروم من فوقها أى أسوار البلد من الرجال والنساء يتفرجون على البطال وقد فعل الأمير عبد الوهاب أيضا كنفاله ورفع الخشبة والبطال مشدود اليدين وعقبة كذلك وقد ارتفع الصياح من سائر الأقطار وطلع الغبار وهمهم كل جبار والروم قد ربطت جمال الخشبة التى لأبى محمد البطال إلى الأبراج وكثر الانزعاج وهمت الرجال برفعه والأمير عبد الوهاب قد أمر السودان فقدموا خشبة أخرى لعمرو بن عبيد الله ففعلوا ذلك ونظر المأمون إلى فعال الأمير عبد الوهاب فصاح بالأكراد والديلم احملوا عليهم قد صلب البطال وبعد هذا فهو بين أيديكم إذا خلصنا الشيخ الصالح والقاضى الناصح ومايفوتنا ما نحن فيه من اليمين الذى حلفته فى هذا اليوم ويجوز أن يكون فى غد (قال الراوى) وختشى الأمير عبد الوهاب أن يفرط فى أمر محمد البطال من أمر من الأمور فأقبل على السودان الأنجاب وقال لهم كيف تطيب قلوبكم أن يصلب الامير أبو محمد البطال دونكم والحملة فحملت السودان وبربرت الحبشان وطلع على أشداقها الزبد ألوان وكذلك الامراء من بنى كلاب ترجلت على الخيل والركاب وزعق المأمون فى كتائبه ففعلوا كذلك والتقت الطائفتان وعمل السيف والسنان ولم تزل السودان وأبناء الحبشان تخترق الصفوف إلى أن وصلوا الى خشبة البطال والرجال حوله مثل يأجوج ومأجوج فقتلوا الرجال وأبادوا الابطال ونظرت عساكر الديلم والعجم والترك إلى السودان عندها هرب الديلم وحلت بهم النقم وأنزلوا السودان خشبة البطال فعظم على أمير المؤمنين المأمون وصاح بعساكره فترجلت خمسين ألف

أكراد وخمسين الف من سائر الطوائف ورفعت الخشبة وأوترت القسى من الاتراك معولة اذا رفع البطال يرشقوه بالنبال هنالك ترجلت الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب وصاحوا فى السودان يا آل حام ما بينكم وبين الامير أبو محمــد البطال الا أن يرفعوه على الخشبة ويرشقوه بالبنال هنالك هاجت السودان وبربرت الحبشان وتواثبوا الى الحبال فصاروا فيها معلقين مثل الجراد المنتشر وقطعوا الحبال وحازوا الامير أبو محمـد البطال وتكردست عليهم الرجال بالتراس وبحلقت السودان أحداقها للناس فلما نظروا الناس والعالم الى ذلك الامر من السودان الامجاد فاندقوا منهزمين والى المأمون طالبين وتخلص أبو محمد من العذاب ونصر الله الامير عبدالوهاب ووقعت له الهيبة فى قلوب الروم فجعلوا يستغيثون من فوق الاسوار ويقولون حنا ومريم والصليب (قال الراوى) وأن الامير عبدالوهاب اشتغل بقتال المأمون فخرجت الروم على غفلة ونهبوا ثقل المأمون وثقل الامير عبدالوهاب وكان شىء لايحصى بعدد الرمل والحصى ولم يكن للبطارقة همة الا للملك ميخائيل وعقبة وشومدرس فخلصوهم وساروا على وجوههم الى اقليم بـلاد الروم ورجع الامير عبد الوهاب فى غاية من الانحتاب لما قد قتل ولم يذكر عقبة ولا الاسرى حتى جمع الغنائم والاموال وعول على الارتحال وافتقد عقبة والملك ميخائيل فلم يجدهم فعظم ذلك عليه وكبر لديه وضاقت عليه الارض بما رحبت (وأما المأمون) فما كان له رجعة الا أنه سار الى الديار وقد حل بعسكره البوار وساروا قاصدين ملطية ولم يزل المأمون سائر ليلا ونهارا حتى وصل الى ملطية ولم يكن له همة الا نهب أموال بنى كلاب والسودان الانجاب وكان الذى أخـذ لهم ما لا يقع عليه احصاء بعـدد الرمل والحصى من آلة العدد والسيوف والزرد وغير ذلك من الاموال والجوار وفرق الكل على عسكره وقبض على نسـاء بنى كلاب وأولادهم وعلى نسـاء الامير عبد الوهاب والاميرة علوى والقناصة وكانت قد انقطعت للعبادة وندمت على زمن الجهالة وقد نزل بهم الى العراق وكثر فيهم البكاء والزعاق وصار بهم الى بغداد وخرج العوام يشترون السبايا واذا بهم عربيات من النساء الكلبيات والصياح منهم عالى فعظم ذلك على الناس وسألوا عن الحال فقيل لهم ان الامير عبد الوهاب قد نافق على الخليفة والاصل فى ذلك أنه أراد صلب عقبه العابد الزاهد فلم يمكنه المأمون من ذلك وغدر به وأخذ ماله وأثقاله. فعاد المأمون الى ملطية وأخذ جميع أموالهم ونسائه وعيالهم عوضا عن ما ذهب له وعقبة وعمرو بن عبدالله عند الامير عبدالوهاب أسارى فاذا أطلقهما أطلق الخليفة

لهم نساؤهم (قال) وجمع المأمون والنساء والاطفال وأفردلهم الدوروالمواضع وجعلهم فيها فأنكروا أهل بغداد ذلك حتى اذا كان يوم الجمعة وخطب الخطيب الخطبة فلعن الامير عبد الوهاب وذكر انه خرج عن الدولة العباسية وأنه يصلب العبد الصالح عقبه وأن العوام لعنوا الامير عبد الوهاب وأصحابه وقالوا هذا أراد أن يقتل قاضى المسلمين وبركة الاسلام وعمدة الشرائع والأحكام وقوم يقولون والله ما يفعل الأمير عبد الوهاب شيئا من ذلك ولا يرى غير عبادة الله تعالى والجهاد لأن فيه دينا ومعرفة ويقينا وصلاح ولولا أنه رأى من عقبة شيئا يستوجب عليه الصلب لما طلب ذلك فعندها اختلفت الأقاويل وانقطعت الصلاة وجردت السيوف وقامت الصفوف ونزل الخطيب وقد تبادرت اليه المتعصبون لعبد الوهاب وأبو محمد البطال وطلبوا قتله فردهم المتعصبون لعقبه وكانت نوبة عظيمة قتل فيها جماعة وبلغ الخبر الى المأمون فعظم عليه وكبر لديه وقال لغلمانه اركبوا فى أربعمائة وفرقوا بين الناس وقال المأمون إذا كان هذا من عمل الناس فى حقه فى بغداد وهو غائب فكيف لو كان حاضر لكان أكثر الناس معه وهو خليفة مثلى وما لى إلا بذل الأموال فى سائر الاقطار ولا أبقى من بنى كلاب ديار حتى لم يبق لهم آثار وكتب المأمون إلى سائر الآفاق وسير الكتب على أجنحة الطيور إلى جميع الولاة يسأل عن رجل يكون أوحد أهل زمانه فى الشجاعة والقوة والبراعه ويكون له قوم وعشيرة وأهل وأقارب ونسائب ويعرف بالفروسية والضرب بالمرهفية حتى أعطيه كل ما طلب وأعطيه الامارة على الثغور موضع الامير عبد الوهاب ويحصل له على المال الذى يحمله له فى كل سنه وهو مبلغ مائة ألف دينار سوى ما يناله من القرى والضياع والاقطاع (قال الراوى) ووصل اليه جواب ما نعرف من يقتل عبد الوهاب فى موقف الضراب والطعان فضاق صدر المأمون وبقى فى حيرة من ذلك إذ دخل عليه صاحب برج الحمام بطائر منسوب وعلى جناحه مكتوب وإذا به من أرض الحبشه من عند رجل يقال له الهدلموس ابن مناطح التيوس وهو ملك الكرادمة والحبش وهو لم يدخل تحت طاعة الخلفاء قط لانه بعيد الديار كثير الجنود والاعوان وهو رجل من الجبابرة وقد بلغنا عنه لم يضحك قط ولا يعرف شريعة ولا مذهب ولا يتبع دينا ولقد كان طول ذلك مصر على المعاصى وكان المأمون قد كتب إلى سائر الأمصار يطلب من يدفع عنه هذه الغمه فلما وصل كتابه إن الهدلموس احمرت عيناه وابيضت شفتاه وقال ما كنت أقول أن على وجه الارض من يعرف بالفروسية والشجاعة والقوة والبراعة غيرى والآن قد اجتمع الناس على ما قال هذا الذى قد ملك الغرب بأن ما فى الارض مثل هذا الرجل الذى

يقال له عبد الوهاب وأنه قد خرج على سلطانه خارجا وقد أرسل يعرض الأمور ويطلب النجدة والنصر ويذكر فيه إلى سائر العجم والترك والديلم وقد عجزوا عن هذا الفارس المقدم وقد عولت على المسير اليه واطرح روحى عليه فقالوا له أيها الملك اذا أردت ذلك عرض له بحديثك وعرفه بموضوعك وبعد ذلك تجرد الابطال فعندها سير ذلك الكتاب وعرف الخليفه كما وصفنا ووصل ذكره للخليفة كما شرحنا ففك المأمون ختمه بيده وقرأه وعلم مافيه ومعناه واذا فيه مكتوب أيها المالك رقاب العجم والعرب والمستولى على الامم أما بعد فانى وقفت على كتابك وقرأت مافيه وعرفت معانيه فأما ماذكرت من عبد الوهاب الذى من أجله أسير اليك فى جماعة من بنى كروم مثل الغسق اذا أظلم على خمسين ألف أدهم واترك أرض عدوك يصيح فيها الذئب والسمعمع وأردفها بخمسين ألف من الحبشان كأنها أولاد الجان وفيها عشرون ألف من بنى عقفور الذى ذكرهم فى الاقطار مشهور الذين ختمت على أفواههم بالاقفال حتى لا يأكلون لحوم الرجال لانهم بلا عقول يهتدون بها الى الصواب فهم على طبع الدواب وأنيابهم كأنياب الكلاب ولكن أنا محتاج الى شيء أدارى به أجسامهم لان ما عليهم الا الانطاع فى أوساطهم وقد سمعت أن ذلك كثير عندكم وفى دياركم وأما الخيل والسيوف والرماح فعندنا كثير وإذا وصل الى ماطلبت سرت اليه وقتلته ولو كان فى الارض ألف مثله (قال) فلما فهم ذلك المأمون طار عقله فرحا لان الرشيد كان كاتب هذا الهدلموس ابن مناطح التيوس فلم يقدم عليه ولا التفت اليه (قال الراوى) ولقد سألنى الواثق بالله يا امير المؤمنين لما وصلت فى منادمته عن هذا الحديث قال وكيف مناطح التيوس قلت ياأمير المؤمنين قد سألت رجلا شديد البأس من أصحاب الهدلموس عن ذلك فقال لى ان أباه كان رجلا شديد البأس صعب المراس قوى الأساس كان رأسه تدور عليه فى بعض الأوقات فلا تهدأ عليه حتى تعبر التيوس الكبار فيناطحهم حتى يهربون من بين يديه فتهدأ رأسه ورأسه مثل الصخرة الصماء ولم يمت حتى عدم عقله (قال الراوى) ورجعنا الى سياقة الحديث (قال) وان المأمون فتح الخزائن وأخرج الثياب وغيرها وأرسل الى بلاد الخابور والحزبه وغيرها من سائر الأقطار يطلب الثياب الجافية من القطن فلم تكن الأيام قلائل حتى صار عند المأمون ألفى ألف ثوب من الخام وأخرج مع ذلك قوم يخيطونهم فكان عدتهم عشرة آلاف من سائر الأجناس وقال للوزير أحمد بن سهل سر مع هؤلاء القوم بهذه الثياب والأموال وأوعده عنى بكل جميل فقال الوزير يا أمير المؤمنين اعلم أننى رجل ضعيف وقد كبرت عن أثقال الوزارة فان أعفيتنى

من هذه الأشياء وإلا انظر إلى هذا الأمر غيرى وكان ذلك منَ أحمد بن سهل من طريق مراعاة الأمير عبد الوهاب وهو قد صح عنده كفر عقبه ونفاقه وبقى المأمون لا يدرى من يرسل مع تلك الاموال والثياب لأنه يريد رجل صاحب رأى وتدبير ومقال حتى ينجح أمره عندهم ويدخلون تحت طاعته وهو كذلك إذ دخل عليه الخادم صلاح خادم الست زبيده وقبل الارض بين يديه وقال يامولانا السيدة تقبل الارض بين يديك وتقول لك قد وصل الشيخ عقبه وهو عندها وهو خائف من الحضرة أن يكون فى قلبه شيء مما عاينه من ذلك الانكار فى حالة الاضطرار وهو يتشفع بك اليك ليدخل عليك وأريد تبيض وجهى ولاتردنى فى مسألتى ولو كان كما يقال عنه كان أقام عند الكفرة فى بلاد الفجرة والعياذ بالله تعالى فلما سمع المأمون ذلك قال والله لقد فرج الله عنى بقدومه كربة وانشرح قلبى لانى كنت خائفا عليه أن يصلب لانى تركته مع السودان فى الذل والهوانِ والثانى مالى من ينوب فى هذه الخدمة مثله فعود الى السيدة زبيده وقل لها ان القاضى لا يحتاج شافع فانه عندنا فى المنزلة الرفيعه التى هى عندك أوفى فعلى به سريعا إن كان سميعا مطيعا فغاب الخادم قليلا وإذا به قد رجع على التعجيل وعقبه خلفه قد عبى أردافه وجنح طيلسانه وكان حافيا فتعجب منه المأمون من حفاه فلما أن دخل قال السلام عليك يا إمام العدل والانصاف ومن فاق شرفه على سائر الاشراف يا أمير المؤمنين إنى قد نذرت أنى اذا وصلت الى هذه الحضرة منذور لانى رأيت فى طريقى كل محظور حتى وصلت اليك والى الست زبيده التى لم تزل داعية لك شاكرة فعند ذلك فعلت النذر لانى أتبرك بهذا التراب الذى التصق بقدمى وانى فعلت كما قال الله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا والحمد لله الذى جعل نفسى بقدومها عليك فاخرة فنالت بذلك الدنيا والآخرة وهناك بما ألبسك من المفاخر فى قديم الزمان وآخره فتعجب الخليفة المأمون من هذا الكلام الفصيح والقول المليح وقال من يكون بهذا العلم الغزير كيف يصدق فيه أن يكفر بالعزيز القدير هذا ما لا أسمعه فيه ولا أشمت به أعاديه ثم أقبل على عقبة وقال له خذ هذا الكتاب واقرأ ما فيه وانظر الى معانيه فأخذه عقبة وقرأه ففرح واستبشر بذلك وأيقن أن الامير عبد الوهاب هالك لأن الملعون لما أخذته الروم لم يجسر أن يقيم فى بلد الروم وقال لا بد للبطال أن يطلبنى ولو كنت تحت تخوم الارض وأعطى المتنصره المال الكثير الذى ليس بقليل وقال للملك ميخائيل ها أنا الحق المأمون وأشير عليه بما

يكون حتى يطلب العبد الزنيم ويبليه بكل بلاء عظيم لانى اذا وقفت بينهم نلتم أنتم ما تريدون من الجانبين (قال) ثم سار الى أن وصل الى بغداد وجرى له ماجرى وقرأ الكتاب فكادت روحه أن تزهق من الفرح إلا أنه لم يظهر ذلك للمأمون بل أقبل عليه وقال له ما الذى أقول لا أبقى الله لك يا أمير المؤمنين عدوا ولا حاسدا ولا مضادا ولا معاندا وأما الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فان الله تعالى يصلحهم ويعيدهم الى الهدى فقد لعب بهم الشيطان وزين لهم أعمالهم الردية حيث أنهم فعلوا هذه الفعال ومنوا أنفسهم بالمحال وان هذا الهدموس ان سار اليك يريدله مالا عظيما على أن الانسان اذا بلغ غرضه فهو المراد ومسرة الفؤاد ثم ان عقبه قال يا أمير المؤمنين وان كانوا قد رمونى بما لا يشبه بى فاننى أقول بما لا يليق بى لان طبعى طبع الخير فان كان لابد من هـذه الامور فهو اليك ولعمرى ان فيه الصواب من اقامة الهيبة وبلوغ الغرض وتأديب سائر الولاة التى من قبلك فى الاقطار وجميع الامصار وأنت اذا قدرت تعفو وتصفح فهو أحسن وأفلح وارفع الى قدرك وأجمل لهيبتك والرأى عندى أن ترسل الى هذا الملك والا انفسد عليك النظام وتطمع فيك العوام فقال المأمون وقد عمل معه تحريض عقبة دعنى يا قاضى من اشفاقك فلا لى مما أقلع من الأرض آثارهم وأخرب ديارهم وبالله لاسار الى الملك الهدلموس رسولا غيرك فهؤلاء بين يديك وتحت حكمك فلما سمع عقبه ذلك أظهر أنه كاره له ثم أجاب وأخذ الاهبة فى ثلاثة أيام وسار فى اليوم الرابع هـذا ماكان من عقبه (وأما ماكان) من الامير عبد الوهاب ما عنده من ذلك الخبر ولكنه لما كسر عسكر المأمون كما ذكرنا ورجع الى الخيام وقد نهبت الاموال والاثقال وسأل عن الاسارى وعقبة وشومدرس والملك ميخائيل ففقدهم عظم عليه وكبر لديه وضاقت عليه الارض بما رحبت وجمع باقى الثقل وأقام فى رستاق بلد الروم وضياعهم شهراً كاملا وغار على بلا الكرج وكافرة ترك والبنجاك وأخذ من السبايا والاموال بعدد الحصى والرمال حتى عجزت عن حمله الجمال والبغال وسار طالب حصن يانس المتغرب وأقام به عشرة أيام وأعطاه حتى أغناه وسار يقطع القفار حتى أشرف على نهر قباقب والبدنون ونزل على باب ملطيه وقد أعطى الامير قراقر جارية كان قد انتخبها لنفسه كأنها النفس الضاحية وأصلح بينه وبين أبو الهزاهز ووبخه على فعاله ولما نزلت بنى كلاب والسودان الأنجاب على ملطيه فوجدوها قفراء خراب يصيح عليها البوم والغراب خالية الجنبات موحشة العرصات ومافيها إلا شيخ كبير السن وعجوز قليل الذهن وكان المأمون لما

أخذ نساء بنى كلاب كما ذكرنا أقامت بنى سليم فى ملطيه وانهم خافوا من الامير عبد الوهاب على أنفسهم فأخذوا أموالهم وأولادهم ونساءهم ورحلوا إلى البر الأقفر فلما وصل الأمير وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فعظم عليه وكبر لديه لفقد أهله وتباكوا بنى كلاب والسودان الأنجاب على حريمهم والعيال وأقبل الأمير عبد الوهاب على قومه وقال لهم ماتريدون من الرأى فقالوا لاصبر لنا والله لقد كسبنا العار والفضيحة والشقاء وان كان قد أعطى نسائنا وبناتنا للعجم الذين مالهم دين ولايخشون من رب العالمين فلابد لنا مانرمى أرواحنا الى العراق ونضرب بالسيوف الرقاق فقال الامير عبدالوهاب : إذاكان الأمر على ماذكرتم والحال على ما وصفتم فأقيموا وأريحوا بنا الليلة وغداة غد نفعل ما يكون فقالوا له افعل ما تريد فكلنا لك عبيد (قال) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح رحلوا طالبين آمد حتى وصلوا اليها ودخلوها ووضعوا فيها الأموال التى معهم والأثقال وأوصوا عليها ميمون الجماس ثم ركب الأمير عبد الوهاب وقال سيروا حتى ترون العجب وسار الأمير عبد الوهاب مع أبطال بنى كلاب وفى قلوبهم النار من عظم الفضيحة والعار ولم يكن المأمون فعل ذلك بل سلم أمرهم الى الوزير أحمد وكان مبرماً فى حظهم مشفقا عليهم زائداً لهم فى الكرم (قال) وخرج الأمير فى عرض البر على سجستان وحران والرتة والخابور إلى أن قارب الرحبة وسار على ساحل الفرات حتى وصل الانبار فكتب صاحب الانبار الى المأمون يعرفه بوصول الأميرعبد الوهاب الىالانبار وانه أخذها إلا انه مانهب لأحد مال ولانوال ولاشىء يساوى درهما واحداً فقال للوزير أحمد بن سهل ما ترى فى هذه النوبة فقال ما أرى من الرأى أوفق من أن نطلق نساءهم وأولادهم وتأمرهم بالرجوع فان فعلت بهم هذا طابت قلوبهم واستقروا فى أماكنهم وتبادروا الى خدمتك فقال المأمون اعلم اننى أنا إن فعلت ذلك فانهم يطمعون ويصيرون كأنهم الحاكمون علينا ولابد ما أخرج اليهم ثم ان الخليفة المأمون نادى فىالعساكر بأخذ الأهبة ففعلوا ذلك وخرج الناس فى عالم عظيم مقدار ثلثمائة ألف فارس وكان الأمير عبد الوهاب قد وصل الى العراق فى ستين ألف فارس مابين رامح وتارس من كل بطل مداعس وليث ممارس (قال الراوى) وكان الامير عبد الوهاب لما أن وصل الى آمد جمع الأكراد والأجناس وصاروا فى عالم عظيم . هذا وقد بلغ الخبر للأمير عبد الوهاب أن الخليفة المأمون قد جند الجنود وقد برز من مدينة بغداد وهو فى ثلثمائة ألف فارس وقد وصل الى تل عرقوف وأشرفت

العساكر على بعضها البعض وكان إشرافهم على بعض عند الصباح واشتهرت النصال وجالت الفرسان وتصادمت الابطال وحملت المواكب على المواكب وتبادرت الخيل من كل جانب وأقبلت عساكر العراق وقد بدا فيها الصراخ والزعاق وأظلمت من الغبرة الآفاق والتقوهم بنى كلاب بالرماح الرقاق وطلبوا خلاص حريمهم وأولادهم والأموال وجال الفارس الريبال وخاف الجبان من الآجال وهمهمت الاقيال وحمل أبو الهزاهز البطل المناجز وحمل قراقد البطل المجالد وكذلك سودانه وقاتلت بنى كلاب عن الحريم وحل بالناس البلاء العظيم ونظرت العرب الى عساكر العراق وقد وقع فيها النقص والمحاق وزاد فيهم القتل فولوا منهزمين وعلى الأعقاب راجعين (قال الراوى) وحمل أبو الهزاهز وقراقد وكل ليث مجالد وصدمت السودان عساكر العراق فبددوهم فى الآفاق ووقع فى عسكر المأمون المحاق وبددوهم فى العراء ومالت الأعلام والرايات وتنكست المنجنيقات والازدهارات وصاح فيهم صائح الشتات وطلبوا الانهزام وحل بهم عظيم المرام وأبصر المأمون الموت فاجأه فطلب لنفسه النجاة وطلبه الأمير عبد الوهاب فى سادات بنى كلاب والسودان الأنجاب وما منهم إلا من أمل أن يخلص حريمه ويهلك غريمه ودخل المأمون بغداد وقد انذهل عقله وحار فى أمره فلما اطمأن على نفسه قال لوزيره أحمد بن سهل ماترى أيها الوزير ما يكون من الرأى فقال الوزير يامولانا ما يكون لاتضيق صدرك من هذا الامر فنحن نعود نجمع العساكر ونلقاه مرة أخرى وبالله المستعان فأنا أظن اننا مانقدر عليه ولا نصل اليه وأنا قد أشرت عليك من الاول فما قبلت منى ومن الرأى عندى أن ترد عليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وإلا نهبوا بغداد وتنخرق الهيبة وتشمت الأضداد وتنخرق الحرمة فى سائر البلاد فقال المأمون افعل ما تريد فعند ذلك أخرج الوزير أحمد بن سهل نساء بنى كلاب ونساء السودان وأولادهم وأموالهم واجتمعت الأصحاب بالأصحاب والاحباب بالاحباب وشكروا الوزير على ذلك الحال وسأله الأمير عن القاضى عقبة فقال له أيها الامير اسمع منى وخذ حذرك وارحل بقومك الى ديارك فان الأمر عظيم والخطب جسيم وأعلمك أن عقبة من مدة شهر ونصف شهر قد توجه الى بلاد الهدلموس ابن مناطح التيوس لأن المأمون قد أرسل اليه وطلب منه الإعانة على الأعداء فأجابه على ذلك وقد وصل الينا كتابه بالسمع والطاعة فلما سمع الأمير ذلك صعب عليه وكبر لديه فقال البطال ياأخى خذ الآن أهلك وأولادك وارجع بهم الى آمد وانزلهم فيها فما تخشى من أحد بعد

ذلك فقال الامير عبدالوهاب والله لقد أشرت بالصواب وأتيت بالأمر الذى لايعاب ثم أمر الناس بالوحيل فرحلت بنى كلاب والسودان الأنجاب الى أن وصلوا إلى آمد ودخلوها وقسم الامير عبد الوهاب الأموال التى وصلت معه من بلاد الروم وأقام ينتظر ما يكون من الامور ثم أرسل الى أرض الحجاز يجمع العربان وضمن لهم المال والنعم فأجابوه الى ما طلب . هذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من عقبة فانه قطع تلك الارض فى طولها والعرض حتى وصل الى بلاد الحبشة وتوصل الى أن دخل على الملك الهدلموس فوجل كأنه جاموس أوصل أزبد وجهه وجه أسد وهو كبير الأذنين عبد الذراعين هائل الكتفين كبير القامة كأنه دعامة وهو جالس على سرير من الأبنوس ومن تحته قطع من جلود الأسود وهو بارك على ركبتين والشرر يطير من أماق عينيه والرجال من بنى عقفور تحجبه وهى تخافه وترهبه ولا تجسر من هيبته أن تكلمه وعلى أفمامهم الأقفال وهم مثل الاسود فى الرجال ولهم زمجرة وهدير وأصواتهم كأنها أصوات الحمير (قال) فلما رأى عقبة ذلك ارتعدت فرائصه وزادت وساوسه وأخذه منهم فزع عظيم وأحس كأن قلبه قد انقطع من هول ما قد رأى وعاد لايسمع ولايرى وقال هؤلاء القوم هم الزبانية الذين وصفهم الله ومحمد بن عبدالله نبى المسلمين ونحن نقول لاإله إلاالله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم يوم القيامة يسحبون الناس الى جهنم وما أقدر أصل إلى ما أريد إلا بثبات الجنان وانطلاق اللسان ثم إن الملعون تقدم إلى قدام الملك الهدلموس وسلم وأطلق لسانه وتكلم ثم أدى الرسالة التى للمأمون وزادها بشىء من عنده لا يكون نثر كلام وفنون وما زال بفصاحة لسانه حتى تعجب الهدلموس من ثباته وفصاحة لسانه وراق له حلاوة كلامه ولما استوفى مقاله ونظامه أمر أصحابه أن يقدموا له الجمل الذى أنفذه المأمون فرفعه الهدلموس إلى خزائنه فقال له عقبة إذا أنت قتلت عبد الوهاب وأمه الأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال المحتال فلك على وحدى ثلثمائة ألف دينار سوى مايصل إليك من المأمون وتقر به العيون ثم ان عقبة أشار الى الهدلموس فقال :

رمانى زمانى بذل وبوس وأفقدنى سادة كالشموس
وألبسنى العار هذا العدو وأفردنى من جميع الأنيس
ولما تحيرت فى قصتى وصلت الى الملك الهدلموس
فلا زلت فى نعمة جمة مسلمة من أيادى العكوس

فان قيــل لى انه أسـود فقــد زين العاج بالآبنوس

(قال الراوى) ثم جعل عقبه يقص على الهدلوس مساوىء الامير عبد الوهاب ويبغضه فيه حتى وقعت بغضته فى قلبه فى تلك الساعة ولا رآه ولا أبصره فقال الهدلوس لعقبة أقم عندنا حتى أجمع بنى عقفور من الرجال وأعمل على أفواههم الاقفال وآخذ معى الرجال حتى نهلك أعدائكم الذين فعلوا بكم ففرح عقبة بذلك وأقام عنده ينتظر وعده وفى بعض الأيام خلا الملك الهدلوس بعقبة وقال له ياشيخ العرب هذا الخليفة الذى أرسلك من الذى أستخلفه فقال محمد بن عبد الله نبى المسلمين وماهم إلا على الدين المتين فقال الهدلوس : إذا كان الأمر على هذا الحال فما نحن إلا على الضلال وما نعرف ما نعبد من الأرباب فهل تعرف لنا دينا يهدينا الى الرشاد ويوصلنا الى رب العباد حتى يبقى بيننا وبينكم نسب ونخدمكم لأجل هذا المذهب فقال له عقبة وقد تهلل وجهه من الفرح وقال يا ملك الزمان أنا أدلك على دين الملوك الكبار وأصحاب الأقطار والأمصار ويكون صاحبه فى أمان من الاخطار وبنجية من عذاب النار ولكن ما أقدر أبوح بشىء من ذلك حتى آخذ عليك العهد والميثاق انك إذا عجبك هذا الدين تكتمه ولا تظهره لأحد غيرك لأنى شيخ كبير وقد فنى عمرى واحدودب ظهرى من كثرة قراءة الكتب القديمة والمذاهب المستقيمة حتى ارتضيت لنفسى دين من تكلم فى المهد صبيا وأحيا الموتى من القبور وأبرأ الاكمه والابرص وخلق من الطين طيورا ذكورا وإناثا وأتانا من الله القديم بالإنجيل وبين لنا فيه التحريم والتحليل وصار عقبة يصف دين النصرانية وجرن ماء المعمودية حتى أقر بكلمة الكفر الداعية الى الهلاك ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فأجابه الملك الهدلوس الى ذلك وقال له علمنى كيف أقول حتى أصير نصرانيا قال قل الروح القدس فقال الهدلوس مثل ما قال ثم سأله عن هذا الكلام فشرح له ذلك وقال له عقبة اعرض هذا الدين على رجالك سراً من أصحاب المأمون الذين قد صحبونى وإن سألوك عن ذلك قل لهم هذا ديننا من قديم الزمان وبعد هذا لا أرضى أن تكون تحت أمر المأمون ونهيه بل اذا قتلت عبد الوهاب وكسرت بنى كلاب عملت لك على هلاك المأمون وخليفة المسلمين وأعطيك سرير ملكه وأجعلك صاحب بغداد وأملكك رقاب العباد وهى منصب الخلافة وهذا الملك الذى أنت فيه مايساوى قليل ولا كثير فقال الهدلوس : ياشيخ العرب أنا أسير معك الى ما تشاء ومهما أمرتنى به امتثلته ومهما قلته لى عملته ثم ان الهدلوس أدعى بالعقلاء من قومه وبنى عمه وخواص

أصحابه واعلمهم بما قاله عقبة وأنه قد أجابه إلى ما أراد ولم يزل كذلك حتى نصرهم عن آخرهم وقال لهم ابشروا الآن بما تريدون من الفضة والذهب لأن ملك الروم ميخائيل ملك مدينة القسطنطونية له سبع عشرة إقليم وفى كل إقليم ملك من قبله فان أنتم نصرتم على عبد الوهاب أرسلت اليه يأتى الى معونتكم فعند ذلك ثاروا على عقبة من كل جانب ومكان وقالوا له اسكت ياشيخ وأنت تقول هذا الكلام لأنك رجل دللتنا على دين نعتقده فوحق هذا المسيح الذى كنت قد وصفته بهذه المحامد ان رجلا واحد من بنى كردم وبنى عقفور يريد كل من وصفت من هؤلاء القوم والملك الهدلموس يريد لرأسه عشرة آلاف فارس فلا ترجع تذكر هـذا الكلام يحل بك الانتقام (قال) فلما سمع عقبة ذلك قال هؤلاء الذين يقتلون عبد الوهاب ويشتتوا أهله وأولاده فلا كفاه المسيح شر ما يحذره طوال المدان دون البرية ثم قال وأما البطال فسوف يسقونه شراب الوبال هـذا وقد جهز الهدلموس عشرة آلاف فارس من بنى كردم وخمسين الف من الحبشة وركب الأقفال على أفمامهم والبسهم الثياب الملونة وسلم أمرهم إلى بنى كردم وسار من بلاده فى ذلك الجيش العرمرم وهم بالرماح الطوال والسيوف الصقال على خيول دهم ووجوه عتم والسنة غشم وقد علا منهم الصياح والزعاق وهم طالبين أرض العراق وعقبة القرنان يطوى بهم المنازل ويورد بهم المناهل الى ان قرب من بلاد العراق أنفذ الى الخليفة المأمون يقول زين البلاد وزخرف بغداد والتقينا بالعساكر والأجناد فقد أتاك قوم يهلكون بنى كلاب والسودان الأنجاب وكذلك عبد الوهاب فلو كانوا بعدد التراب (قال الراوى) فلما وصلت الرسالة من عقبة الى المأمون نادى فى بغداد فزينت الأسواق وخرجت عوام البلد وصاروا يقولون هلك عبد الوهاب وقوم يقولون الله ينصره لأنه مجاهـد فى سبيل الله وركب المأمون فى غلمان الدار وتصففت الناس على الدجله والأغانى فيهم كذلك فبينما هم على ذلك الحال إذا أشرف عليهم عقبه وقد رتب السودان كتائب ومواكب والملك الهدلموس فى أوائلهم وعلى رأسـه الرايات وخلفه الطبول والبوقات وعليه بدلة من الحرير وعمامه مطرزة بالذهب وكانوا أكثر الناس يدعون على عقبة المنحوس الذى أتى بالهدلموس بن مناطح التيوس وكان عقبة يعلم بذلك فلما وقعت العين على العين وتقابلت الطائفتين صاحت الكرادمة وبنى عقفور صيحة واحدة فزعزعت الجوانب وفزعت النسـاء والعوالم ونفرت الخيل ونزل الهدلموس وأصحابه فى الخيام التى كانت ضربت لهم بأمر المأمون فلما نظروا أهل بغداد إلى هـذه الوجوه المظلملة كانوا بنى

كردم خمسة وعشرون ألف والكل بأيديهم السيوف وهم موكلين ببنى عقفور وعلى أقدامهم الأقفال وفى أيديهم السيوف الصقال وكان هذا من تدبير عقبة حتى يقيم له الهيبة فى قلوب الناس فلما عبروا بين الخلائق غضبوا وأظهروا الزبد على الأشداق وصاروا يجذبون السلاسل وبنى كردم يضحكون عليهم فاندقت الناس قدامهم هاربين بين أيديهم فلما نزلوا فى الخيام أمر المأمون لهم بالعلوفات والاقامات هذا وأهل بغداد تركوا البيع والشراء ومابقى لهم فرحة الا عليهم ولما كان فى اليوم الثانى ركب الوزير احمد بن سهل والقاضى عقبة وأرباب الدولة ومعهم بغلة النوبة بمركب ذهب مرصع بالدر والجوهر وقدموها الى الهدلموس فركب وترجلت بين يديه ألف أسود وسار الوزير ينظر اليه ويقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هلك الأمير عبد الوهاب من هذا الجبار وقومه وما فى الأمر الا اننى اكتب اليه كتاب حتى يوسع فى الأرض ولايأوى إلى بلد فان هؤلاء القوم جبابرة (قال الراوى) ووصل الهدلموس إلى قصر الخلافة فنظر الى قصر عظيم البنا واسع الغنا ونظر الى مراتب الديباج وأسرة الذهب وتماثيل العنبر والجوهر ونظر إلى أربعة آلاف غلام بالمناطق الذهب والثياب الأطلس ونظر الى الحريم والخدم والخزائن والأموال فالتفت إلى السودان وقال لهم هذا هو الملك بعينه وهذه هى الدنيا فان وصلتم إلى هذا الخليفة فاقتلوا الناس وأنا أقتله واقعد موضعه ونقيم فى هذه البلد الطيبة أخير لنا من بلاد الحبشة (قال الراوى) وهؤلاء قوم بلا عقول فصاحوا صيحة واحدة وجردوا السيوف وهموا أن يفلقوا الجماجم فانهزمت منهم الأعاجم والأتراك والديالم فصاح المأمون للوزير ما الخبر فقال له الساعة تضرب رقابنا وتملك بلادنا وينقلب الملك الى السودان فقال له المأمون قل لى ما الخبر فقال له اعلم ان الملك قد عظم فى أعين السودان وقد عولوا على قتل الناس ويملكون القصر وقد صدق الامام على كرم الله وجهه إذ قال من حفر لأخيه المسلم قليباً فقد أوقعه الله فيه قريباً (قال الراوى) وان عقبه لما نظر الى ذلك لم يعجبه وخشى أن يفوته مطلوبه فقال إذا أنا أهملت أمرهم اشتغلوا بقتال أهل العراق ويبلوا بما لايطاق ويهرب الاسود الزنيم عبدالوهاب وما شفيت القليل وأموت عليل ثم أنه وثب الى الهدلموس وكلمه بلغته وقال له ويلك ياملك الزمان ماهذا الاستعجال والخزائن خالية من الاموال فاصبر أجمع لكم أهل الآفاق وتسيروا إلى الى هذا الذى أتيتم من أجله فلا تهملوا أمره فقد عجزت عنه أمراء الآفاق

ومعه عشرين الف من جنسكم أبطال أقيال فاذا فرغتم منهم فالعالم كلها لكم عبيد فلما سمع ذلك الهدلموس أمر لمن معه أن يمتنعوا عن ما عزموا عليه ثم أنه صار وعقبة خلفه وهو يوصيه إذا دخل يقبل الأرض بين يدى الخليفة ثم سار حتى وصل إلى المأمون وصاحت عليه الخدم يأمرونه بتقبيل الأرض للخليفة فلم يسمع ولم يلتفت إلى كلامهم بل سلم بيده وصعد حتى جلس مع الخليفة فى الدست على السرير وله صنان يغلق الدماغ ويسكر الجمال وزاحم المامون حتى أخرجه من الدست من عظم جثته وصاحت الخدم عليه فقال لهم المأمون خلوه فهو ضيف ولو جلس الضيف على الرأس والأكتاف لكان يحتمل وقال الهدلموس للخدم ان عدتم صحتم على قمت قعدت على أكتافه فقد أبا حتى ذلك فقال له المأمون من عاندك اضرب رقبته ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم والله ما يقعد على أكتافى إلا وقد خرجت روحى ثم ان المأمون اقبل عليه وقال له متى أتيت إلى بهذا الاسود الزنيم عبد الوهاب اقلبت المال عليك حتى أغنيك عن الناس ثم خلع عليه وأركبه جواد أحمر بمركب ذهب مرصع بالدر والجوهر بكنبوش أطلس أصفر وسيف مجوهر ابتر ورمح أسمر وخلع على أمراء السودان من الأحمر والأصفر والأبيض والأخضر (قال) وخرج الهدلموس من القصر والمأمون لايصدق بذلك وادعى بعقبة وقال له ما أعرف رحيل هذا إلا منك والا وقعت بنا الخسارة ويشمت بنا عبدالوهاب فعندها خرج عقبة الى الهدلموس وقال له اعلم أيها الملك ان الذى وصلت من أجله ربما سمع بحديثك وبجيئك فيهرب فى البر ولاتقدر تلحقه لأن العرب مأواهم البرارى فارحل من وقتك قال سوف افعل ذلك وحق المسيح فعلم عقبة أنه قد خلا فى قلبه دين النصرانية ففرح وقال والله ذرنى فما فى الارض مثلى ثم دخل على المأمون وأمره أن يحمل اليهم الزاد والدنانير والعليق فحمل اليهم وسير معهم عقبة والوزير احمد بن سهل فى خمسين الف ترك وأعجام وساروا وقد أوعدهم الخليفة المأمون أن يسير خلفهم بالعساكر (قال الراوى) وكان عقبة بالنهار فى عسكر المأمون وفى الليل فى عسكر السودان خوفا من البطال وكان كتاب الوزير قد وصل الى البطال والأمير عبد الوهاب فقالوا بالله المستعان وأمر الناس بأخذ الأهبه وقد صار فى مائة الف وأربعين الف فقالت الاميرة هذا لم يكن لنا فى الحساب وقد بلغ المأمون وعقبة منا المراد وفعله قد جلب الينا منفعة (قال الراوى) هذا وان البطال قد وصل اليه الخبران عقبة على مقدمة العسكر فأقبل على الامير عبد الوهاب فقال له اعلم أن العساكر ماتصل إلا بعد عشرة أيام

ولكن أريد أسبق هذه العساكر وانظر كيف أدبر عليهم فهذه نوبة عظيمة وأريد أن يكون معى أبو الهزاهز وطاطم وطمطم وسماق وعندم و أبو الهول والمدودم وكاكنى وأبو فروة والقرطم ومن هؤلاء السودان الغشم عشرة حتى أفرقهم فيهم لأن عقبه لا يعرفهم فاذا ظفرنا به يقل عنا الطلب فما أشعل هذه النار علينا إلا هو فقال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد أنت تعلم أن عقبة ما يغفل عن نفسه وهو يعلم أنك لا بد لك من المسير اليه وأخاف أن يرصدك فتهلك أنت والعشرة الذين قلت عليهم وهم حامية السودان والرأى أن نقيم إلى أن يشرفوا علينا وننظرهم فما يخفى علينا الابطال من الأندال ونلقاهم ونبذل فيهم المجهود ونستعين عليهم بالملك المعبود ومعلوم أن هذا المنحوس الذى يقال له الهدلموس قد ذكر أن مافى طوائف السودان من النوبة والبربر والحبشة والكرادمة والأزادرة أفرس منه وقد وعدهم بقتلى وأنا توكلت على ربى وهو يكشف كربى وما عودنا إلا بالخير فقال البطال إذا أنت فزعت على أصحابك فأنا وحدى أسير وأستعين بالملك القدير وأخالطهم وآخذ الأخبار من الوزير أحمد بن سهل فيما عولوا عليه وأنظر أمرهم فليس المشاهد مثل الغائب ثم إنه ودع الامير وسار وقد تظاهر بزى أهل البصرة ثم انه سار إلى أن دخل الى نصيبين فوجد العساكر كالليل الحالك نازله هنالك فقال البطال لقد رأيت الجيوش فما فزعت إلا من هذه على شرط أن الانسان ما يقاتل خصمه إلا إذا كان له عقل وأما هؤلاء كالحمير يرمون أنفسهم إلى الموت ثم خرج من عسكرهم ودخل عسكر الوزير مختفيا فلقيه غلامه لؤلؤ فقال ادخل يامولاى وطيب قلبك فان عقبة فى خيمة الهدلموس وقد حدثنى بعضهم أنهم كلهم نصارى يعبدون المسيح وهذا مما يوافق عقبة حتى يتم له ما يريد ثم ان البطال قصد الى خيمة الوزير ودخل عليه فلما رآه الوزير عرفه اصرف جميع الغلمان الا فرد غلام كان رباه صغير ثم أقبل على البطال وقال له والله العظيم ما أردت المسير اليكم بغرضى وقد كتبت اليكم ترحلون فما قبلتم منى فقال أبو محمد البطال اعلم أن الأمير عبد الوهاب لا يداخله الفزع ولا يعتريه الهلع بل يسلم نفسه إلى الأقدار والواحد والمائة والعشرة كلهم عنده سوى لأنه زهد فى هذه الدنيا وقد رأيته ألف مرة يكشف عن صدره ويطلب أن تصل أسنة الكفار اليه فعاتبه فى ذلك فقال يا أبو محمد لا تعزلنى إذا رأيتنى فى ذلك فانى أكون سكران من شوقى الى الله تعالى وهو قد عول على القتال فقال الوزير الرأى عندى أن ترجع الى الأمير وتقول له إن الوزير أحمد بن سهل يسلم عليك ويقول لك من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وأنا خائف عليك فاطلب النجاة لنفسك وان لم تفعل ذلك فما تبرح من

آمد ولا تخرج اليهم فهذا هو الرأى السديد السليم وأنشده عنى هذه الابيات :

أبا محمد ارجع نحو سيدنا ... أعنى الأمير الذى فاق البريات
ذاك الهمام الذى أضحت عزائمه ... أمضى من المرهفات المشرفيات
ابن الأميرة لازالت موفقه ... على قتال النصارى ذى الضلالات
فقد أتوك جيوش الحبش تتبعها ... أولاد كردم فى عظم الجماعات
والهدلموس كمثل إبليس يقدمهم ... بعظم هيكله تخشى البليات
وسوف يلحقنا المأمون يتبعه ... جيشاً عظيما وأبطال العجاجات
فاطلب ديارك من أرض الحجاز ولا ... تركن الى الحرب مع هذى السعودات
لا تعجبنك كلاب فى تكاثرها ... فالهدلموس مقيم بالقبيلات
وسوف أبذل مجهودى لأجلكمو ... ولو شربت بكم كاس البليات
لا أبتغى سوى الرحمن يغفر لى ... ماكان منى من قبح الخطيات
وقد كبرت فلا فعل يخلصنى ... ولى كتاب ملآن بالقبيحات

(قال الراوى) فقال البطال لقد بكيت حين أنشدنى الوزير هذه الأبيات بكاء شديدا وقلت جزاك الله خيرا وكان لك زخرا لقد أخلف الله لنا الوزير جعفر البرمكى رحمة الله عليه وأدام لنا بقاك ثم ان أبو محمد عول على الخروج من عنده وإذا قد وصل نجاب يخبر أن المأمون قد وصل فى أربعمائه ألف وبعد أربعة أيام يكونوا عندكم فلا تبرحون من أماكنكم حتى يصل فقال الوزير السمع والطاعة

(قال) وكان المأمون قد استضعف هذا الرأى وقال ماهذا صواب أن تقتل بنى كلاب والسودان الانجاب وما المطلوب إلا عبد الوهاب وذات الهمة وأبو محمد البطال اللص المحتال وان عقبة حلف لى بالله العظيم أن هذه الفتن كلها من هذه الثلاثة واقر بنى كلاب على مواضعهم لأن ما عندنا مثلهم وأراد هؤلاء السودان الى مواضعهم ونستريح منهم وأأمر على بنى كلاب من أرضاه يسارع الى خدمتى ثم انه سار حتى وصل الى نصيبين فى اليوم الخامس من مسيره الى الموصل وركب الهدلموس وعقبة المنحوس وتقدم الوزير وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين ماكان الصواب أن تسير أنت بنفسك أنا كنت ألقى هذا الأمر بنفسى فما كلمه المأمون فلما أن استقر فى الخيمة صاح فى الهدلموس وقال خذ هذا المنافق على الدوله وسلمه الى بنى عقفور يأكلون لحمه ولا تطلق عنه العذاب الا بمائة الف دينار والف ثوب أطلس غير ما يصل اليك منا (قال) فلما سمع الهدلموس

ذلك صاح بالسودان فتوثبوا إلى أحمد بن سهل وكان شيخاً كبيراً صائم النهار قائم الليل ولم يكن اختار الوزارة لسبب جمع المال ولكن لمرضات الملك المتعال (قال الراوى) وكانت هذه المكيده من الشيخ اللعين عقبه بلاه الله بألف وخمسمائة نكبة وذلك أنه لما سار من بغداد مع الوزير والعساكر جعل الملعون يسامره ويحادثه ويذكر عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب بالقبيح ويقول هؤلاء خوارج وقتلهم حلال والوزير لا يصغى إلى كلامه فما خفى عليه أن الوزير يميل إلى عبد الوهاب ويراعيه ويرى فيه الرأى الجميل وكان عقبه قد اجتمع فى بغداد وجعل يحرضه على الأمير عبد الوهاب فقال له اعلم أنك مطالب بهذا بين يدى الله تعالى وهذا ما لا يجب أن يكون شغلك لأن هذه الأعمال توجب سفك الدماء وشماتة الأعداء وتلاف الأمراء من أمة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم فامتنع عن هذا وإلا كان لك ولهم يوم عظيم فلما سمع عقبه ذلك قال أيها السيد وكان هذا الذى كنت تسمعه منى كنت ممن أستحله أو أسمح لأحد فى عمله أوليس أعلم أن ما يحامى عن الدين وينصر المسلمين وأمير المؤمنين سوى الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب فلله درك من وزير ما أطيب عنصرك ومحضرك وانما أردت بذلك أنا أختبرك بعدما صح عندى من جميل فعلك ومزيد فضلك وانما قلت ربما تطاوع غرض أمير المؤمنين لأن هذا الذى نحن فيه قبيح فى حق عبد الوهاب وانما كان الواجب علينا نرعى له قديم الخدمة وعظيم الحرمه ونفديه بالروح والمال الا أنه نافق فالله يهديه ويكفيه شر هذا الهلوس فانه عول على أكل لحمه فانه لا يفرق بين لحم الدواب ولحم الآدميين ثم انه خرج من عند الوزير فوجد غلاماً أرمنياً يقال له اصطفانوس فقال له لى اليك حاجه فقال الغلام وما هى الحاجه قال الحقنى الى خيمتى فلحقه الغلام وجلس يحادثه وقال له ويلك اعلم يا ولدى أن كل ما يقال عنى فى دين النصرانية صحيح وأنا ما أصبر على هذه الأشياء الا طلبا للثواب فان كنت على الدين الصحيح تكلمت معك وهذا أستاذك يشد من عبد الوهاب شدا عظيما وهو الذى أخرب الكنائس وخذ هذه المائة دينار لك ولك عندى كل شهر مثلها على شرط أن مهما جرى لمولاك الوزير من حديث غريب عرفنى به قال نعم فلما وصل البطال الى الوزير وتحدث معه واصرف الوزير الغلمان ولم يبق عنده غير اصطفانوس فلم يخف منه الوزير لأنه رباه فلما سمع ما قال البطال وما أنشده الوزير من الشعر فخرج من عندهم إلى أن وصل الى عقبه وأعاد عليه القصة ففرح بها وقال لك على فى

هذه مائة دينار أخرى ثم سأله عن البطـال فقال قد خرج فعند ذلك عمد عقبـة إلى عشرة من السودان سودان الهدلموس وعشرة من الترك وسيرهم مع ولده مصعب وقال اربطوا له فى الموضع الفـلانى إلى آخر إجادة الطريق الذى تمضى إلى آمد التى فى وسط المضيق وكونوا هناك عسى أن تأخذوا أبو محمد ومن معه فهذه أكبر حاجتى وسير الرجال من الترك والسودان كل واحد يريد لرأسه مائة فارس (قال) ورحل أبو محمد من عند الوزير وما عنده من هذا خبر ثم كتب عقبة الى المأمون يحدثه بما جرى من ذلك وفيما قيل لأبو محمد البطال وما قال الوزير فعظم ذلك عليـه ثم سار مجداً حتى لحق به وقبض عليه كما ذكرنا وسلمه الى السودان فأخذوه إلى خيـامهم وخرقوا أثوابه وسحبوه على وجهه وعقبة يظهر التوجع والتفجع وضربوه ضربا شديداً وطلبوا منه المال فقال والله ما بى أن يأخذونى مثل ما بى من أمر هـذا المأمون ولكن لى قرى وأملاك وأراضى تساوى مائة ألف دينار والله العظيم إن كنت أملك منها شيئا لأنها كلها كانت موقوفة على صعاليك المسلمين ومساجدهم وسقاياتهم وهو الذى قد تركه فقد وهبته ولو قتلت من أجل ذلك فما رجعت فيما وقفت فى سبيل الله تعالى فافعلوا بى ما شئتم فما أنا بأول من قتل ظلما وإن كان الخليفة يرى ذلك ويسلمنى اليكم فليفعل ما يريد فهو المطالب به يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم (قال) ومع هذا الضرب الذى جرى عليه لا يفتر عن قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم . وأما الأمير أبو محمد البطال فانه لما سار من عند الوزير ولم يعلم بهذا الامر الذى قد نزل من بعده ولم يزل سائر حتى وصل إلى ذلك المكان المضيق الذى ذكره الملعون عقبه وقد سبقته الرجال ونزلوا فيه وأطلقوا فيه خيلهم ترعى وهم جلوس مثل السباع وأن أبو محمد وغلمانه لما وصلوا الى هنـالك قال لهم أبو محمد اصبروا على قليلا واطلبوا غير هذا الطريق فى لحف الجبل فى هذه العقبة وانظروا الى بطن الوادى فانى أخاف من عقبة لأنه خبير بهذه المسالك ونخاف ممن يقصدهم من آمد فيكون قد طرح الـكلب لنا فى هـذا الموضع رجالا يظفرون بنا وما هو ممن يعجز عن مثل هذا لأنه شيطـان فى صورة انسان فطلع لؤلؤ ورجع وقد تغير لونه فقال أبو محمد يا لؤلؤ ما وراك فقال الموت الاحمر والامر المنـكر ولقد سبقك عقبـة الى ما خطر ببالك وقد سمعتهم يذكروا الوزير بالسوء والنفاق وانى والله خائف عليه فقال أبو محمد وكيف ذلك قال رأيت عشرة من سودان الهـدلموس وعشرة ترك ومعقب بن عقبة وهو يقول ان البطال لابد من

أخذه اليوم أو غدا وسوف يعمل عقبه على هلاكه فى هذه النوبة وقد كاتب الخليفة فيه وأما عبد الوهاب فما بقى له حياة إلا بقدر ما يصل اليه هذا العسكر العظيم فلما سمع البطال من لؤلؤ ذلك ضاقت عليه الارض بما رحبت وقال والله مالنا الى المضى من سبيل ووالله لابد مما أثر فيهم أثر حتى لايرجع أحدا من أولاد عقبه يتعرض لى وأعود الى عسكر المأمون وأنزل به الهوان من أجل الوزير لأننى إن قعدت عنه هلك لامحالة ثم ان البطال أمر الجماعة بالمقام فى مواضعهم وقلع ثيابه ووضعها بين الأحجار ورجع أبو محمد من خلفه الى قرية هناك يقال لها قرية الأكراد فمكث غير بعيد وعاد وعليه طرباح ولفائف برجليه وله شعر أسود طويل وله لحية كبيرة شمطاء ممشطة وعلى رأسه ظرف لبن وبين أكتافه مخلة ملآنة خبز وهو كردى من ألف سنة وانه لم يقصد الى محل غلمانه بل قصد الى الجادة والمضيق فلما وصل إليهم وثب اليه ولد عقبة معقب ونظر اليه فلم يشك أنه كردى فقال من أين أنت ومن أين طريقك فقال من قرية الكرد فقال له وماهذا الذى معك قال لبن وخبز أريد أوصله الى هذه القرية التى فى رأس هذا المكان الى قوم يأكلونه ويعطونى بعض الإحسان فضحك ولد عقبة وقال هذا رزق ساقه المسيح إلينا فقوموا خذوه فتواثبت السودان وأخذوه ووقعوا عليه بحنق وأكلوا الخبز وشربوا اللبن (قال) فوالله ما استقر فى أمعائهم حتى وقعوا الكل على الارض صرعى ودنا منهم الأمير أبو محمد فأما أصحاب الهدلموس فذبحهم ذبح التيوس . وأما الاتراك فتركهم بعد أن أخذ خيولهم وعددهم وذبح معقب بن عقبة وصاح بغلمانه وأرسل الخيل والاسارى والأسلاب مع غلمانه يانس وسبك ورجع الامير أبو محمد ومعه لؤلؤ وجوهر حتى دخل عسكر السودان وجعل يطوف أقطاره وسمع أنين ضعيف من بدن نحيف فقصد اليه واذا به الوزير أحمد بن سهل وكانوا قد ضربوه السودان حتى ضعفت قوته وهدئ صوته ونظرهم فوجدهم نيام فتعجب أبو محمد وهجم عليه فقال الوزير وقد طار قلبه فزعا من العقوبة : من أنت ياهذا فقال له أتاك الفرج من عند صاحب الفرج أنا غلامك أبو محمد البطال فقال له يا ولدى أوجز وأدرك الأمر قبل أن تهلك بسببى فدنا منه وقبل رأسه وقطع كتافه وخرج وهو يقرأ هذه الآية : (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون) وسار الى أن خرج به من العسكر ثم أتاه بحصان أدهم مثل الغراب الأشحم فأركبه إياه وخرج الى العسكر الذى للمأمون وأراد الدخول فيه فوجد الحرس شديد فخاف من الوقوع فرجع وهو مستبشر بخلاص

الوزير على يديه وساروا فى تلك الليلة فما أصبح الصباح الا وهم عند المضيق وقطعوا
الارض والجبال والأودية والتلال على غير جادة معروفة حتى وصلوا الى
آمد ودخلوا على الامير عبد الوهاب وأخبروه بالقصة التى جرت
وحديث الوزير أحمد وعودة الأمير أبو محمد من أجله وقتل
ابن عقبة ففرح بذلك ثم بقى فى حيرة من أجل الوزير
لايدرى هل يقيم أو يسير الى أهله فقالت الاميرة
ذات الهمة هذا والله قد حسبته للوزير لأنه
رجل نصوح والاشرار دائما مسلطة على
الاخيار وما كان عقبة بالذى يقعد
عنه فلما سمع الامير ذلك بقى
كالحبة على المقلا
أو كالمرأة
الشكلى

(تم الجزء الخامس والثلاثون ويليه الجزء السادس والثلاثون)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء السادس والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمـد خاتم النبيين والمرسلين وعلى وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ووصل الاميرأبو محمد وغلامه لؤلؤ وجوهر والوزيرأحمد معهم ففرح الامير عبد الوهاب وأكرمه وقال له ياوزير اعلم أن الوزيرجعفر فعل فى حقنا كل جميل وقتلوه ظلما وسبب قتله عقبة لأنه قد تعود أن يلعب بعقول الخلفاء فأقم أنت ههنا حتى يفرق الموت بيننا فشكره الوزير على ذلك وأقام الامير عبد الوهاب يتنسم الأخبار ويرسل الرسـل الى الأمصار حتى قصـدته العرب من أرض الساحل ومن عسقلان فهو كذلك واذا بالجو قد اسود بالغبار وأظلمت الاقطار وأشرفت العساكر وقد ملأت القفار وأقبلت العساكر والجيوش وهى تتدفق مثـل موجات البحار وقدام الجيوش الملك الهدلموس وهو مثل الأسد الهدار ثم أقبلت الـكرادمة وبنى عقفور ولاحت أبدانهم مثل سواد الفار فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك تهلل وجهه فرحا بالسودان الذين أقبلوا لقتاله رجاء أن يكونوا من جملة أعوانه فقال الأمير أبو محمد ما زلت تحبهم حتى أرسل الله إليك كل السودان الذين فى الدنيا وأنا أسأل الله تعالى أن يكفينا شرهم (قال الراوى) ياساده ياكرام وباتوا الناس على ذلك وسودان الهدلموس يتعجبون من سود حجارة صوار آمد والطبع يميل الى الطبع فقال لهم الهدلموس إذا رجعنا الى بلانا أخذنا معنا هذه الحجارة نعملها بيوتا لنا فبلغ ذلك الى الملعون فضحك عجبا واهتز طربا وقال هؤلاء رجال الحرب .

(قال الراوى) ياساده ياكرام وباتوا الى أن أصبح الصباح فتواثبت العساكر وتجمعت العشائر وكان قد وصل معه عساكر خراسان وجميع الخلاءق من كل مكان وهو فى عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى وانه لمـا وصل الى نصيبين وقبض على الوزير وجرى من القصـة ماجرى وسار طالب آمد فتخلف عقبه مع غلامه دينار

ودخل المضيق ينظر ما كان من أمر ولده معقب فوجده قتيلا وفى التراب جديلا فخرق أثوابه وعظم ويله ومصابه ونتف ذقنه وسار حتى وقف بعسكر المأمون والهدلموس (قال) ولما نزل المأمون على آمد كما ذكرنا وعلم أن الاميرعبد الوهاب قد غلق الأبواب وصار من وراء الحجاب أقبل على الهدلموس وقال له انظر كيف تعمل مع هؤلاء القوم إن قاموا ولم يخرجوا إلينا وهم فى البلد الرفيع والحصن المنيع فقال الهدلموس نعمل السلالم وتطلع فيها الرجال من كل جانب فهم فى الكلام وباب الجبل قد فتح وكان السبب فى ذلك الاميرعبدالوهاب لأنه كان جمع أولاده والسودان وبنى كلاب وقال لهم معاشرالاسلام والأصحاب إيش ترون فى هذا الأمرنخرج اليهم أو نصعد فوق الأصوار فقالوا لا والله بل نخرج إليهم ولوكانوا فى عدد يأجوج ومأجوج (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم فتحوا الباب وخرج الامير عبد الوهاب فى خمسين ألف فارس من كل بطل مداعس فلما نظر المأمون الى ذلك قال لأرباب دولته ووزراء مملكته : ترى الأسود الزنيم والبغل اللئيم يظن أنه يلقى هذا الجيش العظيم فقال مسرور ياأمير المؤمنين ويجوز التفريط فى هذا الرجل الناصح لدولتك الضارب بسيفه فى قمم أعدائك وحسدتك فلم يلتفت الى كلامه فصاح عقبه وقال يامسرور طول زمانك تتعصب للأمير عبد الوهاب وبنى كلاب (قال) وكان فى قلب عقبه نارلاتطفى منأجل قتل ولده معقب وقال فى نفسه وحق المسيح ومامسح والبيعة والمذبح لآخذن فى تار ولدى عشرة آلاف مسلم وأذبحهم ذبح الغنم . ولما تكامل عسكر الأمير خارج المدينة ركب المأمون فى عساكره وأما الهدلموس فانه أرسل الى المأمون يقول له : ما هذا الوقوف الذى قد حل بكم من هؤلاء الأندال وأخس الرجال وأنا أقسم بمعبودى لايتعرض أحدا منكم لقتال ولا حرب ولا نزال بل أنا أحمل فى ألف رجل من قومى فما أترك منهم أحدا (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك أمرالمأمون عساكره بالنزول وراحت الخيول ونزلت الجيوش إلى أن أمسى المساء وتحارسوا الفريقان ولم يقع بينهم فى ذلك اليوم قتال وأوقدت النيران إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وركب المأمون فى موكبه الخاص والمظلة على رأسه يطلب الفرجة على العساكر والدساكر وركب الملك الهدلموس فى جميع أصحابه وقد أطلق بنى عقفور وفك الاقفال عنهم وأعطاهم السيوف والأتراس وحملوا الناس وأقبلت السودان كأنهم الجواسيس وصاح الامير عبد الوهاب يا آل كلاب يا آل كلاب وصاح الامير أبوالهزاهز والامير قراقد وسملق وكوكبه وثعلبه وبغل الدار ورأس

الغول وناب الكلب والمرافق والاشوص ودقت الطبول وهمهمت الفحول على أعناق الناس بالسيوف وتقابلت الالوف وكشفوا الرءوس وبان الأسد العبوس من الجبان المنحوس وأما أبوالهزاهز فأخذ يصيح يا آل حام يا آل حام يالون الظلام انظروا كيف تضعون الحسام فعندها حملوا واذا بالجماجم قد تدحرجت على وجه الارض (قال) وما كانت إلا طرفة عين حتى قتل من عسكر الامير عبد الوهاب أربعمائة فارس من السودان ومن الأكراد خمسمائة وتأخر عسكر الامير عبد الوهاب الى باب البلد لأنهم نظروا الى قوم لايفكرون فى العاقبة ولا يعرفون الموت ولايخشون الفوت برؤوس مثل المراجل وأصابع مثل المدارى فلما نظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك أيقن بالذهاب وصاح فيهما الرجعة ياويلكم إياكم والفرار فيفنيكم الصارم البتار فعندها حملت الرجال وانتخت الأبطال ورموا نفوسهم على السودان فكشفوهم عنهم وأبعدوهم فهنالك حملت بنو عقفور وهزموا الناس الى الصور وكان يومهم يوم مشهور وضاقت الامور وسالت الدماء من النحور فرأيت الصنديد فى أدميته يخور وحامت عليهم النسور وجالت الخيول الصافنات وزمجرت الرجال مثل سباع الفلوات وأيقنت النفوس بالممات ولم يزالوا كذلك طول النهار الى وقت الليل وفتح باب الجبل ودخل الناس خائفين من إدراك الأجل ولم يكن لهم طاقة بما قد نزل وما كان لهم من حديث إلا ماشاهدوا من الهدملوس ورجاله فقال الامير عبد الوهاب والله لقد طلبته فما وجدته (قال) وأما الهدملوس فانه لما رجع الى منزله افتقد رجاله فوجد قد عدم منهم ثمانمائة بطل فعظم عليه وكبر لديه وبات وهو على غاية من القلق. وأما عقبة فانه فرح فى ذلك اليوم الفرح الشديد ونادى: قد آن لى أن أرى عسكر الاسود الزنيم مكسورا مهزوم ولعلى أن أراه فى غداة غد مخذولا معدوم (قال) وبات الناس الى أن أصبح الصباح فقال الامير لوالدته ياأماه إيش ترين من الرأى قالت الخروج الى هؤلاء الأندال لكن بشرط أن لاتأمر الناس بالحملة والقتال حتى تخرج الى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وتطلب البراز وتصال الانجاز لعل الله تعالى أن يظفرنا بالهدملوس وقد تشوش أمرهم ولم يبق لهم مقام لفقده وتختلف بعد ذلك الأهوية وإن أمرت الناس بالحملة هلكوا بالجمله وقدشاهدت ماجرى عليهم بالأمس ومامعنا من يقوم بهؤلاء القوم الذين تراهم مع هذا الشيطان فقال لها صدقت ثم انه أمر بفتح الباب وخرج بنو كلاب والامير والاميرة وخرج باقى الناس من سائر الطوائف وهم كارهين ولم يدع الامير أحد من الناس فى البلد من الذين تخلفوا

فى اليوم الاول إلا وخرج حتى أبو يخاف يطلب أن يكسر السودان ولما نظر الى ذلك العسكر قال وحق الصديق مايقاتل هؤلاء إلا من عدم التوفيق الناس يقاتلون الإنس - وأما جن سليمان فما لأحد بهم طاقة فضحك الامير عبد الوهاب من وسط الغيظ وقال لو تركتك طول الزمان ما تركتك فى هذا اليوم حتى تقاتل معنا فهم فى الكلام والسودان قد ركبت الخيل وأقبلت مثل الليل وكانت خيولهم دهم وأرادوا الحملة فعلمت الاميره ذلك وأرادت أن تخرج الى البراز فسبقها سيف الحنيفية وهو راكب على حجرة عربية معتدلة مستوية لها نفس حمية وغرة سايلة مضية وفى يده قناة خطية وطلب البراز فبرز اليه فارس أسود أدهم مثل الظلام المعتم وفى يده حسام مثل الجمر إذا انضرم فحمل عليه سيف الحنيفية ولم يتكلم ونظر منه مالم يراه من غيره وجرى بينهما كروفر وهزل وجد وأخذ ورد حتى كلا الجوادين هنالك اختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة سيف الحنيفية فجاءت بين عينيه طلع السنان من بين كتفيه فوقع قتيل وفى دمه مجندل جديل ولم يزل يقتل فارس بعد فارس الى أن قتل ثمانية عشر فارس وأخذ منهم جماعة أسرى فلما نظر المأمون إلى ذلك قال من هو هذا الفارس، فما رأيت أحسن منه شمائل ولا أظرف منه مقاتل فقال له عقبة يا أمير المؤمنين هذا سيف الحنيفية وسمعت كيف ذكر أنه يريد أن يجعل الخلافة فى أولاد موسى الرضى فقال المأمون ما فى هذا شك فبينما هم كذلك واذا بفارس من عسكر السودان قد ظهر كأنه برج مشيد أو قطعة من حديد وكان هذا الفارس الهدلموس وهو كأنه فحل جاموس وهو راكب على حجرة عربية مستوية وهو كأنه بعير ورجلاه يخطان فى الارض وفى يده درقة حديد صينى لا يقدر على حملها أحد فلما علم سيف الحنيفية أنه الهدلموس وهو يهمهم ويدمدم فصاح عبد الوهاب : الله أكبر الله أكبر يابنى ارجع عنه وتأخر فلا وأبيك ما كانت إلا ساعة حتى صاح الهدلموس صيحة واحدة ارتاعت منها النفوس وكادت القلوب تنقطع وما بقى قائم إلا وكاد أن يقع من شدة ذلك الصوت الأشنع فغاب رشد سيف الحنيفية وظن أن مائة ألف قد حملت عليه هنالك هاجمه الهدلموس وأخذه من سرجه أسير وقاده ذليل حقير (قال) فقلق الامير عبد الوهاب لذلك قلقا عظيما وأما الاميره ذات الهمه فقد انقلبت عيناها فى أم رأسها مثل حدقتى النمر ثم نزلت عن جوادها وافتقدت حزامه ولجامه ووثبت الى متنه من غير أن تضع رجلها فى الركاب ثم حملت عليه والمسلمون يضجون لها بالدعاء فتطاولت اليها العساكر ونظر اليها عقبة فصاح : آه هذه والله اللبوة الشمطاء

والحية الرقطاء قصف المسيح عمرها وكفانا شرها ثم انها حملت وأنشدت تقول

أيها الهدلوس الذى دنا حتفه بالحسام الصقيلا
جردت فينا حساما ستسق به بكاس المنون شرابا وبيلا
ستصبح فى المقام متعفرا تجول عليك جياد الخيولا

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهما تطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر وأخذا فى الكر والفر والاقبال والادبار والضرب بالبتار حتى تقسطل عليهم الغبار وغابا عن الابصار ولم يزالا كذلك حتى تصرم النهار فعند ذلك هجمت الأميرة عليه هجوم الأسد وطلع على أشداقها الزبد وضايقته وسدت عليه طرائقه وضربته ضربة واصلة فالتقاها بالدرقة التى فى يده فطار الحسام من كفها قطعتين فلما نظر الهدلوس الى ذلك صدمها صدمة بالترس على غفلة منها لأنها كانت تنتظر ضربته على رأسها فكاد أن يقضى عليها لأنه قد اتفق حيله مع حيل الجواد فألقاها عن جوادها فوثب الى الارض ليأخذها فثارت الاميرة وهى لاتعقل على نفسها مما حل بها وتعاركا وتماحكا وقد طمع فى أخذها بالمعاركة وهى راجلة أشد مما كانت راكبة إلا أن هذا رجل جبار لو دخل تحت جمل لحمله وأنه قبض على أعضائها ودخل تحتها وحملها ثم نهض بها وهى على كتفيه فلما نظروا سودانه الى ذلك فرحوا فصاحت عساكر العراق أحذت ذات الهمة فلما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك دهش ناظره وعمى خاطره وإذا بصرخة عظيمة هائلة جسيمه فما من الطائفين إلا من تخبل من هذه الزعقة وإذا بها الأميرة ذات الهمة وقد مسكت بيدها على رأس الهدلوس وعضرت عليها بقوتها حتى طار الدم من أذنيه ثم لطمته بعد ذلك على رأسه بشدتها فوقفت ثناياه من فمه وسقط مغشيا عليه فوقعت الاميرة من فوقه وهو لا يعلم أين هو ثم تركت يدها تحت إبطيه ورفعته على أكتافها وعاد محمولا بعد ما كان حاملا ونظر عقبة الى ذلك فجعل يمسح عينه الصحيحة ويقول سبحان القادر على كل شىء ثم الاميرة سارت به الى الامير عبد الوهاب وبنو كلاب والسودان الانجاب ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل وكان السابق الى الاميرة الامير ظالم وضيغم وقشعم ومالك ابن طوق ومالك بن بشر وأخذوا الهدلوس من على أكتافها وقد وقعت الاميرة مغشيا عليها من ثقله وشدة معاركته (قال الراوى) يا ساده ياكرام ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشعل الى أن أمسى المساء وغلست الظلماء ودخل الامير عبد الوهاب الى آمد وطلب أبو محمد فلم يجده فهو كذلك وإذا بلؤلؤ غلام البطال دخل عليهم ومعه

سيف الحنيفية ففرح به الأمير وسأله عن أبو محمد فقال له يامولاى انه سار فى طلب عقبه فأوقف له على الباب من ينتظره فى هذه الليلة فبقى الامير عبد الوهاب على مقال النار من أجل أبو محمد البطال من خوفه عليه من حيل عقبة ومكره وخبثه ثم انه أحضر الهدملوس لما أفاق فحضر وهو خجلان مما نزل به وقد نظر نفسه أسير ونظر الى الامير عبد الوهاب والى أبو الهزاهز فأنس اليهم لانهم سود لان الجنس يألف الجنس فقال من يكون هذا الفارس الذى أسرنى وكان كلامه الى أبو الهزاهز فقال له أيها الملك اعلم أن الفارس الذى أسرته أنت فى الاول فانه صبى حديث السن وأما الفارس الذى أسرك أنت فانها امرأه وهى أم السيد الخطير والبطل النحرير والامير الاجل الكبير الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب ومالك رقاب السودان الانجاب (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملك الهدملوس ذلك الكلام قال ان هذا لا أصدقه لانها صرخت وطرحت يدها على رأسى حسبت أن السماء قد وقعت على الارض فقالت الاميرة وقد كانت بالقرب منه وهى تسمع كلامهم ويلك والله انى لما وضعت يدى على رأسك قرأت هذه الآية الشريفة قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون والآن قد أشركت يا ملعون ومن هو بجهله مفتون ومغرور (قال الراوى) يا ساده ياكرام وقد أمسى المساء وقال الأمير لوالدته قومى بنا الى الصلاة يا أماه فعمدوا الى المحراب وكل واحد منهم صلى ما عليه من الصلاة وبعد الفرض الورد وهى مائة ركعة كل ليلة وكانت هذه أورادهما لا يتركوها سفرا ولا حضر هذا وقد تنحنح الامير وفتح فمه وحنجرته وقرأ فى القرآن العظيم بصوت حنين وكانت الاميرة تصلى ودموعها تجرى على خديها خوفا من الله تعالى حتى مضى من الليل أكثره ولم يبق الى آخره ونظر الملك الهدملوس الى ما به فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب والى ذلك القيام والقعود والركوع والسجود والخوف من هيبة الملك المعبود وقراءة القرآن الذى تقشعر منه الجلود فناداهما وقد خشع قلبه من تلاوتهما ومن صلاتهما وفزع مما رأى منهما وقال لهما يا هؤلاء ما هذا البكى والحزن والشكوى الذى أراه بكما فقالوا له خوفا من ربنا وخالقنا فقال لهم ومن هو ربكما قالوا ربنا الذى يرانا حين نجلس ونقوم ورفع سرادق الغيوم ويعلم عدد النجوم وابرام القضاء المحتوم وهو الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم فقال الملك الهدملوس من هو هذا الرب هل هو الذى يقال له المسيح أم غيره فقالت الأميرة وقد صاحت عليه يا ويلك

كأنك تظن أن المسيح رب يعبد وما هو الا مأمور مستعبد وهو يخاف من العقاب من العقاب ويعبد الله طمعا فى الثواب وخوفا من طول الحساب وان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن سمع الملك الهدلموس ذلك المقال قال لعن الله ذلك الشيخ الأعور الجاهل الكذاب وقد كنت أحسبه عاقل ولا شك أنه على الضلال لأنه ملعون محتال مرتاب كذاب فقالت الاميرة عن من تعنى بهذا الخطاب فقال لها عن عقبه الذى جاء الينا من عند الخليفه ومعه كتاب وكنت أنا لا أتدين بدين ولا أعرف كلام النصارى ولا المسلمين وانى قلت له أيها الشيخ أى الأديان أفضل حتى أتبعه فوصف دين النصرانية وقال هذا هو الدين الصحيح فقالت الاميرة الآن فقد عرفت الحق فعود الى الله من قريب واعلم أنه قريب مجيب فقال لها دعينى حتى أشاور عقلى ونفسى وأنظر ماذا يكون من قومى (قال الراوى) ياساده يا كرام ولما أصبح الله بالصباح والأمير عبد الوهاب يقول اللهم اجعل هذا العبد من جملة من يقاتل فى سبيلك ويشهد على عقبة عند أمير المؤمنين هذا ولما أن أصبح الله بالصباح لم يأتى البطال كما ذكر لؤلؤ للأمير عبدالوهاب ولم يأتى فأيس منه وقال لوكان سالما ما غاب عنا (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المؤمنون فانه لما أسرت الاميرة ذات الهمه الى الهدلموس عسر عليه وأحضر عقبة وأرباب الدولة بين يديه وقال هذا ما لم يكن فى الحساب فقال عقبة يامولاى لا تحزن على الهدلموس واعلم أنى وجدت السودان ماعندهم لفقده لاجزع ولا فزع ورأيتهم مسرورين برجل قدموه عليهم وهو أسود كأنه فيل ويذكرون أنه أحق بالملك من الهدلموس وهو يقول له كردم فبات المأمون وقد خف عنه ماكان يجده من ذلك الهم ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح أقبل الامير عبد الوهاب على بنى كلاب وقال لا بدلى من الخروج الى القتال ثم انه فتح الباب وخرجت الناس من السودان وبنى كلاب وسائر الأمراء والأصحاب ثم انه صف عساكره وكتائبه ونظروا سودان الهدلموس الى ذلك فركبوا كلهم وصاحوا واق واق فارتجت الأرض من سائر الجنبات وقد اجتمعوا من حول الملك الجديد كردم وقالوا له أيها الملك هذا أمير الجيش الذى عرفت أن الخليفة يطلبه أما تراه قد برز بعسكره فصرخ كردم صرخه عظيمة وخرج الى الميدان وهو من فوق جواد فاخر واسع الحوافر يفوت جرى الطير الطائر ويسبق السحاب السائر وفى حلقه قلادة من الجوهر تسوى عشر بدر وهو من فوقه كأنه الأسد اذا هدر هذا ولما أن صار فى الميدان طلب البراز وسال الى

الانجاز فخرج اليه فارس من فرسان الحجاز فما كانت إلا قدر طرفه عين حتى أنه أخذه وخطفه من سرجه خطفه الخاطف فخرج اليه من بعده الأمير ظالم وحمل عليه وحمل كردم الآخر عليه وقد تقاتلا وتطاعنا طعنا شديد ليس عليه من مزيد ولم يزالا كذلك الى أن حميت الرمضا واكفهر الحصى والجندب وتوقد الجلمد وحمى القصطل واسود الجو وعدم الضوء (قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزالا كذلك إلا أن أمسى المساء ونادى منادى الانفصال فانفصلوا ورجع الامير ظالم فدنا منه أبوه وقبله بين عينيه وقال له يابنى كيف رأيت خصمك فقال يا أبتاه دعنى من السؤال وهنينى بالسلامة من تلك الاهوال هذ وقد دخلوا الى البلد وقد انقطعت أخبار أبو محمد البطال وما بان له خبر ولا أثره ظهر (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وحال غريب لابدما نذكره على الترتيب بعدالصلاة والسلام على سيدنا محمد الحبيب وذلك أن المأمون أرسل فى تلك الليلة الى السودان يقول لهم ما فى الامر إلا اننا نضيق عليهم من كل جانب حتى لا ينجوا منهم هارب فقال كردم يا مولانا لا تعجل بل فى غداة غدا أفعل ما يكون فيه الصواب فلما سمع عقبة ذلك الكلام فرح واستبشر وخرج من عند المأمون وقد نصب للبطال اشراك حيلة وتلصص عليه حتى وقع فأخذه ولم يعلم به المأمون ولا غيره دون أنه حمله الى بعض المغائر ووضعه فيها وهو مكتوف ووضع على صدره صخرة عظيمة هائلة بعد ما ضرب له فى الأرض أربع سكك وربط يديه ورجليه وقال وحق المسيح ما أقتلك حتى أقرض من لحمك فى كل يوم بالقراض قطعة بعد قطعة لانك قد فتت كبدى بقتلك معقب ولدى وتركه عقبه فى المغارة وخرج وعاد الى العسكر فى الحال وترك البطال فى أسوأ حال (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان السبب فى غياب البطال ونرجع الى ماكنا فيه من الاقوال بعد الصلاة على النبى المفضال هذا وقد أقبل الأمير عبد الوهاب على الهدلموس وقال له ياهذا لا تظن أن اكرامى لك خوف من سودانك بل هو تقربا الى قلبك لعل الله تعالى أن يهديك الى الصراط المستقيم والدين القويم فلما سمع الملك الهدلموس الى ذلك دمعت عيناه ولان قلبه وقال كيف أقول حتى أصير مسلما فقال له تقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله ففى ذلك الوقت أقر الهدلموس بالشهادين فوثب الامير عبدالوهاب اليه وعانقه وقبل ما بين عينيه وقال له هذا الذى كنت أرجوه لك فقال الهدلموس يامولاى أعلمنى ايش السبب الواجب الى الفتن بينك وبين الخليفة المأمون فقال له كل مانحن فيه من عقبة لانه كافر برب العالمين

ويتجرأ فى الكلام على سيد المرسلين فقال له إذا كان الأمر كذلك فأنا آخذه لك وأسلمه اليك وإن طلبت أمر السودان الذين لى يكسرون عسكر المأمون وتأخذوه أسيروان شئت جعلت لك الخلافة وأقاتل بين يديك الى أن أموت لأن ما بقى لى رغبة فى الرجوع الى ديارى فقالت له الاميرة بارك الله فيك أيها الملك الكريم والفيل العظيم بل نريد منك فى ليلة غد نشدك بحبل وتنزل من الصور وتذهب الى عسكرك وتقول لهم انك قد هربت بالليل وتقول لهم لابد أن أفعل بهم وأصنع فلا بد أن يصل الخبر الى الخليفة فيرسل اليك عقبة فاذا جاء اليك يهنيك بالسلامه هنالك أقبض عليه ثم تأمر بعد ذلك أصحابك بما تريد فانهم لايخالفوك فقال لهـا ابشرى فوالله مايصـل اليك عقبة إلا وهو أمرد مما أنتف ذقنه وأنهش بأنيابى آذانه (قال الراوى) ياساده ياكرام ولم يزالوا فى مثل ذلك الكلام بطول الليل الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتح الأمير عبد الوهاب باب آمد وقد خرج فى رجاله وهيأ ابطاله وكذلك فعلت سودان الهدلموس وقد خرج كردم فى مقام الحرب ومنزل الطعن والضرب وهو كأنه جمل حل من عقال بالحديد مسربل سربال فوق سربال فقالت الأميرة أنا أخرج اليه فقال ظالم بل أنا أخرج اليه فأقسم الامير عبد الوهاب لا يخرج اليه أحدا غيرى فقالوا دونك وما تريد فعندها خرج الاميرعبد الوهاب فقال له ظالم أيها الامير كلا منا قد حلف أنه يخرج اليه وما فى الأمر إلا اننا نتساوى ونخرج اليه أبو يخلف فقال أبو يخلف ما أنا مجنون حتى أحنث الامير فى يمينـه فدع الساعة هذا المزاح فمـا هو وقته وإلا وحق الصـديق أخذت ست شمسه ورحلت عنكم وما تجدون بعد ذلك مثلى فضحك الاميرمنه ثم انه حمل على كردم حملة منكرة صادقة ومد اليه رمح وطارقة هذا وانهما تدانيا وتلاقيا وتطاعنا فسبقه الامير بالطعنة فجاءت فى صدره خرج السنان من ظهره فوقع الى الارض صريع فلما رأت السودان الى ذلك حملت على بنى كلاب ساعة فلم يجدوا بنى كلاب لهم طاقة بقتالهم فدخلوا الى البلد مندفعين فنظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فعاد ودخل معهم البلد وصار من وراء حجاب وقد رجعت السودان عنهم ولم يزل الصياح بينهم الى الليل فلما أظلم الليل أخذ الملك الهدلموس حبلا قويا غليظا شديدا وقد شده فى وسطه وأنزلوه من الصور ولمـا أن صار على وجه الارض حل الحبل من وسطه وسار إلى العسكر ودخل عليهم وعرفهم بنفسه فصاحوا لمـا عرفوه بتلك الاصوات الشنيعة أو قد جعلوا يقبلون يديه ورجليه ويهنوه بالسلامه (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ولما أن وصل الخبر الى عسكر المأمون فسألوا عن ذلك فقيل ان الهدلموس

رمى روحه من على الصور وقد قال انه فى غداة غد يخرج الى ذات الهمة لأنه لما كانت أخذته كان ظن أنه أهلكها وما أخذته إلا على غفلة منه فلما سمع المأمون ذلك فرح وقد أرسل عقبة فى الحال الى الهدلموس وقال له امض اليه وتغمم له مما جرى عليه وانظر كيف كان السبب فى خلاصه فقال السمع والطاعه ثم ان عقبه أقبل على ولده عامر وعلى غلامه جبروقال لهما انى كنت قد عولت على اننى امضى الى هذا الشيطان أبو محمد البطال وأقتله ودع يجرى بعد ذلك ما يجرى لأننى قد تركته على الحالة التى تعلموها وما أظن انه بعدها فى الحياة والآن فى هذه الساعة جاءنى خبر الهدلموس انه خلص من يد الأعداء وهوأفرح لقلبى من ذلك لأنى كنت خائف من هذه الطوائف أن يختلف أمرها وأريد أن أمضى إليه وأقوى عزمه على ما يعمل وسار عقبة حتى وصل الى الهدلموس فلما رآه قام له قائم على قدميه وما كان يعهد منه ذلك وجعل عقبة يهنيه بالسلامه وقال له أيها الملك خاطرت بروحك فحدثنى كيف أرميت روحك من ذلك الصور الشاهق فقال له الهدلموس هذا وأنت رجل عاقل كيف يقدر على ذلك أحد من الناس ولكن أنا فتحت باب السر الصغير وخرجت منه وانى قد عولت أن أنزل الرجال تعبر منه وتملك البلد وتقتل كل من فيه وهم نيام لأنهم آمنون لأجل أن بلدهم حصين فطار عقل عقبه من الفرح لما سمع ذلك الكلام وقال أيها الملك وحق المسيح اننى أشتهى أن أرى ذلك الباب حتى أعلم به الخليفة فيكون على أهبة فقال له الملك الهدلموس قم بنا حتى تراه فقال عقبه ما أبركها من ليلة وأنا أخبرك أيها الملك أن عندى أبو محمد البطال فى مغارة فى ناحية عن الطريق فسر معى أيها الملك حتى تراه (قال) وكان الهدلموس سمع الامير عبد الوهاب يذكر أبو محمد ويطنب فى حديثه . وكان حلى فى قلبه دين الاسلام وقد وقع حب الامير والاميره فى قلبه لما رأى من حسن دينهما واعتقادهما ووداهما وإخلاص نياتهما فقال فى نفسه ما الفائدة اننى آخذ هذا الشيخ النحس وأدع صاحب الامير والاميره أبو محمد البطال فى الاعتقال والذل والهوان فى ذلك الجب الذى لايعلم هو فى أى مكان (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وعقبة يقول أيها الملك فى قلبى نار لاتطفى ولهيب لايخفى من البطال فقال الهدلموس أرنى إياه حتى أشفى غليل صدرك منه فقال له حباً وكرامة ثم سار بين يديه وهو يقول ما مرّ على البطال ليلة أيشم من هذه الليلة وما زالوا سائرين حتى وصلوا سائرين حتى وصلوا الى ذلك المغار فدخل عقبه ودخل بعده الملك الهدلموس وهومثل الفحل الجاموس وقد سد باب المغارة بهيكله وجسمه وكبر خلقته وهذه المغارة كانت

وهى تحت الجبل هذا وأبو محمد كان فى ذلك الوقت قد أشرف على التلف فلما دخل عقبة عليه رفع الحجر عن صدره وقال له يا أبو محمد أبشر فقد جاءك الفرج واعلم أن هذا الملك الهدملوس قد أتى إلى زيارتك ويريد يتلف نفسك من بين النفوس ويعجل رحلتك ويجعل ليلك ليل منحوس ثم إنه أخرج زناد وقدح وأشعل شمعة وأخرج سكينا أمضى من القضاء وأنفذ من البلاء لو انها وضعت على جمل قطعته نصفين ظهرها يعمل فى الأجساد كما تعمل السيوف الحداد ثم قال يا أبو محمد قل لنبيك يخلصك منى فقد انقضت مدتك ثم وضع السكين على نحره وقد برك على صدره فأيس البطال من الحياة وأيقن فى ذلك الوقت بالوفاة وقال هذه نوبة ما كانت لى فى الحساب وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها أحيا وعليها أموت وعليها أبعث إن شاء الله فقال عقبة يا أبو محمد إنى أريد أن أذبحك ولقد كنت أشتهى أن أعيش فى كل جيل وأعمر فى كل قبيل حتى انى أنصر دين الانجيل وأقتل هذا الدليل الضليل وأسفك دم من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أرجو بذلك الثواب العظيم فقال أبو محمد يا ملعون إن الله سبحانه وتعالى لبغضته لك قد بغض اليك كلمة الاخلاص وجعلها ثقيلة على لسانك حتى لا تقدر تقولها وأما قولك تعمر وتعيش عمراً طويلا فابشر واعلم أن ذكرك لا ينقطع لسوء فعالك وسواد أعمالك وسوف تلعن بكل شفه ولسان فى سائر الأوقات والأزمان وتحمل إلى محل الذل والهوان وفى القيامة تساق الى النيران وتلبس ثياب من قطران وينادى عليك هذا فلان ابن فلان الكافر بالملك الرحمن (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما أن سمع عقبة القرآن من أبو محمد ذلك الكلام الذى موزون بميزان فاغتاظ منه غيظا شديداً وهم أن يذبحه فقبض الملك الهدملوس على قفاه بتلك الأيادى الخفيفه والأنامل اللطيفه وعصر على حلقه كاد أن يقضى عليه وقد بزرت منه الاحداق وغشى عليه وكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وقال له خلى يا ويلك عن ولى الله يا عدو الله قبل أن أذيقك شىء آخر من الرمضا فان شئت أن تغضب وان شئت أن ترضا فان عقوبتك على فرضا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلماسمع عقبة ذلك الكلام من الهدملوس تعجب وتحير وأطلق يده من أبو محمد ووقع الى جانبه مغشيا عليه فدنا الهدملوس من البطال وأطلقه من الاعتقال وأزال عنه تلك الأغلال وأبو محمد غائب فى دنيا أخرى وهو متعجب من تلك القضية ولا يعلم كيف القصة ولا من أين أتى الفرج من وسط الرزية وقد طار قلبه فرحا وقال

سبحان الله كنت لما رأيت الهدلموس أيقنت بالبلاء والبؤس وكان قدومه سببا لزوال العكوس وقد قيل فى المعنى

لـكل شيء من الأشياء ميقات　　　والأمر فيه أخى محو واثبات
ورب ذو كربة كانت مضرتها　　　ظاهر وباطنها فيه المسرات

(قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم ان أبو محمداً أقبل على الهدلموس وقال له بحق من جعلك وليا من أوليائه بعد أن كنت عدواً من أعدائه قل لى ما السبب فى ذلك فأعاد عليه القصة التى جرت والاحاديث التى طرت ففرح أبو محمد وقال الحمد لله الذى جعلك ركنا للاسلام وعونا لاهل الايمان على أهل الشرك والطغيان لأن الله عز وجل قد علم نية الامير عبد الوهاب ويستاهل والله أن يجاب لان ما عنده من حب الدنيا خبر ولا فى قلبه منها أثر وقد أقبل على الآخرة بكليته وانقطع الى الله عزوجل بجملته وتلذذ بخدمته ثم ان أبو محمد عمد الى عقبه وشد يديه ورجليه وأراد أن يحمله بعد ما طلع من تلك المغارة فمنعه الملك الهدلموس من ذلك وقال أنا يا أبو محمد أحق بحمله وقد رضيت بأن أكون حمالا ثم حمله على أكتافه وسار الى أن وصلوا الى أمد فصاحوا فأجابهم الحرس وقالوا من أنتم فقال لهم الامير أبو محمد افتحوا الباب فأنا أبو محمد البطال فمضوا الحراس واعلموا الامير عبد الوهاب بذلك فقام بنفسه مسرعا وهو لا يصدق من الفرح وفتح الباب فرأى أبو محمد والهدلموس ومعهم عقبه المنحوس ففرح غاية الفرح وقال خـــذوه واكتموا أمره حتى نفعل به ما نريد فقال الهدلموس من يمنعكم من قتله أيها الامير فما فى حيـاته فائدة لانه شيخ نحس فقال الامير عبـد الوهاب ما يمنعنى من قتله الا أشياء وأمور سوف تطلع عليها وهوأن الخليفه المأمون وعسكره كل يوم فى زيادة ونحن فى نقصان وأقرب الاشياء البارحه وصل اليه عسكر من مصروعساكر من الشام فى خمسين ألف مقاتل وما ندرى ما يكون منا ومنهم فقال الهدلموس اذا كان الأمر على ما ذكرت فأنا أعود الى قومى وأعلمهم بما من الله به على من الاســـلام وأنا أعرف أن أكثرهم يدينون بدين الاسلام فاذا أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح لا تقيموا فى البلد بل اخرجوا وصفوا صفوفكم وجردوا سيوفكم لانكم على نية الحرب وموقف الطعن والضرب وأنا أحمل على المامون وهو مقـــابلى فانا أخذه أخذ بالكف ونأخذ كل من فى الموكب وقد انكسرت عساكره وتفللت دساكره فقال أبو محمد البطال هذا هو الصواب وهو رأى جيد (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا وقد مضى الهدلموس وأغلق الامير الباب وعاد الى موضعه

وهنأ أبو محمد بالسلامه وقال له ياأبو محمد خرجت من عندى تحتال على عقبه وقعت أنت فى يده فقال البطال أيها الأمير لاتسأل فما على وجه الأرض أخبث من عقبه فكم من مرة أحذره ثم أقع فى يده وانى أخبرك أيها الأمير بما جرى لى مع هذا الملعون فى هذه الكرة وهو انى لما خرجت من عندك ومضيت الى عسكر المأمون لآخذه فلقينى غلام من غلمان عقبه وأنا فى زى صعاليك الأكراد فما عرفته ولا رأيته فى غلمانه قط فقال لى ياكردى قلت له لبيك فقال تعال معى حتى أعطيك شيئا من الزاد ثم انه أخذنى وأبعد عن العسكر وقال لى لاشك أن لك عيال وأطفال إلا أن الأكراد كلهم لصوص فما قولك فيمن يعطيك ألف دينار مصرية وتسرق لى رجلا واحدا وتأخذ منى هذا الدواء وتوضعه له فى مأكوله أو مشروبه فقلت له ومن هو هذا الرجل أعلمنى به فإن كنت أقدرعليه صرت اليه وإلا رجعت من حيث أتيت فقال أبعد عن العسكر حتى أنفذ لك من يتحدث معك ويعرفك بالذى تريد أن تسرقه لأنه مايقدر يجىء إلا فى الخفية فلما سمعت منه ذلك أيها الأمير غرنى الطمع وكان الميعاد بيننا الليل فسرت الى المكان المعين واذا بالرجال خرجوا علىّ وأخذونى فى جب من داخل المغار الذى خلصنى منه الهدلموس ولولا انه أتانى وأدركنى وخلصنى وإلا كنت من الهالكين وذلك من فضل ربى الذى خلصنى من تلك الشدة (قال) فلما أن سمع الأمير عبد الوهاب ذلك تعجب ورفس عقبه برجله ففتح عينه فرأى الأمير عبد الوهاب واقف عند رأسه والأميرة ذات الهمة الى جانبه والسودان من حواليه فكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه فقال له الاميرأبو محمد انظر ياملعون كيف خلصنى الله منك ببركة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى قلت لى : قل له يخلصك أبشر ياملعون بالويل فوالله لأنتقمن منك أشد الانتقام ولأضربنك ضربا ما تحمله الأنام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الملك الهدلموس فانه سار الى قومه وهو على غاية الفرح ثم أحضر المقدمين وأرباب دولته وكانوا عشرة أنفس وقال لهم اعلموا انى كنت مغرور بدار الغرور وهى دار ربحها خسران وعزها ذل وهوان وهو انى رأيت دينا فيه فائدة كبيرة وقد رضيته لنفسى وهو يسكنى ويسكنكم فى دار البقاء وهى دار نعيمها لايزول وعيشها لاينفذ ولايحول فما أنتم قائلون فقالوا افعل أيها الملك ما تريد فنحن كلنا لك من جملة الخدام العبيد ولا نخالف لك قولا ولا نعصى لك أمرا فقال لهم اعلموا أن الخالق سبحانه وتعالى بخلاف الخلائق وهومنزه عن الصاحبة والولد وليس لهضد ولاشبيه ولا ند وأناقدانفتح

لى باب الهدى والنجاح وأريد أن أكون من أهل الفلاح ولقد رأيت من الأمير الاميرعبد الوهاب وأمه ذات الهمة شيء لم أره من أحد غيرهما أبدا من التمسك بالدين والوفاء واليقين والركوع والسجود والخوف من أهوال يوم القيامة والوقوف بين يدى خالق الخلق وباسط الرزق وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أنتم قائلون فلما سمعوا منه ذلك قالوا أيها الملك الكريم والفيل العظيم وما تقول فيما صنعه معنا الرجل عقبه فقال لا أعقبه الله خير ولاعافية فقد قبضت عليه وسلمته الى الامير عبد الوهاب وأمه ذات الهمة حتى انهم ينزلوا به كل رزية وعذاب فلما سمعوا ذلك قالوا هانحن بين يديك مهما أمرتنا به فعلناه فشكرهم على ذلك وقال لهم انى قد عولت على أخذ المأمون ونسلمه اليهم حتى تذهب عساكره ونبقى نحن والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومن معهم من الأصحاب نتعلم شرائع الاسلام وحدود الإيمان ونفرق بين الحلال والحرام وندخل معهم الى بلاد الروم ونجاهد فى طاعة الحى القيوم ونقيم ههنا وما نرجع إلى ديارنا ومن أراد المقام هنا أقام ومن أراد الانصراف الى أرضه وبلاده فشأنه ومايريد فقالوا له نعم مارأيت وها نحن نمضى إلى أصحابنا ونعلمهم حتى يكونوا على أهبة من أمرهم ثم انهم تفرقوا وكان الذى آمن منهم باطن وظاهره أربع أمراء يقال لأحدهم شارب الدماء والثانى المقرود والثالث أبو الخلق والرابع أبوالقرون وهؤلاء الذين حلى لهم دين الاسلام ودخلوا فى الإيمان فمضوا الى أصحابهم وأخبروهم بذلك الشان وأشاعوا فيهم كلمة الاسلام فلما سمعوا ذلك أجابوا وقالوا نحن ما نخالف قول مولانا فقالوا لهم خذوا أهبتكم لما يأمركم به الملك الهدموس وأما باقى الأمراء الستة فلم يعمل معهم كلام الملك الهدلموس شيئا وقالوا نحن ما نعرف إلا دين المسيح على طول الأيام والسنين والأزمان وهذا الملك قد صغى الى هؤلاء القوم وتبعهم فأجمعوا أمرهم على رأى واحد وانهم يكونوا لبعضهم بعضا فى الرخاء والشدة (قال الراوى) ولما أن أصبح الصباح وقد تقرر أمرالأمراء الذين أسلموا أن يقبضوا على المأمون والأمراء الذين على دينهم فانهم عولوا أن يخبروا المأمون وأن يكونوا من حزبه وينصروه وكان المقدم على هؤلاء الستة رجل جبار يقال له عملاق وكان لايطاق علقم مر المذاق وانه أقبل على الخمسة الأخر وكان أسماءهم شمراح والكرداج ودينان والعروس والشحطبان فقال لهم المقدم عليهم الصواب أن تفعلون فعلا تشكرون به وهو انكم ترسلون إلى المأمون وتعلموه بهذه القصة وتقبضون على الهدلموس وتسلمونه اليه

وتعرفونه ان لولا فعلنا ذلك معه لكان قد هلك حتى نأخذ منه الاموال فعند ذلك أسلموا الى المأمون وعرفوه مايريد أن يفعل الملك الهدلموس وأن عقبة مقبوض عند عبد الوهاب فلما سمع المأمون ذلك فزع غاية الفزع وأرسل اليهم الأموال والخلع وقال على أن أعطيكم أضعاف ماوعدتكم به وأن المأمون أرسل يطلب عقبة فلم يجده فعلم تحقيق القصة وأن عقبة أخذوه ولا بقى له من عندهم رجوع إلا بعد حرب شديد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الهدلموس فانه ادعى بالشيظبان وقال له أعلم أصحابك بهذا الأمر الذى عولنا عليه فقال انى أعلمتهم (قال) فبينما هم كذلك واذا المأمون أرسل يقول أيها الملك أرسل الأمراء الذين عندك حتى أخلع عليهم ليكون ذلك أنشط لقتالهم فقال الهدلموس اذهبوا اليه وخذوا الخلع وقولوا له يركب اذا أصبح الصباح حتى ينظر الى قتالنا فاذا ركب انطبقنا عليه وأخذناه أخذا بالكف (قال) فمضوا الامراء الى المأمون فخلع على الستة الذين أقاموا على الكفر الخلع السنية وأركبهم الخيول العربية بالركابات الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر ورجعوا الى الملك الهدلموس وقد أصبح الصباح فنظر معهم كل مليح فسألهم عن باقى الأمراء فقالوا انهم عند المأمون مكرمين وهو يدعوك اليه حتى يخلع عليك خلعة سنية ما نظر أحدا شكلها وكذلك باقى الأمراء حتى يكونوا بين يديك يحجبوك فاذهب اليه كى لاينكر أمرك ويأخذ حذره منك (قال الراوى) فعند ذلك ذهب الملك الهدلموس طالبا المأمون هذا وقد رتب المأمون الرجال وفى أيديهم السيوف الصقال والعمد الثقال فلما أن سار الهدلموس طالبا الى المأمون أقبلوا الأمراء الستة على قومهم وقالوا لهم إن المأمون قد وعدكم كلكم أن يفعل معكم مثل هذه الفعال فاصدقوا الآن فى القتال وسمعوا أصحاب الأمراء الاربعة الذين أجابوا الى الهدلموس أن المأمون قد قبض على أمرائهم فانعزلوا فى أربعة آلاف هذا والامير عبد الوهاب قد فتح باب البلد ووقف ظاهرها فى عساكره وأما الهدلمرس فانه وصل الى الخليفة وهو آمن على نفسه إذ صاحت به الرجال ليقبضوا عليه فعندها جرد سيفه وحمى نفسه فصاحت عليه الرجال أصحاب الشيظبان : المسيح المسيح ونادوا اصحاب المأمون : لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد سمع الامير عبد الوهاب التكبير فطلب الى سرادق المأمون ومعه بنى كلاب والسودان الأنجاب وانضاف اليه أصحاب الهدلموس الذين آمنوا فصاروا خمسين الف اسود وانطبقوا بعضهم على بعض وعملت النصال فى قمم الرجال وخابت الظنون والآمال وهبت عليهم رياح الأهوال واصفرت أوراق الآجال وخرست

الألسن الناطقات وبربرت عند ذلك السودان وهاجوا مثل ما تهيج الجمال وبكت السماء بدمع النداء على تلك الرمال وضجت الارض من الدم الذى عليها قد سال من الأوصال وزاد الجراح واسودت البقاع فما عرف الإنسان اليمين من الشمال وهدرت سباع الويل وقطعت قوائم الخيل وسالت الدماء مثل السيل وما أسرع ما دارت الأفلاك والمقادير حتى دخل الغبار فى المناخير وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى وقت الظهر والامير عبد الوهاب قد وصل إلى موكب المأمون وقد قاتل الملك الهدلموس القتال الشديد ولم يكن معه ترس يلتقى به ويمنع عن نفسه فأثخن بالجراح من وكز أسنة الرماح والبيض الصفاح وأخذوه أسير هذا وقد زاد الحرب والويل الى أن دخل عليهم الليل ورجعت الفرسان تتمايل على ظهور الخيل وانفصلوا عن القتال ورجع الامير الى مقامه والسودان قد أفنوا بعضهم بعضا وقتل من الذين أقاموا على الكفر خلق كثير وهلك من بنى كلاب جماعة وكان يومهم يوم عسير هذا وقد باتوا الناس على ما هم عليه وعند الصباح اصطفت عساكر السودان فأول من فتح باب الحرب كان الشيظبان وجال على الأقران وحمل على الشجعان فقتل عشرة من فرسان الأبطال الشجعان فلم يجسر أحد بعدها يتقدم اليه فخرج اليه أبو الهزاهز وجال فى الميدان فانقض عليه الشيظبان وجرى بينهم حرب أكيد يلين له صم الجلاميد وبعد ساعة أخذه أسير وقاده ذليل حقير فخرج من بعده طارق الحجازى وتطاعن هو وإياه ساعة فوجد طارق فى نفسه التقصير فألوى عنان جواده وولى منهزما فخرج اليه راشد بن ضمرة فأسره وخرج اليه الامير ضيغم وقاتله إلى أن تقضى النهار وأقبل الليل ورجعوا الى الخيام (قال الراوى) ياساده يا كرام ياأهل الذوق والأفهام وباتوا الناس إلى الصباح ولما أن كان ثانى الأيام خرج الشيظبان الى الميدان فبرز اليه خمسة من السودان فسقاهم شراب الهوان وثلاثه من الأكراد فعند ذلك خرج الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب البطل الهمام وهو يقول :

ترانى الهمام غداة الطعان ... بصير فى الأمور بحسن المعانى
كريم الليوث ألا انثنى ... اذا جالت الخيل فى الصحصحان
تعودت فعل الكرام الذين ... لهم موقف الحرب والموت دانى
فكم لى جديلا على فدفد ... بوكز السنان وضرب اليمانى

(قال الراوى) وحمل بعضهما على بعض والتحما واصطدما وتضاربا وتحاربا وتجاولا حتى زاد الأمر وعيل الصبر وزاد الشر وصاح به الامير المهاب المقدم على الأصحاب صيحة عظيمة حيره وأضجره ولاصقه وقاربه ومسك الى جلباب درعه ومراق بطنه وهزه اقتلعه من سرجه ودفعه الى غلمانه (قال الراوى) وخرج من بعده الكرداخ فأخذه أسير ولم يزل يخرج اليه واحد بعد واحد حتى لم يبق من الستة المقدمين على السودان إلا الشمراخ وانه خرج الى الامير وقد ضمن للمأمون أخذه وكان فارساً شجاعا وبطلا مناعا وهو مع فروسيته خداعا وانه حمل على الامير فجرى بينهم حرب شديد وطعن أكيد يشيب له الطفل الوليد ويذل منه كل جبار عنيد ولم يزالا كذلك ساعة وأعيوا جواديهما ووقف كل واحد منهما ينظرالى صاحبه شذار ويرمقه حذار فقال شمراخ : أيها الأمير ماهذا الكلام الذى عرضتموه على صاحبنا حتى انه صار منكم ورغب فى دينكم ولم يحسن يعيده علينا ولا عمل كلامه فى قلوبنا ونحن فى شك من ذلك وانى أريد أن أسمعه منك (قال) فطمع الامير عبد الوهاب فى إسلامه وعودته الى دين الاسلام ليكون ركناً لأهل الإيمان فجعل يحذره وينذره ويسبح الله تعالى ويكبره فعند ذلك بكى شمراخ وقال اننى أقول بقولكم فقال الامير لوجه ربى الحمد والشكر ثم قال له سر معى الى أصحابى فانهما إخوانك المسلمين (قال الراوى) لذلك التبيين : فسار الامير وشمراخ بين يديه والامير قد آمن إليه فعندها أخرج شمراخ من تحت فخذه حربة ماضية أمض من القضاء وضرب بها الامير عبد الوهاب على حين غفلة منه فوقعت فى جسده فجرحته جرح بالغ ولولا ما كان عليه من اللباس لكان قضى عليه فوقع الأمير الى الارض فلما رأت الاميرة ذات الهمه الى ذلك صاحت : وا ولداه وا قرة عيناه هذا والله الفراق الذى ما بعده تلاق وقد حملت فى قومها تطلب ضارب ولدها وحملت بنى كلاب وانضافت اليهم السودان الأنجاب وهم يقولون : وا أميراه وا عزيزاه وكان يوماً عظيما عليهم فقال جوهر الخادم ياأمير المؤمنين قد قتل الامير المجاهد والبطل المجالد عبد الوهاب وإن كان قتل ما ينتج بمثله الزمان وقد بقيت أمه حليفة الا كتئاب ودائمة البكاء والانتحاب وقد ذلت من بعده بنى كلاب بأجمعها فاصطنعها وإلا هلكت من هذا العالم الكثير فقال له ياجوهر ما أفعل ذلك إلا أن يطلقوا عقبة (قال) وقد التحم القتال وزاد الزلزال وتقابلت الجمعان وعمل بينهم الصارم اليمان والطعن بالسنان وصبرت الفتيان والشجعان وكلت الخيل من الجولان

واستولت الاقران على الاقران والفرسان على الفرسان وتصادمت الجمعان وتتلم الصارم اليمان وكان الامير طارق الحجاز لما انهزم من بين يوى الشيظبان فرجع الى العسكر وغير جواده وركب وتقدم على السودان فى ستين ألف عنان وحمل بعضهم على بعض وعادت الوجوه مشؤمه والاناف مرغمه والخيل مصدمة والقصة غير مبرمه والابداق مكومه والاشباح مطروحه والدماء مسفوحه والآمال اختلفت والفرسان عن الخيل قد انطرحت وقد حامت عليهم عقبان الفلا تطالب الاماق والمنا ولم يبق إلا لعل وعسى ولم تزل الرماح تلتقط الارواح حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد هلك من الطائفتين خلق ما يقع عليهم عيار إلا أن الاميرة ذات الهمة كانت أظهرت الاهوال فى قتالها وعلى ولدها زاد بلاها وكربها (قال) وكان شمراج قاتل فى ذلك اليوم قتالا عظيما وأخذت الاميرة وأصحابها لما انفصلت من الحرب والقتال وطلبت ولدها عبد الوهاب فلم تجده بين القتلا ولم تقع له على خبر فدارت عليه وفتشت المعمعة أولها وآخرها فعظم عليها وكبر لديها ورجعت إلى آمد وهى خائبة مما كانت له طالبه وقد فاضت عبراتها وزادت حسرتها وتضاعفت لوعتها فأشارت تقول :

لقد عدم المجد بعد الامير ... وزال الذى كان قطب السرور
سأبكى على فقده مثل ما ... بكته خيول الوغا فى الثغور
فمن ذا يكون مثل الامير ... مجيرا لأهل الهدى والسرور
فياعين جودى على فقده ... بدمع غزير كمثل البحار
لقد جار شمراخ فى قتل ذا ... الماجد البدر نعم الامير
وليس الخديعة من شان من ... يخاف الفضيحة يوم النشور
لقد طرفت من أجلا المعمعات ... فكم من جريح وكم من عقير
ولم ترى عينى له جثة ... وقد زاد مما دهانى زفير

(قال الراوى) هذا وقد باتت الاميرة على غاية من القلق والحرق وقد أكرمت السودان الذين للملك الهدلوس وفرقت عليهم الخلع والمال والملبوس وشرفتهم وشكرتهم على فعالهم وقالت غدا أخرج الى الميدان وآخذ بثارى من شمراخ الذى قتل ولدى وفتت بفعله كبدى (قال الراوى) فهذا ما كان من الاميرة ذات الهمة (وأما ماكان) من المأمون فانه لما انفصلت الوقعة أمر الرجال أن يطلبوا الامير عبد الوهاب فى ميدان المعركه وكان قصده بذلك ان كان مجروحا

يداويه وقد ندم على فعله وتفريطه فيه وقال ما يكون مثله فى ذلك الزمان ولولا نفاقه علينا لساويته بروحى غير أن القاضى عقبه حلف المصحف أربعين يمين أنه يريد ينزع الخلافة من بنى العباس ويجعلها فى العلوين هذا وقد فتشوا الرجال سائر الجهات فلم يجدوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فظنوا أنه قد أخذ من المعمعة (قال الراوى) هذا وقد وصل الخبر الى عقبة وهو فى آمد محبوس وموكل به جماعة بأن الامير عبد الوهاب قد قتل ففرح الفرح العظيم وقال ما أبالى بعد هذا اليوم ان مت أو عشت فتى أرى أمه قد لحقت به وكذلك أبو محمد البطال العيار المحتال وأقاموا إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح وفتح باب البلد وخرجت الرجال ومعهم السيوف والعدد وعلى أجسادهم ثياب الزرد هذا وقد ركب المأمون وبين يديه الفقهاء والقراء وسائر الطوائف وفى عاجل الحال اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وقد تزاحمت الألوف وتعازموا على شرب كاسات الحتوف وجردت البيض الثقال ومدت السمر العوال هذا وقد خرجت الاميرة ذات الهمة والى جانبها القناصة وقد ركبت مساعدة والاميرة علوى وزوجة هياج الكردى التى اسمها الغيدا وبناتها هذا والاميرة قد ظهرت فى ذلك اليوم وعليها ثياب الحداد والسواد وقد وقفت فى مقام الحرب والجلاد هذا وميمون الجماس قد كشف رأسه وخفف ما عليه من لباسه وصار ينادى هذا يوم نأخذ فيه التار ونكشف العار هذا وان الاميرة صاحت بجوادها وكان جوادا سامى يسبق البرق التهامى وكانت قد طلبته ونادت برفيع من صوتها يا معاشر الأوباش أنا الثكلى على ولدها أنا أم الشهيد المرحوم فاطمة بنت مظلوم فلم يبق أحدا على أخذ التار غيرى وأنا حريصة على أخذ تارى وان أولاد عبد الوهاب أشبال فليخرج الى قاتل ولدى ثم إنها أشارت تقول :

لقد خاننى المأمون بعد رجائى	سأشكو الى الرحمن عظم مصابى
وما نالنى من ظلمه وفعاله	وقتل رجالى يوم حرب صحابى
وهذا أمير المؤمنين الذى غدا	أراجى به الغفران عند خطابى
فو الله لا زالت خيولى مغيرة	وسيفى موقوف لضرب رقابى
الى أن ترى بغداد ان مر عابر	عليها مجيبا يوم سبق ركاب
يضيق بها ربعا لما فى ربوعها	من اليوم حقا أو صياح غراب
تخاف صياح البوم فى عرصاتها	تفاقد فيه روح كل مصابى
وأترك قصرا للخليفة خاليا	من الناس مهجورا كليل خرابى

فمن بعد فقد السيد الماجد انحنى　　تقوم ظهرى ثم خاب ركابى
وماكان لى بين البرية غيره　　فأضحى جديلا لا يرد جوابى
ألا ماترون الخيل تصهل بعده　　وأحداقها مطروقة بعذابى
سآخذ من تارى الذى مضى　　وأضرم فى الهيجاء نار حرابى
ومن بعد أخذ التار منه فاننى　　أعود اليكم فاسمعوا لخطابى

(قال الراوى) فلما أن فرغت من شعرها خرج اليها من عسكر المأمون فارس يقال له أبو النجا وهو من الابطال المعروفين والاقيال الموصوفين وقال أنا آتيك بها يا أمير المؤمنين فقال له المأمون لك بوزن رأسها ذهبا ان أنت قتلتها فعند ماساق جواده وقد أتى اليها وكان فى يده حسام فأنشد يقول :

أذلهمة جاءك البلاء المؤجل　　لان شراب الموت حقا معجل
وسوف ترى منى شجاعا إذا بدا　　يتور له فى الحرب حومة قصطل
فقد وعدنى وزن رأسك جوهر　　وكل مرادى أن أريد التعجل
وقد مات من قدكان فينا منافق　　على السيد المأمون والناس غفل

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انه حمل على الاميرة ذات الهمة وهى قدحنقت عليه لأجل كلامه وهى حزينة ثكلى مثل الحبة على المقلا ثم انها حملت عليه وحمل عليها وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وقد أشرفا على تلاف الارواح وطال بينهما الامر فعندها صاحت عليه الاميرة ولاصقته وضايقته وحكت الركاب لركابه وتعلقت بدرعه والثياب وجذبته اقتلعته من بحر سرجه وجلدت به الارض بشدة حيلها فلم يقم من موضعه ثم انها طلبت أن يخرج اليها من السودان غيره فخرج اليها فارس غيره فقتلته وخرج لها آخر فجندلته وثالث أردته ولم يزل كل من خرج اليها تقتله وخرج اليها جماعة بعد جماعة وهى تتركهم رؤس بلا أبدان (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك حملوا باقى السودان على الأميرة ذات الهمة ولم يرضى شمراح أن يخرج وقد قال من أكبر العار أن تقاتل الرجال النسوان وعيب على أن أخرج الى ذات الخدود النواعم والمأمون يقول له لا تستصغر شأنها ولا تحتقر مكانها واعلم أنها أشجع من ولدها الذى قلته وان أنت أخذتها أعطيتك ما تريد فلما أن سمع شمراخ ذلك هم أن يخرج اليها وإذا قد سبقه اليها من السودان عشرون وكانوا من الشجعان (قال الراوى) ياساده ياكرام ان ماكان فى الستين ألف أسود مثل هؤلاء وما خرج كل واحد منهما إلا وهو يريد قتال الاميرة وحده لما فيه من الشجاعة فخرجوا الكل بالاتفاق اليها

وقد جعل كل واحد منهم يسأل أخيه أن يؤثره بالخروج اليها فامتنعوا من ذلك وأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما أن نظرت الأميرة الى ذلك صاحت الله أكبر طاب والله القتال فخرج الأمير ظالم والأمير سيف الحنيفية وضيغم وقشعم والقناصة ونورى والأميره علوى وبنات هياج الكردى ومالك ابن طوق وراشد بن ضمره وهارون العلوى وما زال يخرج جماعة بعد جماعة الى أن خرج ثلاثون فارس وهم الأبطال الذين هم عماد الدين هنالك خرج من السودان عشرة أخر هذا وقد حمل كل واحد من السودان على واحد من أهل الايمان وبقيت الأميره ليس لها مقارن هنالك قال المأمون لشمراخ اعلم أن مرادى أعطيك التقدمة على سائر عساكر السودان وغيرهم على شرط فقال له شمراخ افعل ماتريد واعلم أننى لك من جملة العبيد فعندها خلع عليه ثوب من الديباج القسطنطينى منسوج بالذهب وأعطاه عمامة قصب وقد أركبه على مهر قرطاسى مليح البياض ليس له انقباض كأنه زهر الرياض عليه سرج كثير الجواهر يبهت النواظر ودفع حسام باتر كأنه متن البحر الزاخر وقال له أريدك أن تخرج الى أم الأسود واعلم أنها معدودة بسائر الرجال من بنى كلاب وما بقى لهم حامية غيرها وقد برزت أبطالهم الى أبطالكم وهذه النوبة سبب الانفصال والانقطاع الحرب والقتال فاننى أريدك أن تخرج اليها وتأتينى بها أسيرة (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما أن سمع شمراخ من المأمون ذلك الكلام قال له يامولاى لقد عظمت هذه المرأة عندكم لما وصفت بأكثر من هذه المناقب وسوف أسقيها شراب المعاطب ثم أنه حمل لوقته وساعته وقصد نحو الأميره فلما أن رأته عرفته أنه هو الذى غدر بالامير عبد الوهاب ولم يخفى عليها ركبته فلما أنها حققته صاحت بالجواد وحملت عليه بكليتها وقد تصاعدت زفراتها وزادت حسراتها فأنشدت تقول

أشمراخ جاك الموت من كف لبوة ... محسرة بعد الأمير المحاميا
فيامن لحاك الله كيف تسلطت ... يداك على حلف الندا والمعاليا
قتلت أمير كان يجمع شملنا ... وينصر دين الله والنفع عاليا
قتلت أمير الدين والزهد والتقا ... ومن كان قواما ولم يك هاربا
قتلت أميرا كان لله عمدة ... له شرف فوق الثريا مناويا
وما كان لى بين البرية غيره ... فأصبح فى القفر والارض ثاويا
وماظفرت يمناك إلا خديعة ... وما كان يا شمراخ عنها مؤويا
وسوف ترى منى أموراً عظيمة ... وتصبح رغما للخليفة ناسيا

(قال الراوى) ياساده يا كرام ثم أن الاميره حملت شمراخ وهى على جواد يسبق الرياح وفى كفها صفيحة تلتهب كالمصباح وارتفع الغبار على وجه البطاح وطارت الخيول بغير جناح وسمحت بالأرواح الرجال الشحاح وتأخرت تأخر الكباش الى النطاح ونادى المنادى لا براح (قال الراوى) وما رأيت فيما مضى تقدم أحسن من هذين الفارسين وقد تحيرت فيما جرى بينهما عقول الطائفتين وطارت قلوب الفريقين فعندها رفعوا الموحدين أصواتهم بالدعاء واستغاثوا خواص المجاهدين هذا وقد طلعت النسوان العربيات والقناعات الكلابيات على أصوار آمد يضجون الى الله بالدعاء هذا ولم يزل القتال عمال بينهم ساعة من الزمان فبينماهم فى الانتظار وإذا هم بجواد قد خرج من وسط المعمعة وهو خالى من راكبه وسار الى أن وصل الى عسكر بنى كلاب فتبينوه واذا به جواد الاميره ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم رضى الله عنها فلما أن نظرت بنى كلاب الى ذلك وقع بهم البكاء والعويل فى العسكر من كل جانب وقالوا فقد الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه فلا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم انتظروا من يخرج من تحت الغبار فلم يخرج أحد هذا وقد نظروا أصحاب المأمون كل من كان يتعصب لعقبه وقد شمت بنو سليم لما أن رأوا الى ذلك الجواد وهو خالى منها (قال الراوى) ياساده يا كرام فلم تكن إلا مقدار شى بيضة أو در ناقة ولمذا بجواد ثانى غائر وقد خرج من وسط المعمعة وقد نزل من كل جانب شقة من الفارس والجواد يركض من شدة الفزع وقد ضربته الاميره بسوط كان معها فتأملوا الرجال إلى الثياب وإذا هم بالثياب التى خلعها المأمون على شمراخ ثم ظهرت بعده الاميره ذات الهمة فاطمة بنت مظلوم أمة الحى القيوم وهى تهدر من تحت الغبار كأنها برج مشيد فلما أن نظر الى ذلك أبو يخلف صاح بجواده فخرج من تحته مثل البحر إذا انحدر أو البرق الخاطف وقد نادى برفيع من صوته بحق الصديق الجليل هل يحسن أحد يفصل هذا التفصيل أحسنتى يامفصلة الشجعان وجاعلة كل واحد اثنان فلما أن نظروا أصحاب المأمون الى أبو يخلف ظنوا أنه يريد المبارزة فخرج اليه فارس من الاكراد وقد صمم على أبو يخلف فلما أن رآه أبو يخلف رجع إلى ورائه منهزما والكردى من خلفه مصمما وأبو يخلف يركض بين يديه حتى إذا وصل الى الاميره ذات الهمه ترجل عن الجواد بين يديها وقال لها إركبى يامولاتى وادركى هذا القرنان (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن رأى الكردى فعاله رجع من فزعه من الاميره لاتركب الجواد وتطلبه فصاح أبو يخلف إلى أين تهرب ياقرنان يافرخ ياديوث إنما المليح أن تجى الساعة

حتى أننى أقطع قفاك هذا وقد خرج من بعدها الامير ظالم ورأس خصمه معه ومن ورائه ضيغم وقشعم وسعيد بن الفرج وهارون العلوى ومن ورائهم النسوان الملكه نورى وعلوى والقناصه وعيون المها بنت هياج الكردى وأختها وقد ظفروا الثلاثين أصحاب الاميرة ذات الهمة بالثلاثين أصحاب المأمون ففرح عسكر بنى كلاب والنسوان الأنجاب هذا وقد حملت العساكر على العساكر ولم يزل السيف يعمل طول ذلك النهار الى الليل ثم عادت كل طائفة إلى مقامها وأما الأميره ذات الهمة فانها قالت أما عبد الوهاب فقد قتل وأما أنا فما بقى لى بعد الأمير عبد الوهاب مقام وإنما كان قتالى ومقامى من أجله فاذا كان تحت التراب فقد بقيت هذه الديار من بعده خراب وأنا ما بقى لى أحد ألومه وأننى أترك هذه الديار خراب وأرحل منها وفى غداة غد وحق البيت الحرام أصلب عقبة على صور آمد حتى لا يشمت بولدى الحاسد فقالوا لها أصحابها هذا هو الرأى السديد وأنتى تعلمين أن مالنا هدو ولا قرار وكلنا نقاتل فى القوم الاشرار (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم أنها دخلت الى مدينة آمد هى وجميع السودان وسائر الأبطال من بنى كلاب الفرسان الاقيال هذا وقدبلغ عقبة على مافعلت الاميره ذات الهمة فقال قصف المسيح ظهرها وقطع عمرها فما أكثر شرها فما مات عبد الوهاب ما دامت هذه العاهرة فى الحياة ثم أنه سمع أنها تريد أن تصلبه فقال تفعل وحق المسيح مالى من هذه النوبة من خلاص هذا وان الاميره ذات الهمة أمرت النجارين أن ينجروا ويصلحوا خشبة لاجل أن تصلب عليها عقبة بن مصعب القاضى بتاع المأمون وتلطخها بالقطران وتضرمها بالنيران ثم أنها أخرجت الاخشاب وأمرت بنجارين أن يعملوا ملعبا تصلبه عليه هذا ولما أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قال لها الامير أبو محمد البطال على ماذا عولتى قالت على صلب عقبة فقال لها أبو محمد البطال أيتها الاميره ما هذا صواب لأننى ما أيست من الامير عبد الوهاب وخاف أن يكون قد وصل الى المأمون فاذا سمع بصلب عقبه ربما يصلب الامير عبدالوهاب فقالت الاميره يا أبو محمد مارأيت الامير قدسقط عن جواده الى الارض فقال أيتها الاميره نعم لكن قد طلبناه فما وجدناه فقالت له ربما يكون قد سحبته الوحوش وأبعدوا به عن المعمعة ولكن يا أبو محمد قد علقت قلبى وأنا أرسل الى المأمون أسأله عنه فان كان سالما فأنا أطلبه منه وأسلم اليه آمد وأرحل عن دياره فقال لها البطال افعلى مابدالك هذا وقد ركب المأمون فى جميع مواكبه وقدصف دساكره وعبا عساكره وكذلك الاميره قد صفت الصفوف وأشهرت السيوف وركبت أيضا

السودان وأصحاب شمراخ وغيرهم من الأبطال الاقران وقالوا لابد لنا من أن نأخذ التار قد أسرت ساداتنا (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم حملوا حملة رجل واحد وقد نظر المأمون الى حملتهم فأشار الى عساكره وأبطاله بالحملة فحملوا عن بكرة أبيهم فهنالك عمل المرهف الأبيض ورأيت الرؤوس تقطف والارض ترجف والسماء قد احتجبت عن العيان والابصار قد غشيها القتام والقتار ولم يزالوا كذلك حتى ذهب النهار وطلعت ظلمة الليل بالاعتكار ونادى المنادى بالانفصال وقد رجعت الطوائف عن القتال ودخلت الاميرة الى البلد وقالت على بالأمير أبو محمد البطال حتى أشاوره فى الرسالة الى المأمون وأطلب من المأمون الأمير عبد الوهاب وقد عولت انى أصلب عقبة والآن قد علق قلبى بالأمير عبد الوهاب بعد ما وقع بى الإياس منه لأن المحب مولع بسوء الظن وقد طلبت أبومحمد البطال فلم تجده فعظم عليها وكبر لديها وقالت والله ما غاب الامير أبومحمد البطال إلا فى طلب ولدى الامير عبد الوهاب ثم أقامت على مقالى التار وما تدرى ما يكون وماجرى له (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من الاميره . وأما ما كان من الأمير أبومحمد البطال فانه لما أن وقعت الوقعة لبس لبس الاكراد وسار الى عسكر المأمون ودخل الى ناحية الاكراد واختلط بهم وجعل يتحدث معهم بلسانهم ثم سألهم عن الملك الهدلوس فقالوا له هاهو ههنا فى الأسر ومعه أصحابه الأربعة من السودان وقدسلمهم المأمون الى أصحاب أبى القاسم الكردى وهم عنده فى مضربه وقد وكل بهم مائة فارس من الاكراد فصار يتحدث معهم فقال لهم لو كان مع الخليفة رأى لكان قتل أسود بنى كلاب وأخذ رأسه أرمى بها اليهم لانهم مايصدقون على أنه قتل فقالوا له انه أراد أن يفعل ذلك فلم يقدرعليه فقال لهم أبومحمد ولم ذلك فقالوا انه طلبه فى المعمعة فلم يجده فبقى أبو محمد البطال فى تعجب عظيم من أجل ذلك ولايدرى ما كان من أمر الامير عبد الوهاب وقال ان قصته لايطلع عليها أحد إلاالله تعالى وقدأراد أن يرجع يعرف الاميره بذلك فرجع الى نفسه وقال دخل إلى خيمة أبو القاسم الكردى فلعل الله تعالى يسهل لى خلاص الملك الهدلوس ليكون هو ومن معه عدة لنا وأيضا فانهم يجمعون السودان الاربعين ألف لأنهم مثل الغنم بلا راعى وما أسلموا إلاعن قريب وأخاف أن تختلف أهويتهم ويقصرون عن نصرة الاميرة فى هذا الوقت العظيم (قال الراوى) ياساده ياكرام وكانت الاميره لما أن فقدت الامير عبد الوهاب قد افتقدت بنى كلاب الذين وردوا عليها من البرية فوجدتهم قد انهزموا وساروا طالبين ديارهم فانغمت كذلك هذا وأن

الامير أبو محمد البطال سار طالب الا كراد الذين هم موكلين بالملك الهدلموس فلما أن وصل اليهم رأى من حول الملك الهدلموس مائة من الأكراد وفى أيديهم القواضب المجذبة والدرق المكوكبة والجميع قيام من حول الملك الهدلموس وأصحابه فحصل عند ذلك أبو محمد البطال عندهم وسارفى وسط الاكراد واختلط بهم وجعل يتحدث معهم بلغاتهم فى حديث الأوائل من ملوك الا كراد ويقول لهم انهم كانوا بنوعمنا يفعلون ماهو كذا وكذا ويقول كانوا يصنعون كذا وهو يتثاءب فى وجههم حتى هجم الكرى عليهم فجعل يتناوم حتى قعدوا الجميع ورقدوا فلما أن رقدوا القوم سمع أبو محمدالبطال الملك الهدلموس وهو يقول لأصحابه كيف ترون هـذا الأمر لما أن فارقنا ديننا واعترفنا بالتوحيد لرب العالمين وقعنا فى هذه الشدة من أجل هذا الذى اعتمدنا عليه فقال بعض أصحابه الذين معه هذه علامة القبول وصحة هذا الدين لأنه متى أن صفت الدنيا لأحد فهو من دينه فى نقصان وأى من كانت عليه دار نكد فقد عنى به الفرد الصمد ونحن ما نؤمل الفرج إلا من الله تعالى (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمع الأمير أبو محمد ذلك وثب من وسط الجماعة وهم نيام وقد أنزل الله عليهم الكرى فما فيهم من يسمع ولا يرى ثم انه دنى من الملك الهدلموس وقطع كتافه فقال له الهدلموس من أنت فقال له أنا صاحبك أبو محمدالبطال الذىخلصتنى من ذلك المكان من يد عقبة الشيطان ثم انه دنى من الأمراء الأربعة وقطع كتافهم فلما أن حلوا من الاعتقال تواثبوا مثل السباع ثم خرج أبو محمد بهم من ظاهر العسكر فقال الهدلموس ياأبو محمد انى قد سمعت شىء وما أدرى هل هو صحيح أم لا فقال الامير أبو محمد وماهو أيها الملك فقال انى سمعت أنالاميرعبد الوهاب قد قتل فأخبره البطال بالخبر وقال له اننا قد طلبناه فما وجدناه فى المعركة ولا سمعنا له خبر وأن المأمون طلبه أيضا فما وجده وانها منه حيلة حتى لايطلع أحداً على خبره فقال له الهدلموس دع عنك الرجوع واعمل شىء من أعمالك التىتعرفها ونأخذ الملعون وان أحدا لحقك من القوم فأنا وهؤلاء الأربعة نكفيك مؤونة العسكر جميعه فقال البطال هذا هو الرأى الصواب لأن العسكر مايرحل عنا إلا بأخذ المأمون ويكون عندنا حتى ينكشف لنا خبر الأمير عبد الوهاب فما نبت له أجنحة وطار ثم ان الامير أبومحمد سار هو والاربعة معه وكان معهم من سيوف الاكراد وعدد كاملة ولما سار بهم فما شك أحد فيهم إلا انهم من الموكلين بالغفر وساروا الى خيمة جوهر خادم الخليفة وأوقف الرجال من خلف الخيمة ودخل فوجد جوهر وغلامه صافي فلما نظرجوهرالى البطال

لم يعرفه بل قال من أنت فقال أنا خادمك البطال فوثب اليه جوهر وعانقه وقال له ياأبو محمد كيف حزنك على الامير عبد الوهاب فقال لاتسأل عن حالى وحال الاميره لكن ما أيست منه ولا من حياته ولا من سلامته فقال جوهر لاتكن فى شك من ذلك لأنه لما برزاليه الملعون شمراخ وجرى ماجرى من روايتهما وقد أبصرناه وهو مولى فى عاجل الحال أخرج من تحت فخذه حربة فماخرجت من يده حتى وقع الامير الى الارض فقال البطال ما فينا إلا من رأى ذلك وطلبناه فما وجدناه فقال جوهر وكذلك المأمون أظهر أنه ما وجده وما أظن إلا انه أخذه وسيره الى بعض الجهات وأظهر أنه ما وجده حتى لاتطلبه الأميره (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع البطال ذلك قال جوهر يا أبو محمد ان المأمون لوجرى عليه مثل ماجرى على الامير عبد الوهاب ما نالنى مثل ما نالنى على الامير وقد عولت أن أسير الى أرض الحجاز وأجاور فى مكة المشرفة ولا فائدة فى الإقامة بعد هذه الفعال التى جرت مع الامير عبد الوهاب فقال البطال انى عولت على أخذ المأمون فى هذه الليلة حتى يكون سببا لتفريق هذه العساكر ونخلص من ذلك الأمر الذى نحن فيه ولا لنا حاجة بهلاك من بقى من الرجال وهم سالمين ولكن هم الذين أخرجونا وأبلونا بأرواحهم بغير اختيارنا وأن الجميع طالبين هلاكنا فقال جوهر إن كنت عزمت على أخذ المأمون فأنا أعاونك على ذلك لكن هذا أمر لايتم لك وأنت وحدك ولا يكون إلا بجماعة ولكن أنا أخبرك بخبر وهو أن المأمون فى كل ليلة يخرج هو وخادم لاغير ويوسع إلى جانب الشط ويبعد ويمرح وينشد الأشعار وقدقرب وقت خروجه ولكن مايطيب قلبى أن تتبعه وحدك لأنه إن صاح صيحة لتسارعت اليه الرجال وأتت اليك من سائر النواحى وما كان يصل الى الارض من دماءك قطرة ولكن أريد أن ترجع الى الأميره وتبلغها عنى السلام وعرفها ماأنا عليه من حزنى على الامير وعرفها بما حدثتك به فاذا كانت الليلة الثانية سير أنت ومعك مائة من بنى كلاب وبعض السودان من الأنجاب ويكونوا مكمنين عند الشاطئ فتأخذه وقد انفصلت هذه النوبة فقال البطال والله انى فى حيرة من قولك هذا وأريدأن تخبرنى ماسبب خروج المأمون فى كل ليلة فقال جوهر إن به هوى واشتياق وفى قلبه نار الفراق من الملكة كرنة التى أخذها أبوالهزاهز وهى التى أحوجته أن يسمع كلام عقبة وانه فى كل ليلة يخرج وينشد الاشعار ويشكو اللوعة والهوى فى جنح الاعتكار فى ظلمة الليل وفى ضوء القمر وهبوب الرياح ووقت السحر فقال صدقت وان الله لايضيع لك كل ماتفعل وهذايكون الليلة لأنك ماذكرت ذلك.

إلا من أجل الإشفاق لأنك قلت يكون معك مائة وأنا معى فى ذلك الوقت عشرة آلاف فقال جوهر وأين هذا الجمع العظيم فقال إنهم على باب الخيمه التى لك فقال جوهرا حقا ما تقول يا أبو محمد فقال نعم أنا أريك إياهم فى تلك الساعه (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم ان الأمير أبو محمد خرج وأتى بالهدلموس والأربعه معه فلما نظر جوهر اليهم عرفهم فقال من خلص هؤلاء من القيود فقال البطال عبدك أنا الذى خلصت قيودهم وأتيت بهم اليك فقال لا شك أن بينك وبين المرده والعفاريت والارهاط قرابة وإلا ما كنت تقدر على هذه الأشياء ولكنك بلغت المنا لأن هذا الهدلموس بعدد عشرة آلاف أقيال وان هؤلاء الأربعة يقاربوه فى القوة والشجاعه ولكن إن سمعت منى أن عقبة نصرهم وهم على دين النصرانية فقال البطال كان ذلك ولكن اليوم ما هم إلا مسلمين لأن فيهم من أسلم لما أسلم البحاشى وفيهم من هو نصرانى ولما مضى عقبة اليهم رسولا وجد القوم ما لهم عقول فلم يزل الملعون يلعب بهم حتى نصرهم والا فان هؤلاء ومن يتبعهم أسلموا على يد الأمير عبد الوهاب فقال جوهر الهدلموس وللاربعه أحقا ما يقول البطال فقالوا كلهم نعم فقال جوهر الآن قوموا معى وأنا أريكم المكان الذى تقفون فيه وتأخذوه منه لانه استحق العقوبة فى متابعته الى غرض عقبه وان أقمتم الشهادة أنتم والسودان الذين معكم فيكون سبب صلب عقبه فى هذه النوبة فقال الهدلموس نحن نصلبه من غير شهادة غيرنا ثم انهم خرجوا من المضرب وجوهر معهم وقد خاطر بنفسه محبة للاميره والأمير وأيضا حمية للاسلام ولم يزالوا سائرين الى الدجلة فقال لهم جوهر كونوا مكانكم فأقاموا هناك (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما أقاموا غير قليل واذا بشخصين أقبلا فقال لهم جوهر هذا صاحبكم فدونكم واياه ولا تعلموا أحداً أنى كنت معكم فقال البطال للهدلموس خذوهما ولا تخافوا منهما فتواثبوا مثل الجمال وكان الخادم الذى للخليفه ممشوق القامه كانه الغزال فلما سمع حس الرجال سكع بركبه الى الارض فنظر الرجال فخلا الخليفه وتركه وساروا لما هجموا عليه أخفى أبو محمد البطال حسه عنه حتى يدخل الفزع فى قلبه ويزداد خوفا فصاحت فيه السودان وقد دهمه الهدلموس كانه من بعض العمار أو من مردة الجان وقال له يا أمير المؤمنين لا تخاف أنا خادمك الهدلموس ثم أنه جذبه اليه كاد أن يخلع كتفيه وقال له تتكلم فهو خير لك من قتلك فسكت المأمون وقد زاد الخوف والفزع من الهدلموس أن يقتله (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما الخادم فانه لما انهزل ما زال يجرى الى أن وصل الى العسكر

فصاح وجلبت فثارت الرجال من أماكنها وتبعوا الصوت وتنادرت الابطال وثارت الاقيال وسألوا الخادم عن القصة فأخبرهم وقال أدركوا أمير المؤمنين من قبل أن يفوت فيه الفوت فعندها سارت غلمان الدار والامراد والأكراد وأرباب الدولة والأتراك وثاروا الذين كانوا موكلين بالهدملوس وأصحابه فوجدوهم هربوا وسمعوا أن أمير المؤمنين قد خرج من سرادقه إلى الشط فأخذوه السودان فساروا الموكلين فى طلبهم وهاجت الناس من كل جانب ومكان وفى لحظة واحدة أحدقوا بهم ثمانين ألف فارس ومثلهم رجاله وأما الهدملوس فانه وقف فى وجوههم هو وأصحابه وضربوهم ضربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وفىدون ساعه سالت الدماء وأرملت النساء (قال) وأبو محمد البطال لما رأى أصحـــابه وقد دارت بهم الرجال وأحاطت بهم الشجعان تركهم فى القتال وقصد إلى أمد وإذا بالرجال على الأصوار وهم فى حيرة من ذلك الصياح وكـذلك الأميرة ذات الهمه فصاح أبومحمد البطال فأجابته الرجال فعرفهم بنفسه وقال لهم اعلموا أنى خلصت الهدملوس رمن معه من أمراء السودان وما كفانى ذلك حتى دبرت على أخذ المأمون وما فعلت ذلك إلا حتى تتفرق عنا العساكر ونتفرغ إلى طلب الأمير عبد الوهاب وإذا بالرجال قد أدركتنا ودارت بالهدلمرس وأصحابه الاقيـال وقد وقعوا فى بحر زاخر ليس له أول من آخر فانظروا ماذا تفعلون فقالت الأميره ذات الهمه وأبردها على كبدى إذا أخذت ثار ولدى (قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم فتحت باب آمـــد وخرجت فى ثمانين ألف فارس وراجل وسارت بهم وأبو محمد البطـال أمامهم حتى أوصلهم الى المـكان الذى فيه الهدملوس وأصحـابه وكانت الرجال أحدقت بهم ذات اليمين وذات الشمال فحملوا عليهم حمـلة صادقة وقد جردوا فى وجوههم السيوف البارقة ومزقوهم بعدا وقربا وأشبعوهم طعنا وضربا ووصلوا الى الهدملوس وأصحابه فوجدوهم قد عرقبوا الخيل وأنزلوا على ركابها الذل والويل وأنزلوا من عليها من الركاب بعدما صبوا عليهم العذاب وكانوا كل من قرب اليهم أهلكوه وللحيـاة أعدموه فصارت الأبطـال تتعوذ منهم وفى القتال تحايدهم ويقولون ما هؤلاء إلا شياطين تصوروا لنا فى صفة الآدميين نعوذ بالله من شر هـذه الليلة وشر هؤلاء الشياطين هنالك وصلت الاميرة ذات الهمـه اليهم وفرقت عنهم الأبطـال وخلصتهم من بين تلك الرجال وأنقـذتهم من تلك الأهوال وأركبته وأصحـابه على الخيل العوال وقد ركب باقى عسكر المأمون وعملت السيوف

وشربوا كاس المنون وطارت مقل العيون هذا ولم تزل الناس بالسيوف يتجادلون حتى مضى الليل ورحل عساكر القتال وأقبل النهار بضيائه البسام فأخذت الأميرة الملك الهدلموس وأصحابه والمأمون معهم أسير الى آمد فلما أرادت الدنو من البلد وإذا بها تسمع الصياح من داخل البلد وكل من فيها من فوق الاصوار وهم ينادون المأمون يا منصور وكان المأمون مع الأميرة وأبواب البلد مغلقة والسيف يعمل فى جوانبها وإذا بالرجال الذين على الاصوار من السودان وعقبة بينهم وهو يقول أمير المؤمنين يامنصور وقد ذبح الرجال والأطفال وعملت الخناجر فى المحاجر والاوصال ونهبت الرجال والاموال وكان تخلف فى البلد فى تلك الليله سيف الحنيفية فانه لم يصحب الاميره وكذلك قشعم وضيغم والقناصة وبنات هياج الكردى وأما الباقون فقد خرجوا فى جملة الناس (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك أن عقبة فى تلك النوبة أيقن بالهلاك وسوء الارتباك فصار حائر لايدرى مايعمل وهو غائص فى بحر الحيل والمكر وصار كلما دخلوا عليه الموكلين من السودان يبكى ويكلمهم بلسانهم ويقول لهم سوف تهلكون بظلمى لانكم سلمتمونى الى الأعدا وقد رأيتم مافعل المقدور بالهدلموس لما قبض عليه المأمون وهو عنده مسجون وإن هذا الذى جرى عليه بما فعل فى حقى ومعلوم أن المأمون له سائر الارض جميعا وأكثر أصحابكم عنده وهم جنده ومايزال ههنا حتى يأخذ هؤلاء القوم وتتفرقون أنتم ولا يبقى منكم على وجه الأرض أحد وربما يصلبكم على أصوار البلد والرأى عندى أن تبيضوا وجوهكم عند الخليفة أن تطلقونى مما أنا فيه وبعد ذلك تغلقون الابواب وتجزرون من أهل البلد الرقاب وتنهبوا منهم الاموال فان عندهم أموال ماتنهض بها الجمال وتسلمون البلد إلى أمير المؤمنين وتكونوا عنده من المعزورين وتكونوا عندى أنا أعز من عينى اليمنى (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان شمراح الذى قتلته الاميرة له أخ وهو مع السودان وكانوا يرجعون الى مشورته وكان قد أضمر فى نفسه أنه يقتل الاميرة عوضا عن أخاه ويهرب فلما سمع ذلك الخطاب من عقبة وكان فى برج الذاويه مقيد مشبوح لما فى قلبها منه وعولت على صلبه من كثرة الهم والاحزان وكثرة ماحصل لها من النيران فوقع ذلك الكلام بموقع عظيم من قلب أخو شمراح وفى عاجل الحال جمع السودان قبل خروج الامير تلك الليلة وقال لهم اعلموا أن أخى قد قتل وما فينا إلا من يهلك نفسه مثله لانكم التجأتم الى قوم كلهم هالكون بلا محالة وكأنكم بالخليفة وقد أخذ البلد ولا يبقى منكم على أحد ويقتل هذه المرأة التى لا عقل لها ولا نأمن أن

يهلكنا المأمون وان عفا عنا يعطى أصحابنا المال ويحرمنا ويكون ذلك علينا أشد من القتل إذا رجعوا أصحابنا إلى أهاليهم بالمال والدنانير والملابس ونمضى نحن مفلسين والرأى عندى أنكم تقومون الى ذلك الشيخ عقبة صاحب الخليفة وتطلقوه فاذا خرجوا إلى القتال نغلق نحن الابواب وننهب الأموال التى لبنى كلاب ويكون لنا بذلك اليد البيضاء عند المأمون فما أنتم قائلون فى ذلك الأمر والشأن (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعوا السودان من أخو شمراح فقالوا ما مشورة إلا مشورتك ورأيك هو الصواب (قال) فلما سمع الكادوم كلامهم فرح فرحا شديدا وقال إذا كان فى غداة غد وخرجت ذات الهمة الى القتال فعلنا نحن ما قدرنا عليه من الاعمال فوافق خروج الاميرة تلك الليلة وكل هذا من القدر المقدور وتمام المشيئة والارادة هنالك قال لهم الكادوم لايخرج معهم منكم أحد فهذا الامر جاءكم كما تريدون هذا ولما خرجت الاميرة وأصحابها ولم يبق فى البلد أحد غلقوا الابواب فقال لهم راس الفتن عقبة وقد أعلموه بما عولوا عليه من نهب الاموال قبل كل شىء اهجموا على ظالم وسيف الحنيفية وقشعم وضيغم وهم فى مكان واحد خذوهم وهم على غير أهبة من القتال واقبضوا عليهم حتى يتم لكم ما تريدون هنالك هجموا على الامير ظالم وهو على غير أهبة ومن معه وما كانت إلا ساعة حتى ملكوا البلد بما فيه ارتفع الصياح ولم تسمع الاميرة الصوت وفرغت من القتال وجاءت الى البلد فوجدت عقبة على برج الباب وهو ينادى أمير المؤمنين يامنصور والسودان ينادون مثل ذلك والابواب مغلقة والأصوات من كثرة الصرخات ناعقه فضاقت على الاميرة الارض بما رحبت وقالت كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ماشاء الله ومالم يشاء لم يكن (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا جرى من الأمر والشأن (وأماما كان) من الاميرة ذات الهمة والامير أبو محمد البطال فانه قال والله ان هذا لم يكن فى الحساب وأما أنا فقد حسبت هذا وكنت خائف منه وخاطرت بروحى فى خلاص الهدلوس وأصحابه حتى لا يتم علينا مثل هذا ولكن سبقت بذلك المقادير فقالت الاميرة دع مامضى فما يكون الرأى عندك إذا التصقنا الى الصور تأخذنا الاحجار وان طلبنا القضا نحن فى خسارة لأن العساكر من بين أيدينا ومن خلفنا ولكن أنا الساعة أقدم المأمون وأضرب عنقه فى مقابلة ولدى ودع يهلك من يهلك ويسلم من يسلم ثم انها بكت وأنشدت وجعلت تقول

أبو محمد ان الخطب قد دانا ... بعد الامير الذى قد كان يكلانا
أبو محمد ما أبكى على أحـــد ... بعد الامير الذى قد كان يرعانا

لابد من قتلة المأمون فى ولدى واترك الخيل فى الهيجاء تغشاها
واضرب البيض والازيال عالقة واترك الدم مثل القطر هتانا
وارجف الأرض من بعد ومن قرب واقتل الأرض بيضانا وسودانا
حتى أرى نار قلبي وهى هامدة بعد الأمير الذى أولانا إحسانا

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فهذا ما كان من الأميرة (وأما ما كان) من عسكر المأمون فانهم سمعوا الصياح وكانوا قد عولوا على الهرب مما سقوهم بنى كلاب من شراب العطب هذا ولما أن علموا أن آمد صارت بحكم المأمون أقاموا هنالك وفيها عمرو بن عبيدالله وأما أبو يخلف فانه لما نظر عقبة ضحك عليه وقد رد عليه شمسة فأخذها وجعل يقبلها ويقول هـذا كله بطول بقاء القاضى عقبه وأما القناصة ونورى وزنانير وبنات هياج الكردى فان عقبه طلبهم كل الطلب لينتقم منهم لما فى قلبه من النوبة الأولى فما وجدهم وأنه فتش البلد كلها عليهم ولما أعياه الامر من تخليصهم رجع وفتح الخزائن وأخرج الأموال وهتك النسوان وأعطى السودان من الأموال حتى ملا عيونهم وبقى فى حيرة من أجل النسوان الذى لم لقاهم وقال ما هم إلا خرجوا مع ذات الهمه فى حال خروجها بالرجال وما هم فى البلد ولو كانوا فيها كنت رأيتهم ولكن أنا أعلم أن الأميره لها بعادة ثم فتش البلد مرة أخرى وقد نظر إلى عين زعور ونظر إلى البيوت التى للعرب فمسك عـــلى لحيته وقال ان صدقنى حذرى ولم يخطىء زجرى فهن فى هـذه البيوت ولابد ما أهتك ستورهن وأسلهن إلى السودان وأنال بذلك الأجر والثواب من المسيـح إذا هتكتهن (قال الراوى) يا ساده يا كرام وقد ذكرنا فى غير هذا الديوان أن الامير عبد الوهاب كان زوج بنات الأمير هياج الكرى بأولاده وقد زدن فى العباده والجهاد فى سبيل الله وقد قصد الملعون عقبة أن يهتكهن لأجل عبادتهن فقال للسودان دونكم وهؤلاء البيوت وفتشوها ولا تدعوا فيها حرمة الا وتخرجوها فقال له عمرو بن عبيدالله دعنا يا قاضى من هـذه الاشغال وبهذه الأعمال واعمل على خلاص أمير المؤمنين المأمون من يد ذات الهمة لأن الخليفة بنفسى منه الخيفه فقال له عقبة أنت رجل عادم عقلك هل تقعد ذات الهمه عن هذه البلد وفيها أموالها وأهلها ونسوان مأسورات فى أيدينا وبعد ذلك ما لها سبيل الى آمد ولا عادت تنظر نفسها فيها وتكون من تحت يدك وأنت فى ملطيه وأنا أريد أشفى قلبى من هؤلاء النسدة الذين يتجارؤن على القتال وملاقاة الاقران وأخذ الاموال ولو كان المأمون حاضر عندنا لما قدرنا نفى لهؤلاء السودان بما وعدناهم لانى حلفت

لهم انى أعطيهم أموال بنى كلاب وإذا لم يبق فى الأمر حيلة ضربت رقبة ظالم وسيف الحنيفيه حتى أخلصكم منهم فى هذه النوبة وتستريحون منهم وكذلك أولاد الأسود حتى لا يبقى على وجه الارض غير المأمون وأنت تكون فى هذه الثغور ملازم وبعد ذلك نطرد بنى كلاب والسودان الذين مع ذات الهمة من أصحاب قراقد وأبو الهزاهز وسودان عبد الوهاب فانهم ما يختاروننا على أولادهم فقال عمرو بن عبيد الله نعم ما رأيت وكان عقبه أضمر فى نفسه غير ذلك القول وعول على تسليم آمد إلى الروم لأنه يقول إن صارت فى أيديهم ما تعود تخلص (قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما صاح بالسودان دخلوا هذه البيوت أخرجوا جميع النسوان ففعلوا فلم يرى عقبة فيهم القناصة فسأل عنها فقالت له امرأة منهن أيها الشيخ نحن عرب الحجاز من بنى مدركة ابن الصلت قد جار علينا الزمان ورمانا بطوارق الحدثان فأتينا من ديارنا نطلب عناية من جواركم فما هذه الفعال التى فعلتوها معنا فقال عقبة نحن ما ظلمناكم بل طلبنا غيركم وهم النساء الذين قبضوا علينا وعلى أمير المؤمنين فارجعوا إلى مواضعكم وانصرف عقبة وقد ثبت عنده أنهن خرجن مع ذات الهمه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان السبب فى أمرهن حديث غريب وحال عجيب يحير عقل كل عاقل لبيب وذلك أن القناصه أقبلت على نورى وقالت لها أيتها الأميره أن عقبه فتش البلد كله ولم يظفر بطائل ولم يبق فى البلد موضع نتوجه اليه إلا ان كان هذا الموضع الذى نحن فيه فاخرجى بنا حتى يأتى ويفتش هذا الموضع نعود اليه فقالت لها لقد صدقتى فيما قلتى فخرجوا وقدوصوا أصحاب البيوت بالكتمان وفى تلك الساعه التى خرجن فيها أتى عقبه ولما رأوه أخفوا أنفسهم وكل واحدة منهن طلبت مكانا تختفى فيه وقد أيقنوا بالهلاك وأما القناصة فانها لم تجد غير العين بتاع الماء فولجت مكان النبع وإذا هى بازج معقود فدخلت فيه تختفى وإذا هى تسمع ضجيج السودان فظنت أن الطلب وراها فسارت فى الماء وقد أحست بالغرق وما زالت فى الماء الى أن اتسع عليها المكان تحت الارض فعندها قامت قائمة ومشت إلى أن تعبت فنظرت بعد ذلك إلى نقب يبان منه الضوء فطلبته وقد جاءت اليه فرأته من خارج الصور والماء من تحت النقب داخل الى البلد فخرجت من ذلك النقب وكان وقت العصر واذا هى بعساكر المأمون فقالت القناصه إن أخذنا آمد فما نأخذها إلا من ذلك المكان ثم انها صبرت قليل حتى استراحت وسارت الى عسكر الاميره ذات الهمه ولم يكن أحداً خرج اليها فى ذلك اليوم بل أرسل

اليها عقبة يقول لها إن سلمتى الينا المأمون أنا أطلقكم وأطلق نساء بنى كلاب والسودان لا غير وفى غداة غد يكون القتال (قال الراوى) يا ساده يا كرام فبينما هى على ذلك وإذا بالقناصه دخلت عليها وهى كأنها الوالهة لا تقدر على الكلام مما جرى عليها من الخوف والتعب وقد أخبرتها بالذى جرى على التمام فلما سمعت الأميرة قامت قائمة وقالت أطلعينى على هذا المكان والسلام لأننا نبلغ منه ما نريد من أهل الضلال فقالت لها القناصه اصبرى حتى يظلم الظلام فصبرت الأميرة إلى أن أتى الليل بالسواد وسارت إلى ذلك المكان وأخذت معها عشرة آلاف من السودان بعد ما عرفتهم بالأمر والشان وقد عرتهم من الثياب وأخذوا سيوفهم والملك الهدلموس فى أوائلهم كأنه فحل من الجمال والأربعة الأمراء الذين كانوا معه وساروا جميعهم حتى أشرفوا على المكان الذى طلعت منه القناصه والأميره بين أيديهم ومعها مقدمين السودان وأمراء بنى كلاب مثل سعيد بن الفرج وراشد بن ضمره وهارون العلوى ومالك بن طوق والأمراء المذكورين ووصلوا الى العين فكان أول من دخل القناصه والاميره وأبو الهزاهز وقراقد والهدلموس وميمون الجماس وقالوا لابو محمد البطال ما تنزع ثيابك وتنزل معنا فقال لهم والله لا أنزل حتى أسمع حسكم فى البلد والا فما اغر بروحى وساروا يمشون فى الماء الى أن دخل عليهم الليل وهم سائرين حتى لم يبق من الليل الا القليل فضاق عليهم المكان فحبوا على بطونهم والقناصه والاميرة قدامهم الى أن انتهوا الى داخل البلد ووصلوا الى المكان الذى نزلت منه القناصه قال فعندها صعدت القناصه والأميرة بعدها الاميره تقول لا يتكلم منكم أحد حتى تتكامل الرجال وكان وقت خروج الاميرة من العين وقت خروج علوى ونورى وبنات هياج الكردى وهم طالبين بيوت العرب فلم يحسوا بأنفسهم إلا وهم فى وسط هؤلاء ونورى تقول لزنانير والله ما أظن أن القناصه الا أخذت وأنا والله خائفه عليها لكن لله الامر من قبل ومن بعد (قال) فلما سمعت القناصه ذلك من نورى قالت الى وأنا القناصه طلعت غواصه وأنا الحمد لله سالمه وقد أتيتكم بالاميرة والرجال ولما أن رأوها النسوان فرحوا بها وشكروا الرحمن وقد هممن أن يصيحوا فقالت لهن القناصه الزمن السكوت حتى تطلع جميع الرجال وتكاملت الابطال وكانت العسكر الذى كانوا بالبلد من السودان مرتبهم عقبه أكثرهم من فوق الاصوار هذا وإن الاميره دنت من باب الجبل وكسرت الاقفال ونادت باسم الملك المتعال فصرخت الامراء من بنى كلاب والسودان الانجاب وكانوا القوم نيام فسمعوا الصياح معهم فى البلد وصاروا السودان لا يلوون على

أحد بل صاروا كل من رأوه قتلوه وأما الاميره فانها أخذت جماعة وطلبت البرج الذى فيه عقبه وأخذت معها الهدلموس وأبو محمد البطال وقصدت المكان الذى كان فيه ظالم واخوته فأطلقت الجميع وأعطتهم السيوف القواضب وقد أحاطوا من كل جانب وعملوا فى ذلك الوقت كل العجائب وعادت الأميرة الى المكان الذى كان فيه عقبه وقد أضمرت على قتله ولما طلعت الى البرج طلبته فما وجدته هذا وقد ملكت البلد بعد ضرب الحسام وتفليق الهام وأفنت السودان اللئام ودارت على عقبة بن مصعب جميع الاماكن فما وجدته فأرسلت جماعة فى طلبه وأقامت فى قلبها نار لاتطفى ولهيب لايخفى من أجل عقبه ثم قالت علينا بالخليفة المأمون الظالم الغشوم فطلبوه فلم يجدوه (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن ذلك الكلام ينقسم على ثلاثة شعب الأول حديث المأمون وذلك أن الاميره لما أخذت البلد بعد الإياس تركت المأمون فى العسكر ومعه رجل من صعاليك العرب من بنى كلاب وكان يقال له ضيبة بن شافع وكان معه أولاد وكانت بنى كلاب لما فتحت لهم الاميره باب البلد دخلوا لأجل أولادهم وأموالهم ونساءهم ولم يبق منهم أحد فقال المأمون : ياهذا افعل معى جميل وأنا أعطيك وأولادك كل واحد ألف دينار ذهب أحمر وأعطيكم خيول تركبوها بمراكب ذهب إن أنتم أسرعتم الى بغداد فان الاميره قد نكبت فى ولدها الامير عبد الوهاب وما كان ذلك باختيارى ولا بمرادى وأخاف من حرقة قلبها أن تأسى علىّ ولا ترعى جانبى ولا تفكر فى عاقبة أمرها لأن الدنيا قد ضاقت عليها لفراق ولدها قال فلما سمع ضيبة بن شافع ذلك الكلام قال من أنت حتى انك تعطينا هذا الذهب الكثير فقال له ياشيخ أنا خليفة المسلمين وإمام الموحدين فقال يامولاى قولك مسموع لكن تعطينى يدك على ما تقول فأعطاه يده وقال والله لأزيدنك أنت وأولادك (قال) فلما سمعوا يمين المأمون ركبوا خيولهم وتقلدوا برماحهم ونصالهم وأركبوا المأمون على جواد سابق من الخيل وساروا فى غسق الليل لا يعيقهم عن الطريق عائق لاسيما وقد حققت الحقائق وساروا فى الليلة التى دخلت فيها الأميرة البلد (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما كان وقت الصباح طلبته الاميره فما وجدته فعظم عليها وأرسلت خلفه الرجال مع هياج الكردى فغابوا ورجعوا ولم يجدوه (قال) وأما الاميره فانها قبضت على عشرة آلاف اسود من أصحاب الهدلموس والباقون قتلوا بعضهم بعض وقد ملك كل واحد هواه وقد أخذ ماصح له من المال وطلب طريق الهرب والانهزام وأما الاميره لما ملكت البلد شكرت الله على ذلك

إلا انها ما تلتذ بطعام ولا بمنام ولزمت الأحزان وصارت تندب الأهل والخلان وقد اشتد بها الشوق الى ولدها وعظم قلقها ووجدها وتزايد أنينها كيف اختلسته الأيام ومن جملة قولها هذه الأبيات :

بكيت على الامير بدمع عيني   يحق لى البكاء على الامير
فياولدى لقد شمتوا الأعادى   لفقد نالهم من كل خير
أياولدى لقد خلفت عندى   لفقدك لومة تبدى زفير

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغت من شعرها بكت حتى غشى عليها وقد أقامت على ذلك الحال فهذا ما كان منها . وأما ماكان من الامير عبد الوهاب وترس قبر النبي الأواب فانه لما أن ضربه شمراخ بالحربة ووقع الى الارض وجرت عليه تلك الأمور والأسباب وكانوا أولاد عقبه نظروه لما وقع لأنهم كانوا فى العسكر يدبرون على خلاص أبيهم عند اشتغال الناس وأخذوه وإلا كان هلك تحت أرجل الخيل فلما صار فى أيديهم قالوا مادام هذا الاسود الزنيم عندنا فأبونا سالم ثم شدوا جراحه وأطعموه شيئا من الزاد حتى رجعت روحه اليه وساروا يطلبون العراق وكانوا سببا الى سلامته بالاتفاق (قال الراوى) ياساده ياكرام وساروا غير قليل حتى وقعت بهم سرية خيل من سودان الهدلوس وكانوا قد أخذوا من خزانة المأمون أموال جمة ونعم ضخمة لماوقعت الكسرة عليهم وساروا وأبعدوا عن العسكر بمقدار أربعة فراسخ بالعراق فوقعوا بأولاد عقبة فقتلوا منهم اثنين وأخذوا منهم الامير عبد الوهاب بعد ماعرفوه وكانوا هؤلاء من بلاد الحبشة وكان اسم ملكهم الدمدمان وكان ملكا جليل القدر والذكر وله بلاد وقلاع ورساتيق وضياع ولم يزالوا سائرين ليل ونهار وغدوا وإبكار يوصلون سير الليل بسير النهار إلى أن وصلوا اليه وقدموا عليه ونظر الى تلك الاموال التى معهم ونظر أيضا الى الامير عبد الوهاب وفيه جراحات كثيرة ورأى الى وجهه فرآه صبيح وله قدم مليح وقد كان الامير عبد الوهاب قد وكزه الشيب فقال لهم : ياويلكم ماهذا الذى معكم فقالوا له أيها الملك هذا يقال له عبد الوهاب أمير الثغور وهو صاحب بلاد وحصون وقلاع وقدر وشان وقد وقع بينه وبين الخليفة الذى للبيضان الخلف وضرب معه مصاف ووقع هذا الامير فى المعمعة وأخذوه اثنين فأخذناه منهم ونحن عائدين الى هذا الوطن فقال لهم الدمدمان اسجنوه يشترى نفسه بالمال أو يموت وهوعلى هذا الحال فسحبوه على وجهه وانزلوا عليه الذل والهوان وسجنوه فى ذلك المكان وبقى عندهم على ذلك

الشان (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ما كان منه ومن حديث الاميرعبد الوهاب وماجرى فى ذلك الزمان . وأما ما كان من حديث المأمون فانه لما أن أطلقه الشيخ ضيبة من الاعتقال وأخذه هووأولاده ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى ميافارقين اجتمع حوله جماعة من المنهزمين وساروا معه الى أن وصلوا الى بغداد ودار السلام وكان يوم دخولهم يوم عظيم وصار الناس يتحدثون مع الخليفة بما جرى مع الامير عبد الوهاب وقد أمر الخليفة أن يلعنه على المنابر فغضبوا الناس من ذلك الشان وهم المتعصبين للأمير عبد الوهاب وقد فرح بذلك المبغضين له ومتعصبين الى عقبة شر الأشرار . هذا وقد جرى الخصام بين الناس حتى تقاتلوا بالسيوف وكان يوم حتوف ولما أن أمسى المساء اهتدوا الناس عما كانوا فيه وسمع الخليفة بذلك الانزعاج فسأل عن الخبر فأخبروه بما جرى فسكت غيظا منه فهذا ما كان من المأمون وأما ما كان من الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمة فانها جمعت السودان الذين تبعوا الملك الهدلموس وخلعت على الهدلموس خلعة وكذلك الامراء الاربعة أمراء السودان وخلعت على باقى السودان وأنزلتهم فى أحسن مكان فى بقاع آمد وقد أقاموا فى نعم هذا والاميره تتقلى على مقالى النار من أجل ولدها الامير عبد الوهاب وترس قبر النبى الأواب وهى تندبه ليلا ونهار وعشيا وإبكار حتى رثى لها الحسود ورق لها الحجر الجلمود وقد عجزت عن القيام والقعود ومابلغت مقصود وانها جعلت اتكالها على الملك المعبود الذى أخرج الماء من الحجر الجلمود والنار من العود وكان الأمير عبد الوهاب أيضا قد رق جسمه واندق عظمه وانقطع من بلاد الثغور أمله وهو فى تلك الديار الغريبة والبلاد الشاسعة الوسيعة واشتغل عن الناس كلهم بنفسه وهو فى تلك الجراح فأقام مريض سنة كاملة إلى أن حضره طبيب من اليهود وطرح عليه دواء فأكل اللحم الخبيث الميت واكتسى لحماً طرياً وبقى شهر كامل يداويه إلى أن برىء مما كان فيه وعاد الى أحسن مما كان عليه (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما نظر الملك الدمدمان الى الامير عبد الوهاب وقد شفى من جراحه وأصاب العافية أنزله الى جب عميق وقال له ياابن الخالة ما تبرح من ههنا إلا بألف قنطار ذهب فعلم أن القوم مجانين (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا جرى للأمير عبد الوهاب . وأما ما كان من القاضى عقبه فانه لما هرب سار على وجهه من (آمد) فى تلك الليلة وهو قد سلم من الموت بعينه سار على وجهه وقال فى نفسه : إلى متى أعلل نفسى بالمحال إن رجعت الى بغداد وطلبتنى الاميره ذات الهمه

يسلمنى المأمون إليها وبلاد الروم أخاف من ذات الهمه وما لى إلا بلاد الحبشة أقيم بها باقى العمر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم سار الى أن وصل الى أرض الحبشة وسمع عن القرامدة أن لهم ملك يقال له الدمدمان فقال أروح اليه وأقيم عنده فسار وطلب القرامدة وقصد الملك الدمدمان فوجد عنده من السودان مالاعين رأت ولا أذن سمعت بعدد النجوم والتراب فدخل اليه وسلم عليه ووقف بين يديه فوجده ملك رفيع الشان قوى الغلبان كأنه النمرود بن كنعان وكان لما سار الهدلموس الى نصرة المأمون أرسل الى هذا الدمدمان حتى أنجده بهؤلاء القرامدة وهم الذين رجعوا إلى بلادهم (ياساده) وكان هذا الملك الدمدمان رجل عظيم الشان قليل الدين كثير المواكب قد جرى بينه وبين الهدلموس مواقعات ومحاربات ولم يظفر أحدا بصاحبه فلما كان فى بعض الأيام قهر الدمدمان الهدلموس وأسره وحمله الى دياره وأطحنه الشعير والقمح سنة كاملة فلما علم أنه أذله وأهانه سرحه الى دياره فما كان فيها إلا من تحت يده وكان له من حوله ثلثمائة قرية يخرج من كل قرية مائة ألف اسود فهو فى عالم لايحصى وأن الامير عبد الوهاب أقام عنده فى ذلك القليب لايعرف الليل من النهار وهو يهدده بالقتل وهو يقول له أريد من المال ماهو كذا وكذا والامير عبد الوهاب يقول له على كل ما تريد أرسل الى قومى وعشيرتى بكتاب مع رجل من قومك فمع وصوله يأتيك المال لأن قومى لايعلمون اننى ههنا لأنهم رأونى وقد وقعت فى المعمعة جديل فتوهموا أنى قتيل فقال الدمدمان أنا أرسل الى قومك واحد من عندى وأنت ما تبرح من ههنا حتى يأتى المال وخلاه بعد ذلك فى الجب ونساه فكان ذلك على الامير عبد الوهاب أشد من القتل لأنه كان فى موضع مظلم معتم واسع موحش وكان يبقى اليوم والاثنين والثلاث حتى يفتح الباب عليه ويرمى له قليل من الزاد وهو مع ذلك صابر ويقول إلهى وسيدى ومولاى افعل ماشئت من قضاك فما أتكل على أحد سواك وعزتك انى أرى ما قد أحللته بى من البلاء أفضل من العطاء (قال الراوى) ياساده ياكرام ودخل عقبه كما ذكرنا على الدمدمان وعلم أنه ملك عظيم فاستقبله هو وخدمه وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ونادى أيها الملك الهمام والسيد القمقام هل لعبدك الغريب زمام بعد ما جارت عليه الاحكام وقد ضعف منى القوى وانقطع الكلام وارتعشت الأقدام وقد جاءك من بلد لم يزل فيه يضام قوم لم ينظرون كبير ولا يحترمون عبادتى بل ينتظرون قتلى قد خلع الله الرحمة من قلوبهم وقد صار هلاكى غاية مطلوبهم ولم يخبرنى أحد

إلا هلكوه ولا دخلت على أحد أستجير إلا أهانوه وقد حمونى الملوك فى الاقطار فما منعوهم منى ولادفعوهم عنى حتى خليفة المؤمنين المأمون صاحب البلاد والحصون أشد منى وجاهدهم حتى قتل أحد خصومى وقد بقت له أم عجوز عبوسة وقد أخذت الاموال غصبا ونهبت الرجال نهبا وأشبعتهم طعنا وضربا وخافت منها الخلائق بعداً وقرباً وفرقتهم فى كل واد وشعبا واستخدمت الفرسان عجما وعربا وثارت على البلاد ونهبتهم نهبا وقهرتهم قهرا وغصبا إلى أن طالت أفكارى وتركت ديارى وفارقت أوطانى وقصدت جنابك الكريم وركنك العظيم وعزك المقيم فطلبت منك الزمام وقد وصل معى عشرة آلاف دينار على سبيل الهدية تعظيما لشأنك وأكون من بعض غلمانك على انه متى سمعت بى هذه الجبارة وأتت إلىّ فأتت تحمينى وتكفينى شرها فما لى أحد سواك وقد طرحت نفسى بفناك على ماقد سمعت من حماك ثم إن عقبه أشار الى الدمدمان بقول هذه الأبيات :

فطفت البلاد لما قد دهانى فسرت الى الملك الدمدمان
هو الملك السيد الملتجا مبيد العدا وعين الزمان
وقد طلبونى الأعادى على جياد الخيول العراب الحسان
والله إن رأيت الزنيم البهيم قتيل جديل على الصحصحان
وسوف يجازيه عنى المسيح بعظم العذاب وذل الهوان
وقد بقيت أمه بعده تريد هلاكى بحد السنان
وقد جارنى منهمو سيد عظيم المحل رفيع المكان
وسار إليهم بسمر القنا وخيل الفنا وبيض اليمان
فعاين منهم رجال المنون وأيقن بالموت لما حمانى
وقد سرت للروم من بعده لما قد زارنى فيستخرجانى
وانى منها ذليل حقير مهين أسير لما قد دهانى
وان سرت أبغى بلاد الشام إلى أرض مصر الى القيروان
الى الغرب والشرق لا أحتمى لأجل الاميره ذات المعانى
إلى أن قصدتك يادمدمان لعلك تكشف ما قد دهانى

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الدمدمان ذلك من كلام عقبه قال أيها الشيخ الأجل الرفيع المحل طب نفساً وقر عينا فإنى قد أجرتك من كل من أكل

الخبز وشرب الماء وإن أردت أنفذت معك رجال وأبطال الى بلاد عدوك فاخرب ديارهم واقتل صغارهم وكبارهم واخمد نارهم فانا أفعل فانما أنت تصف هؤلاء القوم بهذه الصفة لما قد وقع فى قلبك من الفزع (قال الراوى) ياساده ياكرام وان السودان من بنى كرذم الذين كانوا قد مضوا مع الهدلموس الى أرض العراق لما نظروا عقبة عرفوه ومضوا إلى الملك الدمدمان وأخبروه بحاله وجلالة قدره وأعماله فلماسمع الدمدمان مقالتهم أقبل على عقبة وقال له ياشيخ لاتحسب أننا مثل الهدلموس لأنه ماكان يصلح أن يكون لنا عبد ولكن ياشيخ من هو العدو الذى كان لك فأعاد عليه جميع أحواله وما يقاسى من الامور ما يحل به من البلاد ووصفهم بين يديه وفضلهم على جميع الورى ثم وصف شجاعة الاميرة وأطنب فيها فتعجب الدمدمان أن تكون هذه صفة امرأة ثم أقبل على قومه وقال لهم هل فيكم من رأى هذه المرأة فقالوا نعم أيها الملك وهى التى قتلت شمراخ وأسرت الهدلموس وهذا الذى عندك أسير هو ولدها (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع عقبة ذلك بقى متحير لا يدرى ما معنى ذلك الكلام إلا أنه قال أيها الملك ما بقى لها ولد بعد الاسود الذى هلكه القضاء والقدر وحلت به العبر فقالوا له السودان لا تتحدث بما لا تعرف لأن هذا ولدها ونحن عارفون به ورأينا انعامه فقال عقبه من أوصله اليكم فقالوا رأيناه فى الطريق مجروح وهو مع اثنين حتى عميوا وأهلكناهم وأخذناه منهم الى ههنا فعلم عقبة أنهم أولاده ثم قالوا وخلصناه وحملناه معنا لما نعرف من حاله وداويناه فقال عقبة وقد أخذه المغص لأجل قتل أولاده وقال لاشك أنه من أمراء بنى كلاب أو واحد من أولاد عبد الوهاب ثم أقبل على الملك وقال له أريد أن تمن علىّ بالنظر اليه فأمر الملك بإحضاره فساروا السودان ونزلوا إلى الجب وأطلقوا الامير عبد الوهاب فعرفه وجعل يمسح عينه الصحيحة ويدق بيد على يد ولم يجد صبر دون أن قال يا ابن مرزوق وأنت بعد فى الحياة فنظر الامير عبد الوهاب الى المتكلم وإذا به عبة فطار عقله ولبه وقال هلكت وذمة العرب بلا محالةهذا شيء لم يكن فى الحساب ثم قال نعم يا ويلك أناسالم بعون الله تعالى فقال عقبه أبشر الآن بالذل والهوان فقال الامير يا ملعون بالله المستعان الذى لا يشغله شان عن شان فأقبل عقبة على الدمدمان وقال يا مولاى معى فى مكان قريب عشرة آلاف دينار وهذا الرجل أكبر أعدائى وأريد أنترده إلى الجب الذى كان فيه وأرسل من عندك من يحمل المال لك ويقدم به عليك وبعد ذلك أتسلمه منك وأقطعه بالسيف قطعة قطعة وأشرب من دمه جرعه بعد جرعه

فقال الدمدمان لما سمع كلام عقبة خذه اليك فقد سلمته اليك فقال عقبة للسودان احملوه إلى المكان الذى كان فيه فحملوه اليه وفى الحال كتب عقبه الى بغدام الى أقوام نصارى كان لعقبه عندهم أموال من عهد ميخائيل فأمرهم فى الكتاب بحمل الأموال والخلع وأعطا الكتاب لمائةرجل ممن يثق بهم الملك الدمدمان وضمن عقبةلهم المال الجزيل الذى ليس بقليل وقال لهم تعجلوا فى السير وإذا وصلتم إلى بغداد فاكمنوا أنتم هناك إلى أن تأتيكم الاموال (قال الراوى) يا ساده يا كرام ومضوا هؤلاء إلى ما أمرهم عقبه وقد تمت على الأمير النصبه وصار عقبه كل يوم ينزل الى الامير عبد الوهاب ومعه جماعة من السودان ويضربه الضرب الشديد ولم يزل يعاقبه حتى أيقن بموته وأشرف على التلاف ولم يبق فى موته خلاف ومع ذلك فما كان يقطع القرآن وله كل ليلة ختمه وكان كثير البكاء والنواح على الأميره والدته وما جرى على قلبها من فراقه والأخرى قد أيقنت بهلاكه وعقبه يقول له فى كل يوم يا أسود يا حجام ما جئت فى هذه الديار حتى قتلت ذات الهمة وسائر أولادك ونهبت أموالك وهتكت عيالك وما بقى الا البطال ومن فزعى منه هربت إلى هذه الديار ولابد لى مما أدبر على قتله وأنا فى هذا المكان وأكون على روحى فى أمان وأما أنت فسوف ترى من البلاء ما لا يحمله انسان ولولا أنى أريد أحمل المال الى الدمددمان والا كنت قتلتك من زمان ولكن أريد أتمتع بقتلك فى هذا الأوان فقال له الامير عبدالوهاب لا تفرح فكل ما أنت فيه فان وان فى الغيب لعجب والمقادير تسرى بكل سبب وانى اؤمل من الله تعالى أن الدست ينقلب لأنى والله صافى المذهب فضحك عقبة وكشر عن أنياب مثل أنياب الضباع حتى انقلب وقال هذا أمل بعيد وأنت تتمنا هلاكى بأضغاث أحلام لانك قليل العقل بين الأنام فقال عبد الوهاب يا ملعون أنا ما أشك فى ذلك وسوف ترى العجب من من مالك المهالك ويكون هلاكك سريع (قال الراوى) يا ساده يا كرام فهذا جرى ههنا وأما السودان الذين بعثهم الدمدمان من قبل المنحوس عقبة فانهم ساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى وصلوا كتبان الأرائك وارض العوسج وأرسلوا واحد منهم يقال له اثرون فأخذ الكتاب وسار الى أن وصل الى بغداد وسال عن سوق التجار فدلوه عليه فسأل عن أرمانوس النصرانى فأرشدوه عليه فدفع الكتاب بعدما سلم عليه فأخذوه من يده فلما رأى عنوان الكتاب قبله وطرحه على رأسه ثم انه أخذ الاسود الى داره وقال له ما اسمك قال له اثرون بن ابو العروق فقال له النصرانى وحق المسيح ما تدخل انت فى دار أحد ويفلح أبدا ولكن سير بنا الى دار

اصحاب الكتاب فانه ارسله الى عشرة من اصحابنا ولكن لا تعلمهم ايش اسمك فضحك الاسود ولم يعلم معنى الكلام ثم انه سار به الى دار واحد من الجماعة وجمع بقية الناس الذين اسمهم فى الكتاب واوقفهم على ما فى الكتاب فقالوا سمعاً وطاعه ثم حمل كل واحد منهم عشرة آلاف دينار وكتبوا رد جواب الكتاب واعلموه فيه بخبر الاميره ذات الهمة انها قد انفللت عساكرها ومضت دساكرها لأن عقبة لعنه الله كان أرسل سألهم عن ذلك الكتاب وقالوا له لم يبق عندها من العساكر الا الهدملوس وأصحابه وعشرين ألف من بنى كلاب والباقون تفرقوا عنها والمأمون يكاتبها ويستعطفها ويطيب قلبها وهى ترد رسله خائبين وقد اشرفت على العمى واحد ودب ظهرها ونبشرك بأن ملك الروم ميخائيل قد جلب لهم من ثلثمائة جزيرة ومن سبعة عشر اقليم وهو فى فى عالم عظيم يزيدون على اربعة آلاف الف وهو فى عساكر لم رأى أحد مثلها قط وهو فى نية الخروج الى بلاد الاسلام إلا أن الشتاء والأمطار تمنعهم من ذلك (قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم خرجوا بالأموال والرجال والجمال والبغال مع غلمانهم واثرون الأسود معهم حتى وصلوا الى أصحابه فأخذوهم وعادوا راجعين والى عند عقبة مسرعين فرحين وقطعوا البلاد ليلا ونهارا هذا وعقبة يوقت لهم الاوقات لانه قد ايقن عند وصول المال بقتل الامير عبد الوهاب (قال الراوى) يا ساده ياكرام هذا والفلك يدور بالعجب ويجرى على خلاص الامير عبد الوهاب بكل سبب لأنه قد أتى بالفرج لذات الهمه ولولدها عبد الوهاب وفى كل ذلك سبب بتقدير مفرج الكرب وذلك ان عقبة لما صار للملك الدمدمان نديم ويحدثه بجميع العجائب ويأتيه بالغرائب ويتكلم عنده بكل لسان غريب ويظهر له العبادة والدين وسلب عقله بحسن البراهين حتى استولى على حكم القصر الذى للدمدمان وان السودان من كثرة ما استولى على قلوبهم صاروا يتقربون اليه بكل ما كان ويتبركون به الى أن كان فى بعض الايام وقد أخرج الامير عبد الوهاب وعاقبه اذ اقبلت ميمونة بنت الملك الدمدمان وكانت ذا عقل معروف وجمال موصوف وقد ذكر الذى نظرها أنه ما كان فى السودان مثلها ولا أحسن منها لأنها كانت بصاصة السواد كبيرة الحدق قاعدة النهد ثقيلة الردف مكحولة المقل وهذا بخلاف السودان (قال الراوى) يا سادة ياكرام وقد وصل اليهم رجل من اليمن من أرض زبيد وعدن وكان ذا عقل وفضل وأدب وانها تعلمت منه الخط بالقلم وأحاديث العرب والعجم وتعلمت بلسان العرب وكانت كريمة الأصل والنسب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ونظرت

الى عقبة وهو يعذب الامير عبد الوهاب ويعاقبه أشد العقاب وكانت قد سمعت عنه أنه هو الذى قهر أمراء السودان فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وكانت ميمونة تحب الفرسان ولقاء الشجعان وان أصحاب ذات الهمة وأصحاب الخليفة ما رأوا فى ذلك الزمان أفرس من الأميرة ذات الهمة وبعدها ميمونة هذه بنت الملك الدمدمان وأن هذه ميمونة لها فى الاوائل أحاديث عجيبة وأمور غريبة وسوف نذكرها ان شاء الله تعالى فى مكانها ونستغفر الله تعالى من الزيادة والنقصان وانما سطرت هذا التاريخ حتى يسمعه أهل العقول والاذهان ونحن نصلى ونسلم بأجمعنا على سيد ولد عدنان المبعوث كافة الى الانس والجان ولما نظرت الملكة ميمونة الى الامير عبد الوهاب ألقى الله تعالى محبته فى قلبها حتى زاد هواها به مثل هوى زليخا ليوسف فقالت لسودانها على هذا الشيخ السوء المهين وانهوه عن ضرب هذا المسكين فقالوا ياستاه انه قد اشتراه من أبيكى بالمال فقالت لسودانها أليس المال يصل الينا فقالوا نعم قالت أقطع رأس هذا الشيخ السوء الليلة فقد لاح لى أنه ظالم غاشم فقالوا افعلى ياسيدتنا مابدا لك فانتى صاحبة الأمر والنهى (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك قالت لعقبة بنفسها ياشيخ مالك وهذا الرجل المسلم الذى عندنا تضربه ضربا وتنهب مهجته نهبا فان لم تأتى بما وعدت به الملك من المال مع الرسل الذى أنفذتهم أليس تعلم أن ضرب هذا الرجل جزاف والملك الدمدمان أعمى القلب لا يفهم ما تعمل ثم إنها من شدة مالحقها من الغيظ على عقبة طوت يدها والاربعة عشر عقدة وتلقت عقبة ونفضته بلكمه ولا حافر بغل على صرصور أذنه فوقع وقد اشتالت رجله وشرشر فى سرواله وقالت له ياشيخ يا أعور يامنحوس ان عدت من اليوم ضربت هذا الرجل أو كلمته ضربت رقبتك ورقبة كل من يرضى لك بهذا الفعل فقال عقبة لما سمع كلامها وقد اشتد عليه قدام الامير عبد الوهاب وصار عنده أمر من ضرب الرقبة من هذه المرأة فقالوا له هذه الملكه ميمونة بنت الملك الدمدمان فلما سمع عقبة ذلك ضحك خبث ومكر وخداع منه وقال أيتها الملكه أنا قد أرسلت الى بلدى من أجلكى أتى بالحلل والثياب وغير ذلك فقالت دع هذا المحال ياظالم وزخرفة المقال كان مالى رغبة فى الاموال لأن أموال أهل الشرق والغرب كلها فى قبضتى وإنى قد عولت أن أسير فى مائة ألف من قومى وأملك البلاد وأقيم فيها حدود الله تعالى وكل أحد يعرف صدق قولى وان قومى مالهم عقل يدبرون به أنفسهم ويعبدون الذى خلقهم ورزقهم وأقام بأودهم وبذلك أمرنى مؤدبى وعرفنى طرائق الدين وهدانى الى خدمة رب العالمين (قال الراوى) ياساده

يا كرام ثم قالت له أنهيك ثم أنهيك فلا تتعرض لهذا وإلا فلقت رأسك يا قرنان يا ابن الألف قرنان بهذا الحسام فقال عقبة فى نفسه من أين لنا هذه الملعونة قصف المسيح عمرها (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم انها حملت الامير عبد الوهاب الى بيت من بيوت القصر وحملت اليه كل ما يحتاج اليه من الفراش والطرح والوسائد والأوانى والمأكول والمشروب بعد ما قلعت من رجليه القيود ففرح الأمير عبد الوهاب بذلك وشكر الله تعالى وجعل يقرأ ويصلى الى أن انسدل الظلام واطلع الملك العلام وأما ميمونه فإنها أقبلت على جوارها وقالت لهم اعلموا أن الشوق والهيام والمحبه والغرام والاشجان قد هتك ستر الكتمان وقد رجع الآن الى الاعلان وأريد أن أرسل الى هذا الرجل كتاب وأطلب منه رد الجواب لأننى والله قد أحببته محبه لافساد ولازنا ولست أنا ممن سلك طريق الخنا ثم إنها أخذت دواة وقرطاس وكتبت اليه (أما بعد) أيها الامير قد أضحى فؤادى فى يديك أسـير وان قلبي إلى مشاهدتك مستطير وأنا قد عدمت رقادى ودام سهادى وقد صرت كما قيل :

غريمى غرامى فيك والأسـقام ... من عظم صـد يضنى الأجسـام
إن كان طرفى بعدكم ذاق الكرى ... وحقـكمو فالقلب ليس ينـام
وكيف يذوق النوم جفنى ومقلتى ... لها مدمع فوق الخدود سجام
ولى شافع يدنى اليك من الهوى ... وحق جوارى واجب وزمامى
سأحميك من كل الأنام لأننى ... أراك كريم والكرام كرام
وأقتل هذا الشيخ إن كنت راغبا ... وأسـقيه كاسا مازجته بحمام
وأضرب راس الدمدمان بصارم ... له من دماء الدراعين عوام
فان كنت ترعى لى فعالى فاننى ... عبيدة رقٍ فى الهوى وغرام

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما فرغت من الكتاب طوته ثم سلمت الكتاب الى بعض جوارها وأرسلته إلى الامير عبد الوهاب فسارت الجارية بالكتاب وسلمته إلى الأمير عبد الوهاب فلما قرأه قال معاذ الله أن أطلب الفرج إلى منه ثم أقلبه الامير عبد الوهاب وكتب على ظهره يقول :

أيام هذا كفى فلست ألام ... وعن خدمة الجبار لست أنام
وكيف يرى حى صوابا وإنه ... ستبلى عيونى فى الثرا وعظام
فلا خير فى الدنيا إذا كنت فاسقا ... على ذنوب أثبتت وأثام
وفى الليل أقوام كرام تراهم ... قيـام وفى حر النهـار صيام

فمالكى فى حب صلاح فاننى رأيت التقى رأى لديه سلام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما وصلتها هذه الابيات بكت وقالت والله هذا مرادى ونيتى ثم كتبت اليه تقول :

ألا أيها العبد الذى صح دينه فأنت لعمرى من رجال أطايب
وحق الذى أعطاك كل فضيلة وعرفك الارشاد ياابن الاناسب
سامحك ودى ليس أبغى قبيحة ولست أريد الفحش مثل الكواعب
ولكن رأيت القلب قد مال ميلة اليك محب صادق غير كاذب
سأبعث رأس الشيخ عقبه سرعة وأسقيه كاسا من شراب المعاطب

(قال الراوى) ياساده ياكرام وبعثت اليه بالأبيات فقرأها وكانت ميمونة ما رغبت فيه من طريق الزنا ولا أحبته محبة ريب وخنا ولكن سالمة موافقة لها على مؤالفة قلبها ووعدته أنها تكرمه غاية الاكرام وتمكن من رأس عدوه الحسام وتوقع بعقبه الهوان وتقاتل من أجله أباها الدمدمان وكان أباها يزيد على الهدلموس فى الشجاعه الدرهم عشرة ثم إنها سارت لوقتها طالبة البيت الذى فيه عقبة وفى يدها حسام ماضى الضريبة قد سقى بماء المصيبه مضاربه غير مخيبه إن وقع على جمل قطعه أو على جبل صدعه قوى المسمار ماضى الشفا وكأنه شعلة نار كما قال فيه الشاعر

حسام ماضى الحد أكول الخصر والغمد
له أفعال فى الأعدا كفعل النار فى البرد
وعند الأخذ والرد يبان الضد والضد

(قال الراوى) ياساده ياكرام ووصلت ميمونه الى الدار التى فيها عقبه معولة على أنها تقطع رأسه وتخمد أنفاسه وتتقرب بذلك إلى قلب الأمير عبدالوهاب وقد هان عليها لأجل الهوى وتباريح الجوى فلم تجد عقبة فى الدار فعظم عليها وكبر لديها وكان عقبة قد أحس بالشر لأنه رأى ميمونة قد فعلت فى حق الامير عبد الوهاب كل ذلك الفعل وكان عقبة خبير بمذهب القياده وأبوابها فلم يخف عليه أنها نظرت إلى الأمير عبد الوهاب بعين الهوى ونظر الجوى فلما صح عنده هذا الحديث خرج هاربا من البيت ودخل على الدمدمان وأعاد عليه جميع ماكان من أمر ميمونه فقال له الدمدمان اعلم أيها الشيخ أنك سلمت من خطاطيف المنون فلا ترجع تقع فى عينها فلابد ما وقع فى قلبها أمر منك فما أبقيت قط ترجع إلى مافعلته وقدكان لها أخ

يسمى ميمون قد هزم الجيوش والوحوش وقبض الأسود وأباد الجبـابره وأسر الأكاسره وكان وقع بينها وبينه على غنيمة وكان خرج هو وإياها فيهاوكانت مع الف فارس من خيل اليمن فقتلوا أكثرهم ولم يبق إلا أقلهم وانتهزوا الغنيمة منهم فلما وصلوا إلى ههنا وحضرت القسمة قال ميمون ما آخذ إلا سهمان وأنت سهم واحد لأنك أنثى وأنا ذكر فقالت له يا هذا والله انا ما اعطيك الا سهم واحد ان اردت والا فقم واركب جوادك والبس عدة جلادك وافعل انا مثل فعالك ونلتقى فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب فان انت ظفرت بى فوالله ما آخذ من هذه الغنيمة درهم واحد وإن انا ظفرت بك فسوف ترى ما أعطيك فقال رضيت بهذا الامر ثم ركب جواده وفعلت مثله ثم انهما التقيا فى ميدان الحرب فما طال بينهما إلمقام حتى أخذته أسير وقالت له لقد منذت عليك بنفسك وخذلك نصف سهم فقال لها أنا ما أخذت سهما كاملا آخذ نصف سهم (قال الراوى) يا ساده ياكرام فلما سمعت ذلك من كلامه جردت حسامها وضربته اطارات رأسه عن جثته وفرط فيها الامرولم أعتبها فى الفائت فلا تقع بعد ذلك فى عينها حتى يأتى مالك وتهاديها وتخضع لها وترضيها ثم ان الملك الدمدمان ارسل الى ميمونة يقول لها يا بنيه هذا الشيخ رجل قاضى رفيع القدر عالى الذكر من أرباب الأحوال فلا تتعرضى له بحال من الأحوال فيحرمنا المال فى عاجل الحال فانه لابد لنا من مال عظيم على قتل هـذا الرجل المسلم (قال) فلماسمع عقبة ذلك قال فى نفسه وحق المسيح هذه الميشومه ما كانت لى فى حساب فلا جعل المسيح فى عمرها بركة فقد خرجت علينا خارجى ثم قال أيها الملك ان كان الأمر كما ذكرت فما أعود الى البيت الذى كنت فيه فانى لا آمن على نفسى ان تقتلنى بل أكون عندك ههنا مقيم وسوف يصل اليك منى مال عظيم فقال له الملك كن عندى كما تريد فأقام عنده عشرة أيام وقد زاد غرام الملكة ميمونة بالأمير عبدالوهاب وكلما أرسلت اليه تطلب منه الزيارة والخلوه على وجه المذاكرة والمؤانسه يمتنع من ذلك حتى لم يبق لها اصطبار واضرمت فى فؤادها شعل النار فدخلت اليه فى ثلاث جوار وفى عاتقها صارم بتار تطلب بذلك إقامة الهيبة وعلو كمال الرتبة ثم سلمت عليه فرد عليها السلام بأحسن رد وحياها بأحسن تحية وجعل يغض بصره وينظر الى الأرض فثارت ميمونة ونادته الا وان الاكرام يتم عند الكرام فارفع رأسك وانظر الى من أتلفها الوجـد واضر بها الجهد وزاد بهـا الانزعاج ودعنى من العلل والاحتجاج وتكلم معى بما يوافق فان قلبى بهواك رامق فقال لهـا الأمير وقد جرى من طرفه الدمع الغزيز اعلمى أننى رجل كبير

السن ضعيف الجسد وقد أيقنت بالموت وانا على أهبة وأريد ان أعمر لى قبر وافرش لى فراش من الطاعه وأتزود للرحيل فما بقى من عمرى الا القليل وأنا أقسم بالله قسما رب الأرض والسما انى ما صح عندى قط أنى نظرت الى شخص نظرة فيها يغضب الله تعالى لانى أعلم أنى مسؤول عن نظرى مطالب بخطيئتى فأخاف أن أنظر اليك لأجل هواك فاخسر الدنيا والآخره ثم ان الامير عبدالوهاب أنشد يقول هذه الأبيات

أميمونة كفى فى القلب راحة ... ولا أبتغى يوما ركوب هوائى
فلله روحى يوم اقصى منيتى ... فان صلاحى فى الحساب بقائى
أما سمعت أذناك يوما بأننى ... رأيت التقى من شيمة الكرماء
وعقل وفضل واسع وسماحة ... وجود من الرحمن بعد رجائى
كلامى موقوف على الصد دائماً ... فمالى زخر غيره للقائى
ولولا عذاب الله بادرب ساعة ... اليك ولكن المنون ورائى

(قال الراوى) يا ساده ياكرام فلما فرغ الأمير من شعره وقد سمعت ميمونة نظمه قالت والله انى بكل ما نظمته عارفه لكن الهوى هو الذى يحملنى على المخالفة لأنى قد زاد بلائى وعظم هنائى فاجب وداوينى لان عندك شفائى وأنت طبيبى ومناى ثم أنشدت :

أيا بغيتى دون الورى ومناى ... وأربى الذى قد سرنى ودوايا
وحقك ما صاولت بعدك سلوة ... ولا سامنى للقدر صدق وفايا
وسوف ألاقى الموت ان دام هجركم ... على ولم أظفر بنيل منايا
وحق الذى أعطاك عفة آدم ... وهيبة موسى مع جلاء بهايا
يميناً بان لا كنت عنك صبورة ... ولو كان حتفى فى الورى وفنايا
ولا رمت عتقاً من هواك وانى ... على لو أبلانى فطول بلايا
فرق لمن أمسيت تملك رقها ... وعبرته ممزوجة بدمايا
فان كنت ترضا بى اليك مطية ... وأحمد من كل الورى بلوايا
واضرب أعناق الرجال بصارمى ... واقطع ملك الدمدمان برايا
وان كنت يا هذا تظن بأننى ... كمثلك فى الهيجاء يوم لقايا

(قال الراوى) يا سادة ياكرام ولما سمع منها الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب رفع رأسه اليها يا هذه لك قدرة وقوة جنان على ملاقاة الشجعان فى حومة الميدان اذا تضايقت حلق البطال فقالت نعم اذا كان ملكت ألف فارس

تركتهم على وجه الأرض نواعس فضحك الأمير عبد الوهاب من قولها وقال من أين للنسوان اقتدار على الشجعان ياملكة فقالت ما أدعى شيئا إلا وأنا فيه صادقة فهل تقدر تطاوعنى وتقوم أنا وأنت نتصارع فى هذا المكان لأن هذا يؤثر فى القلب آثار وأخاف اننى ربما يكون أجلى قريب فأقبض على الموت فى غير الطاعة وأخسر عندقيام الساعة ثم انه نهض ووثب قائما الى المحراب وخرجت ميمونة من عنده وقد بهتت وزاد غرامها ووجدها وهيامها وأن كل إنسان حريص حذرعلى مامنع منه وقد نظرت الى شرف نفسه وعفة روحه وفرجه ونضارته فتضاعفت المحبة وكثرت الصبابة صبابة منه وزاد بها الأشجان (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من ميمونة مع الامير عبد الوهاب . وأما ما كان من الرسل الذين أنفذهم عقبة والدمدمان من أجل المال فانهم لما تسلموا المال لم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الديار وأثرون ابن أبى العروق فى أوائلهم كأنه مثل البعير ووصلت الرجال والاموال الى عقبة وقد حمل من المال الى الدمدمان الى أن غاب رشده مما رأى وقد فتح الدمدمان الرحال وفرق على السودان الخلع والاموال ولم يبق أحد إلا وفرق عليه من ذلك المتاع هذا وقد فرح العالم بما حصل لهم من الاموال والخلع وقال عقبة أيها الملك سوف أريك ما أصنع وسوف أبعث الى آخرين وآتيك بأكثر من هذا ولكن أيها الملك أنا وفيت ما وعدتك به وأريد منك أن توفى بما ضمنت لى فقال الدمدمان قد سلمته اليك فافعل به ما تشاء وامضى الساعة اليه ولا تأتى إلا برأسه فقال عقبة أخاف أيها الملك من السيف الذى وقع فى رأس ميمونة يقع فى رأسى لأنى رأيتها أيها الملك قد أحبته حبا شديدا وقد أعلمتك بهذا وماجرى منها فىالنوبة الأولى فقال الملك صدقت ياشيخ وادعى الدمدمان بعبد من عبيده يقال له (مشتاق) وكان ذلك طوله قصبة وعرض مصطبة هائل الخلقة منزعج الحواس من أولاد الخناس فقال الدمدمان امضى الساعة بهذه الهدية الىالملكة ميمونة وقول لها إن أباك قد أرسلنىاليك لآخذ رأس الرجل المسلم الذى عندك لأنه قد باعه الى القاضى عقبة الذى حمل الينا الاموال الجمة والنعم الضخمة ومن الواجب أن نقابله على صنيعه بمثله حتى نكون قد أعطيناه شكله ووفينا له ماوعدناه كما وفى بما قال ولا يكون لأحد علينا فضل ولا منة (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع العبد من الدمدمان ذلك الكلام وثب قائما على قدميه وأراد المسير اليها فاعترضه عقبة وقد أخرج له سقط فيه أثواب ديبق تسوى

خمسمائة دينار تصلح الى النساء الأقمار وصار مع الرسول الى أن وصل الى باب الدار التى فيها ميمونة وعبدالوهاب واذا بها جالسة على الباب وهى كثيرة الاكتئاب وعليها آثار البكاء والانتحاب فسلم العبد عليها وقبل الارض بين يديها وكان من فرسان أبيها وليوثه وشجعانه وقدم لها ما معه من المال والنوال وأيضا ذلك السفط الذى أتى به عقبه ثم انه قبل الارض بين يديها وأظهر الضعف والكبر فرحمته لكبر سنه وردت عليه السلام وقالت للعبد فيماذا أتيت ؟ فأعاد عليها التى أتى بها من عند الدمدمان (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونه من العبد ذلك انقلبت عيناها فى أم رأسها وصار سوادها الى بياض وفى عاجل الحال امتشقت حسامها من غمده وقالت ارجع الى عقبة وقل له مالأحد اليه وصول ومن أراد به سوء فعلت به هكذا وجعلته مقتول وضربت العبد على الهام أطاحت رأسه بالحسام وقالت وأنت ياشيخ الضلال سلامتك المال الذى أتيت به وكان كلامها بانزعاج فولى عقبة منهزما لما سمع هذا المقال وهو ما يظن أنه سالم إلى أن وصل الى الدمدمان فقال له مابالك أيها الشيخ الكريم وأين العبد مشتاق فقال يامولاى أما مشتاق فقد بلغت نفسه الى التلاق وقد فارقك فراق مابعده تلاق وكان يومه يوم الفراق فقال الدمدمان وكيف ذلك فأعاد عليه القصة (ياساده ياكرام) وقال يامولاى ما بقى لى عندك مقام بعد ما سحبت على الحسام (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الدمدمان من عقبة ذلك وأن الرسول قتل وارتد قوله عليه شخر ونخر وصاح صوت كأنه الرعد فى الغمام وقال للسودان أقسم برب الأنام ومحيي الموتى من القبور بعد ما كانوا عظام ائتونى بها فلا بد من قتلها هى وإياه فى هذه الساعة فسبق اليها الخبر ممن تثق به ويشفق عليها وكان لها جند وأعوان عشرة آلاف وأكثرهم مشترى من مالها وهم لها جند وخدام وكانت بهم تقطع الطريق وتخون السبيل وتملك الدساكر وتجيف على العشائر وتأخذ الأموال غصبا وباقى العساكر بالديوان وانها لما سمعت بتلك الأخبار أخذت الامير عبد الوهاب وخرجت من البلد ومضت إلى حصن لها وكان بالقرب منها حصن يقال (حصن الحجر) وكان فيه أموالها ورجالها فجعلت الأمير عبد الوهاب فيه فعلم الدمدمان بذلك فأرسل وراءها عساكر ودساكر كثيرة من رجاله وعساكره وأبطاله وقد تبعها بباقى الرجال ولما أشرفوا على الحصن نزلت الملكه ميمونه ولم تكترث بهم بل انها تصففت الصفوف قصاد الصفوف وترتبت الألوف واشتهرت السيوف

ولاحت الحتوف وقد حملت السودان على بعضهم بعض واقتتلوا على وجه الارض وتدكدك الحصى من كثرة الركض ودام بينهم القتال وكثر الزلزال واشتد الضرب بالنصال ثلاثة أيام وفى كل يوم تزداد عساكر الدمدمان من سائر البلدان وفى اليوم الرابع خرج الدمدمان الى وسط الميدان بعد أن لبس عدته واشتمل بلامته وهو مسربل بالحديد والزرد النضيد وهو راكب على جواد من الخيل الجياد وهو جواد مليح الرونق وفى يده حسام فصال قاطع للاوصال وتقدم حتى صار قريب من عسكر ميمونه ونادها : يابنت الشيطان هذه فعال البنات مع الآباء والأمهات اخرجى الى قتالى ونزالى حتى انى أحرمك من بعد هذا اليوم ركوب الخيل وتدور عليك دوائر الذل والويل فلما سمعت ميمونه من أباها ذلك الكلام قالت لقومها وكانت خبيرة بالأشياء عارفة بالأمور الكبار وقد سمعت الأحاديث والاخبار وتخاف من الفضيحة والعار وقالت والله انى أستحى أن أخرج الى قتال أبى وأنا ما فعلت هذه الفعال إلا لأجل ماذممت لمن عندى وهوذلك الرجل الغريب ولاشك أنه صاحب مقدار وأيضا إن فى قلبى من المحبة شعل النار من كثرة الغرام فانظروا من يخرج اليه وله مهما طلب من المال فعندها خرج اليه من قومها فارس طويل وسيم على جواد من الخيل مثل الليل البهيم وله حديث عظيم يقال له (مشعول) وهو فارس مهول بساعد مفتول وفى يده حسام مصقول وحمل على الملك الدمدمان وتجاولا فى الميدان فما طال بينهما المطال حتى ضربه الدمدمان بالحسام أسقاه شراب الحمام فوقع الى الارض صريع يمج علقماً ونجيع فصاح الدمدمان : ياميمونه إن الأهل والاصحاب ما بيننا وبينهم خشونه وان لهم علينا حق الخدمة فلايجب علينا أن نسفك دماءهم وأنت قداحتويت على هذا الرجل ولم أدرى لأى شىء اخترتيه فان كان حمية منك فأعلميني وإن كان كياد لمن اشتراه فأخبريني وان كان قصدك البرازا برزى لى وإن كان من هوى فى قلبك فعرفينى لأنك يابنتى قد فضحتينى فلما سمعت ميمونه من أباها ما قال وتفوه به بين الرجال خرجت اليه ومالت بكليتها عليه وهى شاكة فى السلاح وعولت أن تسقه شراب الاقتاح وكان الدمدمان فصيح اللسان يقول الشعر والنظام ولما رآها معولة على حربه قال ياميمونه صدق الذى قال عنك إن فى قلبك هوى من ذلك الرجل وتحى هذا العربى وأنت تعلمين أن هذا عار ملحق بى يا ويلك أين نفسك الشريفة فى جميع الأحوال أين ضربك لأعناق الرجال أين ملاقاتك للأبطال ثم ان الدمدمان أنشد وجعل يقول :

أين ذاك السداد والعقل والفضل ثم قتل الرجال يوم الوطاء
بعد عزم ونخوة وعلاء واقتدار فى حومة الهيجاء
انني ذات نخار والمنطق عذب ثم ذات الصواب والارثاء
كيف تحمين من أبيع بمال ضاق منه الفلا ووسع الفضاء
بعد ما كنت تضربين رقابا من رجال موصوفة بالوفاء
قد فضحتى أباك من قبح فعل شائع فى الورى بغير خفاء
أو يكون الذى يشاع محال فأرغمى أنف سائر الأعداء
أو ترد الذى أخذناه جهراً مثل أثمانه يكون الفداء
أوحق الإله أترك سيفى ناهلا من دماك بعد الضماء
فأنا الدمدمان يعرف شانى كل من فى البلاد والبطحاء

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونة من أبيها ذلك الكلام قالت ياأعمى القلب والبصيرة أتظن أنى أحببت هذا العربى لأجل خنا أو من أجل زنا لا ومن شرق الشرق وغرب الغرب وإنما أحببته لأجل ماتبين لى أنه شجاع وقرم مناع ومما قد سمعت عنه أنه أفرس أهل الارض فى الطول والعرض وهو الامير المهاب وترس قبر النبى الأواب الامير عبدالوهاب مقدم بنى كلاب فقال لها الدمدمان لو كان فارس لكان قتل من أخذوه أسير وجابوه إلى ديارنا ذليل وهم ألف فارس لاغير (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الامير عبد الوهاب راكب فى ذلك النهار وقد سمع من الدمدمان وهو يقول لو كان فارس كان حمى نفسه من الألف فارس الذين أتوا به فساق جواده وأتى الى الميدان وقال لميمونه إن هؤلاء الألف فارس الذين يذكرهم أباك ما أخذونى من على ظهر جوادى وانما أخذونى لما غدر بى شمراخ وهم أخبر بذلك وأنتم أيضا رأيتم حالتى لما أتوا بى اليكم وأنا فى حالة الإعدام والتلاف والآن برئت مما حصل لى من الأسقام والآلام وقد منّ الله على بالشفاء مما كان بى من الجراح ووجدت العافية والسلامة من الله تعالى وانى أريد أن أبين لأباك ما أنا فيه من الشجاعة وإن أردتم ذلك ائتونى بآلة حرب وما يصلح للطعن والضرب وهو رمح أسمر نبيل وسيف أبتر صقيل وأبصروا منى إن شاء الله تعالى فوالله إن خرجت إلا لألف فارس وأنت أيتها الملكه بالاختيار إن شئت قطع رؤوسهم وان شئت أخذتيهم أسارى وان شئت أشغلتيهم بالطعن المتواصل الذى غير قاتل وان شئت أخذت عمائمهم على رؤوس الرماح وان شئت ألف السنان بالقماش وألطخها بالمغرة

والزعفران ثم أحمل على الألف من غير سنان وإن شئت أضفت اليهم الملك الدمدمان وأنا ما قلت هذا إلا وأنا قادر عليه بقدرة الله مكون الاكوان وملون الألوان الذى كل يوم هو فى شان (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونه من الامير عبد الوهاب ذلك الأمر والشان أعجبها قوله ووقع على قلبها أحلى من الماء على كبد الظمآن فقالت أيها الامير أما الشجاعة فإنها ظاهرة من بين عينيك والبراعة لائحة عليك وإن كنت ما شاهدت منك فإنها تشهد لك لاعليك وأما أبى فلاتذكره على شفتيك فانه جبار وليس على فروسيته عيار وإن كنت رأيت حرب الهدلموس فان أبى يزيد عليه بكل درهم قنطار فلا تعرض نفسك للبلاء واعلم أنه بطل الابطال لايخاف من الاهوال فقال لها أيتها الملكه سوف ترين العجب العجاب ان شاء الله تعالى الملك الوهاب ثم إنه وثب قائما على الاقدام وقال على بعدة كاملة فأحضرت له عدة كاملة للحرب وما يصلح للطعن والضرب فأخذ الامير الدرع وأفرغه عليه وقد تمنطق وما زال حتى لبس عدته وميمونة تنظر اليه وتستدل على فروسيته فقالت لله درك هذه الآلة أنت بها حقيق لأنك حزت الشجاعة مع حسن التوفيق ثم انها أمرت أن يأتوها بجواد غير مسروج واسع الدفان عالى الجنبات وثبت الركابات شديد الحزامات لترى كيف يضع السرج عليه كل هذا من إشفاقها عليه فأتوه بذلك وكان الامير عبد الوهاب عرف قصدها ومافى قلبها وأراد الآخر أن يريها شيئا مما معه حتى يقوى قلبها ويذهب خوفها فدنى من ذلك الجواد وكان جواد عالى شديد أسود كأنه قطعة حديد مليح الشعرة واسع الخطوة يسوى من المال بدرة فمسك الامير على قوائم الجواد وصاح صيحة مزعجة فلم يقدر ذلك الجواد أن يتحرك ولايرفع يده من شدة حيل الامير فتركه الامير واذا بالجواد يرتعد فقال الامير علىّ بغير هذا فتعجبت ميمونه من ذلك هنالك أتوه بجواد غيره أجود ما يكون من الخيل وهو شديد القوى والحيل فأسرجه وألجمه وحزمه وجذب الحزام حتى لعبت قوائم الجواد وتقلد بحسام صقيل ووثب الى ظهر الجواد من غير أن يضع رجله فى الركاب واعتقل برمح طويل فتبسمت ميمونة وتقدم الى الميدان ونظر يمينا وشمالا فأشارت ميمونة تقول :

لقد علقت روحى بحب مهفهف ... كثير الحيا فى دينه مفضال
لقد كمل الاوصاف من غير ريبة ... وفاق بأصل طيب وجمال
وعز ودين كامل وشجاعة ... وعفة عبد صالح وكمال
وقد كنت لا أرضى الرجال حمية ... وقد صرت أرجو أن يرق لحالى

(قال الراوى) ياساده يا كرام ولقد تعجب أمير المؤمنين الواثق بالله لما أنشدت هذا البيت الاخير وقد كنت لا أرضى الرجال حميه وقد صرت أرجو أن يرق لحالى فقال أمير المؤمنين الواثق بالله لله درها لقد صدقت فى الهوى ولم يكن معها محال فى تلك الشكوى بل أنها عزمت إلى الصدق (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم تلوى إلى كتمان هذا والأمير عبد الوهاب قام إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب ونظر إلى الدمدمان كأنه فيل من أفيلة شراسان ومن حوله مائة الف فارس كأنهم الغربان وميمونه تتخضع بين يدى الأمير عبد الوهاب وهى تقول لقد رضيت أن أكون لك خادمة لعلك أن ترضانى منادمه ثم أنها صاحت على أبيها وقالت أيها الملك ان الأمير عبد الوهاب قد نزل وعلى قتالك قد عول إلا أنه قد طرح عنكم الكلف وقد حلف أن لايخرج اليه إلا الألف أسود عن بكرة أبيهم وأن اشتهيت يكونوا قتلى أوأسارى فلما سمع الدمدمان قال للسودان انى أريد الذين جابوا هذا الرجل العربى فما كان بأسرع ما اجتمعوا من حواليه وصار كل واحد يقول أنا كنت معهم إلا رجل اسمه أبو الحجاش كان مع القوم الذين أخذوا الأمير فقال له النقيب ما كنت معهم وكان شاهد فقال الأمير عبد الوهاب على مدينه آمد وعلم أن الشمراخ ما وصل اليه إلا بالخديعة فقال ما كنت معهم فقالوا السودان بل كنت معنا فاعترف بعـــد أن شهدوا عليه فقال له النقيب كيف تأخذون فى هذه الخلع من الملك فقال أيها الملك أنا ما أريد خلع بل أريد أن أكون عريانا فى هـذه السنه ولا أخرج إلى هذا الفارس وسوف تنظرون كيف يسقيهم شراب المنون وماكان هـذا الرأى مبارك وما الملك وفرقته إلا مجنون لأن أصحابنا سلموا من المنون وهو يريد هلاكهم هذا الوقت ما هذا منه إلا ظنون فقال يا ويلك ان سمع الملك هذا منك ضرب رقبتك بالحسام قال أبو الحجاش دع هـــذه المشاجرة أنا ما قلت لك ما كنت معهم فضحك النقيب من كلامه ووقفوا القوم قدام الدمدمان فقال لهم اخرجوا إلى ذلك الفارس فقال واحد منهم يقال له هازم الجيوش يا مولاى أرى هـذا الفارس احقر وأذل أن يخرج اليه اثنان ولـكن أنا أخرج اليه وحدى وأقطع رأسه وأخمد أنفاسه وأهدم أساسه فقال الدمدمان ان فعلت ذلك أعطيك وزن رأسه ذهبا وفضه ففرح بذلك واستبشر وحمـل وصـار فى الميدان وفى عاجل الحال تلاصقا ملاصقة الطيور على الأغصان وزاوغ الأمير مزاوغة الثعبان فانقض عليه انقضاض العقبان وضربه ضربة بالصارم اليمان فزاغ عنها الأمير أسرع من البرق إذا لمع فى سواد الليل فى اقطار النواحى والبلدان وعطف عليه كأنه سرحان وقد

رفع يده إلى أن بان سواد بطه وضربه ضربة من يغار على الدين والايمان فوقع السيف على رأسه فلقه نصفان ونزل السيف إلى بدنه قطع سرته والمصران ووصل السيف إلى السرج والبطان فقطعهم ووصل الى ظهر الجواد ووقع الفارس نصفان كأنه نشر بمنشار أو قسم ببكار فضجت الفريقان من ذلك وهاجت الشجعان ونادت ميمونه أحسنت أيها الأمير هذه والله ضربات الفرسان فليتها فى رأس الدمدمان حتى لايجور فى حكمه على إنسان فعند ذلك رجع الأمير إلى همته النفيسه التى هى غير خسيسه وأنشد وجعل يقول

إلا أن هذا اليوم أطلب قصدا بثارى وما قد صح من جوركم عمدا
أنا بن حماة الدين من آل عامر حماة كمال كلهم فى الورى أسدا
إذا ضربوا بالسيف لم يبق مانع ويصبح من عاداهم فى الورى نكدا
إذا حملوا فى الف أو قد تضاعفوا فانى بسيفى سوف أشبعهم جهدا

(قال الراوى) ياساده يا كرام فقال أبو الحجاش من هذه الضربة وأمثالها قلت ما أنا معكم والنقيب يقول خذ الخلع والأموال فصاح الدمدمان على باقى الألف وقال يا ويلكم احملوا عليه بجمعكم فحملوا السودان وعليهم صدور الزرد وفى أيديهم السيوف والعمد فخافت ميمونه على الأمير وتقدمت اليه وقالت أيها الأمير إن رأيت فى نفسك تقصير فانعزل من الميدان وأنا أفرقهم شرقا وغربا وأشبعهم طعنا وضربا فناداها هيهات هيهات هذا وقد أقبلت الخيل كأنها قطع السيل ووقع الطعن والضراب وجزت الرقاب وصار الطعن خطأ وصواب وهممت هيبة فى قلوب الشيوخ والشباب وعمل سيف الأمير فيهم كما تعمل النار فى الأحطاب كأنهم قوم يتحللون الحرام ويتجاهرون بالمعاصى على الملك العلام هذا وقد جال الأمير عليهم وحام كأنه جارح أو عقاب وطلع الغبار وتقصطل القتار وتطاولت اليهم أعناق الرجال وقلقت ميمونة على الامير عبد الرهاب غاية القلق وخافت عليه غاية الخوف والوجل وطلبت تدخل إلى المعمعمه من أجله فيكون عليها عار فصبرت غاية الاصطبار وفى قلبها الجمر ولهيب النار (قال الراوى) ياسادة يا كرام فبينما هى كذلك من الخوف على الامير وإذا بجواد غائر فتأملوه وإذا به جواد بعض الفرسان وخرج بعده ثانى وثالث ورابع وخامس وسادس وقد زاد الامر الى أن خرج خمسون جواد خالية من ركابها وفارغة من أصحابها فبهتت الرجال لخروج الخيل من المجال وزاد الامر حتى خرج تمام مائة حصان (قال الراوى) ياسادة يا كرام وقد دام القتال إلى وقت العصر وخرج ثلثمائة حصان وهى غائرة من الميدان فقال الملك يا ويلكم ما بال هذه الخيل خارجة من تحت

العجاج خالية من ركابها فقال أبو الحجاش أنا أقول لك أيها الملك عن ذلك وهو أن القوم كانوا عالم عظيم فقتلوا بارادة السميع العليم لما طمعوا فى الخلع والجاه المقيم وأنا لما قلت ما أنا معهم بقيت فى عافية من غير حكيم وأنا راكب على جوادى هذا كما ترى وأنا فى الدنيا مقيم والآن دع عنك هذا الأمر والتوانى وأمر المائة الف تحمل على ذلك الفارس من قبل أن تهلك الرجال وتفنى الأبطال فقال الملك ياملعون إما هذه الخيل فقد ترجلت جميع أصحابها وقد زحفوا اليه وكأنهم أتوا به فأما أسير ويتركوه على الأرض عقير فهو فى الكلام وإذا قد خرج من تحت الغبار مائة أسود وأتوا إلى قدام الملك الدمدمان فقال لهم ما حالكم وما وراءكم وما نالكم فقالوا له أيها الملك وراءنا الموت الأحمر والأسد الغضنفر الذى قهر الرجال وقدر عليهم فى المجال وهو القضاء الذى لايرد والبلاء الذى لايصد فقال أبو الحجاش أنا قلت لك هكذا فقلت ترجلوا ولكن صدق الملك هم ترجلوا ما بقيوا يركبوا بعدها أبدا هذا وقد انهزموا باقى السودان تشتتوا فى كل جانب ومكان وبعد ساعة انكشف الغبار وفى الميدان ستمائة طريح ما بين قتيل وجريح فلما نظر الدمدمان لم يأخذه صبر دون أن مال إلى الغدر وحمل على الأمير عبد الوهاب وأشار اليهم فحملوا ولاعنة خيولهم أرسلوا فلما رأت ميمونة الى ذلك الحال تأهبت إلى الخروج إلى الميدان وإذا بالملك صاح على قومه وقال لهم دونكم وهذا القرنان جرعوه الموت ألوان من رؤس السنان فدونكم وهذا الشيطان الذى نكل بالشجعان وهذه معيرة تبق علينامدى الزمان ولولا أنى أخاف من العار ويقال إن الملك الدمدمان خرج الى الميدان وحارب واحد من العربان لاقدر له ولا شأن وإلا كنت خرجت اليه وأخذت روحه من بين جنبيه فحملت السودان بأسرها المائة الف على الأمير المجاهد والبطل المجالد فلما رأت ميمونه الى ذلك صاحت على قومه وهى أمامهم وهم عشرة آلاف أسود من كل بطل أوحد فحملوا على بعضهم كأنهم العقبان (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها حملت السودان على السودان وصاروا كأنهم جن سليمان أو كواسر العقبان وكانت ساعة تقشعر منها الأبدان ولم يجرى مثلها فى مبتدأ الزمان لما قتل فى ذلك اليوم من كهولها والصبيان وما تعلم النفس أى وقت أتاها الهوان هذا وقد انقطع الأجل وحامت عليهم طيور الوجل وعمل الصارم فى القلل وتخسفت الأرض من وقع الحوافر ولم يعرف الأصاغر من الأكابر وكانت ميمونة وأصحابها أسبق الى الأمير عبد الوهاب وأدركوه وهو فى الطعان والضراب فلله دره من فارس ما أنجبه وبطل ما أهيبه فانه أحمى نفسه من

ذلك الجمع الذى ليس بقليل وأردى بضرباته كل فارس نبيل وبطل جليل وأدركته ميمونه بباعها الطويل وحسامها الصقيل ورمحها الكعوب النبيل وشجعانها من حوله كأنهم أولاد قابيل ولم يزال القتال عمال إلى أن ذهب النهار بالاشراق وأقبل الليل بسواد الأغساق ونادى المنادى بالافتراق إلا أن كان الدمدمان معه مثل ما كان مع بنته ميمونة أمثال لأنه كان كثير الأبطال ومعه جنده والاقيال وكان مع كثرتهم قتل منهم أربعة آلاف فارس ريبال فقال لقومه إن هذه مصيبة عظيمه كيف قد جرت على قومنا هذه الفعال لكن فى غداة غد اخرج الى ميدان الحرب واقطع رأس هذه الملعونة وأيضا رأس عبد الوهاب فى فرد ساعة وبعدهم يذعنوا لى سودانها بالطاعة فقالوا له خواصه أيها الملك ما هذا صواب ان تقتل جندك وأولادك سيما وهذه ميمونه حسامك الصقيل ورمحك الطويل وما حملها على القتال الا الرجل الأسير وما من الرأى إلا أنك تعمل على قتله ان قدرت وإلا تأخذ فى المبارزة فان كنت تعول على ذلك فافعل فانك إن قتلته ما يبقى بينك وبينها معاندة أبدا فقال لهم لقد قلتم الصواب وفى غداة غد أبرز اليه وأخذ روحه من بين جنبيه (قال الراوى) ياساده يا كرام إن هذا كله يجرى واللعين عقبه القرنان يسمع ويرى لكنه فى غمرات وحسرات وأقاويل وحسابات وهو يقرأ على نفسه كتب الآفات لأن هذا كله بسببه وهو يقول ما هذه العاهره إلا فارسة خيل وخواضة ليل يا مسيح انزل عليها الذل والويل وما هى إلا قد عشقت هذا الأسود وهذا الدمدمان قد عول أن يخرج اليه وأخاف أن يظفر به عبد الوهاب فيقتله ويعود عسكر السودان الى طاعته والى طاعة هذه المقطوعة النخاع فتأخذنى وتسلمنى الى عبد الوهاب فيعذبنى بأشد العذاب وان كان هذا يجرى فما هو صواب لأن هذا ما كان لى فى حساب وصار عقبة يقول مثل هذا وأمثال وهو فى قيل وقال وبعد ذلك أقبل على الدمدمان وقال له أيها الملك كل ما وصل اليك من المال فأنت فى حل منه وسوف يصل اليك فى هذه الأيام مثله أضعاف مضاعفة واجعل المال الذى يصل تمنى ثانيا لذلك الرجل الذى هو بغيتى واليه كانت رحلتى وأنت تريد تبارزه فى غداة غد وهذا الأمر شهوتى وأبلغ به من قتله أمنيتى ولكن لا يصلح من مثلك أن تبرز لمثله فاذا برزت اليه ربما أن تقتله أو يلوح لك عليه مضرب وأنا أعلم أنه بها يعطب وما أبلغ منه أرب وأنا أريد أن أتسلمه بالحياة حتى أورن لك وزنه ذهبا مرار فان أردت أن تأخذ ميمونه فانك تقدر على أخذها وبعد ذلك ما يكون له من يحميه ونأخذه بعد عدم حمايته فقال الملك

ما أشرت إلا بالصواب ياشيخ وفى غداة غد نعمل ما يعود نفعه علينا (قال الراوى) يا ساده ياكرام وأن أبو الحجاش كان واقف يسمع الكلام فقال يا شيخ ماكفاك أنك كنت ميشوم على ملطيه وعلى آمد وعلى عساكر المأمون وقد أخربت البلاد وأهلكت العباد وجئت الى هذه الديار حتى تخرب أطلالها وتهلك أبطالها وترمى الفتن بين نساءها ورجالها وتخلى المنازل العوال من سكانها وعندى رأى وهو عين الصواب إن قبل الملك منى وهو أن يأخذ الشيخ من ذقنه ويذبحه من أذنه إلى أذنه ويقبل رأى ميمونة فى ذلك الرجل الذى قد نزل بها وقد رأيت شجاعته وبراعته لأنه فارس العرب العربا بعدا وقربا شرقا وغربا وتخلع عليه وتسيره إلى بلاده وإن كانت ميمونة تتزوج به فهو الصواب وتصير فى ملك عظيم وترجع تأخذ أرض اليمن بمصاهرة هذا البطل الكريم وتخلص البلاد التى أخذتها منك الملوك لأن أيها الملك خلف هذا رجال وأى رجال مافيهم الا من هو مثله فى الشجاعة والبراعه وله أم تفزع منها الجن وهى التى أسرت الهدلموس وخلفها مائة ألف عرب وسودان وإن واحد منهم مثل هذا الرجل عبد الوهاب فى الحرب والضراب فلا آمن عليك منهم ولا على قومك من أمه لأن ماعندها خير منه وتظنه أنه مات وانقبر ولا كانت سارت اليك فى عسكر عرمرم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملك الدمدمان من أبو الحجاش ذلك أقبل على عقبة وقال ما تقول ياشيخ فى هذا الرأى فانى أراه رأى تمام وهو جيد مابه سقم ولا آلام فقال عقبه يامولاى اعلم بأن هذا رأى ميشوم من رأس هذا الملعون ابن اللئام فلما تسمع منه أيها الملك هذا الكلام فانه يسرى فى بلاد العرب ويشيع فى سائر الأقطار وتتكلم به العوام والملوك ويقولون إن رجل وصل إلى ديارك وطلب ذمامك وأكل طعامك وبعد ذلك تسقيه شراب الردا بحسامك وبعد ذلك فما قصدك هذ المتكك بأن بنتك يشاع عنها أنها هويت هذا العربى وغلب رأيها على رأيك وقتلت جالك وبلغت أغراضها وأنت قد عجزت عن رجل واحد فكيف حالك إذا بلغ هذا الخبر إلى الملوك فانه غاية العار والذل والشنار وما أظنه أن تراه صواب أن يأتى رجل اليك يطلب الاجارة تسقيه كاس المهالك وتعود سفرته بعد الربح الى الخساره وتهين شيبته ولا ترعى ذمته ولا حرمته ثم إنه بكى وأن واشتكى ودخل بيت المكر والخداع وأشار اليه وجعل يقول :

ألا أيها السيد المرتجى لقيت المسرة فى كل عام

أيحمد هـذا بقوم كرام لعمرى هـذا فعال اللئـام
إذا كنت ماترعى الى شيبتى ولم ترع ماقد مضى من زمام
فدعنى أسـير بلا راحـة بطول النهار وجنح الظلام
إلى من يفرج إلى كربتى ويكشف عنى ثياب الغرام
ومالى فى أرضكم مقصد ولا طاب لى فى رباها مقام
لعلى أفوز بشخص يكون حياتى به أو لآخذ الذمام
وأنت الذى لم تزل محسنا إلى كل من رام بذل الزمام
ومثـلى لا تهملوا أمره فقد جئت أبغى جميل المقام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الملك من عقبه ذلك الشعر والنظام عجب منه غاية العجب وقال له ياشيخ أنا أقسم بجدى حام نسل السادات الكرام وجندى وعشائرى والبيت المعظم والحطيم وزمزم ان مكنت منك أحدا من أعدائك حتى أشرب كاس الردا ولا بد أن أملـكك رقاب أعدائك وأبلغك قصدك ومناك وسوف ترى فى غداة غد العجب العجاب ثم أنه أمر بضرب أبو الحجاش فضربه ضربا وجيعا وأطلقه فلما أن أطلقه خرج من عسكره وقصد عسكر الملـكة ميمونة وهو يبكى حتى وصل اليها (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكانت الملـكة ميمونة مسرورة القلب بسلامة الأمير عبد الوهاب هذا وقد زاد حبه فى قلبها وتضاعف كربها وقالت ماهذا إلا فارس شجاع وبطل مناع ومثل هذا من يكون لذوات الخدور ويكون محاميا لأصحاب الستور فهنته بالسلامة وقالت لا تحسبنى أنى أسلمك إلى الاعداء بعد مالاح لى منك هذه الشجاعة ولقد فعلت فى حقهم فعال أهل البراعة فقال الأمير عبدالوهاب اعلمى أيتها الملـكة وذمة العرب لو أن عساكر الملك الدمدمان حملت على واحد قوابى من كل جانب لـكان فى ان شاء الله تعالى ما منعت عن روحى بطول النهار وأشبعتهم طعنا وضربا تحت الغبار ولا أسلم لهم روحى وفى عين تطرف ثم انه أنشد :

لحى الله عبدا الا يريد لرأسه ثلاثون ألفا من ليوث سلاهب
وما ذاك إلا باعتقاد وحشية بقدرة ربى تنتجز لى مطالبى
ألا فاعلمى أن الذى جاء طالبا لقتلى ردى الاصل من بيت كاذب
كفور برب الخلق والـكفر قوله وقتلة ذاك الشيخ خير الرغائب

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولما فرغ الأمير من شعره قالت ميمونه يامولاى إذا كان هذا قصدك ففى غداة غد يكون ما يكون وقد هان على قتل أبى وأنال منك

مطلوبى وأربى وقد برح الخفاء وزادت زفرات الهواء وما لقلبى سواك قط ومن وصالك يكون الشفاء من غير ريبة ولا فحشاء فان كنت ترضى أن أكون لك زوجة فأنا أعد نفسى من اليوم لك أمة وان كنت ترى نفسك بالمحل الذى لا ترانى له أهلا ففد رضيت أن أشاهدك صباحا ومساء ثم أقاتل بين يديك الاعداء وأناضل سائر الورى خاصة فى المولى وأبرد ما أجد من نيران الهوى وأوافقك على عبادة المولى ولا أرى لك عوضا فى الورى ثم انها أنشدت :

ألا أيها المولى الذى شاع ذكره … وفاق على كل الورى بالعجائب
سموت على كل الأنام كمثل ما … أضاءت لنور الشمس فوق الكواكب
لقد شاهدت عيناى منك صميدع … يصول على أبطالها بالمضارب
كمى وفى ماجد ذو حمية … عطوف رؤف صادق غير كاذب
سخى كريم ان ينددا غضنفر … ومثلك من يرجى لغوث الكواعب
فجد لى بوصل منك يا غاية المنى … فانى من نار الهوى فى المصائب
إذا أغرقت أبطالها فى وقائع … ومعركة صارت كلون الغياهب
فلا تعرضن عنى فانى ذليلة … ومثلك مدخور لدفع النوائب

فلما سمع الأمير عبد الوهاب شعرها ضحك من كلامها فبينما هم فى الكلام وإذا بأبو الحجاش دخل عليهم فلما نظرت اليه ميمونة عرفته فقالت له ما الذى جاء بك الينا فقال يامولاتى انى قد غضب على الملك الدمدمان لأجل ماتكلمت به من الرأى الجميل لأن قرب هذا الرجل عقبة يخرب الديار الواسعة ويفنى الأمم العزيزة وما ساقه الله الينا إلا ليخرب هذا الاقليم كما خرب غيره من الاقاليم وإنى أشرت على الملك وقلت له ما هو كذا وكذا على قتله ويزوجك بهذا الامير الاجل حتى تكون المملكة واحدة والدوله متساعده وتصير العرب له ركنا وعمدة وسكنا فلما سمع منى ذلك ضربنى الضرب الوجيع وقد أتيت اليك واتكالى بعد الله عليك فقالت ميمونة أيها الشيخ لقد أشرت عليه بالرأى الجيد والأمر السعيد والتدبير السديد لكن التوفيق منه بعيد (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من أبو الحجاش ذلك الكلام أكرمه وأوعده بكل جميل والخلع السنية والأوصاف الرضية هذا وباتوا تلك الليلة الى الصباح وأشهروا البيض الصفاح واصطفت الصفوف وتقابلت الجمعان هنالك خرج الملك الدمدمان على جواد سابق فى الجولان وعلى صدره زرد

مضاعفة العدد كأنها عيون الجراد لا يعمل فيها الصارم المهند وعلى رأسه
بيضة مادية لامعة مضية وشاهر فى يده سيف أخضر اللون مليح
الكون قوى المسمار ماضى الشفار كأنه شعلة نار
قاطع للأعمار ولما صار فى وسط الميدان صال
وجال وتقلب على أربع جنبات المجال وقال
ياميمونة يامن هى فى عقلها مفتونه
اليوم آخر أيامك وسوف أسقيك
كاس حمامك وأجعل رأسك
قدامك وسوف تذهب
الشفقة الأبوية
بهذه الأفعال
الردية

انتهى الجزء السادس والثلاثون ويليه الجزء السابع والثلاثون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وأحمد الشمشاطى

الجزء السابع والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة من أبيها الملك «الدمدمان» ذلك الكلام ضحكت وقد صاحت بجوادها فخرج من تحتها كأنه البرق الخاطف أو السحاب الواكف حتى قاربته ونادت برفيع من صوتها وجعلت تقول :

ستعلم يا دمدمان الوغى إذا ارتفع النقع يوم الهياج
وحكمت بالمرهفات التى لها البرق فى ظلمات العجاج
ألا ان هذا عفيف الفعال شريف الخصال كريم النتاج
ستعلم يادمدمان القتال اذا ما ذبحت كذبح الدجاج

(قال الراوى) فلما سمع أبوها كلامها وما قالته من نظامها نزل عن جواده وافتقد حزامه وعلا على ظهره وأشهر حسامه وانقلبت فى أم رأسه عيناه ولا بقى يعرفها بين يداه وطلع الزبد على شدقاه وصاح صيحة عظيمة أزعج بها الصفين وارتاع منه العسكرين وأراد أن يحمل عليها وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار من ناحية دياره وبعد ساعة انكشف الغبار وبان ما تحته للنظار وظهر خيول تقطع السرى وقد بان منها النحول والانطوى من كثرة السير المتواتر على طول المدى وقد ملكت تلك البطاح والبيداء فخفق قلب الأمير عبد الوهاب وقال ياترى هذه الخيول أصحاب أم أعداء . وأما الملك الدمدمان فانه لما شاهد ذلك الغبار النامى تشوش قلبه واشتغل خاطره وابه وتوقف عن الحملة ونادى على بعض غلمانه وقال اركب على جوادك الأشقر واكشف خبر هذا العسكر وانظر من أين هذا الجيش قد ظهروالى نحونا بدر فان كانوا لنا أصدقاء فبشرهم بالخلع والثياب وان كانوا علينا فلهم الذل والعذاب (قال الراوى) وأن هذا الغبارلم يكن كما خطر بقلب الأمير عبد الوهاب لأن الاميره

ذات الهمة كانت انقطعت عنها الاخبار ولا تعلم ان كان ولدها فى قيد الحياة أم لا بل ذهبت عنها العساكر والعشائر وقد رجع عمرو بن عبيدالله الى ملطيه وعمرها وأقام بها بعربان بنى سليم وكانوا مائة وخمسين ألف فارس كأنهم الليوث العوابس وقد أضاف اليه المأمون عشرة آلاف من الاتراك لأنه كان فى خوف عظيم من ملك الروم لأنه جمع الجيوش من الجزائر وتوطنوا الروم فى بلادهم وفى تلك السنة منع الملك ميخائيل المال المقدر عليه ولم يكن للمأمون جسارة أن يطالبه بالمال (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من العسكر القادم على الملك الدمدمان فانه كان رجل جبار لايصطلى له بنار ولايعدا له على جار يقال له عنقش ومن حوله مائة ألف عنان وكان يومئذ فى زاوية من زوايا اليمن وهو الذى انتزع الحصون التى كانت فى يد الملك الدمدمان حتى نشأت له ميمونة التى نحن فى حديثها فكانت تغير على أرضه وعلى بلاده فالويل لمن تلقاه فلما أن رآها عنقش على هذه الصفة تبلبل خاطره بها وأحبها وأرسل يخطبها من أبيها وضمن له رد الحصون التى كانت فى يده ويزيده أموال جسيمة ونعم خيمة فأنعم له الدمدمان وقد فرح بذلك واستبشر وقد شاور ميمونة فى ذلك فغضبت وقالت مالى الى ذلك من سبيل ومالى رغبة فى الرجال ثم انها أخذت رجالها وأموالها ورحلت الى حصنها المسمى بحصن الحجر وأقامت فيه وكان هذا قبل ماتأتى هذه الاسباب وبعدها أتى عقبة الى تلك الديار وجرى ماجرى من الاخبار فبلغ اليه الخبر مع عبد كان عند الملك الدمدمان لأنه لما أن جرى لهؤلاء ماجرى كان حاضر فسار العبد حتى وصل اليه وقال يامولاى جرى ماهو كذا وكذا وميمونة هويت رجل من العرب نقى اللون مليح الكون إلا انه فى الشجاعة بمكان عظيم وقد وقع بينهما وبين الملك ودخلت الى حصنها وأبوها سار اليها يطلب قتالها وقتل ذلك الرجل الذى عندها فلما سمع الملك عنقش انتخب من قومه خمسين ألف فارس كأنهم الجن أو الأبالس وقد سار يقطع الأرض فى الطول والعرض حتى وصل الى الدمدمان وقد ذكر أنه ماجاء إلا خدمة له وإشفاقا عليه فلما سمع الملك الدمدمان ذلك قام وتلقاه وخدمه وسلم عليه ثم قال له أيها الملك لا تخرج الى القتال وتباشر النزال وأنا فى عداد الاحياء لا كان ذلك أبدا ثم انه صاح فيمن معه من الرجال وسراة الابطال وصاح على جواده نخرج من تحته كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب حتى صار فى موقف الحرب ومحل الطعن والضرب لجال وصال وتقلب فى أربعة أركان المجال حتى حير عقول الرجال وأشار الى نحو ميمونة وجعل يقول :

أميمونة فى القلب منك محبة ممكنة فى القلب ليس لها مثل
فوصلك ريحانى وروحى وراحتى وقتلك عندى لايقاس به القتل
فكيف رضيتى بالكلابى صاحبا وليس له أصل نبيل ولا فضل

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة كلامه همت أن تخرج اليه واذا هى بفارس خرج من وسط عسكرها فتبينته واذا به الاميرعبد الوهاب وترس قبر النبي الأواب وقد انقض على عنقش انقضاض العقاب أو الماء اذا نزل من السحاب وهو يقول :

لمثلى يقال بأنى ذليل وانى كمى شجاع الجنان
دع العذل ياصاح فى حبها وصل فى الحقيقة يوم الطعان
وما بغيتى وصل ميمونة وماشان طرفى من طرف زان
وإنى رأيت ثياب التقى ليس الكريم شريف المكان

(قال الراوى) هذا وقد حمل كل واحد منهما على صاحبه وما طال بينهما الخطب ولا كثر العتب حتى صاح به الامير بصوت جهورى فحل به الانتفاض من الفزع كأنه فى زمهرير ومد يده اليه وتمكن من جلباب درعه ومراق بطنه أخذه أسير وقاده ذليل حقير هذا ولما رأت قومه الى ذلك حملوا عليه يريدون خلاصه من يد قناصه فحملت ميمونة وحمل الدمدمان وطلع الغبار الى العنان وحملت الاقران على الاقران والفرسان على الفرسان ولم يزل القتال بطول النهار وأقبل الليل بالاعتكار وسالت الدماء مثل السيل . هذا وقد طلب الدمدمان الى عقبة حتى يأخذ رأيه فلم يجد له خبر وكان الملعون لما رأى الامير عبدالوهاب وميمونة قد اصطلحا قال مابقى لى فى هذه الديار مقام ولكن أسير وأستنفر باقى الناس الذين فى تلك الديارمن السودان وسائر الحبشان على لسان الملك الدمدمان وأعمل على قتل هذا الشيطان لأن ماله ههنا لا ناصر ولامعين غير هذه العاهرة بنت العواهر قطع المسيح عمرها ورغم أنفها وعجل خنقها ثم انه ترك القوم وهم مشغولين فى القتال وولى وسار ينفر الناس (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة . وأماما كان من الملك الدمدمان فانه لماطلب عقبة فماوجده فانغم لذلك وبات تلك الليلة وهو ضيق الصدر ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ركبوا الفريقان الى الحرب والكفاح وكان أول من خرج الى الميدان الملك الدمدمان بعد أن ركب على ظهرجواده واعتد بعدة جلاده ونادى وقال ويلك ياميمونة الى كم هذا التطويل اليوم يوم أبوالهزاهز وسوف يبان من يكون عاجز ويظهر البطل المناجز (قال) فلما سمعت ميمونة منه ذلك حملت وأوسعت فى ميدانها وقومت

سنانها بين آذان حصانها وعمل بينهما الحرب ووقع الطعن والضرب واصطدما والتطما وطلع عليهما الغبار حتى غابا عن أعين النظار وشخصت الابصار وقام الحرب بينهما على ساق وتطاعنا بالمثقفات الدقاق وبعد ساعة انكشف عنهم الغبار وانجلا من عليهم القتار وأعنوا الجوادين ووقفوا بالفرسين وكل واحد ينظر إلى صاحبه شزراً ويرمقه حذرا ووقفوا الاثنين فى تلك الساعة حتى يأخذوا لهم راحة ثم ان الملك الدمدمان أقبل على ميمونة وقال لها : ياميمونة يامن هى فى عقلها مفتونة اعلمى أنى ماحسبت عنك مضاربى ومنعت عنك مصائبى إلا لما أجد فى قلبى من الإشفاق عليك وإلا كنت طيرت رأسك وأخمدت أنفاسك والآن فقد عفوت عنك فدعى هذا الجد فى معصيتى وعودى من قريب الى طاعتى وإلا ضربتك بسيف نقمتى وسلمى إلى هذا الرجل الذى قد احتمى بك وان أبيت سوف تندمين وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر ثم انه أشار اليها وجعل يقول :

فلقد ضجرت من الفضيحة والشناعة والوبال
ما ليس يدرك حده إلا أعاجمة الرجال
عودى إلى وسلمى هذا الذى يطلب قتالى

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة كلامه وما نطق من نظامه أجابته على شعره تقول :

يامن تعلل بالمحال ماهذه شيم الرجال
هذا كلام ذو الجهالة والضلالة والخبال
هيهات أفعل ما تقول ولو وقعت على الرمال
أو أن أسلم من حميت إلى المنية والوبال
وأنا أقول لك الصحيح بلا خفاء فى المقال
إنى أموت بحبه والهواء بلا محال
ما فى البرية كلها من بين أكتاف الرجال
مثل الذى وصله شفى سقمى وصبرى عنه خال
ويصول فى هيجائها ما بين معترك المجال

(قال الراوى) فلما سمع الدمدمان ذلك من كلامها وما أبدته من مرامها تولى عليه الغضب وعلاه الصخب وحمل عليها وحملت عليه وجرى بينهما حرب عوان تشيب لهولها الولدان ويذوب منه الصوان وما لبثوا غير قليل حتى خرج من الاثنين

ضربتين قاطعتين فأما ضربة الملك الدمدمان خرجت عنها ميمونة أسرع من البرق الخاطف وضربته جوابها فأخذها فى الدرقة وكانت من الحديد الصينى فقدتها نصفين فأرمى روحه الى الأرض قبل وصول الضربة إلى رأسه فسلم من العطب ولم يكن له سبيل الى الهرب فجعل يصيح ويجلب هنالك حملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وتناخت الفرسان من كل جانب ومكان وحمل الامير عبد الوهاب فى أوائل سودان ميمونة وضرب الرقاب ضربا ونهب الأرواح نهبا وخاض الامير بجواده شرقا وغربا ومن ذلك النهار سفكت الدماء وامتلأت الأرض من القتلا فما كنت ترى إلا دم فائر ورأس عن بدنه طائر وصار هذا رايح وهذا خاسر وكان الملك الدمدمان لما أن ألقى روحه على الأرض لحقوه قومه وقدأركبوه جواد آخر وأخذ عدته ورجع إلى القتال كأنه بعير حل من عقال وصار ينكل بالأبطال وعدد الفرسان على وجه الرمال وهو كأنه الأسد الريبال (قال الراوى) فبينما هو فى المعمعة إذ رأى الامير المفضال فناداه يا ابن العواهر يا تربية الأندال أنت الذى كنت سبب هذه الفتنة وجلبت لنا هذه المحنة ثم انه حمل عليه وهو ينشد ويقول :

رويدك قد وافاك ليثا غضنفرا كمى وفى فى الوغا غير قاصر
صبور إذا ما الحرب وارت مبيدة رؤس الورى بالمرهفات البواتر
وأنت بلا شك تكون مجندلا على الأرض تبقى بين وحش وطائر
وانى وحق البيت أضربك ضربة تصير صريعا تحت وطىء الحوافر

(قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك الكلام من الدمدمان وفهم ما نطق به من الشعر والنظام صعب عليه وغضب وقطب وأجابه يقول :

أيا من يرى الغدر من شانه دينا ويخلف قولا قديما
ستعلم ياصاح ان قد برزت ترمْ قتالى أمرا عظيما
وقولك عشقت لميمونة وقد صرت بالفعل هذا أثيما
والله ماكنت ذا ريبة وربى بما قد بلانى عليما
فدع عنك هذا المقال المحال فانى سأسقيك كاسا حميما

(قال الراوى) هذا وقد حملوا على بعضهم وكل منهما همز على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وتضاربا وتحاربا وتباعدا وتقاربا وافترقا والتزقا وبالجوادين تصادما واشتد عليهم القتال وزاد الزلزال وتطاعنا بالسمر العوال وبعد ذلك امتشقوا البيض الصقال وتضاربوا على

القلل العوال والدرق فى أيديهم كأنها سندال عليهما الخبط بالنصال (قال الراوى) لقد حدثنى الامير عبد الوهاب فى جامع المنصور بالله فى بغداد فقال لى والله مارأيت فى الحرب وموقف الطعن والضرب مثل الملك الدمدمان ولقد رأيت منه الهول المهول وقلت انى أكون منه مقتول وأشرفت منه على التلف وقد تعجبت كل العجب من ميمونة كيف أنها ظهرت عليه وما زالت معه القتال حتى قلت إنه هالك لا محالة وأنا لا أدرى كيف رمى روحه عن الجواد من ضربة ابنته لما انقطعت درقته مع تلك الفروسية والشجاعة والبراعة فبينما أنا كذلك معه وأنا راكب معه مركب خطر وأنا أنتظر إلى القضاء والقدر وإذا به عن جواده وقف وقد رفع رمحه على كتفه وأنشدنى أبيات خطرت بباله وكانت هذه الأبيات سببا لنجاتى من الهلاك فأنشد وجعل يقول :

أيا أسود الجلد عد سالما ... وأطلب ديارك ثم ارحل
فلو شئت قتلك فى ساعة ... فعلت فعد سالما واعقل
فيمونة وسط هيجائها ... تناصل لأجلك بالمنصل
وإن عدوك من بيننا ... عدمناه من مجمع الجحفل
فعد نحو أرضك أوفى وجد ... إلى ربع دارك والمنزل
ولا تبغى لبنتى ميمونة ... فتلقى حمامك بالمنصل
ولاتسمع الناس بهذا الكلام ... فهـذا لعمرى لا يحمل

(قال الراوى) فقال الأمير لما سمع كلامه قلت له والله لقدهنتينى بالسلامة وأنا راكب على هذا الجواد العتيق الذى كأنه شعله حريق وعلى جسدى هذه العدة الكاملة وما أريد أن يكون بينى وبينك معاملة لأنى أراها تذكر الهوى وتباريح الجوى وأما أنا فقد كبر سنى وهى تقودنى إلى مالا أهوى وأنا أريد أن أشتغل بعبادة المولى ولا تسمع العرب عنى ذلك الخبر المذموم أنى كنت عند رجل وأنا مأسور فهويتنى ابنته والهوى لا يكون إلا عن رعاية ومعاتبة ولعب وهراش ومزاح لا يليق الى مثل ثم أنى خرجت من المعمعة لاكن متحير من فروسيته وما صدقت أن أخلص من يده وصرت واستقمت على الجادة وجديت فى المسير ولله المشيئة والتدبير (قال الراوى) هذا ولم يزل السيف يعمل بين القوم الى وقت العصر وكان قصد الملك الدمدمان باطالة الحرب حتى يبعد الأمير عبد الوهاب وينقطع عنه الأطماع والأسباب انهزمت سـودان الملك الدمدمان وقال لهم اطلبوا دياركم والأوطان فقد قضيت الحاجة

وبطلت اللجاجة فساروا طالبين ديارهم وأما ميمونه فانها فرحت بذلك ورجعت الى حصنها وطلبت الأمير عبد الوهاب فلم تجده فعظم عليها وكبر لديها وكاد عمرها أن يدنو وذهب نفسها قلقا وحزنا وقد مزقت ثياب الاصطبار بأنامل الافتكار وأمطرت سحائب الدموع على دوارس الربوع وتأوهت تأوه المهجور وقد بهتت بهوت المسحور وقالت لقومها ياويلكم اطلبوه بين القتلا فو الله ما فرحت بعده أبدا ولو ولو شربت كاسات الردى وما أنا أول من مات وهلك وجدا وحزنا وصبابة من الهوى وهجرانا ودعه يكون لى سالما والسقم لى ملازما فعندها قاموا الغلمان وتبادروا فى الفلاه وجعلوا يفتشون بين القتلا فلم يأخذها اصطبار بل إنها لحقتهم وجعلت تدور هى بين القتلا يمينا وشمال فلم تجده فقالت ماهو إلا أسير وما رجع الدمدمان وهو فى ذلك العسكر الكبير إلا وقد أخذ الأمير أسير فأقبلت على قومها وقالت لهم أنتم نعم الأصحاب فان رأيتم المسير معى صواب فسيروا وإن كان غير صواب فاقعدوا ههنا وماعليكم ملام ولا عتاب فأنا سائرة خلف أبى الدمدمان أخلص الامير عبد الوهاب فان قدرت وإلا شربت كاس الحمام والتدمير فقالوا لها أيتها الملكة كلنا خدامك ولم نزال قدامك فشكرتهم على ذلك وسارت فى الليل وكان قد أسبل سواد غياهبه وطمست كواكبه وقد حملت الهموم وجعلت تنادى فى الليل الهادى وا شوقاه إلى حبيبى وا أسفاه على سقمى وطبيبى وا شوقاه على الرجل اللطيف صاحب النسب الشريف ثم إنها أشارت تقول هذه الأبيات :

وا حسرتاه وا حسرتين فيه يزيد سهودى
يا قوم هل أيامنا الغر الحسان لنا تعود
وأرى الأمير مسلما لايشمتن بنا الحسود
وأبيد جمع الدمدمان ولا أرق ولا أحود
وله مقام فى الهوى طرفى بمنصبه شهود
وله التهجد فى الدجى والعالمين به رقود
لكن رأيت فؤاده يجفوا علىّ ولا يجود
أتراه يرحم عبرتى وأنا وغلمانى عبيدى
هيهات أن يحيي الوصال وقد توافاه الصدود

(قال الراوى) وما فرغت من كلامها حتى زادت زفراتها وحسراتها وتضاعفت لوعتها ولم تزل سائرة بطول ذلك الليل حتى أدركت أباها على مكان يقال له ثنية الغزال

فلم تتمالك دون أن صاحت على قومها وحملت وما أهملت وحكمت الصوارم فى العواتق والجماجم وعملت وهتكت الابطال وقتلت وركب الدمدمان والتحمت الأقران بالأقران فكان يوم له شان وأى شان هذا وأن الملكة ميمونة حملت على أبوها وصاحت يادمدمان أين الأمير الكريم والفارس العظيم المتعبد فى جنح الليل البهيم فقال لها الدمدمان وطلب بذلك أن يقطع رجاها منه سقيته شراب الحمام وقد ضربته بهذا الحسام الصمصام (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة من أبيها ذلك لم تتمالك عقلها دون أن حملت عليه فى الحال وهاجمته مهاجمة الأسد الريبال وطعنت أبيها وقومت السنان بعد ما جردت الحسام وطعنته فى صدره طلع الرمح يلمع من ظهره فنظرت السودان الى ماحل بالملك الدمدمان فولوا الادبار وركنوا الى الفرار. وقد عمل فيهم الحسام البتار الى نصف النهار وأسرت منهم جماعة وأحضرت المأسورين الى بين يديها وقالت ويلكم أنتم قتلتم السيد الفاضل فوالله لازالت الأحزان لى قرينة ولازلت بعده باكية حزينة وان كنت قدحرمت لقاءه فى الدنيا فلابدأن أعمل عملا يرضى به المولى لعلى أن أراه يوم القيامة فى المنزل الأعلى فقالوا الأسرى والله ما قتلناه ولكن كان من الأمر ماهو كذا وكذا وقد سار الى صوب أرضه والبلاد (قال الراوى) فلما سمعت ميمونة ذلك صعب عليها وكبر لديها وقد تعجبت مما عمل الامير عبد الوهاب ولكن الهوى أقام عذره عندها فقالت لاشك أستحى أن تسمع العرب عنه مثل هذا ثم انها انتخبت ألف فارس من عبيدها بالخيل والنجب وقالت لهم جدوا بنا فى المسير فأنا أعلم أننا نلحقه فى اليوم الثالث . هذا وقد سارت وأضمرت فى نفسها أنها تخرق بالأمير وتكسر نفسها عنده وقالت إن لم أقرع رأسه بالرمح ما أبلغ منه مراد ولا أنال منه مسرة الفؤاد ثم انها ما زالت سائرة فى كر وجر وهى تغير الجنائب حتى لحقته فى اليوم الثالث كما قال فى ذلك المكان الذى ذكرته وهو نازل على الماء فقالت لقومها تواروا عنى فأنا أريد أن أغير لباسى وأتزيا بزى العرب وأفعل ما أشتهى وأريد وبعد ذلك أعرفه بنفسى فقالوا لها افعلى مابدا لك (قال) ثم انهم تواروا عنها فى مكان آخر ثم انها أخذت أهبتها وتلثمت وصارت كأنها من العرب ودنت منه ونادت : ياهذا خذ حذرك فأنا اليك واصلة وقاصدة وعنك ليس بحايدة حتى آخذ جوادك وعدة جلادك وأعدم حسك لأولادك وكان الامير جالس على الماء وكان وقت الضحى وقد فرغ من صلاته وسمع نداها وقد عقدت القاف فشال رأسه الى المتكلم واذا به فارس واحد فضحك الامير وقال ياهذا امض الى حال سبيلك واعلم

أنى ما أنا ممن يطمع فيه فدع عنك مطامع العرب وإلا أوردتك موارد العطب فقالت له دع عنك هذا فلا بد لى من الذى عزمت عليه ولا أرى على نفسى أن آخذك على غفلة منك فيكون ذلك على عار فقم وخذ أهبتك الى الضرب بالبتار إن كان فيك حمية وانتصار مثل الرجال الأخيار وإلا فاطلب الهزيمة والفرار واعلم أنى ما أتبع هزيما ولا أوذى غريما لأنى أرى ذلك على أمراً عظيما (قال الراوى) فلما أن سمع الامير ذلك بقى كأنه أسير عاين وقال ماينبغى أن أقعد ثم وثب الى جواده صار على صهوته بعد أن اشتمل بلامته واختطف الرمح من التراب وفعلت ميمونة مثل فعاله وفتحا فى الارض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وتقسطل الغبار وغابا عن الأبصار وحمى الهوجل وغليت الحروب كغليان المرجل وتخلى الامير عبد الوهاب عن نفسه وقال لقد حملت على وأنا غير مكترث بها ومهمل أمرها وما كنت عرفتها ولم يزالا يتجاولان حتى زاد بينهما الأمر وعظم الشر وضاق الصدر وعيل الصبر ونفح البر وأوهج الحر ولم يزالا يتضاربان حتى ظن السودان أن الفارسان قد عطبا فعظم ذلك عليهما وبعد ساعة انكشف الغبار وانجلا القتال وكل واحد منهما ينظر الى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا فنظر الامير الى طول مقامه مع ذلك الفارس فنبه عزيمته وحمل عليه وأما ميمونة فانها أخذها منه الانبهار وتأخرت ساعة لتأخذ لها راحة ثم رجعا الى ما كانا عليه من ضرب البتار وعقد عليهما الغبار فما كانت إلا ساعة حتى خرج من الاثنين ضربتين وكانا بالرمحين فكان السابق بالطعنة الامير عبد الوهاب فلما رأتها ميمونة همزت عن جوادها صارت على وجه الارض وإذا بها واقفة على أقدامها وقد سبح الرمح على سرجها ثم انها عادت الى سرجها أسرع من البرق الخاطف أو السحاب الواكف فصارت على ظهر الجواد من فوق الرمح وكان الرمح انتشب فى السرج فأراد الامير أن يخلصه فما قدر على ذلك لكونها عليه وهى مثل الجبل العظيم ثم انها أقلبت الرمح فى يدها كأنه قلم كاتب وطعنته بعقبه فانطرح على الارض وقد ذهل عقله مما رأى ونزلت اليه فى الحال قبل أن يقوم وشدته كتاف وقوت منه وثاقه وقد قرعته بالرمح رأسه وولت طالبة الى قومها وتركته مكانه (قال الراوى) هذا ولما أن سارت ميمونة قام الامير على حيله وصار كأنه نائم فاستيقظ من نومه ووقع فى قلبه مالاتقله أرض ولاسماء وابن آدم حريص على مامنع منه فناداها : أيتها الملكة مثلى من أساء ومثلك من عفى وقد برأتينى بالجميل سلفا وقد عطفت أولا فلا تفسدى ماعملت بالجفا فأموت ههنا أسفا ثم انه أشار يقول :

أميمونة عودى الى الوصل واعلمى | بأنى جهلت الأمر والحال فافهمى
ظننتك ترثى لى ولم أدر ما القضا | بأنك مثـــل السيد المتقدم
ولم تر عينى مثل شخصك فى الورى | ولا شاهدت ما بين ترك وأعجم
وقد هاج قلبى فى هواك صبابة | وقد عزمت روحى على الوصل فاعلمى
ولم تتركى ما فات من عظم زلتى | فانى على ما كان فى الحال مغرم

(قال الراوى) فلما سمعت ميمونة كلامه قالت له قم يا ابن العواهر فوالله لو كنت أرى كبدى قطعة بعد قطعة وأتجرع من الغرام جرعة بعد جرعه وأبكى عليك حتى ما يبقى فى عينى دمعه ما كان لى بمواصلتك مرجعة ثم انها أشارت تقول

أيا من له فعل قبيح وهمه | يريد جميل الفعل غير جميل
وحق الذى أبكى السموات إذا بدت | سحائبها من أربع وصول
ومن رفع السبع الطباق ولم يزل | خليقته من أكرم وبخيل
فعدد ونح وابك على من هجرتها | وكن غارقا فى عبرة وطلول

(قال الراوى) يا ساده يا كرام لقد سئل الأمير عبد الوهاب عن ذلك فقال لقد مرت بى الأوقات من فرح وسرور وترح ما مر بى حسرة أعظم من هذه الحسرات وهى مولية عنى وقد أنشدتنى هذه الأبيات هذا ولما أن سارت عنه طالبة أرضها أيس منها الأمير وما زال يرقبها إلى أن غابت عينها فوثب إلى جواده ركبه وبقى حائر لا يدرى إلى أين يسير ولا إلى أين يذهب وقد صار فى حيرة ودهشة كما قال بعضهم :

وقف الهوى بى حيث جئت فليس لى | متاخر عنه ولا متقدم

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما حدث للامير هذا الأمر الخطير ركب جواده وقلق فؤاده وبهت فى ذاته واحتار ولم يكن له بد من الانصراف الى الأهل والديار فسار يطلب قومه وعول أن يجمع العساكر ويسير بهم إلى ديارها ويأخذها فهذا ما كان منه وما حصل له من الأمور الثقال (وأما ما كان) من الأميرة المجاهدة أم الأشبال فانها لما أن كسرت العساكر المأمون من آمد تفرغت للأحزان ومكثت للبكى والاشجان وتفرقت العرب من حولها وبقيت فى آمد مع أولاد عبدالوهاب وسودان ظالم وسودان أبو الهزاهز وقراقد وبنى كلاب الذين ربيوا معهم فى مكان واحد وكانت الأميره تندب الامير الليل والنهار والامير أبو محمد البطال يضرب إلى سائر البلاد وسائر الأقطار حتى وصل الى أقصى خراسان ورجع خائب ومضى الى أرض الشام فلم يجد

أحداً يعطيه خبراً عن الأمير وأيضاً عقبه ما رأى له ذكر يذكر فقال مالى الى أن أسير إلى القسطنطونيه فسار النهار وأقام مدة عند بطريق البطارقه مارس فابصر الملك ميحائيل وقد جمع من العساكر ما سد الفضا والطرق والبيداء وقد عول على الخروج الى بلاد الاسلام ولم يزل أبو محمد مقيم فى جملة العساكر حتى رحل الملك ميخائيل وسار البطال وقد حمل هما عظيما وقد علم أن ما فى ملطيه من يقف بين أيديهم وبنى كلاب ما يقاتلون من أجل ما فى قلوبهم من بنى سليم ومن المأمون وانهم برحوا من آمد وكان الامير ظالم سار من الأول بالرجال الى أرض العراق وكبس الديار وغنم الأموال واخرب الاطلال الى أن خلا الديار بلاقع وسير اليه المأمون جيش عرمرم فكسره وقد أرسل اليه عسكر وقالوا له يا أمير نحن قوم ضعفا فبالذى يجمع عليك الامير عبد هاب بعد الإياس ويامن خوفك يوم تخاف الناس الا ما كشفت عنا أذى وعفوت عنا لانك تعلم أننا لا سودان ولا نحن من أهل قتال ولا نزال (قال الراوى) يا ساده يا كرام فعندها رحل الأمير ظالم عنهم وسار الى آمد ودخل على جدته الأميره وهى فى بيت الأحزان وهى لابسه السواد لفقد الأمير عبدالوهاب فقالت بالله عليك يا ولدى وبحق عليك وبالذى يجمع عليك الشيخ الكبير والسيد الخطير الا ما تركت الناس من يدك فما لهؤلاء ذنب وما المصيبة الا من اللعين عقبه ان وقعت عليه أو وقع فى يدك فافعل به ما تريد ونسأل الله تعالى أن يظفرنا به حتى نأخذ منه التار ونكشف العار وأما هؤلاء فما لهم ذنب (قال الراوى) يا ساده يا كرام فترك الأمير ظالم الغارات فهذا ما كان من ظالم والاميره (وأما ما كان) من صاحب الأعمال والأمور الثقال أبو محمد البطال وغلمانه الأشبال فانهم أقلبوا الأرض شرقا وغرباً وبعداً وقرباً الى أن خرجوا مع ميخائيل إلى أن قربوا من ملطيه وجاءت الجواسيس الى الامير عمرو بن عبيد الله وقد أخبروه بالحال فكتب كتاب الى المأمون بالله خليفه الزمان يخبره بذلك الأمر والشان ويذكر فى الكتاب يا أمير المؤمنين قد جاءنا من ملك الروم ما كان يوعدنا به وقد سار الينا بعساكر بعدد النجوم وقطر الغيوم فادركنا بالعساكر ومدنا بالعشائر والا أخرب البلاد وأخاف العباد ويكثر فى الارض الفساد فلما وقف المأمون على الكتاب قال واحزناه على الامير عبد الوهاب ومن معه من بنى كلاب والله انهم ما كانوا يكاتبوها حتى تسيل الدماء ثم انه تمثل يقول هذا البيت :

ندمت على ما كان منى جهالة ومن يتبع ما تشتهى النفس يندم

ثم انه أقبل على الوزير الصالح أحمد بن سهل وكان أرسل له الامان الى آمد وحلف له
بأجل الاقسام فسار اليه وقال ايش معك من الرأى أيها الوزير فقال لقد قلت لمولانا
أميرالمؤمنين ان عقبة عاقبته مذمومة على سائر الناس فغضب علىّ وأشمت بى الاعداء
ثم انك ضيعت الامير المجاهد فى دين الملك الواحد رضى الله عنـه والله انى قد بت
عنده ليالى كثيره فرأيته يسجد ويركع فقال المأمون يا وزير أنا أقول انى خسرت
الدنيا والآخرة بخطيئته وماعملت فى حقه فان كان هلك فواحسرتاه عليه وواخسارتاه
وان كان سالم سوف أفعل فى حقه ما يجب على وما يستحقه فقال له الوزير يا مولانا
الصواب عندى أنك تسير العساكر الذين فى العراق الى عمرو فان نصروا فهو الذى
نريد وان كانت الاخرى والعياذ بالله أسير أنا بروحى الى ذات الهمه ولـكن ارسل
الى العساكر الذين فى خراسان تأتى ههنا على ظاهر بغداد والنهروان فقال يا وزير لقد
قلت الصواب ثم انه أمر أن يكتب الـكتب الى سائر الاقاليم يأمرهم بالحضور ولما أن
اجتمعت العساكر وكانوا ثلثمائة ألف وقدم عليهم رجل مقدام على الامور العظام
يقال له بشر السلمى وكان هذا بشر السلمى كبير القدر والشان والسن فى سن الامير
عبد الوهاب وكان يروم الاماره والامير عمرو يدعوه اليه فلم يرض بذلك وكان يختار
البراوى والقفار ولا يرغب لا فى المدن ولا القرى ولما أن أرسل المأمون الـكتب الى
سائر الناس وسمع بشر السلمى أن الامام يطلب العساكر فأتى اليه قاصد المعاش والمكسب
وأيضاً الجهاد فى سبيل الله تعالى ولما أن حضر عند المأمون أعطاه الرايات والاعلام
والمنجنيقات وقدمه على تلك العساكر كما ذكرنا وصار يقطع الارض قاصداً الى ملطيه
(قال الراوى) يا ساده يا كرام لهذا الـكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذى
نحب أن نسوقه بين أيادى السادات الحاضرين على الترتيب حتى أن المستمع يلذ
ويطيب لـكن بعد ألف صلاة وسلام على النبي الحبيب صاحب البرده والقضيب
والناقه والنجيب الذى كل من صلى عليه ما يخيب صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه
وأزواجه ما حن لوطنه كل غريب وما اشتاق محب لحبيب يا سادات الوجود
يا كرام صلوا على سيدنا محمد البدر التمام فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من أمر
الملك ميخائيل فانه لما أن رحل بالعساكر من على القسطنطينية وجد فى سيره
حتى أنه وصل الى نهر قباقب ووصل الى نهر سليمان فأقام هناك ثلاثة أيام ولم يتعرض
لقتال ولا حرب ولا نزال (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا والامير عمرو بن
عبيد الله أمير بنى سليم قد جمع العساكر وحصن ملطيه وغلق الابواب وطلعت

الرجال من فوق الاصوار فعند ذلك التفتت أم عمرو بن عبيد الله الى ولدها عمرو وقالت له اعلم ياولدى أن هذا ما هو إلا عسكر كبير عظيم وهو كأنه الليل البهيم فقال الامير عمرو لأمه والله يا أماه انهذا عسكر ثقيل ما له أول يعرف ولا آخر يوصف وما بيننا ياأم عمرو وبين الآخذ إلابمقدار ما يزحف الينا هذا العسكر الجرار وتؤخذ أخذاً بالكف ويحصل لنا من ذلك الاضرار فقالت له اعلم يا ولدى أن هذا كله مما قدمت يداك وجنته مساعيك ولكن ياولدى اعلم أن الله ليس بظلام للعبيد وإن هذا والله ياولدى كله بخطيئة الأمير الأجل والكهف الأطل أمير الثغور الأمير عبد الوهاب وترس قبر النبي الأواب وماصنعتم مع بنى عمنا بنى عامر وبنى كلاب والسودان الأنجاب فو الله ما يحمى الثغور غيرهم وسوف تتحكم الروم فى البنـــات العربيات والنساء وتنهب المخدرات فوا أسفاه وا ذلاه إلى الأبد إذا ذلت العربيات وعملت فى الرماح السمهريات ولكن صدق من قال قاتل الله الحسد ما أعدله بدا بصاحبه فقتله وما أحسن قول بعضهم :

خليلى إن البغى مهلك أهله　　وإن على الباغى تدور الدوائر
ومن يحتفر بئرا ليوقع غيره　　سيوقع فى البئر الذى كان حافر

وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه من حفر لأخيه المؤمن قليبا أوقعه الله عز وجل فيه قريباً وانكم يا ولدى ياعمرو أنت وقومك مستحقين ذلك من الله عز وجل مالك الممالك فسكت الأمير عمرو عن جواب أمه ثم إنه جمع المقدمين من سادات بنى سليم وقال ياقوم والله إن بنى عامر وكلاب ما غلقوا أبواب ولا احتموا بجدران وكان كلام عمرو تحريضا لهم على القتال حتى لا يقال إن ماكان يحمى الثغور إلا الأمير ومن معه من الأجناد فقالوا له والله أيها الامير ما أمرنا بغلق الأبواب غيرك فقال لهم افتحوا الآن الباب وعولوا على القتـــال والضراب وسارعوا ياقوم إلى مرضاة ربكم لأن الجهاد فرضا على المؤمنين عند ذلك فتحوا الباب فى رابع يوم وركبوا على ظهور الخيل واعتقلوا بالديول وتقلدوا بكل صارم مصقول ولبسوا على رؤسهم البيض العادية والثياب الرومية والدموق الملكيه المكوكبة المجلية وقد خرجت الاتراك وهم الذين تركهم المأمون عوضا عن الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) ياساده ياكرام وان ملك الروم لما نظر إلى تلك الفعال ادعى فى ساعة الحال بملك من ملوك الملافط وكان ذلك الملك خرج فى تلك السنة من جزيرة البحرين وتلك الجزيرة يقال لها الجزيرة المشعب والملك يقال له

أفلاطون وكان جبار عنيد وشيطان مريد وقال له ميخائيل نحن نريد نكسر هذه العصابة الاسلامية والطائفة الحنيفية ونفنى هذه الأمة المحمدية فقال له سمعا وطاعة وسوف ترى فيهم العجب فى تلك الساعة فضحك الملك ميخائيل ثم بكى فقالت له الملوك مالنا نراك تبكى لا أبكى المسيح عيناك وبعد البكا تضحك فقال بكائى وضحكى له سبب فما الضحك إلا من شأن لما نظرت اليكم وإلى همتكم وإلى هذه العساكر التى قد اجتمعت لأنها ما اجتمعت لملك قبلى (وأما) بكائى لأنى قد تذكرت الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح وليس له خبر لا فى بلاد الروم ولا بلاد الاسلام وما هو إلا قد أهلكه لا محالة لأنه كان طول عمره يتعصب للنصرانية ويسعى فى مصالح الملة المسيحية ويجاهد فى الأمة المحمدية والملة العباسية ولو كان على وجه الأرض لما انقطعت عنا كتبه فهذا كان سبب ضحكى وهذا سبب بكائى فقال الدمستق اعلم أيها الملك أنه جاءنى رجل نصرانى وهو عاملا لعقبة وله عنده مال وقد صدفته ههنا فان شئت حملته اليك تأخذ منه الأخبار عنه فقال الملك على به (قال الراوى) ياساده ياكرام فما كانت إلا ساعة حتى حضر بين يديه وخدم وتقدم فسأله الملك عن أخبار القاضى عقبة فقال يامولاى وحق المسيح إن خبره كله عندى وحديث الأمير عبد الوهاب أيضا فقال الملك أليس قد ذكروا عنه أنه قتل فقال لا وحياتك ياملك ولكن من مدة وصل الى كتاب من عند عقبة بحديث عجيب وفى الحقيقة أيها الملك أنه اتفاق غريب ثم أنه حكى له القصة من أولها إلى آخرها ولا فى الاعادة إفادة وأنه اشترى الأمير من ملك يقال له الدمدمان حتى أنه يقتله فقال الملك ميخائيل هذا رجل مجاهد بماله ونفسه فى سبيل المسيح (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا يجرى والامير الأجل أبو محمد البطال واقف يسمع ويرى مع جملة البطارقه القيام فلما حقق ذلك كاد قلبه أن يطير فرحا وهو يظن أنه فى منام أو أضغاث أحلام ثم أنه خرج من بين البطارقة القيام واجتمع بغلمانه وقال لهم الآن وقعت على خبر الامير فسيروا بنا الى آمد ثم أخبروهم بالخبر فقبلوا الارض شكرا لله تعالى وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا إلى آمد واجتمعوا بالاميرة فلما رأتهم فرحت بهم غاية الفرح هذا ولما أعاد عليهم الامير مامعه من المقال قال لها أيتها الاميرة سيرى بنا إلى الحبشة فما بقى لنا مقام ههنا بعد ما نسمع خبر الامير فقالت له صدقت أنت تعرف تلك الديار فقال لها المدلموس أنا أخبر الناس بها لانها بلادى وأعرف كل من فيها من الشجعان ولكن أيتها الاميرة سيرى بنا وإن كانات لمهكة

ميمونه بنت الملك الدمدمان مع غرماءنا فما يرجع منا إنسان إلا أن كان يعنى بنا رب العالمين رب الانس والجان وبركة الجهاد فى طاعة رب العباد فقالت إرحلوا بنا والله الموفق للصواب فعند ذلك رحلوا القوم وكان ذلك من قبل أن يقع بين ميمونة وبين أبوها الخلف وقد ساروا وخلفوا فى ميدان آمد ميمون الجماس وعنده النساء والأولاد والرجال وعنده ألف فارس ودخلوا إلى البرارى والقفار والسهول والاوعار يوصلون سير الليل بالنهار والاميرة تحت الرجال على المسير من شوقها الى ولدها الامير ثلاثة أشهر تمام وهم طالبين الى تلك الديار وكان لما يريده الله من الاراده وانفاذ المشيئة وتمام السعادة أن اليوم الذى انفصل فيه الامير من ميمونة وفى قلبه منها النار التى لا تطفى واللهيب الذى لا يخفى كان وصول الاميره ذات الهمة فبينما هم كذلك سائرين إذ لاح لهم غبار وكانت الاميرة من شوقها الى الامير عبد الوهاب سائرة فى مقدمة القوم وأولاد الامير معها وهم كأنهم أشبال من حول لبوة كاسرة وهى تقول يادليل الطير فى هذا الليل دلنى على ولدى لانك يارب تعلم أنه مجاهد فى سبيلك ومحامى عن ملة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فبينما هى سائرة إذ لاح لها فارس مقبل عليها من عند ذلك الوادى فتميزته وعاينت ركبته فقالت ياظالم قال لها لبيك يا ستاه قالت له يا ولدى وذمة العرب ما كان هذا الفارس وركبته إلا كأنه ولدى أباك (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها صاح الفارس وكان قرب منها وسمعها فقال نعم أنا ولدك ورب الكعبة وإن الله سبحانه وتعالى جمع بيننا فوقعت الاميرة الى الارض فخرت ساجدة لله تعالى وكذلك الامير وجرت الدموع من الاجفان وبكت العيون من الفرح كما تبكى من الاحزان هذا وقد وصلت الخيل وترجلت ركابها وارتفع الصياح والتكبير والصلاة على البشير النذير وما زالوا على ذلك الحال الى أن تكامل الجيش وأما الامير أبو محمد البطال فانه دنى من الامير عبد الوهاب وجعل يقبله ويقول ما أبركها من ساعة وما أحسن هذا الفرج من بعد الشدائد فو الله ان هذا أمر من أعجب العجائب وكان الامير عبد الوهاب فى أول النهار فريد فما مسى عليه المساء إلا وهو فى عسكر عدته خمسين ألف عنان فانظر ياهذا الى تلك الالطاف ما أعجبها وهذه المقادير ما أغربها فقالت الاميرة يابنى هل معك خبر من عقبة فقال لاتسألينى عن حاله فها أنا غائب من أعماله فقالت له لمعنى فى ذلك (قال) فأعاد عليها الحديث الذى جرى مع ميمونة وعقبه والملك الدمدمان وإنه لا يقدر على الرجوع إلى مديار إلا

بميمونة ثم إنه جعل يصف لها شجاعتها وبراعتها وإقدامها فى الميدان على الفرسان والشجعان فقالت الاميرة لقد شوقتنى إليها وان شاء الله فى غداة غدنسير اليها ومعلوم على ذلك الـكلام أن عقبه ماخرج من هذه الديار وهو فيها مقيم ونحن إن شاء الله تعالى نورده موارد العطب والبوار وسوف أوصلك من ميمونة ماتحب وتختار فقال البطال أيتها الاميره دعى كلام الامير وارجعى بنا إلى الديار لأن ملك الروم أمره عظيم وأيضا أنا أعرف الناس بتلك الديار وما فيها من المغاور والاخطار وربما تقوى الروم على أهل الايمان وأنا أعرف أن الملك الدمدمان وغيره من ملوك تلك الديار لهم عساكر كثيرة وأما ميمونة التى تذكروها فقد رأيتها فى الحرب فما رأيت شكلها ولا فروسيتها فقالت الأميرة لقد عظمتم هذه المرأة وما يكون امرأة بهذه الصفة إلا أن يكون مصادفه أقدار وكل شىء من الله الذى عنده كل شىء بمقدار وأنا لابد ما أسير اليها واختبرها والله الموفق للصواب ثم إنهم عولوا على ذلك وباتوا تلك الليلة فى ذلك المكان فلما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أصبح الامير متوعك البدن فأقاموا من أجله ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع رحلوا وإلى ميمونة طلبوا

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أمر الملكة ميمونة بنت الملك الدمدمان فانها لما فارقت الأمير عبد الوهاب وهو كثير الاكتئاب فكان عقبة لما سار من عند الملك الدمدمان وسمع ما تقدم من أبو الحجاش من الخطاب وهو فى قتال ابنته فسار إلى نواحى ذلك الاقليم ينفر الناس على لسان الملك الدمدمان فاجتمع له فوارس من بنى دمدم ولم يزل سائر الى أن وصل الى حصن بنى دمدم وبنى دمدم هم الذين يأكلون لحوم الآدميون ولهم ملك عظيم كأنه الليل البهيم واسمه الغسق وكان هذا الغسق خطب الى ميمونة من أبيها وأنفذ له الف فارس من أصحابه بالمهر الجزيل الذى غير قليل فلما أن وصلوا إلى الملك الدمدمان اعلم ابنته بذلك فأبت أن تكون له أهلا أو يكون لها بعلا وركبت اليهم بمفردها وقتلت منهم جماعة وانهزموا الباقين وكان من جملة المقتولين ولد الملك الغسق وأما المنهزمين فانهم دخلوا على الملك الغسق فأخبروه بذلك فورد على قلبه أمر عظيم وقد حلف وشدد الاقسام لابد من قتلها فهو على مثل ذلك واذا قد ورد عليه عقبة فقبل الأرض بين يديه وقال أيها الملك ان كان الملك الدمدمان مات فأتت تأخذ ميمونة وتأخذ أرضه ودياره فسار الملك الغسق فى بنى دمدم وعدتهم مائة ألف وعقبه سائر أمامهم وهم

طالبين الى ميمونة فصادفها لما وصلت قريب من الحصن يوم وليلة وكان عسكر الدمدمان انضاف الى عسكر (الغسق) فصار الملك الغسق فى عسكر جرار كأنه زخار وقد تكاملت عدتهم ثلثمائة ألف فارس فكان الملتقى بميمونة فصاح الملك (الغسق) برجاله فحمل عليها بعض العساكر ووقع القتال ذلك اليوم والثانى والثالث وقد قتل من قومها جماعة وما بقى معها غير عبيدها الذين لها فقاتلت القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد ثم انها التجأت إلى تل عالى يقال له (تل الغراب) وأصحابها من حولها إلا انها بقيت محصورة لكن طاولت الناس بالبراز فقتلت خلق كثير فقال (الغسق) مالها إلا أخرج اليها وآخذها أسيرة وقداستسلموا الى أصحابها وأقتلها شر قتلة (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الملك (الغسق) برز الى الميدان ومحل الضرب والطعان وطلبها أن تبرز اليه وقد ظننا أنها قد قتلت ولده وهو جبار لا يصطلى له بنار أشجع من الدمدمان . هذا وأن ميمونة لما نظرت إلى نفسها وهى بقيت فى نفر قليل وأحدق بها ذلك العالم العظيم إلا لمن معها رجال أقيال ألفوا الى الحرب والقتال مافيهم إلا من يقول أنا الى ذلك الجيش وقد أظهروا قوتهم وشجاعتهم وأسندوا ظهورهم الى (تل الغراب) وقاتلوا القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد وقد خرج الملك (الغسق) الى ميمونة على جواد أدهم يسبق الرياح ويفوت غرة الصباح لو انطلق على البحر الزاخر لم يخشى عايه من الغرق وعلى صدره زرد ضيقة العدد متقلد بحسام بارق وللدروع الداوديه خارق ثم انه صاح بصوت جهورى كأنه الرعد القاصف : ياميمونة لقد فعلت الفعل الشنيع لقتلك أباك من أجل رجل عربى هجرك وقلاك ورحل عنك وخلاك وقد شمت بك أعداك وسوف أسقيك شراب فناك لأنك قتلت ولدى (هلدم) وقد مزجت مدامعى عليه بالدم وأنا الذى آخذ التار وأكشف العار وأضربك بالمرهف البتار إلا أن تزوجينى نفسك وتملكينى ديارك وقومك وأكون مقام أبيك وأنا وقومى نحميك (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أن سمعت ميمونة ذلك الكلام همهمت ودمدمت وكانت يومئذ بنت خمسة وعشرين سنة إلا انها قوية الحيل خواضة الليل قليلة المثال وانها علمت أن العالم فى عالم عظيم وكم جهد ما تقاتل وتناضل ومالها جيش تعتمد عليه ولا شىء ترجع إليه ولا معها زاد ولا علف للدواب فرجعت الى عقلها ودخلت إلى بيت المكر والخداع والحيل وقالت أيها الملك ما جرت عادة تخطب بنات الملوك هكذا فى حومة الميدان واعلم انى ما قتلت ولدك إلا من الملك الدمدمان لأنه هو الذى أمرنى بذلك لأنه كان أجابك

ظاهراً ومنعنى من ذلك باطنا وإلا فما أسعدنى اذا كنت لك أهلا وأنت لى بعلا فان كنت على صدق تلك الرغبة فلا تؤاخذنى بما سلف من تلك النكبة وتحلف لى بالايمان وأجل الأقسام انك لاتقصد إذلالى ولا كسر هيبتى وإن كنت ما تطاوعنى على ما أريد فأنا ما أسلم روحى لأحد ولوقطعت بالسيوف وشربت كاس الحتوف (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الملك (الغسق) منها ذلك طار قلبه وقال هكذا أكبر آمالى وأنا وحق من رفع السماء وأغسق الظلماء وأجرى الماء أن قصدى بذلك إلا رغبة فيك فقال إذا كان الأمر على ما وصفت هناك ارحل أنت من بعدى وانزل قريب من الحصن حتى أفتح لك الباب وأخرج لكم الضيافات والعلوفات وارسل لى أهل بلدى ومشايخهم وترسل أنت الى سادات قومك ومشايخهم وهذا الشيخ الذى عندك القاضى عقبه لأنى قد أسأت عليه وما أريد من القول افعل معه إلا كل جميل وأبلغه كل ما يتمناه لأنى قد ظلمته لما منعته من ذلك الرجل الغادر فان له من المعرفة نصيب وافر وسوف أسلمه اليه ولو كان تحت تخوم الأرض السابعة آتى به وأسلمه اليه (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملك الغسق ذلك قال لها هذا هو الصواب وانى أعطيتك الزمام فسيرى الى حصنك أنت ومن معك لكن تصبرى حتى أعلم قومى بما دار بيننا من الكلام لكى لايتعرض منهم أحد اليك وأن زمامك زمامى وآمالك من آمالى والسلام ثم صبرت ميمونة الى أن رجع الغسق إلى قومه وأعلمهم بما قد جرى من الأحكام ففرحوا قومه بذلك وقالوا أيها الملك اذا تزوجت بها تصير فى قبضتك ومثلهم لمثلنا لا ينافس وعسكرها بنا لايقاس . هذا وقد سمع عقبه ما قالت فى حقه ففرح وقال ان هلك الأسود وأمه ذات الهمه فما أبلغ ذلك إلا بهؤلاء لامحالة ثم ان الملعون خرج اليها وهو راكب جواد عالى من الخيل وقد أرخى لحيته على صدره وهى بيضة وكبر همته وتلك الشيبة البيضاء كما قال (شيبة كره الله لقاها فأخرها لشقاها) هذا ولما أن صار قدام الملكة ميمونة ورأت الى ذلك الشيخ الأعور الذى بفرد عين ولما صار قدامها سلم وترجم وحياها بأحسن التحيات قال أيتها الملكة التى علت بالحق وحسن الفعال وكملت الخصال والحسن والجمال ومقاومة الرجال فى المجال ومبيدة الأبطال لاعدمنك على كل حال وانى شيخ كبير وبقى حالى عبرة لمن اعتبر وبكى على حالى البدو والحضر ويلاين لى القلب ولوكان من صلاب الحجر وما كنت كذلك الرجل شاكيا ومن يديه باكيا إلا انه قتل أولادى وأشمت بى حسادى وكان لى من الاعادى ومع ذلك فانه كان يظهر الصلاة فى الليل حتى

لو رآه أحد على هذه الاستقامة يعود على وعلى ضعفى بالملامه ولم يدر بالامور المخفية وقد حسبت أن أكون منك قتيل وقد هربت منك فزعا والتجأت الى هذا الملك (الغسق) وأنا هلعا وقد تقطع قلبي قطعا وتجرعت كاس الحمام جرعا والآن فقد ظهر لى ما فعلتى مع ذلك الرجل من الفعال وجازاك بأصعب الافعال وقد رأى منك الإحسان اليه إذ فعلتى فى حقه ذلك الامتنان وحملتيه على كذا وكذا حصان وجرأتيه على قتل أصحاب الملك الدمدمان حتى يكون ذاته منك قريب وقلبك عليه انقلب إنى أرى لشيء عجيب فجودى على بالامتنان وعودى الى بالأمان فما لى إلا المشى تحت ركابك ثم إن عقبة أشار اليها وجعل يقول :

أميمونة رق لحالى وشيبتى ... ألا وارحمى ذلى لديك ووقفتى
ولا تقطعى بالخوف قلبي فإنه ... يطير اذا شاهدت من عظيم شيبتى
ألا فارحمى من لا يضيع لربه ... صلاة ولاصوماً ولافرض ركعة
ألا فارحمى شيخاً غريباً وزاهداً ... عليه من الأثقال عظم مصيبة
ألا فارحمى هذا الكبير الذى بكت ... عليه لحاب الله من غير زلتى
نهارى وليلى لم أزال مروعا ... كذاك ثيابى والزمان وشيبتى
ألا فارحمى ذلى وما قد أصابنى ... ألا فارحمى حالى وضعفى وحيرتى
ألا اننى قد كنت أعلم بالذى ... يكون من العدو من فرط حيلتى
وحقك مافى الارض صاحب مثله ... لمثل الذى قد كان فى قبض نعمتى
ولكن منعتينى المراد واننى ... أسائلك مما أتى من بليتى

(قال الراوى) وكانت ميمونة معولة على القبض عليه فرق قلبها له وقالت لقد نصحنى هذا الرجل الذى هو الامير عبد الوهاب عند جميع قومى وعشيرتى وطلبته فامتنع وما أراد وصالى ثم انه رحل عنى من بعد حسن فعالى ثم انه رجع الى أهله سالما وغانما بعد ما كان عاطبا وأنا على لهيب النار أتقلى وأتلوى ولابد لى أن آخذ ذلك الشيخ المسكين ويكون عندى حتى يبلغ سؤاله وهواه ثم أقبلت على عقبه وقالت له ياشيخ لاتحزن وانى وحق كلمة التحقيق والبيت العتيق والركن الوثيق ومقالة الحق والتحقيق وهى (لاإله إلا الله محمد رسول الله) لابد أن أهلك عدوك وأسلمه اليك فدعا لها وشكرها على مقالها ثم انه رجع وميمونة رحلت من يومها ورحل الملك الغسق عقبها (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب وأمه

والأصحاب فانهم لم يزالوا سائرين إلى أن أتوا إلى المكان الذى كانوا فيه القوم فوجد القتلى مطروحين فتحير من ذلك ولا علم ما جرى من بعده ونظر الى مكان الوقعة فوجد الدما والقتلى قريبة العهد لأنه ربى فى الوقائع وخوض المعامع ونظر الى القتلى وهم من السودان فانغم من ذلك وقال لو كان هؤلاء قتلوا فى طاعة الله الملك المنان الذى لا يشغله شأن عن شأن لكانوا ناجين من النيران وتأمل الأمير فى جنبات المعمعة يمين وشمال وإذا برجل تارة يقوم وتارة يقعد فقال الامير انظروا الى ذلك الشخص فتسارعت اليه الفرسان وإذا به رجل جريح لم يكن له نهضة يسيرمع ميمونة فأتوا به ونظره الأمير وإذا به أبوالحجاش فقال لهمن جرحك فأعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها وكيف قتلت ميمونة أباها وجاءها الملك الغسق فى ثلاثمائة ألف فارس وأشرفت منه على التلاف وقد تقرر الأمر بينهم على الزواج وتراضوا على ذلك الحال ورحل خلفها من أول النهار (قال الراوى) ثم ان الأمير عبد الوهاب لما سمع ذلك الكلام طار قلبه وخفق لبه وخشى لا يكون الملك الغسق تزوج بها الحقيقة فأقبل الأمير على والدته وقال لها النار أهون علىّ مما أنا فيه من الوجد والغرام وقد أجاد من قال هذا البيت

النار أبرد من نار بأحشاى والسيف أهون من هجرى لمولاى

فقالت الأميره يا ولدى ما فى الأمر إلا أننا نرحل ونجد فى السير فان وجدنا الأمر قد انتجز فنحن نفعل على قدر ما نرى (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك رحلوا وأخذوا معهم أبوالحجاش بعدما شدوا جراحه وخلع عليه الأمير عبدالوهاب وساروا يقطعون الأرض فى الطول والعرض وقد ذكرنا أن أول من سار ميمونة ولم تزل فى كد وجد إلى أن وصلت إلى حصنها وأمنت على نفسها هى ومن معها وقد كان عندها فى الحصن من جميع ما تحتاج اليه وعندها من المأكل ما يكفيها طول الأيام وعدة شهور وأعوام وكان حصنها منيعاً شاهقاً فى الهوى واسع الفضا قد بنى من الحجر الجلمد الصد وله باب من الحديد الصينى وقد رحل من بعدها الملك الغسق وهو اليها كثير الشوق والقلق لأنه كان يهواها لما شاهد منها من الفعال وعاينها فى الحرب والقتال ولما عاين منها ذلك لم يجد له صبراً عنها بل سار خلفها ولم يزل حتى نزل على ظاهر الحصن فوجده مزين بالسلاح والرجال من على الأصوار والابراج وهم مثل ظلام الاغلاس فأنكر ذلك الحال وأقبل على القاضى عقبة وقال له لعل يكون بدا لها أمر

من الامور فانثنت عن ما قضت عليه ولم نقيم على ما اتفقت عليه فقال له عقبه أنها لا تفعل ذلك أيها الملك فما عهدى بها إلا حازمة الرأى وها أنا ماضى اليها فعن اذنك أيها الملك أن أسير اليها وأنظر أين هى وان كانت على الوعد أم لا فقال له أيها الشيخ ان فعلت ذلك فقد طوقتنى بمنن لا أقدر أوفى بها اليك فى طول الاعمار فسار عقبه من ساعته بعد ما أخذ أهبته وحمله الملك على حصان وأنفذ معه عشرة من السودان وسار إلى أن وصل إلى الحصن فلما نظرته الملكة ميمونة قالت هذا الشيخ قد وصل وما أتى الا برسالة من الملك الغسق فى أمر الزواج أيظن أنى قلت ذلك على الحقيقة ولم يعلم أنى قلت على وجه المحال (قال الراوى) ثم أمرت أن يفتح له الباب فدخل فوجد حصن رفيع المكان شديد الاركان لا يقدر عليه إنسان ولا اليه طريق ولا يصل اليه سلم تسليق وكانت ميمونة تحدث قومها وتقول لهم انى لا أحتمى من وراء الجدران ولا الحيطان بل انى أنذر هذا الفارس على لسان هذا الشيخ فان هو انتهى ورجع والا خرجت اليه فى كل صباح بكل فارس جحجاح واضرب قومه بحد الصفاح فكونوا حاضرين واسمعوا ما أقول من الخطاب (قال) هذا وقد وصل عقبه الى الحصن وفتح له الباب فتقدم وسلم وترجم وهو واقف بين يديها على الاقدام وصار الى الارض لاثما وقام وهو يرتعد خبثا منه ولعنه فردت عليه السلام وقالت يا شيخ لا يجوز لك أن تسجد الى مخلوق مثلك وإنما السجود للخالق المعبود فقال لها أيتها الملكة إن السجود من طاعة من قربه وأدناه ثم أعاد عليها رسالة الغسق وما هو فيه من القلق فانظرى الآن ما عندك وانجزى الى من دنا من ديارك فقالت له أما أنت يا قاضى فقد سبق لك عندى قولا واثقا ولولاه كانت رجليك تسبق رأسك وأما الملك الغسق فوالله ما أرضاه لى أهلا ولا يكون لى بعلا قال فبينما عقبه وميمونة فى الكلام إذ سمع صياح علا وصراخ قد نما حتى سد البيدا وسمعت ميمونة ذلك الاعلام فارتقت الى الصور والملعون عقبة معها ونظروا الى الدنيا صارت ظلام من كثرة الغبار والقتال وكان ذلك من وقع حوافر الخيل التى لبنى كلاب والسودان الانجاب الذين تعودوا الجهاد فى طاعة رب العباد وبعد ساعة بانت الاعلام العباسية والرايات الخليفية والفرسان الكلابية فما تعلم ميمونة ما الخبر وأما القاضى عقبه فانه اصفر لونه وارتعب كونه وقال أيتها الملكة عن إذنك انزل الى الملك الغسق واصرفه عنك وارحله الى بلاده فقالت له تمهل حتى أكشف هذا الخبر وهذا الغبار وانظر من أين أتى وما سببه فقال لها يا ملكه أنا أمضى وآتيك بالاخبار فقالت لا تطيل فى الخطاب ولا تكثر العتاب واعلم أنك ما تبرح من ههنا حتى أنظر ما يكون وما كان

وقصد ميمونة أنها رأت حرقة قلبه وقلقه على الخروج لما شاهدت ذلك الغبار فقالت له يا قاضى مالى أراك قلقا وقد اصفر وجهك حين عاينت ذلك الغبار الذى أقبل فلا شك أنك تعرف منهم أحد فقال لها أقول ولى الأمان فقالت لك ذلك فقال لها اعلمى أن هذا عسكر بنى كلاب والأميرة ذات الهمة ولا شك أنها وصلتها أخبار ولدها وأتت بعساكره وأنصاره فقالت دع عنك الفزع والجزع فما هم مثل ربع عسكر الملك الغسق فقال لها لا تحسبي بنى كلاب مثل عسكر الملك الغسق بل انهم أشد منهم وأقوى وحربهم نار تحرق لا سيما إن كان فيهم الأشقر الأزرق العينين فهو أيشم من عسكرين (قال الراوى) فهذا ما كان من عقبة وميمونة وأما ما كان من الملك الغسق وأصحابه فانه لما رأى الى الغبار أمر بكشف الأخبار فخرجوا جماعة وعادوا وأخبروا أنهم قوم عرب وأما أصحاب الملك الغسق العشرة الذين كانوا صحبة عقبة فانهم لما سمعوا ذلك الصياح قالوا لعقبة ما الذى يقعدنا فقال لهم ارجعوا الى الملك وقولوا له ان الملكة ميمونة مقيمة على العهد الذى كان وقد وفت بما ضمنت ولكن أعاقها عن ذلك عائق وهو هذا العسكر القادم لأنه عسكر الأمير عبد الوهاب لأنه لما أن كان عندها عولت على قتله فما فعلت وقد أوهبته نفسه ومنت عليه بروحه وقد طلب وصالها فما أرادته ولا أجابته وطردته وهجرته وهاهو قد رجع بعسكره وهو يروم أخذها فان كان لك نخوة فدونك وإياه لأن بغيتها أخذ رأسه وأخماد أنفاسه ثم أنهم ساروا ووصلوا إلى الملك وما معهم من المقال فقال لهم وأين القاضى عقبة فقالوا له يامولانا خلفناه عندها حتى يكشف أخبار هذا العسكر الواصل وقد اجتهد على أن يصل معنا فما مكنته الملكة ميمونة فقال الملك الغسق ما عوقت على صاحبنا إلا وهى راغبة فينا ثم انه صبر حتى نزلت العساكر فى الخيام فصاح الملك الغسق فى أصحابه السودان فأجابوه ثلثمائة ألف سنان كأنهم جن سليمان فعظم على بنى كلاب ذلك لأنهم وصلوا وهم تعابا من السير والسرا وأما السودان أصحاب الملك الغسق لم يصفوا صفوفهم وقد حملوا وعلى القتال عولوا وانطبقوا من كل جانب وهم الى الحرب مثل السلاهب وقد جردوا فى أيديهم القواضب وحامت طيور المصايب وتنهلوا كؤس النوايب وأظهروا فيما بينهم العجايب وسدوا الطرق والمذاهب فكان ذلك دابهم بطول ذلك النهار هذا وميمونة مشرفه عليهم من أعلى الصور وتنظر الى ما حل بالطائفتين من البوار فقالت والله ان هؤلاء ليوث الحرب وأبطال الطعن والضرب هذا ولم يزل القتال يعمل الى أن هجم الظلام ودنا وقت الانفصال وافترقوا الطائفتين عن الحرب والقتال وباتوا الى أن أصبح

الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فثارت الطائفتين الى الكفاح وجردوا البيض الصفاح وكان الامير قد أقبل على أبو الحجاش وقال أريد منك أن تمضى الى عسكر الملك الغسق لأنك تعرفهم ولا ينكروا عليك وتنظر لنا أخبار الملعون عقبة فقال سمعا وطاعة (قال) فمضى وما غاب غير قليل وعاد فى سرعة التعجيل وأخبر أن عقبة فى الحصن وقد قبضت عليه ميمونه ولم تدعه ينزل من عندها ففرح أبى محمد البطال وكذلك الامراء فقال البطال أنا أخاف أن يهرب من الحصن وكنت أشتهى من يمضى الى ميمونه فى صفة رسول فقال له مالك ابن بشر رضى الله عنه على ذلك وانى أريد أن أمضى اليها وأقضى حاجتك لأن لى فى ذلك أعظم الثواب فقالت الاميرة بارك الله فيك افعل ما بدا لك فسار الامير مالك بن بشر الى أن اتى الى باب الحصن ونادى رسول من عند الأميره المجاهده رضى الله عنها فأمرت ميمونة أن يفتح له الباب وساروا به الخدام فعرفه عقبه ونظر اليه وضحك فقالت الملكه ميمونه ما الذى يضحكك ياشيخ فقال لها من فعال الامير عبد الوهاب حيث أرسل اليك هذا الشيخ لأنه ساحر من سحرة هذا الزمان وقد قصد بطلوعه اليك يسحرك حتى يرجع قلبك إلى محبته ويعمل الحيله على مثل هذا المعنى فلما سمعت ميمونه من عقبه ذلك الكلام فصاحت على السودان دونكم وهذا الشيخ اقتلوه ولا تسمعوا له كلام فما غير أن قالت ميمونه ذلك حتى أخذت الامير مالك السيوف من كل جانب ولم يخاطبه منهم مخاطب وان الملعون عقبه لعنه الله هو الذى جزر رأسه بيده وهو يقول انقطعت شجرة السحر من الدنيا ثم انه رمى رأسه من اعلا الحصن الى ناحية بنى كلاب فلما نظروا الى ذلك أعلموا الأمير عبد الوهاب فوقع الصراخ والبكاء والانتحاب فهم كذلك وإذا بالغسق قد خرج الى الميدان وقال لايخرج إلى إلا الامير عبد الوهاب أميركم فخرج اليه الامير طارق الحجازى وهو على جواد سابق وأنشد وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

أيا فارس القوم فى حربها ... لهامات أقيالها فالق
أيا غاسق خلى ميمونة ... فميمونة منك هى طالق
وما قصدها إلا هذا الأمير ... أمير المصمم والناطق
فكم من شجاع بهذا المكان ... أكون لهاماته فالق

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الغسق ذلك من كلام طارق وكان فصيح اللسان ثابت الجنان يتكلم بلسانين فعمل معه ذلك التوبيخ والكلام عملا عظيما وناداه يا ابن الثواكل ويامن وحش البر من جسده آكل سوف ترى

من تكون ميمونة منه طالق ومن يصير لها معانق ثم أنشد وجعل يقول :

نفيت من العنصر الاكرم ... ولا كنت بالأسود الادهم
ولا ذقت طعم الكرى ثانيا ... ولا عشت فى لذة المطعم
إذا لم أخليك فى أرضها ... وجسمك فى حلة من دم
ومن قبل ذلك أنى أرى ... أميرك فى حالة المعدم
وتبكى على ما مضى سالفا ... من العيش والوطن الأكرم
وآخذ ميمونة عاجلا ... وأنعم بالصدر والمعصم
فلونى على لونها مشبه ... كلانا يشبه بالاسحم
وفى معرك الخيل أبطالها ... إذا عضت الخيل على الالجم
وترى لنار الحرب مشعولة ... وآتيك بالعرب والأعجم
أيا طارق جاءك غاسق ... وقلبه من الوجد لم يفهم
ألا دونك الآن حربى فقد ... عدمت الرشاد ولم تعلم
وإلا وحق نبي الهدى ... محمد والركن مع زمزم
لقد أشفق اليوم من رحمة ... على قتله الرجل المسلم
وان شئت فارجع وقل للامير ... يبارزنى ان شئت أن تسلم

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع طارق كلام الغسق قال فى نفسه أعوذ برب الفلق من شر ماخلق هذا والله رجل ما أنا من رجاله ولا أعد من أشكاله ولقد عجلت على هذا الأسود بالخروج وان رجعت عنه افتضحت بين العرب والسودان ولا أرجع أرفع رأسى معهم فى كل مكان ولقد عرفت من هذا الرجل ما لا يعرفوه وشاهدت منه ما لا شاهدوه ثم انه عول على القتال وحمل وعلى الله توكل وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وانه حمل على الغسق وألقى نفسه عليه فكان بينهما ساعة يشيب لهولها الوليد ويذل لها البطل الصنديد ثم انكشف الغبار وزال القتار وقد أخذ الغسق طارق أسير وله همهمة وزفير (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما نظر الأمير ظالم الى ذلك عول على الخروج فسبقه سيف الحنيفية كأنه العقاب الكاسر وحمل عليه وحمل أيضا الملك الغسق كأنه البرق اذا برق وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر فوقف الجواد من تحت سيف الحنيفية فألق نفسه عنه وولى منهزما بين يدى الغسق فلم يتبعه بل قال لنفسه ما يستاهل هذا الشاب أن يموت قتيلا لأنى نظرت منه أمرا مهولا فعند ذلك

خرج اليه الهدلوس على جواد مليح الخطوة سائل الغرة عالى الصهوة كثير المرح والنخوة له غرة كالقنديل صنعة الملك الجليل بيده صارم صقيل كيفما مال فالأجل معه يميل معتقل برمح طويل على رأسه سنان أزرق مثل لسان الحية البضاض أوقبس يلوح فى الايماض وملك الموت يناديه هذا سبب مرادى وكان عليه خلعة المأمون التى خلعها عليه أولا وهى تشعل ذهبا فلما نظر الغسق الى الهدلوس قد برز اليه فى ذلك الزى ظن أنه الاميرعبد الوهاب لأنه ماكان يبان منه الاحماليق الحدق أوتداوير الأمق فقال (الغسق) هذا عبد الوهاب والله ماهذا إلا ملك عظيم وإلا ما كان عليه هذه العدة فى مثل هذه الأراضى الواسعة والبلاد البعيدة وسوف أسلبه روحه وأسكنه ضريحه فإن أنا أهملت أمره ربما مالت اليه ميمونة والى وصاله ونال منها آماله ورغبت فى كثرة أمواله لأن السودان يريدون المال (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما عقبة فانه لما نظر الى الهدلوس أقبل على ميمونة وقال لها من هو هذا الفارس لأنى لم أعرفه ولارأيته قط فى عسكرالمسلمين ولاشك أنها ذات الهمة لأن عبدالوهاب ماهو فى هذا القالب فقالت ميمونة أنا لا أعرفه باللبس وأما القد والاستواء فى السرج والركبة فهو الملك الهدلوس وهو قليل المثل فى القوة إلا انه لايقوم مقام (الغسق) إلا أن له فى الغيب عجب فتعجب عقبه من معرفتها مع شجاعتها ثم انه رجع الى مكره وحيله وقال ان رجعت هذه الى (الغسق) فأنا أملك بها الارض فى الطول والعرض وان كان فى القدر السابق من حظ الامير عبد الوهاب قد تعجل لى العذاب ونادى المنادى فى البلاد الرومية بالخراب وانقطعت من ملة النصرانية الاسباب وأن الملك الهدلوس لما قارب بنى دمَدم عاد اليه يطلب القتال فقال له (الغسق) أنت الامير عبد الوهاب فقال لا بل أنا خادمه الهدلوس ومختطف الرؤوس مع النفوس فلما سمع (الغسق) ضحك من كلامه حتى انه استلقى على ظهره وقال له ويلك ياهدلوس قد سرنى هذا الملبوس الذى عليك وفرحت إذ وصل اليك ولكن الرأى عندى أن تحفظ الروح التى بين جنبيك فما يكون أحدا من الناس أشفق منى عليك واعلم بأنى ما أقدر على هذا وما أنت ممن يجهل مقامى ولامكانى وما يخفى عليك شأنى وقد أسرك الدمدمان على طول الزمان قبل أن تخرج من ابنته هذه الشجاعة وأنا قد أسرته مراراً عديدة وأسير أسيرى فاعتبر ياهذا بعقلك ورد الى فهمك ولا يغلب عليك جهلك وعد عن صاحب القريحة وخاطب المليكة المليحة وقل للأمير عبد الوهاب يتولى هذه النوبة الصعبة وإلا فما ينفعه التعلل

والامتناع ولا أنا ممن يضجر من الطعان ثم أشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

ألا أيها الملك الهدلموس　　رويدك قد جاءك هما وبؤس
أنا قاطف الروس يوم الوغى　　وحسبك من قاطف الرؤوس
أنا سالب النفس بالمرهفات　　وحسبك من سالب للنفوس
فلا تكن أحمق جاهلا　　فما للمقام غير العكوس
فاقعد سالما ويك لا تلتقى　　لتخرج الى خاطب العروس

(قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها ألوى الهدلموس عنان جواده ورجع الى مكانه وقال للأمير عبد الوهاب : (العاقل من اذا حذر اعتبر) لقد ظننت انه تغيرت أحواله لما شاب وما علمت أنه قد زاد نشاطه وشجاعته وانبساطه فعدت عنه فعندها أراد الامير ظالم أن يخرج اليه فقال له الامير عبد الوهاب والله لا فعلت ذلك يابنى ولا تركتك تخرج اليه ولكن أنا له ثم إن الأمير عبد الوهاب نزل عن جواده وافتقد حزامه وركب وحمل كأنه العقاب فلما صار بين الصفين عرفه عقبه وقال لميمونة هذا أسود بنى كلاب فلما نظرت ميمونة الى الامير عبد الوهاب أخذها من المحبة دهشة عظيمة ثم أنها زجرت نفسها كالعاتبة لها وجعلت تنشد وتقول :

أياقلب لم تهوى الذى فيك لم يعى　　ونارى الجوى تعلو ولا هى تخمد
وإن أردت أن تهوى الأميرالذى له　　ترى الغدر منه والمقام المعند
فإنى وحق الله والركن والصفا　　ومن قام فى الظلماء والليل أسود
أمكن من نفسى الحسام حمية　　وأغدو ولو كانت لى النار مرقد

(قال الراوى) ياساده يا كرام وعلم عقبة أن هذا من هواها للأميرعبد الوهاب فتبسم فقالت له يا قاضى وحق من زجر البحر وأنبع الماء من الصخر لا كان لى بعلا ولا كنت له أهلا فطاب قلب عقبه عند ذلك وجعل يذكر سوء خلق الأمير عبد الوهاب وكان الامير عبد الوهاب قد حمل على الملك (الغسق) وحمل الغسق عليه ونهق ونادى وقال أنت الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب قل وأوجز فقال الامير عبد الوهاب نعم أنا الذى وصفت فعند ذلك نهض (الغسق) اليه فوقع الحصان من تحته من شدة ثقله وحيله فتبادرت السودان بغير ذلك الحصان فصار فى صهوته وأنشد وجعل يقول :

أيامن يروم اليوم ميمونة التى　　هواها بقلبى من شهور وأعوام

رويدك قد لاقاك ليثاً غضنفراً يفوق الورى من كل جود وأكرام
أنا فارس الهيجاء فى موقف الوغى بطول وإكرام وحزم وإبرام
وقوة قلب فى الهياج وسطوة وليث وخواض المعارك مقدام
سأسقيك كاس الموت من بعد ساعة وتصبح ملقى بين فج وايكام
ونحن بنى حام الذى ليس مثلنا إذا نسيت منا لدام واكرام
ترى جئت قصداً للعروس وطامعا فمن دونها آساد وجل وآجام
ولابد أن آخذ بتارات عقبه فلم تتركوه بين كفر وإسلام
سأسقيك ياهذا وأثنى بلبوة ترى بنت مظلوم على غاية إكرام
وإن كان فى قتلى لها نقض حشمة فما أنتموا إلا لئام وخدام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك من شعره غضب وقال ماهذا إلا رجل جبارمعجب بنفسه غدار ولولا انه يريد الملكة ميمونة أن تكون له ضجيعة لكنت أتوصل وأرجوه أن يكون معى فى قتال الروم ثم حمل عليه وأشار اليه يقول :

أيامن به تخليط عقل وعلة تدل على جهل كثير وإعدام
تفزع مثلى بالهياج واننى خبيراً بها مذ كنت طفلا باقدام
أما سمعت أذناك يوماً بموقفى إذا ازدحمت مابين روم وإسلام
أنا من حماة الحرب من آل عامر اذا أشرفت أعرابها عند إعجام
سأتركهم روس بلا جثة لها وأجسام قوم قد خلصن من الهام
أتطمع يا هذا بميمونة وقد أتتك ليوث الحرب من كل هجام
ألا اننى لابد ألقيك ثاوياً طريحا على ظهر الفلاة بإرغام
وآخذ عروسا فهى نعم قرينة تجاهد فى الروم الطغاة بإكرام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فهنالك صاح (الغسق) صوتا خيل للناس أن الأفق قد انطبق والبحر قد اندفق وافترق وحمل كل واحد منهما على صاحبه فكانا مثل جبلين قد تصادما أو بحرين تلاطما وأن عقبة لما نظر الى ذلك اشتدكفره وعناده ورجع الى فجوره وهو يقول يامسيح لهذا الوقت أريدك أن تنظرالى هذا (الغسق) بعين رحمتك فما له سوى جودك وعنايتك . هذا والمسلمين يدعون للأمير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب (اللهم بحق نبيك المختار أن تنصر الأمير على هذا الكلب نسل الكفار فعندها أخذا فى الكر والفر والهزل والجد وتأججت الفلاة

بنارها واحمرت الأحداق وازورت من غبارها وقدحت الاحجـــار نارها وطار شرارها وطلبت الطيور أوكارها وهربت الوحوش من أوعارها (يا ساده) وكانت تلك الأرض كثيرة الحر لأنها الإقليم الخامس وهى مثل الليل الدامس ونزلت الفرسان عن الخيول من العسكرين وطلبوا الظلال من الفريقين هنالك نزلت الملكه ميمونة وصحبها عن الاصوار وأقبل الأمير عبد الوهاب على الغسق وقد عظم قلقه وجرى عرقه وطلع لسان كل واحد منهما على صدره من شدة العطش فقال يا هذا معلوم أن كل واحد منا ما يقصر عن قتال صاحبه ولكن دع هذا الأمر إلى أن يبرد النهار فقال الغسق هذا ما يكون أبداً أيها الرجل الجبان المعود بالنوم بين الجدران وملاعبة النسوان ولولا معك صنعة من الدفاف وخفة الانعطاف لكنت أخذت روحك من بين الأكتاف (قال الراوى) يا ساده ياكرام فصبر له الأمير عبد الوهاب على مضض وكان قد شقه عطش عظيم ولم يزالا كذلك حتى برد النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار فهنالك غير الجوادين وشمر عن الساعدين ولم يزالا فى قتال وصدام حتى مضى النهار بالضياء وخلع النهار ما عليه من ثياب الهناء ونشر ثياب السواد على الدنيا وبرد نسيم الهوى ونادى منادى الطائفتين بالانفصال وافترقا ورجع كل واحد منهما الى أصحابه وأقاربه وأحبابه واخوانه وأما الأمير عبد الوهاب فانه لم يزل تلك الليلة سهران من شدة العطش والظما لأنه عمل معه عمل عظيم وباتوا الى الصباح وكان اليوم الثانى أشد من الأول وفتحا فى الأرض ميداناوزادوا ضربا وطعانا (قال الراوى) يا ساده ياكرام فبينما هم كذلك وإذا قد أشرف من باب القلعة فارس طويل على جواد نبيل وعليه ثياب مثمنة وبرده يمانية وقناة عدنية وصفيحة هندية وقامة مضيةوالفارس ملثم معمم وقد ضرب الجواد بهاميزه ولطم بخذيه جنبيه والجواد من تحته قد ضرب برجليه ويديه محاجر عينيه وقصد الفارسين وأشار الى البطلين وقال لهما دونكما وإياى واحفظا رؤسكما فقد عولت على قتالكما وأخذ أرواحكما فلما أن سمعا ذلك من كلامه وما نطق من نظامه قالا له فمن أنت أيها الفارس اكشف لنا عن حسبك وبين لنا عن نسبك حتى نعرف من نقاتل فلم يكلمهما دون أن أحمل عليهما وأخذا منه حذرهما وجالا معه لحظة من النهار وفى جولاتهما قرع رأس الأمير عبدالوهاب ثلاث مرات بالرمح فعلم الأمير عبد الوهاب أنه قدر عليه وعفى عنه (قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم انقض على الملك الغسق وقد حارت الأبطال من فعاله وعجبوا من أعماله وناداه الملك الغسق ما القتال على غرة محمود فاكشف لنا من أنت قبل أن تصير مجندلا

فما مثلك إلا الملكة ميمونة وما هذه الفعال إلا فعالها فلما سمع الفارس ذلك من كلام الغسق أقبل عليه وقال له يا ابن الخنا كيف يخفى عليك من أنا ثم كشف عن وجهه اللثام وكان الأمير عبد الوهاب اشتهى أن ينظر اليه لأنه رآه أشجع منه ومن الملك الغسق فجعل يتطاول الى معرفته فلما كشف عن وجهه واذا بها الأميره ذات الهمة وقد انقلبت عيناها فى أم رأسها وانما كان قصدها فى جولانها على الفارسين حتى تنظر اليها ميمونة ففرح الامير عبد الوهاب بوالدته وحمل عليها الغسق وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر فلا وأبيك ما كانت إلا لحظة حتى اختلف بينهما طعنتان كان السابق الغسق فجاءت الطعنة شاردة الى صدر الاميرة فخرجت عنها أسرع من البرق وأما رمح الأميره فانه وصل الى صدره فلم يتحرك له بل ضرب رمحها بسيفه أبراه كما يبرى البارى القلم فجالت الأميرة عليه جولان الأسد وأشارت تقول

أين الشجاعة والأقدار يا غاسق   ففى الفؤاد منك النار تحترق
لو رمت قتلك كان رمحى نافدا   منك ومن خلق الانسان من علق
فدونك الآن حربى يا لعين فقم   فرأسك اليوم بالصمصام تنفلق

(قال الراوى) يا ساده يا كرام وجعلت الاميره تعلم عليه على البيضا وتضربه بالسيف صفحا فى كل مجال فلما نظر الى ذلك أيقن أنه هالك هذا وميمونة تتعجب من ذلك وتقول لعقبة يا شيخ ما رأيت قط فارس أشجع من هذا الفارس وانه بطل مداعس وقد شوقنى حسن قتاله وفعاله ونزاله فهل تعرفه قال نعم قصف الله عمرها وقطع نخاعها هذه أم الأمير عبد الوهاب والمقدمه على بنى كلاب التى وصفتها لأبيك لما استجرت به فقالت يا شيخ أنت ما وصفت الا موصوف وسوف تراها مفضوحة بين الصفوف وان الاميره ذات الهمه هاجمت الغسق ولم يبق فى أيديهما من السيوف الا المقابض وتعاركا على الخيول عراكا مهولا حتى وقعا على الأرض فعندها أخذته الاميره ذات الهمة ورفعته على رأسها فكبر الامير عبدالوهاب فقالت الملكة ميمونة لله درك فما أقوى ساعدك فى رفع هذا الرجل الجبار مما عليه من المكر والدمار (قال الراوى) يا ساده يا كرام وحملت السودان تروم خلاصه فحملت بنوكلاب وحمل الامير عبد الوهاب وعمل القتال الى الليل وان عقبة أقبل على ميمونة وقال لها انفذى الى هذا العسكر وقولى لهم لا ترحلوا فأنا لكم دون صاحبكم وأنا أحميكم من هذا العدو وأخلص لكم صاحبكم فلا تتفرقون وأنا أسقى الكل شراب المنون وتنظرون منى ومن الاميرة ذات الهمة ما يكون فقالت له يا شيخ لقد قلت الصواب ثم أرسلت اليهم ذلك الخطاب

فطابت قلوبهم ورحلوا من أماكنهم وصاروا ينزلون حول الحصن وطول ليلتهم الى الصباح وقد فرح الامير عبد الوهاب بأخذ الغسق وقال له قو اشتهيت أن تكون لنا ركننا من أركان المسلمين فقال له الغسق يا هذا ما تحتاج مع هذه الاميره الى ركن ولا الى قنطرة والله ما شاهدت عينى قط مثلها الا أن تكون الملكة ميمونة (قال الراوى) يا سادة ياكرام وفتح باب الحصن ونزلت ميمونة فى خمسة آلاف فارس من السودان وأولاد الحبشان كأنهم زهر البستان لانهم كان عليهم ثياب الخز التى أتى بها عقبة ونظرت الأميره الى ميمونة وقد ظهرت فى أوائل الخيل فطار قلب الأمير عبد الوعاب عند رؤيتها وقال للأميره يا أماه هذه التى وصفت لك وصفتها وهى قد خرجت فى هؤلاء السودان الذين كأنهم جن سليمان وقد انضاف لها سائر السودان من أصحاب الملك الدمدمان وصارت فى هذا العسكر العظيم الذى مثل الليل البهيم (قال الراوى) يا ساده يا كرام وان الاميرة نظرت الى ميمونة وسوادها فقالت له هذه ميمونة قال الأمير نعم أيتها الاميره هذه وجه الليل ومصادمة الخيل فقالت الاميرة اعلم أن هذه يا بنى ما سيمتها سيمة الابطال والصواب أن يكتب الامير اليها كتاب يكون فيه استعطاف لخاطرها واعتذر اليها وقل لها ان الخطأ مركبٌ فى الانسان على طول الزمان وما لك مثل أبو محمد ترجمان (قال الراوى) فادعى بالامير أبو محمد وقال له يا أبو محمد اكتب عنى كتاب الى الملكه ميمونة واقدم أنت به اليها وقبل الركاب فلعل الملك الوهاب أن يهديها الى الايمان وتقول كلمة التوحيد وتبقى لنا ركنا وثيقا اذا هى أسلمت وصارت من حزب الرحمن وتفوز بالصلاح والفلاح والرشد والنجاح وقد ذكرت لى أن عسكر مدينة القسطنطونية الذى قد ملا الفضا وسد المستوى اذا أنا سرت معك فعلى ثلثه وأنت وأمك الثلثان (قال) فكتب أبو محمد كتابا على لسان الامير يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الوهاب الحزين فى طول الزمان والسنين الى الذى قد ضربته بسيف الهجران المتأسف على زمان كان وهو معترف بالخطأ الذى قد سلف وقد كثرت منه الاشواق والتلف وهو محترق بنار الاسف ثم انه ضمنه هذه الابيات يقول :

أيا من لها فعل جميل وعطفة ... وجود وإحسان وفضل بيان
عليك سلام من محب متيم ... يبات يراعى النجم بالهجران
فعودى الى عهد الرضى واغفرى له ... فمثلك من يمحى الذنوب باحسان

(قال الراوى) يا ساده ياكرام وأخذ الامير أبو محمد الكتاب وتجهز ومعه غلمانه للمسير وقد أقبل على الامير عبد الوهاب وقال اعلم يا أمير أنى مخاطر بنفسى

لانها قتلت الامير مالك بن بشر وما كان سبب قتله إلا عقبه وأنا لا أرحل اليها حتى آخذ منها الامان فقال له الامير لا عدمتك من مساعد ونصير ثم سار الامير أبو محمد فلما قرب منهم نظر اليه عقبه وهو فوق الصور وتحقق أبو محمد وغلمانه وقد أقبل نحو الملكة ميمونة فقال هذا الميشوم قد أقبل والساعه يلعب بعقلها ويخامر لبها وههنا يصلبونى بكعبي ثم نادى برفيع من صوته أيتها الملكة احفظى روحك من هذا الوارد عليك فانه مخرب البلاد والدمن وصاحب الافعال والفتن (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها رفع الأمير أبو محمد رأسه اليه وقال له دع عنك يا قاضى الدعابة فما أتيت إلا فى طلب المصالحة لنا ولك والملكة ميمونة وكانت ميمونة لما نزلت من حصنها قد ضربت لها نوبتيه مقابل عسكر الامير عبد الوهاب ولم تعزم على مباشرة القتال حتى تعلم ما كان منهم وماكانت الا ساعة حتى وصل الامير أبو محمد البطال اليها وسلم عليها وقال لها نعمتى صباحا ولقيتى خيرا ونجاحا أيتها الملكه الذى قد شاع ذكرها فى البلاد بالشرف الشامخ والمجد البازخ والكرم الزائد والفضل المتزايد حتى وجب على كل ذى لب ودين أن يقصد اليها ثم أنشد يقول :

أميمونة زال الصدود مع الهجر ... فعودى الى عهد الوصال مع الستر

ولا تهجرين السيد الماجد الذى ... له عرف يبدو على البدو والحضر

كريم وفى ماجد ذو حمية ... تزيد عطاياه على عدد القطر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم ناداها أيتها الملكة قال الله تعالى ما على الرسول إلا البلاغ وكنا قد أرسلنا اليك رجلا بالامس من أصحابنا من أهل القوة والشجاعة والفروسية والبراعه حليف المحراب قوام الليل بين يدى الملك الوهاب كثير البكا والانتحاب من خوف العقاب يوم المآب فقتلتيه وهذا شيء لا يفعله أحد من قبلك ولا سمع الا منك فى البر والفدفد وأنا قد جئت اليك مخاطر بروحى إلا أننى واثق بجميل ظرفك وطيب عنصرك وهذا كتاب الامير عبد الوهاب اليك فان أجبت بالاحسان فلرى الشكر والامتنان وهو المعهود منه بالاحسان وان كان غير ذلك فأنا أرجع اليه وأعيد القصة عليه وأنا أعلم أنه يموت أسفا ويعض أنامله لهفا (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت ميمونة ذلك من البطال وقع فى أذنها حلاوة منطقه وقالت للسودان بالحبشية ارفعوا قدر هذا الرجل وعلوا مكانه وقولوا له يجلس على السرير وحدثوه أن ما فعلت ذلك بالرجل الكلابى الا بمشورة القاضى عقبة لانه زعم أنه سحار يسحر بنات الملوك وحذرنى منه فدفعت شره عنى ومكره وما قتلته حتى تقلد عقبه بدمه وقال انه

فى رقبته (ياساده) فلما سمع أبو محمد ذلك من كلامها أشار اليها وخاطبها بلغتها وقال صدقت أيتها الملكة فعظم فى عينها ثم انه دفع اليها الكتاب فلما فهمت مافيه من الخطاب أقبلت على أبو محمد وقالت له ياهذا والله لقد أعجبنى حسن كلامك وجودة أنغامك وأنا لا أكون له قرينة أبدا ولو انطبقت الخضراء على الغبراء بل اجعل لقدومك على حق وذلك انى أجود عليكم بأنفسكم فارحلوامن مواضعكم ولاأتبعكم أنا ولاأحد من أصحابى فقال أبو محمد وقد أيس من إجابتها أنا راجع من وقتى وساعتى الى قومى وأقص عليهم هذه القصة وأنا أعلم انهم لايرحلون إلا بسفك الدماء فقالت ميمونة اعلم أنى الى ذلك أشهى من الظمآن الى الماء البارد وقتل صاحبكم أشهى من الحديث معه ساعة واحدة (قال الراوى) ياساده ياكرام فرجع البطال الىالأميرعبدالوهاب فى الحال وأعاد عليه المقال فكاد قلب الأمير أن يطير من شدة ما لحقه من الغيظ والحنق فلما سمعت الاميره ذلك وقد عاينت ولدها على تلك الحالة قالت وما الذى أذهب الخشية من قلبها حتى تخاطب ولدى فى قول الزور والخبث والمكر الذى معها ونطقت بمثل هذا الكلام وسوف آخذها بيدى غصبا وعنفا وليس لهذه الفاجرة إلا السيف والآن إذا كان فى رأس الأحمق خلط ما يداوى إلا بالصفع ثم انها وثبت الى جوادها وركبته وتصايحت بنى كلاب وركبوا الخيول العراب والجنائب وجردوا القواضب وركبت ميمونة فى السودان كأنها الجان وقد كشفوا الرؤوس وكذلك فعلت السودان وأبو الهزاهز والهدلموس فأعجب عقبة ذلك وقال هذا هو الرأى السديد وإلا لو جرى بينهم صلح ما كان يقع إلا علىّ أنا (ياساده) واصطفت العسكرين وتقابل الجيشين ولم تصبر السودان دون أن حملت على الأمير عبد الوهاب وعملت الصوارم فى الجماجم وفتكوا غلمانها فى عسكرالامير عبد الوهاب حتى ردوهم الى الخيام وعمل الصارم وقلق الهام وهشمت العظام وصبرت الكرام وولت الكفرة اللئام وعضت الخيل على لجمها وقطعت من شدة الجرى حزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها ولم يزل السيف يعمل الى أن أقبل الليل بغياهبه وولى النهار بكتائبه فأضرمت النيران وتحارس الفريقان الى أن أصبح الصباح وكان عقبة على مقالى النار يقوم ويقعد وهو كأنه مقبوض عليه فى صورة مطلوق لأنه كان فى الحصن والباب عليه مغلوق وانه أرسل الى ميمونة يطلب النزول حتى يدبرأمر القتال ويشير بحسن الفعال فقالت مالنا ياهذا حاجة بربك نحن ندبر أمرنا بأنفسنا وأنت

لاتبرح من هـــذا المكان فان كان الظفر لنا فهو المراد وإن كانت علينا فدينا أنفسنا بك لأنهم ما جاءوا إلا بسببك (ياساده) فلما سمع عقبة ذلك انفطرت مرارته وزادت حسرته وقال ما كنت أستاهل من هذه الملعونة المقطوعة النخاع إلا هذا الكلام وأنا أعلم أن آخر أمرها تسلمنى اليهم ثم بات فى أيشم ليلة (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان منه . وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه لما أصبح الصباح ركب وركبت الاميره ذات الهمه وظالم وقد أقسم على نفسه أنه لايصطلى الحرب ذلك النهار إلا هو بنفسه وقال لقد عظمتم أمر هؤلاء السودان وسوف ترون ما يكون الأمر منى ومنها ثم انه خرج الى مقام الحرب على جواد سابق طويل شاهق وبيده حسام بارق ونادى : هل من مبارز هل من مناجز ودنا يروم ملاقاة الرجال وقال لايغرها ظفرها بالأمير لأن الامير يكره قتال من أحسن اليه فدونك اليوم والقتال فلما سمعت ميمونة ذلك ضحكت فبان بياض أسنانها وقالت هذا شاب قليل المحصول ثم صاحت فى جوادها وخرجت الى ظالم فلم تكن إلاساعة حتى وصلت اليه وقد حمل عليها وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

وليس كمن لاقاك فى الحرب مثلنا ... لأنك حقاً من ذوات الكواعب
دعى الحرب والهيجاء تلقين فرحة ... وسعد وتوفيقا على كل واجب

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونة ذلك فلم تجاوبه ولم تمهله دون أن مدكل واحد منهما القناة على صاحبه وقد أعجب ميمونة سرعة انعطافه وجودة قتاله فقالت له لقدكنت مشفقة عليك حتى علمت أنك ولد الذى لايثمر معه الجميل بعد أن قتلت أبى من أجله وكان أملى قد تمسك به الى أن ظهر لى ماأملته وأنا أقسم بالله لابد لى من قتله على كل حال ثم انهما تطاعنا طعناً أحر من الجمر وأمر من الصبر وفى سرعة جريانها قرعت رأس الاميرظالم وقالت له خذها ولو أرادت غيرذلك كانت فى محاجر عينيك فلما قالت ذلك لم يسمع منها ويرجع عن القتال بل طلب القتال وسرعة النزال فجالت عليه وأدارت وصدمت بعقبة حاجبه وقالت خذها ولو أردت أن أعدمك نفسك لفعلت وان عدت الى مثلها ندمت فلم يسمع لها ظالم فجالت عليه الثالثة وتضاربا وتقابضا على السرجين وتصادما على الفرسين فجذبته ميمونة من سرجه وسلمته الى السودان وقالت لهم خذوه وعذبوه وبالمال الى أهله بيعوه (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها تسلموه السودان وسلبوه الثياب وضربوه ضرباً وجيعا وناداهم عقبة اقتلوه ولكم على من المال كل ماتريدون فلما سمعت الاميره ذلك صاحت بجوادها

فخرج كالبرق الخاطف فلما رأتها ميمونة عرفتها أنها (الغسق) والنوبة الماضية فصاح عقبة بملء رأسه : أيتها الملكة هذه التى خرجت اليكى هى المسكر كله وانها إذا قتلت انكسرت هذه المواكب وانقلبت هذه الكتائب فعندها نادته الاميره ذات الهمه بأعلى صوتها : ياملعون سوف ترى العجب وما يكون فقال عقبة ياميمونة دونك والهياج وادخلى معها معترك العجاج فعندها رجعت الاميره الى طبعها وأنشدت تقول :

أميمونة ما على من قال اننى ... همام يكنى بالشجاعة والفضل
ألا إنما الانسان يفضل فى الوغى ... بطعن القنا والضرب بالبيض والنصل
رويدك فقد لاقيت لبوة غابة ... معودة طعن السباع عن الشبل
ستلقى عجوزا لا تمل من اللقا ... إذا وقفت كل الورى خشية القتل
أنا بنت مظلوم الذى شاع ذكرها ... أبيد ليوث الحرب فى موقف القتل

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم التقت الاميره ذات الهمة وميمونة فى المعركة حتى أشرفا على حياض الموت وقد أخذا ميمنة وميسرة وكانا تارة فى القلب وتارة يغيبان عن الأبصار وتارة يلتحمان وتارة يفترقان وتارة يلتقيان وتارة يقفان وكل واحد ينظر الى صاحبه شزار ويرمقه حذار طول النهار الى وقت العصر وقد لقيت الاميره ذات الهمه منها الهول المهول فتطاعنا بالرماح حتى تقصفت وتضاربا بالصفاح حتى تثلمت ولم يبق فى أيديهما غير المقابض فألقياهما من أيديهما وتقابضا على الجوادين وتعاركا على الفرسين الى أن سقطا كلا منهما الى الارض وكان الوقت وقت الغروب ونادوا الناس بالانفصال وانفصلوا ولو وزنت كل واحدة منهن على رفيقتها لما رجحت وأن ميمونة أيست من القدرة على الاميرة ذات الهمة فلما كان ثانى يوم خرجوا الى القتال والحرب والنزال فجرى بينهما أعظم مما جرى فى اليوم الاول وأشد هول ولما زاد بميمونة الأمر وقفت ورفعت كفها ولطمت الأميره حتى تهين منزلتها فلم تبال الاميره بلطمتها بل لطمتها جوابها واذا أعلى مافى ميمونة رجليها وألقت الاميره نفسها عليها ودارتها كتاف هذا والنيران تعمل بين الفريقين وعملت السودان وبنو كلاب وتصادم الجمعان وعمل الصارم اليمان وصالت الشجعان وفر كل جبان الى أن أصبح الصباح وكانت ميمونة قد قطعت الكتاف وتعاركت هى والاميره ذات الهمة أكثر الليل ولم يعلم بهم إلا الامير أبو الهزاهز فانه ترجل اليهم وحمل رجلين ميمونة من الارض وخرجوا بها الاثنين الى أن وصلوا الى الخيام ورجعت

العسكرين ورجعت كل طائفة الى مكانها وأن الاميرة ذات الهمه أحضرت ميمونة وقالت لها اعلمى اننى قد عولت على قتلك إن لم تسلمى الينا الملعون عقبة فلما سمعت ميمونة ذلك وكان قد ألقى الله محبة الاميره فى قلبها وعجبت من فعلها وحسن قتالها فقالت أيتها الأميرة ما أحوجك الى هذا وأنا أسلم إليك الحصن وكل مافيه والقاضى عقبة وغلمانى الخمسة آلاف وأسير معكم الى بلادكم إن كان الله عزّوجل يغفر لى تلك الأيمان التى قد حلفتها أو أجد من يفتينى بها والآن زوجينى بالأمير عبد الوهاب فما بقى لى صبر عنك ففرحت الأميره ذات الهمه والامير عبد الوهاب وأبو الهزاهز وبنى كلاب وصاروا يطلبون الحصن ليأخذوا القاضى عقبة ويقعوا به كل نكبة وقالت ميمونة للأميره ذات الهمه : عفى الله عما سلف الآن زوجينى بالأمير عبدالوهاب وأنا أكفر عن هذه الأيمان التى حلفتها وأدخلينى عليه الليلة فقال أبو الحجاش هذا هو العجب كذا بالعجله فقالت الاميره على قد مراد الامير عبد الوهاب ثم ساروا طالبين الحصن وبنو كلاب جردوا سيوفهم وأطلقوا الامير ظالم فجرد سيفه مع القوم ودخلوا الى الحصن فوجدوا فيه من الأموال مالا عين رأت ولا أذن سمعت وطلبوا القاضى عقبة فما وجدوه ولا وقعوا له على أثر فعظم ذلك على الأمير عبد الوهاب وكبر لديه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملعون عقبه لما نظر الى الاميره ذات الهمه وقد رجحت على الملكة ميمونة لأنه لعنه الله كان أعرف الخلق بملاقاة الأبطال والشجعان وجعل يزن الأميرة وميمونة فى ذلك اليوم فوجدهما كفؤا حتى إذا كان فى اليوم الثانى بان له من الملكة ميمونة التقصير فعلم انهم يملكونه ويكون حتفه فى ذلك المكان فأقبل على عبد يقال له (الطمطمان) وقال له ماعندك من الرأى فقال ما تراه فقال قد عولت على المسير الى بلاد اليمن وأتسبب حتى أسمع أخبار ملك الروم وأعمل على هلاك المسلمين ثم انه أوعد العبد بالمال الجزيل فدلاه من الأصوار وأخذه وسار يقطع البرارى والقفار ويجد فى السير ليلا ونهار (ياساده ياكرام) فهذا ما كان من الملعون عقبه وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه فتش على عقبه فلم يجده فلما أيس منه بكى وكذلك الاميره ذات الهمه فلما نظرت ميمونه الى ذلك قالت والله انى متعجبة من فعالكم مع هذا الشيخ وكيف نالكم منه هذا الأمر وما أراه إلا شيخ ضعيف وعليه آثار الدين وشيم الصالحين فقالت الاميره ذات الهمه لا والله ياميمونه ثم جعلت تحدثها بما هو عليه من الخبث واللعنه فقالت ميمونة إنى متعجبة من خروجه من هذا الحصن ثم افتقدت الاصوار فوجدت الحبال معلقة وافتقدت

الرجال فوجدت قد فقد منهم العبد الطمطهان فقالت ذهب وقد أفسد على رجل من الابطال ثم انها أرسلت خلفه شرقا وغربا وقام الامير عبد الوهاب لما صح عنده هروب عقبه فتأسف عليه كيف هرب فقال أبو محمد للأمير عبد الوهاب أنت تعلم أن العراق متشوش والروم قد ظهرت وأن العساكر معوقة وخراسان طرقها مسدودة بالثلوج حتى يخرج الى لقاء ملك الروم وأنت فما كان أمرك مع المأمون طيب والرأى انك تقيم حتى ننظر مايكون من الأخبار وأما أنا فلابد لى أن أفتش وأتبع هذا الملعون فما أقول إلا انه قصد الى بلاد اليمن وأنا أعرف المكان الذى هم فيه وقد وهبت نفسى لله تعالى إما أن أهلك بسببه وإما أن أظفر به فما بقى فى عمرى قدر مامضى وأنا أقسم بالذى خلق السموات من دخان والبحر خلقه من النيران لابدلى من عقبة القرنان ولا رجعت إلا وهو معى ولو هلكت بسببه دون طلبي فعليك سلامى كلما حن الغريب إلى الأوطان وترنم طائر على الأغصان فبكى الاميرعبد الوهاب وقال والله ياأبا محمد ما منا إلا قد احترق كبده وان فاتنا بعد هذه الامور وهذه الاحوال فمانحن إلا رجال بأقل من هذا تنفطر المرائر ويعود العقل حائر (قال الراوى) وأن الاميرأبو محمد أخذ غلمانه وسار يقطع البرارى والقفار ثلاثة أيام ليلا ونهار وهو يلقى رسل ميمونه ويسألهم هل معهم منه خبر أو وقعوا له على جلية أثر فقالوا غلمان الامير أبو محمد يامولانا لو أن عقبة سلك هذه الارض كان خبره قد ظهر فارجع بنا فقال هيهات أن يكون ذلك أبدا ماطرق طارق الليل والنهار ولو ركبت البحار ودرت القفار وسار يقطع الارض حتى دخل الى بلاد اليمن وفتشها فلم يجده وسار الى زبيده وسأل عنه فقيل له مارأينا إلا شيخ وصل الى هنا ومعه واحد أسود كأنه بعيروسارمن ههنا الى جده فسار أبو محمدخلفه وسأل عنه فما وقع له على خبر (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الملعون عقبه لما دخل الى جده أخفى أمره وقعد فيها ثلاثة أيام وأقلع منها الى عبدان وكان له فيها مقارض نصرانى وكان اسمه توما وكان يخبر مصر والصعيد فنزل عنده وقد أكرم الطمطهان ذلك اليوم غاية الإكرام وقال له بات الليلة عندى وأعطيك خمسة آلاف دينار تمضى بها أين شئت ثم ان عقبة خلا بتوما النصرانى وقال له اعلم أنى قد عولت على قتل هذا العبد فقال له توما ياقاضى لاتقطع المودة والمعروف وانه قد خاطر بنفسه من أجلك وكان السبب فى خلاصك ولولا هو مابقيت أنت وانك قد أخبرتنى عنه بما فعل معك فقال له عقبة هذا أمرقد عرفته ومايخفى على ذلك ولكن دعنى أقتله فإن قتله عندى صواب من وجوه شتى أحدها أنه من أمة محمد بن عبدالله والثانى فإنه إن رجع إلى

البلاد فانى لا آمن أن يكشف خبرى وأنا أريد أن أكون ها هنا حتى اكشف أخبار الروم لأننى قد سمعت ان الملك ميخائيل قد سار فى عساكر بعدد النجوم الى عساكر الاسلام ثم أنه صبر حتى اختلط الظلام وتعشا الطمطمان وقام فوثب اليه أسرع من البرق ووضع الخنجر على نحره وذبحه من أذنه إلى أذنه وقال الآن طاب قلبى إلا أننى أريد من يحمل كتابى الى ملك الروم فقال له توما اكتب يامولاى وأنا أرسله مع بعض غلمانى حتى يوصله اليه فعندها كتب عقبه بما جرى له وسيره مع غلام توما وأقام ينتظر ما يكون من أخبار الروم فوقع فى مرض حتى أشرف منه على الموت ثم أنه ادخل عليه توما الأطباء وجلب اليه الادوية من بلاد مصر فجعل كلما شرب دواء ازداد ضعفا وزاد به البلا وطال به المرض نحو ثمانية شهور (قال الروى) فهذا ما كان منه وأما أبو محمد البطال فانه مضى إلى مكة والمدينة وطاف تلك الأرض فما سمع له خبر ولا وقع له على أثر فكادت مرارته تنفطر واقبل على غلمانه وقال لهم والله لقد فرطنا فى أمر عقبه وما وصل الى هنا وما هو الا فى عبدان حتى يتوصل إلى أرض الشام ويدخل بلاد الروم وأخاف أن يفوتنا وأنا لا أزال فى طلبه إلا أن أهلك بسببه ثم ان أبو محمد بعد كلامه اقلع إلى عبدان وتغير عليه الهوى فى لجج البحر وأقام فى البحر شهر وقصد هو وغلمانه إلى بعض الخانات ونزل بها واقبل على غلامه لؤلؤ وقال له اخرج الساعه واقصد السوق الذى يباع فيه الثياب واسأل عن توما النصرانى فانا أعرفه وهو من أصحاب عقبه وان كان الملعون وصل إلى هنا فما هو إلا عنده فلما سمع لؤلؤ كلام أبو محمد خرج من عنده وقصد الى السوق الذى فيه البحار وسأل عن توما فأرشدوه اليه فوقف من بعيد ينظر اليه فوجده يدق يد على يد وعنده جماعة يتغممون له فقال لؤلؤ لبعض الناس الذين انصرفوا من عنده يا مولاى ما بال الشيخ توما عليه آثار الحزن فقال اعلم أنه قد أتى اليه رجل غريب نزل عنده واسمه القاضى عقبه وقد اشتد به مرض وله من يزم ما مرض الى الآن اثنى عشر شهرا وهو راقد ضعيف ولا يجد له طبيب يعلم هذا المرض الذى نزل به ويأخذ ما يشاء من الأموال فقال لؤلؤ الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ثم رجع لؤلؤ من وقته وساعته إلى الخان الذى فيه البطال وغلمانه وهو يضحك فقال له أبو محمد ما هذا الضحك يا لؤلؤ ونحن فى هذا الضيق والضر فقال له يامولاى فرج الله عنا وعنك ثم أعاد عليه القصة من أولها إلى آخرها (قال الراوى) يا سادة يا كرام فسجد البطال شكرا لله وقال الحمد لله رب العالمين ثم أقبل على لؤلؤ وقال له انزل إلى السوق وأتينى بعمامة وثوب خام فنزل لؤلؤ وأتاه

بما طلب فخيط من الخام ثياب على صفة ثياب الأطباء وتعمم وركب له عوارض كبار وتختم من اليمين واليسار وحمل على كتفه خرج فيه عقاقير وخرج يتمشى فى السوق ولؤلؤ بين يديه يقول هذا طبيب الغرب جميعاً وكان مجاور فى مكة فلما سمع توما ذلك ادعا به اليه وقال يامولاى عندى مريض صفته كذا وكذا فقال له أبو محمد أنا ابرئه من ذلك المرض فى ثلاثة أيام ولكن قيل لى انك سقيته ادوية كثيرة ما كانت تصلح له وأنا أريد منك أن تحمله إلى الحمام وتخليه له ولايكن فيه غيرى وغلمانى ولا تعلم أحد واغلق الحمام علينا وعليه يوم وليلة ومن الغد ترى العجب وقد نزلت عليه العافيه فلما سمع توما ذلك من كلامه فرح ومضى إلى الحمامى ورغبه بأو فى أجره وأخلا له الحمام وجعل فيه الماورد وأطلق له العود والند وحمل عقبه إلى الحمام وهو فرحان بذلك وقال له توما قد جاك الفرج من عند المسيح على يد رجل مغربى ففرح عقبه بذلك (ياسادة) وأما البطال فانه اخذا شنان ودق عليه قزاز وقال يالؤلؤ أريد أهلك عقبه فى هذه النوبة ثم ان توما أرسل غلمانه الى البطال ويقول له أرسلنا مريضنا إلى الحمام كما رسمت وليس عنده أحد فافعل ما بدالك ولك عندى مائة دينار فقال أبو محمد للغلام أبشر أيها المولى ولم يزل يتقاعد حتى أتى وقت العشا ودخل الى الحمام واغلق بابها وانصرف توما وغلامه الذى أرسله إلى داره كما قال له أبو محمد ثم ان أبو محمد دخل على عقبه فلما نظره عقبه قال أعوذ بالمسيح من هذا الوجه القبيح لأن فيه مشابهة من البطال هذا وقد دنا منه وجلس عند رأسه ودخل لؤلؤ بعده فحقق فيه النظر فعرفه فاستوى جالسا وقال له يا قرنان متى صرت طبيباً قال من يوم أصابك المرض وأريد الليلة أخدمك حتى تزيد عليك علتك وتزداد مصيبتك فقال عقبه لاتفعل يا أبا محمد فأنا على آخر نفس (ياساده) فما أمهله من كلامه حتى مال عليه البطال وجعل يقشر قفاه بالقزاز والأشنان والدما يسيل وهو يصيح حتى غشى عليه وأقبل أبو محمد على لؤلؤ وقال له اخرج الى البحر لعل أن تجدلنا مركب توصلنا إلى بعض الاماكن فخرج لؤلؤ وغاب ساعة وعاد وقال يامولاى قد اكتريت لنا مركب فعندها خرج أبو محمد البطال وغلمانه ولف عقبه فى ايزاره ورفعوا رحلهم الى المركب فلما أصبحوا قال لهم الريس وقد نظر الى الشيخ عقبه وقال ما هذا الرجل منكم فقال البطال هو والدى وهو مريض وأرجو من الله له العافية ثم ساروا وأما توما فانه لما أصبح طلب عقبه والطبيب فما وجد لهم أثر ولاخبر فعظم وكبر لديه وعلم أنها حيلة قد تمت عليه فهذا ما كان من توما وأما ما كان من أبو محمد البطال فانه سار الى ساحل اليمين

وركب البر وصار يداوى عقبه الى أن عوفى ووجد الشفاء ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى حصن الملكة ميمونة وقال لبعض غلمانه أسبق اليهم وبشرهم فلما وصل الغلام وبشر الأمير عبد الوهاب فركب وكذلك ركبت الأميره ذات الهمه وكان يوما عظيما وركبت الملكة ميمونه أيضا وكان الأمير عبد الوهاب قد دخل بها وخرجت بين يديه فى خمسمائة أسود فلما وقعت عين عقبه عليها وهى الى جانب الأمير عبد الوهاب قال لها حمل الله عليكى لبغال أوما قد حلفتى وقلتى ان مالكى الى لزواج سبيل فضحك الأمير منه ومن قوة قلبه ولما سمعت الملكة ميمونة ذلك جردت سيفها وأرادت أن تضربه فقال لها الأمير عبد الوهاب على مهلكى حتى نعود إلى الحصن فرجعوا والأمير ظالم وسيف الجنيفية يتوقعون قتله وسائر الأمراء كذلك وقبلوا على الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة وقالوا أيتها الأميره ما بقى لنا صبر عن هذا الملعون إلى أن تصلبوه على باب مدينه القسطنطونية ونخاف أن يموت ولا ندرك له الوقت وقد طال فيه الأمر ومللنا من الصبر فلما قالوا ذلك الخطاب بقى الأمير عبد الوهاب حاير فى رد الجواب يقدم فى قتله ويؤخر ويشتهى تصديق رؤياه فى المنام وما قاله رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك قد شاع بين الأنام فأقبل عليه مالك بن طوق وقال له أيها الأمير الأجل الرفيع القدر والمحل والرأى عندى قتله فربما انك ما تقدر عليه مرة أخرى ثم ان مالك بن طوق بكى الى الأمير مالك بن بشر أشار يرثيه يقول

ألا أيها المولى الأمير الذى به فصول على الأعدا فى كل مشهد
دع المطل فى قتل اللعين فانه عدو لدين الهاشمى محمد
ولا تنس حقا لابن بشر وقتله وكان زكى الدين حقا موحد
وكم من قتيل قد ثوى من فعاله وكم من أسير قد ثوى تحت فدفد
سأبكى على ذاك المجاهد دائما بدمع يجرى فوق خد مورد

(قال الراوى) ولما أن سمع الامير عبد الوهاب شعر مالك بن طوق بكى وبكت المسلمين وقالوا والله لقد صدق مالك فيما قال فى حق مالك بن بشر وان له فعال تزيد على ماقال وما قتله الا هذا الملعون فقال الامير معاشر الناس خذوه واضربوه هذه الساعة الضرب الوجيع حتى نشتفى منه وبعد ذلك ضرموا له النار واحرقوه فيها وما كان قصدى وارادتى إلا اصلبه على باب الذهب كما أمرنى النبى المنتخب فعندها تواثبوا اليه وشدوا اليه يديه الى رجليه وضربوه حتى غمى عليه وقد جمعوا له الحطب واضرموا له النار ووقعت السودان حوله بالسيوف يطلبون قتله قبل دخوله إلى النار (ياساده)

وان عقبه أفاق من غشوته ونظر الى ما أعدوه لحضرته فصاح بأعلا صوته وا برداه على كبدى ولو لم يكن فى حرقى الا تكذيب قولكم إذ قال لكم نبيكم أصلب وأنا اليوم أحرق حتى تعلموا ان دين المسيح هو الصحيح لانى رأيته فى المنام وشكوت له أنكم تصلبونى على باب الذهب وذكرت له أن نبيكم قد وعدكم بذلك فقال لى لاتخف من ذلك فما يقدرون عليك ولايصلون اليك ولايصلبوك وهذا الكلام قاله لتبطيل قولكم فيما ذكرتموه ثم ان عقبه قال احفظوا عنى هذه الابيات

لقد بلغت روحى جميع مراديا ونلت الذى أهوى برغم الأعاديا
لتكذيب ما قلتموه منزور قولكم ونعتكمو من كاذبات الامانيا
ولو صلبوني موضع يوعدونني لأبصرت جيش الروم فى القوم غاديا
وجالت عليهم صافنات سوابق وحكمت فيهن السيوف المواضيا
وما قتل مثلى ها هنا من غنيمة وقد عدمت ابطالنا وحماتيا
وليس كلاب يقدرون على الذى تمنوه من صلبي وصدق وناتيا
فدونكموا هـذا الذى تطلبونه فذلك الذى أملت قبل مماتيا

(قال الراوى) فلما فرغ عقبه من هـذه الابيات وسمعوا بنى كلاب والامير عبد الوهاب هـذه الصفات كادت منهم الارواح أن تخرج من الاشباح حنقا مما احترقت الاكباد فقال لهم الامير عبد الوهاب وقد داخله حمية العرب وحق النبي المنتخب دعوه فلا بد لى من صلبه على باب الذهب فان المصطفى صادق لايكذب ثم قال له ستنظر ما نريك طعنا فى بطارقة الروم حتى لايبقى لك من يحميك ونرفعك على باب الذهب وينفذ فيك حكم الله تعالى ثم ان ميمونة وضعت القيود فى رجليه وقالت أقسم بالله تعالى لو لم يكن هنالك الا أنا وغلمانى ولو كانوا الروم فى عدد النجوم لابد من صلبك فضحك عقبه وقال صدقتى يا عاشقة ونسيتى تلك الايمان والعهود السابقة واشتغلتى بهذا الأسود الزنيم بن مرزوق وهو اليق بك من أن تصلبي رجل من أوتاد الارض وشيخ من شيوخ الملة المسيحية فعظم ذلك عليها وكبر لديها وأرادت أن تضربه ضربة تورثه بها النكبة فقال لها الامير عبد الوهاب دعيه فما قصده الا قتله على هذه الصفة فلا تعطيه مناه (قال الراوى) ياسادة يا كرام وان الاميره أقبلت على الامير عبد الوهاب وقالت له اننا قد طال بنا المطال فى هذه الديار ونسوان بنى كلاب فى آمد وكذلك أهلك وان الروم قد خرجوا فى عساكر قد ملأت الخافقين

وما نعلم ما كان منهم فقال أبو محمد معلوم أن آمد ما يقدرون عليها وبعد ذلك دع يفعلون بالمأمون ما أرادوا فما بقى بيننا وبينه معاملة فقال الأمير لا والله يا أبا محمد ما بقى غير الرحيل ثم انهم أخذوا فى أهبة التحويل وحملت الملكه ميمونه أموالها وأثقالها وحمل معها من عسكرها خمسة آلاف سودان أبطال أقيال وعقبة يعاين ذلك وقد انفطرت مرارته ودامت حسرته (قال الراوى) ورحل الأمير عبد الوهاب وجدوا فى المسير حتى وصلوا الى وادى الظبا وإذا بغبار بين أيديهم طالع وقتار لامع فقالت الأميره ذات الهمة هذه غبرة جيش أو وحش فابصروا من يكشف لنا الخبر فقالت ميمونة أنا أكشف الخبر فقال لها الأمير عبد الوهاب انت لغير هذا الأمر فقالت والله لا يكشف هذا الخبر غيرى فقال الأمير ما نأمن عليك أن يكون هذا عسكر غائر فقالت أيها الأمير أنا أخبر الناس بهذه الديار وهذه الأرض فاسأل غلمانى فأنا طول زمانى أخوض الليل وحدى ولا يغرنك أنى وقعت الى الأرض لما تصارعت أنا والأميره ذات الهمه وانما رجلى وقعت فى نقره فى الأرض وقد حسبت أنها انحلت منى وقد أعلمت الأميره بذلك وهى تشهد لى وقد رجعت وقطعت الكتاف وعاركتها ولولا أبو محمد هذا مسك رجلى لما قدرت على ولابد لى مما أكشف هذا الغبار بروحى فلا تغير على عادتى فقال لها دونك وما اخترت فعند ذلك صاحت بجوادها فخرج من تحتها كأنه البرق الخاطف والسحاب الواكف وهى على متنه كأنها قد خلقت منه مثل العامود الرصاص فضحكت الاميره ذات الهمه لما ولت فقال لها الاميرما هذا الضحك أيتها الاميره فقالت له عجباً أيها الامير والله كل ما قالت لك هو صحيح وقد أعانى الله عليها ولما وقعت رجلها فى مكان البربوع وما رأيت مثلها فى الشجاعة والبراعة فقال الامير هو كذلك ولقد رأيت منها أمراً عظيما (يا ساده) وإن الملكه ميمونة خرجت مثل النجم الثاقب أو الكوكب الصايب حتى وصلت الى تلك الغبره ودخلت فيها فاذا هى بمائة فارس مثل الليوث العوابس فى السلاح الشاك وفى أوائلهم فارس عظيم المنظر هائل المخبر كانه البعير وله زمجرة وهدير وان ميمونة قد صاحت بهم واعترضتهم فى طريقهم ونادت من أين أنتم قادمين والى أين أنتم سائرين أسرعوا بالجواب وإلا ضربت رقابكم وصببت عليكم العذاب فلما سمعوا ذلك من كلامها بهتوا وصاح بهم المقدم عليهم وقال لهم خذوا هذا الرجل الذى خلقه عليه نازل فعندها حملت عليها الخيل كأنها قطع الليل فحملت فى أواسطهم وجالت فى أعراضهم ثم طعنت فارس بعقب الرمح فوقع وكذلك ثانى وثالث ورابع وخامس الى أن أرمت من القوم خمسة وعشرون

رجلا (قال الراوى) فعند ذلك عطف عليها العبد المقدم ذكره على القوم وقدعلمت أنه أشجعهم وأقواهم فحمل عليها حملة صادقة والتقيا وتضاربا وأبصرت منه فارس عديد شديد البأس ثابت الأساس فقاتلته ساعة ثم عطفت عليهم وصارت تطعنهم بعقب الرمح ترميهم الى الارض فقال واحد منهم الحمد لله الذى ألهم هذا الفارس أن يطعننا بعقب الرمح وإلا فما كان يبقى منا أحد ثم أنها أشارت الى المقدم عليهم انها تطعنه وأدارت الرمح أسرع من البرق البارق وطعنته بعقب الرمح فى صدره أرمته على ظهره (يا ساده) ولم تزل حتى أرمت من القوم تمام الأربعين فعند ذلك استسلموا الباقين فأمرتهم أن يكتفوا بعضهم بعضا ففعلوا ذلك وتركت منهم خمسة يسوقوا الخيل هذا والامير عبد الوهاب قد ابطت عليه الملكة ميمونة وخاف عليها من تلك الغبره فركض فى طلبها وركضوا معه الفرسان (قال الراوى) وظهرت الملكة ميمونة والرجال بين يديها فقال الامير عبد الوهاب لله درها فما أرفع قدرها وما أعظم أمرها ولابد لها أن تجاهد فى سبيل الله وتظهر كلمة الحق ومقال الصدق (قال الراوى) ووصلوا اليهم ومد الأمير عبد الوهاب عينيه وإذا فى أوائل الناس فارس مكتوف ورأسه مكشوف وإذا به الشيخ أبو يخلف ونظر الى المقدم عليهم وإذا هو ميمون الجماس ثم عرف الباقون وإذا بهم أبطال بنى كلاب فتغير وجهه وطار عقله ورشده وقال كلمة لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم نظر إلى عمه مدركه وأخوه عبد الله وبرد بن الازهر وكان قد تخلف فى آمد لمرض كان قد لحقه وخيولهم قد انطوت من كثرة السير وفى ركابهم ضفاير البنات وشعور المخدرات وفى أيديهم الجراحات وعليهم ثياب الآفات من الجوع والسهر وقد غير حالهم التعب وقد أذهب حركاتهم وعلاهم الذل والانكسار لما أسرتهم وهى لا تدرى من هم القوم فرجع عليها الامير بالعتب واللوم وقال لها ما شاء الله كان والله ما وصلوا هؤلاء الى هنا الا وقد ملكت الحريم والصبيان واحتووا الروم على ذلك المكان ونادى أطلقوهم فأطلقوهم ونظر أبو يخلف الى الامير عبد الوهاب وأصحابه فعرفهم فطاب قلبه وقوى عزمه وشال التراب على رأسه وصار ينادى وهو يقول والإسلاماه وادينناه واستى شمساه (قال) فضحك الأمير والأميرة من وسط الغيظ ثم قال الامير عبد الوهاب هذا رجل مجنون ثم انه أقبل على ميمون الجماس وقال له ما وراك ومن بشره رماك فقد فطرتم فؤادى وعدم رشادى فعند ذلك بكى ميمون الجماس وجعل يكفكف عبرته وينشد :

ألا يا أمير المؤمنين أتيتكم ... وقد ذبح الاطفال بعد الحرائر
وأصبحت الاطلال للشرك مرتعاً ... وقد قتل الولدان والعقل حائر
وقد هدمت بغداد من بعد عزها ... وقد رقت الاعلاج فوق المنابر
وجالت خيول الروم فى وسط آمد ... ولم يبق إلا كافر وابن كافر
نعم وكذا المأمون فى وسط عزه ... يروم اجتماعا بعد كسى العشائر
ولو نظرت عيناك كل مدينة ... واهلوها يبكوا لوقع البواتر
وقد ذكروا أيامك البيض سالفاً ... وظنوك تحت التراب جوا المقابر
ولو علموا منك الحياة لبادروا ... اليك ونادوا يا مصون الحرائر
فبادر الى الاسلام قبل هلاكهم ... فأنت الذى ترجى لدفع الكبائر

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الانشاد ارمى نفسه من على ظهر الجواد وحثا التراب على رأسه ونادى وا إسلاماه وتصايحوا بنى كلاب وا أولاداه وا أهلاه ثم بعد ساعه هديت الزعقات وبعد ذلك أقبل الامير على السادات وقال لهم دعوا ما فات وجدوا فيما هو آت فقال عقبه وهو يسمع هذه القصة والبليه يعز على أيتها الاميره ما هذا الذى قد نزل بكم وما بقى فى هذا اختيار وحق المسيح لقد صعب على إذ لم أكن حاضرها فقالت له ميمونة والاميره وماذا كنت تعمل يا قاضى فقال لهم كنت أسلم نساء بنى كلاب كل واحدة الى ثلثمائة علج وأقل لهم اصلبوا هؤلاء الاقمار كما أردتم أن تصلبونى وتحرقونى بالنار فعلمت الاميره انه يريد الفحش والكياد فقالت لعنك الله يا شيخ السوء لو قبلوا منى لأنجزوا وعد الله فيك هذا وان الامير عبد الوهاب قال لميمون الجماس دع عنك هذا النظم والشعر وأخبرنى بجلية الحال فقال ميمون يا مولاى أخبرك بأن ملك الروم وصل الى ملطيه فى عساكر ضاقت بها البرارى والقفار والاودية والاوعار أولهم فى ملطيه وآخرهم فى القسطنطونيه وان الامير عمرو بن عبيد الله كاتب المأمون فما وصل عسكره الى نصيبين حتى أخذت ملطيه ووصل الينا ملك يقال له قراقونا بن منويل من ملوك الجزاير ماولد مثله فى النصرانية فى شجاعته وبراعته وقد ذلت له كل دولة ورأينا منه من القوة والصولة ما لم نراه من الملوك الاوائل وانه يا مولاى قد نزل علينا فى أربعمائة ألف فارس وهم أقوام مثل النخيل الطوال فعملوا أبراج من الخشب حتى ارتفعوا عن صور آمد وأكثر من ذلك ولم يكن فى البلد من يحميه فأخذوه وملكوه بكل ما فيه فعند ذلك دق الامير يدا على يد وقال له كيف سلمت أنت فقال لم أكن فى آمد حاضر يا مولاى لاننى صح

عندى أخذ ملطيه فخرجت أطلب الا كراد من الأزقاق وأجلبهم من الآفاق حتى صرت فى عشرة آلاف ورجعت وأنا طيب القلب لكون معى قوم يحفظون البلد من داخله فوجدته قدأخذ فتفرقوا عند ذلك الأكراد وطلبوا الجبال وتركوا البلدفطلبت عند ذلك عسكر المأمون إذ لم يبق لنا سنداً غيره وحرضته على خلاص البلد ممن أخذها وأن ميخائيل سار الى المأمون والتقاه فكسره بعد ثلاثة أيام من القتال وبلى بما لاطاقة له به من كثرة العدد وتزايد المدد فانهزم وتبعته الخلق فكان أولهم على نهر عيدى وآخرهم على باب آمد وملطيه وأخذت البلاد بالكليه (ياساده يا كرام) وأن الامير عبد الوهاب لما سمع ذلك قال له ثم ماذا قال ثم ان العراق حفل كل من فيه وتفرقوا شرقا وغربا والمأمون أخذ أولاده وقد رحل الى بلاد العجم وطلبت زبيدة النجاة لروحها فلقيها مركب من مراكب عقربونا فأخذوها وكل من كان معها والأموال وحصلت فى آمد وجلس ميخائيل موضع المأمون وقد قسم العسكر نصفين وعمد الى النصف الواحد وقال لهم أريدكم أن تمضون الى الحجاز واطلبوا ذات الهمه وبنى كلاب وادخلوا الى مكة واتركوها إذا عبر بها العابر لايعرف إن كان فى تلك الأرض عمران والنصف الآخر أرسلهم الى غزة فى طلب المأمون وقدكف الأذية عن الناس وقال أنا الملك ولا أخرب الديار وقد بقيت الدنيا من باب آمد الى القسطنطونيه اليه سوق واحد ثم اننا نحن دخلنا البريه على اننا ندرك الاميره ذات الهمه ونبصر ما كان منها وكأنك بالعساكر الذين خلفنا طالبة مكة وقد وصلت فخذوا أهبتكم فإنها واردة عليكم فى اليوم أو غدا ومعه العرب المتنصرة أربعين ألف وملك الأرض والأثقال والجمال والبغال فقال الأمير لما أن سمع هذا الكلام الله بين المسلمين وبين المأمون الذى فعل ما فعل حتى خلت الدنيا للروم فقالت الاميره ذات الهمه الله بيننا وبين عقبه لأنه يلعب بعقول أهل الأرض وماهذا الملعون إلا إبليس لايهتدى لفعاله وقبح أعماله وأن عذر المأمون عندى واضح ثم انهم ساروا ثلاثة أيام أخر سير الرفق حتى لا تتعب الخيل وكان جملة جريدتهم خمسة وخمسون ألف فارس فلما كان فى اليوم الرابع لاح لهم غبار حتى سد الاقطار وأظلم النهار وظهرت رايات الكفار (قال) فلما نظرت ميمونة الى ذلك أمرت بضرب بوقات السودان الذين معها وانقلبت عيونهم وظهر جنونهم وقالت لهم سيروا بنا اليهم قدام جيش الأميرعبد الوهاب حتى يروا منا العجب العجاب (قال الراوى) ياساده يا كرام ولاحت لهم الصلبان وعرفت الاميره ذات الهمه أنهم الكفرة الفجار وكذلك الامير

عبد الوهاب فأقبل عند ذلك على أصحابه وقال لهم بفصيح خطابه اعلموا بارك الله فيكم ان هذا العدو قد وصل وكأنكم به عليكم قد حمل وهو على نية السير إلى مكة والبدرة لمن بدر والغلبة لمن اشتهر وما يلقى الرجال إلا كل ليث غضنفر وكل شجاع قسور فحاموا عن دينكم فعند ذلك بربرت السودان وزمجرت الحبشان وأخذت الأهبة للقاء الأقران والحرب والقتال فى طاعة الملك المتعال الواحد الأحد المنان الذى لايشغله شان عن شان ونصردين سيدنا محمد سيد ولد عدنان الشفيع فى أهل العصيان صلى الله عليه وسلم فعندها رفعوا بنو كلاب أصواتهم بتوحيد الملك الديان ورفعت الروم أصواتها بكلمة الكفر والطغيان (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن ميمونة أقبلت على سودانها وقالت لهم هذه أول ساعة أطعتم فيها ربكم ونصرتم دينكم وأعنتم أميركم فتولوا اليوم القتال وجردوا القواضب وأظهروا العجائب فقالوا سمعا وطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبرزوا الى القتال فى طاعة الملك المتعال واحمرت أحداقهم وطار الزبد من أشداقهم وأكبوا الرؤوس فى قرابيص السروج وحملوا حملة رجل واحد وميمونة فى أوائلهم وكانوا قد خرجوا من عسكر الأمير ولم يعلم بهم واختلط العجاج وأقبلوا الكفار أفواج وأطبقوا على ميمونة وأصحابها مثل البحر العجاج المتلاطم بالأمواج واختلطت السودان بالأعلاج وقطعت الرقاب والأوداج وصار الدماء مثل المطر العجاج وأضرمت نار الهياج وغرقت الملكة (ميمونة) فى بحر لجاج فخشى عليها الامير عبد الوهاب وأشار إلى بنى كلاب والسودان الأنجاب فحملوا جميعهم حملة رجل واحد فيالها من ساعة كشف الحق فيها قناعة واختلط أهل الشرك وأهل الطاعة وكل من اشترى قدم لنفسه أربح البضاعه .

ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه فعند ذلك انفصل الفريقان ونزلت الجيشان وأضرمت النيران وتحارس الفريقان ثم إن الأمير عبد الوهاب أقبل على وجوه قومه وقال لهم : أقسم بالله تعالى قسما لئن اجتمعت الإنس والجن على هؤلاء القوم لما قدروا عليهم لأنى قد لاقيت جبابرة الروم فى سائر الأوقات والأيام والساعات فما رأيت فى الحرب ولا مقام الطعن والضرب مثل هؤلاء القوم ولا أثبت منهم ولقد لقيت فى وسط العجاج فارس راكب على برذون كريم كأنه الليل البهيم والراكب كأنه هيكل عظيم من هيا كل الفرس وفى رجليه حقين زرد بطائنه ومهاميزه عسجديه وعلى جسده زردية مشرفة مضيه لا تعمل

فيها السيوف الهندية ولا الرماح الخطية وفى يده صمصامة يمانية تدب فى حافتها المنية
وفى خصره زنار أخضر وفى عنقه قلاده من الجوهر وعلى رأسه مغفر فحمل على وحملت
عليه واعتركنا ساعة فرأيت منه من الشجاعة مالم يستطيع دفاعه ولولا الخيل تكردست
علينا فى وسط المجال وأفرقت بينى وبينه لكان سطى على ووصل الى فقال الأمير
ظالم والله لقد رأيته بهذه الصفة واعتركت أنا وإياه حتى كاد أن يسقينى كاس العطب
فما كان لى غير الهرب ولقد نثر الرؤس نثرا والرجال خمسا وعشرا عشرا فقال
أبو الهزاهز والله لقد بادرته وكنت عنه عاجز ورأيت الهرب فوز للفائز فقالت الملكة
ميمونة والله رأيته على بعد منى وسيفه يقطر دما ولكن لم أقدر على الوصول اليه من
كثرة كراديس الخيل فقالت الاميره ذات الهمة أما أنا فرأيت هذا الفارس وإلا فما
كان هذا اليوم انقضى إلا بالانفصال فقال لهم ميمون الجماس ذلك الفارس الذى قد
أبصرتموه عقربونا وأنى رأيته وسائر البطارقة يعظموه والملك ميخائيل يخدمه ويخلع
عليه ويكرمه ولقد نظرت له سبعة أولاد كل واحد أشد بأسا وأثبت أساسا يقال
للكبير منهم سمرطون والثانى مطرونس والثالث شهربون والرابع ماريسون والخامس
عروة المسيح والسادس درنجوس والسابع دقيانوس ولكل واحد منهم ألف بطريق
شراء ماله وقد علموهم الفروسية وصناعة الحرب وهم عند الروم فى أعلا مكان والرأى
عندى أنكم لاتفرطوا فى أنفسكم ولا تعرضون للقتال والبراز فليس المشاهد بالنظر
كمثل من سمع الخبر (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح
الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فضاقت الأماكن الفصاح وجاء الجد وذهب المزاح
وطلبت الأبطال مكان الكفاح وهموا بالحملة على بعضهم البعض واذا قد خرج من
الروم شيخ كبير مقصص الذقن محلوق السبال أجلح الرأس أنمش الوجه وبين يديه
ثلاثين قسيس وأربعين راهب وخمس شماس وخمسة عشر مطران وهم يقرؤن الانجيل
والروم كلهم قد صقعوا له إكراما لقدره (قال الراوى) وكان هذا الشيخ المتقدم
ذكره بطرق البطارقة فى سائر جزائر الروم وهو بدين النصرانية أخبر من بطرق الملك
ميخائيل وأعظم من شومدرس وكان اسمه عضريطون بن طالون وكان أسد قسور
وليث غضنفر لايرهب الابطال ولايخاف الأقيال معود لمحاربة الرجال والأبطال
(قال الراوى) ياساده يا كرام وأنه لما خرج الى الميدان كان غريق فى لامته فحمل
على الملكة ميمونة فرأت منه مالم تراه من أخوته السبعة وأخذت خذرها منه ولم يزالا
فى كر وفر وهزل وجد كلما فتح أحدهما باب سده الآخر بالطعن والضرب الى أن

اختلف بينهما طعنتان واصلتان كان السابق بالطعنة الرومى لأجل طوله وقع فى صدرها خرق الدرع الذى عليها وجرحها جرح مؤلم لم تقدر بعده أن تقف على ظهر جوادها وأما طعنتها فوقعت فى صدره طلع الرمح ثلاثة أكعاب من ظهره فوقع على الأرض صريع يمج علقها ونجيع وأما الملكة ميمونة فانها طرحت صدرها على قربوص سرجها والنصارى التهت بابن الملك لما قتل وأيقنت الملكة ميمونة بالبوار فصعب ذلك على الأمير عبد الوهاب ووقع الصياح فى عسكر الروم وظهر الملك عقربونا فى ذلك الزى الذى تقدم وصفه ونعته فأراد الأمير عبد الوهاب أن يخرج اليه وإذا بفارس سبقه اليه كانه شعلة نار وفى يده صارم بتار وكان ذلك الفارس الأميره ذات الهمة نخشى عليها الأمير عبدالوهاب وقال لها خذى حذرك منه أيتها الأميره فالتفتت اليه وأشارت تقول هذه الأبيات :

يخوفنى الأمير من البلايا ... ومن فى الناس ينج من المصير
فإن الموت حتم للبرايا ... ويأخذ للغنى مع الفقير

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم انها صاحت فى جوادها فخرج من تحتها كالبرق الخاطف والتقته بقلب غير راجف وحمل كل منها على صاحبه فارتجت الأرض من كثرة الركض ولم يزالا فى أشد قتال ووقع نزال الى وقت المغيب واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة عقربونا فأخذتها فى الجحفة ثم ضربته ضربة واصلة فوقعت على رأسه نزل السيف إلى أضراسه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما نظرت الروم الى ملكها وقد قتل هنالك حملوا على المسلمين وحملت الفريقان والتقى الجمعان وتبادرت الشجعان وانهزم الجبان وضاق على الفتيان المكان وانقطع الكلام وصال القمقام وصبرت الكرام تلك الليلة وذلك النهار وفى اليوم الثانى الى وقت الظهر فتمايلت الأبطال على سروجها وتعلقت سودانها بعلوجها وتضاربوا بالخناجر فى المحاجر وطارت عليهم النسور الكواسر وامتلأت الارض بالقتلى وتخضبت بالدماء وجوه الورى وكان يوما عبوسا ونادى المنادى فى ملة الاسلام بالنصر وفى ملة الروم بالذل والهزيمة والقهر واندقوا منهزمين وفى ميدان الغلبة مقهورين وأخذ الراهب شومدرس أسير والبطرك عضريطون والرهبان الذين معه وملك الاميرعبدالوهاب من الاموال والرجال والاثقال ومن الفضة والذهب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت حتى استغنوا السودان ولبسوا الثياب الاطلس وجمع الامير الغنائم والاسلاب وعول على الارتحال وأحضر شومدرس وقال له يا عدو الله رأيت كيف أوقعك الله معى فقال يا أمير أنا

ماحدثت نفسى بالدخول الى بلاد الاسلام إلا بمشورة البترك عضريطون وقد علمت أن هؤلاء الرهبان الذين معه سوف يربطون فقال الامير لو لا أعلم أنك ماتبرح بيننا وبين ملك الروم لأضربن عنقك وأما هذا البطرق فسوف أحفر له حفرة وأحرقه فيها وكل من معه حتى لايبقى أحد بعده يطمع فى عهدالبيت الحرام وزمزم والمقام فقال شومدرس يامولاى خلى هذا البطرك حتى تنظر ما يكون فان آمد قدأخذت ولوأردت أن تأخذ كلما فيها من النسوان والأموال والأولاد بهذا البطرك وأنا معه إن أجابك الى ذلك فقال الأمير صدق شومدرس ثم أقام هنالك إلى أن برئت المجروحين من السودان والعرب أجمعين وبرئت الملكة ميمونة (ياساده) وسارت العساكر تقطع الأرض بالطول والعرض حتى وصلوا الى الكوفة فوجدوا أهلها خائفين وسأل عن ملك الروم فقيل أنه فى العراق وقد خرج على المأمون خارجى من الديلم وحاصره وملك الروم قد ملك البلاد واستأنست به العباد (ياساده) فأرسل الأمير عبد الوهاب الى البصره وأرض النجف يعلم الناس بوصوله والعسكر الذين معه فقصدت اليه العرب والعجم وما مضى عليه عشرة أيام حتى صار فى مائة ألف فارس من السودان والعرب والعجم ورحل يطلب بغداد فى تلك العساكر وهو معول على لقاء الملك ميخائيل وكان الملك ميخائيل فى ألفى ألف وثلاثمائه ألف وهو فى عالم عظيم (يا ساده) ووصلت العرب المتنصره الذين هربوا من الوقعة التى كانت لهم مع الأمير عبد الوهاب وسلم منهم من سلم وساروا فى البرية حتى وصلوا الى الملك ميخائيل وأخبروه بالخبر فقال يا ويلكم وما فعل عقربونا فقالوا عقربوه فى التراب وسقوه من المنية أمر شراب فقال الملك يا ويلكم ومن فعل بكم هذه الفعال فقالوا أبطال بنى كلاب والأمير عبدالوهاب ومعه رجال مثل سباع الغاب وقد زاد فيهم جارية يقال لها ميمونة ومعها خمسة آلاف أسود من كل بطل أجد وهى مثل ذات الهمة فى الفروسية وقد أسروا الشيخ شومدرس والبترك عضريطون فصاح الملك يا ويلكم غضب علينا المسيح فيالها من مصيبة ما أعظمها وبلية ما أصعبها فهل سمعتم مع هذا كله للقاضى عقبه خبر فقال أيها الملك وهو معهم فى البلاء والقيود والأغلال يلطم الليل والنهار ولا له معين يعينه ولا مساعد يساعده والراهب شومدرس هو الذى رآه وأعطانا خبره فلما سمع الملك هذا الكلام قال له وقد تغير وجهه من الغيظ الساعة أسير اليه فى ألفين فارس فلا أبقى معهم باقية وتصبح الديار منهم خالية وأخلص الشيخ النجيح وحجة السيد

المسيح ويرى الذى كنت أوعده به أخذ البلاد وقتل العباد وإظهار ملتنا ونصر شريعتنا فلما سمعوا القوم ذلك قالوا أيها الملك لا تعوق العساكر فإن القوم سائرين اليك ولو كنت فى عدد قطر السحاب ولا شك أنهم اليوم فى الكوفة فقال لهم الملك ويلكم وكم يكونوا فقالوا يا مولاى ما ندرى ولكن رأينا الدنيا كلها سواد من كثرة السودان الذين معه كأنهم الجواميس وأقل ما معهم ألف أسود عليهم صدور الزرد فصلب الملك ميخائيل على وجهه وقال يا ويلكم ما كأنى أرى هذا إلا فى المنام وحق المسيح إن كان هذا صحيح لا رجع منا إلى القسطنطونية فهد فقالت الروم أيها الملك عين الصواب تنتظر القوم وأما قول المتنصر ألف ألف فهذا لا يسمع كلامهم وسير اليهم العساكر تلقاهم فهذا لا يسمع فقال هذا هو الصواب فعند ذلك وثب اليه ملك من ملوك جزائر السوس يقال له اسطالوس بن تمليخا وكان رجل لا يقاس بالرجال فى شدة الأهوال خبير بأحوال الزمان بصير بطوارق الحدثان وهو أشجع من الملك عقربونا وتحت يده مائتين ألف فارس (قال الراوى) يا ساده يا كرام وان الملك اسطالوس أقبل على الملك ميخائيل وقال له أيها الملك أنا لهذا الأمر وأنتم قد فزعتم من هؤلاء السودان لما لهم فى قلوبكم على طول الزمان وسوف أسير اليهم فى هذه الرجال الذين معى فلما سمع الملك ميخائيل ذلك من كلامه فرح فرحا شديداً وقال له ما أنت الاوفى منى ثم أرسل الى ملك آخر فى مائتين ألف يقال له قرطاطوس وكان رجلا شديد البأس صعب المراس ومعه رجل حكيم قد جالس الحكماء وغيرهم من الهرامسة والهراقلة وهو ذو مكر وحيل وخديعة ما سمع بمثلها فلما حضر إلى عند الملك ميخائيل عرفه بالقصة فقال أيها الملك لو رسمت لى أن أسير الى هذا بروحى الى لقى أعداك وأوصلك الى هواك لفعلت ذلك فشكره الملك وبارك عليه ومسح على وجهه وتجهزت العساكر وبرزت الى ظاهر بغداد واجتمعوا فى أربعمائة ألف فارس من كل بطل مداعس وليث عمارس ورحلوا القوم وقد فرح بهم الملك ميخائيل وقد تقدم الملك اصطاطوس بعساكره ومن بعده قرطاطوس وكان قد وعد الملك أن يخلص البترك عضريطون ويأخذ عنده اليد البيضاء لانه سيد النصرانية وينال عند المسيح المنزلة العلية فشكره الملك على كلامه ووعده وضمن له مال كثير وحال خطير وساروا على هذا الوصف المتقدم ذكره وجعلوا يقطعون الارض بالطول والعرض وكذلك الامير عبد الوهاب سار من الكوفه يوم ونصف وكان الملتقى عند حصن بنى ثعلبه على شاطىء نهر الثعابين والقنطرة ووقعت الطلائع على الطلائع والتحم القتال طول النهار وانفصلت الرجال

عند انسدال الظلام ونزلوا فى مواضعهم وأضرموا النيران وتحارس الفريقان الى أن ذهبت عساكر الدجى وأقبلت عساكر الضيا فتقدم الملك قرطاطوس الى الحكيم مرقان فلم يجده هذا والعسكران قد ركبت مع تبليج الصباح وجردوا البيض الصفاح وركبوا متون القداح وحملت الناس بعضها على بعض وكان أول من حمل الملك قرطاطوس وقد تقدم الى الملك اسطالوس وقال له امسك نفسك عن القتال ودعنى اليوم أصطلى الحرب بنفسى وأفديك بروحى وأقاتل عنك بنفسى وعسكرى فإن ظفرت بهم كانت الغنيمة لك والذكر لى وفى اليوم الثانى قاتل أنت على هذا الوصف فقال له افعل ما بدا لك (قال الراوى) يا ساده ياكرام فعندها برز الملك هو وعساكره وقاتل ذلك اليوم قرطاطوس قتال السادات وعملت المرهفات وتطاعنوا بالسمهريات وحامت عليهم طيور الآفات وأضرمت نار الحرب من سائر الجهات والجنبات وأيقنت النفوس بالممات وأشعلت نار المنيه فى أرواح البرية وقطعت ثمار النفوس بأكف الويل والبؤس وهربت سباع الاجل من سيف كل بطل وزعقب غربان الفراق على الابطال بالارهاق وعلت البيض اليمان فى مفارق السودان فأضحكت وعود الهام على صوت الدمادم وبرق ضياء الصوارم فانذهلت أبصار العوالم ولم يزل القتال قائم إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونادى المنادى للفريقين بالانفصال ورجعوا عن معترك القتال وأما الامير عبدالوهاب فانه اجتمع بالاميرة ذات الهمة وقال لها يا أماه هذا عسكر خشن ما رأينا فى بلاد الروم من هو بهذه الشجاعة فقالت لعمرى انهم كما ذكرت وقد فقدنا الامير أبو محمد البطال والله انى خائفه أن يكون قصد الى آمد من أجل نورى ليعمل على خلاصها وخلاص السيدة زبيده حتى يبغضها فى عقبة فلما سمع الامير ذلك من الاميره قال لها يا أماه ربما يكون ذلك ولدها قالت له ياولدى ربما يكون ذلك وكان أبو يخلف حاضر فقال لا كتب الله له السلامه فقال له الامير عبد الوهاب لم ذلك فقال انه لما راح لم يعلمنى ولم يأخذنى لعلى أن أخلص ستى شمسه فقالت الاميره ذات الهمه يا أبو يخلف هذا عجب منك كيف ما تنصرف هذه النوبة من أجلها لانى أعرفك أنك قليل الدين فاقل صدقت ياسيدتى وقد كنت عولت على ذلك ولكن ماقبلوا منى وقالوا قد علمنا أنك شيخ كذاب مرتد والاوحق المسيح انلم تروح قتلناك فما كان لى غير الهرب فضحك الامير عبد الوهاب وقال هذا رجل فيه خير وما يقول الا الصحيح (يا سادة) فبينما هم مع أبى يخلف فى الكلام واذا قد دخل ميمون الجماس على الامير عبدالوهاب

وقال له يا مولاى على باب السرادق رجل يطلب الوقوف بين يديك فقال الأمير على به فخرج ميمون ومعه رجل طويل القامة كبير الهامة فصيح اللسان فسلم على الأمير بأحسن سلام وحياه بأحسن تحية وإنعام فأكرمه الأمير غاية الإكرام فلما استوى الرجل جالساً شرع يحدث الأمير وقال اعلم أيها الأمير أن الله تعالى قد أوجب نصيحتك على العالمين وإذا دخلت أنا بالمسرة على قلبك فكأنما تدخل على قلبي وقلوب المؤمنين وقد أطلعنى الله على شيء ولك فيه الفرح الأكبر ثم ان الشيخ أخرج ملحمة مكتوبة بالذهب يذكر فيها أن ملك الروم الذى يكون فى آخر الزمان يقال له ميخائيل وأنه يملك بلاد الاسلام مدة أشهر ثم يأتى رجل يقال له حسام الموحدين وناصر المسلمين وترس قبر محمـــد خاتم النبيين وهو رجل عربى ونسله من بنى كلاب فيقهره ويملك باب القسطنطونيه ويأخذ أموال تسد الفضا ويبنى من الرؤوس مئذنة يؤذنون عليها سبعة أيام ويحرقوها بعد ذلك وانى كنت بالبصرة مقيم وهذه الملحمة عندى وكنت اذا قرأتها أبقى بين المصدق والمكذب حتى أتى هذا الوقت المعلوم ورأيت ذلك وسمعت أن الملك ميخائيل قد ملك بغداد والقرى والبلاد وقتل العباد فلما تحققت ذلك سرت اليك ليطيب قلبك ويقوى عزمك ويشد ظهرك وانظر أيها الأمير إلى هذا العجب فى آخر هذه الملحمة ثم انه فتحها واذا فيها صورة أشبه الأشياء بالقاضى عقبه وعلى رأسه مكتوب هذا فرعون الملة الاسلامية ويقـال له عقبة وله أمور صعبة وفى آخر هذا التاريخ يكون زوال عمره وانهتاك ستره وصلبه على يد هذا الرجل الموصوف ويبلغ منه مناه وينال من صلبه ما يتمناه وقد أتيت اليك ناصح وأنا ذو عائلة وكثير العيال (قال الراوى) فأخذ الأمير الملحمة بيده ونظر الى ذلك الخط القـديم الذى فيها وتلك الصورة وذلك التاريخ فشكر الله تعالى وقال اللهم لك الحمد على هذه النعمة وقالت الأميره أبشر يا بنى فإن الله تعالى له فيك ألطاف خفيـة ما دمت فى ملاحم الأنبياء مذكور وفى الكتب القديمة مشهور وفى مقام الهياج جسور قال فبكى الامير من الفرح وقال للرجل أبشر فوالله ان صح ذلك ونصر الله تعالى الموحدين لاعطينك فوق مناك فقال له الرجل أبشر فهذه آثار الحق قد ظهرت وأعلام النصر قد انتشرت يا مولاى وفى قلبى شيء آخر وهو الذى ذكر فى الملحمة موجود فى هذا الزمان فقال له الامير نعم فطب نفساً وقر عينا فان الأمر كله تحقيق والمقال مقال تصديق فقال له الرجل يامولاى تمنيت أن أراه ليزداد الفرح ويزول عنى الترح فقـال الامير الساعة أريك هذا الملعون وهو عندى أسير وله أفعال مثل أفعال فرعون ثم جعل يحدث الرجل

بأفعاله وما يعمله من احتياله ثم ان الأمير قال للرجل قم معى حتى تراه ثم انه أخذ بيد الشيخ وهو فرحان وسارت الاميره معهم والملحمة مع الامير عبد الوهاب الى أن وصلوا الى الموضع الذى فيه الملعون عقبه والراهب شومدرس والبطرك عضريطون والسودان موكلون بهم من كل جانب وفى أيديهم القواضب ثم ان الامير دخل الى المضرب والشيخ معه والأميره ذات الهمه فتواثبوا السودان يقبلون يديه ونظروا الى ذلك الشيخ ويده فى يد الأمير عبد الوهاب وهو يحادثه فرحبوا به أيضا ثم ان الأمير دنا من عقبة وقال له ياملعون كم تكذب بدين الإسلام وهو دين الحق انظر كيف جرى حديثك وهتك سيرتك من أول الزمان على ألسنة العلماء والحكماء وقد دنا بوارك وخراب ديارك وهلاك ميخائيل ثم سلمه الملحمه فلما نظر عقبه اليها وعرف معانيها تغير لونه واضطرب كونه وقال فى نفسه : هذه آثار البلاء قد ظهرت وما هذه الملحمة إلا صحيحة ولكن لو أتتنى الأربع كتب تشهد على بذلك ماصدقت هذا القول ثم إن عقبة فتح الملحمة وأبصر عورته وشيبته وصورته وماقد كتب على جبهته فطارت الدمعة من مقلته وقال الآن طاب لى الموت بعد أن سمعت أنى فرعون الملة الاسلامية وتشهد لى أنى عدوها وما أبالى بالموت أى وقت جاءنى ثم انه رمى الملحمة من يده وأقبل على الامير عبدالوهاب وقال له دعنى من هذا كله يا ابن مرزوق فان هذا الأمر كله محال والأمر يدل على مافى خلاف هذه الملحمة لأن أرضكم قد ملكت ورعيتكم قد هلكت وهذا العسكر الذى رأيتموه ولقيتموه طائفة من خمسين طائفة ممن قد أتى إليكم فعند ذلك رفع الشيخ صاحب الملحمة يده وضرب عقبة على وجهه وقال والله العظيم ياملعون أنا أعلم أنى أدخل الجنة بهذه الضربة وسوف ترى ماأعدالله لك من شدة العذاب ثم خرج الامير عبد الوهاب من عند عقبه وأمر الغلمان أن يضربوا للشيخ مضرب إلى جانبه وأن يحمل اليه كل ما يحتاج اليه من فرش وشراب (قال الراوى) ولما تنصف الليل وثب الشيخ من موضعه وأخذ معه سيف مجرد وطلب المكان الذى فيه عقبه فوثبوا اليه السودان ليمنعوه من الدخول اليه فلما رأوه عرفوه وأكرموه وانه قد أقبل على السودان وقال لهم اعلموا أن الاميرعبد الوهاب قد عول أنه إذا أصبح الصباح أعطانى بوزن عقبه مال وانه أمرنى أن أتوكل به لئلا يهرب ثم بقى على ماهو عليه حتى بقى من الليل أيسره وهو جالس ما يتكلم بل يساهر السودان حتى ناموا فعند ذلك دنا من الملعون عقبه وعرفه بأنه الحكيم (مرقان) ففرح بذلك ثم انه قطع كتافه وفك قيده وثنى بالراهب شومدرس والبطرك وأخرجهم من المضرب وفى تلك

الساعة كان الأمير أبو محمد البطال قد دخل الى عسكر أسطاطوس وعرف جميع أحوالهم وأعمالهم ولم يزل حتى وصل الى خيمة الملك واذا به يتحدث مع أصحابه فى فى غيبة الحكيم (مرقان) ويقول لهم انى خائف عليه من البطال وكان قد وعدنى أنه يخلص البترك والراهب شومدرس والشيخ النجيح وكان فى نية أبو محمد أن يسرق إحدى الملكين وان قدر سرق الاثنين (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك التفت الى غلمانه وقال لهم ارجعوا بنا على عجل حتى ننظر ما يكون وخذوا بنا على مكان عقبة الملعون فقالوا له أيها الامير مانكون قد وصلنا الى ههنا ونرجع بلا فائدة (قال الراوى) ولم يزالوا على ذلك حتى نام الملك أسطاطوس فهجم عليه الامير أبو محمد كأنه نسر قشعم وغلمانه أصحاب الهمم وهو مخبول سكران وجعلوا الأكرة فى فمه وهو لا يعقل على نفسه وكتفوه وحملاه لؤلؤ وخرج من السودان ولم يعلم بهم أحد فقال لهم أبو محمد سيروا بنا قبل أن يتم على عقبة أمر فساروا طالبين عسكر الامير عبد الوهاب واذا بأشباح خارجة منه واحد بعد واحد فقال الأمير أبو محمد والله هذه القصة على جليتها وهؤلاء جماعة الرهبان والقسوس وكلهم شبان وقد أخذوا الساحة من سيوف السودان وإن تكلمنا هلكنا ورب الكعبة وان صرحنا جفلوا منا فى هذه البرية فقالوا غلمانه أيها الامير مافى الامر إلا اننا نطرح الملك فى بعض المواضع ونرمى أنفسنا على هؤلاء الكلاب وننهشهم بالقتال ويكون بعضنا قد مضى الى الامير عبد الوهاب ويخبروه بالحال فقال لهم افعلوا مابدا لكم فان هذا هو الصواب ثم أتى أبو محمد الى مكان فى موضع متواطى فوضع فيه الملك وجرد سيفه وأخذ قوسه وأدار أذياله فى منطقته وفعلوا غلمانه مثل فعله وإذا هو بوقع حوافر الخيل فى ظلمات الليل وفارسين قد تجنبت الطريق وقد احتكت ركاب أحدهما بالآخر وهما يتحادثان فنصت أبو محمد بأذنه اليهما ليسمع مايقولا واذا أحدهما ميمونة والأخرى ذات الهمة وقد خرجا فى آخر الليل يطوفان حول العسكر فزعا من طارق يطرقهم فدنا الامير أبو محمد من الاميره ذات الهمه وقال لها : يامولاتى فقالت أبو محمد قال نعم فقالت ماحالك فقال لها خذى هؤلاء الشياطين الذين بين يديك فقد تمت الحيلة عليكم وانهزم عقبة من بين أيديكم فعند ذلك مالوا الاثنين عليهم ومكنوا الصوارم من الجماجم فقتلوا خمسة عشر راهب وقسيس واستلموا الباقين وأخذ الراهب شومدرس والبترك عضريطون وطلبوا الحكيم مرقان والشيطان عقبه فما وجدوهم فصعب ذلك عليهم وكبر لديهم وسارت الاميره ذات الهمه يمين وشمال وقد ثارت الرجال من العسكرين وأيس الامير أبو محمد من الامير تيز

وخاف عليهما من عدوهما ثم انه وصل الى الامير عبد الوهاب وأخبره بما جرى فقامت عليه القيامة وقال ياأبو محمد ما أظن هذا من الرجل الذى عندنا وربما يكون قد فعل هذا غيره فقال له الأمير أبو محمد يا أمير ألا أن أبعث من يبصره فطلبوه فلم يجدوه فقال الأمير عبد الوهاب كلمة لايخجل قائلها (لاحول ولا قوة إلا بالله العلى للعظيم) فقال له الامير أبو محمد لما نظر الى تأسفه : اعلم أيها الامير مافعل هذه الفعال إلا الحكيم مرقان على الحقيقة قال ومن كثرة ما أصاب الامير عبد الوهاب من الغم على هروب عقبه اللعين لم نام الى الصباح ثم ان الاميره ذات الهمه رجعت وباقى السودان الذين كانوا معها ولم ترجع ميمونة فلما أفاق الامير عبد الوهاب أخبروه بذلك فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقد عظم على غلمانها السودان نخشى الامير أن تنفر قلوبهم من المقام أو يتذكرون أوطانهم ويتركوه فى هذا الحال فأخذ بخاطرهم وخلع على المقدمين منهم ثم أحسن اليهم وقال لهم معلوم ان الملكه ميمونه مايصيبها شىء وان كانت قد أسرت فأنا ان شاء الله تعالى أخلصها (قال الراوى) فهذا ما كان وأما ما كان من الملك أسطاطوس فان أصحابه لما فقدوه كثر صياحهم وعظم نواحهم وأرادوا أن يرجعوا الى الملك ميخائيل فقال لهم أسطاطوس أنا لكم دون صاحبكم وأيضا إن كانوا المسلمين قد أخذوه فأنا أخلصه لكم ولايقال عنكم انكم تركتموه ورجعتم ثم انه ركب وصف الصفوف من عساكره ودساكره وكذلك الامير عبد الوهاب قد أقبل على الاميره ذات الهمه وقال لها أيتها الاميره قلبى على جمر اللظى من أجل الملكه وفقدها ومانكون قد حملناها إلى ههنا إلالفقدها وهلاكها وبوراها وأيضا انى أحمل العار والشنار فى تركها وانها مايسمح الزمان بمثلها وأريد أن أخرج إلى براز هذا الملعون وأبصر ما يكون بينى وبينه فقالت الاميره ذات الهمه اشتغل أنت ياولدى بالعدو الذى بين يديك حتى آخذ أنا ألف فارس وأسير فى طلبها فقال لها افعلى ما بدا لك فأخذت معها ألف فارس من الليوث العوابس الذين ليس لهم فى الحرب مقاييس وسارت . هذا والامير عبد الوهاب قد طاب قلبه لأجل انفراد الاميره فى طلب ميمونه (قال الراوى) ونرجع الى سياق الحديث وقد ذكرنا أن الصفوف قد زحفت على بعضها وتقاتلت من غير براز وشجعانها قد همهمت وفرسانها قد دمدمت وحملت الكتائب على الكتائب والمواكب على المواكب وعملت القواضب وارتفع الصياح من كل جانب حتى مضى النهار وقد أقبل الليل بالاعتكار وانفصل الفريقان عن موقف الطعان فقال الامير لأصحابه لما نزل فى

خيامه قد لقينا من هؤلاء القوم ما لم نراه من أحد غيرهم وما فيهم فارس إلا وفيه من القوة والشجاعة ما لم يوجد فى غيره وبات الأمير مشتغل من أجل الاميره ذات الهمه والأميرة ميمونة ولم يزل إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وثارت الطوائف من أماكنها وركبت صوافنها وصهلت جوانبها فأدوت الجبال وجردت الصقال واعتدت بالعدد الثقال والحراب والنبال واشتغلت الفرسان اشتغال وهمت الطوايف أن تحمل على بعضها البعض من غير براز ولا نزال هنالك ظهر فارس من عسكر الروم على جواد كريم وسيم سابق إذا طالب من أشرف خيول العرب يساوى قنطاراً من الذهب وهو فارس هائل المنظر عظيم المخبر على رأسه بيضة ساطعة وفى يده صفيحة قاطعة ومن وراه فارس أعظم منه هيكل شهدت له العيون لما أبصرته والفوارس لما شاهدته بأنه أوحد عصره ونتيجة دهره وهو فى دخوله غير خجلان وفى خروجه غير وجلان وهو معجب بنفسه على جواد كريم من العيوب سليم وعلى الفارس درع داوودى وثوب قسطنطينى وخفين أديم طائفى ومهمازين ذهب مغربى والفارس كأنه العتيق أو مثل شعله الحريق ثم انه تقدم الى جانب صاحبه وصاح بعضهما ببعض واعتركا على وجه الأرض فأنكر الأمير عبد الوهاب ذلك ولم يعلم السبب فى ذلك ولم يزالا كذلك حتى خرج من أوساط الروم راهب طويل ومعه ثلاثة يحملون الإنجيل فدخل بينهم وقال ما هذه الفعال التى تفعلا والقتال الذى تقتتلا وأنتم فى وجوه الأعداء (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن هذين الفارسين آخرين أحدهما يقال له سرطاس والآخر يقال له ساوس وهما أولاد الملك الذى سرقه البطال وكان الواحد منهم يطلب الملك بعد أبيه فقال الآخر هذا لا أفعله ولا يتقدم أحدنا على الآخر حتى يقهر فى ميدان الحرب ومقام الطعن والضرب فقال الأكبر افعل ما بدا لك فخرجوا الى الميدان وموقف الضرب والطعان فعند ذلك خرج اليهما الراهب وقال لهما ما هذا واجب ومن الرأى أن يرجع أحدكما والآخر يقاتل المسلمين فمن أخذ منكم الامير الذى يقال له عبد الوهاب فارس بنى كلاب كانت المملكة له والمدينة مدينته فلما سمعوا ذلك قالوا هذا هو الصواب ويكون هذا الملك اسطاطوس بيننا شاهداً ثم رجعوا الى حضرة الملك فرفع مقامهما وقال لهما على ماذا عولتما فقالا على الخروج الى قتال أمير المؤمنين وسيف المجاهدين فمن أخذه منا فهو الملك بعد ابيه فلما اتفقا على ذلك أمرهما أن يتقارعا على من يخرج فى الاول فوقعت القرعة على سارسطارس فخرج وهو الفارس الموصوف وقد أمر الترجمان أن ينادى معاشر المسلمين وأبطال الموحدين هذا الملك سارسطارس

يقول لكم أنه يريد البراز فلا يخرج الى قتاله الا أميركم المشهور وفارسكم المذكور عبد الوهاب (قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك هم أن يخرج فتعلق به الأمير ظالم وقال له أنا أخرج اليه فقال له أنا المطلوب فكيف تخرج أنت فقال والله يا أبتاه لا يخرج اليه غيرى فقال له الأمير عبد الوهاب نتقارع أنا وأنت فتقارعا فوقعت القرعة على الأمير عبد الوهاب فخرج وخرج ظالم لأجل اليمين فلما نظر الملك الى ظالم وقد خرج مع الأمير عبد الوهاب صاح الملك وقال ما أنصفت يامسلم فارسين لفارس فعند ذلك خرج أخيه الآخر للأمير ظالم وحملا الاثنين على الأميرين وتقاربا وتباعدا وجرى بينهما قتال شديد وحرب أكيد ما عليه من مزيد حتى طلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وعمل بينهما الصارم البتار وصبرا حد الاصطبار فبينما هم كذلك واذا بجواد تحت الغبار قد خرج خالى من صاحبه وخرج من بعده الامير ظالم وقد قبض على مراق بطن خصمه وجذبه اقتلعه من سرجه وهو فى يده مثل العصفور وأقاموا الناس ينتظرون من الامير عبد الوهاب وخصمه وقد اختلف بينهما طعنتين كان السابق بالطعنة الرومى لاجل طول رمحه فبطلها الامير وطعنه معاجلة فى صدره مرق الرمح من ظهره فوقع صريعا يمج علقما ونجيعا ونظرت الروم الى ما جرى على الملكين من الاميرين فصلبوا على وجوههم وحملوا وحملت أيضا عساكر الامير عبد الوهاب وأبطال بنى كلاب والسودان الانجـــاب وتمكنت الصوارم من الجماجم وتشوشت العمائم وتقطعت من الخيل القوائم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وعظم الشر وضاق الصدر وقل النصر وعضت الخيل على لجمها وتقطعت من شدة الجولان حزمها وعطشت أكبادها وعرقت أجسادها واسود الجو وعدم الضوء وعمل الحسام وفلق الهام وقل الكلام وتعثرت الاقدام ولم يزالوا كذلك حتى انقضى النهار وأقبل الظلام والامير عبد الوهاب ضيق الصدر كثير الاسف على الملكة ميمونة وسير الامير خلفها فما طلع لها أيضا خبر وفؤاده بالنار يستعر هذا وقد تحارست الفئتان وأضرمت النيران حتى لاح الصباح مبشرا بالنهار لاجل الحرب والطعان فثارت الابطال من أماكنها وركبت الرجال تطب ميدانها وحردت نصالها وأيقنت النفوس بتلافها ونفرت الوحوش من أماكنها وركب الامير عبد الوهاب وكذلك الملك اسطاطوس فى البطارقة والعمالقة وقد قال لقومه الى متى هذا التطويل وأنا أقسم بالمسيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل والصوامع العالية والرهبان الذين لدير انطاكية وكل

شماس فى الجزاير القصية ومريم القديسة التى شاع أمرها وكان عيسى ابنها والذى قال الله واحد أحد فرد صمد لا خرج الى قتال المسلمين غيرى فان ظفر بى أميرهم فاطلبوا الملك ميخائيل فما لكم بقتال هذا الرجل طاقة ولا سبيل فان الروم اجتمعت على أنى فارسها الذى لا يطاق فى محل الصدام وصنديدها الهمام وليثها القمقام وسوف ترون الساعة كيف أقتل أمير العرب وجماع الحلة والحطب وأوقع به العطب وترون أجله على يدى قد اقترب وكان الملك اسطاطوس فارس شديد فى الحرب لا يطاق وعلقم مر المذاق ولا يقاس أحد بشكله وليس فى الروم مثله وانه فى ذلك الهندام ظهر على جواد مجتمع ململم بغره كالدرهم وقد وقف فى ميدان الحرب ومقام الطعن والضرب وفى يده حسام عضب ونادى برفيع من صوته أيها المسلمين الذين تقاربت آجالهم أين الاسود البطل الامجد حتى يخرج الى ويرى قتالى ويشاهد نزالى فهو الفارس الذى ليس فيه خفا (ياسادة) فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من أصحاب الملكه ميمونة فقتله وخرج اليه فارس آخر فجندله وثالث قهره ورابع أسره وخامس أراده وسادس أهواه ولم يزل كذلك حتى قتل من الفرسان اثنى عشر فارس ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يخرج اليه ولا يبرز اليه فعند ذلك قال الملعون أين صاحبكم وحامى جيشكم ومقدم عسكركم ان لم يخرج الى القتال ويدع عنه المحال لا بد ما أحمل فى وسط قومه وأضرب بسيفى قمته (قال الراوى) فخرج اليه الفارس الوثاب وترس قبر النبي الاواب الامير عبد الوهاب وقد لاح عليه نور الايمان وعلائم الاسلام والبرهان وهو يقرأ سورة الاخلاص المنجية لكل عاص من هول يوم القصاص ثم ناداه أيها المغرور بكلام الزور والضلال وتابع طريق المحال والكافر بذى الجلال الكبير المتعال الذى رفع السماء بغير عمد وبسط الارضين على ماء جمد وهو الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات :

ألا أيها المغرور بالزور والجهل ... ستعلم ما تلقاه من صارم النصل
تفزعنى فى حومة الحرب واللقا ... ومن كان مثلى لا يفزع بالقتل
وحق النبي الهاشمى محمد ... نبى الهدى خير الورى سيد الرسل
وحق الذى ناجى لموسى مكلما ... وقال أنا الرحمن فاسألنى الفضل
وأصبح ذاك الشامخ اليوم هادما ... وقد دكدكت أعظامه هيبة الكل
كريم عظيم ماجد ذو حمية ... على وفى قادر مالك السبل
لاقتحمن الحرب حتى أريكموا ... فعالى واقدامى وحسبكموا فعلى

(قال الراوى) فلما سمعه اسطاطوس وما ذكر من كلامه صلب على وجهه وقال أقسم بالمسيح الذى دينه صحيح إنى أرى أعلام النصر لنا لائحة وقد أهلكنا العباد وأخذنا البلاد ولو كان لكم عند الله منزلة كما تقولون كنتم علينا منصورين فقال له الأمير عبد الوهاب أقصر ويلك عن هذا الكلام فى مثل هذا المقام أما قولك أن النصر لكم فكذبت لأن الله لا ينصر الكافرين وإنما يسلطكم على الخلق لذنوبهم الذى تقدمت وهو يؤدب الأخيار بالأشرار وسوف ترى ما يكون فدع الجدال ودونك والقتال (قال الراوى) فلما سمع الملك مقاله حمل عليه وحمل أيضاً الأمير عليه فيا لها من ساعة ما أعظمها عمل فيها الصارم العضب واشتد الكرب وعمل السيف بينهما طول النهار إلى وقت الاصفرار ولم يصل أحدهما إلى صاحبه فعند ذلك صاح الأمير عليه وتقدم إليه وضربه ضربة كلابية من يد فارس جرى وساعد قوى فرفع السيف على رأسه نزل إلى صدره فوقع صريعاً يمج علقما ونجيعا فلما وقع حملت المسلمين وأيضاً حملت المشركين ولم يزل القتال عمال طول النهار حتى ولوا الروم الأدبار واندفقت عساكر المشركين وتبعوهم المسلمين (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه جمع أموالهم وأسلابهم ورحل طالب الأميرة ذات الهمة وهو لا يعلم ما كان منها وكان من حديثهم أن الملعون عقبة لما أن خلصه الحكيم مرقان وخرج مع البترك والرهبان فقال له عقبة دع المسير معهم فان ورانا الطلب العظيم ولا بد للمسلمين ما يعبرون خلفهم فأخرج بنا من من هذا الطريق الأخرى فعند ذلك خرجوا وقد أخذوا جوادين فركبوهما وطلبوا البرية فى مواضع ما تسلكها الجان لانها قليلة الماء والكلا لو سلكها الضب لعطش أو البوم لدهش وأنهم ساروا طول الليل (قال الراوى) فلما اطمأن عقبة على نفسه نزل يستريح وقد اتكأ على جنبه ووضع يده تحت كتفه وقال الحمد للمسيح على خلاصى من هؤلاء الشياطين وكنا ذكرنا بأن الملكه ميمونة قد سارت خلف الراهبين وسلكت على غير طريق وكان القضاء قد ساقها على الطريق الذى سار فيها عقبة الا انها ما تعرف تلك الأرض ولا سلكتها أبدا لانها غريبة وهى أرض معطشة مدهشة فسارت الى وقت الظهر فوقع الجواد من تحتها من شدة العطش وحمى الحر عليها ولم تعرف لنفسها ضرا ولا نفعا فقالت فى نفسها يقتل الارض خابرها وتقتل الارض جاهلها ثم انها وقعت من على الجواد وكان ذلك بالقرب من عقبه وكان الملعون خبير بنوائب الزمان وتصاريف الحدثان وانه نظر الى ميمونة وتحققها من البعد وقال للحكيم مرقان هذا فارس قد وصل الى هذه الارض فى طلبنا وما وصل الى هاهنا الا وهو جاهل بهذه

الارض وقد اشتد به الظمأ من عدم الماء وما هو الا هالك لا محالة فقم بنا نطلب الموضع الذى هو فيه فجاءوا اليها فوجدوها شاخصة الى السماء وهى لا تدفع ولا تنفع فلما رآها عقبة صاح حتى كادت مرارته تنفطر وقال هذه ميمونة وحق الانجيل المطهر وأبردها على كبدى ما استيقظ المسيح من نومه إلا هذه الساعة ثم دنا منها وشد يديها الى رجليها ووضع الاكرة فى فمها وحملها هو والحكيم مرقان الى الماء وقال عقبة اعلم يا حكيم مرقان انى قد بلغت المنى وأنت ما خرجت مع الملك الذى جئت معه فى طلب مال ولا نوال وأنا أسأل المسيح أن يوصلنا الى موضع الأمان حتى أعطيك عشرة آلاف دينار فشكره مرقان على ذلك ومدحه ثم انهم أرادوا المسير فقال له عقبة اصبر ياحكيم فلا بد ما يتبعها أحد إما عبد الوهاب وإما أمه ذات الهمة اللبوة المصممة وكان معهم الماء والزاد لان الحكيم مرقان حسب ذلك الحساب (ياسادة) فما لبثوا إلا يسير واذا هم بالأميرة ذات الهمة والمائة فارس الذين معها وقد وقعوا فى تلك الأرض المعطشة المهلكة وكان ذلك فى أيام القيض وكان ورودهم فيها وقت الظهر ولم يكن معهم الا قليل من الماء وقد فرغ منهم من كثرة الحر فقال بعضهم لبعض انزلوا بنا هاهنا فى بعض المواضع نستريح ويبرد النهار ثم نسير وما صدقوا باتفاق النزول حتى وقفوا كلهم كالسكارى لا فى أعينهم قطرة ماء من شدة الحر وما حصل لهم من التعب والنصب والعطش والظمأ وكذلك الاميرة مانزلت حتى رأت مات من المائة جماعة من شدة العطش وصارت يقظانة على باقى الجماعة ولكن ما فيها ما يرد جواب ولما أن عاين عقبة ذلك أتى اليها فوجد الاميرة جالسة لا غير فلما رآها الملعون على هذه الحالة كاد عقله أن يطير فرحاً وقال ان المسيح استيقظ من نومه ثم ان الملعون شد الاميرة كتاف ووضع أكرة فى فمها وقال قد بلغت المنى ثم رش عليها الماء حتى أفاقت ونظرت الى عقبة والملكة ميمونة علمت أن القضاء نفذ وأن عقبة أقبل على الحكيم مرقان وقال له ما بقى بعد هذه الغنيمة شىء فسر بنا وجعل يدور على الخيل ينظر بقية الذين كانوا مع الاميرة فوجدهم جميعا ماتوا الا رجال فسقاهم الماء فردت أرواحهم وعاشت نفوسهم فأخذهم وسار بعد ماشد الاميرة ميمونة وسار يقطع الارض فى الطول والعرض فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه لما طال عليه الامر ساروا يقطعون البلاد وسودان ميمونة يبكون على فراقها والامير يقول لهم لعل الاميرة تصل اليها وتجتمع عليها هذا والامير وصل الى العراق وسمع ماقد جرى على الروم وكانت العسكر المكسورة وصلت وأخبروا الملك ميخائيل بأن الامير عبدالوهاب قتل الملوك وكل غنى وصعلوك وأخذ الاموال والاثقال والرجال والخيام والخيل

تم الجزء السابع والثلاثون ويليه الجزء الثامن والثلاثون

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثامن والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فصعب ذلك على الملك ميخائيل ونادى فى عسكره بالأهبة للسير إلى بلادالاسلام وخرج واجتمع معه العلوج والبطارقة والزغاورة والبنادقة والافرنج والملاقطة والبنجاك حتى صار عالم لايحصى وسار بهم ولما قرب من الامير عبد الوهاب وقد علا منهم الغبارحتى سد الأقطار ونظر الامير عبد الوهاب بعد ماانقشع الغبار وقد ركب ومن معه من العساكر الى الرايات وقد نشرت الأعلام وأحدقت بمخائيل وفى أيديهم القنطاريات والعمد وعلى خودهم فصوص الجوهر والياقوت الأحمر وعلى رأسه علم أخضر والحبال الابريسم مع كل واحد من البطارقة حبل طوله عشرون ذراعا وتحته البطرك الكبير وسائر الرهبان وجميع القساوسة . هذا وصف الروم العسكر ذات اليمين وذات الشمال لما رأى الأمير عبد الوهاب ونادى بالحملة فنزلت بهم الارض واختلط الجمعان وعمل الصارم اليمان وبربرت الحبشان وحملت الكفار على الأبرار وتقطع ما طال من الاعمار حتى انسدل الظلام ودقوا النواقيس والمسلمين يضجون بتلاوة القرآن ويصلون على سيد ولد عدنان وعمل القتال فى ذلك النهار وفى اليوم الثانى الى الليل وباتوا الناس على مضض من القتال الشديد ولما كان فى اليوم الثالث أقبل الامير عبد الوهاب على قومه وقال لهم معلوم اننا أرمينا أنفسنا على عالم عظيم ولو سلموا نفوسهم انا فرغنا منهم شهراً كاملا وأنا فلابد لى من البراز فقد عيل صبرى وخانى الدهر فى الأميره وهذه قصة عميت علينا وأنا أسأل من بيده مفاتيح القلوب أن يفرج عنا هذه الكروب وأن يجمع بينى وبين الملكه ميمونة التى تغربت وهى عندى أجل من السمع والبصر لأنها قد عولت أن تقاتل فى الكفار حتى دخلت علينا العين بشؤم عقبة وأنا فزعان على الاميره ومن معها وهم ألف فارس

وماهم إلا بعدوا عن العمران ثم انه بعد ما فرغ من هذا الكلام خرج الى مقام الحرب والنزال وطلب البراز فخرج اليه فارس وعليه عدة كاملة وحمل على الامير ورفع الوهق يرميه على عنق الامير فعلم الامير ذلك ثم رفع الامير السنان وطرح الوهق ثم ضربه على صدره خرج السنان يلمع من ظهره فخرج اليه ثانى فقتله وثالث جندله ورابع أقبره ومازال يقتل واحد بعد واحد إلى أن قتل خمسة وأربعين فارس فعند ذلك أدعى الملك بالدمستق وقال له أتعرف هذا الفارس فقال ما أسرع مانسى الملك أما هذا فهو الأسود الزنيم المهاب الامير عبد الوهاب فصلب على وجهه وقال أنا أخرج وآخذ رأسه من بين كتفيه فقالوا أيها الملك نحن نفديك بأرواحنا فقال لهم من أتى به أسير أو قتله أعطيه عمورية الكبرى وأعمالها فلما سمعوا ذلك تضاوبوا على الخروج وكل واحد منهم يطلب البراز والطلب الى الامير عبد الوهاب فقال لهم ارموا القرعة فكل من وقعت عليه فهو يخرج اليه فتقارعوا فوقعت القرعة على ميخائيل البحرى ولم يكن ميخائيل فى قوة الميلاص إلا انه لم يخالف البطرك وكان فى اليوم الرابع هذا الاتفاق وقد عول ميخائيل على الخروج واذا برجل وصل الى الملك ومعه كتاب مختوم فتقدم الدمستق وأراد يأخذ الكتاب من الرجل فامتنع الأعرابى من ذلك وقال أنا ما أسلمه إلا للملك لأن فيه أوفى بشارة ثم عمد الى الملك ميخائيل وأعطاه الكتاب فأخذه وفضه وقرأه وعرف مضمونه ومعناه ولما تأمله دمعت عيناه وأقبل على الدمستق وقال له اخلع على هذا الرجل وأعطى له ألف دينار فحضر ألف دينار وخلعة وأعطاهم لذلك الرجل وباتوا عند الملك تلك الليلة بعدمارجعوا من الميدان وتفرقت الصفوف وقد أخفوا ما فى الكتاب ولما أصبح الصباح خرج ميخائيل البحرى الى الميدان وخرج اليه الامير عبد الوهاب ولم يطاوله بل طعنه فى قلبه فعندها خرج اليه الميلاص كأنه جبل من رصاص وتقاتلوا طول النهار الى أن أمسى المساء ورجع كل واحد منهما الى أصحابه وهو يصف مالاقاه من صاحبه وكان الامير يقاتل ذلك اليوم وقلبه مشغول وماهو طيب لأجل غيبة أمه والملكة ميمونة فقال الامير أبو محمد والله لقد رابنى هذا الامر وأريد أن أمضى الى عسكر الروم فلعلى أطلع على خبر ولم يزل حتى وصل الى عسكر الروم واجتمع بمارس فقال له أهلا وسهلا والله اننى حامل همكم وأنتم على هذه الصفة وهذا عالم عظيم والرأى انكم ترحلوا تحت الليل وتجمعوا العرب وتعودون فقال أبو محمد أنت تعلم أن عبد الوهاب لايفعل ذلك وأيضا ان قلبه مشغول بالأميره وغيبتها ثم أعاد عليه ماجرى (قال الراوى)

ياساده ياكرام فعند ذلك ضحك دارس وقال ما أخوفنى أن يكون الاعرابى والعسكر الذى سارفى مائة بطريك من أجل هذا الأمر فقال أبو محمد البطال وكيف هذا السبب فقال له دارس اعلم أن من أمس وصل الينا رجل أعرابى ومعه كتاب وقد اطلع الملك على ما فيه وعلم معانيه فعند ذلك جهز مائة بطريك وأرسلهم مع كافر زنديق فقال أبو محمد لما سمع ذلك الخطاب : أتعلم أين الكتاب فقال له قد أخذه الدمستق وقرأه ورأيته قد وضعه فى رأسه (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك أقبل أبو محمد على غلمانه وقال من منكم يمضى الى خيمة الدمستق ويأتينى بهذا الكتاب فقام لؤلؤ ومضى وعاد من وقته والكتاب معه واذا هو بخط عقبة أبلاه الله بالنكبة وهو يقول (أما بعد : أيها الملك انى قد جرى لى أمور وأحوال وعجائب لا تقال وأنا فى هذه الكرة لاأقدر أشرحها وشدائد لاأقدر أصفها وبعد ذلك سوف أجتمع بك وأعرفك بما جرى وتبكى على ما نالنى وبعد ذلك فما مضى تعبى وعذابى ونلت أربى وأن المسيح ومريحنا المعمدان قد خلصنى ببركة الحكيم مرقان وانه لما خلصنى أخذت به فى طريق أعرفها عن علم صحيح وقتلت فيها مائة من أعداء المسيح وأنا ما أفعل هذه الاسباب إلا انى أعلم أن المسيح مايخلينى من الثواب ولقد أخذت ميمونة التى هى أفرس من ذات الهمه ولو كنت بليت بها ما كان مضى عليك سنة أيشم منها ثم انى أخذت ذات الهمه وهلك معها مائة أسود وبعد ذلك ففى نفسى أمور أذكرها لك ويكون ذلك بينى وبينك وأريد أن لا يكون جواب هذا الكتاب إلا مائة فارس ومعها مائة جمل وعليها راوية ملآنه ماء واذا دخلوا الى تلك الارض حملوا على تلك الجمال الدروع والعدد التى كانت على المائة أسود حتى نستعين بها على قتال الاعداء وتقطع أيضا رؤوس الباقين ورأس ذات الهمة معهم وهذا يكون سببا لهلاكهم جميعا وأما ميمونة فقد سألنى حكيم الزمان الحكيم مرقان أن يتزوج بها ويبلغ منها مايروم ويأخذها معه الى جزائر الروم ونحن كلنا مالنا حاجة فى قتلها ودمارها وانها إذا أبعدت عن طريق المسلمين ماتعود الى ديارها ومع ذلك تكون طريقكم على الارض البيضاء ذات الاكم واقصدوا هناك (تلال الصنم) فانى هنالك مقيم وكل من دخل الى تلك الارض من المسلمين صارعديم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع أبو محمد ذلك المقال وثب من وقته وساعته ومضى الى الاميرعبد الوهاب فوجده ضيق الصدر وماعلى قلبه من عساكر الروم مثل ماعلى قلبه من أمر ميمونة وذات الهمه فدخل عليه أبو محمد وهو يدق على يد ويتمثل ببيت شعر يقول فيه :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

فقال له الامير عبد الوهاب دعنا ياأبو محمد من هذه الامثال وحدثنا ان كنت سمعت شيئا من الاقوال فعند ذلك رمى اليه الكتاب فقرأه الامير عبد الوهاب ثم بقى يرعد مثل الزعفة من غيرته على ميمونة ثم نادى فى الحال بجماعة من الرجال ثم نادى ابن سيف الحنيفية وابن ظالم وابن ضيغم وابن أبو الهزاهز حتى انتخبت مائة فارس ثم أقبل على البطال وقال له ياأبو محمد من يعرف هذه الطريق التى تنتهى الى هذه التلال فقال أبو محمد البطال أنا أيها الأمير أخبر بها وأعرفها معرفة خبير (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما سير الملك المائة فارس من الروم والإفرنج وأمر عليهم ملك يقال له (مزلقونا) وكان من الافرنج والروم يخشون سطوته وفى ظنه أنه يبلغ مايروم لأنه كان فارس شجاع وبطل مناع وله صوت عظيم واذا زعق دوت منه البقاع ثم انه لم يزل سائر حتى وصل الى عند عقبة فوجده فى تلك الارض الصعبة ومعه الاميره ذات الهمه والملكة ميمونة وهم فى حالة مذمومة لأن الملعون عقبة أقام مدة من الأيام لم يطعمهم شيئا من الطعام حتى ذهبت قوتهم من الأجسام وما فعل ذلك بهما إلا حتى تذهب قوتهما خوفا منهما (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما نظر مزلقونا اليهم صلب على وجهه ثم أقبل على عقبة وقال له لا ضيع لك المسيح هذه الفعلة ثم نزل وقد بلغ المأمول إلا انهم ما استقر بهم المقام والنزول حتى ظهرت لهم رايات من خلف تلك التلول وتحتهم فرسان لهم صولة وشدة فظن عقبة أن ملك الروم أرسل لهم نجدة ثم بقى باهت الى نحوهم وهم مقبلين من تلك الفلاة الى أن حقق أنهم السودان الغزاة ومكتوب على راياتهم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعند ذلك اصفر وجهه وتغير لونه وقال أعوذ بالمسيح من شر هذا اليوم القبيح وبعد ذلك فإننى رأيت فى المنام منام أضعف كبدى وهو كأنى راكب على ثور وذنبه فى يدى وأقول ان عساكر الروم قد انكسرت وحلت بهم النحوس أو يكون للمسلمين جاسوس (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع (مزلقونا) من عقبة ذلك الخطاب قال له أيها الشيخ هون عليك هذا الباب فلو انهم بعدد التراب لما وصلوا إليك بسبب من الاسباب ثم انه ركب فى ساعة الحال وركبت معه البطارقة من أهل الضلال وكانوا هؤلاء القادمين مع أبو محمد البطال فلما قرب منهم ميزهم عقبة وعرفهم وعرف عدتهم ثم أقبل على مزلقونا وقال له اعلم أن الذى وصل اليكم فى عددكم فقال مزلقونا أقصر أيها الشيخ عن هذا المقال الذى لايتدبر واعلم أن أقل من معى يريد لرأسه هذا العسكر (قال الراوى) هذا ما تم

لهؤلاء من الأقوال (وأما ماكان) من أبو محمد البطال فانه أقبل على من معه من الرجال وقال لهم اعلموا ان الملك ميخائيل ما أرسل هؤلاء الرجال فى مثل هـــذه الأشغال إلا وهو يعلم أنهم أبطال أو أنهم يصبرون على الحرب والقتال والطعن والنزال فلما سمع الأمير ظالم كلامه قلع لثامه وصاح فى أصحابه فسمع عقبه خطابه وقال وحق المسيح هذا ظالم واليوم تنحل بالروم العزائم ثم ان الأمير ظالم أطلق لحصانه العنان وساقه حتى قرب من أهل ملة الصلبان ونادى يا كلاب النصرانية جاكم البلا وحلت بكم الرزيه ثم أشار يقول

ألا يا كلاب الروم جاءكم الأمر   فقد نصر الاسلام وانخذل الكفر
ويصبح هذا الكلب عقبه خاسئا   أسيرا ذليلا لايفك من الأسر
أنا بن حماة الدين من آل عامر   لى الشرف الأعلى مع العز والفخر
ألا خبروا الملعون عقبه اننى   سأتركه طعما لوحش مع النسر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع عقبه من ظالم ذلك الكلام لطم على وجهه حتى جرى الدم من مناخيره كالمزاريب وقال وحق المسيح لقد حسبت هذا الحساب وعلمت أنها سنة ميشومة على أهل دين النصرانية ثم صاح سيف الحنيفية وتبعه فى الحملة برد بن الأزهر ولم يلوى عنانه وتبعه هارون العلوى وحمل مذكره كأنه القذاف ثم حمل بعدهم ظالم وعطاف (ياساده) فلما نظر مزلقونا الى أبطال الاســـلام وقد حملوا كأنهم أساد الآجام أقبل على من معه من الكفرة اللئام وقال وحق المسيح والكنائس ما يخرج إلى هؤلاء إلا فارس بعد فارس حتى يبان البطل الممارس من الجبان الناعس (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك خرج من عسكر الروم فارس مثل الفيل وكان كافر ملعون يقال له مقلعون ثم حمل إلى نحو المسلمين وطلب البراز من الموحدين فخرج اليه أبو الهزاهز وصار له فى ساحة الحرب مبارز وحمل عليه من غير كلام وجال معه ساعة بالحسام ثم تطاعنا بالرمح اللزام هذا وأبو الهزاهز أظهر جلده وصبره وطعن خصمه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فلما نظر مزلقونا إلى فعال أبو الهزاهز علم أنه بطل مناجز فهم بالخروج اليه فسبقه بطريق من الروم وحمل عليه وكان كافر ملعون يقال له قسطة بن قسطون ثم أنهما تضاربا بالصفاح وتطاعنا بالرماح ثم زاد حنق الاثنين وتطاعنا طعنتان واصلتان إلا أن أبو الهزاهز كان السابق بالطعنة فطعن عدو الله فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم كبر لما ترك خصمه على الثرى عفير فأجابوه المسلمين بالتهليل والتكبير فنادى عقبه

من الهم الذى هو فيه وحق المسيح لو بارزه ملك الموت لما قدر عليه فلم يتم عقبه مقاله حتى هم بطريق بالخروج اليه فصاح مزلقونا عليه وقال له ارجع عنه فما فيكم من يصلح لقتاله ولكن أنا له ولامثاله ثم أنه خرج وقد زاد به الغيظ والحراد وطلع شعر بدنه من الزرد ثم حمل على أبو الهزاهز من غير كلام وأشار إلى نحوه بالحسام فلما قرب منه صاح فى وجهه صيحة كدوى الرعد فقامت فرس أبو الهزاهز على رجليها ثم هجم عليه وضايقه وتقرب اليه ولاصقة ومد زنده اليه وكان زنده كزند البعير وقبض على أطواق درعه وهزه أخـذه أسير وسلمه لبعض خدمه وعاد إلى الميدان وطلب البراز من الفرسان فخرج اليه مدركة فأخذه وخرج عمار بن سعد فأسره وخرج بعده طارق الحجازى فأنزل به الذل والأسر وخرج راشد بن ضمره فأخـذه وقد حل به قهره وخرج بعـده ثلاثة من السودان فتركهم قتلا فى ساحـة الميدان وخرج بعـدهم معروف بن مالك فأسره وبرز اليه الأمير غياث فأخـذه وخرج من بعـده ميمون الجماس فأنزل به الذل واليأس وبرز اليه منصور بن خضر فتركه فى ذل الأسر وخرج مره بن فهر فأخذه وخرج مقلد الكلابى فأخذه ولم يزل على ذلك الحال وهو للابطال بمارس إلى أن أخذ خمسة وثلاثون وبعد ذلك أمسى المساء وأقبل الليل والظلماء وباتت المسلمين فى هموم واتراح إلى أن أصبح الصباح هذا وعقبه يوصى مزلقونا ويقول له إجتهد فى أسرهم وإلا أسرونا ويصفعونا حتى يعمونا فقال له ويلك من بقى منهم وقد اخذت أبطالهم فقال له عقبه أستيقظ من غفلتك وأنتبه من رقدتك فأبطالهم بعد ما خرجوا لمبارزتك بل إن أخذت ظالم وضيغم وسيف الحنيفية وقشعم فأنت منهم تسلم وإلا هؤلاء الذين أخذتهم ما هم رجال الهواش وكلهم لاش فى لاش فعنـد ذلك برز مزلقونا إلى الميدان فخرج اليه ظالم كأنه الأسـد الغضبان وفى يده حسام بتار قاطع للاعمار وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما نظر عقبه إلى ظالم وقد اشتغل بقتال مزلقونا أقبل على من معـه وقال لهم اعلموا إن هؤلاء المسلمين قد أسر أكثرهم وما بقى إلا أقلهم وهذا الملك مزلقونا ما فيكم مثلة فان قدر هذا المسلم عليه فهو يخلص أصحابه من يديه وإن ظفر مزلقونا به فما تبالون أنتم بأصحابه والرأى عندى أن تحملون كلـكم على أخوه لأنه فى الشجاعة مثل أبوه وإن قدرتم عليه فاقتلوه واحملوا عليهم لعلكم بعـد هذه النوبة تسلموا ولا تخالفونى تندموا (قال الراوى) ياساة يا كرام فركبوا عن بكرة أبيهم وحملوا على سيف الحنيفية وأصحابه فما فيهم إلا من أيقن بهلاكه وبواره

والتقت الخصوم بالخصوم وصارت الخيل تقع وتقوم وبعد ذلك عثر جواد سيف الحنيفية فصار ملقا بين بطارقة النصرانية فأخذوه أسير ولم يبق غير ظالم وضيغم وهم يقاتلون المائة لأن المسلمين أسروا أجمعين وأخذ البطال وغلمانه ونزل بكل واحد منهم هوانه فعند ذلك فرح عقبه بتلك النوبة التى تدبرت ونادى بأعلى صوته يالها من مسره قد أقبلت ولم يستتم عقبه ذلك المقال حتى نظر إلى غبار وقد طلع من تحت التلال ثم انكشف عن خمسة وأربعين من الرجال وفى أيديهم السيوف الصقال (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان السبب فى ذلك أن القوم الذين كانوا مع الأميره ذات الهمة كانوا صرعى على آخر نفس لأن عقبه ماكان قتل غير عشرة ووجد الآخرين مغشى عليهم فظن أنهم قد ماتوا فتركهم وأنهم قد نزل بهم ركب من العرب المتنصرة فعرفوا بأنهم السودان الغزاء ووجدا أكثرهم بالحياة فعند ذلك سقوهم فعادت اليهم أرواحهم ثم أطعموهم شيئا من الطعام وواظبوهم ثلاثة أيام ونحروا لهم خمسة من الجمال حتى عادت اليهم القوة وانصلح منهم الحال وبعد ذلك قالوا لهم بعد أن حصلت لكم السلامه والتوفيق نحن نخرجكم إلى الطريق ثم ساروا بهم يقطعون الربا والآكام إلى أن أشرفوا على ظالم وضيغم والمسلمين قد حل بهم الأسر والآلام (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك طعن الأمير ظالم لمزلقونا فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فعند ذلك حملت الفرسان وهم رجاله غير فرسان وأبرث قوائم الخيل وأنزلوا بالروم الذل والويل هذا وقد ترجلت الروم وكان ذلك اليوم يوم مذموم وأنزلت بهم السودان الذل والهوان ولم يسلم منهم إنسان الا عقبه والحكيم مرقان فاخذوهما وأطلقوا الأسارى الذين قد أخذوهما سابقا بعد ما أيقنوا بهلاكهما ثم إن الاميرظالم أقبل على عقبه ومسك بذقنه وقال له إلى كم يمهلك الله يا ملعون ثم أنه هز السيف فى يده حتى لمعت بوارقه وضرب الحكيم مرقان على عاتقه فأطلعه يلمع من علائقه ثم مال إلى عقبة وأراد أن يسقيه كأس النكبة فناداه يا ظالم لا تقتلنى فتبقى فى قلوب المسلمين حسرات لانهم يذكرون أن محمدا صلى الله عليه وسلم وعدهم بصلبي وأنت أيها الامير لا تقدر سوى على ضربى فقال البطال لما سمع ذلك المقال كف عنه أيها الامير يدك ولكن قيده وأحمله إلى والدك فهو يعذبه العذاب الشديد أو يفعل به ما يريد فعند ذلك تركه ظالم وهو على سلامته نادم ثم بعد ما استراحوا من هذا الأمر والقتال رحلوا وساروا يقطعون السهل والتلال هذا والسودان قد ركب بعضهم على خيل البطارقة وبعضهم ركب الجمال التى كانت معهم يريدون يحملوها

العدد والأثقال (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم أقبل أبو الهزاهز على عقبه وقال له ويلك يا ملعون تقول عنى بأنى ثور فو الله لابد ما أنزل بك العـذاب والجور وألطمك حتى يفور الدم من رأسك فورا ثم تقدم ونزل عن الذى كان محمولا عليه وحمله على أكتافه وقد أضمر أنه يورده تلافه ثم أنه سار به فصار تارة يقع به وتارة يقوم ويلطمه على رقبته حتى ورمت ثم جانب به ظالم وخاطب عقبة وقال له أنا ثور كما تقول وقد حملتـك على رقبتى (قال) فضحك الامير ظـالم وقال له يا أبو الهزاهز ما عدنا نسميك من اليوم إلا ثور (قال) ولما سمع من ظالم هـذا الكلام قال والله يا أمير لانطحنه برأس ما للجواميس مثل قرونها حتى تبصر من ينكسر قرنه قرنى أو قرنه (قال) فعند ذلك تضاحكت عليه الفرسان واشتفوا بما أنزل بعقبه من الهوان وقد أنزلوه من رقبة أبو الهزاهز بعد ما نطحه حتى شج رأسه ثم حملوه واستقاموا على الطريق وساروا وجدوا فى المسير من غير تعويق (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء وما تم لهم من الاسباب (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه لما انفصل ظالم عنه وراح بقى الامير على جمر اللظا إلى الصباح فعند ذلك ركبت الفرسان الخيول العتاق وقامت الدنيا على ساق ثم ان الملك الذى ضمن لميخائيل أخذ الامير عبد الوهاب خرج وطلب البراز فخرج اليه الامير عبد الوهاب وهو كثير الاكتئاب مشغول القلب لاجل الغياب لمثل ظالم وأبو محمد وميمونة والاميره وجميع الاحباب فانشد وجعل يقول

ألا ليت شعرى ما الذى كان منهمو وما فعلت أيامنا بالحبايب
لقد بعدت عنى الاميرة بعدما الفت محياها كألف الكواعب
وهل وصل الملعون عقبة منهمو إلى قتلهم بالمفصلات النوائب

(قال الراوى) ثم أنه حمل على خصمه وضايقه وأخذا فى الجولان وفتحا فى الارض ميدان هذا وميخائيل قد أشرف حتى ينظر ما يتم بينهما من الاسباب ووقف أبو الفرج المقرىء من خلف الامـير ثم ان الفارسين تطاعنا بالرمحين حتى تقصفت وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت وتقابضا باليدين وتعاركا على الجوادين (قال) فعند ذلك زعق الفارس الرومى ويلكم الحقونى وإلا أخذنى هـذا المسلم وتعدمونى فعند ذلك أمر ميخائيل للعساكر كلها أن تحمل فحملت كأنها الجبال والتقت الرجال بالرجال وتضاربا بالسيوف الصقال ودارت بينهم طاحون الآجال فقصرت الاعمار الطوال وقتل من أصحاب الامير خلق كثير لان الروم ترجلت منهم أربعمائة الف من البطارقة الثقال

ورمت خيل المسلمين بالنبال فقتلت خيل كثير ورجال وداموا على ذلك الحال إلى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال فعند ذلك افترق العسكران ونزل الفريقان وكان الظفر فى ذلك اليوم للكافرين وأيقن ميخائيل عند الصباح أن يملك جميع المسلمين فلما كان عند الصباح سارت العسكرين تطلب الكفاح وانتظروه المسلمين الأمير أن يخرج من مضربه فلم يخرج وتقدموا إليه ليبصروه فما وجدوه فضاقت صدورهم وحاروا فى أمورهم وأيقنت السودان والعرب فى ذلك اليوم بالعطب وأما سودان ميمونة فأقبلوا على بعضهم البعض وهم قد خافوا من الهلاك والذهاب وقالوا والله إن وقوعنا فى هذا الجمع ما هو صواب ولكن اهربوا بنا من قدام هؤلا الأمم وخلوا يعطب من يعطب ويسلم من يسلم لأن عبد الوهاب قد فقد ولا طلع له خبر فعن من نحامى ونلتى الهلاك من هذا العسكر فقال بعضهم ما هو صواب ولنا أسوة ببنى كلاب وأما المسلمين فانهم لما فقدوا الأمير حل بهم القلق والتحيير وأقبلوا على بعضهم البعض وقالوا الرأى أنكم تقدموا هذا الملك الذى عندكم أسير وكذلك البترك والرهبان وشومدرس الخنزير وهولوا عليهم بالقتل وعدم الحياة حتى يروهم الروم فان كان الأمير عندهم فهم يطلبوا المفاداة فعند ذلك طلبوا السودان الموكلون بشومدرس والبترك عضرطون ومن معهم من الرهبان فما وجدوا منهم إنسان فضاقت صدور المسلمين وحل بهم أمر عظيم (قال الراوى) وكان السبب فى هروبهم ذلك أن شومدرس لعب بعقول سودان ميمونة وقال لهم اعلموا أن الملكة ميمونة قد هلكت ومعها ذات الهمة وجماعة من السودان ولم يبق منهم إنسان وأنتم ترو هذه العساكر وقد أحدقت بكم وان لم تفعلوا ما أقول لكم والا هلكتم كلكم عن آخركم فقالوا له وما الذى تشير به علينا من الفعال فقال تطلقونا من هذا الأسر والاعتقال وانا أعطيكم مهما طلبتم من المال وان أردتم أن تقيموا عند الملك وأنتم على دينكم فهو يفرح بكم ويعطيكم وينعم عليكم ومن بنات البطارقة يزوجكم فقالوا لشومدرس لما سمعوا منه ذلك المقال قل لنا ما نصنع من الفعال فقال لهم أول الشيء تفكوا عنا هذه السلاسل والأغلال وان قدرتم على أخذ عبدالوهاب فهو أوفق لهذه الأسباب ولكن أريد أن تعلمونى الى أين مضى البطال فقالوا لا نعلم له خبر ثم أطلعوه على ما اتفقوا عليه من الأموال فقال ما لكم علم بتلك الحالات ويلكم أدركوا بنا الملك قبل الفوات وتمضى الساعة منكم عشرة الى عند الأمير عبد الوهاب وقولوا له أيها الأمير نحن الساعة على ما نحن عليه من حفظ ما وكلتنا به واذا بشيخ قد لاح الينا فقصدناه فى هذا الظلام الأسود فاذا به أبو محمد البطال فلما رآنا

وعرف أننا من السودان أقبل علينا وهو فرحان وقال لنا امضوا الساعة الى الأمير عبدالوهاب ودعوه يمضى معكم ويسرع بالعجل لأننى أريد أخذ الملك ميخائيل وبأخذه تنكسر الروم ويكون غدا صباحهم صباح ميشوم فإذا صار هنا وأنتم من حواليه فيخرج المقدم منكم اليه ويكون فى جماعه ويقبض عليه وبعد ذلك نسير تحت الليل على غير الطريق السالكه ونخرج من خلف العسكر نحن وأنتم وتدخلون على الملك ميخائيل وعبد الوهاب معكم فهذا يكون سبب غناكم (قال الراوى) فعند ذلك مضت السودان وفعلت ما أمرهم به شومدرس الخنزير ومضى معهم الأمير ولم يعلم بما تجرى به المقادير فوقعت عليه الرجال وأخذوه فى ساعته وقالوا له إن نطقت بكلمة قطعنا رأسك وأخمدنا أنفاسك (قال الراوى) فلما نظر الامير الى السودان وفعلهم علم شومدرس لعب بعقلهم فعند ذلك أداروا كتافه وشدوا أطرافه وأخذوه وساروا كلهم وشومدرس والرهبان أمامهم ثم قال لهم شومدرس اعلموا بأن الخيل لابد أن تجد فى طلبنا فاكمنوا باقى يومكم هاهنا وإذا جن الليل علنا سرنا وطلبنا عسكرنا ثم إنهم أقاموا ذلك اليوم مكمنين فلما أتى الليل ركبوا وساروا طالبين عساكر الكافرين إلا أنهم ما ساروا غير ساعة من الليل حتى سمعوا قدامهم حوافر الخيل فقال شومدرس لما سمع هذا الحس والليل قد اعتكر ظن أنها سيارة الملك ميخائيل فقال ابعثوا من يكشف لنا الخبر (قال الراوى) وكان هؤلاء القادمين فرسان المسلمين والملكه ميمونة والسودان المجاهدين وظالم فى أوائلهم وهو ينشد ويقول

ألا مبلغا عنا الأمير بأننا ... أتيناه بالشيخ اللعين الغادر
لنقتله والشيخ شورس الذى ... له حيل ما بين باد وحاضر
وسوف نذيق الروم فى صبح يومنا ... ضرابا بأسياف حداد بواتر

(قال الراوى) هذا والملكه ميمونة تقول والله لانتقمن اليوم من الروم ومن اللعين عقبة ولانزلن به نكبة وأى نكبه فلما سمعوا غلمان ميمونة كلامها عرفوها وأقبلوا بعضهم لبعض وقالوا والله هذه مولاتنا ولا فيها شك ولاهزل ومابقى من الرأى إلا أننا نقبض على هؤلاء القوم الكفرة ونلتقى أصحابنا ونقول هؤلاء لعبوا بعقولنا ثم إنهم أقبلوا على شومدرس والروم ومن معه وقالوا أتدرون ماهؤلاء القوم النادمين فأجابهم شومدرس اللعين وقال لاقالوا هؤلاء من ينزلوا بك البلاء وهذا ظالم ومن معه من الرجال وهذه ميمونة وذات الهمة والبطال ونقول ان معهم عقبة شيخ الضلال وقد عولوا على أن يصفعوا منك القذال وينزلوا على رأسك بالنعال فقال شومدرس

لما سمع منهم الكلام وقد حلت به الخيفه والله إن عقولكم خسيفة ويلكم اطلبوا غير هذه الطريق من قبل أن يحل بنا وبكم التعويق فقالوا له السودان قد عولنا على أمر ونحن نشاورك فيه فقال وما هو اكشفوا لى عن معانيه فقالوا قد عولنا على أن نلطمك حتى تورم رقبتك ونسحبك الى نحوهم بلحيتكم ونعتذر اليهم من فعلتك (قال الراوى) فلما سمع كلامهم قال لهم ويلكم لاتفعلوا واصبروا ولا تهملوا وأنا أعطيكم من المال كل ما تطلبوا فقالوا له اسكت ياقرنان فهذا شيء لا يكون أبدا فى هذا الزمان لأن مولاتنا ميمونة لها فضل علينا وإحسان وهى مالكة رقابنا دون كل إنسان ثم انهم بعد ذلك صاحوا الينا يامعاشر القادمين أبشروا بالنصر المبين فعند ذلك أتتهم الخيل وطلبت الصياح فى ظلام الليل وكان أول من سبق اليهم ظالم وقال ويلكم ما الخبر من أنتم الذين سائرين فى هذا البر الاقفر (قال الراوى) فعند ذلك أخبروه بقصتهم وما تم لهم من نوبتهم هذا والفرسان قد داروا بهم فى كل مكان وقبضوا على شومدوس ومن معه من الرهبان وكذلك الملك وحلوا الامير عبد الوهاب من الوثائق والعذاب واجتمعت الاحباب بالاحباب وفرحوا بهذا الاتفاق الذى ما يسطر مثله فى الاوراق ثم ساروا بقية ليلتهم وجدوا فى قطع التلال والهضاب والامير عبدالوهاب خائف على بنى كلاب (ياساده) وكانوا قد قاتلوا ذلك الكفرة اللئام وقد صبروا صبر الكرام ودام الحرب بينهم إلى أن انسدل الظلام ثم نزلوا وقد أيقنوا بالمعاطب ودارت بهم الروم من كل جانب وكان عليهم ليل طويل ومابقى لهم إلى الهرب سبيل فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح ركب الملك ميخائيل وأمر الروم بالحملة على المسلمين واذا بغبار قد علا وانكشف عن الامراء المجاهدين وهم مقبلين كأسد الغاب ومن بين أيديهم الأميرة ذات الهمة والملكه ميمونة والامير عبد الوهاب قال وكانت ميمونه قد عولت على ضرب رقاب السودان فقال لها الامير ما هذا صواب لأنهم قد لعب بعقولهم هذا الذى يلعب بعقول الملوك (قال الراوى) ولما وصل الأمير عبد الوهاب ومن معه من سادات بنى كلاب وعرفت الابطال الانجاب فعند ذلك قويت منهم القلوب ونعشت منهم النفوس وأيقنوا بذهاب الهم والبؤس هذا والامير قد كب رأسه فى قربوص سرجه وحمل ففعلت الابطال مثل ما فعل ولما نظرت الروم الى وصول الامير ومن معه ما منهم إلا من غاب صوابه وأيقن بعدمه ومصابه (قال الراوى) وكان أول من حمل وطلب العلم الاخضر والصليب الجوهر الامير عبد الوهاب ومعه رأس مزلقونا فعظم ذلك على ميخائيل وأيقنت الروم بالهلاك

الوبيل ثم ان الملك أقبل على وزيره وقال له ويلك لا بد من الحيلة تمت علينا حتى فشى سرنا وظهر أمرنا وقتلت رجالنا فقال له الوزير وحق المسيح ما كان هذا الكلام الذى ذكرتم إلا صحيح لأن مالنا سر مكتوم لا عن المسلمين ولا عن الروم وأنا أعلم بأن علينا من خواصنا عيون وهم الذين يعلمون المسلمين بما يكون ثم رجع ملك الروم ولم يقاتل ذلك النهار وكذلك رجع الامير عبد الوهاب فهذا ما كان من ملك الروم وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه قد افتقد عسكره فوجده قد فقد أكثره فعظم ذلك عليه وكبر لديه وأقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها ياأميرة مالنا إلا المبارزة والمطاولة لعل أن نظفر بهم لأن فى غيبتكم وفى النهار الذى قبض على فيه فنى أكثر العسكر فقالت الملكه ميمونه اعلم أن العساكر اذا هلك المقدم عليها لا يثبت أحد منهم وأنا قد رأيت من الرأى الذى أراه بأننى فى غداة غد أهجم على ملك النصرانية نسل الطغاة ولا أرجع حتى أخرج سنان رمحى من قفاه فقالت الاميرة وأنا معك وأعينك على هذا الأمر فقال الأمير ظالم وأنا الثالث فقال لهم الأمير لا كلام حتى يصبح الصباح وإذا طلع النهار طلبنا منهم البراز وأشبعناهم كفاح ثم انهم بعد ذلك غرقوا فى بحر المنام وقد سلموا أمرهم للملك العلام فلما طلع النهار ركبت العساكر من السادة الأخيار وكذلك فعلوا القوم الكفار بعد أن اصطفت الصفوف ثم خرجت ميمونه الى بين العسكرين وهى على جواد أدهم مثل الليل اذا أظلم وهى دهما راكبه أدهم وقد تعممت بعمامة سوداء وأحداقها احمرت حتى حكت العندم ثم نادت برفيع من صوتها اعلموا أيها الكافرون أن المكاثرة من أحوال الصبيان وما يركن اليها إلا كل جبان والمبارزة من أحوال الأبطال والشجعان (قال الراوى) فلما سمعت الروم مقالها صلبت على وجوهها وخرج اليها بطريق كأنه شعلة حريق فلم تمهله أن يوسع فى كره بل أوقعت سنانها فى صدره أطلعته يلمع من ظهره قال فلما نظر الملك الى ذلك حلت عنده هموم زائده وقال وحق المسيح ماجال صاحبنا مع هذا الفارس إلا جولة واحدة فخرج اليها ثانى فلم يكن لها مدانى وخرج الثالث وهو على قتلها قد عول فألحقته بالأول هذا وقد صارت البطارقة تخرج اليها وهم عليها حنقين الى أن قتلت منهم خمسة وعشرين ثم نادت يا أندال أما أنتم رجال يخرج منكم ثلاثين وإن شئتم خمسين أو مائة أو ألف حتى أوردكم كؤس الحتف فقال الملك وقد عظم عليه ذلك المصاب وقال هذا ما رأيناه من ذات الهمه ولا من عبد الوهاب فياقومى من هو هذا الفارس المهاب فقال الدمستق وقد كان عقبه ذكر فى كتابه أنه قد قبض على

ذات الهمة وهذه يقال لها الملكة ميمونة وذكر أنها امرأة سوداء وحكى عنها أنها أسرت عبد الوهاب قبل أن يتزوج بها وصالت أيضاً على ذات الهمة وما هى إلا هذه فانفذ إليها فقال للدمستق انتخب إليها مائة فانتخب لها مائة فارس من كل فارس فتولا وقال من أتانى برأسها وزنت له وزنها مال (قال الراوى) فعند ذلك خرجت إليها المائة بطريق وخرجوا على ميمونة كأنهم النار ذات الحريق قال وهذه قصة تضرب بها الأمثال وتتحدث بها الرجال وهى أن مائة فارس تخرج إلى امرأة ذات ضلع أعوج وعقل أهوج قال وإن الملكة ميمونة لما نظرت إلى ذلك الحال وشاهدت من برز لها من الرجال والأبطال نزلت عن جوادها وافتقدت حزامه لئلا يخونها وقت المجال ويبلغ العدو منها مرامه فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك التفت إلى الأمير وقال ماهذا صواب وهو أن نخلى الملكة ميمونة وحدها قدام هؤلاء الكلاب فقالت دع عنك هذا الخطاب ولا تخاف على ميمونة من هذه الأسباب لأننى أنا عرفت منها مالا تعرفه أنت فدعها تلتقيهم كلهم حتى يكون لها الهيبة فى قلوبهم (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك المقال سكت حتى ينظر على أى شىء يكون الحال هذا والبطارقة قد حملوا عليها فى ساحة الميدان فالتقتهم بصدر الحصان وعملت فيهم كما يعمل الذئب فى الأغنام هذا والفرسان قد تعبوا من صبرها ونظروا إلى حسن كرها وأيقنت الروم بأخذها هذا وقد فاجأها فارس يقال له شماطا بطعنة على غرتها وكان قد أتاها من وراءها واستغنم غفلتها فلما هجم عليها من وراء ظهرها لم تشعر إلا والرمح قد قرب من صدرها فأرمت السيف من كفها وأخذت الرمح بيدها وجذبته بقوتها فصارت فرس شموطا عندها ومسكت بيدها إلى عامود من حديد كان تحت ركابها وضربته عجلت منيته ثم إنها جعلت تبرى الرماح وقد كثر عليها الصياح من جميع النواح هذا وهى لم تكترث بصياحهم فأخذت الرمح وجعلت تلتقط به لبات الرجال ولم تزل على ذلك وهى كأنها الأسد العرين إلى أن طرحت منهم خمسة وأربعين فلما نظر الملك ميخائيل إلى كل من بارزها صار قتيل فقال أما تنظر أيها البترك إلى هذا الفارس النبيل فوحق الانجيل إن الروم الأراذيل ما فيهم لهذا الفارس مثيل (قال الراوى) فعند ذلك قال ملك من ملوك النصرانية يقال له طالوت المسيحى أيها الملك وحق المسيح ان هذا الفارس لاحت لى منه النجابة وانه صاحب خفه ورشاقة وأن هذه الرجال الذين خرجوا اليه ماهم به طاقة وسوف أتيك به الساعة أسير أو أتركه قتيل عفير ثم صاح بجواده وطلب الميدان فلما نظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك الشأن والى ما قد غدر والملاعين حين

رأوا التقصير من أصحابهم وقد قتل منهم خمسة وأربعين (قال) وأيضاً لما نظرت الأميرة الى طالوت وقد حمل قالت هذا فارس بطل وأخاف أن ينزل بميمونة حلول الأجل فقال لها الامير وعلى ماذا عولتي عليه أيتها الاميرة قالت اخرج اليه واشغله عن ميمونة ثم صاحت بجوادها حتى أدركته وصاحت ويلك يا كلب النصرانية ما هذا الفعل الذى فعلته لقد عدمت عقلك وبان غدرك وجهلك فدونك والحرب لا أم لك ولا أب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع كلامها ومرامها وأراد أن يجاوبها بجواب واذا بالمنادى وهو يسمع الخطاب ألا وانها أم الاسود الامير عبد الوهاب خذ حذرك منها والا أنزلت بك الهلاك المبين واقتلها فان قتلتها أحب الى من جميع المسلمين فلما سمع الخطاب حمل على الاميرة وأخذ معها فى الصدام وجرى بينهما حرب شديد يشيب الطفل الوليد ولم يزالا على ذلك الرواح حتى سمعت الاميرة فصنتت له واذا هو قد أذهل السامعين واذا هو صوت ميمونة وهى تصيح على الكافرين وقد قتلت ثمانين ونفروا من بين يديها الباقين وطلبت الامير فى ساحة المجال وقد علمت أن خصمها خلاف من لاقت من الرجال أرادت أن تعينها على ذلك البطل الصميدع فأشارت اليها الاميرة ذات الهمة بأن ترجع ثم أنها ضايقت خصمها فى الميدان وصوبت اليه رأس السنان فاختلف من بينهما طعنتان فسبقته الاميرة بالطعنة مفاجأة فوقع السنان فى فاه أطلعتها من قفاه ثم ان الاميرة جالت على شلوه وطلبت البراز فخرج اليها فارس على جواد أصفر عالى من الخيل مضمر فانقض عليها انقضاض القضى والقدر فلم تطل الاميرة معه بل ضربته على خودته نزل السيف الى قمته وكبرت الواحد الاحد وطلبت البراز فلم يبرز اليها أحد فعند ذلك أشارت للمسلمين بالحملة فحملوا على عساكر المشركين وسمع للسيف فى الرؤوس طنين وما ثبتت الروم غير ساعة واحدة وأعطت القفى وتبعتهم أمة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ولم يبق أحد من الملوك الا وانهزم وحل بهم الهلاك والعدم وطلبوا آمد الى الملك راقونا الذى تقدم ذكره هذا وميخائيل فى أوائلهم هارب وقد حلت به وبمن معه المصائب ولم يرى أحد أعظم من تلك الكسرة وفرحوا المسلمين بالسلامة والنصرة وحازوا من الاموال والاثقال والانعام والجمال والاعلام والخيال أما ما لا يحصيه الا الملك العلام واستغنت بنو كلاب والسودان والانجاب وحل لهم النصرة على عبدة الصلبان (قال الراوى) يا سادة يا كرام وان الملكة ميمونة لما خلا سرها من القتال ضربت رقاب السودان وأنزلت بهم الهوان والتدمير

وهم الذين كانوا عملوا على الأمير فلما علم الأمير بذلك صعب عليه ذلك وقال لها من ذا الذى حملك على هذا الأمر الذى فعلتيه فقالت حتى لا يرجع أحداً يطمع فى مثل هذا الفعال ولا يعمل على أحد من الرجال فلا تقول إن ما كنا لاقيناك ما كنت اليوم عند ميخائيل تقاسى الأسر والعذاب ثم إنها من وقتها ادعت بمقدمين سودانها وضربتهم بالعصى قدامها وقالت لولا أنتم غفلتم على أصحابكم ما تم على الأمير ما تم منكم وأنا أقسم بالله لو تم على الأمير فى هذه النوبة أمراً لكنت ضربت منكم ألف رقبة فعند ذلك اعتذروا إليها فيما جرى وكان ووقعت هيبتها فى قلوب السودان (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا والأمير حل به أمر عظيم وهو مشغول القلب بآمد ومن فيها من الحريم فسار عند ذلك طالباً إليها من خوفه عليها وتسامعت به العرب والأكراد فأتت إليه من سائر البلاد وأما ميخائيل فانه لم يزل سائر بعد ما قاسى تلك الشدائد حتى وصل إلى آمد فلما سمع الملك قراقونا بقدومه ونظر إلى عساكره مكسورة معه غلق الباب فى وجهه وعطعطت عليه الكفار من فوق الأصوار وقال له قراقونا لعن المسيح قوماً تكون أنت ملكهم وأنت بهذا الادبار لأن هذا الذى فعلتموه غاية المذلة والعار (قال) فعند ذلك سار البترك إليه ودخل عليه وخوفه من ذلك الفعل الذميم ولامه كيف غلق البـــاب فى وجه الملك ولم يزل البترك يورد له الأقاويل ويأتيه بأخبار كلها زور وأباطيل حتى فتح الباب إلى ميخائيل ولمه إلى صدره وقبل غرته ثم إن قراقونا سأل ميخائيل عن عقبة وما جرى له فى تلك النوبة وأخبره بما تم له من النكبة وكيف وصلت أذية المسلمين إليه فعظم ذلك عليه وفرك من شدة الغيظ يديه وقال وحق المسيح ما أتيت من جزيرة الضرس إلى هذه البلاد إلا شوقاً إلى نظرة من دون العباد لأن كتبه كانت تصل الى فى كل عام على ممر الشهور والأيام وبعد ذلك ما قضى الى به القضاء أن ألقاه ولا أنظره ولا أراه لأن كتبه تدل على أنه خبير بتصاريف الزمان وتشهد بأنه أعلم من كل بترك ومطران وأنه فى دين النصرانية أخبر من جميع القسوس والرهبان وصاحب علم غزير وأجل منزلة من البترك الكبير فقال ميخائيل لقد صدقت وحق السيد المسيح لأن ما فى الأرض مثل هذا الشيخ النجيح وبعد ذلك فانه هو والبترك عضريطون وجميع الرهبان أسارى وكلهم فى الذل والهوان ثم ان الملك ميخائيل أقبل على الملك قراقونا وجعل يخبره بفضائل عقبة ويحدثه بمكره وحيله على المسلمين ومنافعه وتعصبه للمشركين ثم انهم بعد ذلك الكلام أقاموا منتظرين عساكر المسلمين (قال

الراوى) يا سادة يا كرام فلما كان فى بعض الأيام طلعت غبرة عظيمة وقتام وكثر الغبار ثم بانت الصناجق الاسلامية والرايات المحمدية وارتفعت أصواتهم بالصلاة على خير البرية صلى الله عليه وسلم (وأما) المأسورين والمأسورات الذين هم فى آمد فانهم كانوا فى ضيق وشدائد وطال عليهم المدا وهم يقاسون الضر والأذى وكانوا أكثر من ثلاثين ألف أسير ما بين شيخ وكبير وامرأة وطفل صغير فلما كان ذلك اليوم سمعوا المأسورين التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم واستبشروا بقدوم المسلمين وأيقنوا بخلاصهم من المشركين فلما وصلت عساكر الاسلام قال قراقونا اللعين للملك ميخائيل وحق السيدالمسيح وأمه القديسةوالذبيح والبيع المنكوسة لا قاتل معى فى ذلك اليوم أحد غير ولدى ميلوسا وأنزل بالمسلمين ضرا وبؤساً ثم قسم قراقونا عسكره نصفين وكان كل قسم عدده مائتين ألف ثم ادعا بولده ميلوسا وكان له من العمر عشرين سنة الا انه ماكان يعوز من الفيل الا خرطومه ومن الجاموس الا قرونه فلما ندبه أبوه الى قتال المسلمين فرح اللعين (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعند ذلك حمل الأمير عبد الوهاب بمن معه من الأبطال وحمل ميلوسنا ابن قراقونا فى مائتى ألف وتصادمت الخيل فى بعضها البعض وارتجت الأرض من كثرة الركض وارتفعت من الفرسان أصواتها وأيقنت الأرواح بمماتها لأن عسكر الأمير كان أكثره ما أتى الا فى طلب الغنيمة والنهب وماكانوا من رجال الحرب وماكان معه من يثبت للقتال والضرب الا أبطال بنى كلاب فلما صدمهم ميلوسا بمن معه من الفرسان المسرعة انهزمت العساكر المجمعة ونظرت بنى كلاب الى هزيمتهم وكيف مضوا وخلوهم فانهزم منهم جماعة وتبعوهم فلما نظرت الاميرة ذات الهمة الى ذلك الامر الخطير ترجلت وترجل الامير وعملت مثل عملهم بنو كلاب وهجمت على الروم الكلاب فلما نظرت ميمونة الى ذلك البلا قالت لمن معها لا يحمل أحداً منكم حتى أحمل أنا لان الروم الكلاب لابد لهم أن يترجلوا فى طلب الامير عبد الوهاب واذا ترجلوا وحملوا كشفوا رؤوسكم واحملوا وأنا أقسم بمن حرك الحواس كل من رأيته منكم مغطى الرأس أخمدت منه الانفاس وأنا مقصدى بذلك الا انهم اذا رأوا رؤوسكم فانها رؤوس العفار فيحيل بهم الموت المميت وأول من يكشف رأسه أنا وأقتحم قسطل الغبار ولا على فى ذلك فضيحة ولا عار اذا كان ذلك فى طاعة العزيز الغفار

فلم تكن (ياساده) إلا ساعة حتى ترجلت الروم وأقبلوا كالغيث اذا انسكب من العتوم فعند ذلك كشفت ميمونه رأسها فلاح لها شعر اسود مثل الغسق وفعلت السودان مثل فعالها كما بينهم اتفق وصاحت : يا آل حام يا آل حام يا أبناء الكرام أنا بنت الملك الدمدمان فجاوبتها السودان من كل مكان وهجموا على الروم كأنهم الغيلان (قال الراوى) وكان فى أصحاب الملك (قراقونا) أقوام عمرهم ماراوا سودان ولا خطر ببالهم على طول الزمان أحد لونه أسود فلما نظروا فى ذلك اليوم الى السودان أخذهم الفزع والرجفان فهجمت السودان على الصفوف وضربوهم بالسيوف . هذا وميمونه قد خاضت العجاج وأرمت القوم أفراداً وأزواج فلما نظر (ميلوسا) ابن قراقونا اليها قوم سنانه وحمل عليها وتلقاها برأس السنان وقد علم أنها المقدمة على السودان (قال) فلما نظرته ميمونه تلقته وحملت عليه وقالت هذا لا شك مقدم الجيش لعظم خلقته وان أسرته لم يثبت أخذه من بعد ثم أكرت عليه كأنها الأسد الأكرد فألقى (ميلوسا) روحه عليها وظن أنها ذات الهمه وتطاعنا ملياً وتضاربا وفيا ثم التصقا وافترقا وفتحا فى الارض ميداناً وأجادوا ضربا وطعانا فاختلف بينهما ضربتان قاطعتان واصلتان من ساعدان شديدان فكان سيف ميمونه أسبق اليه من سيفه اليها فوقع على رأسه نزل الى أضراسه ووقع سيفه على عنق جوادها لما هجم عليها فبرى رقبته كما يبرى البارى القلم فوقعت الى الارض وانقلب الجواد عليها فأحدقت بها الرجال من كل جانب ومكان وطعنوها بالرماح وضربوها بالقواضب الصفاح وما عند الامير عبد الوهاب منها خبر من تلك الأسباب وأخذت من تحت حوافر الخيل أسيرة جريحة لأن نخذها كان تحت الجواد لما وقع عليها وقد أثخنت بالحديد الذى كان عليها وحمل (قراقونا) فى مائة ألف من الكافرين ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل طول النهار الى الليل حتى كلت الخيل وزاد على الروم البلاء والويل (قال الراوى) ياساده يا كرام فعند ذلك نادوا الفريقين بالانفصال ورجعت كل طائفة الى مكانها وأقبل الظلام فعند ذلك افتقد الامير عبد الوهاب لعقبة وشومدرس لأنه كان وكل بهم برد بن الأزهر ومالك بن طوق ومائة فارس وطلب الأمير ميمونة فلم يجدها بين الناس فوقع به الوسواس وسأل عنها الرجال فقيل له قد رأيناها وقد فعلت ماهو كذا وكذا وما أخذت إلا بهذه الصفة لأن الجواد قد أصيب بنفسه وأصيبت هى من بعده ولم نقدر على الوصول اليها وقد اشتغل كل واحد منا بنفسه فبكى الأميرعبد الوهاب ولم يقدر أن يتجلد وقد

جعلت الأمير ذات الهمة متغيرة على ذلك رحمة على ولدها وقالت له قلل من البكاء فقال الأمير عبد الوهاب والله ما أبكى إلا لأجل نصرة الاسلام من مثلها إلا أن مانظر أحداً شكاها وقد قالت بعد ما انكسرالملك ميخائيل من بغداد وحق من رفع السماء بغير عمد لاعدت تركتك فتعرض لى بحال من الأحوال لأننى ما أبرح راكعة ساجدة وبسيفى فى يمينى شاهرة فى سبيل الله تعالى واعتمادى عليه وأنا أحبها لأجل ذلك قال فبكت الاميرة ذات الهمة وبكوا الناس لما سمعوا ذلك وقالوا هذه صفة المسلمين الذين مدحهم الله تعالى (قال الراوى) ياساده ياكرام وقد حملت الملكة ميمونة الى الملك قراقونا وقيل له هذه الملكه ميمونة زوجة الأسود الزنيم اللئيم وهى على ماوصفت الشيخ النجيح انها أعظم من الاميرة ذات الهمه. هذا وقد نظر قراقونا الى الملكه ميمونه والى حسن سوادها وتجعيد شعرها بعد أن كان معول على قتلها فوقعت فى قلبه محبتها وكان ذلك سببا لسلامتها وكان معول على قتلها فوقعت اليه محبتها وقد تفقد جراحها بالدواء واذا هى بها جراح سليمة فشدوها ورفعها الى البرج الذى فيه الأسارى (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وقدأصبح الله بالصباح وقعد الأمير عبد الوهاب على مقالى النار من أجل زوجته وهو لايعلم بماكان منها هذا وقد ركب الملك ميخائيل الى قراقونا فى سائر العساكر وطلبوا البراز الى المسلمين ولما نزلوا الى الميدان وموقف الحرب والطعان ورتبوا صفوفهم واستعدوا للقتال والامير عبد الوهاب قد أقبل على السودان وقال لهم قد أنقلت عنا العساكر وهذا عسكر مثل البحر الزاخر وما يوافقنا إلا الصبر ياقوم فى المعاملة وارموا الدنيا من وراء ظهوركم واستقبلوا الآخرة بوجوهكم فقالوا الكل فى صوت واحد: أيها الأمير هذا غاية مرادنا وسوف ترى اليوم قتالنا وحربنا ونزالنا ثم انهم حملوا على الروم حملة واحدة وكانت حملة صادقة تهد الجبال وتقصر الاعمار الطوال وفى دون ساعة اشتد القتال وعظم النزال ودام الزلزال وكثرت الأهوال واسود من كثرة الغبار فى الجو وعدم الضوء وكثر النور ساعة من النهار واذا بجماعة من البطارقة أشارت على الروم بالرجوع وانحدر (قراقونا) إلى وسط الميدان وأشار بيده ورأس السنان الى الامير عبدالوهاب وقال دونك أنت ملك وأنا ملك فعوّل الأميرأن يخرج اليه فمنعته الأميرة من ذلك وقفزت بجوادها الى الميدان فتأخر (قراقونا) إلى ورائه وأشار الى قومه بالحملة فحملت بعد ما كانت تأخرت وعلى القتال عولت عند ذلك حملت الطوائف على الطوائف وعاد الجبان قلبه خائف وكثر الجراح والكلام وسار الغبار كأنه

الغيوم والخيل تقع ولا تقوم ولم تزل الحروب قائمة والرجال متلازمة إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار فرجعوا عن الحرب ونزلت كل طائفة فى مكانها وتحارست فتيانها وقد أحاطت الروم بالإسلام من كل جانب ومكان وطمع ميخائيل فى الاسلام لما رأى العساكر تفللت (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا جرى ههنا وأما ما كان من (قراقونا) فإنه ترك العساكر خارج البلد ودخل الى أمه لما وضعت الحرب أوزارها وأظلمت الدنيا وأقطارها وجلس وأحضر ميمونة قدامه وطلبت نفسه وصالها فأمر غلمانه أن تأتيه بصناديق الأموال والجواهر واللآلئ وكان قصده أن يميل قلب ميمونة اليه بكثرة الاموال وتعطيه كل ماخطر بباله فلما أن رأت إلى تلك الأموال وكثرتها قال لها قراقونا بلسان العرب أيتها الملكة هذا كله لك وبين يديك وأنا أكون عبدك وخادمك ولاأبخل بروحى عليك واعلمى أن جزيرتى يقال لها جزيرة الضرس وفيها قلعة على رأس جبل نابت فى وسط البحر شاهق فى الهوى ما لأحد عليها طريق ولا إليها تسليق وفيها جندى وقومى وأهلى وعشيرتى وفيها عالم عظيم كلهم من تحت أمرى ونهيي وسائر بلاد الروم تأتيها بالتجارات ويقصدونها من جميع الجهات وأتزوج بك على مذهب السيد المسيح والإنجيل وتكونى سيدة ملك الروم ميخائيل لأنه فى حكمى وتحت نهيي وأمرى وإن أبيت ذلك أصب عليك العذاب صبا الذى لا تطيقيه ولا قدرة لك عليه (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ميمونة ذلك المقال من (قراقونا) قالت له أيها الملك الجاهل فى المقال والفعال المعجب بنفسه وماله بين الأنام أما ماذكرت من الاموال وكثرتها فما أنت بأكثر مال من قارون الذى كان له ألف بغل تحمل مفاتيح بيوت الأموال ولا من إرم الذى أنشأ إرم ذات العماد الذى بنى له عمارة وجعلها لبنة من فضة ولبنة من ذهب ورصعها باللؤلؤ والجوهر المنتخب فلما أن أتاه أمر الله ما نفعته داره ولا منعت عنه أنصاره وقال الشاعر فى حقه :

لاتغرنك نفسك بالمال الذى أنت جامعه ... واخزن فانك بجمع المال مخزون
لو كان يفتخر بالمال جامعه ... لكان أفخر خلق الله قارون

وأما ما ذكرت من حصنك وقلعتك فان الموت لايرهب القلاع ولا الحصون فلا تغتر ياهذا بما ذكرت واعلم أنه قليل زائل وإنك تخلى الأطلال والمنازل فارجع إلى دين الاسلام من قريب عسى أن يغفر لك القريب المجيب وتنجو من النار والتعذيب (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن كلامها وقع على قلب

(قراقونا) أحلى من الجلاب لأن المحب يستعذب من حبيبه مر الخطاب على كل حال إن كان سيئا أو حسناً فقال لها أنا الساعة أبطل ذلك المقال وأقوم أنا وأباك الى الصراع وقوة الزند والباع فإن أنا صرعتك وغلبتك تكونى بحكمى وتدخلى فى دينى وإن أنت صرعتيني أطلق سراحك وأعتقك فقالت رضيت بما تقول غير انك تحضر القسوس والرهبان حتى يشهدون عليك بما تقول وكان ظن قراقونا أنه يغلبها وتطيعه عما فى قلبي منها من المحبة والهوى وتباريح الجوى ثم انه أحضر القسوس والرهبان وأعلمهم بما صار بينهم من المقال ثم حلها من وثاقها فقامت على حيلها وملكت نفسها كأنها بعير حل من قيود ووثب قراقونا إلى نحوها ثم انهما تقابضا وتلازما وتماسكا وتجاذبا ثم إن قراقونا صاح صيحة عظيمة وجذبها الى عنده فوجد ما أمله بعيد ووصوله اليها صعب شديد ثم انها طاولته وماحكته ساعة حتى علمت أن حيله تناقص وضعفت قواه فلطمته بين أكتافه وإذا بأعلاه رجلاه فوقع الى الأرض وقد خلعت قلبه من تلك اللطمة ثم انه قام والخجل قد علاه والقسوس والرهبان الذين حداه ولو كان معها حسام كانت أحمت نفسها من كل من حولها وربما قتلت قراقونا ثم انه صاح فيمن حوله من البطارقة يعيدوها الى الشد والعقال ففعلوا ذلك ووضعها فى قيد وتركها فى مكان وبات طول ليلته يتألم ويتوجع الى أن طلع الفجر وبان أمر بفتح الباب وخرج ومن حوله قومه وغلمانه وكان ميخائيل قد ركب وتكاملوا البطارقة من حواليه ووصل قراقرنا فصكع له ميخائيل وخدم وقال له ياملك على ماذا عولت أن تفعل قال على قتال المسلمين وأفنيهم أجمعين عند دلك تصففت السيوف وترتبت الألوف وكان الامير عبد الوهاب أيقظ منهم محترز على روحه إلا انه زائد الافتكار على ميمونة وقد تحقق أنها مأسورة وهو من أجلها مشغول القلب والفؤاد وأبو يخلف المغربى يقول له يامولاى هون عن قلبك هذا البلاء فأنا وأنت فى المصيبة سواء لأنك أصبت فى ميمونة وأنا أصبت فى شمسه عسى ربى أن يخلصهما سريعا وينزل على أعداءنا الهلاك للجميع فصاح به الأمير: قم ياقرنان من وجهى وإلاتركت السودان يصفعوك فقال يامولاى الصفع لى فيه راحة من البكاء لأن أسر شمسه وحبها قل منى الحيل والقوى فضحك الأمير من وسط الغيظ وزاد به اهتمامه وقد نظر الى الروم صفوا صفوفهم فأقبل على الأعراب وقال ياقوم اعلموا أننا فى المصيبة سواء وقد عميت أبصارنا وصممت آذاننا وأنتم مافيكم إلا من له فى آمد الزوجة والاثنين والولد والولدين والأخ والأخوين فقالوا كلهم عن لسان واحد : أيها الأمير لاخير

فى الدنيا بعد فراق الاحباب (قال الراوى) ياساده يا كرام واذا بفارس خرج واشتهر من عسكر الروم على جواد كأنه ظلوم يسبق برق الغيوم وبادر واشتهر كأنه نار سقر وعلى صدره زرد مضاعف العدد كأنه عيون الجرد لايقطع فيها الصارم المهند ولا الرمح المسدد ومن فوقها ثوب أصفر مفرد على رأسه بيضة عادية ململة مجلية شاهر سيف كأنه صاعقة لمعانه بارقه ومضاربه ماحقه على جواد أجرد له قوائم كأنها عمد ولما أن صار فى وسط الميدان كشف عن وجهه برقع الزرد فبان له وجه جميل وقد أسبل وكان ذلك الغلام من أولاد أكابر البطارقة وصاح بالرومى اخرجوا إلى ياأهل الإيمان حتى أريكم كيف يكون مقام الشجعان فما تم كلامه حتى قفز اليه راشد ابن ضمرة وهو راكب على حجرة سابقه تسبق البروق البارقه وهو معتقل برمح وفى شماله طارقه وحمل على الرومى وهو ينشد ويقول :

دونك كلب الروم حرب ابن راشد غشمشم فى الحرب غـــير عائد
فى طاعة الله الملك الواحـــد منزه عن صاحب ووالد
سوف ترى انى أسـد ماجد يضرب فى الهيجا على المعاضـد

(قال الراوى) ياساده ياكرام وحمل راشد فتركه يصول ولايجول دون أن ضربه راشد ضربة تركه على الارض مجدول فخرج اليه ثانى قتله وثالث جندله ورابع جعله لأصحابه تابع وخامس وسادس وسابع إلى أن قتل عشرة فوارس وأسر أربعة فقال (قراقونا) لاشك أن هذا عبد الوهاب زوج ميمونة وان لم أقتله ما أنال منها غرض فخرج اليه قراقونا وساواه فى الميدان وصاح فيه ياشيخ العرب وحمالة الجلة والحطب دع عنك هذا الاعجاب فإنك فى قولك كذاب وانك ما ظفرت إلا بالدون وأنت لم تزل مغبون ولا خرج اليك فارس مذكور ولابطل مشهور وهاأنا قد خرجت اليك حتى ألقى العذاب عليك ثم حمل على راشد بعد ماصلب على وجهه فتلقاه راشد بصدر منشرح وغلب عليه الفرح وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وجرى بينهما ماحير الناظر وأدهش الخاطر وحام على رؤوسها من الحمام طائر هذا وقراقونا صاح فى راشد صيحة عظيمة أدهشه وأرعشه وحيره وهجم عليه وهو فى حيرته أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى أصحابه ورجع الى الميدان وصاح يافرسان الاسلام لايخرج لى الأمير عبد الوهاب فانى قد أسرت عروسه وسوف أسكنه رمسه (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما نظر الامير الى راشد وقد أسر وسمع ماسمع كادت مرارته أن تنفطر وحمل عليه وهو على جواد قليل المثال وأشار اليه وقال

ألا أيها المغرور دونك ماجد　صدوقا بلا كذوب وفيا بلا مهل
عفيفا شجاعا صادق القول لم يكن　له ريبة فيما يقول بلا فعل
وإن كنت تزعم أنك اليوم واصل　الينا ونلت القصد يا صاح والسؤل
كذبت وبيت الله ما أنت واصل　إلى ذلهم فى الدين منزلة الفضل
وحق الذى جاز السموات عابرا　إلى قاب قوسين الجلال مع السبل
نبى الهدى خير الورى قاتل العدا　حليف الندا والجو والبر والبذل
لأقتحمن الحرب حتى تخالها　من أجل إشتدادا الحرب نارلها شعل
وصلوا بنا ياسامعين على النبى　محمد خير الخلق جمعا مع الرسل

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما أن سمع قرافونا شعر الأمير فلم يجبه بجواب ولا أبدا خطاب دون أن حمل عليه كأنه شهاب وصاح فيه سوف ترى يا عربى من يكون المصاب ومن ينزل عليه اليم العذاب ومن يكون معفر على وجه الأرض بالتراب ثم أنهم حملوا على بعضهم بعض وضجت من تحت أرجل خيلهم الارض وجالا طويلا واعتركا عراكا وبيلا وتضاربا بالسيوف التى هى أعجل لشرب كاسات الحتوف وسمع لهما قرقعة على الدرق وكثر منهما القلق وأزور الحدق وكانا تارة يظهران وتارة يختفيان وتارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وقد حجبهما الغبار من أعين النظار وكان ذلك قدر ساعتين من النهار ووقفا عن القتال وكل واحد ينظر إلى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا ثم أنهما رجعا إلى ماكانا عليه من الحرب والطعن والضرب وأخذوا فى القتال بالسيوف الصقال ولم يزالوا على ذلك الحال وتلك المنوال إلى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونادى مناديهم بالانفصال وكان قراقونا رأى فى نفسه تقصير مع الامير والامير كلما طال عليه النهار ازداد نشاطا وقوة وانبساطا ولما رجع عنه علم أنه رجع اليه عجل محاقه فرجع الى آمد وهو لايصدق بالنجاة كذلك الامير عبد الوهاب رجع مقهور من أجل ميمونة ومن أجل النساء والاولاد والاموال التى فى آمد ولا له نجدة تأتى اليه والعدو كثير بين يديه فشكى حاله وأمره الى الذى خلقه والى والدته فقالت له يا ولدى سوف ترى من ألطاف البارى جل وعلا ما لم يكن فى الحساب وقد باتت المسلمين يعضون على الانامل مماجرى عليهم من ذلك الهم الفاضل (قال الراوى) وأما ميخائيل فانه جمع وجوه قومه وقال لهم هذا أمر يطول مع هؤلاء الرجال الفحول ولعمرى أنها فضيحة وعار وذل وشنار أن نكون فى ذلك العالم العظيم الذى كأنه الليل البهيم وأعداؤنا فى تلك الطائفة اليسيرة والعصابة الحقيره وقد ثبتوا قدامنا

الثبات وأنا فى غد ما أسمع قول القائل ولا أدع أحد يبارز ولا يناضل بل أقسم العسكر أربعة أقسام فيكون كل قسم ستمائة الف قسم يقاتل من أول النهار إلى نصفه والقسم الآخر يقاتل من نصف النهار إلى آخره والقسم الثالث يقاتل من أول الليل إلى نصفه والقسم الرابع يقاتل من نصف الليل إلى طلوع الفجر وأطاولهم بالقتال الليل والنهار وغدوا وابتكار الى أن يهلكوا ويفنوا بالصارم البتار (قال الراوى) هذا ما كان من ميخائيل (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لايدرى بما دبروا اللئام فلا يشعر عند الصباح إلا والأبطال جردت الصفاح وركبت الخيل الجرد القداح وطلبت الحرب والكفاح حتى زلزلت الأرض والبطاح فعندها ركب الأمير عبد الوهاب وركبت الأميره سيدة الاعراب قدام الأصحاب ثم إن الأميره ضمت السودان إلى بعضهم والاعراب ناحية عنهم وإذا بالجاسوس وصل واعلم الامير عبد الوهاب بما دبر الملعون ميخائيل والوغد اللئيم وأنهم عزموا على أنهم يتقاسموا عليكم فرقة بعد فرقة أناء الليل وأطراف النهار ويوصلوا اليكم المشقة فقال الأمير هذه نوبة يكثر فيها هلاك الرجال وفناء الأبطال فقالت الأميره ياولدى أنت فى السودان وأنا فى العرب وتلقاهم أنت تارة وأنا أخرى بعد أن نعلق على الخيل ونسقيها ونأكل ما يمسك رمق الفؤاد (قال الناقل لهذا الخطاب) فقال الأمير هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب وكان قرافونا أرسل إلى ميخائيل قاتل أنت اليوم وأنا أقاتل غدا فأجاب إلى ذلك ثم إن ميخائيل أدعى بخمس ملوك وأمرهم أن يقاتلوا عبد الوهاب إلى وقت الظهر ثم رجعوا الخمس ملوك وانعزلوا وتقدم غيرهم فانعزل عبد الوهاب بمن معه وتقدمت الاميره بمن معها هذا والسودان فرشوا الارض من القتلى فصاحوا الروم نحن ما نقاتل السودان ارجعوا حتى تقاتلوا غيرنا فقالت الطائفة الاخرى لا نسمع ولا نطيع ولا يقاتلهم غيركم عند ذلك وقع الخلف بين عساكر ميخائيل فتضاربوا مع بعضهم فسأل ميخائيل عن الخبر فاخبروه بما جرى فأفصل بينهم وباتوا ليلتهم الى أن أصبح الصباح فوجدوا باب آمد مفتوح ولكن ما خرج منها أحدا فانكر ميخائيل ذلك وأرسل يكشف الخبر فقالوا أيها الملك ان قرافونا ما أصنع له خبر فى آمد ولا جلية أثر وأنه رحل من أول الليل وترك أخيه لوقا لانه كان يرى الى الابواب ولما علم ميخائيل بذلك قال وحق المسيح ما رحل قرافونا الا الى القسطنطونية وملك سريرى ولا يرجع يخلص من يده والعالم كلها تطيعه وأيضا جزيرته فيها عالم عظيم ثم انه من ساعته أمر الرجال بالرحيل فرحل من وقته وصاح فيمن معه من الرجال دونكم والجد فى المسير فعلم بهم الامير

عبد الوهاب فقال لاصحابه دونكم وهؤلاء الاندال وتبعتهم الرجال تقتل وتنهب فى الاموال والعيال والخيل والبغال وشيء يكل عن وصفه اللسان ورجع الامير الى آمد فوجد الماسورات على حالهم ولم يفقد منهم الا ميمونه وشمسه زوجة أبو يخلف والسيدة زبيدة بنت القاسم ونورى زوجة البطال وزنانير زوجة لؤلؤ أخذهم قراقونا ومضى بهم الى جزيرته وقال لاخيه الحقنى بعد ثلاثة أيام وأخذ معه أكثر عساكره وما خلا عند أخيه الا القليل من الرجال ولما أن وصل قراقونا الى ساحل البحر وجد هناك مراكبه الذى أتى فيها فنزل على الساحل الى أن أتاه أخاه ونزلوا فى المركب وقصدوا الى جزيرتهم وسوف نذكر أخبارهم (قال الراوى) وكان قراقونا فعل ذلك الفعال لاجل محبته الى ميمونه وما لاقاه من الامير عبد الوهاب فى الحرب لانه لم يقدر عليه وأيضا لم يصبر على فراق ميمونه فأخذها وأخذ نورى وقد علم أنها بنت عين المسيح وأخذ معها من أخذ من النسوة وقد علم أنهم من أصحاب الانساب ورحل بهم الى أرضه وبلاده (قال الراوى) فهذا ما كان من قراقونا (وأما ما كان) من ميخائيل فانه رحل خوفا على بلده ومحل ملكه وسأل على قراقونا فقالوا له مضى الى جزيرته وأخذ معه أموال الاسلام التى كانت فى آمد فقال وحق المسيح لابد لى أن أعمر المراكب وأسير اليـــه ولو كان فى آخر الجزائر فقالو له أرباب دولته يا ملك لاتقسم بالمسيح فانه اذا هل الى دياره لايقدر عليه أحد لان مكانه حصين وهى قلعة الضرس لانها من فوق سن جبل عالى وهو فى البحر وتفرقت الاجناد والروم الى بلادها (قال الراوى) فهذا كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه أقام فى آمد وفرحت بنى عامر وكلاب بنساها وأولادها ولم يفقــد غير الذى ذكرناه وقد أصيب الامير فى أهله وأبى محمد فى زوجته فبكى الامير من شدة الغيظ والغبينة فقالت له الاميره ياولدى ان الله تبارك وتعالى قد فرق جمع الروم ولابد أن تكتب كتاب الى ملك الروم ميخائيل وتذكر فيه ان عساكر خراسان قد وصلت الى الخليفة ولو لحق بكم ما كان يرجع منكم أحد وأيضا أنت وغيرك تعرفنا ولا تنكرنا ونحن الذين فتحنا البلاد أول وآخر من أقطارها وبلادها وأمصارها وأنت قد أخذت ميمونه ونورى والسيدة زبيده وزنانير وأنت تعرف وولد القناصة فانه يخرب البلاد من أجلها فأرسلها الينا ومن معها من النسوة والا الحرب بيننا وبينك قائم وحق الملك الدايم ولا بد أن أسير اليك وأنزل عليك البلا والمصايب ولا أرجع لما آخذ أنفاسك وأعدمك أهلك وناسك وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر وها أنا منتظر بما

يرد الجواب وأسير اليك بعساكر الشام والعراق وانهب بلاد الروم لا أخلى لكم قايمة تقوم فقال الأمير لله درك أيتها الأميره ما أسرع رأيك وما أخبرك بالصواب ثم انه أمر البطال ان يكتب كتاب بهذا الخطاب فكتب من وقته كتاب بمثل ذلك وختمهوادعى بميمون الجماس وضم اليه عشرة من السودان كل واحديقوم مقام المائة وكان ذلك برأى البطال مثل ميمون الجماس وحازم وهادم والقعقاع وأبو كراع وهازم الجيوش وملاكم الريح وأبو سطيح وملابط البغال وأبو اشكال والأرقط والأنعط والأشمط وسلم الكتاب إلى ميمون الجماس وأمرهم أن يسيروا إلى حصن يانس المتغرب ويرسل يانس رسول من عنده الى ميخائيل يعلمه أن عبد الوهاب أمير بنى كلاب قد أرسل اليك رسول بكتاب وما على الرسول إلا البلاغ فان أنت أذنت لهم أتوا اليك بالكتاب وإن أنت أردت وصل اليك الكتاب فقبل ميمون الكتاب وسمع الكلاب وسار بمن معه إلى أن وصل إلى حصن يانس المتغرب ودخل عليه ففرح بهم لما رآهم وسلم عليهم وهناهم بالسلامه وسألهم عن الأمير والأميره فقالوا له بخير وعافية وقد أرسلنا بكتاب وأخبروه بالقصة وحال ميمونه وما جرى عليها فقال الحمد لله الذى جعلها ركنا للاسلام فقال ميمون الجماس ان ميمونه أسرت وأخبره بالقصة وأنها أخذت وما أتينا الا بسببها وهذا كتاب اليك ترسله إلى ميخائيل إننا رسل فلا أحد يتعرض لنا وإن أردت الكتاب يأتى اليك من غير رسل معه يصل اليك فارسل يانس من عنده رسول بما ذكرنا فرجع إلى يانس الجواب أنه يرسل الرسول اليه لأن الرسول لا يعارض فعند ذلك سار ميمون الجماس وأصحابه من حصن يانس إلى أن وصل الى مرج الرياض واذا قد خرج عليهم الف بطريق كل واحد كأنه العتيق يمزق بيديه الحديد تمزيق (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هؤلاء البطارقة سبب ياله من سبب لأن ميخائيل لما قر قراره فى بلده ومحل عزه ووصل اليه الخبر أن رسول عبد الوهاب واصل اليه أخبر مقدمين قومه بذلك وقال مالنا حاجة من عندهم برسول ولا خطاب ولولا قراقونا هذا الملعون انهزم مما وقع فى قلبه والا وكنا ملكناهم ولا بد لنا من غزوهم فى كل عام لأن عندهم الشيخ النجيح وغضرطونا بن طالوت ولا نقدر على خلاصهم الا بالجهاد فقالوا له المقدمين يا ملك هنا رأى وهو أنه اذا وصلوا اليك هؤلاء الرسل أقبض عليهم حتى يخلص من عندهم ولا يزالوا عندنا حتى نبلغ قصدنا فقال الملك ميخائيل هذا لا يكون ولا أخرج عن سنة الملوك وان عوقت على الرسل يكون ذلك عار وذل علينا وشنار قالوا أكابر دولته لا بد لنا من

أخذهم ولاندع الشيخ عقبه بعدهم فى الأسر يغضب علينا المسيح فقال ميخائيل للبترك ماتقول يا أبونا فى ذلك الكلام قال البترك الرأى أن تأخذوا من كان عندهم من علماء الدين وهم عقبه وعطرطونا بن طالوت فقال الملك حينئذ الرسل عشرة أرسلوا اليهم الف بطريق شداد غلاظ يكمنوا لهم بمرج الديباج فاذا أخذوهم يمضوا بهم الى بعض الحصون فإذا الامونا المسلمين على ذلك الفعل أقول أنا ما عندى خبر من هـذا أبدا ثم أنهم انتخبوا الف بطريق من جبابرة الروم كل واحد يعد برجال وأكمنوا فى مرج الديباج والرسل ما عندهم من هـذا خبر لأن ظنهم ان ما أحدا يعارض الرسول فبينما هم سائرين إلى أن وصلوا الى المرج خرجت عليهم البطارقة من الكمين وهم على ظهور الخيل وانحدروا عليهم كأنهم السيل ولما أن رأى ميمون الجماس الى ذلك قال لأصحابه اعلموا ان ملك الروم قد غدر وأرسل لنا هؤلاء البطارقه حتى يأخذونا فما أنتم قائلون فقالوا أيها الأميران غدر غدرنا وان حارب حاربنا وان صالح صالحنا وان هؤلاء الذين أقبلوا الينا لايخلوا أن يكونوا كما خطر ببالك وأكثر من ذلك لأن الملوك لايليق بهم أن ينحدرو بالرسل ثم أنهم ترجلو عن خيولهم وشدوا حزماتها وافتقدوا الجاماتها وأستعدو لحربها وكفاحها وجردوا فى أيديهم سلاحهم وبعد قليل ركبو على الخيول وتقلدوا بالنصول وقد وصلت الروم اليهم وصاحوا عليهم يا كلاب السودان ويا أخسر الفرسان الصواب أن تسلموا أرواحكم والا أخذنا رؤوسكم عن أبدانكم فنادوهم يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية نحن ما أتينا كم نطلب قتال ولا حرب ولا نزال بل نحن رسل من عند الأمير عبد الوهاب الى ميخائيل فان غدر فالله تعالى ينصرنا عليكم وأنا ميمون الجماس ومن معى أصحاب الوقائع المشهورين فى المعامع فدونكم وما أردتم فقالوا نحن لانعرف لاكذا ولاكذا سلموا نفوسكم فلا بد من أخذكم ثم أنهم حملوا عليهم من كل جانب ومكان وضاق على الهارب وسيع الامكان وفى السودان أسود كأنه حجر جلمد ناره فى الحرب ما تخمد فجعل ذلك الأسود يبرى الرؤس ويحتاس النفوس ويهبرهم هبرا وينثرهم نثرا ويمدهم خمسا خمسا وعشرا عشرا وأما القعقاع نكسهم فى وسيع البقاع وأبلاهم بالأوجاع وقد قسمهم ثلاث وأرباع وأظهر فيهم قوة الزند والباع وأما أبو سطيح صار عليهم يصيح وخلى كل شجاع على الأرض سطيح وفى دون ساعة أسقوهم كاسات البلا وامتلأت الأرض بالقتلى وحامت عليهم عقبان الفلا وتشتتوا فى الخلا وزاد العجاج ورأت الروم من السودان ذلك فصارت أعينهم حولا وداموا على ذلك العيار الى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد قتل من الروم أكثر من مائة

وثلاثين ودخل الليل ونزلت الرجال من على ظهور الخيل وأحاطوا الروم بالسودان وقد ملكوا عليهم الماء واحتووا عليه لأن الروم كانوا أسبق اليه والسودان كانوا خاليين من الماء لأن بلاد الروم تعم بالماء (قال الراوى) ولما جن الليل زاد بالسودان العطش والظما فقال ملابط البغال يابنى الخاله هؤلاء الأعداء ما عندهم ماء فقالوا له نعم لأنهم سبقونا عليه فقال ملابط البغال والله مانهلك نحن من العطش وهؤلاء عندهم الماء وكان ملابط البغال أضره العظش فقال ميمون الجماس وما الذى نفعل قال نركب الخيول ونحمل عليهم فان نحن متنا بسيوف الكفار نموت فى طاعة الجبار أخير ما نموت من قلة الماء فنموت فطيس ولكن اصبروا حتى تروا العجب حتى أركب جودى ثم انه ركب جواده وقارب الروم وصاح عليهم بصوت مذعور ويلكم ياعبدة الصلبان وحق من جعل الارض ميدان والسماء إيوان ماتبيتون أنتم ريانين ونحن عطشانين يا إما تقضوا حاجتى وتملوا قربتى وإلا قاتلتكم طول ليلتى فما أنا ممن يمل من القتال ولا أخاف من الاهوال فان طلبتم الراحة من القتال خلونى أورد الماء وإلا دونكم والقتال والحرب والنزال ثم أنشد وقال :

أيها الكافرون بالعلام سوف أفنيكم بحد الحسام
لست أخشى اللقا ليلا لأنى أشبه الليل فى سواد القتام
ومعى رجال سادة أسود ألفوا الحرب من زمن الفطام
ليس فيهم إلا همام جسور من بنى حام عمدة الاسلام
فاتركونى على السقاة وإلا حملت فيكم بالطيبين الكرام

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعوا الروم قوله ورأو شخصه قالوا لبعضهم البعض خلوه يملا قربته ويمضى عنا ويكفينا نوبته ويريحنا من سواده وكان فيهم بطريق وهو المقدم عليهم يقال له القمصان وكان جبار عنيد وشيطان مريد فقال لهم ياويلكم ما تريدون فضيحة أكثر من هذه الفضيحة أن نكون ملكنا الماء على عدونا ونمكنه من وروده وقد أشرف على التلف فقالوا له وما الحيلة وما عندك من الرأى ندعه يحمل علينا هو وأصحابه ويحرمونا الراحة فقال ومن يكلفكم الى ذلك وحق المسيح لو أن معه كل مسلم فى الدنيا ويطلبون فى هذه الليلة قطرة من الماء مانمكنهم منها وها أنا الساعة أخرج اليه وأنظر هذا الاسود وآخذ روحه من بين جنبيه فقالوا له ان فعلت ذلك كانت غاية مرادنا إلا أنهم عملوا معنا ماشهدت فوثب عدو الله القمصان وركب على ظهر الحصان وكان له جواد سابق يسبق الرياح وانحدر الى ملابط البغال

وصاح فيه دونك ياحجام والصدام فى الظلام وحمل عليه كأنه قطعة من غمام وركبت الروم حتى ينظرون ما يكون وفى دون ساعة ارتفع الصياح حتى عم الربا والبطاح وركب ميمون الجماس فيمن عنده من الأجناس وهم أولاد حام الشداد البأس ووقفوا ينظرون ما يكون منهم فى الأغلاس ودام الحرب واشتد البلا والكرب وتضاربوا بالصارم العضب ثم ان ملابط البغال تقرب من خصمه وصاح به صيحة عظمية وطعنه بالسنان فى صدره أطلعه يلمع من ظهره ثم حمل بعده على الروم وتبعه ميمون وأصحابه وعملت الصوارم فى الجماجم وقطعت الكفوف والمعاصم وزاد سواد الليل العاتم ووقعت البراجم ولم يزل القتال عمال إلى ذهب الليل بالارتحال وأقبل النهار ونظرت الروم الى بعضهم البعض وقد امتلأت من قتالهم الأرض وكان قتل منهم فى تلك الليلة مائتين فارس وأيقنوا بالزوال والفنا وعمهم البلا والعنا وألووا رؤس خيلهم وطلبوا إلى القسطنطونية وتبعوهم السودان الى آخر النهار ورجعوا وأنزلوا على الماء وقالوا لميمون الجماس على ماذا عولت أن تفعل قال نرجع الى حصن يانس ونذكر له ما فعل بنا ملك الروم فقالوا هذا هو الصواب (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم رجعوا الى يانس بعد أن استراحوا وأعلموا يانس بما جرى فقال وهل طمع الكفار إلا بما يليق بهم ولكن سوف أذكر له ما جرى ثم إنه أرسل كتاب الى ملك الروم يذكر فيه أنك فعلت فعال لا تليق بالملوك وقد قطعت الرسائل أما تعلم أن المسيح عادل ولا يرضى بهذه الفعال ولهذا عسكرك أبد الدهر مكسور وجيش الاسلام عليك منصور نحن ذكرنا لك أن القوم معهم كتاب فان أعجبك اعمل بما فيه وألا يرجعون من حيث أتو وأرسلت تطلبهم وبعد ذلك تغدرهم (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان ميخائيل قد وصلت اليه المنهزمين وسألهم عن المقدم القمصان ومن وكان مقدم على السودان فقال مقدم الرسل ميمون الجماس ومعه فلان وفلان فصلب على وجهه وقال لعنكم المسيح فقال له رجل منهم يقال له قبطه وحق المسيح ان هذا ملابط البغال وحده يلقا منا ألوف مؤلفه لأنه مقوم بصفوف مصففة ولا تضحكون علينا فما مر بنا أيشم من هذه المرة التى قتل فيها القمصان ولو كانوا أصحابنا الملوك ملوا له القربة كنا خلصنا وبطلت عنا تلك الوكبة وما زالوا إلى أن وصل كتاب يانس الى ملك الروم فرد الجواب اليه يقول أنا ما عندى من هذا خبر فأرسل الرسل ودع عنك مامضى (قال الروى) فأرسل يانس الرسل ومعهم مائة فارس من عنده فلما وصلوا تلقاهم البترك ورحب بهم

وقال قسطلمانظر ملابط البغال هذا الذى وصفته لك يا بأبونا لما أتى يطلب الماء فصاروا الروم ينظرون إلى تلك الوجوه الدمس والألوان الطمس وهم يصلبون على وجوههم ويتعوذون وينظرون إلى ملابط البغال ودخلوا على الملك وأوصلوا الكتاب إليه فأخذه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وقال لوزيره أنا أريد أن أصالح عبد الوهاب على ذلك الكلب قراقونا لأن ما كسرنا غيره وأعمر المراكب وأدخل أنا والمسلمين إلى جزائره وأدبر على قتلته ويكون لى الجزيرة وللاسلام النهب والمال الذى فيها لأنه منافق على دولتى فقال الوزير ما هذا صواب يا ملك اطرح الاسلام على قراقونا وكل من هلك استرحت منه لأنهم يقولون اطرح الكلب على الخنزير فكل من هلك كان ربحا كثيراً فلما سمع الملك من وزيره ذلك الكلام التفت إلى ميمون الجماس وقال له يا هذا وحق المسيح وما مسح والبيعة والمذبح إن أسراكم ما معى منهم خبر ولو كانوا عندى وتحت خوذتى لأطلقتهم إليكم ولكن لكم علينا المساعدة على خلاص أصحابكم على شرط أنكم تطلقون القاضى عقبة والبطرك عطرطونا والرهبان الذين معهم ان فعلتم ذلك فأنا أصالحكم وأعمر لكم مراكب من عندى وأملاها آلات وان أبيتم ذلك فأنا أسد عليكم الدروب وأمنعكم من العبور والوصول وها أنا أعلمتكم بالحال فقال ميمون ها أنا راجع الى الأمير عبد الوهاب وأعلمه بما جرى فأمر لهم بالخلع وألف دينار فأخذوها ورجعوا الى يانس وأخبروه بما جرى لهم فقال يانس والله لشعرة من مسلم أحب الى من كل كافر على وجه الأرض مثل عقبة وغيره وان فعلتم ذلك فانه عين الصواب فقالوا صدقت ثم انهم ودعوه وساروا قاصدين ملطية الى أن وصلوا الى الأمير وأعلموه بالرسالة على تمامها فعند ذلك أطرق الأمير برأسه الى الأرض ساعة ورفعها الى الأمير أبو محمد البطال وقال له ما عندك من الرأى فقال والله يا أمير لقد عميت مقاصدى وخابت مطالبى ووقعت بين بحرين زاخرين وأمرين عظيمين أحدهما لأجل ميمونة ونورى ومن معها من النسوة وهى زبيده والقناصة وخلاصهم من الجزاير ومالنا قدرة على خلاصهم واطلاقهم الا أن أطلقنا عقبة وشومدرس والبترك والرهبان على أن خلاص عقبة فى هذه النوبة من العجب وأشد الأشياء علينا لأننا نؤمل أن نفعل به ما وعدنا به سيد الانام ما دام أن الخليفة غائب من بغداد وهو فى خراسان ومعه عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والديار خالية من المأمون لانه يشد من عقبة وكانت تمت عليه تلك النكبة ولكن لم يكن فى الحساب قطع العنان والساعة

خلاص زبيده ومن معها أحب إلينا من عقبة وألف مثله فقالت الأميرة يا ولدى هذا الذى يقوله أبو محمد رأى جيد ولا بد منه وهو أوجب وكان البطال يقول ذلك المقال لأجل زوجته نورى لأنه من أجلها على مقالى النار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكانت نورى لما مضى أبى محمد مع الأميرة إلى الأمير عبد الوهاب يأتى بميمونة كانت نورى حامل فوضعت ولد قبل وصول البطال وهى فى آمد مأسورة وكان ولد زائد الحسن والجمال ولما أخذها قراقونا كان الولد معها والبطال ما عنده من فقدها مثل ما عنده من فقد ولده لأن نساء بنى كلاب وصفوا له حسنه وجماله (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما عزم الأمير أبو محمد والأمير عبد الوهاب على ذلك الرأى أحضر عقبة بين يديه وقال له يا ملعون إعلم أن خلاصك فى هذه المرة من أعجب الأشياء لأجل ما لك من الرزق والعمر الطويل الذى تستوفاه ثم أعلمه بالقصة وأستحلفه بالمسيح أن يكون لهم عونا عند ميخائيل حتى يجهز لهم المراكب وكذلك حلف البترك ثم أطلقهم بعد اليمين وساروا وهم فراحا بسلامتهم فى تلك المرة وكان عقبة أيقن بالموت والعدم فقال بمن معه سيروا بنا إلى دير الأنوار حتى نصلى صلاة الشكر للمسيح على سلامة نفوسنا وإن وصلنا إلى القسطنطينية أريكم كيف أفعل وما أتقن من العمل ولا بد ما أبلغ منهم الأمل وأبليهم بالرذية والزلل فهذا ما كان من عقبة ومن معه من الأشرار (وأما ما كان) من المجاهدين الأخيار وجند الملك الجبار فان الامير عبد الوهاب أقام فى ملطية يدبر فى جمع العساكر حتى يسيروا إلى قراقونا ويعمل على خلاص المأسورين وينتخب الرجال والابطال ويجمع العدد والذود (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهو يشاور البطال فى يوم من الايام فى خلاص الاسارى واذا هو بنجاب داخل عليه من أرض العراق ولما أن صار بين يديه أخرج كتاب ناوله للأمير فأخذه الامير وتبينه واذا به من عند المأمون بالله فتعجب الامير من ذلك وقال للنجاب المأمون خرج من غزوته أم لا فقال النجاب يا مولاى ان أخبارك لما تواترت الينا أنك كسرت الروم وأرحت الاسلام مما نزل بها من الهموم ففرح الامام بذلك وسمع الخارجى الذى هو محاصر المأمون بذلك الخبر بأنك كسرت عباد الصلبان فوقع به الرعب وخاف أن تقصد اليه فصالح الامام ورحل راجعا الى بغداد ومعه عساكر تسد الفضا وتملا المستوى ويشكر الله تعالى على سلامتك ويسلم عليك ويقول لك لا تؤاخذه بما جرى منه وساعة وقوفك على هذا الكتاب ترسل اليه الصدر الاجل والكهف الاطل الامير أبو محمد البطال لامر فيه غرض والسلام (قال الراوى) ياسادة يا كرام

فعند ذلك تبسم الامير عبد الوهاب والتفت الى الامير أبو محمد البطال وقال له جهز روحك الى حضرة الامام فانه أرسل يطلبك مع النجاب فقال البطال السمع والطاعة لله ولامير المؤمنين ثم تجهز من يومه مع النجاب وساروا يقطعون الارض الى أن وصلوا الى بغداد ودخل البطال على المأمون بالله وهو فى دست الخلافة جالس على سلة خلافته فقبل الارض بين يديه وقال السلام على الامام بن الامام الذى فاق الانام أمير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين أدام الله مجدك وعلا قدرك وعلاك وعرفك كل ولاية وولاك وتغمدك برحمته وكلاك ودام فضلك وكثر رزقك وهلك ضدك وجعلك ترفل فى أثواب السعادة وزادك الله فوق ذلك زيادة (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان البطال يتكلم بذلك الكلام والامام متبسم فى وجهه متعجب من طلاقة لسانه وجودة منطقه وكلامه وقد زاد فى اكرامه واعظامه وانعامه وأجلسه بين يديه فى أعز مكان ثم أقبل على أبو محمد وسأله كيف كان حاله فى غيبته فحدثه بكل ما جرى من الامور ثم قال البطال يا أمير المؤمنين لو أنك لا تسمع فينا كلام الاعداء ماأبصروا المسلمين سوء أبداً وانما تكلموا الاعداء فى حقنا بشى فسمعت أنت منهم فطمعت الروم اللئام فى بلاد الاسلام لما سمعوا ما جرى بيننا من اختلاف الكلام (قال) فلما سمع المأمون ذلك الكلام أظهر الغضب والحرد وبان ذلك فى عينيه وأشار الى الغلمان فقبضوا عليه فأمرهم أن يدخلوه الى خزانة وقال سوف أنزل به الاهانة ثم أمر الامراء بالانصراف ونفض فى وجوههم يداه وخرجوا وهم لا يصدقون بالنجاة (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما خلا المأمون بنفسه أمر باحضار البطال الى عنده فى مجلسه ثم قال له يا أبو محمد أتعرف لماذا دعوتك الى وما سبب ذلك الكلام فقال لا والله يا أمير المؤمنين فقال له أمير المؤمنين أتعرف يا أبا محمد مدينة يقال لها خرشنة قال نعم يا أمير المؤمنين أعرفها وهى داخلة جوا بلاد الروم ولم يبق اقليم الا دخلته وعرفته الا هذه خرشنة لان صاحبها ترك عليها الحرس والارصاد فقال له المأمون ومن هو صاحبها حتى أنك منه على نفسك حريص قال له ياأمير المؤمنين رجل جبار يقال له برصويص فقال المأمون اعلم يا أبو محمد أننى من مدة شهر من الزمان صليت وردى وقرأت شيئاً من القرآن ثم انضجعت على فراشى وغرقت فى بحر المنام فرأيت ابن عمى محمد صلى الله عليه وسلم وهو فى أكمل شىء من البهجة والانوار وعليه حلة الافتخار وعلى رأسه تاج السكينة والوقار ومعه أصحابه وأقاربه الاخيار فلما رأيته وثبت لى قائما وأثنيت بالصلاة عليه فلما رآنى أعرض عنى بوجهه فقلت يارسول الله

فما سبب هذا الإعراض فقال يا ابن العباس فى أيام دولتك تمثل الأعداء صورتى وتخرق بحرمتى ولا تغار لى من أجل ذلك وإنما أنت مشتغل بملكك ومالك فقلت يا رسول الله وكيف ذلك فقال ان برهويص الملعون عدو الله صاحب مدينة خرشنة قد صنع صورة من النحاس الاصفر الذى على صفة الذهب وقد زيا بزى العرب وهو يضعها كل يوم قدامه وهو يسبها عند قيامه وعند قعوده وأريد أن تأمر المحب لملتى والذاب عن شريعتى السعيد فى الدنيا والآخرة بما له من الافعال هو أبو محمد البطال وهو الذى يزيل هذه الغمة بما له من الفعل والعزيمة والهمة ، واعلم يا أبو محمد انى ما رأيت تلك الرؤيا والمنام الا فى ليلة الجمعة انظر تلك الرؤيا وقول لى ذلك المقال ومن أجل ذلك ها أنا أرسلت اليك وقصيت هذه القصة عليك وما رأيته والسلام فانظر ماذا ترى برأيك الحميد وما عندك من الامر الرشيد فيما قاله النبى صلى الله عليه وسلم فقال له البطال ياأمير المؤمنين ان لكل مقام مقال والذى أعرفك به يامن جعله الله لنا امام ان مدينة خرشنة مانعة الاصوار عالية الجدار لا يطمع فيها طامع ولها خندق من حولها دائر ما دار والخنادق ملآنه بالماء الخرار ومن داخل الخندق سبعة أصوار كل صور أعلى من الذى قبله وما لاحد عليها سبيل ولا وصول (قال الراوى) يا سادة ياكرام فقال المأمون فكيف السبيل الى الوصول اليها والى فتحها فقال البطال اعلم يا أمير المؤمنين أن ما لنا سبيل اليها إلا بالحيله وإلا قصتنا فيها طويلة فقال الامام ولهذا اختارك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلك الامل والمأمول فأطرق البطال برأسه الى الارض مليا وافتكر فى هذه القضية ساعة من النهار وقال يا مولانا اذا كان الامر كذلك فأخرج من فى السجن يستحق القتل واسقيه كأس المهالك وقول هذا البطال بعد اشهاره فى شوارع بغداد حتى ينظره أكثر العباد ويكون وجهه مسلوخ حتى لا يعرفه أحدا من الناس وبعد اشهاره اصلبه على قرن الجسر بدجلة بغداد واترك الجثة على حالها حتى تصل الاخبار مع السفار والتجار الى سائر البلاد الامصار من الاقاليم الرومية وغيرها من سائر الاقطار وانا بعد ذلك يا أمير المؤمنين اعمل الحيلة وادبر المكيدة على الروم الاشرار لان الروم يا أمير المؤمنين محترزين منى غاية الاحتراز لاجل ما أعمل معهم من الاعمال وأيضا عندهم من يعرفنى فى أى صورة كانت وهو الراهب شومدرس وأيضا من لا يذكر اسمه اذا عملت عملا وأتقنت مكيدة يبطلها علىّ ولا يتم لى ذلك الا بهذه الفعلة (قال الراوى) يا سادة يا كرام

فقال المأمون أحسنت يابطال والله إنك لصادق فى المقال فلله درك ياعيار العرب والعجم وأنا والله مثلك لايوجد فى سائرالأمم ولافى سائر الارض فى طولها والعرض ثم ان الامام دعا بمسرور سياف النقمة وقال له من عندك يا مسرور مستحق القتل فى السجن فقال يامولاى عندى عيار غدار مكار لايصطلى له بنار واسمه عامر بن الأبرص وقد أحرق قلوب أهل بغداد وأهلك البنات وهتك الأحرار وذبح الأولاد فتبسم الخليفة وقال سبحان من يسهل الامور وأن هذا والله هو العجب حتى يكون لكل شىء سبب فقال البطال وكيف ذلك يامولاى فقال إن هذا الرجل المذكور يشبهك فى الصورة والقد والمنظر وكأنكما أخوين من بطن واحد وأب واحد فقال البطال صدقت ياأمير المؤمنين لأن الله إذا أراد أمراً هيأ أسبابه فقال الإمام يامسرور عند الصباح أخرج ذلك الرجل المذكور من السجن واضرب رقبته واصلبه على رأس الجسر ولا تخرجه من القصر إلا وجهه مسلوخ والمنادى ينادى عليه معاشر الناس هذا البطال نسل الأرجاس عدو دولة بنى العباس وان خرج ذلك الحديث من فمك أخذت مابين عينيك وأعدمك الأنفاس فقال مسرور السمع والطاعة ياmولاى ثم صبر الى الصباح وأخرج العيار من السجن وحوله جماعة من مماليك الدار وفعل به ما قال الامام وخرج به من القصر والمنادى ينادى كما أمر ولى الأمراء واخترقوا به الاسواق حتى وصلوا الى رأس الجسر وضربوا رقبته وصلبوه على جزع نخل وأشاعوا عليه بعد ذلك يحرقوه بالنار (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك هرعت أهل بغداد النساء والرجال والبنات والصبيان وصارت المحبين يعملوا المآتم فى الدور والأزقة والحارات وارتجت الخلائق والمعالم من سائر الجهات . كل ذلك يجرى والبطال قاعد عند الإمام فى المنظرة يعدها حسنات وسيئات وشاعت الاخبار أن البطال صلبه الامام بعد الاشهار وكان أول من سمع ذلك الخبر المدهش عقبة وشومدرس فكتب عقبة كتاب الى ميخائيل يخبره أن المأمون أهلك البطال فاشكر المسيح على هذا الحال وبلوغ القصد والنوال واسأله تمام القصة وأمره أن يزين جميع البلاد القصية والدنية وأرسل كتاب مع غلامه الى القسطنطونية (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما وصل الكتاب الى ملك الروم كتب الكتب وأرسلها لسائر الأقاليم فانقلبت بلاد الروم من سائر الجهات وارتفعت فى جميع الكنائس الضجات واختلفت الروايات وأوقدوا الشمع بالنهار وسكبوا الخمور فى الاسواق وشربوا العقار ولعبوا بالطنبور والزمور وتناهلوا فى الامور وأداوموا الفرح والسرور وزينوا الرهبان البيع والهياكل وظهرت

بنات البطارقة كأنهم البدور الكوامل ولبسوا أفخر الملابس وأتوا زمرا زمرا إلى البيع والكنائس وهن يتهادين كأنهن العرائس فقال الملك للبطرك ياأبونا أرخ هذا اليوم عندك حتى نجعله عيد مثل عيد الصليب للنصارى حتى تفرح فيه الرجال والنساء والبنات العذارى (قال الراوى) ياساده يا كرام وأيضا وصلت الأخبار الى ملطيه بصلب البطال فما أحدا صدق ذلك المقال حتى أرسل الامير واستصح الخبر من بغداد فأتاه الخبر أن البطال نفذت فيه الأقدار وصلب وكان الذى كان فحزن عليه الامير ولبس السواد وكذلك الأمراء الأجواد وجلس له فى العزاء وهو كثير البكاء والنواح والتعداد وكذلك الاميره جرى عليها ما لم يجرى على إنسان لأنها كانت تحبه محبة عظيمة وقالت والله إنه ماقتل إلا مظلوم فيافرحة أبناء الروم ثم زاد بها الأمر والحسرات فرجعت إلى طبع العرب وجعلت تنشد وتقول :

أى طود من الشريعة مالا … هاوياً بعد ما أمال الجبالا
كان حصناً للمؤمنين حصينا … يدفع الهائلات والأهوالا
وحساما إذا ضربت به الكفر … صير الكل فى الهوا كالرمالا
وهما اذا ماالتقت به الابطال … ترامت بعزمه الابطالا
كم به حكمة أباد بها الروم … ولقد خلا ديارهم أطلالا
كم صليب أباده بعد ما أقبل … فى جحفل يروم القتالا
كم حصوناً أتى اليها وفيها … عصبة تنظر الرشاد ضلالا
وتقول المسيح رب قدير … جل ربى سبحانه وتعالى
ففتحها برأيه وسبي النسوان … منها وقسم الأموالا
ترس قبر النبي جسر همام … بطل فاتك مزيدا حويلا
صائم قائم يسموه أهل الجهل … من فرط جهلهم بطالا
قتلوه ظلما ومات شهيداً … وغداً يلتقى كريما تعالى
فجزاه رب السموات خيرا … يوم يجزى الانسان بالأعمالا

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولما سمع الامير ذلك النظام من الاميره قال والله إن هذا ما كان فى الحساب وتناثرت من أجفانه العبرات وتحركت عنده اللوعات وقال والله لقد شمتت فيه الاعداء والحساد ومات ولم يبلغ من (عقبة) مراد فوا حسرتاه على ذلك الرجل المحتشم والبطل الغشمشم ومن هو على الرجال مقدم كيف فقد من الدنيا وكيف يكون حالنا بعده إذا أتتنا الرزايا ومن يبلغنا المنى

فوا ذل (نورا) من بعده ويا ما تقاسى لفقده من الذل والشنار وما تلاقى فى بلاد الكفار ثم زاد به الوسواس وقال والله بعده ما أطعت بنى العباس ولا حضرت حرب ولا مراس واشتغل بعبادة الله وأنشد يقول :

وحق محمد خير الأنام ... وسيد سادات البيت الحرام
لقد انهد ركن الدين لما ... سقى البطال كاسات الحمام
وصار منكس الأعلام يبكى ... بأجفان الشريعة فى الظلام
على الرجل الذى قتلوه ظلما ... واشفوا منه أولاد اللئام
لقد أمنت بلاد الروم حقاً ... وصار مخيفها حلف الزمام
وفتحت الكنائس للنصارى ... وباتوا عاكفين على المدام
وأشفى عقبة الملعون فينا ... وزاد ضلاله نسل الحرام
وكان مشرداً فى كل أرض ... يرى البطال خوفا فى المنام
فيارباه قد قضيت عمرى ... وقد أفنيت عاماً بعد عام
وقلبي واثق بالوعد لكن ... أرى الأيام تغدر بالكرام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ولما سمعوا الحاضرين تلك الأبيات زاد منهم البكاء والحسرات وبكى ظالم بكاء شديداً ما عليه من مزيد وجعل ينشد ويقول :

ياعين جودى واهملى بدم ... لفراق من أهوى وقد باتوا
هلكوا وباتوا ذاهبين على ... رغم وهم فى القبر سكان
وحياتهم وحياتهم قسما ... لا خنت عهدهموا ولوخانوا
إن الفراق يزيد فى لهفى ... طول السنين لهم وما باتوا
ولقد مضوا وتفرقت بعدهموا ... فكأننا صم وعميان
لا كان يوم فراقكم فلقد ... بكت العيون وبان كتمان
شربوا الحمام فصرت ذو قلق ... والقلب فيه لذاك أحوان
كنا نرد القوم عن بلد ... فيه لنا ظعن وولدان
ونريد وجه الله خالقنا ... ولنا خيول ثم فرسان
والمغلبيط عبيدنا وهموا ... بالمكر كل منه قد عانوا
والروم والافرنج كلهم ... كانوا لنا مال وغلمان
وبه الله قد عز دولتنا ... وبه قد مال صلبان
وكذا البنجاك تعرفه ... وكذا تخشاه يونان

وكذا الانجار تحذره ويموتوا أينما كانوا
لولا عيارته وحيلته هلكت كلاب ثم سودان
أبكى على البطال ما طلعت شمس النهار ونام وسنان
أبكى على البطال ما طلبت نفس الغريب هناك أوطال ٨
أبكى على البطال إن له حر بقلبي ووهج ونيران
أبكى على من كان يسعدنا ويغننا حسن وإحسان
أبكى على من كان يحفظنا بروحه سراً وإعلان
من ذا يساعدنا إذا عدمت أرواحنا وانهد أركان
غير الذى قد عز مطلبه لهفى عليه جزاه غفران
كذبوا العداة عليه حين وشوا قولا فلا عاشوا ولا كانوا
سمع الإمام كلامهم ومضى فيه القضاء وجد عجلان
ما زال يرعانا ويحفظنا نعم له فضل وإحسان
منهى بنى العباس انهمو خير الورى نصحا وإيمان
والرب فضلهم وأكرمهم وبذاك قد جاءنا نص قرآن
لكن حرمنا الحظ عندهموا والربح أضحى وهو خسران
سمعوا كلام الحاسدين ومن صاغوا الأحاديث بهتان
ولقد مضى البطال وا حزنى تبكيه أبطال وشجعان
ياما فتحنا بلاد بحيلته أيضا ونكسر كل سلطان
حتى إذا غدر الزمان به أضحى عليه وهو حردان
كان الخليفة راضيا فرحاً أضحى العدو وهو فرحان

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغ ظالم من ذلك الكلام والأبيات العظام المطربات زاد من الحاضرين العبرات وكثرت على البطال الحسرات وعظمت اللهفات وأسبلوا الدموع الجاريات وقالوا رحمك الله يا بطال وأسكنك الجنان العاليات هنالك بكت السودان وصاحوا : يا آل حام يالون الظلام ياعبيد الملك العلام ووثب من بينهم أبو الهزاهز البطل المناجز ودمعه من العيون فازز وأن أنين الحيران وتأوه تأوه الولهان وأنشد يقول :

أياصاح استمع العجائب وأجرى من دمعك السواكب
كيف العزاء وقد فجعت بسيد ندب مصاحب

كانت خصـائله مـلاح منيرة مثل الكواعب
إن كان دمعى ما يفيض ففى فؤادى خمر لاهب
ومسـالما للمسـلمين محارباً مع من يحـارب
قـد طال ما باد العلوج وحل عنـدهم المصائب
يأتيهـم فى صورة الـ بطريك أو ترتيب حاجب
ويصير بطرك من قمـامه أو دير نجـران كراهب
ويصـير مثـل الجاتليق بلحية بيضا وشـارب
لو شاء قال أنا المسيح ولم يكن فى ذاك كاذب
تبـكى عليـه المسلمين من الأصادق والأصاحب
تبـكى عليـه مبـارداً وخنـاجراً تتلوا كلالب
والبنج حـين ينحطه وسـط المطاعم والمشارب
كم أكرة قـد حطها فتصـير وسـط الفلك قالب
ونراه يفتقـد الـكتا ف جنح ليـل والغياهب
هو صـانع فى ضربه ما كان أحسن ما يعاقب
وبالعصى الخشب الطوال إذا تقطعت المخالب
وكما يلاصـق خصـمه قد حطه فوق المنـاكب
وتراه يعـدو كالحصان فى جنح أغسقت الغياهب
ويروغ فى خطواته كمثـال روغات الثعالب
فجرت عليـه قصـة ما كنت لهـا أحاسب
ادعى على هذا الامام بعـد ما سـارت كواكب

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولما فرغ أبوالهزاهز من هذه الأبيات قام ميمون الجماس (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان فى سودان ميمون جنس يقال لهم الدمادمة وكانوا إذا حزنوا أو نابتهم نائبة يقطعوا آذان بعضهم بعضا ويرموها على وجه الأرض فلما أن سمعوا أبيات أبوالهزاهز قطعوا من بعضهم الآذان وكثر البكاء والأحزان وكانوا بنو سليم رجعوا الى ملطيه وكذلك عمرو بن عبيد الله وأصلح الأمير بينهم ولما سمعوا بنى سليم بموت البطال كان عندهم هناء وسرور وعند بنى كلاب وبنى عامر وعبـد الوهاب عزا وسؤددا وحزن واكتئاب وقالت جهال بنى سليم ذهبت دولة بنى كلاب وتقطعت بهم الأسباب لأنهم كانوا يصولوا ويجولوا بالبطاله

وهو الذى كان يفتح لهم القلاع والحصون فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من أمر الكهف الأظل والأمير الأجل صاحب الأقوال والأفعال والمناصف فى الأحوال الأمير أبو محمد البطال فانه لما علم أن أخباره وصلت إلى سائر الاقطار من بلاد الروم وغيرها من سائر الأمصار قال للامام المأمون يامولاى احضر لى الآن النجارين الحذاق فى صناعتهم حتى أعمل ما أريد مادام ان حالى مكتوم وأمرى غير معلوم فعند ذلك أحضر له جماعة من النجارين الحذاق الذين فى بغداد ولما أن حضروا اختلا بهم البطال وقال لهم أريدكم أن تصنعوا لى قبة من خشب الصاج يكون لها اثنى عشر باب وتدهنوها بما أصنعه لكم من الدهانات حتى يكون لها لمعان يأخذ بالأبصار ويذهب العقول ويحير الافكار ثم إنه رسم لهم طولها وعرضها وسمكها وتكون مفككة من بعضها بعض ثم انه استعملهم فيها وطاب لهم العمل وجعل على كل باب صليب من الذهب العجيب الذى يذهل عقول أصحاب اللب واستخرج دهان قد استفاده من كتب اليونان وشيء من كتب الحكماء القدام أهل الفضل والعرفان ودهن تلك القبة وأبوابها حتى صارت تذهل عقل كل إنسان ويتخيل لكل من يراها أنها من الجنان قد أخرجتها خدام رضوان ولا كأنها مسكتها أيادى ولا نجرت بمعمار ولما أن تكاملت طلب من الامام الجواهر النفيسة واليواقيت والبهرمان والفيروزج وقضبان البلخش والزمرد الذبابى والعقيانى ورصعه جميعه فى تلك القبة وعلى أبوابها وأركانها ودائرها وكتب على دائرها أسطر من الانجيل فيها تعظيم وتبجيل هذا كله يعمله والمأمون بالله يشاهده ويتعجب مما يرى من الأعمال وقد حل به الانذهال وما فرغ من شغلها حتى أخلا خزائن بنو العباس من الذى كانوا جمعوه على طول الزمان (قال الراوى) فانشرح صدر المأمون اليها واشتغل قلبه وباله فيها فقال يا أبو محمد بالله عليك إذا أنت فرغت من حاجتك من هذه القبة ارجع بها معك حتى انى أجلس فيها من داخل البستان إذا أردت النزهة فقال له البطال سمعا وطاعة يامولاى ثم انه جعل للقبه أدوار من المعدن الخاص الذى نوره يخطف الأبصار ومن فوق ذلك هلال ومن فوق الهلال قطعة بهرمان لم يوجد مثله فى ذلك الزمان وجعل من داخلها فى الأربعة أركان عمدان ومن خارجها أربعة مثلها وكل عامود مدهون بدهان عجب له نور يخطف البصر وعلى كل عامود هلال بأربعة فصوص من المعدن بثلاث قطع جوهر شفاف وقد أقامت الصناع فى عمل تلك القبة شهر كامل وما تمت هذه القبه حتى فرغت خزائن بنى العباس من الجواهر والمعادن

(قال الراوى) ياساده ياكرام ولما تمت هذه القبة من الأفعال الغريبة التى ماسبقه أحد من حذاق الرجال بهذه الكيفية تقدم الى الخليفة وقال له يا مولانا عليك بكتمان سرى ولا تذيع أمرى واستوثق من النجارين بالمصحف والطلاق حتى لايشيع خبرى ولايعلم بى بشر ثم ان الخليفة حلف النجارين بالأيمان الغلاظ أنهم لايقولون بما صنعوا ولا بما رأوا وأحسن اليهم إحسانا زائدا وقيل إن الإمام جعلهم فى البستان وأرسل الى أهلهم ونساءهم وأولادهم النفقات الزائدة ثم إن البطال انفرد بنفسه فى مكان منعزل عن العالم وأخذ حوائج معلومة يعرفها واستخرج دهن معه ومراهم معدومه فى ذلك الزمان ثم صنع من ذلك الدهن مائة وعشرون شمعة كل شمعة إذا أوقدت يخرج منها أنواع عجيبة كذا وكذا ألوان من أزرق وأحمر وأصفر وأخضر وأسود وأبيض وكل لون لايشابه الآخر ثم انه عمل اثنى عشرة سترة من الديباج الملون وجعل على كل باب من أبواب القبة ستر من تلك الستور وصنع عشرين صليب من الذهب الأحمر كل صليب عليه أربع قطع من الجوهر الشفاف ووزن كل صليب ثلاثة أرطال ثم انه لما تم أشغاله أحضر جماعة من غلمانه الذين يدخرهم لمهماته الثقال وقال لهم يا أولادى تفرقوا فى سائر الأمصار من بلاد الروم وسيحوا فى الارض وطوفوا فيها طولا وعرض ويظهر كل واحد عاهة من العاهات واحد يكون أعمى وواحد يكون زمن وآخر يكون أبرص وآخر يكون مفلوج وآخر يكون أجزم ثم دهن كل واحد بدهان فظهرت عليهم تلك العاهات والأمراض وقال لهم طوفوا على الصوامع وعلى الديور والكنائس وأظهروا ماعليكم من العاهات للرهبان والقساوسة والمطران حتى ينظرون ماعليكم عيان (قال الراوى) فساروا غلمان البطال بعد ما أوصاهم وقال لهم ياأولادى إذا سمعتم أن المسيح قد ظهر فى دير خرشنه الذى يسمونه دير الصلبوت وهرعت الناس اليه أقدموا مع جملة الناس فقالوا سمعا وطاعة وتفرقوا فى تلك الساعة وهم يطلبون بلاد الروم متوكلين على الحى القيوم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال رحمه الله تعالى فإنه لما أرسل غلمانه وعلمهم مايعملون ومايفعلون أقام فى قصر الخلافة يدبر أمره مدة شهر كامل بعد فراغ القبة وهو يناسى الناس ويخفى أمره ثم انه بعد ذلك خرج من دار الخلافة واخذ معه جميع ما يحتاج اليه وأخذ جميع ماعمله من الشمع والصلبان وأخذ القبة مفككة من بعضها بعض موضوعة فى الصناديق وجميع ما يحتاج اليه من الآلات وخرج من بغداد فى الليل وتوجه الى بلاد الروم متوكل على الحى القيوم حتى ينزل على

أهلها الهموم والغموم وسار يكمن بالنهار ويسير فى الليل إلى أن قرب من مدينة خرشنة وكان عيد الروم الأكبر قد بقى له أيام قلائل وكان لمدينة خرشنة دير كأنه حصن يقال له دير الصلبوت وهو مبنى بالرخام وتأتى إليه النذور من سائر الأقاليم من أقصى بلاد الروم مرصع بالرخام الملون من الأربع جنبات ومن داخله أربع صوامع على كل صومعة قبة ومن فوق القبة شخص من النحاس الأصفر الأندلسى مطلى بالذهب الاحمر على صفات الصنم وحول كل صنم من هؤلاء الاصنام آلات الملاهى يدقون بها فمنها طبول وزمور ومنها صنوح إذا جاءت ساعات كفرهم تضرب تلك الآلات بطريقة حنينة تحير العقول وكانوا قد زينوا ذلك الدير لأجل السعود بالزينة الفاخرة وكان ذلك الدير له سيط فى بلاد الروم وتأتيه النذور من سائر الاقاليم ولا يفتح ذلك الدير إلا فى يوم عيد أو يوم سعيد ولما أن قرب البطال من ذلك الدير أمر غلمانه يمشون قدامه بالزينة الفاخرة وهم فى صفة الرهبان والقسوس ففعلوا ذلك وكان قد أخر اثنين من غلمانه لاجل خدمته وقد ركب على وجهه لحية بيضة كبيرة شمطانقية البياض وقد أظهر الرعشات والكبر وغلمانه يسندوه وهو يرتعش بينهم من الكبر والذى يراه يقول هذا جاوز المائة سنة ولما أن وصل إلى باب الدير أمر غلمانه يقرءون الإنجيل ساعة وبعد ذلك تقدم لؤلؤ وطرق الباب فأشرق عليه راهب من أعلاه وكان فيه من الرهبان اثنى عشر راهب على عدد الحواريين الذين كانوا للمسيح فلما أشرف الراهب قال من تكون أيها الطارق إلزم الادب ولا تكفر فى شرع المسيح فصاح لؤلؤ يا ويلكم أنتم غافلون عن من وصل إليكم ووفد عليكم فقال الراهب من نزل بنا ومن وصل إلينا فقال له اعلموا يا قوم أن هذا الملك كرجان بن ميلاص صاحب جزائر الرصاص والبحر الاخضر وقد ذكر أنه رأى السيد المسيح فى النوم وقد أمره بالزيارة إلى قمامة وعين سلوان الذى قد اغتسلت فيها مريم بنت عمران فزار وأتى فى طريقه على ذلك الدير لما شاع ذكره فى سائر البلاد ولما ذكر عنكم من العبادة فى دين المسيح وإن هذا الملك لما سمع من المسيح ذلك رمى الدنيا من وراء ظهره واتى اليكم ومعه من النذور شىء كثير ومن جملة ما معه ألف شمعة مطيبة وألف شمعة مكوفرة وألف شمعة من ذهب أحمر ومائة صليب من الجوهر وغير ذلك من الخيرات شيئا كثيرا لا يعد ولا يحصر ولما أن سمع الراهب ذلك المقال انذهل ونظر الى البطال وعلى بدنه مدرعة من الشعر هذا وغلمانه يعضدوه ويسندوه وهو بينهم يرتعد من الكبر غره الطمع وقال له أيها السيد أنت الملك كرجان بن الملك ميلاص قال لؤلؤ نعم هذا المشار اليه فى كل الامور عند ذلك

نزلوا جميع الرهبان وفتحوا له الباب واستقبلوه بالسلام والاكرام والاعظام فدخل البطال وغلمانه الى داخل الدير وصعدوا الى أعلاه فعظموه وأكرموه ومن زادهم أطعموه فنظر البطال وغلمانه الى بنيانه الى ذلك الدير فرأوه عظيم البناء واسع الفناء ليس للطارق عليه سبيل ولا اليه وصول (قال الراوى) يا سادة ياكرام ولما أن كان آخر النهار نوى أن يرمى الرهبان فى مكيدة وينزل عليهم المصيبة وقد اجتمعوا من حواليه فأمر غلمانه أن يأتوه بطعام أهل الجنة فى الجنة حتى يأكلوا منه هؤلاء الرهبان ويكون لهم بذلك الاحسان والمنة ففى عاجل الحال أحضر لؤلؤ خبز مسبوك مختوم عليه ختم وقال البطال ياأولادى كلوا من هذا فكل من أكل لقمة واحدة ذهبت عنه الآلام والاوجاع والاسقام وحشر مع الحواريين الكرام ولما أن سمعوا الرهبان ذلك المقال انطلى عليهم المحال وقد قال وحق المسيح كل من أكل لقمة أنعم عليه المسيح ألف نعمة ثم قال يا أولادى وحق المسيح والدين الصحيح وسوف ترون بركة هذا الطعام الذى يشبع الجيعان ويأمن الخائف الفزعان لانى أطعمت منه قبل خروجى من جزيرتى بعض الرهبان فبعد مدة من الزمان مات ودرج فى الاكفان وليلة ماحصل فى الناووس رآه بعض القسوس وسأله عن حاله وما الذى جرى له وما فعل به بعد الموت فقال له لقد غفر لى المسيح بتلك اللقمة مائة ألف خطيئة وسيئة وحشرنى مع القديس وصاحب الذبيح فلما سمعوا الرهبان هذا الكلام والهذيان صلبوا على وجوههم وزادت رغبتهم فى ذلك الخبز واللباب وتعجبوا والى الزاد تقدموا وطلبوا أن يطعمهم فلما أن أطعمهم كل واحد لقمة فما أكل سواها وأرادوا أن ينهضوا من مواضعهم فما قدروا بل انقلبوا الى الارض صرعا وبقوا مثل السكارى الذين من الخمر شربوا فنهض البطال وغلمانه ومكنوا الخناجر من الحناجر وذبحوهم فى الحال وارموهم فى جب هناك فى الدير ولقوا من طعام البطال كل خير ولما أن خلا الدير من أهله ولا بقى فيه أحد الا البطال وغلمانه أخذ غلمانه وصعد فوق أعلى الدير ونصب تلك القبة التى صنعها فى بغداد لتلك الاسباب وعلق الستور على أبوابها وهى ستور ملونات وأنوار تلك المعادن لامعات وأوقف كل غلام من غلمانه على باب وقد ألبسهم الحلى والحلل وهى من عجائب ألوان القماش من المدارع والزرنياقات والبرانيس الملاح الملونات وكانت وجوه غلمانه تلمع من كثرة البياض وكان قد صقلهم بحجر الفضة وقشر بيض النعام وزبد البحر واقليم الذهب وتوتى مدنى فصارت وجوههم كأنها المرآة المصقولة والانوار من معدن القبة ووجوههم ساطعة لامعة وهم كأنهم الحور والولدان وأوقد من الشمع احدى عشر شمعة كل شمعة فى يد

واحـــد من غلمانه بألوان مختلفة من أحمر ومن أصفر وأخضر وقد زادت الأنوار وأذهلت النظار ولما أن اكتملت هذه الصفات واحتكمت بذلك الآلات أمر غلمانه أن ترفع أصواتها بتلك اللغات بقراءة الانجيل بأطيب النغمات ففعلوا ذلك وصار يغير لهم الحركاب بطريقة حنينة وكان قد غلق باب الدير وأوثقه بالأقفال بعد أن أهلك من فيه من النساء والرجال (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما ماكان من صاحب خرشنة فانه كان نائم على سطح قصره فسمع أصوات شوقت خاطره فقام على أقدامه فرأى أنوار تلك الشموع مختلفة ولمعات تلك المعادن والجواهر شيئا مارآه ولا أبصره فى طول عمره ولاسمع بمثله فانذهل عقله وحار فكره فأرسل من ساعته وأحضر القسوس والرهبان وأوراهم تلك الأنوار المختلفة الألوان فتاهت أفكارهم وزاغت أبصارهم وقال بعضهم لبعض أبشر أيها الملك يسرك ويشرح خاطرك وصدرك وأشكر المسيح ومزمار السليح وأعلم أن المسيح قد نزل من السماء وآن أوان زوال الدنيا وبان للناس الهدى وقد نزل من السماء ولولا أن أعمالنا صالحة لما خصنا المسيح بهذه الآيات الراجحة وأنه نزل على دير الصلبوت ونحن رأينا هذه المعجزة والكرامة قبل أن نموت فاسعى بنا الى المكاشفة حتى ننظر إلى هذه المعجزات المختلفة ثم أنهم سمعوا اقراءة غلمان البطال بتلك الأصوات الندية فرفعوا الآخرين أصواتهم وزادوا فى قراءتهم الانجيل وقد أضلهم وأغواهم ابليس اللعين باذن الملك الجليل وقد نزلوا من القصر وكشفوا الرؤس وغيروا ما كان عليهم من الناموس ومشوا حفاة وكل منهم عقله وفكره قد تاه والملك ماشى حافى وكلهم من وراه فعند ذلك صاح الملك على البوابين ففتحوا له الباب واقلقوا أهل خرشنه بعد الرقاد وخرجوا من البيوت وهم مدهوشين مذهولين ومعهم البنات والبنين ووجوههم والرؤس مكشوفين وكل من سألهم عن الخبر يعلموه بما رأوا من العبر ويعرفوه بجلية الأثر (قال الراوى) ياساده ياكرام وكل من سمع بذلك الخبر ومد عينه ينظر ويزعق ويمزق ثيابه من عليه ويكثر من البكاء والانتحاب ويطلب إلى ذلك الدير ومن فرحتهم بتلك الأسباب خرجوا من البلد وخلوها مفتحة الأبواب وهم هاجين على وجوههم وبرصويص الملك بين أيديهم ومن حوله القسوس والرهبان والجاتليق والمطران والبترك الكبير الذى هو بدين النصرانية خبير وكلهم طالبين الدير وبقلة عقولهم يظنون ان هذا من المسيح رحمة وخير وداروا من حول الدير زمرا زمرا إلى أن ظهر الفجر وانفجر وما أصبح الصباح الا وحول ذلك الدير ناس لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصى وقد نظروا وعاينوا الى تلك القبة العجيبة والأنوار الغريبة وهم

من حول الدير وغلمان البطال من أبواب تلك القبة فى صفة الحواريون معهم صحف من الانجيل يقرؤن فيها بطريقة حنينة تشفى القلب العليل ونغمات أحلا من السلسبيل والروم من ذلك حارت عقولهم وتاهت أفكارهم وزاغت أبصارهم وصاروا فى ركوع وسجود وحصل لهم هيبة وخضوع وأما صاحب خرشنه برصويص فانه تقدم الى تحت الدير وهو يقوم ويقعد ويسجد ويركع ويذل ويخشع ورفع رأسه من السجود وخضع ومن حوله خلق كثير ورهبان وقسوس والكل مكشوفين الرؤس وهم يتزاحمون مثل التيوس والكل فى أيديهم العكاكيز الآبنوس ومعهم المباخر فيها قطع الند والعود وهم يدرون من خول الدير وقد سلب عنهم كل نعمة وخير وكان عليهم المقت والذل والضير وما زالوا على تلك الحالات حتى داروا من حول الدير سبع دورات وهم بالانجيل يرفعون الأصوات وهم على هذا الحال والشال (قال الراوى) فعند ذلك تكلم لؤلؤ لما خرج من باب القبة صاح يا أهل خرشنة أبشروا بمن هو لكم زاير وقد أتاكم بأحسن الأخبار ويخبركم وبفضل الصليب وشد الزنار ويحلل لكم شرب الخمر العقار ويترك أرضكم تحترم وتزار فاهجروا كنز الدرهم والدينار ولا تجعلوا للدنيا عندكم قدر ولا مقدار واعلموا أن حب الدنيا خساره وبضاعتها بئس البضاعة فما أغفلكم يا أهل قرشنة عن ما نزل بكم من الرحمة والمنا التى عقباها الجنة فقد أتاكم المسيح وسكن فى ذلك الضريح فأبشروا بالسعادة الجزيلة والبركة الطويلة فإن المسيح قد نزل بقربكم وأختار اجتماعه بكم وهذه أنوار ظاهرة وآيات باهرة زاهره ومن كذب فيه خسر الدنيا والاخرة وقد نزل من السماء ونشر رحمته على الدنيا قبل الاخرة فكأنكم بالدين وقد ظهر والشرع قد انتشر فعليكم بالصدقات وترك الشهوات وإطعام الطعام للفقراء والايتام والمساكين من القسوس والرهبان والجانليق والمطران (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما فرغ لؤلؤ من ذلك الهذيان والخطاب غاب عنهم الصواب وزادوا فى البكاء والانتحاب ووقفوا على وجوههم ساجدين على التراب وقد استولى على قلوبهم الشيطان وأنساهم ذكر الرحيم الرحمن (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم إن صاحب خرشنه برصويص أرسل الى الملك ميخائيل كتاب يقول فيه كلمة كفرهم ونحن نقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الملك أعرفك ان السيد المسيح نزل الى خرشنه بعد أن نظر اليهم بعين رحمته وقدرته وقد مد علينا الطاقة وذلك لما علم أن دين محمد علينا استطال وقد أكثروا علينا الاقوال واستحلوا سبي حريمنا والعيال فنزل المسيح على دير الصلبوت

وقد نظرنا بأعيننا قبل أن نموت وهو مجاور لنا فى الدير وقد أوعدنا إننا نسكن الجنة ولا نموت وساعة وقوفك على هذا الكتاب ترسل الكتب إلى سائر الأقاليم التى تحت يدك وجميع بلاد الأروام يجمعون العلماء الذين للدين من جميع الأمصار (قال الراوى) وإن صاحب خرشنه أرسل الكتاب فلما وصل إلى القسطنطونية النجاب وقدم لميخائيل الكتاب وقراه وفهم معناه كتب الاخر كتب كثيرة وزاد إعجابه وأطرق برأسه الى الأرض ساعه وزاد طربا أدعا بالعلماء من أهل دينه وأخبرهم بما وصل اليه من برصويص وأن المسيح نزل من السماء فخروا كلكم ساجدين وإلى الأرض لاثمين وقال البترك يا ملك ان هذا القول صحيح وأنا فى هذه الأيام كنت منتظر الى المسيح لأن فى كتبنا مذكور أنه ينزل الى الأرض ويعيد السنن والفرض وعلامة ذلك أن المسلمين كثرت وكلمتهم اشتهرت وعمرت الجوامع والمساجد واخرجوا البيع والصوامع وواظبوا على الجمعة والجماعة ان الدليل على صحة ذلك الأقوال هلاك العيار والمحتال أبو محمد البطال ولو كان موجود فى الدنيا الى الآن لكان هذا القول منه محال وزخرفة أقوال والآن ما بقى فى ذلك الأمر لاشك ولاريب فأعزم بنا أيها الملك على المسير حتى ننظر ما جرى من ذلك التأويل ونسمع الحواريون وهى تقرأ الانجيل (قال الراوى) فعند ذلك أرسل الملك الكتب الى سائر الاقاليم يخبرهم بتلك الاحكام ويأمرهم أن يجمعوا العلماء والرهبان وكل قس ومطران ويأتوا فى عاجل الحال وأن الاجتماع فى خرشنة على دير الصلبوت ولا تأتوا الا بالزينة الفاخرة والعساكر المتكاثرة وبعد ذلك برز ميخائيل من القسطنطونية وهو فى جماعة قوية وعزمة جرية وعلى الحقيقة ان البطال أزعج بلاد الروم بهذه الاعمال التى لايهتدى اليها غيره من الرجال وشاع ذلك الخبر فى بلاد الروم جميعا من سائر الاقاليم والامصار وزاد الكلام بين الناس من سائر الاجناس (قال الراوى) وأما عقبه الخناس فانه لما سمع بذلك الخبر وهو فى بعض الديور قال للراهب شومدس ترى ياراهب سمعت بذلك الخبر فقال شومدرس وقد تعجب أيها القاضى أنت أخبر منا فى دين العرب وتعرف كل دين ومذهب هل عند المسلمين ينزل المسيح الى الارض ويقيم فى دار الدنيا قال نعم أنهم يقولون أنه ينزل من السماء الى الارض اذا أكثر ذات الفتن وعظمت المحن وتبع كل أحد هواه وكل وكل انسان يعمل ما يتمناه وأكلت العدول البراطيل وظلمت القضاه فى أحكامها وفسقت العلماء فى المدارس وكذبوا فى الاقوال رؤس المجالس وكثر الفسق والعصيان وقل المعروف بين الناس والاحسان واشتغلت الرجال بالصبيان بدلا عن النسوان

فحينئذ ينزل عيسى عليه السلام وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة والسلام ينزل بالباب الشرقى من الشام ويحكم فى الأرض أربعين عام ثم أنه يتزوج ويأمر الرهبان بالزواج ويشد من شريعه سيدنا محمد صاحب اللواء والمعراج ويكسر الصليب ويحرق الزنار ويأمر بقتل الخنزير ويصير للمسيح البنات والبنين مثل ما كان لسيد الكونين ثم ينتقل ويدفن فى حجرته بين أهله وصحابته هكذا قالوا علمائهم ولما أن سمع شومدرس مقاله قال له يا قاضى نحن عندنا فى الانجيل ونقل الينا عن البترك شمويل أنه قال إذا غلب دين الصليب وصار للمسلمين مالنا نصيب وأكلوا الاسلام لحم الجمل بالخل والزيت وصار لهم منبرا وخطيب وحرموا ماء العنب الذى يطرب به الانسان ويطيب وتهدمت الصوامع وذل الناقوس وخضع وتضعضع دين النصرانية وتتعتع عند ذلك يغضب المسيح ومريحنا وشمعون الصفا وسائر الحواريون أهل الدين فهنا لك تعود أرواحهم إلى أجسامهم بلا عناء ولا خفاء عند ذلك ينصروا الدين العتيق وتعلوا مقالة التحقيق ويأتون إلى المسلمين مجاهدين ولا يتركون أحدا يهتدى لطريق الا من يتعلق بأذيال الجاثليق ولا شك أن هذا هو الوقت المعلوم والزمن المذكور المفهوم والدليل على ذلك وعلى صحة مثل ذلك وتصديق الحديث هلاك البطال الخبيب لأن المسيح قبل ظهوره وقبل أن يبان ويرى صورته صلب وانحرق كما يقولون جثته وأنا فى هذه الأيام بانت لى كواكب السعود وعلمت أن المسيح إلى الأرض يعود (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أن سمع عقبه ذلك المقال دخل عليه المحال من محبته لدين الضلال لان الله تباوك وتعالى ويفعل ما يشاء ويهدى من يشاء وإن كان عالما فاضلا فما هو بأعلم من إبليس اذضل وغوى وبعدان كان من الملائكة المقربين صار من المطرودين ورحم الله من قال

الهى متنى مسلما وموحدا ... وكن لى أنيسا يا أجل أنيسا
وأركنى باللطف والفو والرضا ... بنوح وابراهيم ثم بموسى
وعيسى بن مريم والنبي محمدا ... أولى العزم يا غفار يا قدوسا
وصلى على خير النبين أحمد ... سلاما ماحدا حادوسار العيسا

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان عقبه قال الراهب قم ياراهب حتى نمضى ونأتى ونكشف ذلك الخبر لان السمع ما هو مثل النظر ثم ان الملعونين جمعوا رأيهم على المسير فجمعوا رهبان دير النذور وبذلك بشروهم بالخبر وأوعدوهم بالخير وساروا بهم يوردون لهم الاخبار ولم يزالوا سائرين وهم يجدون السير حتى وصلوا الى الدير يوما وصلوا الى دير الصلبوت الا ومعهم جماعة من الرهان والقسوس والمطران والكل

لا بسين المدارع الشعر كأنهم الغربان وغالبهم عوران وقلوبهم خالية من الايمان وكان وصولهم الى الدير عند قدوم الليل فنظروا الى الروم وهى واصلة الى خرشنه كأنهم السيل وأنوار الدير تلوح وترتج باختلاف الألحان وهم ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وابليس قد تفرغ لضلالهم وغرهم لقصر آجالهم ولما قرب عقبة الى تحت القبة وسمع أصوات غلمان البطال فقال لشومدرس اسمع يا راهب فقال له أبو الشر ياقاضى هؤلاء الحواريون حقا وصدقا الذين دخلوا مع المسيح فى الهيكل وسمعوا الكلام الصحيح المنزل من غير كذب ولا تلويح وهذه القبة لا شك ولا ريب التى ارتفعت فيها روح المسيح من على الجبل وقد زال عنها الخبل وعشنا الى أن انكشف عنا الغطا وسوف تنال من المسيح الجزيل من العطا ولقد سعدنا بالقدوم الى هاهنا وانجلا عنا الهم والغم والعنا فياليت البطال عاش الى أن ينظر الى هذه القدره ويتفكر فى هذه العبره لأنه كان فى ضلال مبين فلعنه المسيح الى يوم الدين ثم انهم قربوا الى تحت القبة وأتقنوا القراءة من غلمان البطال وإذا هم بطريقه حنينه غريبه تجلب الافراح الى القلب الحزين كأنه شرب الراح فقال عقبة وحق المسيح هذه الارواح الروحانية والانوار الشعشعانية وهذه قراءة ما يقدر عليها بشر من هذه الخليقة ولا يقدر أحدا أن يتم بهذه الطريقة ثم ان الملعون جعل يسجد ويركع وعيونه تدمع وقلبه يخشع ويتبرك بالسطور وقد غلب على قلبه الفرح والسرور وقال لقد راق الزمان وصفا وظهر الحق الذى عن المسلمين قد خفا ولاحت أنوار القدرة الظاهرة والآيات الزاهرة والدلالات المتكاثرة ثم انه رفع رأسه من تحت القبة وقال أسألك أيها المسيح الساطع بالنور الذى هو من قدرتك مشهور بانتشار الميت من القبور وإخراجه قبل النشور ووقوفه مذعور فى المكان المشهور من خلف الويل والثبور وباخراجه من لحده ووقوفه بين يديك وحده وسؤاله عن ما عنده يامن لا تغيره القدرة التى كانت فيه ولم تلهه ملاهيه بل كانت الأنوار عن عيون أعداه تخفيه وهى ظاهرة عليه ياصاحب الاشراق والميلاد والتلاق ياذى اللسان الفصيح الأعظم يامن فى أحشاء أمه قد تكلم وأمه المبراة من التبجيل الشاربة عين السلسبيل المطهرة من دنس الدنيا الدنية يامن هو مرفوع إلى السماء العليه أسألك بحق ما أقسمت به عليك وبما توسلت به اليك ألا ما كشفت لى الحجاب وأوريتنى النور من بعد الخطاب وجعلتنى من حامية الأحباب (قال الراوى) فما أتم عقبة ذلك الكلام حتى ظهر نور يأخذ الأبصار ويذهل الخواطر والأسرار وعلا وزاد حتى حير عقول

العباد وبعد ذلك ظهر لؤلؤ من أحد الأبواب ونور فى وجهه قد أضاء وزاد فى اللمعان حتى بقى كأنه شهاب وقال ابشر أيها الشيخ النجيح ومن هو حجة السيد المسيح فما أنت عندنا إلا مقبول وكلامك عندنا مسموع غير مردود لأنك أنت ودعاك وكلامك عندنا مستجاب وليس دونك يقفل باب لأنك الحجة على العباد وأنت الطريق الى الصواب والرشاد وقد قرب الوقت والمآب ولا بد لنا نرفعك ونرفع لك الحجاب وتصل إلى محل المكاشفة ونقعدك على بساط المآنسة والملاطفة واعلم أن المسيح يسلم عليك وعلى أصحابك الرهبان والجاثليق والمطران وعلى الراهب أبو الشر الذى تقرب من أجلنا فى كل مكان فبشره أننا قبلناه وقبلنا زوجته الصالحة شوما وولدها دهر شوم لاسيما شوما التى مامنعت قس فى طول عمرها وتصدقت فى محبتنا بعقرها ولا منعت أحدا من نفسها وكانت تخفض للرهبان حسها وتصلح أسها المنقطعة للعباد فى كل دير وكل مكان وأيضا ولدها دهر شوم الذى عاش عمره فى الهموم وقد جمعناهم فى الجنة يلعبون ويمرحون وفى الوادى الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر يتبخترون (قال الراوى) فلما سمع عقبة تلك الألفاظ والمدح صلب على وجهه وسجد من شدة الفرح الذى على قلبه طفح وأما شومدرس فانه دمعت عيناه ومن شدة فرحته ومسرته بما سمع عن ولده وزوجته وقال وحق المسيح الموجود لقد كان ظنى مفسود والآن نلت غاية المقصود وزال عنى الشكوك والحفود وأنا أعلم أن ولدى وزوجتى فى أعلا عليين فى الوادى الأحمر راتعين لأن الراهبة من حسن عبادتها على يقين وكان لها أربعين سنة ما اغتسلت بالماء لأنها كانت من كثرت طاعتها يأتوها زمر زمر فتقضى حوائجهم وتتلقاهم بالرحب والسعة (قال الراوى) فبكى عقبة وقال فديت تلك الراهبه الصالحة ما كان أطيبها عند التقديس ثم كشف رأسه وجعل يدور من حول الدير ويقرأ فى الانجيل ويقول خلالها مرمومى وعلما سلاما وأسمار طلالا وأودو واشاما ثاما علوا آمين آمين وعاد إلى جانب القبة وصلب على وجهه وصكع وقال ستر حالا وذورا ورحا قديسا (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم بعد ذلك داخله الطرب وظن بعقله الفاسد أنه بلغ الإرب فرجع إلى طبع العرب وأنشد وقال

مولاى لك الفرح والسرور ... وها نحن من حولك ندور
جئناك من أبعد مكان ... بقصد إنا لك نزور
فاغفر لنا يا إله ... وسامح ذنبنا يا غفور
وارحم الشيب جميعا ... فاننا فى غرور

وانظر إلى الشيخ ساجد　　وقد أتى لك نفور
قد ضاع عمرى وولى　　وانى على بلائك صبور
وما له قط ناصر　　عنـــد انهار النشور
خذ له الحق من عداه　　وآخـــذ لهمو بالثبور
واجعله عندك مقرب　　فى مقعـــد بسرور

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انه التفت الى الراهب وقال له ادع أنت الآخر وتضرع بنية ويقين لعل عينك وعينى يرجعون ونعود مردان مثل أهل الجنان فصاح شومدرس وكشف رأسه وقال أسألك يامسيح بأمك القديسة الطاهرة المطهرة بالبيع المكنوسة المفروشة والهيا كل المأنوسة التى جعلتها محل الطاعة ومنزل أهل الشفاعة وبحق الاخوان الذين صحبوك وفاتوا أهلهم ورافقوك وبالأناجيل الأربع وما بينوا فيها من البدع وبالآيات التى ترفع وتضع وتنهى وتروع وهو إنجيل لوقا وانجيل متى وانجيل مرقص وانجيل يوشع أن ترد على العور وتجعلنا آية إلى يوم البعث والنشور وتجعلنا فى أحسن صورة وأحسن من حور الجنان الحور الحسان الذين عند رضوان (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندذلك قال لؤلؤ وهوعلى باب القبة وقد صاح أبشر ياشيخ العلوم بالنعيم الدائم الذى لايزول وفى هـذه الأيام نحضركم الى عنـدنا على بساط القدرة ونردكم الى العالم فى أحسن صورة ولا يكن فى ذقن أحد منـكم ولاشعرة منظورة ولـكن ما يفعل المسيح ذلك حتى تحضر من حوله جميع أمته ويبين لـكم من يطعن فى ملته ويبطل شريعته واختفى عنهم لؤلؤ ولم يزالون يطوفون من حول الدير بالمباخر إلى أن هجم الليل　(قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أبو محمد البطال فانه أحضر واحد من غلمانه وقال له ياولدى انطلق من وقتك وساعتك من هنا الى الأمير عبد الوهاب وأعلمه بتلك الأمور والأسباب وإذا وصلت اليه عرفه فيما بينك وبينه بمـا عاينت وشاهدت من الاحتيال وما دبرت من الأعمال وقل له يجمع العساكر والرجال والأبطال وأن يسير ومعه خمسة آلاف من الأعراب ويقصدون الى ذات الأبرق ويكون وصولهم فى اليوم الفلانى وتلحقه بقية العساكر مع أحد أولاده تـكون المسافة بينه وبينهم يومين وإذا وصل الأمير الى المـكان المذكور أوصيه بمـا يعمل إذا هو وصل فعند ذلك سار الغلام ممتثلا لمـا قال مولاه من الـكلام فى عاجل الوقت والحال قاصد الى ملطيه حتى يعرف الامير

بتلك القضية . هذا والروم كل يوم واردة والى دير الصلبوت قاصدة حتى يشاهدون السيد المسيح وعقبة يأخذهم أفواجا أفواجا ويقدمهم من تحت القبة وينظرون الأنوار الطاهرة والأمور الباهرة التى يعجز عنها كل إنسان ونظروا تلك الشموع فى الليل على سائر الألوان وقراءة الإنجيل ولهم حنين بترتيل واذا طلع النهار وتظهر الشمس ترمى جرمها على تلك القبة وذلك الدهان وأنوار تلك المعادن والجواهر التى يأخذ نورها بالأبصار وقد أضلهم الشيطان وأنساهم عبادة الرحيم الرحمن خالق الإنس والجان تبارك الله العزيز الديان عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا (قال الراوى) ياساده ياكرام وعقبة بن مصعب يبشرهم بالخيرات وينتظرون قدوم الملك ميخائيل ومن يأتى معه من الخواص والعوام من أهل الصليب والزنار وبعد قدوم عقبة بثلاثة أيام أشرفت عساكر ميخائيل وقد ملأت الأقطار والبرارى والقفار والأودية والأوعار وقد أشرفوا ووصلوا إلى الدير نصف النهار فأظلمت الاقطار من كثرة الغبار وقد ضجت تلك الخلائق التى اجتمعت من سائر الاقطار من البرارى والبحار وما كان ذلك إلا قدر ساعة من النهار وقد انكشف ذلك الغبار وزال القتار وبانت العساكر للنظار وهى متدفقة كأنها موجات البحار وقد تزينوا الجميع بأفخر الزينة لأجل القدوم على المسيح وهم بالثياب الروميات من الأطلس وغيره من كل لون فاخر بقطع الجواهر عليهم مضيئة وهم من فوق الخيول العربية الأعرجية وعليها السروج العسجدية ومعتقلين بالقنطاريات الخلنجية والسيوف الهندية والبيض العادية والدروع الداودية وهى بالذهب مطليه وهم فى زينة بهيه وفى مواكب وكتائب وخيول مسومه وجنائب وملك الروم فى موكبه كأنه كسرى أنوشروان ومن حوله عبدة الصلبان وبين يديه ومن خلفه خلق لا تحصى ولا تعد من القساوسة والرهبان والجاثليق والمطران لأن بلاد الروم انقلبت بأهلها لما أن سمعوا بظهور المسيح (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما غلمان البطال أصحاب العاهات فانهم قد أتوا مع جملة الخلائق الذين أتوا وعند وصولهم الى الدير نظروا ماحوله وما عليه من الانوار وما قد شمله من الهيبة والوقار وقد ترجل كل من أتى راكب وأقبل ميخائيل وعلى رأسه الرايات والأعلام وضجت الخلائق من سائر الجهات ونفرت الوحوش من الغابات وتجلى عليهم عالم الخفيات خالق جميع المخلوقات وأنزل عليهم غضبه وضلهم إبليس فى الاقوال والافعال والكل متبادرون الى الدير يريدون البركات وينظرون من السيد المسيح المعجزات هذا والبطال ينظر الى كثرة الخلائق وضجيجهم

ويستغفر الله ويقول لغلمانه والله ما حسبت ذلك الحساب وما علمت أن بلاد الروم تنقلب ذلك الانقلاب اللهم انى أسألك ياحنان يامنان يارب الأرباب يامعتق الرقاب يامسخر السحاب يامن اذا دعى أجاب يامن أنزل على عبده الكتاب صب عليهم سوطا من العذاب وكن لعبدك الضعيف عونا على أهل الكتاب يارحيم ياتواب (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما عقبة القرنان فانه التقى بموكب ميخائيل ومعه شومدرس الكحشان ولما قابلوا الرهبان بشروهم وهم العلماء والحكماء والفلاسفة بنزول المسيح من السماء وبعدهم التفت الى الملك ميخائيل ومعه شومدرس الدليل الى أن صاروا بين يديه وقبلوا الارض قدامه وقالوا أيها الملك الرحيم والسيد العظيم تعيش وتبقى زماناً طويل واعلم أن هذا اليوم يسعدفيه من يسعد ويشقى فيه من يشقى فى حضرة السيد المسيح الذى ظهر لنا من الضريح فلما سمع الملك ميخائيل ذلك الكلام قال بشرهما المسيح بكل خير أخبرونى إن كان ذلك الخبر صحيح فقال عقبه أيها الملك السعيد أنا أخبرك بالقول الرشيد لأنه أعلمنى بكل مافى صدرى وعرفنى بكل ماعملت فى طول دهرى وأيضا الراهب شومدرس أعلمه بخبر زوجته وولده وما جرى لهم من الأمر المكتوم وأظهر لنا جميع أحوالنا وأمورنا فقال الملك إن كان الأمر كذلك فهو المسيح بلاشك ولا ريب ونظر الملك الى تلك القبة والأنوار فبقى كأنه سكران ومال على الأرض طربا واهتز عجبا وأسرع الى ناحية القبة مهرولا بعد ماحفى أقدامه وزاد خشوع وفاضت على خديه الدموع وهى تجرى مثل السحاب وأكابر الروم والملوك فعلوا كفعله وجعلوا يسألون المسيح مثل سؤاله (قال الراوى) هذا والبطال وغلمانه زادوا فى تلاوة الإنجيل بصوت له حنين يشفى القلب الحزين وكانت الملوك والروم كلهم يسمعون التلاوة وقد زادوا ضلالا على ضلالهم وقد حسن لهم إبليس وجه المحال وأرسل اليهم من يغويهم عن عبادة الملك العلام وبينما الناس فى ازدحام من سائر الأجناس من تلك الأمم وعلى القدم ألف قدم وإذا بصياح أهل العاهات والبلايا وقد أقلب الدنيا والناس محتبكة ومزدحمة وقد عاينوا الأهوال لأنهم رأوا من حول الدير خلق بعدد التراب وقطر السحاب وقد ارتفعت الضجات وانقامت الزعقات وأتوا أصحاب البلايا والعاهات وقد زاد بهم الفرح والمسرات ووقفوا على باب الدير وقد زادت من حولهم الأصوات ونادت غلمان البطال الذين هم أصحاب العاهات نسألك يامسيح أن تكشف عنا مانزل بنا من الأمراض المخفيات والظاهرات إلا انهم قد زاد بهم الفرح والسرور بما قد تم لسيدهم من الأمور

ورأوا شيئا من عجائب الدهور فقالوا ارحمنا يامن لناغفور وادخلنا الجنان والقصور والولدان تخدمنا والجور لاجل ما أبليتنا فى دار الدنيا بكل أمر محذور ورزقتنا الامراض وتركتنا فى سائر البلاد ندور ولا نجد من يكشف ما بنا ولا تأتينا آجالنا نستريح من ذلك العذاب الذى جاءنا ونالنا لأننا ماتهنينا فى الدنيا بمنام ولا تلذذنا بطعام ولا شراب ولا قعود وما صدقنا تأتينا أيامك وقدومك ونحن سالمين من الموت والحمام فساوينا بخلقك وأوسع علينا من رزقك وأنقذنا مما نحن فيه ببركتك وفضلك وقربنا إلى عندك واجعلنا فى جنابك وارحمنا وأجرنا من عذابك وقنا نقمتك إنك بنا رحيم وبعبادك رؤف كريم ثم إنهم بعد ذلك الدعاء والتوسل قعدوا على باب الدير حتى كادوا يهلكوا أصحاب العاهات ولولا الملك بنفسه والحجاب يمنعون بالناس بالسياط والضرب وإلا كانوا أهلكوهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فبينما الناس كذلك وعلى مثل ذلك وهم يضجون ويستغيثون قدر الساعة من الزمن وإذا ببديع فتح الباب ولمعان وجهه يأخذ بالأبصار وادخل أصحاب الامراض وهو يقول ادخلوا و بشروا بنيل الغرض وزال المرض والشفاء وبلوغ الغرض وفى ذلك الوقت طل البطال بوجهه وهو كأنه دائرة القمر ونوره يأخذ البصر ولما أن رأوه الروم زاد عجبهم وضجيجهم وتحيرت أفكارهم وزاغت أبصارهم فعند ذلك أمر غلمانه بقراءة الانجيل جهارا حتى تشتغل أفكارهم وتحير أسماعهم فقرأوا قراءة سالمة من الغلط واللحن حتى حيروا الافكار بحنين وأنين يشفى القلب العليل الحزين وأما أصحاب العاهات لما صاروا من داخل الدير رجعوا على عجل وعليهم دلائل الخير وفتح لهم الباب فخرجوا وعليهم من الحرير ألوان وثياب الديباج وعيون الأعمى فتحت وبقيت مثل السراج وأما المقعد مشى وزاد به الفرح والابتهاج والمزمن قد انتشا والمكسح دب ومشى والأخرس نطق باللسان والبيان والابرص عاد لونه كما كان (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولما أن رأى الملك إلى ذلك البرهان غاب صوابه ولا بقى يعرف مابه ووقعت الملوك على الأرض كأنهم موتى مما أصابهم من تلك الدهشة وصارت الكفار يتبركون بهم والذى ما يصل اليهم يأخذ من تراب أقدامهم والرهبان من حولهم يزدحمون وصار على القدم ألف قدم وأما عقبة الملعون صار كالمجنون مما عاين من تلك الأمور ويقول الراهب اطلب من المسيح أن يرد عليك عينك حتى أتقدم أنا بعدك يرد لى عينى وكلما أراد الراهب أن يتقدم تزاحمت الناس والامم حتى كادت الناس أن تهلك فتقدم عقبة ونادى

يامسيح نحن الشيخين الأعورين ارحمنا ورد علينا عيوننا فغلق باب الدير فصاح عقبة يا ويلكم ان سيدنا المسيح ما يقدر فى ساعة واحدة يرضى كل انسان ولا يتحمل ذلك الضجيج والعجيج من كل الأجناس وأما خوفنا أن تحملوا عليه فى السؤال فيصعد إلى السما ونحن نبقى على ما نحن عليه من العمى (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه كان يسمع الأخبار حتى كثرت الأقاويل وهو يكذب ما يسمع من المقال حتى كثر الحديث بين الناس وصححوه بنظر العيان وصححه هو أيضا مما سمع ونظره بالنظر إلا أنه مشتغل القلب على النسوان الذين أخذهم الملك قراقونا وهم القناصة ونورى وميمونة وزبيدة بنت القاسم وهو حائر كيف يخلصهم من جزيرة الضرس وقلعة العمد لأنها قلعة على سن جبل وقد عدم البطال وهو جناحه الذى به يطير وجواده الذى عليه يغير وقد وقع به الاياس ولزم العبادة ولا يلتفت الى أحد من الناس وكان فى بعض الاوقات يدعى على المأمون خلفة بنى العباس الى أن صح عند ظهور المسيح تعجب من ذلك كل العجب فجمع سادات العرب ووالدته الأميرة ذات الهمة ولما أن حضروا عنده قال ياقوم لقد كثر الحديث بذلك العجب الذى قد ظهر فى مدينة خرشنة والبحيرة وما بقى أحد الا وقال المسيح قد ظهر فى دير الصلبوت وله هيبة ووقار وان الدير يرهج بالانوار وقد اجتمعت هناك الروم من سائر الاقطار وكل قليل يأتينا جاسوس بهذه الاخبار وأنا ما يصح عند ذلك المقال ولا عند أهل العلم وأهل الفضل وانما يكون ظهوره فى الوقت المعلوم حتى تأتى على الناس أيام الاهوال وذلك اذا كثرت المذاهب وفشى الفسوق وقد تظاهرت به الرجال والنساء وداوموا على شرب الخمور صباحا ومساء وعظمت الامور وضاقت من الناس الصدور وخرجت الدواب والاعور الدجال وظهرت العجائب والاهوال وكثر بين الناس الزنا واللواط والمحال وشهدت بعض الناس على بعضها بالزور وأكلوا أموال اليتامى بالبهتان والفجور ومشت العلماء فى الاسواق ومن خلفهم الغلمان واتخذوا من أموال الترك ما يغنيهم عن النسوان وكثر الظلم والغش فى القرى والبلدان وطلعت الشمس من المغرب فى فلكها وقد استقامت واستغاثت الارض من كثرة الزنا والفسوق الى ربها ومالكها هنالك ينزل عيسى بن مريم عليه السلام أرض دمشق وهى جنة الشام ويحكم فى الارض أربعين عام ويتزوج على سنة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ويموت ويدفن فى الحجرة وهذا الذى ظهر فى دير الصلبوت قد ظهر

وبان قبل هذا كله من هذه الكائنات وقدمت اليه الروم من سائر الجنبات وأنا أقول والله أعلم ان بعض الحكماء أو بعض الفلاسفة فعل بهم تلك الفعال حتى يأخذ أمواله وينكح نسوانهم وأنا لا بد لى أن أمضى الى نحوهم وأطرح روحى عليهم ومعى فرسان الاسلام لأن هذا أفضل ما يكون من الجهاد فى أهل الشرك والفساد فقالت الاميرة ياولدى ما الاخبار الا تواترات وكثر الحديث بين الناس والصواب المسير الى الجهاد ونربح الثواب من رب الأرباب ولعل ذلك يكون لفتح خرشنه سبب الذى مات البطال وقلبه فيه البلاء منها وكان يقول لى يافاطمه كل بلاد الروم أدخل اليها وأقدر عليها إلا خرشنة مالى وصول لأن لها سبعة أصوار وسبعة خنادق وأيضا صاحبها برصويص جبار عنيد وشيطان مريد ثم انهم بعد ذلك الحديث أخذوا فى أهبة المسير اليها (قال الراوى) ياساده ياكرام وفى تلك الايام وصل بديع غلام البطال الذى أرسله مولاه ولما وصل بادأهم بالسلام وأخبر الامير عبد الوهاب سرا بينه وبينه ففرح به وسأله عن ذلك الامر كيف كان فقال تم له كذا وكذا فتعجب الامير من ذلك الاتفاق وقال والله ان ابليس مايهتوى الى ذلك الفعل ولا يقدر على ذلك العمل لاننا سمعنا أنه أبرأ الاعمى والابرص والمكسح والمزمن فقال بديع اعلم يامولاى أن أصحاب العاهات كانوا من غلمانه وقد أرسلهم قبل رواحه الى بلاد الروم ويظهرون العاهات وباقى الدير مع جملة الناس وأنا كنت من جملة أصحاب العاهات وأظهرت روحى فى بلاد الروم أنى أعمى وبعد أن خرجت من عنده من الدير فتحت بعد العمى ورأيت شيأ يخبل العقول ويترك الصحيح مذهول لانى رأيته عجائب ما يهتدى اليها انسان وسوف تقف عليها وتنظرها عيان لان العيان أصح من سماع الآذان (قال الراوى) ياساده ياكرام فأرسل الامير خلف والدته فأتت اليه فى محل خلوته وأعاد عليها ما سمع من غلام البطال فتبسمت من شدة الفرح ومن اعجابها قالت أقسم ياولدى أن هذا الامر لا بد أن يؤرخ ويكتب وماهى قليل لو كتبت بماء الذهب لما فيه من الايناس والعجب لان والله يا ولدى هذه الفعال ما تخطر على قلب انسان والساعة على ماذا عولت أنت أن تفعل فقال أسير مع الغلام وأفعل بما أوصانى به من المقال لعل أن أسير اليه سرعة وأتفرج على هذه الصنعة وبعد ذلك أنزل على الخليفه وأتحلل منه لما قلت فى حقه لانى دعوت عليه من غير علم فقال بديع يامولاى ومعى كتاب أمرنى سيدى أن أوصله اليك وهو مختوم ترسله لامير المؤمنين يعمل بما فيه فعند ذلك أخذ الامير الكتاب وسلمه الى البراج وأمره أن يعلقه

على جناح طائر من الحمام ثم ان الأمير تجهز من يومه فى خمسة آلاف فارس وباقى العسكر مع ولده ظالم وقال له اتبعنى بعد يومين على خرشنه حتى نبصر ما دبر البطال وأوصاه أنه يكتم الحديث عن النساء والرجال ورحل الأمير من ملطيه وصحبه غلام البطال وقال له ماقال لك سيدك أن تفعل فقال يامولاى أوصانى أنك لما تصل الى وادى الابرقين تنزل فى وادى الآس فاذا وصل اليك عسكر الروم وقدامهم عقبة المذموم فلا تمانعون ولا تقاتلون بل سلموا أرواحكم اليهم واظهروا لهم الحيرة والانذهال فقال بعض الأمراء وكيف نسلم أرواحنا من غير حرب ولا طعن ولا ضرب فقال لهم الأمير لولا يعرف أن فى ذلك نوع من الصلاح ما أمرنا به (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انهم ساروا قاصدين بلاد الروم حتى وصلوا الى وادى الابرقين فعرجوا على وادى الآس وهم يسألون بديع عن فعل مولاه وهو يحدثهم بكل عجيب وهم يتعجبون من ذلك (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من فريد زمانه ونادر أوانه فانه أقام على ماهو عليه مع الروم من ذخاريف المحال حتى علم أن الامير عبد الوهاب خرج من ملطية لأنه كان أجل له أجل فعند ذلك زاد فى وقود الشموع المصنوعه التى نورها على سائر الانواع والالوان حتى دخل فى قلوب الروم الجزع والفزع والهيبة وزادوا غلمانه فى قراءة الانجيل وخرج تلك الليلة من القبة من الباب الذى من ناحية ملك الروم وصاح بأعلى صوته بعد أن قرأ شيئا من الانجيل أيها الملك الرئيس يقول لك السيد المسيح سيروا الى وادى الابرقين وانحدروا الى وادى الآس وخذ بعض حقى من الذين هناك فأنا الذى لا يخفى على خافية من أمر خافى (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما سمع عقبه ذلك المقال كاد عقله أن يخرج من شدة الفرح وقال هذا هو السيد المسيح حقا وصدقا وتقدم تحت القبه ونادى يا حوارى ومن هناك من الأعداء فقال له المسيح يقول لك ياحجتى على عبادى إن أسود بنى كلاب هناك ومعه جماعة من العرب وقد عول أن يكبسكم فى ظلام الليل ويحل بكم الويل ويحسبون أن النصر يدوم وان الدهر معهم والسيد المسيح يأمرك أن تسير اليه خمسة آلاف فارس على عددهم وكل واحد منهم يقبض على واحد وتوصى أصحابك لا أحدا يؤذى أحدا منهم لما توقفهم بين يدى المسيح ويعرض عليهم دينه ويقينه فان أجابوا غفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر وما مضى من أعمالهم ويسامحهم من موبقاتهم ولا يتولى ذلك الأمر إلا أنت والشيخ أبو الشر شومدرس وأيضا الشيخ النجيح وحجة المسيح لأنه حجتى على عبادى ومتولى أحكامى فى بلادى وتصرفه فى

خلق كتصرفى لأنه شيخ الشيوخ ونزهة الزمان وبركة الكنائس والبيع والصلبان ويكون شومدرس راهب الرهبان المقدم على كل قس ومطران وفى أيديكم العكاكيز والصلبان ومعكم مائة قس وجاثليق ومطران ومثلهم رهبان وجدوا فى المسير حتى توصلوا إلى أعداء الدين فاذا رأيتموهم رأى العين تقربوا منهم ولا تشهروا سلاح ولاسيف ولارماح بل إذاتصففتم قدامهم يتقدم حجتى على عبادى ووكيلى فى شريعتى فى أرضى وبلادى الشيخ النجيح الى قدام ولا يفزع ولايخافهم ويقرأ إئتوا وأنتم صاغرون وطائعين ويتقدم حجتى ويمسك شكيمة جواد عبد الوهاب وكل واحد يمسك واحد وإئتونى بهم أجمعين حتى أناقشهم على أعمالهم وما عملوا فى عبادى من أفعالهم وان كان الشيخ عقبه يخاف أن يفعل تلك الفعال فيقول عند لقاهم إئتونى صاغرين بحقمن خلق من الطين طير ويرفع هذا الصليب فى وجوههم وينظر مايجرى عليهم من قدرتى ثم أرمى لهم صليب من شمع مكتوب عليه أسطر فعند ذلك أخذ عقبة الصليب وصار يقبله ويمر به على وجهه وصدره وهو يقول : آمنا آمنا انك أنت المسيح حقا وبما أنزلت الينا من البركات والكرامات والدلالات صدقا فقال ميخائيل ياشيخ وحق هذا المسيح لابد أن أسير معك وأنظر هذه القدرة الباهرة والمعجزات الظاهرة لأن المسلمين كلهم شجعان أقران كيف ينقادون معنا ونحن فى عددهم لأن الخمسمائة يريدون عسكر مدينة (قال الراوى) ياساده يا كرام فقال عقبه ياملك كان ذلك فى زمان حالهم كما تقول وأما الآن فقد ظهر البرهان ثم ان ميخائيل أخذ من ليلته خمسة آلاف فارس من الروم من كل بطل همام من البطارقة الذين يثق بهم فى الشدايد العظام من كل همام وثيق الذى يمزق الحديد تمزيق وفى ليلته ركب الطريق وعقبه قدامه راكب على حمار أبقع وإلى جانبه شومدرس الاوزع الابقع والصليب على رأسه والعكاز فى يده وقد انقامت حدته وهو لاتسعه الدنيا من فرحته وقد عادت إليه أيام شبوبيته وسروره وفرحته وشومدرس الى جانبه وهو يقول يارئيس الملتين ومقدم الطائفتين نحن فى منام أو أضغاث أحلام وهذا الامر صحيح وحق المسيح ما أصدق أن عبد الوهاب يسلم روحه بلاطعان ولاضراب لاهو ولا من معه من الاعراب إن كانوا نازلين فى ذلك المكان (قال الراوى) ياساده ياكرام وقد صاح فيه عقبه وقال امش يا كلب الرهبان بلا كثرة كلام ياخرفان أتكذب ماقال المسيح من البينات وتكفر فى شرع الرهبان وتشك فى بركة ذلك الصليب فيأخذ المسيح البركة منه لأن فيه معجزة من هو قادر ويعلم بما فى السرائر وان كانت نيتك

فاسدة فتهلك بهذه المجاهدة لأن المسيح لاتخفى عليه خافية (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الامير عبد الوهاب ومن معه من الفرسان فانه قد نزل فى (وادى الآس) وأقام لأجل الراحة فلما كان عند الصباح أشرف عقبه ومن معه من العساكر والنهار من الغبار صار كأنه الليل العاكر وعقبه فى أوائلهم راكب على ذلك الحمار ولما أن وصلوا إليهم ركبوا عن بكرة أبيهم وتصففوا صفوف وكذلك عسكر الروم صاروا قدامهم والخيل وقوف هنالك تقدم عقبه وهو يقول: انقادوا صاغرين مسرعين أجيبوا الى الحق طوعا أو كرها بحق خالق الطير من الطين ثم ان عقبه هز الصليب الشمع فى وجه الامير عبد الوهاب والروم تتبعه وتقول مثل مقالته وكان الامير أوصى من معه بما علمه غلام البطال ولما تقدم عقبه وقال ماقال وأومأ بالصليب صار العرب يتمايلون كأنهم سكارى وكل واحد من الروم تقدم الى واحد منهم ويأخذ عدته من يديه ولا يتكلم بل يصيح به الرومى ويشده كتاف وعقبه لما شاهد ذلك حار وأخذه الانبهار وهتك ستر الأستار وهجم على الأمير وضايقه بالحمار وصاح ويلك سلم نفسك ياابن مرزوق من قبل أن يحرقك هذا الصليب بالنور وتصير هباء منثور فتمايل الامير فى سرجه وهم أن يشد يده فوقع السيف من يده وسلم نفسه اليه فشد كتافه وعقبة مثل المجنون ينادى: يابنى كلاب غدا توقفون قدام المسيح وتحضرون الحساب وينادلكم من العقاب وترون ما أعد لكم من العذاب إلا أن تتوبوا وتسألونى أنا حتى أسأله فيكم وإلا صب عليكم سوط من العذاب (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الأمير لما سمع من عقبة ذلك الخطاب قال فى نفسه والله ماتكلم هذا الكلام إلا وقد رأى من البطال مايحير كل إنسان فقال لعقبه ياقاضى أنت أعرف منا بالأديان وعارف بتصاريف الأزمان لأن كل من فى بغداد يرجعون اليك ويصححون المسائل كلها عليك لأنك طول عمرك مشغول بقراءة كتب العلماء ونحن مشغولين بالطعن والضرب ومعاناة الحرب والآن قد صحت صحائح ولاح لى من هذا الصليب لائح لأنك أول ما قابلتنى به استرخت جميع عضاى وقل حيلى وقواى وكدت أن أقع على قفاى فان كان هذا من المسيح تبعناه وقلنا بقوله وصدقناه لأن من كانت هذه الفعال فعاله يجب أن يصدق فى مقاله وإن كان هذا سحر قد دبرتموه أنتم والحكماء فلا نحول ولا نزول عن ديننا ويقيننا فقال عقبة وأنتم ياملاعين بقى لكم دين أو يقين اصبروا بس لما تصلوا الى المسيح ومن

عنده من الحوراريين الذين اطلعوا على السر المكنون وترون ما كنتم به تكذبون ثم انهم زجعوا بهم وهم فى سرور وحبور وعقبة قدام قائد جواد الأمير عبد الوهاب وهو عليه مشدود وهو معه فى خطاب وحساب وعتاب ويوعده من المسيح بالعذاب والعقاب وميخائيل اللعين الذليل قد ضل عقله وتاه فكره وهو فرحان الذى ظفر بالأمراء وكلهم ما يعلمون ماذا يقضى عليهم قدام المسيح ولا ما يجرى لهم لما يقفوا قدام الضريح وجدوا فى سيرهم الى أن وصلوا الى الدير وقد زال عن الكفار كل ضير فنظر الامير عبد الوهاب ومن معه الى خلائق كأنها التراب سبحان مفنى الخلائق لأنه نظر حول الدير أمم ما عليها حساب وتلك الأنوار من أعلى الدير تلوح وقد ضربت تلك القبة من فوقه كأنها السراج الوهاج ومن حوله تلك الأمم والخلائق فتعجبوا من تلك الامور التى ما يهتدى لها أحد ولا وصل اليها لا أبيض ولا أسود وعقبة قدام الامير ومن معه وقد ظهر الخشوع وقد ظهر البرهان وبان لنا ما كان عنا فى كتمان . وأما الروم لما أبصروهم مقبلين صاحوا فى وجوههم فردهم الملك ميخائيل ثم صاح عقبة فى العالم وقال : لا تسيئوا الأدب قدام المسيح فإنه عليكم يغضب ولما أن سمعوا كلام عقبة امتنعوا عنهم وتأدبوا ولما قربوا من الدير ترجل الملك ميخائيل ومن معه ومشوا حفاة مكشوفين الرؤوس والأمراء معهم وقد صفوهم خمس صفوف وصاح عُقبة بملء دماغه : ياشيخالون ياشيخالون إعلم المسيح بما فعلناه بأعداه ودعه يأمرنا بما نصنع فيهم فظهر لؤلؤ من إحدى الابواب وقال إن المسيح يأمركم أن تمضوا بهم الى البلد واتركوهم فى كنيسة الذهب حتى انه ينفذكم تأتون بخليفتهم لأنه خرج من بغداد ومعه جيش عرمرم من الترك والعرب والديلم فإذا وصلتم إليه ابذلوا السيف والعدد ولا تبقون على أحد وأنا أمسك عنكم أيديهم وائتونى بخيلفتهم سالم أين ما كان لأنه قد سبق علمنا فيه نجعله عندنا مطران ونوصله إلى جزيرة الرهبان (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن سمعوا ذلك الكلام ساقوا الامراء بين أيديهم حتى أدخلوهم الى البلد وأدخلوهم الى الكنيسة والامير يقول ألا ترون الى ذلك والله إن هذا من العجب وكأننا فى منام أو نحن فى أضغاث أحلام فتبسمت الاميره وقالت : أتظن ياولدى أن ينتج الزمان بمثل هذا الامير أبو محمد البطال لأن الله تبارك وتعالى جعله نقمة على الروم وهذا كله إلهام من الحى القيوم وانه حقيق من أولياء الله الصالحين على أن الروم يستحقون ما يفعل بهم هذه الفعال ولولا ذلك ما كانوا يعتقدون الأرباب ويطلبون الشفاعة من الصور المصورة فى

الحيطان وقد أضلهم الله عن طريق الرشاد حتى ينطلى عليهم ذلك المحال (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أن أدخلوهم الروم الى الكنيسة غلقوا عليهم الباب وكانت أيضا البلد خالية من أهلها وما فيها إلا النسوان وكلهم من حول الدير يتعبدون والى ربهم المسيح ينتظرون والبطال لما عرف أن الأمراء فى البلد تيقن أنها بقت فى يده فقال لغلمانه ما بقى فى الأمر إلا شيء واحد وهو أن عسكر الإسلام إذا أتت على أثر عبد الوهاب ما أقول انهم يلتقون هذه الأمم التى هى فى عدد التراب ولابد لى أن آمر ميخائيل يسير الى لقاء المأمون كما أوعدته حتى يضعف ذلك العسكر ويقل ويبقى أكثرهم عوام فيكونوا طعام لسيوف الاسلام وأنزل أنا الى (خرشنه) وأسلمها الى الخمسة آلاف الذين فيها وأفضل هذه النوبة ما دامت مبهمة فقالوا له افعل ما تريد فربما يأتى شيئا لم يكن لم الحساب (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان لؤلؤ ظهر من القبة وصاح صوتا مزعج حتى رمقته الأبصار وتطاولت اليه الأعناق وأمر ميخائيل أن يرحل الى لقاء المأمون ففرح بذلك أن المسيح خصه بهذا الامر دون غيره من الملوك ورحل من وقته وساعته وسار معه كل طامع وكل جبار وانطلى عليهم ذلك المحال . وجد ميخائيل طالب قصده ولم يعلم أنه سائر الى حتفه وعكسه فهذا كان من ميخائيل ورحيله . وأما ما كان من أبو محمد البطال فانه بات الى أن أصبح ولبس الزرنباقة التى صنعها فى بغداد وكانت من ريش السمندل (قال) وهذا السمندل طير فى بلاد الهند وكره فى النار ويبيض ويفقس فى النار وقوته من الجمر ومنه تعمل الملوك مناديل وكل ما علاها الوسخ ألقوها الى النار فتعود كما كانت أول مرة وأن البطال فرد تلك الزرنباقة على رأسه بعد أن طلاها بدهن السندروس المستخرج معه بالحكمة ولما لبسها قربها من النار فاشتعلت من سائر جنباتها حتى بقى بالتشبيه كأنه شخص من نار ودهن أركان الزرنباقة كل ركن بدهان من الذى استخرجه فى بغداد ولما أن تمكن من رأسه وشم الدهن رائحة النار صارت النار تشعل على سائر جسده بألوان مختلفة ولهيبها على قدر امتزاج الادهان وخرج البطال من القبة بتلك الصفة وغلمانه من حوله يضجون بقراءة الإنجيل ولما أن رأوه الروم بتلك الصفة بهتوا اليه وحارت أفكارهم وزاغت أبصارهم وتحيرت أذهانهم وضجوا وهجوا حتى قلبوا الدنيا وهم يقولون : اغفر لنا ياإلهنا وارحمنا وازدحموا من حول الدير حتى كادوا يقلعون حيطانه وتزلزلت أركانه وبعضهم يقول : انزل إلينا بحقك ولا تمنعنا من رحمتك ورزقك فانزل حتى نراك وتزول من قلوبنا الأشكاك (قال الراوى)

ياساده ياكرام فصاح بهم لؤلؤ : ويلكم ياعباد الصليب قللوا من ذلك الصياح والزموا الأدب فان المسيح نازل إليكم ويبلغكم منه الأرب ويعرفكم الزهد ويخطب لكم خطبة بليغة فى كنيسة الذهب وسوف تنظرون مايفعل بهؤلاء الأعراب وبأميرهم عبد الوهاب الذى لمعجزاته كذب ولكن قدموا صاحب هذه المدينة إلينا حتى نبشره برضانا عليه ونأمره مايفعل بأمرنا (قال الراوى) ياساده ياكرام فما كان بأسرع من حضوره وهو الملك برصويص وقبل الأرض ووقف بأدب وقد حار عقله مما سمع ومما رأى وكادت روحه أن تذهب فقال له لؤلؤ اسبق الى بلدك أنت وخواصك وأصحابك واحفظ الباب ولا تدع أحدا يدخلها إلا من تعرفه من ذوى الألباب والأنساب حتى ينظر المسيح الطائع من العاصى المرتاب ويختار لنفسه من يكون طائع ولقوله سامع (قال الراوى) ياساده يا كرام ولما أن سمع صاحب خرشنه ذلك المقال مضى الى البلد فى عاجل الحال وأخذ أصحابه وحجابه ممتثلا الى المقال عندذلك تبعوه خلق بعدد التراب وقطر السحاب وبقيت الرهبان والقساوسة والمطارنة تحت الدير وقوف حتى ينزل لهم المسيح وكل منهم له يشوف ويدور من حوله لأنهم علماء وعقبة وشومدرس والبطرك (مضرطونا) كل منهم باهت ونفسه خافت وعقبة ينظر الى تلك النار التى تشعل ونزل البطال وهو فى تلك القبة وأبوابها مشرعة . هذا وقد تلقوه الرهبان والشمامسة والمطارنه بالحفاوه والإكرام وشالوه على الأعناق فلم يزالوا على تلك الصفة حتى انهم وصلوا الى (خرشنه) ودخلوا بتلك القبة من الأبواب ومنعت الحجاب الناس من الدخول ولا تركوا أحداً يدخل إلا اذا كان معروفا ثم غلقوا الأبواب وقصدوا بالبطال إلى الكنيسة التى فيها الأمراء وصعد على كرسى عالى بعد أن خرج من تلك القبة فقال عقبة لشومدرس اليوم ياراهب تضرب من أعدائنا الرقاب وأنا أريد أسأله فى الامير عبد الوهاب وفى أمه وأقول له أشتهى يامسيح منك أن أصلبهم على باب الذهب الذى أرادوا أن يصلبونى عليه فقال شومدرس يا قاضى إن المسيح ليس له غرض فى القسطنطونية ولا فى ملكها وإن كان له غرض فيها كان نزل على كنيسة سوفيا ولو كان له غرض فى ميخائيل ما كان أبعده عن حضرته إلى بلاد الاسلام .

(تم الجزء الثامن والثلاثون ويليه الجزء التاسع والثلاثون)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء التاسع والثلاثون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى وآله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده ياكرام وكان البطال أرسل أربعة من غلمانه دخلوا مع برصويص وخواصه لما أدخلوا الأمراء وقال لهم اصبروا لما نقرأ عليهم قداس الثبات فلما دخلوا حلوهم من الكتاف وأمروهم أن يديروا أيديهم وراء ظهورهم وعند نزوله من الدير خلف من خارج الدير اثنين وقال لهم إذا رأيتم عسكر العرب وقد وصلوا أمروهم أن يضربوا السيف فيمن تبقى من خارج المدينة ويهجموا على الدير ويأخذوا ما فيه (قال الراوى) ياساده ياكرام وانه لما دخل الى كنيسة الذهب وقد ازدحمت بالخلق والأمم وبقى على القدم ألف قدم وكانوا كلهم من كبراء الروم ووجوه البطارقة والحجاب وأرباب المناصب حتى كاد المكان أن ينقلب وكانت تلك الكنيسة عظيمة القدر عندالروم لأن مابعدكنيسة صوفيا إلا تلك الكنيسة وأما البطال لما حصل فى الكنيسة خرج من تلك القبة بتلك النار والأنوار وصعد على كرسى عالى الى صفة المنبر وقد أدار وجهه الى ناحية الروم ونطق بلسان عربى فصيح وقال فى أول كلامه (الحمد لله ذو الجلال) فسجدوا الكل اليه ووقعت عليهم الخمدة شوقا الى سماع كلامه فأشار اليهم بيده ورفع الماشوحة عن وجهه فظهر منها نوراً يأخذ بالأبصار وقال: (الحمد لله الكبير المتعال الذى خصص الأشياء من غير مثال ورفع من فوقنا هذه السموات بلا علاقة ولامشال وسخرالشمس والقمر والنجوم العوال وبسط الارض الصماء على تيار الماء وأرسى من فوقها الجبال وأثبت الأشجار وأوثقها بالثمار وجعل الحر والظلال وفجر من صم الحجر الأصم ماء مالح وآخر كالزلال وأمر الأفلاك بالدوران فدارت يميناً وشمال وأطلع فيها شمسا وقمراً ونجما وهلال وجعلها خداما لبنى آدم حتى يعرف بهما عدة الشهور والسنين والأيام والليال

وذلل لنا الهوام على ضعفنا فأطاعتنا وماعصتنا على كل حال وقسم بيننا جميعا الأرزاق والآجال وجعل فى خلقه أراذل وفيهم من هو للهيبة والكمال لايدرك له وصف ولا مثال ولا يعرف له خلف ولا قدام ولا يمين ولا شمال ولا ولد ولا والد ولا عم ولا خال ولاوزير ولامشير ولامعين على الأمور الثقال بل يسبح له الحصى والرمال والجبال وتسبح له موجات البحار عند هيجانها بريح الشمال ويحمده الذر تحت تخوم الارض إذ أتاه رزقه بغير سؤال وهوالذى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بنور الهدى لمحو رسوم الضلال وبين لنا الحرام من الحلال اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ما نطق لسان بمقال وما أشرق الصباح وأغسقت الليال صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم العرض والسؤال . أما بعد يامن حضر من الكفار أهل الشرك والضلال الذين ليس لهم بصيرة ولاحال من الأحوال اعلموا اننى أنا أبومحمد البطال ودققت عليكم الاحتيال وسخر الله لى قلوبكم وانطلى عليكم المحال لما يريد الله تعالى من خلاص الحريم والعيال الذين أخذهم قراقونا وهم عنده فى العذاب والنكال وإنى قد اشتقت الى صفح شومدرس وعقبه شيخ الضلال وأريد أنتف منهم السبال وأمعط شعورهم الطوال وألطم قزالهم بمسامير النعال (قال الراوى) ياساده ياكرام انه ما تم لأبو محمد البطال هذا المقال حتى خرجوا الأمراء فى الحال الى وسط الكنيسة ومعهم السيوف السقال وهم يهدرون كأنهم فروخ الجان والسودان كأنهم سباع الدحال وفى أقل من ساعة بذلوا السيف فيمن هناك من الرجال وأن الروم وقع بهم الانذهال وتحيروا من تلك الأسباب والأعمال ولم يبق أحد منهم يعرف مابين يديه كأنه سكران بغير خمار من فعل أبو محمد البطال (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما عقبه ابتلاه الله بكل نكبه فانه جعل يلطم على وجهه ويحثو التراب على رأسه ولوث لباسه وهو يلتفت يمين وشمال ويقول يالها من مصيبة ما أعظمها وللظهور ما أقسمها ياله من يوم ماأيشمه على أهل الصلبان وياما فيه شدائد وأهوال وشومدرس يقول أناماقلت لك ياقاضى ياقرنان اننى أنارأبى هذه الفعال وأنت تقول لى اسكت ياراهب لايعلم المسيح بهذا المقال صدقت الآن ياقرنان انه ماهو المسيح ولابد اليوم ما تمحى آثارنا وتخرب ديارنا ونصير مثلا ما بقيت الليال وما منهم إلا من أراد الهرب ولكن ماقدروا على ذلك لأن أبواب الكنيسة مغلقة والسيف يعمل فى أعناق الرجال وهو كأنه الشقائق وفى دون ساعتين من النهار هلك أكثرهم وقد قبضوا على الباقين وشومدرس وعقبه شيوخ المنافقين وصاحب (خرشنه) اللعين وصفوا الكل قدام

البطال وقال ويلك لاتناديه بالمسيح فلا عاش ولا بقى يامسيح فغضب عقبة من ذلك وقال لا تناديه بالمسيح فلا عاش ولا بقى ولا صار فى عمره مستريح فصاح به البطال وقال له ويلك يا شيخ الزنادقه يا أهل العمى والضلال ان لم أكف أنا المسيح أكون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم صاحب القدر الرجيح والوجه المليح واللسان الفصيح ولولم تكونوا من أهل الضلال ما كان ينطلى عليكم ذلك المحال (قال الراوى) ياساده يا كرام فبينما هم كذلك إذ سمعوا الأمراء وقد رفعوا الأصوات بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ورنين البتار فى رقاب الكفار وكان ذلك من الأمير ظالم لأنه لما أقبل ورأى الى كثرة تلك الخلائق من حول ذلك الدير صار حائر مايدرى مايعمل وإذا بغلمان البطال الذين أوقفهم سيدهم أقبلوا عليه وعرفوه بما جرى وأمروه أن يوقع بهم فعلا ويسقيهم شراب الردى فأشار بيده الى من معه وحمل وفى حملته اهتز السهل والجبل ونزل على الروم الزلل وضربوهم بالصوارم على أعلى القلل وأوقع فيهم ضرب البتار ولما سمع الأمير صيحات الرجال خرج من الكنيسة ببعض الرجال ووكل الباقين بالكنيسة ومن فيها من الاسارى ولما أن صار من خارج الكنيسة كبر الفرد الصمد وذكر الصادق محمد وبذلوا السيف فى أهل (خرشنه) وبقى السيف يعمل ظهر البلد ومن داخله وقد تفطرت من الجبان مرائره وبقت الرجال تصرع من داخل البلد ومن ظاهره ودام الأمر وقل الصبر ولم يزل الحسام يعمل والدم ينزل والرجال تقتل يوم وليلة الى الصباح فنادى من بقى من الأروام : لوريك لوريك يعنى الأمان ورموا ما كان معهم من السلاح وأما الذين كانوا من خارج البلد فإنه قد هلك منهم خلق كثير لا تحصى بعدد الرمل والحصى وتفرقوا الباقين هائمين على وجوههم وماسلم منهم إلاالقليل وغنم ظالم ماكان معهم من الأساس والخيام والأموال وقرب من باب المدينة فرأى أبوه الأمير عبد الوهاب قد ملكها والتقى والده بالسرور والأفراح واجتمع بعضهم ببعض وشكروا البطال على مافعل من تلك الأفعال وبينما هم كذلك واذا بأبو يخلف المغربى وهو يقول : فين البطال حتى أشكره على هذه الفعال وأين عقبة شيخ الضلال وشومدرس شيخ المحال فلابد ما أصفعهم بالنعال بالجلود وان لم أفعل ذلك عشر أبو يخاف مع اليهود لأنهما كانا سبب فقد ستى شمه التى من أجلها حصلت تلك النكسة هذا وقد ملكوا البلد ودخلوا الى البطال وجعلوا يذكرون ما جرى عليهم من فراقه وما عندهم من الشوق الى لقائه ومن النسوة المأسورات فقال لهم البطال اعلموا

أن الأمر تيسر وهان وأنا ما فعلت تلك الفعال إلا من أجل (نورى) ومن معها من النسوان لأن ما لنا طريق إلا من ههنا ومن مدينة القسطنطونية ولكن أنتم قد سمعتم ما طلب ميخائيل من أجل العبور وربما ملك الثغور من هذه البلد وعند ما ملكنا هذه البلد تيسر الأمر وهان وما بقى يصل إلينا ضرر ثم انه أحضر صاحب (خرشنه) وقال له ويلك ياجاحد كيف ترى مافعل ربك رب الأرباب ومعتق الرقاب هل نفعك حذرك منى كيف مثلت الصورة يا كلب الكلاب واحتقارك بالنبى الأواب ثم انه أمر بإحضار الصورة فحضرت فعلقها فى رقبته وشنقه على باب الكنيسة ثم انه صعد هو والأمراء الى قصره الذى هو محل عزه فوجد فيه أموالا ثقالا شىء يعجز وصفه اللسان ولا تحويه دفاتر ولا ديوان من الجواهر والتحف والظرف ما يساوى ملك خراسان مراراً عديدة فقال الامير هذه الاموال ننفقها فى سبيل الله ونتقوى بها على السفر الى الجزائر ونعمل منها مراكب ثم انهم كتبوا كتاب إلى الامام بما فتح الله لهم من (خرشنه) وأعطوا الكتاب إلى نجاب فلما وصل إلى الامام الظفر شكر الله تعالى على ذلك وفرح بإزالة تلك البدعة التى أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فهذا ما كان من الأمراء وأما ما كان من ميخائيل لما سار بالعساكر على ما وصفنا من الدير مازال إلى أن التقى بالمأمون وكان الخبر وصل الى المأمون فى الكتاب الذى أرسله اليه البطال فلما وصل اليه كان على حذر ووقع بينهما القتال ثلاثة أيام ولما أن كان فى اليوم الرابع وصل الخبر أن عبد الوهاب ملك (خرشنه) وأن الذى كان المسيح هو أبى محمد البطال فحصل لميخائيل الوبال والنكال وخاف خوفا عظيما وألقى الله تعالى الرعب فى قلوبهم فانهزموا من قدام المأمون الى مدينة القسطنطونية فوجدوا فيها البكاء والعويل والحزن الطويل على من قتل من الرجال ومن هلك من البطارقة . ولما أن قر قراره علم أن عبد الوهاب لابد له من الدخول الى قلعة الفرس فصار يتفكر فيما جرى عليهم من ذلك الأمر النحس (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما كان من الامير والسيد الخطير الامير عبد الوهاب وسيدى عبد الله غازى بطال ومن معهم من الرجال فانه لما فرغ من أشغاله وملك (خرشنه) وكل بها من يحفظها ورحل بمن معه قاصدا الى يانس المتغرب وأما ملك الروم قال لابد لى أن أعمر المراكب واجعلها فى طريق عبد الوهاب حتى يلاقوه فى البحر ويشغلوه عن الوصول الى قراقونا ثم شرع فى ذلك . وأما ما كان من يانس فانه تلقى الامير عبد الوهاب أحسن ملتقى وهنأه بالسلامة وما وصل اليه من النصر والظفر

وأقام عنده ثلاثة أيام وأخذ أهبة الرحيل وقال ما أقدر أقيم أكثر من ذلك لأنى ماضى الى طرسوس الى عند على بن يحيي الأرموى وأسأله أن يجهز لنا مراكب من عنده الى قلعة الفرس لعل أن يكون لنا الوصول اليها بغير واسطة ملك الروم فهذا الذى أريده لأجل هلاك عقبة وشومدرس ودع يكون مهما كان وأنا أريد أن يكونوا عندك ياىانس خوفا من ملطية واذا كانوا عندك أكون أنا مسرور وخالى السريرة من جهتهم لأن ملك الروم لابد له منهم ولا يصلح إلا عليهم ثم ان الامير عبدالوهاب تركهم عنده وسار من على الحصن يقطع الارض فى طولها والعرض الى أن وصل الى طرسوس ووصل الخبر الى الامير على ففرح بهم ثم خرج من ثغر البلد الى لقاء الامير عبد الوهاب فلما التقى العسكران تقدم الامير على وقبل الارض بين يديه وأيضا خرجت أهل البلد وكان ذلك اليوم كأنه من بعض الأعياد ونزل الامير عبدالوهاب فى المنزل الذى كان برسمه اذا كان فى طرسوس وهرعت الفقهاء والعلماء والفضلاء والشعراء والصعاليك وغيرهم وكان عادة الامير اذا وصل إلى طرسوس يتصدق بخمسة آلاف دينار فأعطى وأوهب وفرق الفضة والذهب وبر الأرامل والايتام ثلاثة أيام (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أن كان فى اليوم الرابع طلب على ابن يحيي وقال له أيها الامير إن القصد اننا مرادنا نقصد قراقونا فقال الامير على بن يحيي والله يا أمير ان سلامتك عندى هى الغنيمة الكبرى واننا من أول مارأيناك ورد علينا السرور فأما ماذكرت من جهة المراكب فهى عندنا ونفديك بأرواحنا فكم يكفيك من المراكب يا أمير فقال له الامير عبد الوهاب فما يكون عندك فقال له الامير على بن يحيي عندنا مائة مركب كبار وصغار من المراكب العال الذى لايوجد مثلهم فى هذا الزمان وأنت تملك بها إن شاء الله تعالى جزائر البشار وأما جزيرة الفرس التى فيها قراقونا فنخبرك يا أمير بأنها جزيرة حصينة لايهتدى الى وصولها أحد وما لأحد عليها سبيل لأن المكان حصين وأيضا الطريق اليها بعيد وربما أن المراكب تتلف عند ملتقى الجبلين ومجمع البحرين لأن الوصول الى ذلك الموضع لا يكن إلا بعد أربعة شهور كوامل إذا كان الريح طيب معتدل ولما تصل الى ذلك المكان الذى هو مجمع البحرين هناك مكان وقد أحكمته الحكماء والملوك القدماء أن له سلاسل من الجبل الى الجبل الذى يليه وعلى السلاسل أقفال وعلى رؤوس الجبال صناديد الرجال يأخذون الخمس من كل من يعبر عليهم من التجار والسفار ولا يقدر أحدا يدخل إلا بأمر من صاحب الجزيرة ويكون معه تعريفا من ملك الروم ميخائيل واذا فعل

ذلك يسير بعد السلاسل يوم كامل حتى يدخل الى بحر مظلم يسير فيه سبعة أيام كوامل وبعدذلك يصل الى جبل متوسط مسيرة يوم كامل عرض وطول وفيه أضراس شاهقة فى الهواء وعلى سن منهم قلعة من الحجر الأسود بأطواق من الحديد والملك قراقونا فى تلك القلعة وفى تلك الجزيرة أشجار كثيرة عليها أثمار غزيرة وفيها عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى والوصول إليها صعب شديد فإذا عزمت على ذلك الأمر فالمعونة من الله (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب من الامير على هذه الاوصاف العظام والامور المهمات فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم والله ان هذه مواضع صعبة وأمور كربة فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يساعدنا ويسهل علينا هذه الامور بجاه سيدنا محمد النبي الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت الاميره والله ياولدى إن هذا لأمر عظيم وحال جسيم ولا يتم لنا مانريد إلا اذا صالحنا ملك الروم وتسير مراكبه معنا وتكون طريقنا على غير تلك الجبلين المذكورين واذا وصلنا الى الجزيرة دبرنا على أخذ القلعة واذا لم نقدر على ذلك أخذنا كل مافى الجزيرة ونقبض على أهلها ولا نبرح منها حتى نفادى بهم أسرانا فقال لها الامير هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب فعندها قال الامير لوالدته افعلى مابدا لك وارسلى الى ملك الروم ميخائيل بما عولت عليه فقال الامير أبو محمد البطال هذا الامر يقتضى لخلاص عقبه وشومدرس واننا يسوءنا خلاصهم من يدى وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسهل على قبضه بعد ذلك ولكن احتالوا لنا على مائة مركب وعمروها بالرجال وتوكلوا على الله الكبير المتعال ولا تعرفوا دخولكم من بين الجبلين إلا منى أنا بعون الله فقال الامير عبد الوهاب كيف تعمل فقال له الامير لايهولك وصف الجبلين اللذين قد سمعت بهم واعلم انى لو أردت أن أجعلك ملك الروم ميخائيل بنفسه بمشيئة الله تعالى لما عز على ذلك فلا تشغل قلبك أيها الامير من هذا الامر فالله هو المعين على هذه الامور كلها فعند ذلك اهتم الامير فى إعمال المراكب والبطال يدبرها برأيه ومعرفته حتى تكون سريعة المشى والمسير خفيفة عند لقاء الاقران وقد أعانهم على ذلك الملك الديان الذى لايشغله شان عن شان فما مضى عليهم أكثر من شهرين حتى تم لهم اعمال المراكب المعلومه وهى المائة مركب ماعمل مثلها ولا أحسن منها فى الاسلام وكان يوم نزولهم إلى البحر يوم عظيم الشأن قرأت فيه الفقهاء القرآن العظيم وتصدق فيه الامير بألف دينار على الفقراء والمساكين وقد أخذه الدعاء من كل جانب ومكان من الخاص والعام سرا وجهرا وبعد ذلك أشحنت المائة مركب بالرجال والابطال والنفط واللبود

الطيلقانى وغير ذلك من الآلات ولبس الامير أبو محمد البطال وغلمانه لبس الخام والحرير الملكى ورتب له عشرين رجلا على صفة الخدم ولما فرغوا من أشغالهم دخلوا على الامير على بن يحيى الأرموى وأوصوه على الثغور وأن يكون على يقظة من الامور وأخذوا المراسى من ميناء طرسوس ورفعوا القلوع ولجوا فى البحار وطاب لهم الهوى بإذن من على العرش استوى وقلوع المراكب كأنها أجنحة الطيور (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومازالوا سائرين الى ثانى نهارهم وإذا هم بمراكب سائرة فى البحر كأنها طيور طائرة وكواكب سائرة فى لجج البحار الزاخرة وكان البطال فى مقدمة المراكب فقال ياقوم إن هذا أسطول فى البحر سائر وماندرى ماهو فكونوا على حذر من أمركم واحترسوا من عدوكم فعند ذلك ساروا بقية يومهم وطول الليل الى وقت السحر فعندها قربت المراكب من المراكب وعلا منهما الصياح والزعاق من كل جانب ومكان حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ووقعت العين على العين وزاد الشك والمين واذا بالمراكب الذين رأوهم المسلمين أربعمائة مركب معمورة بالرجال المقاتلة بالدرق الكاملة والقنطاريات الخلنجية (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أن ملك الروم لما بلغه خبر وصول الامير عبد الوهاب إلى حصن يانس المتغرب ورحل الى ثغر طرسوس الى عند الامير على بن يحيى فأرسل الجواسيس خلفه فغابوا أيام وعادوا إليه يخبرون بعمارة المراكب وإضافتها الى المراكب العتيقة وانه سائر فيها الى جزيرة قراقونا فصلب على وجهه وقال: ياترى أيظن الامير عبد الوهاب أنه يصل الى جزيرة الضرس هيهات هيهات إن كان يصل اليها ولو كان من الجن الطيارة لم يصل اليها ولم يقدر عليها فقالت كبار بطارقته: أيها الملك ان معه أقوام مثل الجن ما تقدر عليهم لاسيما صاحب الحيل الذى يضرب به المثل الذى عمل معنا كل أمر قبيح وظهر لنا أنه فى صورة المسيح حتى قال كل واحد منا إن هذا الأمر صحيح فقال الملك ميخائيل صدقتم فى هذا القول لعنه المسيح وأنا خائف أن يملكون ذلك المكان ويأخذون مافيه من الذخائر الغوال والأموال العظام فقالت جماعة منهم هيهات هيهات لأن ذلك المكان خلاف غيره لايطمع فيه طامع وأمر تلك القلعة بين الناس شائع فقال الملك لابد أن يدخلون الى ذلك المكان وأنا كنت أشتهى أن أظفر بقراقونا وأوافقه على فعاله ولكن الآن مابقى إلا اننى أصالح قراقونا وأتفق أنا وإياه على عبد الوهاب وها أنا أبعث أربعمائة مركب الى قراقونا يقدمون عليه ويعلموه أن عبد الوهاب واصل اليه حتى يكون على حذر منه وعنده فى الجزيرة ستمائة مركب كبار وصغار يدعهم يكمنون

له فى عطف من البحر وإذا هو وصل اليهم يهجمون عليهم ويوصلون الأذية اليهم ويضربوهم بالنار فما يسلم منهم ديار ولا نافخ نار فاذا فرغنا من المسلمين فقدر بعد ذلك على أخذ ذلك اللعين قراقونا « قال الراوى » ياساده ياكرام فقالوا له قومه هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب فبادر إلى ما أشرت به من هذه القصة وأسقيهم اصعب غصه فعند ذلك أمر الملك بتعمير المراكب فعمرها وملأها بالرجال والنفط الطيار ومن سائر العدد والآلات واقلعوا من القسطنطونيه فتلاقوا بمراكب الاسلام فى ذلك المكان كأنهم كان بينهم ميعاد ولما تقابلوا مع بعضهم البعض زاد بينهم الابرام والنقض وفى دون ساعة زاد الصياح بين الطائفتين وكثر الزعاق من الجانبين ونادوهم من أنتم فصاحوا الروم نحن أصحاب ميخائيل ملك الروم وسائرين إلى جزيرة الفرس فى مصالح للملك نقضيها وأمور نمضيها وكان أبو محمد البطال فى مركب حربى قدام المراكب وعنده الأمير عبدالوهاب وأبطال بنى عامر وبنى كلاب أنصار النبى الأواب فقالوا لهم مالكم وصول إلى الجزيرة ونحن لكم ولهم وسوف نقتل رجالكم وننهب أموالكم ونحرق مراكبكم ونردكم عن مطالبكم فلما سمعوا الروم ذلك الخطاب غاب عنهم الصواب وماجوا فى بعضهم بعض وميلوا عليهم مراكبهم وصاحوا بلغاتهم خذوهم على أطراف أسنة الرماح لقد قرب علينا المسيح الطريق وأراحنا من العنا والتعويق ثم أنهم وطوا القلوع وقدموا المراكب الكبار التى تصلح للصدام ووقف الأمير على جانب المركب ونادى يا معاشر العرب والسودان أبشروا بالأموال والنوال والثواب من الملك الوهاب دونكم وهؤلاء الكلاب ولما أن سمعوا من أميرهم ذلك الكلام والمقال فعلوا مثل فعال الروم الأندال وكل مركب من مراكب المسلمين انفرد إلى مركبين من مراكب القوم المنافقين وأما الأمير عبد الوهاب فانه قصـــد إلى الكبير الذى قدام المراكب وتصادمت المراكب مع بعضها بعض او بانت المعاطب وسلت السيوف فى الايادى والقواضب وقاتلوا قتال من أيقن أنه ذاهب وكانوا فى مكان ما ينجوا منه هارب وقد هاج عليهم البحر لما هب عليهم ريح الشمال وأتتهم الامواج كأنها الجبال وشابت من الرجال الرؤس من كثرة الاهوال ولاصق الامير المركب الكبير بعد أن صدمه صدمة تهز الجبال ووثب وثبة صار فيه وتبعته السودان كأنها جن سليمان وفى دون ساعة ملكوه ووضعوا السيف فى كل من فيه وعطف على الثانى من غير توانى فما طول به الخطب حتى بذلوا السيف فيهم وأبادوهم عن بكرة بينهم وإذا هم بالصياح عن يمينهم نامى والصراخ سامى وإذا بالامير ظالم وقد أخذ

مركب وكسر الثانى وأحرق بالنار الثالث وأما الاميرة انعطفت على المركبين الذين انفردت بهم ففى دون ساعة أهلكت من فيهم من الجماعة وأما ملابط البغال فانه نكل بالروم وفعل أمر مهول وأوردهم العذاب ألوان لان الاميره قبل خروجها من ملطيه قدمته على الفين من السودان لما بلغها ما فعل فى القسطنطونية لما أرسلته مع السودان بالرسالة وجرى له ما جرى من تلك الامور الصعاب وكذلك طاطم وفلاق الجاجم وكل من وصل الى مركب أوصل لمن فيها العطب هذا ولم يزل الصارم يعمل فى البحر حتى عاد بياضه الى سواد واحمرار وجود واضرب البتار وغرقوا أكثرهم فى البحار واحتووا على ما كان فيهم من العدد والاموال بعد ما شربوا أهلها شراب النكال ولا قوا لهم ناصر ولا ملتجأ وانقطع الامل والرجا وصار بعض المراكب حريق والبعض غريق والبعض أضافوهم الى مراكبهم وقال الامير سيروا على بركة الله تعالى فساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وجدوا فى المسير ليل ونهار الى أن وصلوا الى الجبلين المتلاحقين فقال لهم رجل شيخ يقال له مازن وكان عارف بالبحر وهو الذى عرفهم بالجبلين وقد بقى بينهم وبين الجبلين يومين فأمرهم أن يرموا المراسى وأقاموا يومهم وليلتهم الى عند الصباح قال الامير أبو محمد البطال ياقوم أرموا القلوع وأقيموا امكانكم وأنا أسير قدامكم فى هذه المركب أنا وغلمانى إلى أن أصل الليلة اليه والى هؤلاء القوم وأكلمهم بما يلهمنى الله تعالى اياه فى المقال فان شالوا السلاسل وفتحوا الاقفال والا أرميتهم بالذل وبالنكال وان كان فى غداة غد سيروا الى أن تلحقونى وتقصدونى فلا تجدون ان شاء الله تعالى الا كما تريدون وتشتهون ثم أنه بعد ذلك أخذ معه الشيخ مازن وغلمانه وسار فقال الشيخ يا أبو محمد أرسى بنا فى هذا المكان حتى يذهب الظلام فعند ذلك أرسل البطال المراسى وباتوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح ثم أنهم ساروا وتوكلوا على الله الكريم الفتاح وجدوا فى المسير مقدار ساعتين فأشرفوا على القرنين ونظروا الى الجبلين واذا هم شاهقين الى عنان السماء وهو مكان مرتفع لايقدر على وصفه انسان ولما نظرتهم الاروام الذين فى البرج الذى على رأس الجبل ونظروا الى تلك المركبين وهى موصوفة فنادوهم من أين جئتم والى أين تذهبون ومن أين أنتم فعند ذلك أجابهم أبو محمد البطال وهو فى صفة قسيس وقال لهم نحن من جزيرة أريس وما أتينا الى هذا المكان على حال التعجيل الا فى السر من عند الملك ميخائيل لانه نادى فى جميع أقاليم الروم من أجلكم وأمر أن لايحمل أحدا تجارة اليكم ولا الى جزيرتكم وذلك لاجل ما وقع بينه وبين الملك قراقونا

فأنزلوا وافتحوا ولا تعوقونا لأننا خاطرنا بأرواحنا وأموالنا وان علم الملك ميخائيل بنا أنفسد حالنا لأجل التجارة التى معنا وقد جلبناها لكم وهى قطن وكتان وخام جئنا بها من بلاد الاسلام فلما سمعت الرجال من أبو محمد البطال ذلك المقال فرحوا ونزلوا فى ساعة الحال ورفعوا السلاسل وفتحوا الاقفال فعند ذلك دخل البطال وألصق المراكب إلى الساحل وقد بلغ ما كان له آمل ثم انه صعد وصعدت من بعده الأميرة ذات الهمة وأقبلت الروم اليهم على نية أخذ المكسب والغنيمة ثم ان المسلمين صعدوا من المراكب الى البر وكل واحد منهم قد تجهز للسفر فلما نظرت الروم إلى فعالهم أنكروا حالهم وكانت الروم خمسين بطريق وكان فرسان المسلمين فى عدد الكافرين إلا أن بينهم وبينهم تفاوت عظيم فلما رأت الروم ذلك صاحوا عليهم خذوهم على أسنة الرماح فصاحت عليهم بنى كلاب الانجاب ففى مقدار ساعه من النهار قتلوهم عن بكرة أبيهم ولم ينفلت منهم انسان واشتغلوا بقتلهم ثم أنهم بعد ذلك طلبوا البرج وطلعوا اليه وأخذوا جميع ما فيه من الذخائر والأموال العظام وأقاموا هناك بقية يومهم وقد من الله المنى والمآرب فلما كان عند المسا وصل الأمير عبدالوهاب وبقية المراكب ومن فيها من الأمراء الانجاب ففرحوا بذلك الحال وشكروا الله ذو الجلال ثم انهم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأنار بنوره ولاح واقلعوا فى لجج البحار وخدمهم الريح بأمر الملك الجبار ولم يزالو سائرين إلى أن وصلوا إلى الجزيرة وقد صفت منهم السريرة وإذا بهذه الجزيرة فى وسط البحر وهو محدق بها من كل جانب ومكان وفى وسطها جبل عظيم وهو فى وسط تلك الجزيرة راسب فى وسط ذلك الجبل ضرس شاهق فى الهوى مرتفع عن الثرى والقلعة مبنية على ذلك الضرس لا يقدر يصل اليها أحد من الانس وأما الجزيرة ساكن فيها خلق كثير وأمم غزيره فلما وصلت المسلمين اليها وأشرقوا عليها ونظروا الى تلك القلعة وارتفاعها اغناهم نظرها على السماع فعند ذلك قال الأمير عبدالوهاب لبنى كلاب اقصدوا الجزيرة وأنزلوا القلعة فوقعت بهم الصرخة وخرج قراقونا وقد أنزعجت منه الحواس وصاح فيمن عنده من الناس إلا وأن المراكب الاسلامية قصدت جزيرتنا من أجل المأسورين (قال الراوى) ومن ههنا ينقسم الحديث قسمين وذلك ان الملك قراقونا لما أخذ الأسارى وسار بهم الى جزيرته وهو مشغوف بالملكة ميمونة وقد أعرض عليها المال الفاخر واللالى والجواهر وقال لها هل لك أن تطيعين وتملكين رقاب الروم فعند ذلك قالت أقسم بمن خلق المخلوقات وصنع المصنوعات كلها على وحدانيته شواهد بأنه لا اله الا هو الواحد الأحد أنك متى دنوت منى هويت اليك

بيدى فأحرمك نسيم الهوى وأعدمك الحيل والقوى وان أنت أغصبتنى على روحى قتلت نفسى فدعنى فى حال حتى أنظر لنفسى وكان مرادها بهذا الكلام أن تقطع طمعه منها ويدعها ويعرض عنها وكان هذا من تعليم الاميره علوى فعند ذلك علم الملك قراقونا أنه متى تعرض لها قتلت روحها فما هان عليه فقدها لأن الهوى تعلق معه وملا قلبه وهو مدل بالمحبة اليهـا فأقام على ذلك مدة وأفرد لميمونه مكانا فى أعلا القلعة وتركها فيها وحدها وترك زبيدة وبقية النسوان فى أسفل منها وجعل عليهم الاقفال والحرس وكان أيضا قد نظر نورى ورأى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقال لهـا أريد أزوجك بولدى شمس النصرانية وهو أحسن الناس وجها وابهاهم منظرا وهو أحب اليك من البطال العيار المحتال القبيح الوجه بين الرجال السمج الخلقة بين الابطال (قال الراوى) فلما سمعت نورى منه هذا الكلام قالت له اعلم أيها الملك ان ذلك لايكون أبدا ولو شربت شراب الردى ولالى رغبة فى الزواج وأما قولك فى أبى محمد البطال فانه رجل عيار محتال وقد فتك فى الكفار كل أمر مهول لم يقدر عليه انسان لامن الانس ولا من الجان وهو معين لعصبة الاسلام والمسلمين البررة الاتقياء فى الدنيا والاخرة المحفوفين بعناية رب العالمين وها أنت عن قريب تراه وقد صفت منه الأقدام ووقف فى خدمة مالك الملك وخالق الخلق الملك العلام خالق الضيا والظلام من جملة الخدام الذى لايخيب سائله ولا يضام اذا كانت هذه الصفة صفته وهو غدا يوم القيامة يبعث بوجه مضىء وخلق رضى وقد أعطى من الجمال ما لوطلع به الى دار الدنيا لكان يغنيها نوره عن نور الشمس والقمر وذلك فى مقابلة سهر الليل وملاقاة الابطال فى يوم النزال وقهر الاقبال والطاعة فى الجهاد للملك الكريم المتعال والصدقات بالاموال وها نحن مقيمين عندك فى المكان حتى ننظر ما يجرى من الملكة ميمونه وما يجرى بينهما وبينك من الفعال فان أجابتك الى مادعوت فانا أوقفها على ذلك الحال (قال الراوى) فعند ذلك أعرض عنها ثم أقبل على السيده زبيدة بنت القاسم فبكت لانها من بيت الشرف والاصل والتفضيل والفخر الجليل تنسب الى محمد سيد المرسلين صلى عليه وعلى آله وصحبه وسلم صاحب التحريم والتحليل والكتاب والتنزيل ونسبها متصل الى اسماعيل والى أبونا الخليل ابراهيم وما جرى عليها قط شدة ولا خرجت من بغداد الا الى الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وبرت المسلمين بالعطايا والهدايا والخير المتواتر وعملت القناطر وكانت لها صدقات جارية وخيرات وافرة وافية وما كانت تتعصب لعقبة وتفعل معه تلك الفعال الا على نية القربة الى الله ذو

الجلال لأنها ماكانت تعلم مافى بطنه من الخداع والمكر والاحتيال وإنما كانت تأخذ بالظاهر من الأقوال والأفعال هذا وعقبة لعنه الله وأبلاه بكل نكبة يلعب بالأديان ومن جملة تلاعبه كونه يأخذ بعقول الرجال فكيف عقول النسوان ربات الحجال لأنه كان شيطان فى صورة انسان (قال الراوى) ولما قال لهم الملك قراقونا ذلك الكلام والمقال رجعت الى النفس الأبية والنخوة الهاشمية والهمة العربية والحمية العباسية والحماسه المحمدية وقالت له ويلك ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه رضى الله فاك ما هذه الافعال ومثلك من يقول لمثلى هذا المقال ويتلفظ بالزور والمحال أتظن أن مثلى يبيع الهدى ويشترى به الضلال أتأمرنى أن أكفر بالله الذى خلق السموات السبع وهو باريها ومدحى الاراضين السبع الشداد على تيار الماء وهو منشيها ومحصى عدد أمواج البحار ومجريها ومنشىء السحاب الثقال وبالرعد والبرق يقويها وخالق الخلق من نطفه من منى يمنى ومحييها لا إله إلا هو ولا معبود سواه ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون فمن هو بهذه القدرة العظيمة كيف ينسب الى الأولاد والأزواج تعالى ربنا عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا فدع عنك ياعدو الله ماقلت ولا يكن هذا منك مرة ثانيه وإن شئت قتلى فاقتلنى فانى أنا المسعودة بذلك لأنى أصل الى رب كريم جواد حليم مالك الممالك والى دار أمان فى فراديس الجنان وحور وولدان وخيرات حسان وإن أردت المال والنوال والتحف الغوال فعلى المال المعجل فان أمرى لا يهمل (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الملعون من كلامها هذا المقال والبيان والبرهان علم أنها من أعقل النسوان وأعلاهن قدرا وشأن فاعرض عنها واقبل على الملكة شمسه واعرض عليها التنصر فقالت له أنا ماكنت إلا نصرانية ومن أهل ماء المعمودية وكنت مأسورة مع أنحس الخلق وأبشعهم صورة وهو شيخ أحول ثقيل وحاله مهيل وماكان المسيح إلا غضب علىّ وأوصل الأذية الى والا ماكان بلانى فيه ففرح بقولها وعلم معانيه وزوجها بولده شمس النصرانية بعد أن غمسها فى جرن ماء المعمودية وطهرها القس وقال لها قد طهرت الآن من أهل الملة الحنيفية وسلمها إلى شمس النصرانية وكان لها عرسا عظيما عطره فائح وقد ذبحت فيه الذبائح وعملت فيه الولائم للجى والرايح وسكبت الخمور وصارت الأقداح عليهم تدور واستحبوا أوقات السرور وألبسوها الحلى والحلل والملابس الملوكيه ودخل عليها شمس النصرانية فلما علمت الملكة ميمونة بذلك الامر صعب عليها وكبر لديها فقال لها الملك لورجعت الى ديننا

واتبعتنى يقينا لكنت أنا وما أملك لكى من جملة الخدم وأفضت عليك الخيرات والنعم فك نعبا بكلامه إلى أن زاد بها غرامه ولعب الهوى بعقله وشذت منامه فشكى ذلك إلى القس فقال له أيها الملك أسلم جسما وإلا فأنت عندك من القوه والجلادة ما تغصبها على نفسها فهل هى إلا ضلع أعوج ولسان متلجلج وهى إلى الزواج أحوج فقال له الملك أيها الشيخ الصالح والقس الناصح والأب الكبير والمطاع إنها أفرس المسلمين فى الصراع وما بها توانى ولا عاقة وما لى إليها من طاقة فقال له القس فإذا كان الأمر على ذلك فاهجم عليها وهى نائمة فى جنح الظلام الحالك فقال الملك دع عنك هذا الكلام الكالح أيها الشيخ الناصح واترك عنك الملام فإن الجارية ما تنام ولا تلتذ فى ليلها بمنام إلا تصلى وتبكى وتدعى وتشكى والناس نيام وقد بلغنى أنها كانت سألت زوجها المهاب أسود بنى كلام أن لا يلم بها الفراش وكانت انفرت لنفسها لتأمن من الهراش وأخاف أن أدخل عليها وهى على يقظة من أمرها فما أسلم من شرها وتعدمنى حياة الدنيا وأصير من جملة الأموات بعد ما أكن من جملة الاحياء فقال له القس وقد كان رجلا محتالا عياراً مكارا خداعا قطاعا وصالا واسمه قطرون المسيحى فقال له أيها الملك أنا أعطيك شيئا تعمله لها فى حلاوة وتنفذه إليها فإذا أكلت منه قدر وزن مثقال وقع عليها من النوم مالا تقدر أن تقوم منه يوم وليلة فإذا أطعمتها من ذلك فإنك تنال منها كل المراد فإذا قامت ولا خبر لها أنت عند ذلك بالاختيار إن شئت أعلمها وإن شئت أكتمها فقال الملك عند ذلك الخطاب هـذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم قال له إنى أخاف أيها الشيخ إن هى علمت ذلك منى يطول نوحها وتقتل روحها وكنت أموت بغصتها ولا أسلا محبتها فقال له لا تخاف فما عليك بأس ولا خلاف ثم ان الملك قال له افعل ما شئت من هذه الحيلة فإذا عملتها أرسلها إلى حتى أنى أرسلها إليها مع جملة الطعام فى الوقت المعهود وإنى أرجو منهـا بلوغ المقصود (قال الراوى) وكان كل يوم يرسل إليها أطيب الطعام فزعا عليها لا يتغير لونها ويتبدل كونها طمعا فى وصالها وقربها واتصالها ثم ان القس عمل للملك تلك الحلاوة وعمل فيها العقاقير التى يجدها فى الكتب القديمة والمركبات المستقيمة أشياء ليس يعمل البنج عملها ولا يفعل فعالها لمستعملها ثم أرسل إلى الملك منها شيئا قليلا وشال الباقى الى وقت الحاجة اليه ثم ادعا الى الخادم الذى له وقال له امضى بهذا الطعام الى ميمونة ولا تزال عندها حتى تأكل الطعام وتتناول من بعده الحلاوة فاذا أكلت منها اعلمنى

بذلك فقال سمعا وطاعة يامولاى هذا والامور تجرى والمقادير تسرى والمدبر يدبر والعبد أسير القضاء والقدر ودخل الخدام الى البيت الذى فيه ميمونة وكان أعلى بيت فى القلعة وكان الملك قراقونا قد جعلها هناك حتى لايضيق صدرها وتنظر الى تلك المدينة التى هى فيها وكانت مراكبه كل يوم تسير تحت تلك القبة التى هى فيها ويلعبون بين يديها وهى تنظر اليهم وأن الخادم دخل عليها فوجدها وهى متغيرة اللون مضطربة الكون وقد ضرب سوادها الى الاصفرار وقلبها الى الانكسار وعليها آثار البكاء والأنين والاعتكار فأنكر ذلك من حالها فوقف الخادم قبالها وقال لها إن الملك يحييك بالسلام وقد بعث لك هذا الطعام وهو من الخاص لأنه من أطيب الأوز والدجاج التى فى الاقفاص وحلاوة السكر وانه لايطيب له شىء من ذلك يأكله إلا أن تأكلين منه وهو فى هذه المنزلة لايخالف لك أمراً ولا يفشى لك سراً فهو معها فى الكلام واذا هو بصراخ وبكاء معها فى البيت فتأمل ذلك الأمر الخطير واذا هو بكاء طفل صغير فتحير من ذلك الاتفاق فعند ذلك حصل له انقباض فى صدره وضيق فى نفسه (قال الراوى) ياساده ياكرام وكانت ميمونة كما ذكرنا فى أول الحديث أنها حامل من الامير عبد الوهاب ولم تعلم بتلك الامور والاسباب فأقامت فى الأسر والإذلال حتى تمت لها سبعة أشهر بالتمام والكمال وأتى لها الوقت الذى قضاه الله تعالى وقدره فى البرية ودبره فى علم غيبه ومشيئته فوضعت ولداً مليحا سمينا رجيحا كبير الحدق مفتول الذراعين غليظ الساعدين طويل الباعين واضح المفرق كان قرطوسته قرطوسة عجل صغير بوجه أسمر مستدير وانه لما أن وضعته فى ذلك اليوم وقع له فى قلبها المحبة العظيمة والحنية المستقيمة التى تقع فى قلوب الأمهات الى الأولاد والبنات فوثبت بعد ولادتها وغسلت مابها من الأذى ونظفت ما كان من دم الولادة وقد قطعت سرته وكحلت مقلته وأخذت مئزر كان للمائدة فشقته نصفين وبه قمطته وأرضعته وفى جانب البيت أرقدته وقد أخذها البكاء الشديد والافتكار لأجل ماأصابها من الغربة والكربة وبعد الديار والاسر والإذلال ونزول هذا الولد فى مثل ذلك الوقت والحال الذى هى فيه وعلمت وتحققت أن الملك اذا درى به لايستبقيه فزاد على قلبها ما لو وقع على جبال تهامة لهدها وزلزل ركنها وقطبها فلما رأى الخادم ذلك الولد الصغير وعاين صورته ونظر الى سوداه وخضرته وبكائه تارة وضحكه أخرى فضحك الخادم الرومى من ذلك الذى اتفق وجرى وقال لها من أين لك هذا الغلام الاسمر المليح القوام فقالت له ولدى وحشاشة كبدى من بعلى الامير عبد الوهاب لاتخش فيه ولا ارتياب فلما

سمع ذلك من كلامها قال لها صدقت فيما قلت وأريدك تعلمين أن الملك قد أرسل اليك معى هذا الطعام الفاخر فكلى منه وأنا حاضر فانه خاص المأكول ولا يوجد مثله عند غنى ولا صعلوك ولا مالك ولا مملوك فقالت اتركه هناك قدر ساعة فمالى قدرة على الاكل ولا استطاعة وأنا فى هذه الحالة فدع عنك الرقاعة فقال لها ولا من هذه الحلاوة فانها من السكر وعليها طلاوه فصاحت به : دع فضولك واذهب الى حال سبيلك فوضع الطعام مكان ما أمرته وخرج الى دار الملك ودخل على الملك وكان قد أبطأ عليه فنظره وهو يضحك مما اطلع عليه فقال له الملك ما بعد الضحك إلا الخير وذهاب الضير فما وراءك وماشاهدته هناك فقال أيها الملك المصون اعلم أن ميمونة قدجاءها ميمون فقال الملك ويحك وإيش هو ميمون يامجنون فقال يامولاى صغير أسود أجرد كأنه قطعة جلد وهو ولدها وثمرة كبدها وأعاد عليه القصة وأطلعه على باطنها وظاهرها فعظم ذلك على الملك وكبرلديه وحس أن روحه قد خرجت من بين جنبيه وقال له هل أكلت الحلاوه وتلذذت بما فيها من تلك الطراوه فقال له لا يامولاى فقال له ارجع وائتنى بها من موضعها تكون عندى مخبية لها إذا زال عنها وجعها ويأتى شفاها وينقطع دماها ولولا انى أخاف تشويش قلبها لذبحت ولدها فى هذه الساعة ولابد لى ما أقتله بعد بلوغ أربى حتى لايشتغل قلبها بغيرى لا ببنت ولا بصبى ولا تقبل أحدا سواى ويقبل دواى فرجع الخادم إليها وأخذ الحلاوة من بين يديها وأتى بها الى الملك وبقى على ذلك الحال أربعين يوماً ثم دعا الخادم وقال له خذ هذه الحلاوة مع هذا الطعام وامض اليها وبلغها منى السلام (ياساده يا كرام) وأن الخادم سار بالطعام الى الملكه ميمونة وطرحه بين يديها فوجدها كأنها المجنونة فلما رأت ما أتى به طلبت جزاءه وشالت يدها ولطمته فى قفاه وإذا أعلى ما فيه رجلاه وقالت له يا كلب النصرانية وأخس من انغمس فى ماء المعمودية لابد لى ما أرميك فى هذه الساعة فى البحر ويلك على من تريد تعمل هذه الحيلة وكل ساعة تجيب لى هذه الحلاوة وتحملها من منذ أربعين يوم حتى انى آكلها أنام يوما وليلة ويأتينى هذا الكلب الكافر بربه ويبلغ منى غرضه وأربه وأنا أمة موحـــدة ولا أنام الليل حتى أؤدى حق خدمتى لمولاى وعالم سرى ونجواى فهل يليق بكرمه أن يمكن منى الطغاة الفجرة ثم أخذت تلك الحلاوة وأرمت بها الى البحر ومسكت بعراقيب الخادم وقد رفعته بيديها ثم انها أخرجته من الطاقة بقوة ساعديها حتى انها ترمى به فى البحر فنادى : يامولاتى بحق دينك لا تفعلى فان رجعت الى مثلها فمهما شئت افعلى فقالت

يا كلب أقسمت على بعظيم وإلا كنت قد أرميتك فى البحر ثم انها أطلقته من يدها وقد كادت أن تقطع عراقيبه (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا والخادم قد عاين من عظم شدتها وقوتها شيء أشرف منه على المهالك فبقى فى حيرة من ذلك وقال ياهذه وحق المسيح والدين الصحيح لا خرجت من هـذا المـكان إلا حتى تعلميني على من أعلمك بهذا الأمر والشان وما علم به أحد إلا القس والملك فان كان لك فى هذا دلائل فأنا أتبعك فى دينك وأقول بقولك ويقينك وأقوم بأودك وأتسبب فى خلاصك وخلاص ولدك لان الملك قد عول على قتله فهاتى الآن ماعندك فقالت ياهذا اعلم أن سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أعلمنى فى منامى بذلك بلا خفى فلما سمع بذلك بقى بين المكذب والمصدق وكان السبب فى ذلك وفى إعلامها بأمر الحلاوة أن القس أعلم زوجته بهذا الأمر الذى ذكرناه من أمر الحلاوة فلما علمت بذلك أخفته وكانت محبة لزوجة الملك قراقرنا وهى مارية الذى زوجه القس بها وكانت زوجة الملك قراقونا قد حملت من الغيرة من ميمونة مالا حد له ولانهاية وكلما نظرت امتناعها منه تسر بذلك وتفرح غاية الفرح فلما أرادت هذه النوبة أن تتم على ميمونة سخر الله تعالى لزوجة القس أن تروح الى مارية وتعلمها بالقصة من أولها الى آخرها فقالت لها مارية زوجة قراقونا جزاك المسيح خيراً فلولاك كانت جرت القصة على ثم انها دخلت على ميمونة سرا من الملك وأعلمتها وأعادت عليها القصة من أولها الى آخرها وأطلعتها على ظاهرها وباطنها ففرحت وقالت ما يكون ذلك أبدا ولو سقيت كاس الردى إلا انى كيف يكون حالى فى سائر الأطعمة فقالت لها إذا أتاك شيء منه أرميه فى البحر ولا تأكليه فقالت سمعا وطاعة ولما أن دخل عليها الخادم بالطعام وفعلت معه تلك الفعال رجع الى الملك وأعاد عليه القصة فعظم عليه وكبر لديه وقال له ويلك وكيف علمت بذلك فقد زادنى هذا الكلام غصة فقال يامولاى سألتها عن تلك الأحكام فقالت إن نبيها جاء إليها فى المنام وأخبرها بالقصة والمرام فبقى الملك فى غاية من الهوى والغرام والهم والغم والاضطراب وقد استدعى القس وأعلمه بما سمع من الكلام فقال له يامولاى انها لاتقدر تحفظ نفسها منا ولاتبعد عنا ثم انه جعل فى كل يوم يطرح لها من ذلك الدواء ويرسله إليها فترميه فى البحر وتأكل مما تحمله اليها مارية فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وتحير من هذا السبب وقال للقس ما أرى هذا الدواء له فعل كما ذكرت ولا نفع كما أشرت فقال يامولاى لاشك انها

سوداوية لا يعمل فيها الدواء وما الناس فى الطباع سواء وإن أردت تعلم صحة قولى فاسق من هذا الدواء لمن شئت من أصحابك وانظر ما يكون ففعل الملك ذلك بواحد من غلمانه فوقع يوم وليلة لا يعقل على نفسه (يا سادة) ثم أقبل القس على الملك وقال له أيها الملك قد انفتح لى باب آخر وهو أنك تأخذ الولد الذى لها وتقول لها وحق المسيح ان لم تمكنيني من نفسك لأرمينه الى البحر وأرميكى بعده فان لم تفعل فارمى ولدها الى البحر حتى لا يبقى لها علة مع المسلمين ولعلك اذا رميته ورأت منك الجد تخاف على روحها وتسلم نفسها اليك فقال الملك هذا هو الصواب ثم أنه دخل عليها وقال لها ما قاله القس فلما سمعت ذلك منه ورأت المماليك من حوله والسيوف فى أيديهم مجذوبة فقالت له افعل ما شئت فانى موقنة بهلاك هذا الولد الطفل الذى قد وقع الى دار الدنيا وكذلك بهلاكى أنا ويكون ذلك فى طاعة ربى ولا أمكن كافر منى ولا أتركه يحظى بى أبدا (قال الواوى) يا سادة يا كرام فعندها غضب قراقونا من كلامها وقال لها لعنك المسيح فما أكثر لجاجك ولا بد أن أقتلك أشر قتلة ثم دنا من الطفل وأخذه برجليه ورفعه على يديه وأخرجه من الطاقة ونظر الى البحر والصغير ينظر اليه ويضحك ولا يعلم ما يراد به من ذلك فلما نظرت ميمونة ذلك طارت الدمعة من عينها ووهن فؤادها وعلم الملك ذلك منها فقال لها ماذا تقولين فقالت له افعل ماشئت (قال الراوى) فرما ولدها الى البحر فعند ذلك صاحت ميمونة وبكت وولولت ولطمت على خدودها ونادت واحبيباه واولداه وامظلوماه (يا سادة) وان الملك قراقونا خرج من عندها حتى تهدى من لوعتها وتفيق من سكرتها ويرجع اليها بعد ذلك عقلها ثم انه أحضر نورى زوجة أبو محمد البطال وقال لها ارجعى الى دينك الأول والا فعلت بك كما فعلت بميمونة أرميت ولدها الى البحر ولما سمعت نورى ذلك هيهات هيهات أن أختار الضلالة على الهدى والدنيا على العقبى ولا يكون ذلك أبدا ما قام قائم وقعد ولا أترك عبادة الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فعندها قال القس أفجعها فى هذا الولد الذى معها حتى ينقطع طمعها من المسلمين كما فعلت بميمونة فلما سمع ذلك من كلامه وقال لبعض خدامه خذوا ولدها من حجرها وانزل به الى القلعة واذبحه من أذنه الى أذنه وإتنى برأسه فقال سمعا وطاعة ثم انه أخذ ولد نورى ابن الأمير أبو محمد البطال ونزل ليذبحه ويأتى الملك برأسه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فصاحت نورى وبكت وقلقت غاية القلق ونادت من حرقها وقالت أيها الملك لا تفعل فانى أقبل مقالك فصاح الملك بغلامه اصبر قليل حتى ننظر ما يكون ثم قال

لها ارجعى عن دين الإسلام فقالت أيها الملك افعل ماتشتهى فو الله لا حدت عن قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رجعت عن عبادة الواحد الأحد القادر على كل شيء الرازق لكل حى الذى لا تدركه الأبصار ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وما أنا بأول من هلك لأجل الدين الأوفى والنور الذى لا يخفى فى شريعة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فعندها نادى الملك بغلامه انزل اذبح الولد وارمه إلى البحر واصعد إلى أمه وافعل بها كذلك فلا خير فيها فقد استولى حب الدين الاسلامى على قلبها حتى أنها لا ترجع إلى دين النصرانية وقد طردها المسيح عن الدين الصحيح (قال الراوى) وان الغلام خطف الطفل ونزل به (يا سادة) والعجب فى هذا الاتفاق الذى لم يجرى مثله فى الآفاق أن أبو محمد البطال لما كان فى بلد الغرب وأرض الملتمة رزق من نورى ولد ولم يراه ولما مضى إلى أرض الحبشة والملكة ميمونة فى نوبة الأمير عبدالوهاب على الحبشة رزق ولد ولم يراه ولم يعلم به إلا بعد وصوله وولدته وهى مأسورة وأن الغلام غاب ساعة ورجع وفى يده السكين وهى تقطر دما ثم ان الملك قراقونا قال لغلامه انزل بنورى حتى أصعد أنا الى ميمونة وأنا أقسم بالمسيح لئن لم ترجع إلى قولى لأرمينها فى البحر ثم وكل بنورى ذلك الخادم وصعد الى الملكة ميمونة وقال لها ويلك قد طال الخطاب وبطل العتاب ولا بد لى ما ألحقك بابنك إلا أن تقولى مقالى وتعودى الى طاعتى فلما سمعت ذلك من كلامه وما نطق به من سؤاله دمعت عيناها وأنشأت وجعلت تقول :

من ذا يدافع أسباب القضا بيد	أمن له مقلة تقول على السهد
كم لائم لامنى لما بكيت دما	لفقد أهلى وأشواقى الى بلدى
ولم يكن أسرهم لى فى مبارزة	لكن جوارى هو فى فدفد صلد
وأصبح الشمل بعد الوصل مفترق	حتى بقيت بلا بعل ولا ولد
ولو كنت ويك قراقون راكبة	فوق الجواد وسيفى عالق بيدى
تركت أبطالكم حولى على شرف	من الهلاك ولا أخشى من العدد
يا كلب يا قرقون ان لى رجل	لا بد يأتى بأبطال وملك يدى
فك القيود ترى منى غضنفرة	لها فى الحرب أنواع من الجلد
والله لو هلكت روحى لما طلبت	الا النجاة بدين الواحد الصمد
لو كنت تطرحنى فى البحر مسلمة	لكنت أبلغ ما أملت فى الخلد
لعل مولاى يا هذا يخلصنى	فى اليوم أو فى غدا ولا فبعد غد

(قال الراوى) فلما سمع الملك قراقونا ذلك من كلامها ضحك وقال لها يا هذه ومن أين يأتيك الفرج أو يكون لك من هذا الضيق مخرج وإلى بلاد الإسلام مستخرج وبينك وبين ذلك البحر العجاج المتلاطم بالأمواج فابصري كيف يكون البحر محدق بنا ونحن فى مكان شاهق فى الهوى ثم نظر الى البحر مشرفا عليه واذا قد لاحت له فى البحر قلوع كأنها أجنحة النسور وان قراقونا لما نظر الى ذلك اصفر وجهه وتغير لونه وارتعدت فرائصه ونزل فى الحال طلب الخدم والغلمان وقال لهم أوقفوا النفير نعمر المراكب التى عملناها ثم نعمر الفنق أيضا وجملتهم ألف مركب ثم انه نزل صايحا (قال الراوى) هذا والملكة ميمونة قد أنكرت ذلك وتقدمت الى الشباك وقد ضاق صدرها وعزت نفسها وعولت أن تلقى روحها فى البحر وقد هانت الحياه وطابت لها الوفاة (يا سادة) حتى قربت من الشباك وعولت أن تسلم نفسها الى التلاف والهلاك واذا بالبحر قد امتلا والصياح من المراكب قد علا وقد قربت من الجزيرة وهى تنعى ومضت الى الصياح فسمعت قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاد قلبها أن يطير فرحا وهذه الطاف البارى جلت قدرته يأتى بالفرج من وسط الشدائد وبالفرج من وسط الأوابد أنها بقيت مرتقبة ما يكون ولا تعلم هل هم عبدالوهاب وبنى كلاب والسودان والأنجاب أو غيرهم من عباد رب الأرباب (قال الراوى) وان الملك قراقونا نزل صارخا فقالوا له البطارقة ما حالك أيها الملك فقال ويلكم البحر كله قد امتلا قلوع ومراكب بعدد الكواعب ولا شك أن الملك ميخائيل لما رحلت الى بلدى وسرت الى جزيرتى من غير اذنه واختياره صعب ذلك عليه وكبر لديه وقد أرسل الى عبدالوهاب وعساكر بنى كلاب وقال أنا أصالحكم على قراقونا الكذاب على أن الأموال والأسارى لكم والقلعة لى لأنه ما ملك قط مثلها ولا قدر على شكلها والآن فقد وصل هذا الأسطول العظيم مع أنى ما أعرف للاسلام أحد الا فى ساحل طرسوس فانزلوا ونادوا فى الجزيرة بعمارة المراكب فقالوا أيها الملك هون عليك هذا الأمر فان هاهنا ألف مركب كل مركب منها لو تبعه ألف مركب للاسلام ما لحقه ونحن فى هذه الجزيرة عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وسوف نرى من يكون بسعادتك ونصرة المسيح لك ثم نزل الناس ونادوا فى البلد فرفعت الدروع والزرد والحجارة والعمد وكل صارم مهند والجواشن والعدد وطلعت الروم بالقنطاريات والبوارق والتراس والطوارق ولم يسمع فى الجزيرة إلا زاعقة وزاعق فما ارتفع النهار الا وأسطول الامير عبد الوهاب قد قرب وقد صاروا أهل الجزيرة فى المراكب وأشهروا القواضب

ورفعت القلوع ونزل الملك قراقونا فى مركب يقال له نصف الدنيا وكان طويل عريض هايل لو صدم الجبال لمالت وفيه أبطال اللقا وقد انتخبهم من كل عشرة واحد وكل واحد منهم يريد لرأسه جماعة وكذلك المراكب كل مركب منهم فيها ملك من الملوك (قال الراوى) وسمعت السيدة زبيدة ذلك الصياح وقد علا فى الجزيرة من أربع جنباتها فسألت عن ذلك من بعض الجوار الروميات وكانت تلك الجارية قد رق لها قلبها وعلمت أن عليها آثار النعمة فقالت لها يا هذه اعلمى انه قد وصلت عساكر المسلمين إلينا ولكن ما أقول أنهم يقدرون على هذه الجزيرة ولو أن فيها أحد فكيف وفيها ألف مركب معمورة بأبطال البطارقة والعمالقة والملك قراقونا وابنه الذى كان فى القلعة شمس النصرانيه وهو مثل أبيه فى الشجاعة مرارا وفى الجزيرة بطارقة يقال لهم الألفية كل واحد منهم يريد ألف بطريق ولهم بطريق مقدم يقال له بطريق الدير قد وصل الينا من جزيرة السوس واسمه دوناريس وهو الذى ذكره قد طبق الآفاق بأنه أوحد أهل زمانه فى الشجاعة وله ألف مملوك معودة بقتال البحر يريدون الشجاعة فى مراكب الاسلام وحدهم سيما أن كانوا يخرجون فى المراكب التى لمولاهم دوناريس (قال الراوى) وان السيدة زبيدة باست الأرض وقالت ان كانت مراكب الاسلام قد وصلوا الى هاهنا فما بقى شىء وهى معودة بالنصران شاء الله تعالى لأن الذى أوصلها ما يخذلها وعلمت بذلك الأميرة علوى والقناصة والله العظيم لو كان لى سبيل الى الخلاص وملكنا مركب واحد من المراكب لخلصنا أنفسنا من الألف مركب التى لهؤلاء الكفرة (قال الراوى) وعمرت الروم أيضا مراكب دوناريس وسلمت اليه التقدمة على المراكب كلها ونزل أيضا شمس النصرانية فى مائة قطعة وقصد كل واحد يبين على صاحبه حتى يتقرب الى الملك قراقونا بما يصنع من القتال ورفعوا الى المراكب من العدد مالا يقدر عليه أحد (قال الراوى) وانفرشت الألف مركب فى البحر ونظر الأمير عبد الوهاب الى تلك المراكب وقد خرجت اليه مثل الجبال الشواهق والسفن اللواحق فقال للأميرة ذات الهمة ما عندك من الرأى فقالت له اعلم يا ولدى أن الملك قد خرج الينا فى هذه المراكب وهم أضعافنا ولا شك أنهم ألف مركب لأنهم افترقوا عشر فرق كل فرقة مائة مركب فافعل بنا مثلهم ثم فرق المراكب كل عشرين الى مائة والله بعد ذلك الموفق لنا والمعين على قتال عدونا لأننا غريبين الأوطان بعيدين عن العمران وليس عندنا هاهنا اخوان طالبين حماية الملك المنان الذى يأمر البحر الزاخر فيهدى ويزجره أن يفيض على أهل الدنيا فلا يتعدى فقال

لها لقد أشرت بالصواب ونطقت بفصل الخطاب ثم انه دعا بمراكب سودان ميمونة وكانت عشرين مركب قد أفردها لهم فقال لهم هذا يوم حمايتكم عن دينكم وأميرتكم فان كانت سالمة فهى تخلص بفعالكم وان كانت هالكة فيكون ذلك فى طاعة ربكم خالصون لوجهه تنالون به وجه الله ودار القرار فى جنات الفردوس الأعلى ومجاورة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد أمرت عليكم ملابط البغال فقالوا والله العظيم لتنظرن منا إن شاء الله ومنهم العجب ففرح الأمير عبد الوهاب به وضمه الى صدره وقال له بارك الله فيك ثم أدعى بالاميره ذات الهمه وسلم اليها أربعين مركب وأدعى بقراقد وسلم اليه أربعين مركب وأدعى بأبوالهزاهز وسلم اليه أربعين مركب وأدعى بالأمير أبو محمد وسلم اليه أربعين مركب وصعد أبو يخلف الى المراكب وهو يقول يامولاى أقبل منى واصبر حتى تلتحم المراكب بعضها فى بعض وادخل الى الجزيرة تفتش على شمسه ونورا وفرغنا نحن من هذا الصداع واقبل منى ماأقول لك (ياساده) فضحك البطال منه وقال له اسكت ياقرنان وإلا أبخست الجماعة (قال الراوى) ودنت المراكب بعضها من بعض ونادى المنادى بالقتال وكان أول من التقى المراكب غلمان الملكه ميمونة وملابط البغال فى أوائلهم وصدم فى الحال مركب دوناريس بطريك الروم وهو فى مائة مركب ومعه فى المراكب الرجال وصناديد الأبطال المتقدم ذكرهم فرموا بعضهم بعضا بالنبال وتطاعنوا بالرماح الطوال وأحدقت بهم مائة مركب واصطدم بعضها ببعض وتناطحوا مناطحة الكباش وضج البحر من كثرة الاصطفاق وقامت الحروب بينهم على قدم وساق وتثلمت السيوف الرقاق وتقصفت الرماح الدقاق وترامو بقوارير النفط من كل مكان وأضرمت فى اللبود الطيلقانيات النيران وعلقت بالخشب وأيقن الرجال بالعطب والذل والحرب والتصق ملابط البغال بمركب البطريك دوناريس وتشابكا ومدت الرجال الاسقالات وخطا بعضهم الى بعض والأمواج تضعهم وترفعهم هذا وملابط البغال قد نظر الى دوناريس وقدقصد اليهم وهجم عليهم وهو مثل العتيق ما شاهد مثله قط بطريك فبقى متشوق إلى لقائه حتى قاربه وأن ملابط البغال وثب من مركبه ومشى على الاسقاله وكان بينهم ستة أذرع فصار فى مركب البطريك فلما نظراليه دوناريس صاح ببطارقته وقال لهم ويلكم هذا رجل وحده قطعوه بالسيوف وقد أخذتم المراكب بعده فعندها أحدقوا به من من كل جانب وهو يضرب الرجال ذات اليمين وذات الشمال حتى طرح الرجال وقطع مناكب الابطال والأقيال حتى قتل منهم خمسة وعشرون رجلا وهجم على

دوناريس واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة (ملابط البغال) فضربه بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه فوقع الى أسفل المركب وعطف على الباقين فقتل منهم جماعة ورموا الباقى أنفسهم الى البحر يطلبون النجاة وأخذ المراكب بعد قتل المقدم . هذا والأمير عبد الوهاب قد شاهد ذلك وصار ملابط البغال عنده فى منزلة الأمير ظالم وقد قصدت الاميرة ذات الهمة الى مركب شمس النصرانية برجالها فأخذته أسير وقادته ذليل حقير وقتلت كل من كان فى المراكب (قال الراوى) بلا تطويل فما أمسى المساء حتى قتل من الروم عالم عظيم وأخذ من الروم مائة وأربعة وعشرون مركب ولم يقدروا على مركب واحد من المسلمين ورجعت مراكب الروم خاسرة ومراكب الاميرعبد الوهاب منصورة قاهرة . هذا والملك قراقونا على غاية من القلق على فراق ولده (قال الراوى) وأرسى الأمير عبد الوهاب مقابل الجزيرة وقد أمر الناس باليقظة وأن لايناموا حتى لايعمل عليهم حيلة بالليل وأن الملك قراقونا أقبل على أصحابه وقال : كيف ترون هؤلاء القوم فقالوا قوم كأنهم شياطين وما لنا بهم طاقة فقال لهم اعلموا أننى ما أقدر أصعد الى قلعتى ويأخذوكم المسلمين ويقتلوا أولادكم وينهبوا أموالكم والرأى عندى اننى آمر أهل البلد برفع الأموال كلها وأرسل إليكم البطريق نورس أخو دوناريس الذى قتل جهراً حتى يأخذ بالثار وتنصحوا فى القتال معه وإلا ملكت الجزيرة (قال الراوى) وأصبح الصباح وقد صعد قراقونا إلى قلعته ورفع الأموال إليها وأنزل البطريك نورس وكان جبار من الجبابرة ولما أصبحوا ونظرت المراكب بعضها الى بعض وقذفت الرجال بمقاذيفها وطلبت مراكب المسلمين وانفرد ملابط البغال بمراكبه وأصحابه وكبر تحت القبة التى فيها الملكه ميمونة وقد كشف السودان رؤوسها وملابط البغال يصيح بالرجال يقاطعون على مراكب الروم من خلفهم حتى يحولوا بينهم وبين الجزيرة ولا يكون لهم سبيل إلى الخلاص (ياساده ياكرام) وأن الملكه ميمونة اطلعت من الشباك ونظرت الى مراكب السودان وملابط البغال فى أوائلهم كأنه الجاموس فعرفت صياحه فصاحت من موضعها لله درك ياملابط البغال انظر حق مولاتك فعرف صوتها وكبر وكبرت السودان فرحا بسلامة مولاتهم وحمية النخوة وسارت المراكب وأما الأميرة ذات الهمة فانها انفردت بعشرين مركب وطلبت مائة مركب من مراكب الروم وكذلك الأمير ظالم أخذ عشرين مركب وانفرد بها وكذلك قراقد وأبوالهزاهز والامير عبد الوهاب والتصقت المراكب بالمراكب وعملت الرماح وتراموا بالحجاره من

كل جانب وأرميت الكلاليب فى حافات المراكب ودام القتال الى وقت العصر وولت المراكب منهزمة وقد غرق منها مراكب كثيرة وغرق نورس البطريك وكذلك أصحاب ملابط البغال قد كسروا من الروم ثلاثين مركب وأوردوا من فيها موارد العطب وقد قتل وهلك أكثرها وانهزم أقلها ووقعت الضجة والرجفة وقد ذكرنا أن على جانب الجزيرة مائة مركب وهى التى فيها البطريك دوناريس وهى برسم تجارته ونزلوا فيها وأقلعوا طالبين جزيرة السوس وبينها وبينهم يوم وليلة فى البحر (ياساده يا كرام) وأن الامير عبدالوهاب ملك كل ما فى تلك المراكب التى كان قراقونا قد عمرها وهى مائة مركب والبقية هلكوا (قال الراوى) وأن الأمير أبو محمد البطال نزل الى الجزيرة ونزل أصحابه ونزل الأمير عبد الوهاب وأصحابه ونزل الأمير ظالم وأصحابه ومابقى فى تلك الجزيرة من يمانع ولا يدافع لأنها لما انهزمت المراكب ملك بعضها المسلمون وهرب بعضها والذين كانوا صغار مثل الحراقات وغيرها ممن جرى مجراها رفعوا القلوع وطلبت جزيرة السوس ولم يلحقها مراكب المسلمين لخفتها وسرعتها (قال الراوى) وساروا المسلمين كلهم فى الجزيرة ووجدوا فيها من الرجال والأموال والديباج والذهب والفضة والأوانى والابريسم والحرير واللؤلؤ مالايقع عليه أحصى بعدد الرمل والحصى وغنم الناس غنيمة لم يكن مثلها وفرح الأمير بذلك إلا أن قلبه مشغول لا يكونوا المنهزمين قد أخذوا الاسارى معهم ثم أحضر شمس النصرانية ابن قراقونا وهدده بالقتل وقال له ويلك وحق سيد البشر صلى الله عليه وسلم وفخر ربيعة ومضر لئن كان أبوك قراقونا قد فرط فى الملكه ميمونه أو فى بعض الاسارى أو فى السيدة زبيده لأضربن رقبتك فقال له أيها المولى وحق المسيح إن المأسورات كلهن سالمات وهنّ على غاية من الاكرام وجعل يصف انفرادهن وأن الملك لم يتعرض لواحدة منهن فقال أبو يخلف ما أراك إلا وصفت الكل وما ذكرت السيدة شمسة وهى أحب إلينا من كل من عندكم فقال شمس النصرانية أما هذه الذى ذكرت أنها رجعت الى دينها الأول واختارت النصرانية على دين الاسلام من حيث لم يكرهها أحد لان ذلك دينها ودين آبائها وقد تزوجتها أنا ثم انى ألبستها الحلل والحلى وهى عندنا فى أكرم موضع فلما سمع أبو يخلف ذلك انقلبت حولته وقامت شعرات لحيته ونادى : أحسنت يانحس كشف الله عنك ستره والله لابد لى أن أرفعك لقاضى المسلمين يحلق ذقنك لانك تتزوج نساء الناس بغير اختيارهم (قال الراوى) فلم يبق أحد إلا وضحك وأقبل أبو يخلف على الامير عبدالوهاب وقال له ياهذا مايروح من عندنا رهن حتى نأخذ شمسه

وكل ما عليها من الملبوس والجواهر بصداقها الذي عليه ولا بد لى بما أخصى هذا الرجل فقال الرومى لا بحق المسيح فعندى كل ما تطلبون من الاموال ومن الأسارى وخلاصهم واعلموا انكم لو أقمتم فى هذا المكان حتى ينكشف البحر وينبت الصخر ماقدرتم على هذه القلعة والعقل يدلكم على ذلك فقال الامير عبدالوهاب لما سمع هذا الكلام ياهذا إذا كان الأمر كما ذكرت والحال على ما وصفت فلابد لنا أن نزحف اليهافإن قدرناعليهاوإلا تسلم الينا أنت السيدة زبيدة وباقى المأسورات وأنا أعطيكم الأمان على نفوسكم وأموالكم ثم ان الاميرعبدالوهاب زحف والرجال معه اليها فوجد موضع لايقدرعليه إلا القضاء المبرم فأقام الأميرعبد الوهاب عشرة أيام وقراقونا لم يشرف عليهم إهمالا لهم لأنه يعلم أنه موضع لايقدر عليه أحد وأن الامير عبد الوهاب أقبل على الاميره ذات الهمه وقال لها ما يساوى كل ما عملناه شيء اذا كانوا المأسورات فى هذه القلعة ولا نقدر عليهم ولا نصل اليهم ولوأخذنا ملوك الروم جميعا فقال أبو محمد والله انى أعلم أن مقامنا ههنا علاله ومانقدر على الوصول الى هذه القلعة إلا أن يفتح لنا من داخل فقالت الاميره صدق البطال فى هذا الأمر إلا أن يكون ولد قراقونا نصالح به على المأسورات ونرحل طالبين ديارنا فانا ماجئنا إلا من أجلهم فاذا خلصوا مع هذه الغنيمة التى قد حصلت لنا فلا نبالى بما كان فأحضر الأمير شمس النصرانية وقال عولت الساعة على ضرب رقبتك إلا أن تفى بمقالتك فلما أن سمع الرومى ذلك من كلام الامير فرح وكان أبو يخلف قد فزعه من القتل فقال أيها الأمير اذا كان الأمر على ما ذكرت فقدمونى إلى مقابلة البرج الذى فوق الباب لأن أبى فيه يراكم وأنتم لا ترونه وحولى من السودان عشرة بالسيوف المجذبة فى أيديهم يلعبون على بها وأنا أصيح على أبى عند ذلك فلابد مايطلع عليكم بوجهه وأنا أقول له بعدذلك ماتسمعون به فتواثبوا اليه من كل مكان وأشهروا القواضب وعقدوا الضراح فى صرخة واحدة حتى كادت القلعة أن تنقلب وأشرف الملك قراقونا ينظرما الخبر وإذا بشمس النصرانية مثل القمر والسيوف من حوله تلمع وكان قد ظن أنه هلك فلما رآه سالماً نادى برفيع من صوته يا معاشر المسلمين ما الذى يلجئكم الى قتله فنادى شمس النصرانية : أيها الانسان الظالم لنفسه وأهل جزيرته حتى انك تأخذ حريم هؤلاء القوم الذين قدفزعت منهم ملوك النصرانية وأخربوا مدينة القسطنطونية على طول الأيام والشهور والاعوام وبعد ذلك أنت تأخذ أسراهم حتى قد دخلوا الى هذه الأمصار فى هذه البحار وخربوا الديار وأبادوا البطارقة وقتلوا جميع العمالقة وقد ملكوا رقبتى وسوف يقتلونى

والآن فأنت فى هذا المكان فلو أقمت عمر النسور وهم كذلك لما برحوا من هذا المكان فصالح القوم واكتفى شرهم على شرط انهم يطلقونى ولا يتعرضون بعدها اليك ولا إلى وأعطيهم حريمهم ودعهم يسيروا الى مراكبهم من ساعتهم فلما سمع الملك قراقونا ذلك من كلام ولده قال له ويلك وحق المسيح لو كان لى ألف ولد لكل واحد منهم ألف جزيرة وبلد سألونى الجميع وقالوا لى سلم ميمونة أو واحدة من الحريم الى المسلمين مافعلت ولو قطعوك بالسيوف ثم انه رجع الى قلعته فلما نظر ولده الى ذلك اشتعلت فى قلبه جمرة ونادى : يا كلب افعل ماشئت ودع يفعلوا بى المسلمين ماشاءوا فلا ترانى بعدها أبدا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع الأمير ذلك من إسلامه فرح به وقال لقد رأيت منه شجاعة عظيمة فالحمد لله الذى خلص هذا الوجه المليح من نار جهنم فقال أبو يخلف إن أراد أن يسلم أو يتنصر أو يرجع يهودى فما بقى يبصر شمسه أبدا فضحك الأمير وقال ما يكون إلا ما تحب (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن الأمير أبو محمد البطال قال أريد أخذ غلمانى وأقوم أبصر إيش أعمل ثم قال لهم قوموا تعالوا حتى ندور حول هذه القلعة فلعل الله تعالى يفرح خاطرى بما يراه ناظرى فتواثبوا معه ثم ساروا الى القلعة فلما صار تحتها جعل يدور بعقله ويميز برأيه ونظرت الملكة ميمونة ذلك من الشباك العالى فصاحت بالبطال ونادته وقالت يا أبو محمد فلما سمع للبطال كلامها عرف أنها ميمونة فناداها بالحبشية خوفا أن يكون عندها من يسمع كلامه ياميمونة فقالت له لبيك فقال ويحك أنت مطلقة فقالت قد كنت مطلقة لكن الآن وضعت فى رجلى القيود فقال لها هل تقدرين على حبل يصل إلينا حتى تطلع إليك الرجال إذا اختلط الظلام فقالت لا فقال أبو محمد عندى حبل ابريسم فى سلم ابريسم وهو الذى أطلع به الى القلاع ولكن من أين تصل إليك به حتى تعملين الكلاليب فى الشباك وقد فرج الله تعالى عنك وبلغك مناك فقالت إذا كان الأمر على ما ذكرت والحال كما وصفت فاصبر الى الليل وارجع إلى هذا المكان حتى أقول لك كيف تصل الى ذلك إن شاء الله تعالى (قال) ورجع البطال الى الأمير عبد الوهاب وأعلمه بذلك ففرح به وكان ذلك اليوم أطول الأيام عليه فلما ذهب النهار وأقبل الليل بغياهب الاعتكار هنالك نزل أبو محمد البطال ومعه الأمير ملابط البغال والاميره ذات الهمه وأبو الهزاهز والأمير ضيغم فقال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد تقدم الى الشباك ثم تكلم ولعل الله تعالى يأتى بالفرج فتقدم البطال إلى تحت الشباك معلناً بتسبيح الله تعالى وإذا هو بشمعة قد وقعت من

الشباك توقد وهى مربوطة بزنانير ابريسم وقد كانت الملكة ميمونة قد فتلت تلك الزنانير ولم تصل الى البحر من طول المكان فأخذت ثوب أطلس وجعلت تعقده حتى علمت أنها قد اكتفت ولما سمعت كلام البطال قالت أخاف انى إذا دليته ما ينظره فربطت فيه الشمعة التى كانت عندها ورمت بها اليهم حتى ينظرون النار ولايخفى عليهم ذلك وانها ما وصلت اليهم إلا مطفئة إلا انهم نظروا آثار النار فقصدوها وأخذها الأمير أبو محمد وقال الحمد لله الذى جاءنا والله الفرج ثم انه ربط الحبل الابريسم الذى كان معه فى السلم برسمه الذى كان يصعد فيه الى القلاع ثم حركه فعلمت أنه ربط فيه الحبل فرفعته الى عندها على مهلها حتى صار عندها وطلعت الكلاليب اليها وربطت ذلك فى الشباك وكان من الحديد وكان الى جانبه خشبة طولها ذراع من الصاج فقلعتها وشدت الحبل وعارضته فأعلمت الأمير أبو محمد أنها قد شدت الحبل فقال لأصحابه: من فيكم يطلع ويتوكل على الله فقال الأمير عبد الوهاب أنا فقالت الاميره ذات الهمه لا والله لا كان ذلك أبدا ولكن أنا أصعد ثم شدت الحبل فى وسطها وصعدت فيه (ياساده) فهى تطلع والأمير عبد الوهاب يدعو لها وأبو محمد قد أمرهم أن يخرجوا بالمراكب حتى يشتد الحبل بارتفاع الأمواج حتى وصلت الاميره الى ذلك المكان بعد أن قاست الملكة ميمونة البلاء من ثقل الاميره ذات الهمه وذلك المكان بعيد لأنها كانت ترفعها وهى مستوثقة بالله الى أن طلعت اليها وقبضت بيدها الطاقة ومسكت ميمونة بها فصارت عندها (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما علم البطال أنها قد وصلت قال من يكون الثانى فلم يجسر أحد أن يطلع فطلع الامير عبد الوهاب وشد الحبل فى وسطه وصاح وجذباه الأميرتان فصار عندهما وطلع ملابط البغال ثالث وصار عندهم وصعد الامير ظالم (قال الراوى) ياساده ياكرام وصعدوا الكل عن بكرة أبيهم وقال الامير عبد الوهاب فكوا قيد الملكة ميمونة فكسروه ثم بشروها بالسلامة ودنوا من الباب ففتحوه وكان الملك قراقونا فى بيت زوجته مارية وهو آمن من هذا الموضع لايقع عليه الخوف إلا أن يكون من داخله ولايخطر هذا بباله فوقع الصوت فى القلعة والصياح وكان فيها جماعة من البطارقة والقس عند الملك قراقونا فى القلعة وانه لما سمع الصياح وثب وهو ولهان فلقيه الأسد الوثاب والنمر الغلاب الامير عبدالوهاب وضربه بالسيف على هامته نزل الى نصف قامته وجعلت الروم تضرب بعضها بعض وكل من صعد يطلب الملك قتلوه هؤلاء الامراء فلما أصبح الصباح إلا والقوم صرعى على الثرى وملكوا المسلمين القلعة وفتحوا الباب بإذن مسببه

الأسباب ودخلت أمراء بنى كلاب والسودان الانجاب وطلب الأمير عبد الوهاب موضع السيده زبيده فدخل عليها وقبل الارض بين يديها وبكى وذكر أيام عزها وأيام الرشيد بالله فبكت السيدة زبيدة وقالت لا ضيع الله لك ياعبد الوهاب هذا الاجر والثواب وتخلصت نورى وعلوى والقناصة وأخذت شمسة وبنات البطارقة وأخذوا من الأموال مالا عين رأت ولا أذن سمعت (قال الراوى) ياساده ياكرام وأقام الامير عبد الوهاب عشرة أيام حتى رفع الاموال إلى المراكب وعول على الاقلاع وإذا بمركب صغير من صدر البحر من صوب القسطنطونية وهو كأنه الطير الطائر والعقاب الكاسر (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان لهذا المركب حديث عجيب وأمر غريب وذلك أن فيه القاضى عقبة وشومدرس وقد أسرعت المراكب بشراعها فى ذلك البحر العباب وان عقبة لما وصل الى الجزيرة وقد نظر الى تلك القلوع فقال للراهب شومدرس وللرجال الذين معه ما هذه قلوع مراكب الروم بل هذه قلوع مراكب المسلمين وما أخوفنى عليكم أن يكون أسود بنى كلاب قد عمل المراكب العوال وعمرها بالرجال ودخل الى جزيرة قواقونا وملكها واحتوى على مافيها من الاموال لأنى أعرفه شريف الهمة قوى العزيمة وحق المسيح ان كانوا نظروا إلى قلعنا فالساعة هم يقصدون الينا ويدورون حوالينا ويسقونا من ماء هذا البحر المالح إلى أن تبقى بطوننا مثل القرب بعد أن يلطمونا سر وجهر ويبلغون منا كل الارب هذا والامير يانس لم يسمع كلامهم وقد فرح بذلك وأقبل على عقبة وقال له ياملعون إن الله تعالى يسخر وعده فيك وكأنك بالبلاء قريبا يأتيك فلما سمع عقبة ذلك من يانس قال له لو يكون الامر بما أظهر خاطرى حتى أظهر فيك سرائرى ثم إن عقبة جعل يتعلل للمراكب وعقله من ذلك غائب وقد أيقن بالبلاء والمصائب وإذا بثلاث مراكب قد قصدت الى نحوه وطلبت صوبه وكان أحدهم البطال لأنه كان قد نظر الى مركب عقبة وانفراده وأنكر ذلك غاية الانكار وقال للامير عبد الوهاب هذا جاسوس قد أتانا إلى هذا المكان ليكشف منا الاخبار وخرج البطال فى تلك المركب طالب مركب عقبه ولم يزل كذلك الى أن دنا منه وقرب اليه فعند ذلك تأمل عقبه إلا راية مع البطال فى المركب وعليها مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما شاهد عقبه ذلك اصفر لونه وتغيرت أحواله وكثر خباله وضربت أسنانه بعضها فى بعض وركبته الحمى الباردة وحس أن روحه من بدنه صاعدة فقال شومدرس ما بالك وما الذى جرى لك وأراك قد انحلت

أوصالك فقال له ياقرنان ويا أخس الرهبان هذه مراكب المسلمين قد قربت منا وهى عليه أيشم السنين انظر الى هذه الرايه وها مكتوب عليها الكلمة التى تقولها المسلمين وقد قربت المراكب وصعبت الأمور فنظر عقبه الى السودان والأبطال من بنى كلاب والبطال على مقدم المركب كأنه السلهب فعند ذلك التفت عقبة إلى الروم الذين معه فى المركب وقال لهم يا ويلكم ارفعوا القلع الآخرة وقال للملاح ياويلك اقصد بنا الى جزيرة الملكين وإلا حل بنا الحين فان هذه المراكب الذى قصدت الينا فيها السودان والبطال ومعهم واحد يقال له ملابط البغال وهو من السودان الأقيال ومركبنا سريع السير لم يلحقها أحد فأوسع بنا يا ويلك فى هذا البحر وإلا ملكتنا الأعداء فعند ذلك أدار الملاح المركب هو ومن معه من الرجال لنحو جزيرة الملكين ولجت المراكب فى ذلك البحر الزاخر الذى ليس له أول ولا آخر وكانت هذه الجزيرة كبيرة وقد أحدق بها هذا البحر وفيها عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وهم لا يعتقدون فى دين المسيح وإنما كلهم مجوس يعبدون النار دون الملك الجبار القهار العزيز الغفار ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت هذه الجزيرة فيها ملكين أخوين وكانوا مجوس وكان اسم أحدهم مجوسا والآخر الموت الأحمر وهم جبابرة فى الأرض وأهل هذه الجزيرة كفار وهم أشد قوة من السباع ولكل واحد بدنة جوهر (قال الراوى) وكانت كل الجزائر تحمل الأموال إلى الملك ميخائيل صاحب القسطنطونية إلا هذه الجزيرة فانهم ما كانوا لا يلتفتون إلى أحد من الملوك لا غنى ولا صعلوك وان البطال لما نظر الى المركب وقد عرج عنهم صاح بالسودان ارفعوا يا ويلكم القلع الآخر واحملوا من خلفهم واطلبوهم أشد الطلب والا خلا كم هذا المركب وهرب فاطلبوهم من كل جانب لعلكم تصلون إليهم وأنال منهم ما أنا طالب فعند ذلك أشار لؤلؤ غلام البطال الى المركب وكان ملابط البغال قد نزل فى مركب أفرنجى صغير سريع السير وأنزل معه من بنى عمه عشرة من السودان وقال للأمير عبد الوهاب أنا لهم ولو كانوا فى أقصى الدنيا لما رجعت عنهم ولا رددت إلا بهم وصاح ملابط البغال فى أصحابه دونكم والطلب لهذه المركب وسارت المراكب من كل جانب ومركب عقبه سائر فى لجة البحر كأنه الطير الطائر وقلع القلع الثانى وطار المركب بلا توانى هذا وقد مد البطال بنظره فرأى شومدرس على جانب المركب فعرفه وقد فاته مركب عقبه بسرعة جريه واجتمع البطال بالأمير عبد الوهاب وقال يا أمير انى قد شاهدت شومدرس فى هذا المركب

بلا محالة وعقبة معه والله أعلم وما الأمر على يانس إلا قد جرى وتم فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك من البطال قال له وإلى أين يمضى هذا المركب ونحن له فى الطلب وإن فاتنا فارجعوا إلى جزيرة الضرس حتى تبين هذه القصة فان كان الأمر على ما ذكرت لارجعنا إلى الثغور إلى بعقبة ونسير من ههنا إلى القسطنطونية ودع ما يجرى يجرى وما زالوا القوم فى طلب مركب عقبة إلى أن أظلم الظلام ورجموا طالبين جزيرة قراقونا وكان وصولهم إليها عند الصباح وقد افتقد عبد الوهاب المركب الذى فيه ملابط البغال وأصحابه الأبطال فلم يجدهم لأنهم ساروا فى طلب عقبة ولج له ملابط البغال فى الطلب وقال وحق حام الأكبر وما يشبههنا فى اللون من الجواميس والبقر لا بد لى من هذا المركب ولو سقيت شراب العطب ولما افتقده الأمير وما وجده خاف على ملابط البغال ورد على قلبه من أجل غيبته أمر عظيم مالا تحمله الجبال ولا تخفيه صدور الرجال ثم ان الأمير جهز ثلاث مراكب صغار وأمر أن يمضوا فى طلب ملابط البغال وأصحابه أن يقطعوا لجج البحر ليكشفوا خبره ويقفوا أثره واذا لم يقعوا به يطلبوا طرسوس ويدخلوا على ابن يحيى الأرموى وقال لهم اعطوه هذا الكتاب وخلوه يرد الجواب ثم ان الأمير أعطاهم طير من طيور جزيرة الملك قراقونا قال لهم خلوا الأمير على يرد على جناح هذا الطائر اذا انكشف لكم الخبر وأقلعوا تلك المراكب بريح طيبة ذلك أجمع فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ما كان) من ملابط البغال فانه أقام مقلع خلف مركب عقبة طول النهار مع تلك الليلة الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وبينما عقبة ينظر الى خلفه اذ نظر الى مركب ملابط البغال خلفه وقد بقى بينه وبين مركب عقبة رمية سهم فصاح عقبة بقومه يا ويلكم هلكنا يا ويلكم دونكم والمقاديف فان مركبنا خفيف فقدفوا القوم ذلك اليوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع وصلوا الى جزيرة الملكين وقد أمن من عقبة القلب وقرت منه العين وقد نظر عقبة الى تلك الجزيرة فرآها جزيرة كبيرة وفيها المراكب محدقة بها من كل جانب ولما رأوا أهل الجزيرة الى تلك المركبين طلعت الرجال الى المراكب التى معهم معودين للحرب والقتال والطعن والنزال وتقدموا اليهم فسلم عقبة روحه اليهم واستجار بهم وقال لهم أنا كنت قاصد اليكم أطلب الذمام منكم وصار يكلمهم بلسانهم ويبكى ويحدثهم ويشتكى ونظر ملابط البغال الى ذلك فلم يرجع على أثره فلم يقدر على ذلك لأن الهوى كان الى نحو الجزيرة عمال وقد أدكته ثلاث مراكب عوال والتحم بينهم القتال واشتدت الأهوال وعظم الزلزال

وفى دون ساعة كسر ملابط البغال وأصحابه الأبطال مركب وأحرق الثانى وانهزم المركب الثالث الى البر وهو صائح ويقول ياقوم ادركوا هذا المركب وخدوه ففيه عشرة من الجن ولولا مر بنا كنا هلكنا فعند ذلك تبادرت اليه المراكب كلها وقد التفت مرابط البغال يطلب مراكب المسلمين فلم يرى منهم أحد ولا وجد أبيض ولا أسود وقد أحدقت به مائة وسبعين مركب فأقام مرابط البغال وأصحابه يقاتلوا الروم ثلاثة أيام وقد قتلوا ألفاً من ألف فارس ضرغام ولم يقتل منهم أحد وقد تكاثروا عليهم بعد أن خذلت منهم السواعد ولا وجدوا لهم معين ولا مساعد فأخذوهم قبضا بالكف وحملوهم الى أن صاروا بين يديه وقد أشرفوا على التلاف ورفعوا الى القلعة وهم قلعتين قلعة المنشار وقلعة الشهبا وكان عقبة لعنه الله لما دخل على الملكين وصف لهما حاله وما تم عليه وماجرى لهفعرفوه بصفات ذكره وحكى لهم قصته وأمره وخبرهم بما جرى على قراقونا وأن القوم قادمين الى قتاله فقال له الملك طب نفسا وقر عينا فان الملك كان يحمل الخراج وأقل ما فى جزيرتنا من البطارقة والروم والعمالقة ومعنا رجال مثل رجال قراقونا أوفى وأشجع منهم ثم ان القوم أخذوافى اصلاح مراكبهم حتى صاروا فى ثمانمائة مركب ووصل اليهم أيضاًأهل جزيرة السوسن فى ستمائة قطعة لأنهم جفلوا من جزيرتهم من أسطول الاسلام وقد صاروا فى عالم عظيم وهم خلق لا يحصى لهم عدد ووصلت الأخبار الى الأمير عبد الوهاب وسيد سادات بنى كلاب من طوسوس على جناح الطير بما جرى على يانس المتغرب وخلاص عقبة وشومدرس ويانس معهم أسير وبما جرى من الهم والغم فصعب ذلك على الأمير ودق بيد على يد أسفا على ما مضى وقال لا أعترض على القدر والقضا وتحير كيف انفلت منهم مركب عقبة وشومدرس وعلم أنهم دخلوا الى جزائر الروم وصار عقبة وشومدرس عند الملكين فى المنزلة الرفيعة وقال للملك مجوسا أنا خير لك من الملك فلما سمع الملك مجوسا من عقبة هذا الكلام قال له أنت عالم من علماء النيران وأنت على الحقيقة شيخ النار وقد نزلت البركه عندنا من وقت وافيت هذه الديار ودخل معهم ثم قال الملك ما بقى عليك فزع ولا خوف ولا جزع ولا بد لنا ما نسير الى القسطنطونية ونملكها بالكلية وبعد ذلك نسير الى بلاد الاسلام فقال عقبة أنتم الذين تملكون البلاد ان كانوا هؤلاء الملكين من الملوك الجبابرة وكانوا من العمالقة الأكاسرة وقد ذكر الراوى أن ما بقى من الجبابرة غيرهما وكان طول كل منهما عشرة أذرع فكان اذا غضب الملك على أحد منهم يضع يده على رأسه

فلا يرفعها عنه إلا وهو قد هلك من وقته ولا زال عقبة لعنه الله يصف له قوة الأمير عبد الوب وميمونة والسودان الأنجاب وان الملك مجوسا لما سمع وصف الامراء أراد أن يورى عقبة شيء من بعض شجاعته وقوته وبراعته وكانوا يتعاملون بالفلوس الكبار المصورة وان الملك مجوسا أخذ عشرين فلس ظاهرة الصورة وقد طرح راحتيه عليها وفركها فانمحت الصورة عنها فلما رأى عقبة ذلك قال متى أرى هذه الراحتين على رأس ذات الهمة وعبد الوهاب فضحك الملك من هذا الخطاب وقال ياشيخ لأملكن الدنيا وآخذ لك بالتار فشكره عقبه على ذلك فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الوهاب فانه لما انقطعت عنه أخبار ملابط البغال وسمع بأخبار يانس المتغرب وماجرى عليه من سوء الحال وتحقق أنه كان فى مركب عقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال وهو لايعلم هل هو سالم أم شرب كاس الوبال ولما زاد به الحال أقبل على أبو محمد البطال وقال له أنت كنت السبب فى خلاص النساء من الاعتقال ومايسوى شيء هلاك ملابط البغال ان رجعنا الى الديار والاطلال حتى نكشف خبره ونقفوا منه الأخبار ونطلب هذين الملكين الملعونين وعقبة وشومدرس فقال له البطال اعلم أيها الامير أن هذا البحر يقال له بحر الجزائر وهو بحر كبير وأنا قد ركبت فيه مرتين لأجل حاجة كانت عرضت للرشيد ونظرت فيه العجائب وأبصرت فيه أوفى من مائتين جزيرة وأعظم ما رأيت فيه جزيرة يقال لها جزيرة السوس وهى منا دون اليوم وفيها عالم عظيم والى قربها جزيرة يقال لها جزيرة الملكان وفيها قلعتين الواحدة قلعة الشهبا والاخرى قلعة المذشار وليس للطير عليها سبيل ولا لنا اليها وصول وفيها ملكين أخوين أحدهما يقال له مجوسا والآخر الموت الأحمر والجن تفزع منهم وتهرب وأحدهما إذا مشى يساوى بقامته الأشجار لأنه يزيد عن عشرة أذرع ويطحن براحتيه الأحجار وكنت قمت فى الجزيرة عشرة أيام ولم أصدق أن أخرج منها خوفا من الملك أن يسقينى كاس الحمام لأنه لايرى فى الرهبان ولا القساقسة ولا لهم عنده قيمة ولا مقدار لأنه مجوسى يعبد النار والشمس والأنوار وينكر قدرة الملك الجبار خالق الليل والنهار وعندهم رجل كبير المقدار وهو من شيوح النار يقال له توزون ورأيت منه أمر عجيب يدخل النار ويخرج منها ولا يحترق ولا يصيبه منها ضرر ولا اضرار وما ذلك إلا سحر منه وفشار وان صدقنى حذرى عقبة وشومدرس ماقصدوا إلا هذه الجزيرة فقال الامير عبد الوهاب عند ما سمع من البطال هذا الخطاب فاطلبوا بنا جزيرة السوس فان كان عقبة بها وإلا قصدنا جزيرة الملكين وان لم نجدهم هناك وإلا درنا

الى الجزائر ولو أفنا عوض السنة سنتين فقال البطال افعل هذه الفعال فانه الرأى الصائب والأمر الواجب فعند ذلك أمر الامير عبد الوهاب الرجال بأخذ الأهبة للسفر ولما أصبحوا أقلعوا القوم الى جزيرة السوسن والامير عبد الوهاب قد قدم بين يديه مركب لطيف يكشف له الخبر فى طلب ملابط البغال والسفرة الذين معه من الرجال هذا والملكة ميمونة قد انفردت فى عشر مراكب هى ومن معها من سودانها وأبطالها وأقرانها والبطال دليل القوم فى مركب لطيف وأن الامير عبد الوهاب لم يزل سائر الى أن وصل الى جزيرة السوسن فلم يخرج له منها مركب (قال الراوى) فقال البطال ما كان فى هذه الجزيرة أحد وما عهدى بها إلا ملآنة من الرجال والابطال وسراة الأقيال ولكن جزيرة الملكين قريبة منهم كما قد علمت وقد بلغهم من المنهزمين فى البحر ما فعلنا بقراقونا وجزيرته وقد هربوا أهل الجزيرة ولابد ما نأخذ خبرهم ثم إن البطال نزل من وقته وساعته الى الجزيرة ودخلها فوجد فيها من الشيوخ والرهبان الكبار الذين ما لهم قوة على الهرب والفرار ولا فيهم نهضة الى غير تلك الديار وكذلك العجائز الكبار وأن البطال سأل بعضهم عن أهل الجزيرة فقالوا هربوا خوفا من المسلمين الذين وصلوا ال قلعة الضرس فقال البطال والى أين مضوا فقالوا الى جزيرة الملكين فى ستمائة مركب موسوقة بالرجال من سوى الشوانى التى تحمل الاموال والأثقال فرجع البطال وأعلم الامير بالحال فقال يا أبو محمد اقلع بنا اليهم وأن الله تعالى ينصرنا عليهم فعند ذلك نشرت القلوع وساروا القوم فهم كذلك واذا بمركب قد لاح لهم وفيها الرجال يقدفون بالمقاديف لأن الهواء طالب الجزيرة ولا سبيل لهم إلى الاقلاع ولما نظروا إلى أسطول المسلمين طلبوا الهرب والذهاب ورفعوا القلوع وقد ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا ولما نظر الأمير عبد الوهاب والبطال قد فعلوا تلك الفعال صاح بغلمانه ومن معه من الرجال ونزل فى مركب صغير وأخذ معه الاميره ذات الهمه وظالم البطل النحرير والامير عبد الوهاب وصاح بغلمانه أن يطلبوا القلع ويسرعوا فى المسير وما كانت إلا ساعة حتى أدرك البطال ذلك المركب واذا فيه جماعة من الروم مقدار مائتى بطريك ولاصقوا المسلمين ونظروا الروم الى مركب البطال وفيه عشرين رجل فأخذهم فيهم الطمع وقد حملوا عليهم الروم والتحم القتال بين الخصوم وصارت الرجال تقع وتقوم وعملت السيوف الصقال فى قمم الرجال وتراموا بالأحجار الكبار والصغار ومدوا الاسقالات وعبرت الرجال الى الرجال وقطعت منهم الآمال

وقد وثب الامير ظالم كأنه الأسد الريبال وصار معهم فى وسط المركب فى سرعة الوقت والحال وكذلك فعل الامير عبد الوهاب ولم يزل السيف يعمل والروم تقتل إلى أن خلا المركبِ من أكبر أصحابه وقد نزل عليهم سخط الله وعذابه ولم يبق إلا أقلهم ولما فرغ الامير منهم رفع السيف عنهم وقد وصلت اليهم مراكب المسلمين وقد أحدقوا بذلك المركب من الشمال ومن اليمين وقال البطال لبعض أسارى الروم من أين أنتم ومن أين أقبلتم وإلا وحق من زجر البحر أن يعلو على الأرض وبيده الإبرام والنقض إن لم تخبرنى بالصحيح وإلا طيرت رأسك ورؤوس أصحابك وأحرمك من الدنيا تستريح فقال ذلك البطريك لورك يامولاى نحن من جزيرة الملكين أصحاب القلعتين والملكين قد أرسلونا نكشف أخباركم ونبصر مراكبكم وأحوالكم وأن الملكين لهما من القوة والاستظهار مايذيب منه الأحجار ويلقى كل واحد منهم عشرين مثلكم مرة واحدة ومع ذلك فان مجوسا وأخيه الموت الأحمر الذين تضرب بهم الامثال فى القفر والمدن وهم كفء لكم وحق المسيح والدين الصحيح لقد صدقناكم فيما أخبرناكم فعند ذلك قال الامير عبد الوهاب للأمير أبو محمد البطال أحقاً ياأبو محمد الذى قالوه من المقال قال نعم أيها الأمير المفضال فان الذى نطقوا به صدقا والذى قد قالوه حقا وأن البطال أقبل على البطارقة وقال لهم اعلموا اننا قد ذهبت لنا مركب فى البحر وما ندرى ما كان منه من مدة شهر فقالوا له يامولانا المركب وصل الينا وكان بين يديه مركب آخر فيه شخصين أعورين واحد يقال له عقبه والآخر يقال له شومدرس ومعهم رجل أسير يقال له يانس المتغرب وهذا الذى يقال له عقبه عالم من علماء المجوس وانه على ديننا وانه كان فى بلدكم يكتم ذلك ونحن وحق المسيح ما نعبد إلا الصليب والملكين بخلاف ذلك وأما الشيخ عقبه فانه قد صار عندنا فى منزلة عظيمة وهو عند الملك فى المنزلة العالية والرتبة السامية لأجل خبرته فى دين المجوس وأما أصحابكم فانهم غدوا يقاسوا أنواع العذاب والبؤس حتى يقولوا انهم هلكوا مما يعاقبهم ذلك الشيخ عقبه المنحوس وقد قتل الملك (مجوسا) منهم قليل برأى ذلك الشيخ عقبه وقد حرض الملك على المسير الى بلادكم وبلاد الروم بالكليه وتملكه القسطنطونية يطلب بغداد ويملك العباد فلما سمع البطال وعبد الوهاب ذلك المقال فاضت عيونهم وأخذهم البكاء على ملابط البغال وأصحابه وأسر يانس المتغرب وسلامة عقبه ثم إن عبد الوهاب أقبل على المراكب وقال : ياجند الله خذوا الأهبة للسفر والقتال فقد بقى بيننا وبين الجزيرة القليل وهى ساعة واحدة فعند ذلك ساروا القوم بقية ذلك اليوم

وتلك الليلة وقد طاب لهم الهوى الى وقت السحر وعملت القلوع وسارت المراكب الليل والنهار وقدرفعوا المسلمين القلوع . وأما عقبه فانه قدأبطأ عليه خبرالمركب الذى أرسله الملك يكشف خبر مراكب المسلمين وما يعلم انهم قد هلكوا أجمعين فدخل على الملك (مجوسا) وقال له أيهاالملك وحقالنار والنور والبيت المعموران قلبى خائف على المركب الذى أرسلناه لا يكون قد أخذ وهلك كل من فيه فقال له الملك لاتظن ذلك فان فيها رجال شجعان أقيال يريد كل واحد منهم لرأسه ألف فارس من أبطال المسلمين وكل من فى بلادالاسلام فقال عقبه أيها الملك دعنى من هذا الكلام فما فى القوم الذى تقول منهم واحد يلقى بطل من المسمين فلما سمع الملك هذا الخطاب من عقبه غضب غضبا شديدا وكان هذا الملعون مجوسى إذا غضب لايهدأ غيظه إلا بمن يقتله فان لم يرى الدم يجرى على الارض ما يهدأ فصاح على عقبه فغاب صوابه فقال له أخو الملك اهرب ياشيخ من بين يديه وإلا تبقى الساعة علىالأرض مطروح ودمك مسفوح ففزع عقبه وقال فى نفسه هذا وحق المسيح يصلح للاسود وكان هذا الملك مجوسا لم يكن له ولد لأنه كانقدرزق سبعة أولاد وكانوا مثل الاسود وكان كلما اغتاظ يسفك أحدهم ولا زال حتى قتلهم إلا أن عقبة وثب من بين يديه هارب والى النجاة طالب وأمر الملك واحد يسفك دمه فقال أخوه هاتوا له بعض السودان يقتله حتى يهدأ غيظه وغضبه وإلا كل من وقع فى يده أهلكه فعندها خرجت البطارقه وأتوه بأسود وقد أعماهم الله عن ملابط البغال وقد ذكرنا أن الملك ضرب رقاب من قتل برأى عقبه وكان (ملابط البغال) قد نام تلك الليلة فأخذوا الأسود وساروا به إلى بين يدى مجوسا.فلما رآه ضربه بالسيف قتله فاما رأى مجوسا الدم يسيح سكن غضبه وعجل الله بروحه الى الجنة وطلب عقبة وسأل عنه فقالوا أيها الملك انه خاف منك عند ما بان غضبك فى وجهك فعندها أدعى بعقبه واعتذر اليه وقال ياشيخ اعذرنى فانى إذا غضبت لا أبصر شىء فقال عقبه وقد أعجبه قتل الأسود يحسبه أنه (ملابط البغال) فقال له أيها الملك لقد رضيت عنك النار فى هذه الفعال وهذه صفة الملوك الكبار وإلا ما كانت تقع لك هذه الهيبة فىقلوب النساء والرجال وأما المركب الذى هذا الغضب من أجله فانه انقطع خبره أو يكون قدغرق وإلا إيش سبب قعوده عنا وخبره وكأنك بمراكب الاسلام وقد أقبلت وعلى القتال عولت وهم قوم لايفكرون فى عاقبة ولا يدرون ما يراد منهم فى كل نائبة وقد طاب لهم الموت وهان على قلوبهم وهم فى الموت راغبون فهم فى الكلام وإذا بالبحر قد لاحت فيه

القلوع مثل أجنحة النسور وبانت المراكب مثل الطيور والرجال على ظهورها مثل السلاهب وقد قصدت الجزيرة من كل جانب ولما نظر عقبة الى ذلك اصفر لونه وارتعدت فرائصه وكان الراهب شومدرس حاضر تلك الساعة عنده فأقبل عليه عقبة وقال له ياشيخ أبوالشر ههنا يصلبونا وحق المسيح فقال له ياشيخ السوء أنت ما قلت لى أنا ماأمنت على روحى إلا فى هذا الموضع ولابدأن نصلب ونصفع والى القسطنطونية مابقينا نرجع فقال له عقبة لكن من أين يقدرون يصلون إلينا ونحن فى جوار هذا الملك (مجوسا) وأخيه الملك (الموت الأحمر) وفى هذه الجزيرة أكثر من ثمانمائة ألف فارس غضنفر فسوف تنظر وتبصر فقال شومدرس إى وحق المسيح أبصرلطم يعمى النظر وطعن وضرب لايبقى ولايذر فقال ويلك اسكت عنا بهذ المقال وفى هذه الجزيرة رجال وأى رجال وأنا ما أردت إلا أمزح معك فى المقال . هذا والامير عبد الوهاب لما أشرف على تلك الجزيرة أمر المراكب أنها تتفرق وقد ضربت بوقاتها ورفعت الرجال أصواتها وسلت مرهفاتها وزمجرت ساداتها وكبرت قاداتها وأما الملك مجوسا فانه لما رأى ذلك لم يتزعزع من مكانه ولا قام من موضعه فقال له أخوه ما هذه الفترة أيها الملك فقال عسى أن أعمل مع هؤلاء الشرذمة وحق النار والنور ولو أردت أن أخرج إليهم وحدى فى مركب واحد لرأيت منى ومنهم العجب والآن فقد جعلت إليكم هذا الأمر والسبب فاخرجوا اليهم بالمراكب التى وصلت إليكم من جزيرة السوسن وهى ستمائة مركب وخذوا أيضا نصف الأسطول الذى لنا يكون مع أخى ثم قال لأخيه اخرج اليهم وكن منهم على حذر فان ظفرت بهم نلت الشرف الأكبر وإن لم تقدر عليهم فاعترف بالعجز حتى أخرج إليهم وأريك ما أصنع بهم وأترك الدنيا منهم خامدة فقال له أخيه وكان دونه فى الشجاعة أنا لهم وسوف ترى ما أفعل بهم ثم انه وثب قائما على قدميه وصاح بالرجال التى حواليه فصعدت الى المراكب إلا مركب الملك (مجوسا) فان الرجال عولوا على الصعود فيه ويخرجون الى الامير عبد الوهاب وعولوا على الضرب والطعان فقال لهم الملك (مجوسا) لاتفعلوا ذلك فان أخى قد طلب الخروج الى هذا العدو حتى يظهر مافيه من الشجاعة والقوة والبراعة هو ورجاله فى هذه الساعة فعند ذلك صعدوا رجال الموت الأحمر وقعدت رجال الملك (مجوسا) عن الحرب وصعده أخوه وكان مركب كبير وهبأ رجاله وأبطاله ومعه أربعمائة مركب وأضافت اليه المراكب التى من جزيرة السوسن وقد طلع فى المراكب عالم كثير وكان (مجوسا) له مائة مركب ومعه

رجال يريد كل واحد لرأسه ألف بطل لأنك كان يحب الرجال وقد فرسهم وعلمهم الحرب لأنه كان انتخبهم من الفرسان وقد عول أنه يملك بهم البلدان ويملك القسطنطونية وبغداد ولما صار أخوه فى مراكبه ونادى فى البطارقة وقال ارفعوا المراسى وشرعوا القلوع فعندها خرجت المراكب ونظر عبد الوهاب ومن معه إلى هذه العساكر فأقبل عبد الوهاب على البطال وقال له ماترى فقال البطال وما عسى أن أرى غير الرأى الأول الذى عملناه فى الجزيرة وهو أن تفرق المراكب مع كل أمير أربعين مركب وندعه يلق مائة مركب وقد سلمتم من العطب فقال عبد الوهاب هذا هو الصواب ثم ان الامير ادعى بميمونه وسلم اليها غلمانها فى أربعين مركب وقال انتى ومن معك إلى مائة مركب فقالت سمعا وطاعة وكذلك قال لابو الهزاهز مثل ذلك وكذلك سائر أصحابه وأخذ الامير باقى بنى كلاب وقدم البطال على طائفة من العرب والعبيد فهذا ماكان (وأما ماكان) من أمر أخو الملك فانه لما نظر الى الأمير وقد انقسم فرق وأحزاب وأقبل على قومه وقال إياكم تتفرقوا ولكن الصقوا المراكب بعضها الى بعض كما تفعلوا بالخيل وصفوا الطوارق عليها من سائر الجهات واقبضوا فى أيديكم الحراب والقنطاريات فإنى سمعت من عقبة وشومدرس انهم أبطال شجعان فلما سمعوا رجاله قالوا هذا هو الصواب ثم إنهم ألصقوا المراكب بالمراكب وقد لمعت السيوف وصاحوا الروم صيحة واحدة فلما نظر عبد الوهاب الى ذلك صاح فى أصحابه وان الروم أطبقوا على المسلمين ولما فعلت الروم ذلك بمراكب المسلمين غرق من مراكب المسلمين اثنى عشر مركب ولما نظر الأمير صاح بالبطال وصرخ فى الرجال وإن البطال أمر الفرسان بقطع الحبال وأن يضربوها بالسيوف ففعلوا ذلك وقد خلصت المراكب بعدما أشرفت على الهلاك والوبال إلا أن البطال لما بطل ذلك على الروم وخلص المراكب منهم وقد بعدوا عنهم وأن ميمونة والأميرة أحدقت بهم مائة مركب وقد أشرفوا على الهلاك فأما مراكب ميمونة فقد غرق منها عشرين والباقى تعلقوا بجانب المراكب ونظرت ميمونة الى الموت فلم يكن لها إلا أنها وثبت صارت فى مركب من بعض المراكب وكانت هذه مركب أخو الملك ولما حصلت فى مركب أخو الملك والسيف فى يدها مشهور وإنها ضربت حبال القلع بسيفها فتقطعت جميع الحبال فلما رأى أخو الملك الى فعالها أمر أصحابه فحملوا عليها وتزايدت عليها الأهوال فتلقتهم الملكة ميمونة بقلب أقوى من الجبال وتوكلت على العزيز المتعال ونظرت

باقى مراكب الروم الى المركب الكبيرة فطلبوه وهم ما يدرون ما السبب وقد صبرت ميمونة صبر الكرام وكان الامير عبد الوهاب قد نظر إلى مركب ميمونة وقد غرق كل من فيه ولم يعلم أن ميمونة قد حصلت فى مركب الملك بل أيقن أنها غرقت وكذلك مركب الأميرة لما أن علمت أن الروم قد أحدقوا بها وبمركب ميمونه وقد أشرفوا على الغرق وصارت فى مركب من مراكب الروم وهو مركب كبير وفيه ثلثمائة بطريق فضربت فيهم بسيفها وقد نثرت الرجال وأبادت الابطال وهبرتهم هبرا فلما نظروا الروم من الاميرة تلك الفعال نادوا ببقية المراكب الملتصقة بهم أدركونا وأعينونا على هذا الشيطان فعند ذلك أتتهم أربع مراكب وطلعت لهم الرجال من كل جانب والأميرة ترمى الرؤس عن المناكب وتوردهم المعاطب ولم تزل على مثل هذه الفعال حتى تأخرت عنها الأبطال ولم يرجع أحد يطلع اليها ثم ان الأميرة نادت الى مراكب المسلمين فأدركتها المراكب ولم يزل القتال يعمل الى وقت الظهر هذا والأمير ينظر الى المركب الذى فيه الملك والسيوف فيه تلمع والرجال تقوم وتقع وهو لا يدرى ما السبب وان مراكب الروم كلها قصدت اليها فقال الامير ان بعض فرسان المسلمين قد حصل فى بعض مراكب الروم وهو يحامى عن نفسه ثم قال لأصحابه اقصدوا بنا اليه ثم طلبهم الامير بمركبه وقصد المركب الذى فيه ميمونة ولوح الى المراكب كلها تتبعه فتبادرت نحوه المراكب ونظرت ميمونه الى مراكب المسلمين وقد قصدت نحوها فقوى قلبها هذا وميمونة قد أشفت غليل الفؤاد ولما نظرت الملك الموت الأحمر الى ذلك هدر ووثب قائما وقد زاغت عيناه وقال من هذه الفعال فعاله مايجب اهمال ثم أخذ فى يده ترس وأخذ حسام ووثب إلى ميمونة وان ميمونة لما أبصرته قالت فى نفسها ان قتلت هذا فهو سبب انهزام الروم ثم انها هجمت عليه وهجم عليها وتضاربا وتقاتلا وإن عدو الله نادى بميمونة وقال خذ هذه الضربة وقد ضربها فقعدت ميمونة تحت الترس وأشارت اليه تريد أن تضربه على صدره وقالت خذها يامشرك يا كفور وأنا أمة الملك الغفور هذا وقد وقع سيف الملك على ترس ميمونة قطعه ووصل الى البيضة فقطعها نصفين وخرجت ميمونة من تحت الضربة سالمة وعطفت عليه وضربته فوقعت الضربة على قوائمه فأبرتها كما يبرى الكاتب القلم ببركة سيد الأمم والنبى المحتشم سيد العرب والعجم وصاحت فى أثر الضربة عبد الوهاب يا منصور فوقع الملك إلى أرض المركب وهو فى دمة يخور وقد كبرت ميمونه ونادت الله أكبر

الله أكبر قتل الملك الظالم والكلب الغاشم عابد النار ونصر الله الأبرار أمة محمد المختار وقد نظروا أهل المراكب الى الملك وقد قتل وراح فوقع فى المركب الصياح وقد اضطرب القوم وعرف الأمير عبد الوهاب ذلك هجم عليهم بمن معه من الرجال ونادى باسم المتعال فجاوبته الأبطال وعملت فى الروم النصال وأبادوهم ذات اليمين وذات الشمال ورأوا من الموت الأهوال وكان أيضا أبا محمد البطال قد نزل فى ثلاث مراكب ومعه جماعة من السودان الاقيال ومعهم النفط المطيب العال فأحرق خمسة عشر مركب وقد شربوا أهلها كاس الوبال وتشتتوا فى البحار وقد وقع بهم الانكسار وخسرت مراكب الفجار وعمل فيهم الصارم البتار فركنوا إلى الفرار وولوا الأدبار وما وصلوا إلى الجزيرة إلا وقد ملكت المسلمين أربعمائة مركب كبار وقد فنى من فيها من الكفار ما بين غريق وحريق وقتيل بالسيف البتار ونزلوا بقية الروم فيما بقى من المراكب وطلبوا الجزيرة فمنهم من سلم ومنهم من عطب ومنهم من غرق ونظر عقبة الى ذلك فقال ما بى إلا شماتة الأعدا فقال له شومدرس لا تخاف أيها القاضى مادمت أنت عند الملك مجوسا فإنى أرى طالعك منحوسا فقال له عقبة دع عنك هذا الكلام فلا بد ما يقتل الملك مجوسا وأول ما يقصعوا رقبتى ورقبتك فدع عنك الملك فسوف ترى من هو من القوم ذليلا منحوسا وكل واحد منا من فوق هذه القلعة على رأسه منكوسا فضحك شومدرس فقال له عقبة فلا بد أن يلطموا قمتك الى أن نموت فقال شومدرس أما اللطم فهو واقع بى وبك وتصل الأذية اليك وأنت عليهم أيشم منى وأخبث ومن عطب رفيقه مايسلم وإن مجوسا لما نظر إلى ذلك الحال صاح فيمن عنده من الرجال فاجتمعوا اليه وقد صاروا أوفى من أربعمائة ألف شجعان فأمرهم أن يأخذوا الأهبة للقتال ويلبسوا العدد للنزال ولا ينزلون المراكب حتى يصعدوا المسلمين اليهم إلى البر ويأخذوهم كلهم أسارى ولا سلم منهم أحد هذا والامير عبد الوهاب قد أمر الناس بالنزول الى الجزيرة فنزلوا وظن الملك أن الحال خيره وعقبه قد لحقه الحيرة وهو يقول للملك مجوسا ما قلت لك أيها الملك أنهم شياطين الارض فى الطول والعرض وفرسان البر والبحر فقال الملك وحق النار وماتحوى من اللهب والشرار بعد أن قتلوا أخى لا تركت منهم ديار ولا أخلى أحدا منهم يرجع إلى الديار ومع ذلك فانى لا أقاتلهم حتى ينزل الجميع لانهم قد أخذهم الطمع فينا ويظنون أن البطارقه الجميع هلكوا ولجزيرتنا قد ملكوا وما يعلموا أن الذين خرجوا اليهم ما يباشرون القتال وما

هم فرسان الابطال وان الذين التقوا بهم لا ثبات لهم فى القتال ولا خبرة لهم بالنزال ولا بد لى ما أطحنهم طحن الحصيد وأبلغ منهم ما أريد إذا حصلوا فى الجزيرة على وجه الصعيد ثم ان الملك أمر أصحابه أن يأخذوا الأهبة لقتال المسلمين وقد بقوا لطلوعهم إلى الجزيرة منتظرين وإن الامير عبد الوهاب صاح فى بنى كلاب والسودان الانجاب وأمرهم أن يلصقوا المراكب بالساحل ثم أمر باقى العساكر أن يكتمون أنفسهم ويخفون أمرهم (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب صاح بجميع أصحابه وألصق المراكب بالساحل فقال البطال قد رابنى أمر هذه الجزيرة وما أرى خرج منها أحد ولا قاتل ولا الملك الموصوف فى الأقطار وعلى ألسنة التجار بأنه جبار من الجبابرة وهو أعظم خلقة من أخيه إلا أن أخوه كان معروف بالحيل والأعمال مشغوفا بالنساء والدلال إلا هذا مجوسا فانه رجل مخلوق من الغضب ما ضحك ولا يزال عبوسا وهو يقول لو خرجت إلى بلاد الروم لملكت مدينة القسطنطونية من الملك ميخائيل وحدى من غير معونة جندى فقال الأمير اعلم ياأبو محمد أن عساكره قد قتلنا أكثرهم ولم يبق إلا أيسرهم ولابد لى من الصعود الى الجزيره فقال البطال أقسم بالله ماخرج الينا من البطارقة الذين أعرفهم أحد لأنى أعرف فى هذه الجزيرة رجال مثل الجمال وهم أصحاب الملك مجوسا وما خرج الينا إلا أهل جزيرة السوسن وأصحاب الملك الذى قتلته الملكة ميمونه وماكان من أهل الحرب وقد لقيت منه مالقيت فلا تخاطروا بأنفسنا وانزلوا من مراكبنا حتى ننظر مايكون فانى أخاف أن يكون عقبة قد أشار عليهم أن يخفون أنفسهم حتى تنزل اليهم رجاله وينزلون علينا بالخيل فيطحنونا طحن الحصيد فقال الامير عبد الوهاب وقد استصوب رأيه فما الذى نعمل فقال تكونوا على ما أنتم عليه فلا بد لهم إذا أيسوا من نزولهم أن ينزلوا عليكم فصاحوا بنى كلاب والسودان ما نفعل نحن هذا ولا بد من النزول وما بقى ههنا من ينظر الينا ولا يقدر علينا بعد ماقد هلك منهم ذلك العالم وملك أكثر مراكبهم ثم نزلت الرجال والابطال من كل أسد ريبال وفى أيديهم السيوف الصقال والرماح الطوال والحراب والنبال والعمد الثقال ونزلت السودان والحبشان ولم يبق فى المراكب غير السيدة زبيدة والأميرة علوى أما القناصه ونورى فإنهن خرجن وهن معلنات بالتكبير (قال الراوى) وإن الملك مجوسا لما علم أن الأمير عبد الوهاب وأصحابه قد حصلوا فى البر بالرجال وخرجوا الابطال من كل مكان وقيل إن هذه الجزيرة كانت من بناء الجن فى أيام سليم بن داود عليهما

السلام وهى بالحجر الأبيض فعندها خرجت رجال الروم على الخيل كأنها أبرجه حديد وفتح باب الحصن ونزل منه عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى ونزل الملك مجوسا وهو راكب على جواد من الخيل فى سود ظلام الليل قوى القوائم شديد الدعائم وعليه مركب من الحديد والملك مجوسا على ظهره ورجلاه تخط بالارض وهو غائص فى حلق الحديد مثل البرج المشيدة فلما نظرته العرب اقشعرت منهم الأبدان واصفرت الألوان وعجبت من عظم خلقته الشيوخ والصبيان والعرب والنسوان فقال الأمير عبد الوهاب سبحان الملك المنان العظيم الشأن الرفيع المكان والله انهذا الخلق هائل بجثة عجيبة إلا أنه كافر رزقه غافل عن من أنطقه عابد للنار من دون الملك الجبار (قال الراوى) ثم أمر بالنار فاضرمت وأمر مجوسا عسكره أن يقف عن الجملة وكانوا مثل عسكر الأمير عبد الوهاب أربع مرات وأن مجوسا لما نظر إلى عسكر الأمير عبد الوهاب لم يكبر فى عينه بل حدثته نفسه أن وصل بقتالهم ملى وبحربهم وفى (قال الراوى) ثم أمر بالنار فاضرمت حتى علا شعاعها وارتفع لظاها وتقسطل دخانها وعظم عذابها ثم نزل عن فرسه ودنا منها والأمير عبدالوهاب ينظر اليه وإلى فعاله وكذلك الأميره ذات الهمه وقد طارت من عينيها الدمعة غيرة لله ولرسوله وللشريعة الاسلامية والملة المحمدية (قال الراوى) وان الملك مجوسا جعل يقبل الأرض ذات اليمين وذات الشمال وأن عساكره لما نظرت إلى فعاله سجدت كلها للنار من دون الملك الجبار ثم ركب وركبوا للقتال هذا والمسلمون قد ضجوا بقول لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ياساده ياكرام وان الأمير عبد الوهاب جعل يرتب رحاله وأبطاله وقال لهم لا تتفرقوا بعضكم من بعض فتطحنكم الخيل على وجه الأرض فقالوا سمعا وطاعه ثم ان الأمير جعل الملكة ميمونة عن يمينه والامير ظالم عن يساره وفى الجناح الايمن ضيغم وفى الجناح الايسر القناصة ووقف الامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمه تبكى فقال لها الامير ما هذا البكاء فى مثل هذا الوقت وهو وقت الفرح من أوجه عدد إما الظفر بأعداء الله وإما القتل فى سبيل الله فقالت يابنى أقسم بالله ما بكيت إلا لانعكاف هؤلاء القوم وسجودهم لغير الله. فقال لها الامير يفعل الله مايشاء ويحكم ما يريد فنحمد الله تعالى على الهداية الى الاسلام فهم كذلك واذا بفارس قد قصد اليهم ووقف بازائهم وقال لهم بكلام عربى الا وأن الملك مجوسا قد نظر الى ضعفكم وصغر أجسامكم وقلة كلامكم وقد أخذته الحمية عليكم وكان قتلكم لا يزيد فى ملكه ولا يرفع قدره وهو يقول لكم أنه

قد عفى عنكم ولم يأمرنا بقتلكم بشرط أنكم تسجدون لهذه النار سجدة واحده وهو يعطيكم الامان الى أن ترجعون وتصعدون فى مراكبكم فهو يعلم أنكم قد ندمتم على نزر لكم وأنتم تعلمون أنكم قد صرتم فى قبضة عدوكم (قال الراوى) وأن الامير عبد الوهاب لما أن سمع ذلك من كلامه هم أن يجاوبه فسبقته الاميرة المجاهدة والسيدة العابدة التى ما أفطرت قط من الهجير الشديد ولم أرمت عن بدنها فى سبيل الله الحديد ولا نامت فى الليل أجمع إلا تقوم أكثره ولها فى الحج المواقف الكثيرة (قال الراوى) وأنها لما سمعت ذلك من كلامه خرجت اليه وقاربته وقالت له لعنك الله من بين الكفار كيف تدعوا الى سجود النار وربنا يدعونا الى دار القرار ولكن ارجع اليه وقال له ان كنت قد رحمتنا فنحن لانرحم من يكفر بالرحمن ويسجد للنيران وكيف يسجد لها وهى مخلوقة وقد دخلت عليها الآفات والعوارض من الجهات ونحن لا نؤمن بالسجود الا للملك المعبود خلى عنك المحال ودونك والمجال فلما سمع رسول مجوسا ذلك من كلامها رجع اليه وقص القصة عليه فنادى مجوسا على بالراهب تورون فحضر بين يديه شيخا قد عبر المائة سنة فقال له الملك أنت رسول اليهم فعندها رجع الراهب الى بين الصفين ونادى يا معاشر المسلمين أنتم تقولون أن دينكم الحق وهذه النار التى بين أيديكم وها أنا شيخ كبير ضعيف كما ترون ذهب حالى ولم يبق إلا خيالى فانظروا الى فعالى كيف أجوز هذه النار وأخرج منها ولا تأكل لى لحما ولا تحرق لى عظما ولا تشرب لى دما فان كان دينكم صحيح فافعلوا كفعالى (قال الراوى) ثم أنه دخل لوقته وساعته الى النار وجعل يدورها ويمشى فى وسطها برجليه وشرارها يتطاير عليه فلما نظروا العرب والسودان الى تلك الفعال دهشوا وعجبوا مما أبصروا وقالوا هذا ما لايقدر عليه أحد من الناس (قال الراوى) ثم ان الراهب خرج من النار وقد تبادرت اليه الرجال وجعلوا يقبلون يديه ورجليه ونادى معاشر المسلمين ان كان دينكم حق فافعلوا مثل فعلى (قال الراوى) ولما نظرت الاميره الى ذلك أرمت ترسها وسيفها وخرجت فلحقها الامير عبد الوهاب وهى طالبة النار والشعاع وقد عمل معها الوجل والسماع فقال لها الامير على ماذا عولتى يا أماه فقالت أخوض النار حماية للملك الجبار فاقسم بالله لاتركت باطل القوم يغلب حقنا فقال الامير عبد الوهاب يا أماه هذا سحر من الملعون لا محالة وإن دخلتى النار أحترقتى فقالت أقسم بالله يابنى لو تنفست الساعة على هذه النار نفسا واحدا من حميتى لدين الاسلام ونخوتى لله تعالى لاحرقت هذه

النار بحرارة أنفاسى (قال الراوى) فردها الأمير عن ذلك فقالت أقسم بمن علم وزن الجبال وعلم دبيب النمل فى ظلمات الليال إن كان لابد مما أطرح روحى فيها (قال الراوى) ثم ان الأميرة نظرت الى النار ولها شرار كالجبال وقد قلق الأمير عبد الوهاب عليها غاية القلق ونظر الى وجهها وقد أنار من صدقها فى طاعة الملك الجبار وعن الدنيا قد أعرضت بكليتها وأقبلت على الله بحسن نيتها (قال الراوى) ولم يسمع فى قصص الأولياء أحسن من قصتها وعلم الأمير أنها بعد أن أقسمت لاترجع وأيقن سائر المسلمين أنها تحرق (ياساده) وتطاولت أعناق الروم والعرب اليها من كل جانب وجعل الأمير عبد الوهاب يعفر وجهه على التراب وينادى يارب الأرباب ويا معتق الرقاب ويا مسبب الأسباب ياعالم بما فى الأرحام لاتشمت بنا الأعداء فما قصدنا إلا إظهار دين الاسلام هذا والأميره ذات الهمة قد عمل معها الوجل من الله تعالى ولم تخف غير الله وضج المسلمون بالدعاء ودخلت الأميره ذات الهمة فى النار الكبيرة حتى إذا خاضتها وحصلت فيها وهى تقول الله الله الله أكبر الله أكبر الله أكبر (قال الراوى) فو الله لقد صارت النار تحت أقدامها ماذا وقفت فيها ساعة وخرجت والنار قد خمدت عنها كأنها لم تكن قط (ياساده) هذا والمجوس لما نظروا الى ذلك بهتوا لها وأما الراهب نورون فانه لما نظر الى فعال الأميره حار وقال للملك مجوسا وقد رآه متعجبا أيها الملك لاتعجب من هذا الفعل الذى فعل ولكن أعجب من فعلى فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنا فكلما كنت أعمله فهو سحر علمنيه أبى وأما هذا الفعل فانه فعل ربانى لأن النار صارت رماد وما كنت أظن أن أمة محمد بهذا الصدق فو الله إن دين محمد هو الدين الحق المعروف والشرع الموصوف (قال الراوى) فلما سمع الملك مجوسا ذلك من كلامه صاح صيحة نفرت منها الخيل من أماكنها وقال للروم ويلكم قطعوه بالسيوف وأسقوه شراب الحتوف هذا صبا الى دين السحرة وصار من أولئك الكفرة فقال له الراهب أيها الملك افعل ما شئت ودبر ما هويت فو الله لا أبالى بعد ما قد هدانى (قال الراوى) فعندها جردت النصال وتبادرت الرجال وقصدوا الى الراهب من كل مكان وأداروا وجهه الى الاميرة وقالوا يا مسلم هذا الذى أضللته قد قتلناه ومن الدنيا أرحناه والراهب يقول يامسلم اشهد لى بها يوم القيامة انى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى وبالحق بشيرا ونذيرا صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الاميرة ذات الهمه ذلك فرحت واستبشرت وقد زاد ايمان المؤمنين وتباشرت الموحدين وقال

الأمير عبد الوهاب احملوا معاشر المسلمين بارك الله فيكم عضدوا إخوانكم فى الدين وأبشروا بالثواب من رب العالمين فقد هداه الله إلى دين الاسلام (قال الراوى) عندها حملت بنو كلاب والسودان الانجاب وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب وحملت الروم الكفار على المسلمين الأبرار والتقى الجمعان واختلط الجيشان وتقابل العسكران وعملت الصوارم الصقال وحامت طيور الآجال وهدرت سباع الهلاك والوبال ونظر مجوسا إلى صدق قتال بنى كلاب وجوزة طعان السودان الانجاب هنالك صاح فى رجاله وصرخ فى أبطاله وهم زهاء عن عشره آلاف فارس فأرما الخيل على الناس وصدموهم بالتراس فزجوا البعض إلى البحر وقتل من الناس أكثر من مائتى رجل ولولا الأميره ذات الهمه والملكة ميمونه والامير عبد الوهاب والقناصه وظالم وضيغم وأبو الهزاهز وسائر الامراء ممن ذكرنا من الابطال المعروفين والاقران الموصوفين وأنهم صبروا على الخيل وقاسوا البلاء والويل وقطعوا بالسيوف قوائمها وأظهرت الرجال عزائمها ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى بقيت الرؤوس بلا غلاصم والاكف بلا معاصم حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد بليوا الناس يومهم بالدمار هذا والبطال قد قال للامير عبد الوهاب والله لقد حسبت هذا الحساب وقرأت لكم عنوان الكتاب فكان رأيى لكم على أكمل الصواب الا أنكم رأيتم ما قلت لكم بطلان فعاد ربحكم خسران ولولا عناية الملك المنان لما سلم منكم انسان وقد نظرتم اليوم إلى هذا البطل المغوار وماقد فعل فى هذا النهار فاطلبوا بنا المراكب وأطلعوا اليها من كل جانب وتحصنوا فيها فما لكم قدره لقاء الجبابرة ولا فيكم لهذه العتاة وملاقاة هذه العصبة الفاجرة لانهم على خيول البحرية ولهم العدد البهيه وهم رجال وأى رجال وقد فنيت العدد الذين معكم وغدا يقضوا عليكم والرأى عندى أنكم تقصدون الى المراكب وتأمنوا من النوائب فقالوا بنى كلاب والله ان صعودنا الى المراكب من غاية الذل والعار ونهاية الانكسار والحرب سجال يوم لك ويوم عليك ودع يقضى الله ماهو قاض (قال الراوى) ثم أنهم غلبوا على رأى البطال وباتوا على وجه الارض وقد أضرمو النيران وأكثرو الحرس خوفا من الهوان والملك مجوسا قد جمع قومه وقال لهم لقد ظفرت اليوم بهؤلاء الرجال الذين بين أيديكم إلا أننى ماعملت اننا نلتقى هذا الملتقى ولقد رأيت فيهم رجالا لا يطاقوا وأبطالا لا يلاقوا ولا يمارسوا فى قتال ولا حرب ولا نزال وغداة غلمان أتو الى البراز وسرعه الانجاز لانى أرى هذا الشيخ الذى عندنا شيخ المجوس عقبه يصفهم بالشجاعة والقوة والبراعة ولقد لاح من ذلك

برهان ورأيته عيان بيان لأنهم لا يفكرون فى كثرة العـــدد ولا تزايد المدد فعلى بالقاضى عقبة حتى أتحدث معه وآخذ رأيه وأعرف منه الشجاع الخبير بالحرب والقراع ومن هو الجبان فما كانت إلا ساعة حتى حضر عقبة وهو فرحان بما جرى على المسلمين فى ذلك اليوم من الهوان والبلاء ولما دخل سلم عـــلى الملك ورحب به وأدناه وقربه وحاداه فقال عقبة أيها الملك الهمام والبطل الذى لا يرام كفتك النار تصاريف الزمان فقد شفيت غليلى وبلغتنى ما مولى وظفرت بسعادتك ليولى وما ظفر بهؤلاء القوم قط أحداً غيرك وأنا أرجو من النــار أن تتم معك وتسلم هؤلاء القوم إليك وأنا أضمن لك بوزن كل واحدمنهم ذهب وتكون قد أرحت الروم من شرهم (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبة قال له طب نفسا وقر عينا فانا فى غـــداة غد أعطيك رؤوس الجميع ولا أريد منك رشوة فقال القاضى عقبة يا ملك إنى أخاف منهم أن يهربوا فى ظلام الليل وينجوا من الهلاك والويل ولا ننال منهم طايل فقال له الملك فما الذى تريد قال تنفذ مراكبك فى ظلام الليل ومعهم قوارير النفط يحرقون مراكب المسلمين حتى تنقطع أطماعهم من مراكبهم ونسقيهم شراب معاطبهم ولا ينجو منهم هارب فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبة قال يا أبونا قد نطقت بالصواب ثم ادعى بالرجال والأبطال وكانت المراكب ما فيها إلا الأميرة علوى والسيده زبيدة والمال الذى أخذه الأمير عبد الوهاب من جزيرة الضرس هذا والأمير ما عنـده مما جرى خبر والرجال من المسلمين آمنين من حوادث المصائب ولم تكن غير ساعة حتى أخذوا المراكب التى فيها علوى والسيدة زبيدة والمال وضربوا الباقى بالنار فى ظلام الاعتكار ووقع الصايح فى البحر وأيقن الأمير عبد الوهاب أن المراكب كلها قد عطبت والنساء قد هلكت والسيدة زبيدة قد أخذت واحترقت ولم يعلم أنهم أخذوهم الروم فقـــال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وانا إليه راجعون وأما الأميرة ذات الهمة فانها غابت عن الدنيا وقالت للبطـال ما ترى من الرأى يا أبامحمد فقال انا قلت لكم الصواب مراراً وأنتم ماتسلكون الا طريق الهلاك والدمار فقالت الاميرة يا أبا محمد فكيف قدروا على المراكب وكيف وصلوا اليها فقال هى مراكب الحصن فقالت الاميرة صدقت وما فعلوا ذلك الا ظنوا أننا نهرب من هذا المكان ففعلوا هذا الشأن وأرادوا أن يقطع الطمع بهذا السبب وأنا وحق النبى المنتخب سيد العجم والعرب لابد أن أترك الارض غداً بالدماء ريانة بالقتلى هذا والناس بقوا على غاية من القلق والدهشة والارق وعبد الوهاب على مقالى النار لاجل السيدة زبيدة وقال والله

لو هلكوا أولادى لكان أحب الى من هلاك السيدة زبيدة هذا وقد سار والكفار بالمراكب والاميرة علوة والسيدة زبيدة وقد قرب مجوسا الى المينا وأشعلت الشموع بين يديه ولما نظر الى المال فرح وقال للقاضى عقبة لقد كان ذلك صواب (يا سادة) ومدت السيدة زبيدة نظرها الى الملك وعظم خلقته وهو فى أعلى منزلة فلما نظرته عرفت عقبة وهو الى جانبه فلما نظرته قالت والله هذا عقبة ولا شك فيه وهو عند الملك فى أقصى بلاد الروم وبالله العظيم لقد صدق الامير عبدالوهاب والبطال فى الذى قالوه فيه ولا بد لى أن أقابله بما يستحق ولا بد أن أحرض المأمون على هتك ستره ثم انها رجعت الى عقلها وقالت مالى الا انى اعلمه بنفسى حتى لا يبقى فى ذلك تكذيب (يا سادة) ثم انها عولت أن تتكلم واذا بالصياح قد علا فقال الملك مجوساً لغلمانه ويلكم أبصروا ما الخبر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الامير عبد الوهاب والسودان الانجاب لما جرى عليهم ما جرى من أجل المراكب فقالوا فى غداة غد نستوفى منهم ونأخذ بثارنا فقال الامير عبد الوهاب مايجرى علينا هذا المجرى ونصبر الى غد ولكن قوموا بنا فى هذه الساعة نهجم على القوم فلعل الله تعالى أن يهدم منهم فى هذه الليلة ركنا من الاركان ثم ساروا فى ظلام الليل حتى وصلوا اليهم وحملوا عليهم وحمل الامير عبدالوهاب والاميرة ونادوا الله أكبر الله أكبر وهجمت الرجال من أهل الاسلام على الروم اللئام وعمل الحسام فى الظلام وعمل الصارم فى المفارق وكثرت البوايق وجرى الدماء ولم يزل السيف يعمل طول الليل وقد جرت الدماء مثل السيل حتى بدت غرة الصباح وجرى الدم وساح هذا كله والملك مجوسا قد اشتغل برفع الاموال الى القلعة المعروفه وأخذ السيدة زبيدة والاميرة علوى ورفع الكل الى الحصن هذا وقد دنا عقبه من النسوان ليعلم من هن وسأل فقيل هذه السيدة زبيدة زوجه الرشيد التى كانت تعادى المسلمين من أجلك وهى تعلم أنك زاهد الزمان وقد رأتك عند الروم فى أعز مكان وقد قالت ما كذب من قال انه منهم (قال الراوى) فلما سمع ذلك قال لقد خفى عنها حالى وأنا أرى عن نفسى لانى كنت فى طريق بيت المقدس وأخذتنى الروم ودخلوا بى وبهم الى بلاد الروم وأوصلونى الى هذه الجزيرة ولولا أننى قد لعبت بعقلهم وقلت لهم انى حكيم طبيب والا هلكت من زمان وحلت بى طوارق الحدثان وسوف تعلمون أن كلامى حقاً وقولى صدقا وما أوقفنى الله هنا الا لخلاص السيدة زبيدة لانها كانت لى ركن من الاركان (يا سادة) وكان عقبه قد عول على خلاصها ويهلك علوى فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الامير عبدالوهاب فانه لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صفف

رجاله وهيأ أبطاله وكان الملك مجوسا قد نزل وماعنده من العسكر خبر ولا من القتال الذى جرى طول الليل وهو يقول إنهم تحت قبضته وأنه خرج على جواد أصفر عالى من الخيل مضمر وفى يده حسام عريض مجوهر وبيده رمح أسمر ثم خرج إلى بين الصفين وطلب البراز وكان قصده أن يظهر للقوم شجاعته وقوته وبراعته ثم جال ولم يكن أكثر من جولة واحدة حتى خرج إليه أبو الهزاهز وكان مناجز فما طال بينهما الخطب حتى أخذه أسير وخرج من بعده مالك بن طوق فأخذه أسير وخرج من بعده ضيغم فأخذه وطارق الحجازى فأخذه وبرد بن الأزهر وهارون العلوى وسعيد بن الفرج ومدركة وعبد الله وعطاف وفهد بن قيس وطوق بن سنان وهو يأخذ واحد بعد واحد إلى أن ملك كل الأبطال ونظر الأمير عبد الوهاب إلى جبار من الجبابرة فخرج إليه فنادى يا عدو الله انزل عن الجواد وما هذا إنصاف ولا فعل الأشراف كن مثلى راجل حتى يبان منا المفضول من الفاضل لأنك مثل الجمل الهايل وأنت على هذا الفرس الصايل وأنا مقابلك راجل فكيف يتم لى أن أكون مجايل (قال الراوى) فلما سمع مجوسا ذلك من كلامه وما نطق به من نظامه ترجل من وقته وساعته ثم تقدم إليه فجالا طويلا واعتركا مليناودام بينهما الأمر حتى ازورت الحدق وجرى العرق وأخذ الرجال عليهما القلق (قال الراوى) فعندها رفع الأمير سيفه حتى بان بياض إبطه وهم أن يضرب مجوسا فبطل ضربته وحنق عليه الأمير عبد الوهاب ثم أنشد يقول :

أقول لها لما رأت شؤم صاحبى	وقالت الازل عنه يا ابن الأطايب
لقد ملك الاقران فى حامة الوغا	وكل هزبر صادق غير كاذب
وهذا الذى بارزته ليس كالذى	لقيت من الاقران يوم المصائب
فان مجوسا ليس فى الأرض مثله	وهيكله مثل الجبال الدواسب
فقلت دعينى واقصرى عن ملامتى	فما الموت إلا حاضرا غير غائب
إذا ما قصدت الله لم أخش غيره	ولو كان قتلى فهو أعلى المراتب
فما كل دم للتقرب صالحا	ولا كل عبد صالحا للمواهب

(قال الراوى) وحمل بعد ذلك الأمير عبد الوهاب على الملك مجوسا وحمل مجوسا عليه وكل واحد منهما قد هجم على صاحبه وتضاربا وتجاولا وتقاتلا واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة مجوسا وكان الأمير عبد الوهاب مليح الاحتراز بطل خبير بأفعال البراز فبطل مضربه أسرع من لمح البصر فضربه ثانيا فالتقاها الأمير بدرقته فوقعت على رأس الترس وكان من الحديد الصينى فلم يعمل السيف فيه شىء

ولم يزلا حتى لم يبق فى أيديهما غير المقابض فرميا الترسين وتقابضا باليدين وتعاركا بالساعدين فبقى الأمير قدامه مثل العصفور قدام الباشق المكسور هذا وقد طرح الملك كليته عليه وهمزه ليطحن عنقه فوجد الأمير منه شدة عظيمة لم يراها من غيره فلما بان له ذلك انحنى ودخل تحته فعاجله مجوسا واحتضنه ثم هزه ساعة إلى أن أدهشه وحمله وسار إلى أصحابه وسلمه إليهم وان مجوسا رجع وهو يقول وحق معبودى ما أقول ان بقى فى العرب من يقوم مقامه ولو كان مالكا سيفه لما قدرت عليه ولا وصلت اليه (قال الراوى) فعندها خرج إليه الأمير ظالم كأنه الاسد الغاشم ودنا نحوه وهو ينشد ويقول

ألا أيها الطود الذى ليس أخذه همام الوغا يوما بحسن قتاله
ولكنها الاقدار تجرى على الورى بغير اختيار المرء عند فعاله
وأنت لعمرى منذ حملك مثله تقوم به لو كان ضعف مثاله
فدونك حربى يا مجوسا فاننى سألقيك فى قفر الوهاد بحاله

(قال الزاوى) ثم حمل على مجوسا وحمل مجوسا عليه وقد علم ظالم أنه ما أخذ الامير الا لعدم سيفه وكبر جثته وثقله فبرز إليه بسيفين وضاربه وجاذبه حتى طار سيف الامير ظالم عندما هز مجوسا ترسه وصدم به الامير ظالم فوقع الى الارض وقد غاب عن الدنيا ولم يبق أحدا ممن رآه إلا وقال انه قد قضى عليه لاجل تلك الضربة والصدمة وهم مجوسا أنْ يرجع إلى القتال فهجم الظلام وافترقوا عن الصدام وباتت الاميرة ذات الهمة والملكه ميمونة أيشم مبيت وكذلك القناصة من أجل ولدها الامير ظالم والبطال قد اشتغل قلبه وقال أقسم بالله انى أخاف أن يطرحوا الحبال فى رقابنا ويقودونا أسارى وهذا عاقبة مخالفتهم لى لو صعدوا إلى المراكب كما قلت لهم ما جرى شىء من هـــذا وقد شالوا الامير ظالم الى عند الاسارى فقال الامير والله لو كنت مالك سيفى لم يصل هذا الملعون الى ولا قدر على وما أخذنى الا بقوة الساعد لان الله تعالى خلقه فى هذا القالب العظيم (قال الراوى) وان القاضى عقبة دنا من الامير عبد الوهاب وقال له كيف رأيت ياأسود يازنيم الى متى تمهلك الايام ويتخطاك الحمام وقد أبكر منك القضاء والقدر واشفى كربى وفرح قلبى فقال الامير عبد الوهاب ياويلك أحسن الى السيدة زبيدة فى مقابلة احسانها اليك فقال وحق المسيح أول ما أتقرب الى السيدة مريم بقتلها وان أبغض الناس الىّ من يعمل معى جميل فقال الامير لعنك الله ياملعون فقلت ساويت ابليس فى تجبره وتكبره وجميع خصائله ولا بد ما يأخذك الله أخذ عزيز مقتدر فقال عقبة وقد غضب من الامير عبد الوهاب وحق المسيح لاقتلناك أشر قتلة فسكت الامير ولم يرد جواب ولما أصبح

الصباح وأضاء بنوره ولاح جردت الصفاح وخرج مجوسا وصاح برجاله وفرسانه وأبطاله وقال لهم يا ويلكم ما بقى إلا أوباش القوم فدونكم وإياهم واقتلوا أقصاهم وأدناهم فعندها حملت الروم الكفار وعمل البتار وقطعت الأعمار وعلا الغبار وفتكت السودان بالروم وكان يومهم يوم مذموم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وكان الظفر فى ذلك اليوم للمسلمين وقتل من الروم ثمانية آلاف ومن المسلمين مائة رجل وقاتلت الملكة ميمونة ذلك اليوم القتال الشديد وكذلك القناصة ونورى قد فعلن فعلا ما وصل إليه أحد وأقبل الليل وافترق الجيشان وخرج مجوسا وفتش بين القتلى لينظر من قتل من أصحابه فلم يجد الذين عدموا من المسلمين أكثر من مائة فقال وحق النور والنار هذا أكبر العار والذل والشنار ويلكم هذا وما بقى منها فارس معروف ولا بطل موصوف فقال له عقبة أيها الملك لا تقول هذا ولا بقى فيهم إلا من فتكت بالرجال وأهلكت الأبطال وهى ميمونة التى أحدقت بها أربعمائة مركب فنكلت بهم وقتلت أخوك الموت الأحمر فقال الملك وكان هذا الفعل ما هو فعل الأسود أمير القوم فقال له أيها الملك إنما فعال ميمونة زوجته ولقد قيل لى إنها أسرته فى مقام الحرب ولهم بعدها أخرى يقال لها القناصة تقتنص الرجال وتلعب بعقولهم وبعدها العجوز العاهرة والشايبة التى شيبت الروم وتركت الرجال تقع وتقوم فالويل كل الويل لمن أصبحت له طالبة فانها لروحه بالسيف ناهبة (قال الراوى) فلما سمع الملك مجوسا كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال من هذه التى وصفتها فقال يامولاى هى التى لا يوجد مثلها فى الأرض وهى الأميرة ذات الهمة الكلابية وهذا الأسود ولدها وهى التى علمته الفروسية ومع ذلك فانه لا يوجد مثلها فى العراق ولا فى سائر الآفاق فقال الملك وقد شاظ غيظا وحنقا ويلك يا عقبة سوف أريك فى غداة غد ما أفعل وباتوا على ما هم عليه حتى طلع ضياء الفجر وتواثبوا الرجال إلى الميدان من المراقد وقد لبسوا العدد وان الأميرة ذات الهمة عبت الرجال والفرسان والأبطال وقالت اعلموا يا أحباب الله ان الله قد نصركم على عدوكم وبالأمس فعلتم بصدق النية والله الموفق فهى معهم فى الكلام واذا بفارس قد ظهر كأنه البرج المشيد وكان هذا الملك مجوسا قد خرج بنفسه ونادى بلغته بكلام يعرفه البطال وقال من بقى أخرجوه إلى هذا المقام حتى أذيقه طعم الحمام واعجل له الارغام فأعاد ذلك الكلام البطال على الأميرة ذات الهمة وقال لها ان الملعون قد

طلب قتال قاتل أخيه فقالت الملكه ميمونه أنا قاتلة أخيه وأنا أرجو من الله تعالى أن ألحقه به فقالت لها الأميرة ذات الهمة كونى انتى مكانى وأنا أخرج إلى هـذا الملعون والله الموفق والمعين فقالت الملكه ميمونة والله ما يخرج إليه غيرى ولا يباشر الحرب غيرى وسواى وافعلى بعد ذلك ما تريدى وركبت الملكة ميمونة وحملت على مجوسا (قال الراوى) يا سادة يا كرام ونظر مجوسا إلى ركبة الملكة ميمونه وكان بصيراً بالحرب فعرف منها النجابة وعلم أنها لا تطاق ولا يصطلى بنارها ثم بان له سوادها واصفرار عيونها ورأى الشر خارج من عيونها فأشار إليها بالقنطارية دونك والقتال والحرب والنزال هذا وهى تتوقع مقاتله ثم انها صرخت بالحصان صوتاً هائلا فخرج من تحتها كأنه الريح الهبوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب ثم ردت رأس الحصان كأنها هاربة منه فصاح بجواده طالباً لهـــا الى أن قادها وظن كل واحد أن الطعنة واصلة إلى ظهرها فانعطفت راجعة وضربت قنطاريته بحسامها فبرتها كما يبرى الكاتب القلم ثم ضايقته وقاربته وضربته فالتقى الضربة بدرقته الحديد فوقعت على راق الدرقة فنشب السيف فيه فجذبته وقد انكسر السيف فى الترس الحديد وطلع القايم معها ثم ان الملك مجوسا رفع يده بالسيف ليضربها فصاحت بالجواد وقد خانها حسامها ثم خرجت عنه وأخذت رمحها فلما نظر إلى فعلها أخذ حذره منها وقد مانع عن نفسه وقد أشار إلى قومه يطلب رمحا فأتاه بعض بطارقته برمح وأركزه له فى وسط الميدان فلما رآه أتى إليه واقتلعه وحمل على الملكه ميمونة وتطاعنا مليا وتحاربا إلى أن بقى من الرماح فى يد كل واحـد منهم ثلاثة أذرع ورجعا إلى المدافعة واختلف بينهما ضربتان فسبقها عـدو الله والملة بالضربة فوقعت على رأس جوادها فبراه كما يبرى الكاتب القلم فوثبت الى الأرض ثم ضربت قوائم جواده فبرتهـــا فوثب عدو الله إلى الارض وخطا إليها وجعل يطاول عليهـــا وكان مع ميمونه سيف الركاب فجعلت تضرب به يمين وشمال إلى أن تقصفت السيفين فعندها ولت ميمونة وتبعها مجوسا ولطمها برجليه فوقعت إلى الارض فأخذها وسلمها إلى صاحبه فلمـــا نظرت الاميرة الى ذلك قالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انها استوت على حصـــانها وقد تزعزع عسكر المسلمين ولم يبق أحد من أمراء بنى كلاب الا وقد حزن عليها ثم خرجت الاميرة وعليها درع مليح النظام قصير الاكمام وصاحت على جوادها فخرج من تحتها كأنه البرق الخاطف (قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم حملت على مجوسا وهى تنشد وتقول :

رويدك يا كلب المجوس فانني سأرديك فى هيجائها اليوم ناويا
وحق النبي الهاشمى محمــد نبي الهدى خير الورى ذو المعاليا
لتلقن منى اليوم لبوة غابة معودة للحرب والنقع باديا

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم انها حملت عليه وحمل عليها الى أن طلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار ولم يزالا كذلك الى أن تقصفت الرماح وتثلمت الصفاح وحك ركابه ركابها وقد علا صياح العسكرين ورمقتها أبصار الفريقين وتقابضا على الجوادين وقد أيقن المسـلمون أن الاميرة قد وقعت فى يده لما يعرفون من قوته وشهـامته ولم يزالا يعتركا الى أن وقفت الجوادين تحتها ووقعا إلى الارض قائمين ولم يزالا يعتركا ويصطدما الى أن صارت الشمس فى كبد السماء عند ذلك أخرج الملعـون يـده ولطم الامـيرة على رأسهـا فمن حرارة الضربة رفعت الاميرة يدها ولطمت مجوسا فى رأسه فرفع رأسه عنها فطوت يدها ولـكمته بما أعطاها الله تعالى من الحيل فوقعت فى صدره شقته وكسرت عظمه فوقع الى الارض ميتا فعندها سارت الاميرة ذات الهمة طالبة المسلمين وأبطال الموحدين ولم تجد الصبر عن المقام ونظرت الروم الى فعال الاميرة ذات الهمة فحملوا حملة واحدة وكان ذلك برأى عقبة وطلبوا الاميره ليقتلوها فصاحت فى أبطال بنى كلاب والسـودان الانجاب فثاروا فى موقف الصدام وعمل الحسام وتهشمت العظـام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار الضاحك وأقبل الليل الحالك ونادت الطائفتين بالانفصال ورجع الكل عن معترك القتال وفرحت الاميرة ذات الهمة بما أولاها الله تعالى من النصر الا أن قلبها خائف على الامير عبد الوهاب ومن معه خوفا من عقبة أن يتلفهم فقال لها البطال اعلمى أن عقبة ما له فى الجزيرة أمر ولا نهى ونرجوا من الله تعالى الفرج والنصر وان الملعون عقبة لما علم أن الملك قد هلك أقبل على الراهب شومدرس وقال له وحق المسيح ماكان بقى غير هـذه العاهرة ذات الهمة وكنا قد بلغنا المنى وملـكنا سائر الاعداء ولـكن المسيح ما يفرط فيهم وقد حسبت هذا الحساب فقال شومدرس اعلم أن الخلق فى هذه الجزيرة كثير والجم غفير وما نخشى منهم ولا نفزع ولا علينـا خوف ولا جزع (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان فى الحصن رجل يقال له عبد الصليب وكان على دين النصرانية وكان الملك فى آبائه وأجداده قديما وانما مجوسا تغلب عليهم بكـثرة الجزائر التى حولهم وكانوا يميلون الى دين المجوس فملك مجوسا عليهم الجزيرة وجعل

هذا عبد الصليب مقدما على الناس وكان شديد البأس قوى المراس وأهل الجزيرة يريدوا هلاك مجوسا وهلاك أخيه حتى يصفى الملك لهذا عبد الصليب وهو كما ذكرنا شجاع وبطل مناع فهم على ذلك الروم قد عادوا إلى الحصن وسلموا على الملك عبد الصليب وخاطبوه بالسلطنة وهنوه بالملك وقالوا قد رجع الحق إلى أصحابه وأهله ففرح عبد الصليب بذلك وقال لهم اعلموا أن سوء تدبير مجوسا هو الذى أهلك الروم والبطارقة وكان أيضا مضاداً لدين المسيح وهو الدين الصحيح وسوف ترون فى غداة غد ما أفعل مع هؤلاء القوم وكان معه أربعة آلاف بطريق يقاتلوا مع الملك مجوسا طمعا فى هذه النوبة وكان قد ترك بعضهم فى الجزيرة وبعضهم فى الحصن وبعضهم فى قرية لطيفة بينهم وبينها مثل جانبى النيل وفيها كل مقام الملك عبد الصليب طول الأيام (قال الراوى) يا سادة ياكرام وان الملك عبد الصليب أخذ الأهبة للقتال والحرب والنزال وقد حضر عنده عقبة وشومدرس وهناه عقبة بالملك وقال أيها الملك اعلم أن المسيح يحلم على العاصى ثم بعد ذلك يأخذ فلا يقدر أحداً يخلصه من يده ولقد اطلع عليك فوجدك أحق بالملك من غيرك فرده اليك لأنك تطلب إعزاز دينه وإظهار شريعته ومع ذلك وان العدو وقد انقصم حيث أنك ملكت عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب من بنى كلاب والسودان الأنجاب وما بقى عند القوم من تخاف منه الا أن يكون التى قتلت الملك مجوسا ومن الصواب أنك تلقى الهيبة فى قلوبهم لأنهم اليوم يقاتلون وهم فى خلاص أصحابهم طامعون واذا قتلوا زالت أطماعهم (قال الراوى) يا سادة ياكرام فلما سمع الملك ذلك قال ما هـــذا صواب لأنى ما أعلم هل يكون الأمر لى أم على فان كان لى فما أقدرنى على قتلهم وان كان على دبرت أمرى كما تدبر الملوك أمورهم ثم إنى أيضا لا أرى انى أقتل أسارى أسرهم غيرى وانما الافتخار اذا أخذت أعدائى الذين قتلوا مجوسا فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب حتى يعلمون أنى أشـــد منهم بأسا وأقوى مراسا ثم انه أمر أن تطرح المأسورين كلهم فى سرداب القلعة المعروفة التى ما اليها وصول (يا سادة) وكان الأمير ملابط البغال لما أخذ المأسورين السودان وضربوا أعناقهم وهو من الضرب سكران ولما أفاق ولم يجدهم علم أنهم هلكوا وبقى كذلك فى الاصطبل الذى للدواب والقيـــد فى رجليه وقد خاف من القتل فوجد جب ظلم فيه زبل فرمى نفسه فيه حتى يخفى أمره وكتم حاله طلبا للنجاة ورغبة منه فى الحياة ولما ألقى نفسه اليه كان سببا لنجاته وان السياسة التى للخيل لما أظلم الليل عليهم دخلوا الى

الاصطبل وقدموا العشا فأكلوا وكانوا كلما يفضل منهم شيء يرموه إلى الجب فيأكله الأمير ملابط البغال ويعالج قيده فلم يقدر على فكه (قال الراوى) ياسادة ياكرام ومازال على ذلك حتى أصبح ذلك اليوم فركب عبد الصليب الى الميدان وطلب البراز والطعان فحملت الاميره عليه بلا مطال وطعنته فى صدره أطلعت السنان من ظهره فعندها حملوا الروم وتقاتلوا قتال معلوم وجرت الدما فى الأراضى والتخوم وصارت الخيل والرجال تقع وتقوم حتى أقبل المساء وأظلمت الأقطار والدجى ورجعت كل طائفة إلى مقامها وقد بلغت مرامها (قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما أكل المسلمون الطعام وقعدوا للمشورة والكلام قال البطال للاميره ذات الهمه ياأميره أنا أشير عليك بخطاب تخلصى الأمير به من العذاب وكل من معه من الاصحاب فقالت ما هو يا أبو محمد قال تمضى انتى والمسلمين ثم تطلعون الى هذه المراكب وتسيرى فى البحر طالبة الديار وتظهرى الهرب والانكسار وأكون أنا وغلمانى لبسنا زى الروم فاذا رأوا أفعالك وأعمالك فلا بد أن يفتحوا القلعة وتبقا الرجال داخلين وخارجين فنختلط بالقوم وإذا كان الليل نقضى أشغالنا ونخلص الأمراء من الاعتقال وتعودى أنتى بالرجال عند الصباح فترى فى القلعة البكاء والنواح وترينا قد ملكناها فقالت الأميره يا أبو محمد أمهل على الى غداة غد حتى نرى ما نعمل وإلا فعلنا ذلك الوقت مرادنا (ياساده) فلما كان عند الصباح ركبت الرجال تروم الكفاح هـذا وقد ولو الروم عليهم ملكا بعد عبد الصليب وقد خرج ذلك اليوم يروم القتال والبراز فخرجت الأميره ذات الهمة اليه وقاتلته حتى طلع النهار وصارت الشمس فى كبد السماء وكحلت الاجفان بمراود العمى ثم ان الاميره صمصمت عليه بالطعنة فما كان له غير الهرب فلم يجد له لجا ولا ملتجا إلا الاصطبل الذى فيه ملابط البغال فكر اليه هاربا هذا وملابط البغال قد عالج قيده حتى فك قرونه منه ولما دخل اليه الملك خاف ملابط البغال منه فتعلق به وحمله وجلد به الارض فقتله وأخذ عدته وركب جواده وخرج من الاصطبل وأظهر أنه من جملة الروم حتى قارب المسلمين ورأى الاميره فلكز فرسه صار حداها ثم سلم عليها وقبل يداها وقد هربت الروم طالبة الحصن فمن دخل الحصن نجى ومن تخلف وبقى ظاهره شرب شراب الردا وقتل منهم مالا يقع عليه احصاء ولم يبق فى الجزيرة إلا الصبيان والنساء وملكت الجزيرة بما فيها (وأما) ملابط البغال فان الاميره ترحبت به وقالت له الحمد لله على السلامة وأقسم بالله انى على غاية الحزن من أجلك وان النار فى قلبى من أجل

ولدى عبد الوهاب فهل عندك علم منه فقال لا وذمة العرب ثم أنه أعاد عليها القصة (ياسادة) وكانوا السودان قد مسكوا عقبة وشومدرس لما انكسرت الروم ولطموا عقبه حتى وقع ميت وحركوه فلم يتحرك فخلوه وأخذوا شومدرس وأعرضوه على الاميره ذات الهمة فقالت لهم وعقبه لم تروه فقالوا بلى قد رأيناه ولكننا قد لطمناه وزدنا عليه فى اللطم فمات فتركناه ملقا خوفا منكم ومن الامير عبد الوهاب فقال البطال ما هو الا قد مكر فأمضوا الساعه الى مكان تركتموه فيه ميت وهاتوه فمضوا اليه فلم يجدوه فقالت الاميره ما هو الا قد صعد الى الحصن أما بالحبال وأما من مكان يعرفه وأنا خائفة منه على الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وأناأرجو من الله أن نخلصهم من غير طول مقام فقال لها ملابط البغال أيتها الامـــيره هاتى السودان الى ودعى العرب فقد أخذوا حقهم من الجهاد وملاقاة الاقران الشداد وأنا أن شاء الله أعمل عمل آخذ به القلعة فقالت له افعل يا أبو محمد وافتح لنا الحصن فانى أراه حصين ما يقدر عليه بقتال ولا نزال فقال ملابط البغال أنا لابد لى ما أزحف اليه بالسودان فقال البطال دع عنك هذا الهذيان وهـذه المحاورة يا أبو محمـد وخذ فيما تراه من الرأى لئلا تطول الاوقات وتمر الساعات فلعل الله تعالى يسهل لنا ذلك وان كان لابد من القتال ياملابط البغال فافعل فعندها صاح ملابط البغال بالسودان وزحفت الاميره ومعها بنى كلاب والسودان الانجاب وقد قطع البطال طمعها من الحصن بالقتال فعندها حملت وأوقدت نار الحرب طول النهار الى الليل وكانوا أهل الحصن رابحين لانهم مرتفعين بالاحجار والطلاقات الكبار والعمد وغير ذلك والمسلمون لا يقدرون على شىء من ذلك لان الحصن عالى (قال الراوى) ياساده ياكرام وأقام القتال على الحصن ثلاثة أشهر ولم يصلوا اليه ولاقدروا عليه ولم ينقبوا تلك الاحجار (ياساده) فطال على الامير ذلك وضجرت من المقام وهى لاتعلم هل الامير سالم أم عاطب (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان المقاتل لهم بطريق يقال له عبد السيد وهو بن عبد الصليب الا أنه كان أقوى من أبيه بأسا وأشد مراساوكان يريد لرأسه الف فارس وأن الاميرة أقبلت على البطال وقالت له قد طال مقامنا ههنا فقال لها أيتها الاميره لو أقمنا ههنا حتى لم يبق منا أحد ما بلغنا من هذا الحصن أرب الا بالحيلة ولكن لم نبرح حتى يفرج الله على الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وكذلك السيدة والاميرة علوى والملكة ميمونة والخدام فقالت هو كذلك الا أننى أردت أن أقول لك مانعمل فى أمر القلعة والحصن فلم نجد فيها

حيلة لمحتال ولاسبيل لنا اليها إلا بما لم يكن فى الحساب فقالت الأميرة كلمة لايخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياساده) وأصبح الصباح وأضاء الله بنوره ولاح وهم فى القتال والحصار ورمى الأحجار وإذا ببطريق قد أشرف على الصور رمعه سيف مجوهر مشهور وقد أحاط به الف بطريق وبين يديه عبد الوهاب ونادى برفيع من صوته يامسلمين أنا عبد السيد بن عبد الصليب ولكم عندى هؤلاء الأسارى ولم أعجل عليهم ولو كان غيرى لكنت أخذت بثارى منهم ولو أقمتم على هذا المكان حتى يشيب الغراب وينشف البحر العباب وتلين صم الجلاميد الصلاب لما وصلتم اليه ولا قدرتم عليه والآن فقد ضاقت صدورنا منكم ومن مقامكم علينا فان أنتم خليتم ما فى أيديكم من الأموال والرجال والصبيان ولا يلحقكم من الجزيرة ما يساوى درهم واحد فقد أبحنا لكم المراكب تركبون فيها إلى بلادكم فنحن نعطيكم أصحابكم وإن أبيتم ذلك فوحق المسيح ونور الجاثليق والقناديل والستور والمذبح والبخور ومريم المعظمه والمقامات المكرمة والكنائس المرتفعة والصلبان المرصعه والاناجيل الأربعة أن خرج معكم من الجزيرة ما يساوى درهم واحد ولم تركبوا الساعه فى هذه المراكب التى قد بقيت وتقلعوا إلى أرضكم فقد خرج لكم هذا الهوى وهو طيب لكم ولا قلاعكم ولا أرميتكم برؤس هؤلاء المأسورين وأفجعتكم عليهم أجمعين ولا ينفعكم بعد ذلك نافع ولا أسمع فيكم شفاعة شافع ولو أقمتم بعد ذلك بقية أعماركم فما نبالى بكم فان فى هذا الحصن ما يقوم بنا طول الأيام فافعلوا ما تختاروا وحاربوا بما تريدوا (قال الراوى) ياسادة ياكرام فحارت الأميرة من ذلك وقالت للبطال ما عندك من الرأى فى هذا الأمر يا أبو محمد فقال البطال ما عندى من الرأى إلا الرحيل ثم أنكم تنزلوا إلى المراكب وما يلتمس أحد منكم من الجزيرة ما يساوى الدرهم الواحد كما أشار هذا الملعون ثم تقلعوا من هذه الجزيرة ثلاثة أيام كما قد ذكرت لكم أول سيرة وأكون أنا وغلمانى فى بعض المواضع فما تعودون الينا الا وتجدونى إن شاء الله تعالى فى القلعة وتكون عزيمة هذا الملعون قد بطلت عن قتل الأمير عبد الوهاب وعن من معه من الأصحاب لانه على كل حال شاب وما يفكر فى عاقبة فلما أن سمعت الأميره هذا الخطاب وجدته صواب فتركت كلما فى الجزيرة من الأموال والنساء والصبيان ثم أصلحت المراكب وصعدت اليها ورفعت القلوع وقد علا عليهم العطعطه والصياح (ياساده) وكان هذا من تدبير عقبة لأنه لما وقع فى يد السودان وعمل تلك الحيله التى ذكرنا

وتخلص منهم وهرب وهو لا يدرى إلى أين يذهب حتى خرج من الجزيرة وصار خلف الحصن والقلعة مشرفة عليها فبقى عقبة يطلب منفذا ومطلعا فلم يجد ذلك فبقى على غاية من القلق إلا أنه هانت عليه الوفاة فقال فى نفسه ومالى أنا أقف ههنا حتى يجىء عدوى يتحكم فى فدعنى أموت عزيزا ولا أموت ذليلا وما فى الأمر إلا اننى أرمى روحى من هذه الصخرة الى هذا البحر الذاخر وأموت غريقا وأعلم ان القوم ماوصلوا الى ولا قدروا على وهم أن يرمى روحه من أعلا الجبل واذا بالصياح قد أخذه من أعلى الحصن وهم يقولون لاتفعل فتهلك ونحن نرمى اليك الحبال فتشدها فى وسطك وقد حصلت عندنا فبكى من شدة الفرح ثم قال ما أحسن الفرج بعد الشدة أرموا الى الحبال فى ساعتكم هذه قبل أن تدركنى الرجال بالسيف الصقال فلما سمعوا كلامه القوا اليه حبلا مفتولا فشده فى وسطه ومسكه بيديه ورفعته البطارقة الى الحصن وكان هو الذى يدبر أمر القتال الى أن ذهبت ثلاثة أشهر ولما طاب الهوى للمسلمين قال للملك عبد السيد ان هؤلاء القوم ما يرحلوا عن هذه الأرض ولو هلكوا عن بكرة أبيهم فقال له الملك وما الذى ترى من الرأى ونحن ما نقدر نخرج اليهم وقد رأيتم ما صنعوا بتلك العساكر وكيف أبادوا حماتها وأهلكوا امرائها وقد هلكت رجالنا وأقيالنا فكيف الوصول الى أن يرحلوا فقال أنا أقول لك وهو أن يخرج هؤلاء المأسورين وتنادى فى طائفة المسلمين وتقسم بالمسيح العظيم والانجيل الكريم لئن لم ترحلوا عن بلادنا وتخلون ما فى أيديكم من الرجال والاموال والا ضربت رقاب المأسورين الذين عندى جميعهم فانهم اذا سمعوا منك ذلك لايقدرون على الاقامة ولابد لهم من الاقلاع الى مدينة القسطنطونية ويطلبون من الملك ميخائيل أسراهم وأنت لو جاءك الملك ميخائيل بنفسه لاتلتفت اليه ولا تسلم اليه أحد ولكن اذا قلع المسلمين من ديارك اضرب أنت رقاب هؤلاء المأسورين فتكون قد أخذت بثار أبيك الملك عبد الصليب والثانى أنك تهدم بهم أركان المسلمين وتكون قد نصرت هذا الدين (قال الراوى) فلما سمع ذلك من كلام اللعين عقبة فعل ما ذكرنا وتكلم بما شرحنا ونزلت الاميره من وقتها وساعتها فى المراكب ومعها رجالها برأى البطال وأن البطال لبس لحية كبيرة شقره بشاربين عراض طوال لايرى فمه منها وكذلك غلامه وكذلك كل واحد منهم فى زى وكانت الثياب الذى لبسها البطال وغلمانه من ملابس القوم التى غنموها وأمرهم البطال أن يتفرقوا كل واحد منهم فى جانب الجزيرة وأقلعت المراكب وغاب القوم عن الجزيرة وفرح القاضى عقبه وفتح

باب الحصن وخرج أهل الجزيرة إلى نسائهم وأولادهم من داخل الحصار كأنهم الجراد المنتشر (ياسادة) واختلط غلمان البطال فى جملة الناس واجتمع عقبه بشومدرس وكان قد هرب من المسلمين وقال له كيف ترى هذه الفعلة وقد خلصت أهل الجزيرة مما كانوا فيه ورحلت المسلمين وسوف أضرب رقاب المأسورين وافعل بهم ما أريد وما بقيت عمرى أخرج من هذه القلعة فلما سمع شومدرس ذلك من كلام عقبة قال له وحق المسيح لولا فعلتك هذه لكنت أنا من الهالكين وما خلصنى من أيدى السودان إلا المسيح وأنت كنت السبب فى ذلك (قال الراوى) وركب عبد السنيد فى الجزيرة وسار الى قرب المينا وصعد إلى الحصن والبطال قد حصل من داخل الحصن وطلب غلمانه فلم يجدهم ولم يرى غير لؤلؤ وأن الباقى قد تفرقوا فعظم عليه ذلك وخشى أن يعرف عقبه أحد منهم فيبطل عليه جميع أموره (ياساده) هذا وان الملك صعد إلى القلعة فأتى البطال إلى عند لؤلؤ فوجده قائم عند الباب الثالث على باب صغير مغلق فلاصقه البطال وقال له لؤلؤ قال نعم قال لقد حملت همك فما سبب وقوفك هنا أصعد بنا نحو الأبراج لنقف فى جملة البطارقة لئلا ينكروا بعض الروم والملعون عقبة علينا فقال لؤلؤ ما وقفت هنا إلا حتى أريك المكان الذى فيه الامير عبد الوهاب وأصحابه لأنهم كلهم فى هذا المكان وهو الباب الذى مقابلى وقد دخلت الدار فوجدت السيده زبيده مع بعض الجوار فاذا كان الليل عملت ما سهله الله عز وجل وأنا فما أطلع معكم ولكننى ادخل مع الملك الى الدار وأحصل عند السيده زبيده فقال له ويلك اعلم ان الأسطول مايعود الينا إلا بعد يومين أو ثلاث فان قدرت على هلاك الملك فافعل ونحن ندبر على هلاك البطارقة الذين فى القلعة وبالله التوفيق ولو أقمنا فيها سنة كاملة لما قدروا علينا حتى تأتى الأميره ذات الهمة ثم صعد البطال إلى الابراج مع جملة البطارقة ودخل الملك إلى الدار وخلع ما عليه من اللباس وصعد إلى بعض أبراج القلعة وصعدت البطارقة معه ممن هو معروف بالقلعة دون الحصن وان عقبه لم يصعد تلك الليلة بل أنه أقبل على شومدرس وقال له اعلم أن ذات الهمة لا تقعد عن ولدها عبد الوهاب وربما رجعت وانما أنا فعلت هذا حتى يفرجون لنا ويخلونا من هـــذا السجن ونأخذ لنا مهربا فقم بنا حتى نحضر عند الملك ونحذره ونحرضه على قتل الاسود ومن معه من السودان والرجان وأول ماتأمره بقتل السيدة زبيدة وان كانت قد فعلت فى حق كل جميل على انى ما أشكرها على ذلك لان المسيح قد سخرها لى

وبعد قتل الأسود لا أحتاج اليها ولا إلى غيرها فقال شومدرس دع الملك الليلة يخلو بنفسه وندبر لنا نحن مكانا نبيت فيه ثم بعد ذلك نصعد اليه فى غداة غد فقال له عقبة نعم ما رأيت أيها الشيخ الصالح والعبد الناصح وباتوا فى الحصن لأمر يريده الله تعالى من اتمام السعادة وبلوغ الارادة وذلك أن البطال كان قد ركن إلى القوم واختلط بهم عند الظلام وأوقدت المشاعل والشموع وقدم بين أيديهم الشراب والملك فرحان بما قد وصل اليه والبطال قد تقدم الى الذى فيه الشراب وطرح فيه من ذلك الدوا الذى تعرفونه وبقى منتظرهم أن يشربوا وإذا برجال صعدوا حفاة عراة وبأيديهم السيوف وهم ينادون خذوهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك لؤلؤ لأنه عمل على فتح الباب الذى فيه الأمير عبد الوهاب ودخل للأمراء الانجاب وسادات بنى كلاب فوجدهم بغير قيود لأنهم كانوا قد أخرجوهم فى ذلك اليوم لضرب رقابهم وقد فكوا القيود عنهم ولما نظر لؤلؤ إلى ذلك تقدم فناداه الأمير عبد الوهاب من أنت فقال له يا مولاى أنا غلامك لؤلؤ ففرح بذلك وكان قد أيس من الخلاص وأيقن بالهلاك وسوء الارتباك فقال له أنت وحدك فقال لا ولكن معى مولاى البطال وسائر غلمانه والملك قد قدم الشراب وسوف يشبعهم فقال له الأمير ظالم أليس باب القلعة مغلوق قال نعم والملك والبطارقة كلهم على الأبراج فقال يالؤلؤ لو قدرت تحصل لنا على سيوف وجحف لأسقيناهم شراب التلف فقال أمضى فى طلب ذلك لعل الله أن يهىء لكم الخلاص ثم خلاهم وراح ودخل الدار التى فيها السلاح فوجد السيوف معلقة فأخذ منها ماأراد وقصد إلى دهليز القلعة وأخذ منها ما أراد وأتاهم بكلما أرادوه ويحتاجون اليه ودخل البيت الذى فيه الملكة ميمونه وأتاها بعدة كاملة (ياسادة) وعدنا إلى سياقة الحديث وأنهم صعدوا وهم يكبرون فوثب الملك عبد السيد وصاح بالبطارقة وكان فيهم من معه سيف وفيهم من لم يكن معه من آلة الحرب ولا من معه عدة الطعن والضرب وعلا الصياح وضربوهم بالصفاح وضرب الأمير ظالم عبد السيد على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه وسمع أهل الحصن الصوت وأهل الجزيرة فأتوا يطلبون القلعة فوجدوا الباب مغلوق ولاسبيل لهم إلى الدخول وسمع القاضى عقبه التهليل والتكبير فى وسط القلعة فعلم أن المسلمين قد خلصوا ووقعوا فى الناس بالسيف فانفطرت مرارته ودامت حسرته فقال له شومدرس إن فى القلعة خمسمائة بطريق وهم فى الساعة يأخذون المسلمين عن بكرة أبيهم فقال له عقبه وقد غضب ياشيخ النحس سلب عقلك وكثر جهلك وحق المسيح أن أقل ما فيهم يريد لرأسه كل من فى القلعة ومالى هذا

ولكن أخاف أنهم فى غداة غد يفتحون الباب وينزلون الينا قبل أن نهرب ويعود أسطولهم الينا فوحق المسيح ماكان هذا الفعل إلا من العيار المحتال أبو محمد البطال وما مضت الأميرة ذات الهمة إلا لهذه القصة والساعة تنظر الدائرة على من تدور وما تدور الا عليك فقم بنا ننزل من هذه البلد الى الساحل ونبذل المال لمن يأخذنا فى مركب ويقلع بنا الساعة إلى بعض الجزاير فلعل يكون لنا خلاص من هذه الأقفاص ثم خرج شومدرس وعقبة فى طلب الهرب فلم يلتفت اليهم أحد وكل إنسان مشغول بنفسه وقد رفع أهله الى الحصن الى أن أصبح الصباح وقد عادت مراكب الأميرة وأقبلت وعلى الجزيرة نزلت ولم يكن لها صبر على المقام وقد التهبت بنار الغرام حتى اذا أقربت من الجزيرة رأت السيوف وقد اشتهرت على الأبراج التى للقلعة وهم ينادون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نظر الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب الى المراكب فقالوا يالها من ساعة ما أبركها وسجد شكراً لله تعالى (ياسادة) ونظر عقبه إلى المراكب وقد أقبلت والى الجزيرة قد وصلت فقال يالها من ساعة ما أيشمها عليه وألصقت المراكب ونزلت الرجال والسودان الانجاب الابطال ولم يكن لعقبه ملجأ الا الحصن وكذلك الروم جميعا وزحفت الاميرة ذات الهمة الى الحصن وأقبل الامير عبد الوهاب الى أصحابه وقال لهم اعلموا أن الحصن حصين وقد أقاموا أصحابنا على حصاره طول الايام لما قدروا عليه ولا وصلوا اليه ومن الصواب أن نفتح باب القلعة وننزل الى الحصن فقالوا هذا هو الصواب وفتحوا الباب وخرجوا المجاهدين وأبطال الموحدين وقد ظهرت الملكة ميمونة شاهرة سيفها وخرج الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب الا البطال وغلمانه فانهم أقاموا فى القلعة يحفظونها هذا وقد نظروا الروم الى قلتهم فحملوا عليهم فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وأن الامير عبد الوهاب جعل يضرب الناس طول وعرض الى أن ترك الرؤس بلا علاصم والاكف بلا معاصم وتصايحت البطارقة وأولاد العمالقة وعملت الصوارم فى الهامات وأجادوا الضرب بالمرهفيات الى أن فرشوهم على التراب وضربوا منهم الرقاب وأهلكوا الشيوخ والشباب وسمعت الاميرة ذات الهمة الصياح فى الحصن فقالت والله انى خائفة عليهم لان الروم فى عالم عظيم والامير وأصحابه فى جماعة قليل فقالوا أيتها الاميرة صدقتى ولكن ما الحيلة فى الوصول اليهم (قال الراوى) ولم يزل الامير عبد الوهاب وأصحابه فى القتال الشديد الى الليل وصعدوا الى القلعة ولم يقدروا الروم أن يمنعوهم من ذلك وأما الروم فانهم اجتمعوا بعضهم على بعض

وقالوا أما نحن فهالكون لامحالة لأن هذا العسكر فى ظاهر الحصن وداخله معنا من هؤلاء الفرسان وقد بقينا فى وسط بحرين زاخرين فهؤلاء ينزلون الينا من القلعة فى كل يوم وقد فرغوا من كل من فى الحصن وفرشوا الحصن بالقتلى فى هذا اليوم وما يمضى هذا اليوم ويبقى منا إنسان ولاقس ولامطران ومالنا إلا نطلب منهم الأمان ويكون لهم الرجال والأموال ويحلفوا لنا أن لا يتعرضوا لنا (قال الراوى) ولما سمع القاضى عقبة ماعزموا عليه أقبل على شومدرس وقال له دبر كيف ترى هذه النوبة الميشومة فقال شومدرس ان صالحوهم ما أقول أنهم يتعرضوا لنا فقال له عقبة لا كتب المسيح عليك سلامة فما يقع الصلح الا على قفاى وقفاك ثم أنه أقبل على أهل الحصن وقال ياقوم لاتفعلوا هذا فأنا أخبر الناس بهؤلاء القوم ولا لهم عهد ولا ميثاق (قال الراوى) فلما سمعوا القوم كلامه قالوا أيها الشيخ النجيح فما الحيلة ونحن كما ترى هالكون فقال عقبه إن كان ههنا بالقرب منكم جزيرة ننزل أنا وهذا الشيخ اليها ونطلب منهم النجدة ونقصد سائر الجزائر فقالوا هذا هو الصواب أيها الشيخ الصالح وكان قصده الهرب فقالوا له مالنا من نطلب منهم النجدة الا أهل جزيرة النفط وهى مسيرة يوم وليلة وفيها عالم عظيم فى قدر أهل الدنيا وهى جزيرة طويلة مسيرة ثلاثة أيام طول وعرض ولكن ما نقول ان الأمر يطول علينا الى أن يأتوا الينا أهل جزيرة النفط مع أنهم ان أدركونا وخلصونا

تم الجزء التاسع والثلاثون ويليه الجزء الاربعون

